روايا للدراسات والبحوث

مِنْهَاجُ السَّالِكِين

وَعُمْدَةُ البُصَرَاءِ السَّائِرِين

تأليف العلامة

مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد المَنْبِجِيّ الحَنْبَلِيّ

(ت ٧٨٥هـ)

دراسة وتحقيق

أحمد بن محمد بن غانم آل ثاني

المُجَلَّدُ الثَّانِي

عين لإحياء التراث
والخدمات الرقمية
لندن - مصر

دار الضياء
للنشر والتوزيع
الكويت

دار الضياء
للنشر والتوزيع
الكويت - حولي - شارع الحسن البصري
ص.ب ١٣٤٦ حولي
الرمز البريدي ٣٢٠١٤
تلفاكس ٠٠٩٦٥٢٢٦٥٨١٨٠
نقال ٠٠٩٦٥٥٠٤٠٩٩٢١

دار الضياء للنشر والتوزيع

لإحياء التراث والخدمات الرقمية

جميع الحقوق محفوظة للمحقق
الطبعة الأولى
١٤٤٨هـ - ٢٠٢٦م

بلد الطباعة: بيروت - لبنان
التجليد الفني: شركة فؤاد البعينو للتجليد ش.م.م
بيروت - لبنان

علم لإحياء التراث
والخدمات الرقمية
جمهورية مصر العربية - القاهرة
التجمع الخامس- الحي الثالث- ڤيلا 152
الهاتف: 00201127999511
international library of manuscripts(ILM)
1155726

Dar_aldheyaa2@yahoo.com
Abdou20203@hotmail.com
www.daraldeyaa.net

رقم الإيداع المحلي: 2017/23123
رقم الإيداع الدولي: 3-5- 85365 -977-978
info@ilmarabia.com

الموزعون المعتمدون

دولة الكويت
دار الضياء للنشر والتوزيع - حولي تليفاكس: ٢٢٦٥٨١٨٠ نقال: ٥٠٤٠٩٩٢١

جمهورية مصر العربيَّة
دار الأصالة للنشر والتوزيع - المنصورة
محمول: ٠٠٢٠١٠٠٠٣٧٣٩٤٨
محمول: ٠٠٢٠١٠٩٨٣٢٥٨٣٢

المملكة العربية السعودية
مكتبة الرشد - الرياض هاتف: ٤٣٢٩٣٣٢ - ٢٠٥١٥٠٠
دار التدمرية للنشر والتوزيع - الرياض هاتف: ٤٩٢٥١٩٢ فاكس: ٤٩٣٧١٣٠
مكتبة المتنبي - الدمام هاتف: ٨٣٤٤٩٤٦ فاكس: ٨٤٣٢٧٩٤

المملكة المغربية
دار الرشاد الحديثة - الدار البيضاء هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٢٧٤٨١٧

المملكة الأردنية الهاشميّة
دار محمد دنديس للنشر والتوزيع - عمان هاتف: ٠٦٤٦٥٣٣٩٠ - ٠٧٨٨٢٩١٣٣٢

جمهورية العراق
دار التفسير - أربيل هاتف: ٠٠٩٦٤٧٥٠٨١٨٠٨٦٥

برمنكهام - بريطانيا
مكتبة سفينة النجاة هاتف: ٠٠٤٤٧٤٧٢٠٤٢٨٢٤ هاتف: ٠٠٤٤٧٤٩٥٠٧٤٠٢٥

الجمهورية اليمنية
مكتبة نور السبيل - حضرموت - تريم هاتف: ٠٠٩٦٧٧٧٦٢٢٤٢٩٩ - ٠٠٩٦٧٧٣٦٨٣٧٩٣٥

الجمهورية التركية
مكتبة الإرشاد - إسطنبول هاتف: ٠٢١٢٦٣٨١٦٣٣/٣٤ فاكس: ٠٢١٢٦٣٨١٧٠٠

جمهورية داغستان
مكتبة ضياء الإسلام هاتف: ٠٠٧٩٨٨٣٠٣١١١١ - ٠٠٧٩٨٨٧٧٣٠٣٠٦
مكتبة الشام - خاسافيورت هاتف: ٠٠٧٩٢٨٨٧٢٩٥٠٥ - ٠٠٧٩٢٨٨٦٦١٤٧٤

الجمهورية العربية السوريَّة
دار الفجر - دمشق - حلبوني هاتف: ٢٢٢٨٣١٦ فاكس: ٢٤٥٣١٩٣

الجمهورية السودانية
مكتبة الروضة الندية - الخرطوم - شارع المطار هاتف: ٠٠٢٤٩٩٩٠٠٤٣٥٧٩

دولة ليبيا
مكتبة الوحدة - طرابلس
شارع عمرو ابن العاص هاتف: ٠٩١٣٧٠٦٩٩٩ - ٠٢١٣٣٣٨٢٣٨

لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو نسخه أو حفظه في أي نظام إلكتروني أو ميكانيكي يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه، وكذلك لا يسمح بالاقتباس منه أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

روايا للدراسات والبحوث

منهاج السالكين

وعمدة البصراء السائرين

تأليف العلامة

محمد بن محمد بن محمد المنبجي الحنبلي

(ت ٧٨٥هـ)

دراسة وتحقيق

أحمد بن محمد بن غانم آل ثاني

المجلد الثاني

علم لإحياء التراث
والخدمات الرقمية
لندن - مصر

دار الضياء
للنشر والتوزيع
الكويت

روايا للدراسات والبحوث

بسم الله الرحمن الرحيم

البَابُ السَّابِع

في صحة اعتقاد القوم وحسن قصدهم

اعلم -رحِمَك اللهُ-: أنّ أوَّلَ ما ينبَغي أن يُعتنى به لِمَن أرادَ الكشفَ عن طريقِ القومِ معرفةُ عقائدِ العارِفينَ، الّتي هي أصولُ مشاهدِ المُقرَّبين، حتَّى إنّ السّالكَ يتبعُها، وتكونُ عبادَتُه علَى إيناسٍ(1)، ويعلم يقينًا أنّ صحّة العقيدةَ هي المُنجيةُ له يومَ القيامةِ، فإنّ بنور الحقِّ ينكشِفُ الباطِلَ، وبشُعاع الشّمسِ يُفرَّق بين السّوادِ والبياضِ، في الأصايلِ(2) والبواكرِ؛ لأنّ العقائِدَ تتَرَتَّب عليها المشاهدُ، ثُم تصير لأرواحِهم مقاعدُ، وليستِ حاجةُ الأرواحِ قطُّ إلى شيءٍ أعظمَ منها إلى معرفة بارئِها وفاطِرِها، ومحبَّتُه وذكره والابتِهاجُ به وطلَبُ الوسيلةِ إليه، ولا سبيلَ إلى هذا إلّا بمعرفة أوصافِه وأسمائِه، فكلّما كان العبدُ بها أعلمَ كان بالله أعرَفَ، وله أطلبَ، وإليه أقرَبَ، وكلَّما كان لها أنكَرَ كان بالله أجهلَ، وإليه أكرَه، ومنه أبعَدَ، والله تعالى يُنزلُ العبدَ من نفسِه حيثُ يُنزله العبدُ من نفسِه، فالسّالكُ العارفُ وغيرُه يكونُ التِفاتُه وشهودُه وجمعيتُه واقعًا علَى الذّاتِ الموصوفةِ بصفاتِ الكمالِ، المنعوتِ بنُعوتِ الجلالِ.

فليس القلبُ الصّحيحُ قطُّ إلى شيءٍ أشوقَ منه إلى ربِّه تعالى وصفاته

---

(1) أي: على علم. قال الزبيدي في تاج العروس، مادة (أ ن س)، (ج15/ 415): آنس الشيء: علمه، يقال: «آنست منه رشدا»؛ أي: علمته.

(2) الأصيل: بعد العشي، وجمعه الأصل، والآصال، والأصايل لعله أن يكون جمع أصيلة. انظر: مجمل اللغة لابن فارس، باب الهمزة والصاد وما يثلثهما، (ج1/ 97).

وأفعالِه وأسمائِه، ولا أفرحَ بشيءٍ قطُّ كفرَحٍ بذلك، فأعظَم نعمة لله علَى عبادِه معرفتُه. وقد روي عن عليِّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه سُئِل بما عرفتَ ربَّكَ؟ فقال: بما عرَّفني نفسَه، لا يُدرَكُ بالحواسِّ، ولا يُقاسُ بالنّاس، ولا يُشبِهُه شيءٌ، ولا يُشبِه الأشياءَ، قَريبٌ في بُعدِه، بعيدٌ في قُربه، فَوقَ كُلِّ شيءٍ، هو الأوّلُ والآخِرُ، والظّاهِرُ والباطنُ، الأوّلُ قبلَ كُلِّ شيءٍ، والآخِرُ بعدَ كُلِّ شيءٍ، والظّاهرُ فوقَ كُلِّ شيءٍ، والباطنُ دونَ كُلِّ شيءٍ(1).

وعن جعفرِ بن مُحمَّدٍ(2) أنّه قال: قولُه: «لا إله إلّا الله» قال: الأولى وصفٌ وتوحيدٌ، والثّانيةُ رسمٌ وتعليمٌ(3). فهو سبحانه أمَرَ بالتّوحيدِ

---

(1) ذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في درء التعارض (ج8/ 511) بلا إسناد، بلفظ: قيل لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بم عرفت ربك؟ فقال: بما عرفني نفسه، لا يشبه صورةً، ولا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس.

وفي معناه روى ابن عساكر في تاريخ دمشق (ج54/ 282) عن المدائني قال: بينما محمد بن علي بن الحسين في فناء الكعبة فإذا أعرابي، فقال له: هل رأيت الله حيث عبدته؟ فأطرق وأطرق من كان حوله، ثم رفع رأسه إليه، فقال: ما كنت لأعبد شيئًا لم أره، فقال: وكيف رأيته؟ قال: لم تره الأبصار بمشاهدة العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، معروف بالآيات، منعوت بالعلامات، لا يجور في قضيته بأن من الأشياء، وبانت الأشياء منه، «ليس كمثله شيء»، ذلك الله لا إله إلا هو، فقال الأعرابي: الله أعلم حيث يجعل رسالاته.

(2) هو جعفر بن محمد بن علي بن الشهيد أبي عبد الله، ريحانة النبي ﷺ وسبطه ومحبوبه الحسين بن أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب، الإمام الصادق، شيخ بني هاشم، أبو عبد الله القرشي، الهاشمي، العلوي، النبوي، المدني، أحد الأعلام، وأمه هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر التيمي، وأمها هي أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، ولهذا كان يقول: (ولدني أبو بكر الصديق مرتين)، ولد سنة (80هـ)، ورأى بعض الصحابة، قال يحيى بن معين: (جعفر بن محمد ثقة مأمون)، وقال أبو حاتم: (جعفر لا يسأل عن مثله)، توفي سنة (148هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج6/ 255-270).

(3) ذكره عنه: الثعلبي في الكشف والبيان، ط دار إحياء التراث العربي (ج3/ 34). ابن الجوزي في زاد المسير (ج1/ 362).

والإخلاص، ونَهَى عنِ الشِّركِ بالله، فأعظَم الحسَناتِ التّوحيدُ، وأعظَم السّيئاتِ الشِّركُ، فقال في الشِّركِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء: 48]، وقال في التّوحيدِ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: 1- 4].

قال ابنُ عبّاسٍ: الصّمدُ: العليم الّذي كمُلَ في علمِه العظيم، الّذي كمُل في عظمَتِه، القديرُ الكامِلُ في قُدرتِه، الحكيمُ الكامِلُ في حكمَتِه، السّيِّدُ الكامِلُ في سُؤددِهِ(1).

وقال ابنُ مسعودٍ وغيرُه: الصّمدُ: الّذي لا جَوفَ لَه. والأحَدُ: الّذي لا نظيرَ لَه. فالصّمَدُ يتَضَمَّنُ اتِّصافَه بصفاتِ الكمالِ، ونفيِ النّقائِصِ عنه، والأحَدُ يتَضَمَّنُ أنّه لا مِثلَ لَهُ(2) [87/ أ].

وسُئِل الشّافعيُّ(3) رحمة الله علَيهِ: بما عرَفتَ رَبَّكَ به؟ أوَ بمحمّد؟ فقال: عرَفتُه به، وعرَفتُ مُحمَّدًا به، فلَو عرفتُه بمُحمَّدٍ لكانتِ المِنّة لِمحمَّدٍ لا لَهُ(4).

---

(1) ذكره عنه ابن تيمية في: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص:123). مجموع الفتاوى (ج11/ 250).

(2) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، ط دار الكتاب الإسلامي، (ج 22/ 377).

(3) تقدمت ترجمته.

(4) روى نحوه ابن الجوزي في كتاب «العلل المتناهية»، (ج2/ 946)، حديث (1577)؛ من طريق: «محمد بن سعيد الهروي قال: أنبأنا إسماعيل بن يحيى بن عبد الله التيمي، وعلي بن إبراهيم الهاشمي، عن يحيى بن عقيل الخزاعي، عن أبيه، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سأله رجل: عرفت الله بمحمد أو عرفت محمدًا بالله؟ فقال: لو عرفت الله بمحمد لكان محمد أوثق من الله، ولو عرفت محمدًا بالله ما احتجت إلى رسول الله، ولكن الله تعالى عرفني نفسه بلا كيف كما شاء، بعثت محمدًا رسولًا، ليبلغ القرآن والإيمان، وعتب الحجة، وتقويم الناس على منهاج الإسلام، فصدقت بما جاء به من الله، لأنه لم يجيء بخلاف عن أمر ربه، ولا يخالف=

فقد قيلَ: معنى قولِ الشّافعيِّ أنّي عرفتُه بنورِ الهِدايةِ؛ أي: أظهَرَ في نفسي ما يوجِبُ معرِفتَه ومعرِفةَ محمَّدٍ ﷺ، وهذا يحتملُ أن يكونَ مُرادُه معرفةَ الباري بخطابِه بواسِطةِ نَبيِّنا، والله أعلَمُ.

قلتُ: ويُشبه هذا قولُ ذي النّونِ المصريِّ[1]: بما عرفتَ رَبَّكَ؟ فقال: عَرفتُ رَبّي بربّي، فلولا رَبّي ما عرفتُ رَبّي[2]. ويشهَدُ لهذا قولُ ابنِ رَواحةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [من الرجز]:

والله لولا الله ما اهتَدَينا وَلا تَصَدَّقنا ولا صَلَّينا[3]

=الرسل من قبله، جاء بالهدى والوعد، وتصديق من قبله». قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لأنه أجل من أن يقول هذا، والمتهم به محمد بن سعيد، وقد رواه عن إسماعيل، قال ابن عدي: وإسماعيل يحدث عن الثقات بالبواطل، فأما الهاشمي فما يعرف.

(1) تقدمت ترجمته.

(2) انظر: الرسالة القشيرية، باب المعرفة بالله، (ص:514). وعلق الإمام الغزالي على ذلك في إحياء علوم الدين، (ج4/ 257)، بقوله: (وهو معنى قوله تعالى: «أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد»).

(3) كان النبي ﷺ يرتجز به يوم الخندق، روى ذلك البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، حديث (4104)، عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه، أو اغبر بطنه يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا إذا أردوا فتنة أبينا

ورفع بها صوته «أبينا أبينا».

۞ كتاب الأيمان والنذور، باب «وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله»، حديث (6620)؛ عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رأيت النبي ﷺ يوم الخندق ينقل معنا التراب وهو يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا صمنا ولا صلينا
فأنزل سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
والمشركون قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

وقال الجُنَيدُ[1]: ما وحَّدَ أحَدٌ اللهَ غير الله. ففَسَّره بعضُ أصحابِ الطّريقِ أنّ معناه: هو عن توحيدِه يصدُرُ توحيدُ الموحدينَ، فكُلُّ موحِّدٍ منسوبٌ إلى توحيدِه. انتهى.

ويُشبه هذا قولُ شيخِ الإسلامِ الأنصاريِّ[2] في التّوحيدِ [من السريع]:

توحيدُه إيّاه توحيدُه ونعتُ مَن ينعَتُه لاحِدُ[3]

أي: هو الّذي وحّدَ نفسَه حقيقةً، فتَوحيدُ العبدِ منسوبٌ إليه حَقيقةً، ونِسبتُه إلى العبدِ غيرُ حقيقيّة[4]؛ إذ ذلك لم يكُن لَه[5] ولا منه، وإنّما هو مجعولٌ فيه، فإن سُمّيَ موحِّدًا أو ذاكرًا فلكونِه مَجرًى ومحلًّا لما أُجريَ فيه، كما يُسمَّى أبيضَ وأسودَ وطَويلًا وقصيرًا؛ فلِكونِه محلًّا لهذه الصِّفاتِ لا صُنعَ له فيها، ولم توجِبها مَشيئتُه ولا حولُه ولا قوَّتُه[6].

---

(1) تقدمت ترجمته.

(2) تقدمت ترجمته.

(3) البيت لأبي إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي، المتوفى: (481هـ)، وقبله:

ما وحَّدَ الواحِدَ من واحِدِ تَوحيدُ مَن يَنطِقُ عن نَعتِهِ
إذ كُلُّ مَن وحَّدَه جاحِدُ عاريّة أبطَلَها الواحِدُ

انظر: منازل السائرين لشيخ الإسلام الأنصاري الهروي، ط دار الكتب العلمية، (ص: 139).

۞ فسر الفيروزآبادي هذه الأبيات في كتابه «بصائر ذوي التمييز»، (ج5/ 172-173)، فقال: وظاهر معناه أن ما وحد الله عَزَّوَجَلَّ أحد سواه، وكل من أحَّده فهو جاحد لحقيقة توحيده، فإن توحيده يتضمن شهود ذات الموحد وفعله، وما قام به من التوحيد وشهود ذات الواحد وانفراده، وتلك بخلاف توحيده لنفسه، فإنه يكون هو الموحِّد والموحَّد، والتوحيد صفته وكلامه القائم، فما ثم غيره فلا اثنينية ولا تعدد...

(4) في الأصل: حقيقة، والمثبت من المدارج.

(5) في مدارج السالكين: «إذ ذاك لم يكن له».

(6) انتهى نقله من مدارج السالكين (ج2/ 436).

اجتمع أبو سَعيدِ بن أبي الخيرِ[1]، وأبو القاسِم القُشيريُّ[2] في مجلِس، فقال القُشيريُّ: المُحقِّقون قالوا: ما رأينا شَيئًا إلّا رَأينا اللهَ بعدَه؟ فقال أبو سَعيدِ: ذاكَ مقامُ المُريدينَ، أمّا المُحقِّقونَ قالوا: ما رَأينا شَيئًا إلّا رأينا اللهَ قبلَهُ[3].

وقال الفُضَيلُ بن عياض[4]: ليسَ لنا أن نتوهَّم في الله كيفَ وكيف؛ لأنّ اللهَ وصَفَ نفسَه فأبلَغ، فقال: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص] فلا صفة أبلَغُ ممّا وصَفَ الله به نفسَه وكذا النُّزولُ والضّحِكُ والمُباهاةُ والاطِّلاعُ؛ كما شاءَ أن ينزِلَ، وكما شاءَ أن يُباهِيَ، وكما شاءَ أن يطّلِعَ، وكما شاءَ أن يضحَكَ، فليسَ لنا أن نتوَهّمَ كيفَ وكيفَ؟ وإذا قال لكَ الجهميُّ[5]: أنا أكفُرُ بربٍّ يَزولُ عن مكانِه. فقُل: وأنا أُؤمِنُ بربٍّ يفعَلُ

---

(1) هو القدوة الزاهد، شيخ خراسان، أبو سعيد؛ فضل بن أبي الخير محمد بن أحمد، الميهني الصوفي، توفي بقريته ميهنه سنة (440هـ)، وله تسع وسبعون سنة، وله أحوال ومناقب، ووقع في النفوس وتأله وجلالة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج17/ 622).

(2) تقدمت ترجمته.

(3) انظر: مفاتيح الغيب -تفسير الفخر الرازي-، ط دار الفكر، (ج1/ 108).

(4) تقدمت ترجمته.

(5) الجهمية: هم أتباع جهم بن صفوان الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال، وأنكر الاستطاعات كلها، وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان، وزعم أيضًا أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط، وأن الكفر هو الجهل به فقط، وقال لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز...

وزعم أيضًا: أن علم الله تعالى حادث، وامتنع من وصف الله تعالى بأنه شيء أو حي أو عالم أو مريد، وقال: لا أصفه بوصف يجوز اطلاقه على غيره كشيء موجود، وحي وعالم ومريد، ونحو ذلك، ووصفه بأنه قادر وموجود وفاعل وخالق ومحيي ومميت، لأن هذه الأوصاف مختصة به وحده، وقال بحدوث كلام الله تعالى كما قالته القدرية، ولم يسم الله تعالى متكلمًا به.=

ما يَشاءُ. رواه الأثرَمُ في كتابِ السُّنّة بإسنادِه، ورواه البُخاريُّ في كتابِ «خلق أفعال العباد»[1].

وقال بعضُ السّلَفِ: عرفتُ كُلَّ شَيءٍ بالله، ومَنِ استَوَى عنده المدحُ والذّمُّ فهو زاهِدٌ، ومَن حافَظَ علَى الفرائِضِ في أوّلِ مَواقيتِها فهو عابِدٌ، ومَن رأى الأفعالَ كُلَّها مِنَ الله فهو موحِّدٌ[2].

= انظر: الفرق بين الفرق لأبي منصور عبد القاهر الأسفراييني، ط دار الآفاق الجديد، (ص:199). راجع: الملل والنحل للشهرستاني، ت عبد العزيز محمد الوكيل، (ج1/ 86).

(1) انظر: خلق أفعال العباد للبخاري، ت: عبد الرحمن عميرة، (ص:36) مختصرا من قوله: وإذا قال لك الجهمي... إلخ.

۞ وأخرجه: اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، (ج2/ 452). ابن بطة في الإبانة، باب الإيمان والتصديق بأن الله تعالى ينزل في كل ليلة إلى سماء الدنيا من غير زوال ولا كيف، (ج3/ 205). وروي نحوه عن يحيى بن معين، كما أخرج ذلك اللالكائي (ج2/ 453).

۞ قال الإمام الترمذي في سننه، معقبًا عل حديث: «إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه... الحديث»: وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات من الصفات، ونزول الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كل ليلة إلى السماء الدنيا، قالوا: قد تثبت الروايات في هذا، ويؤمن بها، ولا يتوهم، ولا يقال: كيف؟ هكذا روي عن مالك، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك، أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمروها بلا كيف. وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات، وقالوا: هذا تشبيه. وقد ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في غير موضع من كتابه اليد والسمع والبصر، فتأولت الجهمية هذه الآيات، ففسروها على غير ما فسر أهل العلم، وقالوا: إن الله لم يخلق آدم بيده. وقالوا: إن معنى اليد هاهنا القوة. وقال إسحاق بن إبراهيم: إنما يكون التشبيه إذا قال: يد كيد، أو مثل يد، أو سمع كسمع، أو مثل سمع، فإذا قال: سمع كسمع، أو مثل سمع، فهذا التشبيه، وأما إذا قال كما قال الله تعالى: يد، وسمع، وبصر، ولا يقول: كيف؟ ولا يقول: مثل سمع، ولا كسمع، فهذا لا يكون تشبيهًا، وهو كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾. انظر: سنن الترمذي، أبواب الزكاة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الصدقة، حديث (669).

(2) انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم (ج10/ 314)، الرسالة القشيرية (ص:84)؛ عن أبي عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء.

وسُئِل ابنُ سريج[1] عن صِفاتِ الله وتوحيدِه، فقال: حَرامٌ على العُقولِ أن تُمثِّلَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ، وعلَى الأوهام أن تَحُدَّه، وعلَى الظُّنون أن تقطَعَ، وعلَى الضّمائرِ أن تعمقَ، وعلَى النّفوس أن تُفكِّرَ، وعلَى الأفكار أن تُحيطَ، وعلَى الألبابِ أن تَصِفَ إلّا ما وصَفَ الله به نفسَه في كتابه أو وصفَه به رسولُه[2].

وقال أبو طالِبِ المكّيُّ[3] في كتابه: أربعة أشياءَ تسلم تسليمًا ولا تُعارَضُ: أخبارُ الصِّفاتِ، وأُصولِ العِباداتِ، وفَضائِلُ الصّحابةِ، وفَضائلُ الأعمالِ[4]. انتهى.

---

(1) هو الإمام، شيخ الإسلام، فقيه العراقين، أبو العباس، أحمد بن عمر بن سريج البغدادي، القاضي الشافعي، صاحب التصانيف، ولد سنة بضع وأربعين ومئتين، سمع في الحداثة، ولحق أصحاب صفيان بن عيينة، ووكيع، وتفقه بأبي القاسم عثمان بن بشار الأنماطي الشافعي، صاحب المزني، وبه انتشر مذهب الشافعي ببغداد، وتخرج به الأصحاب، توفي سنة (303هـ، وقيل: 306هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج14/ 201-204).

(2) انظر: كتاب العرش للذهبي، ط أضواء السلف، (ج2/ 274)، حديث (239).

۞ وهو منسوب إلى الإمام الشافعي مسندًا، كما في ذمّ التأويل؛ لموفق الدين ابن قدامة، ط دار البصيرة، (ص:29)، قال: وذكر شيخ الإسلام أبو الحسن عَلِيّ بن أحمد بن يوسُف القرشي الهكاري، قال: أنبأنا أبو القاسم عبد الله بن الحسن بن محمّد بن الخلال، حَدثنا محمّد بن العبّاس المخلص، أنبأنا أبو بكر بن أبي داوُد، حَدثنا الرّبيع بن سُلَيمان، قال: سَألت الشّافِعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَن صِفات من صِفات الله تعالى؟ فقال: حرام على العُقول أن تمثل الله تعالى، وعَلى الأوهام أن تحده... إلخ.

(3) هو صاحب القوت، الإمام الزاهد العارف، شيخ الصوفية، أبو طالب محمد بن علي بن عطية، الحارثي، المكي المنشأ، العجمي الأصل، قال الخطيب: (حدثني العتيقي والأزهري أنه كان مجتهدًا في العبادة)، توفي في جمادى الأخرة سنة (386هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج16/ 536-537).

(4) ذكره المالقي بلا نسبة في كتاب ألف باء في أنواع الآداب وفنون المحاضرات واللغة (ج1/ 215).

واعلَم أنّ الواحِدَ الأحدَ الفردَ الصّمدَ هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علَى الحقيقة؛ لأنّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يقبَلُ التّجزُّئَ، بخلافِ الواحِدِ مِنّا، هو علَى الحقيقة اثنان؛ لأنّه جسمٌ وروحٌ، ومِن اثنين: ذكَرٍ وأُنثَى، وما يقوم [89/ ب] حالُه إلّا باثنينِ: الطّعامِ والشّرابِ، وفي اثنينِ: اللّيلِ والنّهارِ، والحقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بخلاف ذلك[1].

فَصْلٌ

ومن عقائدِ القومِ أنّهم يصفونَ اللهَ تعالى بما وصَفَ به نفسَه في كتابِه، وبما وصَفَه به رسولُه ﷺ، من غيرِ تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومن غيرِ تشبيهٍ ولا تمثيلٍ، بل يُثبتونَ له تعالى ما أثبَته لنفسه مِنَ الأسماءِ والصِّفاتِ، وينفونَ عنه النّقائصَ ومُشابهةَ المخلوقاتِ إثباتًا بلا تمثيلٍ، وتنزيهًا بلا تعطيلٍ[2].

فمَن شبّهَ اللهَ بخلقِه؛ فقد كفَرَ، ومَن جَحَدَ ما وصَفَ الله به نفسَه؛ فقد كفَرَ، وليسَ ما وصَفَ الله به نفسَه أو وصَفَه به رَسولُه يكونُ تَشبيهًا، فالمُشبِّه يعبُدُ صنَمًا، والمُعطِّلُ يعبُدُ عَدَمًا، والموحِّدُ يعبُدُ إلَهًا واحِدًا صَمَدًا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: 11]، فليس كمِثْله شيءٌ لا في ذاته، ولا في صِفاته، ولا في أفعالِه، فلا يُشبِّهون صِفاتِ الله بصفاتِ المخلوقينَ، ولا يُزيلون عنه سُبحانه صِفة من صِفاتِه لأجلِ شناعةِ المُشنِّعينَ.

---

(1) انظر: المنتخب في النّوب؛ لأبي الفرج ابن الجوزي (ص: 386).

(2) قال ابن القطان في الإقناع في مسائل الإجماع، ذكر أحكام بعض الصفات، (ج1/ 34)، مسألة (65): وأجمعوا على وصف الله تعالى بجميع ما وصف به نفسه، ووصفه به نبيه من غير اعتراض فيه ولا تكييف له، وأن الإيمان به واجب، وترك التكييف له لازم.

ويقولونَ: إنّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فوقَ سَمواتِهِ[1] مُستوٍ علَى عرشِهِ[2]، بائِنٌ من خلقِهِ، ليسَ في مخلوقاتِه شَيءٌ من ذاتِه، ولا في ذاتِه شيءٌ من مخلوقاتِه، وأنّه تعالى يصعدُ إليه الكلِمُ الطَّيِّبُ[3]، وتعرُجُ الملائكةُ والرّوحُ إليهِ[4]، وأنّه يُدبِّرُ الأمرَ مِنَ السّماءِ إلى الأرضِ ثُمَّ يَعرُجُ إليهِ[5]، وأنّ المسيحَ رُفِعَ بذاتِه إلى اللهِ[6]، وأنّ رسولَ الله ﷺ عُرجَ به إلى الله حقيقةً[7]، وأنّ أرواحَ المُؤمنينَ تصعَدُ إلى الله عندَ الوفاةِ، فتُعرضُ عليه، وتقِفُ بينَ يديهِ[8]، وهو القاهِرُ فوقَ عِبادِه، وأنّ المُؤمِنينَ والملائكةَ

---

(1) قال ابن القطان في الإقناع في مسائل الإجماع، (ج1/ 33)، ذكر أحكام بعض الصفات، مسألة (64): وأجمعوا أنه تعالى فوق سماواته.

(2) قال الإمام أحمد في «الرد على الجهمية والزنادقة»، ت: صبري بن سلامة شاهين، بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على العرش، (ص:149): «هو إله من في السماوات، وإله من في الأرض، وهو على العرش، وقد أحاط علمه بما دون العرش، ولا يخلو من علم الله مكان، ولا يكون علم الله في مكان دون مكان». قال المزني في شرح السنة، ط مكتبة دار المنهاج، (ص:80): «عالٍ على عرشه، وهو دانٍ بعلمه من خلقه».

(3) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: 10].

(4) إشارة لقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ [المعارج: 4].

(5) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾ [السجدة: 5].

(6) قال ابن عطية في تفسيره، ط الأوقاف، (ج3/ 237-238): وأجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر من أن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في السماء حي، وأنه ينزل في آخر الزمان...

(7) قال ابن القطان في الإقناع في مسائل الإجماع، ط الأوقاف، (ج1/ 45-47)، ذكر محمد ﷺ، مسألة (95): «وأجمعوا على الإيمان بأن النبي ﷺ أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وعرج به إلى السماوات العلى... لا يعارض ذلك بعقل، ولا يطعن فيرد». وقال في المسألة (97)، (ج1/ 47): «ومما هو إجماع أو كالإجماع أن النبي ﷺ أسري به بجسمه وروحه، لا بروحه دون جسمه».

(8) لما روى مسلم في صحيحه، حديث (75-2872)؛ عن حماد بن زيد، قال: حدثنا بديل=

المُقرَّبينَ يخافونَ رَبَّهم من فَوقِهم(1)، وأنّ أيدي السّائلينَ تُرفَع إليه، وحَوائجَهم تُعرض علَيه.

وأنّ القرآنَ كلامُ الله مُنزَّلٌ غيرُ مخلوق(2) [89/ أ]، منه بدَأ، وإليه يعودُ، وتكلَّمَ الله به صِدقًا، وسَمِعَه جِبريلُ منه حقًّا، وبلَّغَه محمَّدُ ﷺ وحيًا، وأنّ اللهَ تكَلَّمَ بالقرآنِ العربيِّ حقيقةً، الّذي سمِعَه الصّحابةُ من رسول الله ﷺ جميعُه كَلامُ الله ليسَ قولَ البشرِ، ومَن قال: إنّه قولُ البشرِ؛ فقد كفَرَ، والله يُصليه سَقرَ إلى غيرِ ذلك من نُعوتِ جَلالِه، وصِفاتِ كمالِه: فهو الله المُتعالي عنِ الأشباه والنّظائر، وهو الباطِنُ الظّاهِرُ، الأوّلُ الآخِرُ، القريبُ المُجيبُ، المُتكَلِّمُ المُريدُ، ويبسُطُ ويخفضُ ويرفَعُ، ويرضَى ويسخطُ، ذو اليدينِ والقبضَتَينِ(3) والوجه الكريم(4)، وهو الغنيُّ المطلقُ، وكُلُّ شيءٍ قائمٌ بأمرِه، يفتَقِر إليه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عمّا يقولُ المُشبِّه والمُعطِّلُ علوًّا كَبيرًا.

=عن عبد الله بن شقيق، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: «إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدانها» - قال حماد: فذكر من طيب ريحها وذكر المسك - قال: «ويقول أهل السماء: روح طيبة جاءت من قبل الأرض، صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه، فينطلق به إلى ربه عَزَّوَجَلَّ، ثم يقول: انطلقوا به إلى آخر الأجل...الحديث».

(1) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [النحل: 49- 50].

(2) قال أبو الحسن الأشعري في الإبانة، ط دار الأنصار، فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة، (ج2/ 25): ونقول إن كلام الله غير مخلوق، وأن من قال بخلق القرآن فهو كافر.

(3) قال ابن القطان في الإقناع في مسائل الإجماع، ذكر أحكام بعض الصفات، (ج1/ 32)، المسائل (58-59-60): وأجمعوا أن لله يدين مبسوطتين. وأجمعوا أن الأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والمساوات مطويات بيمينه من غير أن تكون جوارح. وأجمعوا أن يديه تعالى غير نعمتيه.

(4) قال أبو الحسن الأشعري في الإبانة، فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة، (ج2/ 22): وأن له سبحانه وجهًا بلا كيف كما قال: «ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام».

قال يَحيى بن مُعاذٍ[1]: الله تعالى علَى العرش، بائنٌ مِنَ الخلقِ، وقد أحاطَ بكُلِّ شيءٍ علمًا، وأحصَى كُلَّ شيءٍ عَددًا، لا يَشُكُّ في هذه المقالةِ إلّا جهميٌّ رديء ضِلّيلٌ وهالكٌ مُرتابٌ[2].

وقد ثَبتَ عن عطاءٍ السُّلَيميِّ[3] أنّه كان لا يرفَعُ رأسَه إلى السّماءِ حَياءً مِنَ الله عَزَّوَجَلَّ[4]، وقد نقَل الحافِظُ أبو نُعيم[5]، وابنُ الجوزيُّ عَنِ الخوّاصِ[6]: أنّه مكَثَ كذا وكذا سنة لم يرفَع رَأسَه إلى السّماءِ حَياءً مِنَ الله تعالَى[7].

---

(1) تقدمت ترجمته.

(2) ذكره عنه: شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (ج5/ 49).

(3) هو عطاء السليمي، البصري العابد، من صغار التابعين، أدرك أنس بن مالك، وسمع من الحسن البصري، وجعفر بن زيد، وعبد الله بن غالب الزاهد، واشتغل بنفسه عن الرواية، وكان قد أرعبه فرط الخوف من الله، توفي بعد (140هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج6/ 86-88).

(4) ذكره عنه: - أبو نعيم في الحلية (ج6/ 221)؛ وفيه: «لم يرفع رأسه إلى السماء، ولم يضحك أربعين سنة، فرفع رأسه مرة ففزع فسقط، ففتق فتقًا في بطنه».

۞ أبو السعادات ابن الأثير في المختار من مناقب الأخيار، ط مركز زايد للتراث والتاريخ، (ج3/ 572)، بلفظ الحلية.

(5) لم أقف عليها في حلية الأولياء المطبوع، فلعلها ساقطة من النسخة المطبوعة.

(6) هو عبّاد بن عباد الرملي الأرسوفي، أبو عتبة الخواص، فارسي الأصل، وكان من فضلاء أهل الشام وعبادهم، وكتب إليه سفيان الثوري الرسالة المشهورة في الوصايا والآداب والحكم والأمثال والمواعظ، قال يحيى بن معين: (ثقة)، وقال أبو حاتم: (من العباد). وقال ابن حبان: (كان ممن غلب عليه التقشف والعبادة حتى غفل عن الحفظ والإتقان فكان يأتي بالشيء على حسب التوهم حتى كثر المناكير في روايته على قلتها فاستحق الترك). وتعقبه الذهبي، فقال: (بل العبرة بمن وثقوه). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج14/ 134-136). المجروحين لابن حبان، (ج2/ 170). تاريخ الإسلام للذهبي، (ج4/ 872).

(7) انظر: صفة الصفوة لابن الجوزي، ط دار الكتاب العربي، ذكر المصطفين من أهل العواصم والثغور، (ص:845). المختار من مناقب الأخيار (ج3/ 365).

وصَحَّ عن بشرٍ الحافي[1] أنّه قال: إنّي لأرفَعُ يَدي إلى الله تعالى، ثُمَّ أردُّهما وأقولُ: إنّما يفعَلُ هذا مَن له جاهٌ عند الله[2].

وقال الحارثُ المُحاسبيُّ[3]: وأمّا قولُه تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: 5] ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: 18] فهذه وغيرُها مثلُ قولِه: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج: 4] ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: 10]، وهذا يوجِبُ أنّه فوقَ العرشِ وفوقَ الأشياءِ كُلِّها، مُنزَّه عَنِ الدُّخولِ في خلقِه، لا يخفَى عليه منهم خافيةٌ؛ لأنّه أبانَ في هذه الآياتِ أنّه أرادَ أنّه بنفسِه فوقَ عِبادِه؛ لأنّه قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الملك: 16] يَعني: فوقَ العرشِ، والعرشُ علَى السّماءِ؛ لأنّ مَن كان فوقَ كُلِّ شَيءٍ على السّماءِ في السّماءِ، وقد قال: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [التوبة: 3][4].

قال الشّيخُ الإمامُ العارفُ عِمادُ الدّينِ الواسِطيُّ[5]: وجُملة ما يعتَقده أهلُ التّوحيدِ في رَبِّهم المُبدئِ المُعيدِ، خالقِ الموجوداتِ، وصانعِ المصنوعاتِ: أنّه له ذاتٌ وصِفاتٌ، وأنّه مُنفَرِدٌ بنَفسِه علَى عرشِه فوقَ سَماواتِه، بائنٌ بذاتِه وصِفاتِه عن جميعِ الكائناتِ من خلقِه، لا يحُلُّ في شَيءٍ ولا يَحُلُّ فيه شَيءٌ، كما أخبَرَ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عن عُلوِّه، فقال: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: 10]، ثُمَّ سرَدَ الآياتِ. ثُمَّ قال: وكان المسلمون في زَمانه يُسمّون الوحيَ النّازلَ علَى النّبيِّ ﷺ خبَرَ السّماءِ، له الصِّفاتُ

---

(1) تقدمت ترجمته.

(2) انظر: صفة الصفوة لابن الجوزي، ذكر المصطفين من أهل بغداد، (ص:428). اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم، (ج2/ 271).

(3) تقدمت ترجمته.

(4) انظر: فهم القرآن للحارث المحاسبي، ط دار الفكر، القسم الرابع: باب ما لا يجوز فيه النسخ وما يجوز ذلك فيه، (ص:349-350).

(5) تقدمت ترجمته.

التّامّاتُ، سَميعٌ بَصيرٌ، عَليمٌ قديرٌ، حَيٌّ قَيّومٌ، مُتعالٍ مُتكَلِّمٌ، وله غيرُ ذلكَ مِنَ الصِّفاتِ التّامّاتِ، والنُّعوتُ الكامِلاتُ الّتي وصَفَ بها نَفسَه في كِتابه وعلَى لِسانِ رَسولِه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: 11]، ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٧﴾ [الروم: 27]، وكذَلِك له المثَلُ الأعلى في قُلوب المُؤمنينَ، وذَلِك المثَل هو نورُ الإيمانِ المُتَّصِلُ بالقُلوبِ والأسرارِ، بذلك النّور يُعرف وبه يُحبُّ، وبه يُخافُ ويُعبد، وبحقائق الإيقان يُشهد، وبه يُبصر ما غابَ عنِ الأبصارِ، وما يصيرُ إليه الخلقُ مِنَ النّعيم والبوارِ، فهذا جُملة الاعتِقادِ في التّوحيدِ بلا تفصيلٍ[1]. انتهَى كلامُه. [89/ ب].

وقد ذكَر محمَّدُ بن طاهِرٍ المقدِسيُّ[2] مُحدِّثُ الصّوفيّة في كتابِهِ[3]: أنّ الشّيخَ أبا جعفرٍ الهمذانيَّ[4] الصّوفيَّ حضَر مجلِسَ أبي المعالي

(1) لم أقف عليه.

(2) هو محمد بن طاهر بن علي بن أحمد، الإمام الحافظ، الجوال الرحال، ذو التصانيف، أوب الفضل بن أبي الحسين بن القيسراني، المقدسي الأثري، الظاهري الصوفي، ولد ببيت المقدس في شوال سنة (408هـ)، وسمع بالقدس ومصر، والحرمين والشام، والجزيرة والعراق، وأصبهان والجبال، وفارس وخراسان، وكتب ما لا يوصف كثرة بخطه السريع، القوي الرفيع، وصنف وجمع، وبرع في هذا الشأن، وعني به أتم عناية، قال أبو زكريا يحيى بن منده: (كان ابن طاهر أحد الحفاظ، حسن الاعتقاد، جميل الطريقة، صدوقًا، عالما بالصحيح والسقيم، كثير التصانيف، لازمًا للأثر)، توفي سنة (507هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج19/ 361-371).

(3) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الاستقامة (1/ 167): صنّفَ للصوفيّة كتاب: صفة التصوف، ومسألة السماع، وغير ذلك.

(4) كذا في الأصل بالذال المعجمة، وفي بعض المصادر: الهمداني. بالدال المهملة، قال الذهبي في سير أعلام النبلاء، (ج20/ 101-102): الشيخ الإمام الحافظ الرحال الزاهد، بقية السلف والأثبات، أبو جعفر محمد بن أبي علي الحسن بن محمد بن عبد الله، الهمذاني، ولد بعد الأربعين وأربع مئة، وكان من أئمة أهل الأثر، ومن كبراء الصوفية، قال السمعاني: (سافر=

الجوَيني[1]، وهو يَقولُ: كان الله ولا عَرشَ، وهو الآنَ علَى ما كان علَيه، وكلامًا من هذا المعنَى، فقال: يا شَيخُ! دَعنا من ذِكرِ العرش، أخبرنا عن هذه الضّرورةِ الّتي نَجِدُها في قلوبِنا، فإنّه ما قال عارفٌ قطُّ: يا الله إلّا وجَد في قلبه ضَرورةً تطلُبُ العُلوَّ لا يلتَفِت عنه يُمنةً ولا يُسرة، فكيف ندفَعُ هذه الضّرورةَ عن قُلوبِنا؟ قال: وصَرَخ أبو المعالي ولطَمَ علَى رأسِه، وقال: حَيَّرَني الهمذانيُّ، حَيَّرَني الهمَذانيُّ[2].

وقال شيخُ الصّوفيّة الحافظُ أبو نُعَيمٍ[3] صاحِبُ كتابِ «حلية الأولياءِ»:

=الكثير إلى البلدان الشاسعة، ونسخ بخطه، وما أعرف أحدًا في عصره أكثر منه)، وهو الذي قام في مجلس وعظ إمام الحرمين، وأورد عليه في مسألة العلو...توفي سنة (531هـ).

۞ وقد ورد في طبقات الشافعية؛ للسبكي أيضًا، (ج5/ 190)، ما يثبت أنّ الحوار التالي دار بين الجويني وبين أبي جعفر الهمذاني:... عن أبي العلاء الحافظ الهمذاني قال: أخبرني أبو جعفر الهمذاني الحافظ، قال: سمعت أبا المعالي الجويني وقد سئل عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾، فقال: كان الله ولا عرش، وجعل يتخبط في الكلام، فقلت: قد علمنا ما أشرت إليه، فهل عند الضرورات من حيلة؟ فقال: ما تريد بهذا القول، وما تعني بهذه الإشارة؟ قلت: ما قال عارف قط: يا رباه، إلا قبل أن يتحرك لسانه قام من باطنه قصد لا يتلفت يمنة ولا يسرة، يقصد الفوقية. فهل لهذا القصد الضروري عندك من حيلة؟ فبينها نتخلص من الفوق والتحت. وبكيت وبكى الخلق. فضرب بيده على السرير، وصاح بالحيرة، وخرق ما كان عليه، وصارت قيامة في المسجد، فنزل ولم يجبني إلا بتأفيف الدهشة والحيرة، وسمعت بعد هذا من أصحابه يقولون: سمعناه يقول: حيرني الهمذاني، انتهى.

(1) هو الإمام الكبير، شيخ الشافعية، إمام الحرمين، أبو المعالي، عبد الملك بن الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف، بن محمد بن حيويه الجويني، ثم النيسابوري، ضياء الدين، الشافعي، صاحب التصانيف، ولد في أول سنة (419هـ)، قال أبو سعد السمعاني: (كان أبو المعالي، إمام الأئمة على الإطلاق، مجمعًا على إمامته شرقًا وغربًا، لم تر العيون مثله...)، توفي سنة (478هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج18/ 468-477).

(2) رواه: الذهبي في سير أعلام النبلاء، (ج18/ 477). السبكي في طبقات الشافعية (ج5/ 190).

(3) تقدمت ترجمته

وأنّ اللهَ سميعٌ بصيرٌ، عَليمٌ حَكيمٌ خَبيرٌ، يتَكلّمُ ويَرضَى ويسخَطُ، ويضحَكُ ويعجَبُ، ويتَجلَّى لِعبادِهِ يومَ القيامةِ ضاحكًا، ويَنزِلُ كُلَّ ليلةٍ إلى سَماءِ الدُّنيا كيفَ يَشاءُ، فيَقولُ: «هل من داعٍ فَأستَجيبَ لَه؟ هل من مُستَغفِرٍ فَأغفِرَ لَه؟ هل من تائِبٍ فأتوبَ عليه؟ حَتَّى يَطلعَ الفجرُ»[1]، ونُزولُه بلا كيفٍ، ولا تَشبيهٍ ولا تأويلٍ، فمَن أنكرَ النُّزولَ أو تأوَّله فهو مُبتدعٌ ضالٌّ، وأنّ اللهَ مُستَوٍ علَى عرشِه بلا كيفٍ ولا تشبيهٍ ولا تأويلٍ وهو سبحانه بائِنٌ من خلقِه، والخلقُ بائِنونَ منه بلا حلولٍ ولا ممازَجةٍ [ولا اختلاطٍ ولا مُلاصَقةٍ][2]، وسائرُ صفوة العارِفينَ علَى هَذا[3]. وذكَرَ كَلامًا طَويلًا من هذا وما يُشبهه.

وقال الإمامُ العارِفُ أبو عبد الله عمرو بن عُثمان المكّي شَيخُ الصّوفيّة[4] في كتابه «آداب المُريدينَ»[5] في «بابِ ما يجيء به الشّيطانُ للتّائبينَ مِنَ الوسوَسةِ»: إذا امتَنعوا عليه، واعتَصموا بالله، فإنّه يوَسوِس لهم في أمرِ الخالِقِ؛ ليُفسِدَ عليهم أُصولَ التّوحيد... وذكَر كلامًا طَويلًا إلى

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، حديث (758) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(2) ما بين المعكوفين ليس في الأصل، والمثبت من المصادر الآتية.

(3) ذكره: ابن تيمية في: مجموع الفتاوى (ج5/ 190-191). درء التعارض (ج6/ 252).

۞ ابن القيم في: الصواعق (ج4/ 1286). اجتماع الجيوش الإسلامية، ت: عواد عبد الله المعتق، (ج2/ 279).

(4) هو عمرو بن عُثمان بن كرب بن غصص وكنيته أبو عبد الله المكي، كان ينتسب إلى الجُنيد في الصُّحبة، ولَقي أبا عبد الله النباجي، وصَحب أبا سعيد الخراز وغَيره من المشايخ القدماء، وهو عالم بعلوم الأصول، وله كَلامٌ حسن، روى عَن: محمّد بن إسماعيل، ويونُس بن عبد الأعلَى، وسليمان بن سيف الحرّاني، وغَيرهم، ماتَ ببَغداد سنة (291هـ، وقيل: 297هـ) والأول أصح. انظر: طبقات الصوفية؛ للسلمي (ص:162-166).

(5) لم أقف على الكتاب.

أن قال: فهو تعالى القائلُ: أنا الله، لا الشّجرةُ... ثُمَّ قال: وهو المُستَوي علَى عرشِه بعَظَمةِ جلالِه دونَ كُلِّ مَكانٍ، الّذي كَلَّمَ موسَى تكليمًا، فسَمِعَ كَلامَ اللهِ الوارِثِ لخلقِه السّميعِ لِأصواتِهم، النّاظِرِ بعَينِه إليهم، يَداه مَبسوطَتانِ، وهما غيرِ نِعمَتِه وقُدرَتِه، خَلَق آدمَ بيدِه، وذَكَرَ كلامًا طَويلًا[1]، وهذا من كِبارِ الصّوفيّة، وهو مَن نُظَراءِ الجُنيدِ؛ لأنّه توفّي سنة إحدَى وتِسعينَ ومِائتَينِ.

وقال الشّيخُ العارفُ معمَرُ بن أحمد شيخُ الصّوفيّة[2]: أحببتُ أن أوصي أصحابي بوصيّة، وأجمعَ ما كان علَيه أهلَ الحديثِ وأهلَ التّصوف مِنَ المُتقدّمين والمُتأخِّرين، فذَكَر في أثناء الوصيّة إلى أن قال: وإنّه سُبحانه مُستوٍ علَى عرشِه، بائِنٌ من خلقِه، والخلقُ بائنونَ منه بلا حُلولٍ ولا مُمازَجةٍ، وإنّه عَزَّوَجَلَّ سميعٌ بصيرٌ، عليمٌ خَبيرٌ، يتكَلَّمُ ويَرضَى، ويَسخَطُ ويَضحكُ ويعجَبُ، يَتَجلّى لِعبادِه يومَ القيامة ضاحِكًا، ويَنزل في كُلِّ لَيلة إلى سماءِ الدُّنيا كيفَ شِءَ بلا كيفٍ ولا تأويلٍ، فمَن أنكَر النُّزولَ أو تَأوّله فهو مُبتدعٌ ضالٌّ[3]. انتَهى كلامُه.

ورأيتُ في نُسخةٍ أُخرى زيادةً من كلام معمَرٍ، ولفظُه: وأنّ اللهَ استَوَى علَى عرشِه، بلا كيفٍ ولا تَشبيهٍ ولا تأويلٍ، والاستِواءُ معقولٌ، والكيفُ مجهولٌ، والباقي كما ذكرتُه.

---

(1) نقل عنه هذا الكلام: شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى، (ج5/ 62-65). الذهبي في كتاب العرش، (ج2/ 271-272).

(2) هو معمر بن أحمد بن محمد بن زياد الأصبهاني، الشيخ أبو منصور الأصبهاني الزاهد، كبير الصوفية بأصبهان، سمع أبا القاسم الطبراني، وأبا الحسن بن المثنى، وأبا الشيخ...توفي في رمضان سنة (418هـ). انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، (ج9/ 302-303).

(3) ذكره عنه: ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ج2/ 276). الذهبي في كتابه العلو للعلي الغفار، ت: أشرف عبد المقصود، (ص:244).

وكذلك ذكر الإمامُ الفقيه أبو عُثمانَ إسماعيلُ الصّابوني النّيسابوريُّ(1):

ونعتقدُ أنّ اللهَ فوقَ سَماواتِه علَى عرشِه كما نطَقَ به كتابُه، وعلماءُ الأُمّة [89/ أ] مِنَ السّلَفِ لم يختَلِفوا أنّه الله علَى عرشِه، وعرشُه فوقَ سماواتِه، وإمامُنا محمَّدُ بن إدريسَ احتجَّ في كِتابِه «المبسوط»(2) في مسألة إعتاقِ الرّقبة المُؤمنةِ في الكفّارةِ، وأنّ الكافِرةَ لا تُجزِئ بحديثِ مُعاويةَ بن الحكم، وأنّه أراد أن يعتقَ الجاريةَ السّوداءَ عَن الكفّارة، وسأَلَ رسول الله ﷺ عَن إعتاقه إيّاها فامتَحَنَها، فقال لها: «أينَ رَبُّكَ؟» فأشارَت إلى السّماءِ، إذ كانت أعجَميّة، فقال: «أعتِقها فإنّها مُؤمِنة»(3)، فحَكَم بإيمانِها لَمّا وصَفَت رَبَّها بالعُلوِّ والفوقيّة. انتَهى كلامُهُ(4).

وقال الإمام أبو نَصر السِّجزيُّ(5) في كتابه «الإبانة» لَه: أئِمَّتُنا

---

(1) هو الإمام العلامة، القدوة، المفسر، المذكِّر، المحدث، شيخ الإسلام، أبو عثمان، إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عابد بن عامر، النيسابوري، الصابوني، ولد سنة (373هـ)، قال أبو بكر البيهقي: (حدثنا إمام المسلمين حقًا، وشيخ الإسلام صدقًا، أبو عثمان الصابوني...)، وقال أبو عبد الله المالكي: (أبو عثمان ممن شهدت له أعيان الرجال بالكمال في الحفظ والتفسير)، ولقد كان من أئمة الأثر، له مصنف في السنة واعتقاد السلف، ما رآه منصف إلا واعترف له، توفي سنة (449هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج18/ 40-44).

(2) هو كتاب الأم، وذكر هذه المسألة في كتاب الظهار، باب عتق المؤمنة في الظهار، ت: رفعت فوزي، (ج6/ 705- 707)؛ ولفظه: «فإذا وجبت كفارة الظهار على الرّجل وهو واجد لرقبة أو ثمنها، لم يجزئه فيها إلّا تحرير رقبة، ولا تجزئه رقبة على غير دين الإسلام؛ لأنّ الله عَزَّوَجَلَّ يقولُ في القتل: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: 92]...».

(3) رواه مسلم (33- 537).

(4) نقله مختصرا من كتاب عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني، ط دار العاصمة، (ص: 175-188).

(5) هو الإمام العالم الحافظ المجود شيخ السنة، أبو نصر السجزي؛ عبيد الله بن سعيد بن حاتم بن أحمد، الوائلي البكري السجستاني، شيخ الحرم، ومصنف «الإبانة الكبرى» في أنّ القرآن غير مخلوقٌ، وهو مجلد كبير دالٌّ على سعة علمِ الرّجُل بفنِّ الأثَرِ، توفي بمكة، في=

كسُفيانَ الثّوريِّ، ومالِكٍ، وابنِ عُيَينةَ، وحمّادِ بنِ سلَمة، وحمّادِ بنِ زَيدٍ، وعبد الله بنِ المُبارَكِ، والفُضَيلِ بنِ عياضٍ، وأحمدَ، وإسحاقَ بنِ راهويه مُتَّفِقون علَى أنّ اللهَ سبحانَه بذاتِه فوقَ عرشِه، وأنّ عِلمَه بكُلِّ مكانٍ، وأنّه يُرَى يومَ القيامة بالأبصارِ، وأنّه يَنزِلُ إلى سَماءِ الدُّنيا، وأنّه يغضَبُ ويَرضَى ويَتكلَّم بما شاءَ[1]. انتهى كلامُه.

وقال الشّيخُ العارفُ إمامُ وقتِه وهو من مشايخِ القوم أبو إسماعيلَ عبد الله الأنصاريُّ المُلقَّبُ بشيخِ الإسلام[2] في كتابِه: «بابُ إثباتِ استِواءِ الله علَى عرشِه فوقَ السّماءِ السّابِعة بائنًا من خلقِه مِنَ الكِتاب والسُّنّة»[3]، ثُمَّ ذكَرَ دلالاتِ الكِتابِ والسُّنّة إلى أن قال: وهو علَى عرشِه بنَفسِه وهو ينظُرُ كيفَ تعمَلونَ، وعِلمُه، وقُدرتُه، واستِماعُه، ونَظَرُه، ورحمَتُه في كُلِّ مَكانٍ[4]. انتهى كلامُه.

قال بعضُ مشايخِ العارِفينَ: إثباتُ مُبايَنةِ الرّبِّ تعالى للمخلوقاتِ، وعلوِّه علَى عرشِه فوقَ سبعِ سماواتٍ، كما نطَقَت به الكُتُب الإلهيّة من أوّلِها إلى آخِرِها، وأمرَت بِه الرُّسُلُ من أوّلِهم إلى آخِرِهم[5]. انتهى.

وقال الإمامُ العارِفُ شيخُ الإسلام صفوة العارفينَ أبو محمَّدٍ عبد القادِرِ الكيلانيُّ[6] في كتابِه «الغُنية»[7] له الموجود بأيدي الناس فقال: أن يَعرِفَ ويَتيَقَّنَ أنّ اللهَ واحِدٌ أحَدٌ... إلى أن قال: وهو بجهةِ العُلوِّ مُستوٍ علَى

=المحرم سنة (444هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (ج17/ 654-657).

(1) ذكره عنه: ابن تيمية في مجموع الفتاوى، (ج3/ 262). الذهبي في سير أعلام النبلاء، (ج17/ 656).

(2) تقدمت ترجمته.

(3) لم أقف على الكتاب.

(4) ذكره عنه: ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية (ج5/ 69). الذهبيُّ في العلو (ص:260).

(5) ذكره ابن القيم في مدارج السالكين (ج3/ 445).

(6) تقدمت ترجمته.

(7) انظر: كتاب الغنية لطالبي طريق الحق، باب في معرفة الصانع عَزَّوَجَلَّ، (ج1/ 84-87).

العرش، مُحتَوٍ علَى المُلكِ، مُحيطٌ عِلمُه بالأشياءِ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: 10] ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾ [السجدة: 5]، وسَرَدَ الآياتِ... ثُمَّ قال: ولا يجوزُ وصفُه بأنّه في كُلِّ مكانٍ؛ بل يُقال [90/ ب]: إنّه في السّماءِ علَى العرشِ كما قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝٥﴾ [طه: 5]، وينبغي إطلاقُ صِفةِ الاستِواءِ من غيرِ تأويلٍ، وأنّه استِواءُ الذّاتِ علَى العرشِ، وكونُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى علَى العرش مذكورًا[1] في كُلِّ كتابٍ أُنزل علَى كُلِّ نَبيٍّ أرسِل بلا كيفٍ. وذكر في هذا الموضع من هذا الجنس شيئًا كثيرًا.

قال أبو الحُسينِ اليونيني[2] شيخُ بعلَبكَّ[3]: سمِعتُ الشّيخَ عزَّ الدّين بن عبد السّلام[4] بمصرَ يقولُ: ما نعرِف أحَدًا كراماتُه مُتواتِرةٌ إلّا الشّيخ عبد القادر رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ[5]. وكذلك ذكَرَ الشّيخُ الإمامُ العارِفُ أبو البيانِ نَبأ بن محفوظٍ الشّافعيُّ[6] شيخُ الشّامِ أشياءَ كثيرةً في هذا المعنى، وكان

---

(1) في الأصل: مذكور، والمثبت من الغنية، وهو الجادة.

(2) هو علي بن محمد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أحمد بن محمد بن محمد، الإمام المحدث الفقيه الأوحد بقية السلف، شرف الدين، أبو الحسن، ابن الإمام الرباني الفقيه أبي عبد الله اليونيني الحنبلي، ولد في رجب سنة (621هـ)، وكان شيخًا مهيبًا منورًا حلو المجالسة كثير الإفادة قوي المشاركة في العلوم حسن البشر مليح التواضع، توفي سنة (701هـ). انظر: معجم شيوخ الذهبي، ط دار الكتب العلمية، ترجمة (543)، (ص:376-377).

(3) بَعلَبكّ: بالفتح ثم السكون، وفتح اللام، والباء الموحدة، والكاف مشددة، مدينة قديمة، وهو اسم مركب من «بعل» اسم صنم، و«بك» أصله من بك عنقه أي دقها، وتباك القوم أي ازدحموا، فإما أن يكون نسب الصنم إلى بك وهو اسم رجل، أو جعلوه يبك الأعناق، هذا إن كان عربيًا، ولما فرغ أبو عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من فتح دمشق في سنة (14هـ)، سار إلى حمص فمر ببعلبك، فطلب أهلها إليه الأمان والصلح، فصالحهم على أن أمنهم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم. انظر: معجم البلدان للحموي، (ج1/ 453- 455).

(4) تقدمت ترجمته.

(5) ذكره الذهبي عنه في العرش (ج2/ 369-370).

(6) هو الشيخ القدوة الكبير، أبو البيان نبأ بن محمد بن محفوظ القرشي الشافعي الحوراني=

لهجًا بإثباتِ نُصوصِ الصِّفاتِ علَى ما جاءَت، وكُلُّ مَن تكَلَّمَ من مَشايخِ الصّوفيّة وغيرهم في هذا البابِ مثلِ ثابتِ البُناني[1]، ومالِكِ بنِ دينارٍ[2]، وسُليمانَ التّيميِّ[3]، وشُريحِ بن عُبَيدٍ[4]، وعُبيدِ بنِ عُمَيرٍ[5]، والفُضَيلِ[6]، ويَحيى بنِ مُعاذٍ[7]، وعَطاءِ السليمي[8]، والخوّاصِ[9]، وبِشرٍ الحافيِّ[10]، وذي النّونِ المِصريِّ[11]، وغيرِهِم، إنّما تكَلَّموا بإثباتِ الصِّفاتِ، وهذا هو

=ثم الدمشقي الشافعي اللغوي الأثري الزاهد، شيخ البيانية، وصاحب الأذكار المسجوعة، وكان حسن الطريقة، صينًا دينًا تقيًا، محبًا للسنة والعلم والأدب، له أتباع ومحبون، توفي سنة (551هـ). قال ابن ناصر الدين في توضيح المشتبه: (قال: ونبأ بنون وموحدة، قلت: مع القصر والهمز، قال: أبو البيان نبأ بن محمد بن محفوظ الزاهد، شيخ البيانية). انظر: سير أعلام النبلاء (ج20/ 326-327). توضيح المشتبه لابن ناصر الدين، (ج2/ 98).

(1) تقدمت ترجمته.

(2) تقدمت ترجمته.

(3) هو سليمان بن طرخان، الإمام شيخ الإسلام، أبو المعتمر التيمي البصري، نزل في بني تيم فقيل التيمي، قال شعبة: (ما رأيت أحدًا أصدق من سليمان التيمي -رَحِمَهُ اللَّهُ- كان إذا حدث عن النبي ﷺ تغير لونه)، وقال ابن سعد: (من العباد المجتهدين، كثير الحديث، ثقة، يصلي الليل كله بوضوء عشاء الآخرة...)، توفي سنة (143هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج6/ 195-202).

(4) تقدمت ترجمته.

(5) هو عبيد بن عمير بن قتادة الليثي الجندعي المكي، الواعظ المفسر، ولد في حياة رسول الله ﷺ، وحدث عن: أبيه، وعن عمر بن الخطاب، وعلي، وأبي ذر، وعائشة، وأبي موسى الأشعري، وابن عباس، وطائفة. وحدث عنه: ابنه عبد الله بن عبيد، وعطاء بن أبي رباح، وابن أبي مليكة، وعمرو بن دينار، وعبد العزيز بن رفيع، وأبو الزبير، وجماعة. وكان من ثقات التابعين وأئمتهم بمكة، وكان يذكر الناس، فيحضر ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مجلسه، توفي قبل ابن عمر بأيام يسيرة، وقيل: توفي في سنة (74هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج4/ 156-157).

(6) تقدمت ترجمته.

(7) تقدمت ترجمته.

(8) تقدمت ترجمته.

(9) تقدمت ترجمته.

(10) تقدمت ترجمته.

(11) تقدمت ترجمته.

مذهَبُ أهلِ السُّنّة مِنَ السّلَفِ والخلَفِ إلى عصرِنا هذا، وهو الّذي جاءَ بهِ الرسول ﷺ؛ لأنّ مِنَ المعلوم من دينِ المُسلمين أنّ اللهَ أمَرَه بالبلاغ؛ لقولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: 67]، وقولِه: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝٥٤﴾ [النور: 54]، وأنّه معصومٌ في رسالَتِه، فعُلِم بذلك أنّه بلَّغ جميعَ الدّينِ الّذي شرَعَه الله لِعبادِه، كما قال ﷺ: «تَركتُكم على البيضاءِ لَيلُها كَنهارِها لا يَزيغُ عنها بعدي إلّا هالِكٌ»(1). وقال: «ما تَركتُ من شَيءٍ يُقرِّبُكم إلى الجنّة إلّا وقد حَدَّثتُكم به، ولا من شَيءٍ يُبعِدُكم عَنِ النّارِ إلّا وقد حَذَّرتُكم منه»(2).

---

(1) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده، حديث (17142)، (ج28/ 367)؛ من طريق: عبد الرحمن بن مهدي، قال: حدثنا معاوية بن صالح، عن ضمرة بن حبيب، عن عبد الرحمن بن عمرٍو السُّلمي، أنه سمع العرباض بن سارية -الحديث-.

2- الحاكم في المستدرك، حديث (331/ 43)، (ج1/ 175-176) من نفس طريق أحمد.

3- ابن ماجه في سننه، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، حديث (43)؛ من طريق: عبد الرحمن بن مهدي به.

4- الآجري في كتاب الشريعة، (ج1/ 403)، حديث (88)؛ من طريث: أسد بن موسى، قال: حدثنا معاوية بن صالح به.

5- الطبراني في المعجم الكبير: (ج18/ 247)، حديث (619)؛ من طريق: عبد الله بن صالح وأسد بن موسى، قالا: حدثنا معاوية بن صالح به. و(ج18/ 257)؛ من طريق: خالد بن معدان، عن جبير بن نفير، عن العرباض بن سارية -الحديث-.

(2) رواه البغويُّ في: التفسير، ط دار طيبة، (ج6/ 254). وشرح السنة، (ج14/ 303-304)، حديث (4111)؛ من طريق عبدان، عن أبي حمزة، عن إسماعيل هو ابن أبي خالد، عن رجلين أحدهما زبيد اليامي، عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «أيُّها النّاسُ ليس من شيءٍ يقربكم إلى الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد أمرتكم به، وليس شيء يقربكم إلى النار ويباعدكم من الجنة إلا وقد نهيتكم عنه، وإنّ الروح الأمين قد نفث في روعي أنّه ليس من نفس تموت حتى تستوفيَ رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته». =

وقال أبو ذرٍّ: «لقد توفّي رسول الله ﷺ وما من طائرٍ يُقلِّبُ [90/ أ] جَناحَيه في السّماءِ إلّا أفادَنا منه عِلمًا»(1)، فإذا عُلم هذا فقد وجَبَ علَى كُلِّ مسلِم تصديقُه فيما أخبَر عَنِ الله من أسمائِه وصِفاتِه ممّا في القُرآنِ الكريم والسُّنّة الثّابتةِ عنه كما كان علَيه السّابقونَ الأوّلون مِنَ المُهاجرينَ والأنصارِ والّذينَ اتّبَعوهم بإحسانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ورضوا عنه.

= ۞ الحاكم في المستدرك، (ج2/ 5) حديث (2136/ 7)؛ من طريق: خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال، عن سعيد بن أبي أمية الثقفي، عن يونس بن بكير، عن ابن مسعود به.

۞ قال صدر الدين المناوي في كشف المناهج والتناقيح، ت: محمد إسحاق محمد إبراهيم، (ج4/ 413-414)، حديث (4230): وفي سنده عبد الملك بن عمير، وزبيد اليامي؛ كلاهما عن عبد الله بن مسعود، ولم يسمعا من ابن مسعود، وفي بعض طرق الحديث: عن زبيد اليامي، عمن أخبره عن عبد الله بن مسعود؛ فالحديث منقطع، أو فيه رجل مجهول، لكن معناه في الصحاح.

(1) رواه: 1- ابن حبان في صحيحه، النوع الثامن والسبعون: الأوامر التي أمرت مرادها التعليم، حديث (1298)؛ بلفظ: «تركنا رسول الله ﷺ، وما طائر يطير بجناحيه إلا عندنا منه علم». قال أبو حاتم: (معنى: «عندنا منه»، يعني بأوامره، ونواهيه، وإخباره، وأفعاله، وإباحته ﷺ).

2- البزار، حديث (3897)؛ بلفظ: «لقد تركنا رسول الله ﷺ وما طائر في السماء يقلب جناحيه إلا وقد أوجدنا فيه علمًا». قال البزار: (وهذا الحديث رواه ابن عيينة عن فطر عن منذر الثور، قال: قال أبو ذر، ومنذر الثوري لم يدرك أبا ذر).

3- الطبراني في المعجم الكبير، حديث (1647)، (ج2/ 155-156)؛ بلفظ: (تركنا رسول الله ﷺ، وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكرنا منه علمًا، قال، فقال ﷺ: «ما بقي شيء يقرب من الجنة، ويباعد من النار إلا وقد بين لكم»).

4- أبو طاهر المخلص في المخلصيات، حديث (1944-57)؛ بلفظ: «لقد تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا وهو يذكرنا منه علمًا».

۞ جميعًا من طريق: سفيان بن عيينة، عن فطر بن خليفة، عن أبي الطفيل، به.

۞ قال الهيثمي في مجمع الزوائد (8/ 263-264): ورجال الطبراني رجال الصحيح غير محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ وهو ثقة...

وهذا الاعتِقادُ الصّحيحُ، به أرسَلَ الله تعالى جميعَ الرُّسُلِ، وأنزَلَ جميعَ الكُتُبَ فهو شِعارُ شَرائعِ الأنبياءِ وتُبّاعِهم، ولأجلِ ذلك خُلِقتِ الجنّة والنّارُ، وقامَ الثّوابُ والعِقابُ، حتّى إنّ العبدَ يُفردُ الرّبَّ القديمَ في ذاتِه وصِفاتِه وأفعالِه، وفي إرادتِه وحدَه، ومحبّتِه وخوفِه ورَجائِه، والتّوكُّلِ علَيه والاستِعانةِ به، والسُّجودِ لَه، والتّوبةِ إليه، وتعظيمِه وإجلالِه، وغيرِ ذلك من صِفاتِ الجلالِ ونُعوتِ الكمالِ(1).

فإذا حصَلَ للعبدِ صِحّة هذا الاعتِقادِ معَ العملِ الصّالحِ ارتَقَى إلى الدّرَجاتِ، فإنّ فاسِدَ الاعتِقادِ لا يرتَقي أبدًا، ولا يَزالُ محبوسًا في سوءِ عَقيدتِه حتّى يخرجَ منها، ويُؤمنُ بالأمورِ الغيبيةِ السّمعيّة علمًا يقينيًّا مِنَ: الحشرِ، والنّشرِ، والثّوابِ، والعِقابِ، وصِفاتِ الرّبِّ، وما يستَحيلُ علَيه، وما يجِبُ لَه مِنَ الفوقيّة، والاستِواءِ، والنُّزولِ، والحياةِ، والعِلمِ، والقُدرةِ، والكلامِ، والسّمعِ، والبصرِ، والإرادة وغيرِها مِنَ الصِّفاتِ الّتي تقدمَ ذكرُها، وقد تقدم هذا كُلُّه، فإنّ المشاهدَ إنّما تثبت علَى قواعدِ العقائِدِ.

فإن قيلَ: ما ذكرتُموه مِنَ العقائدِ مُجمَلٌ بلا تفصيلٍ؟

قيلَ: التّفصيلُ لا يحتمِلُه هذا الكتابُ، بل هو موجودٌ في الكتابِ والسُّنّة، وفي كُتُبِ العُلماءِ الرّاسِخينَ من أئمّة التّفسيرِ والفِقه والحديثِ، فمَن طالع ذلك عرَفَه وفهِمَه إذا نَزَع الهوَى من قلبِه، وطلَبَ مِنَ الله حُسنَ التّوفيقِ؛ فإنّ اللهَ تعالى حَضَّ الكُفّارَ والمُنافقينَ علَى تدبُّرِه، قال تعالَى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: 29]، وقال تعالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾ [محمد: 24].

فإذا عُلم أنّ معانيه ممّا يمكن الكُفّار والمُنافقينَ فهمُها [91/ ب]

---

(1) راجع: مدارج السالكين (ج3/ 414).

ومعرِفَتُها، فكيف لا يكونُ ذلك ممكنًا للمؤمنين؟ فعُلِم بذلك أنّ العِلمَ النّافعَ في كتابِ اللهِ وسُنّةِ رسولِه محبّةُ اللهِ، ولا تحصُلُ محبّتُه إلّا بمعرفَتِه، ولا يتمُّ ذلك إلّا بمعرفةِ ذاتِه المُقدَّسةِ وصِفاتِه وأفعالِه وأسمائِه الحُسنَى، وكلُّها حُسنَى، ليسَ فيها اسم سوءٍ، كما أنّ أوصافَه كلَّها كمالٌ ليسَ فيها صفةُ نقصٍ، وأفعالُه كلَّها حِكمةٌ ليس فيها فعلٌ خالٍ عَنِ الحِكمةِ والمصلَحةِ ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾(1) [الروم: 27] موصوفٌ بصفاتِ الكمالِ، منعوتٌ بنُعوتِ الجلالِ، مُنزَّهٌ عَنِ الشّبيهِ والمِثالِ.

فَصْلٌ

ولَمّا كان علمُ النُّفوس بحاجتِهم وفقرِهم إلى الرّبِّ وأسمائِه وصِفاتِه، قبلَ عِلمِهم بحاجتِهم إلى الإلهِ المعبودِ، وقصدِهم لِدَفعِ حاجاتِهمُ العاجلة قبلَ الآجلةِ؛ كان إقرارهم باللهِ من جهةِ رُبوبيَّتِه أسبَقَ من إقرارِهم به من جِهةِ أُلوهيَّتِه، وكان دُعاؤُهم له والاستِعانةُ والتّوكُّلُ عليه فيهم أكثَرَ مِنَ العِبادة له والإنابةِ إليه؛ ولهذا إنّما أنزَل اللهُ الكُتُبَ، وبعَثَ الرُّسُلَ ليدعوهم إلى عِبادةِ اللهِ وحدَه لا شَريكَ لَه، الّذي هو المقصودُ المُستَلزِمُ للإقرارِ بالرُّبوبيّة، وقد أخبر اللهُ تعالى عنِ الخلقِ أنّهم ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: 87]، وأنّهم إذا مسَّهم الضُّرُّ ضَلَّ مَن يَدعونَ إلّا إيّاهُ(2).

---

(1) قال الطبري في تفسيره، (ج18/ 488): (وقوله: «وله المثل الأعلى» يقول: ولله المثل الأعلى في السماوات والأرض، وهو أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له، ليس كمثله شيء، فذلك المثل الأعلى، تعالى ربنا وتقدس).

(2) إشارة إلى قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء: 67].

وقال: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (1) [لقمان: 32]، ثُمَّ يُعرِضونَ عن عِبادتِه في حالِ حُصولِ أغراضِهِم.

وكثيرٌ مِنَ المُتكلِّمينَ إنّما يُقرِّرونَ الوحدانيّة من جِهةِ الرُّبوبيّة، فأمّا الرُّسُلُ صلواتُ الله وسلامُه عليهم فهم دَعَوا إلى الله من جِهةِ الأُلوهيّة، وأمّا كثيرٌ مِنَ الصّوفيّة المُتعبِّدة وأربابِ السُّلوكِ والأحوالِ إنّما تَوجُّهُهم إلى الله تعالى من جِهة رُبوبيَّتِه؛ لِما يَمُدُّهم به في الباطِنِ مِنَ الأحوالِ الّتي بها يتَصرَّفونَ، وهؤُلاء من جنسِ المُلوكِ، هذا معنى ما ذكَرَه شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ.

وقال أيضًا: وقد ذَمَّ الله تعالى في القُرآنِ هذا الصِّنفَ كثيرًا فتدَبَّر، فإنّه ينكَشِفُ [91/ أ] به أحوالُ قومٍ يتكَلَّمونَ في الحقائِقِ، ويعمَلون عليها، وهم لَعَمري في نَوعٍ مِنَ الحقائِقِ الكَونيّة القدَريّة الرُّبوبيّة لا في الحقائقِ الدّينيّة الشّرعيّة الإلهيّةِ، وهذا أصلٌ عظيمٌ يجبُ الاعتِناءُ بهِ(2). انتهى كَلامُه.

فَصْلٌ

والعارِفونَ بالله تعالى من جميعِ الخلائقِ هم أهلُ السَّيرِ والسُّلوكِ لَمّا تحقَّقوا في سُلوكِهم وسيرِهم إفرادَه سُبحانَه بصِفاتِ كمالِه، وإثباتِها له علَى وجه التّفصيلِ، كما أثبَتَها لنفسِه، وأثبَتَها له رسُلُه، مُنزَّهةً عَنِ التّعطيلِ والتّحريفِ والتّكييفِ والتّمثيلِ والتّشبيه، بل يُثبِتونَ له حقائِقَ الأسماءِ والصِّفاتِ، وينفونَ عنه فيها مُماثَلةَ المخلوقاتِ، وأنّه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: 11]، كما تقدمَ ذِكرُه.

---

(1) في الأصل: (وَإذا مَسَّهم الضرُّ دَعَوُا اللهَ مُخلِصينَ له الدّين)، وهو سبق قلم من المصنف، والمثبت من مجموع الفتاوى. (2) راجع: مجموع الفتاوى (ج14/ 14- 15).

اجتَهَدوا حينَئِذٍ في صَفاءِ المعرفةِ بالله فحينَئِذٍ امتلأت أسرارُهم من عظَمَتِه ومَهابتِه وجلالِه وجمالِه، وذلك حينَ جمعهم به واصطَنَعَهم لِقُربِه، وانكَشَفت لهم تلكَ الحركةُ الخفيّة الّتي تَتَحرَّكُ الأكوانُ بها، فوَجَدوا الخلائِقَ عَبيدَ الله تعالى لا يملِكون لأنفُسِهم نفعًا ولا ضرًّا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نُشورًا من حيثُ يشعُرونَ، ومن حيثُ لا يشعُرونَ، فتَحَقَّقوا حينَئذٍ بصفاءِ العُبوديّة؛ حيثُ شاهَدوا الحركة والمُحرِّكَ، وهم في هذه الشّهادة قائِمونَ بالأمرِ والنّهي، يشهَدون قيامَهم به من غير الفضلِ، فشَهادتُهم بالتّوحيدِ لا تُنافي قيامَهم بالأوامر والنّواهي، بل يعبُدونَه ويَستعينونَ به في ذلك لِما يَشهدونَ من قهره فوقَ عِبادِه، ومشيئَتِه النّافذة فيهم، وحُكمَه الجاريَ عليهم، ولهم فوقَ ذلك خَصائِصُ مِنَ المعرفة والقُربِ، يتزايَدون فيها بحسبِ ما يخصُّهم به المولَى الكريمُ من مراتِبِ الوُصولِ، وبلوغِ نِهاياتِ السّولِ والمأمولِ.

فهذه صِفاتِ العارِفينَ أهلِ السّيَرِ والسُّلوكِ من أُمّة مُحمَّدٍ ﷺ [92/ ب] لِمَن أراد أن يتَحَقَّقَ بمعرفةِ حَقائِقِ أهلِ الحقِّ.

فانظُر -رَحِمكَ اللهُ- إلى حَقيقةِ هذه المُشاهَدةِ، وكيفيّة نِسبةِ الأكوانِ من صانِعِها، ونِسبةِ أهلِ المعرفةِ من مَعروفِها؛ يظهَرُ لَكَ -بتَوفيقِ الله تعالى- الفرقُ بينَ الحقِّ والباطِلِ.

فَصْلٌ

ومَعرِفةُ الله، ومَحبّتُه، وعِبادتُه، والتّوكُّلُ علَيه، والإنابةُ إليه، ورَجاؤه، وخَشيتُه، وامتِثالُ أوامِره، واجتِنابُ نَواهيه، وغيرُ ذلك مِنَ الأُمورِ المحمودةِ الباطِنةِ والظّاهِرة مِنَ الأقوالِ والأفعالِ كُلِّها خَيراتٌ وحَسناتٌ للعبد،

وعدَمُها شَرٌّ وسَيِّئاتٌ لَه، فإنّ العبدَ إذا فتَحَ الله عَزَّوَجَلَّ بصيرتَه في العِلم، وأمَدَّه بصَفاءِ العقلِ ونَوافذِ الفهم، وارتَضَع مِنَ العُلوم الشّرعيّة أكمَلَ الرّضاعِ، وصارَ له من كسوَتِها أحسَنُ القِناعِ، ونفَذَ فكرُه في تفاصيلِ الأمرِ والنّهي، وعرَفَ طريقَ رَدِّ الحوادثِ إلى الأُصولِ؛ فحَقيقٌ به أن يكتَسي ملابسَ أعمالِها، ويذوقَ رائقَ أشربَتِها وحقائقَ أحوالِها، فكَمالُ العبدِ مُتوقّفٌ علَى ذلك ؛ لأنّ كمالَ العبدِ إنّما يتمُّ بكمالِ عُبوديَّتِه لله عَزَّوَجَلَّ، وإنّما كانتِ العُبوديّة هي كِمالُ العبدِ؛ لأنّها غايةُ الذُّلِّ والخُضوعِ والتّجرُّدِ، فهَذا اشتِقاقُ العِبادةِ؛ لأنّه يُقالُ: طَريقٌ مُعبَّدٌ مُذَلَّلٌ؛ بكثرة الوطءِ علَيه بالأقدامِ، وبَعيرٌ مُعبَّدٌ إذا كان مَطليًّا؛ لأنّ[1] الموطوءَ بالأقدام والمطليَّ بالقطِرانِ في غايةِ الذُّلِّ والهوانِ[2] [92/ أ].

فإذا كان اشتِقاقُ العِبادة مِنَ الذُّلِّ والوطءِ بالأقدامِ، فكيف يصلُحُ للعابدِ العُجبُ والتّكبُّرُ علَى الأنامِ؟ وإن كان اشتِقاقُها مِن انجرادِ الوبرِ والثّيابِ، فكيف لا يتَجرَّدُ العابدُ من عوائقِ الانشِغالِ بغيره؟

ويُقالُ أيضًا: عبد من كذا؛ أي: أنِفَ منه[3]، فيَنبَغي للعابدِ أن يأنَفَ من عِبادة غيرِ الله تعالى، أو يُشرِكُ فيها غيره، بل يكونُ تواضُعُه وتَذَلُّله علَى وجه التّعظيمِ والتّقرُّبِ إليه.

---

(1) في الأصل: لين، والمثبت هو ما يحتمله السياق.

(2) قال ابن فارس في مقاييس اللغة، (ج4/ 205-206): عبد: العين والباء والدال أصلان صحيحان، كأنهما متضادان، والأول من ذينك الأصلين يدل على لين وذل، والآخر على شدة وغلظ، فالأول العبد، وهو المملوك... ومن الباب البعير المعبد، أي المهنوء بالقطران... والمعبد: الذلول، يوصف به البعير أيضًا، ومن الباب: الطريق المعبد، وهو المسلوك المذلل...

(3) قال ابن فارس في مقاييس اللغة، (ج4/ 206-207)، مادة (عبد):... والأصل الآخر العبدة، وهي القوة والصلابة... ومن هذا القياس العبَد، مثل الأنَف والحمية...

وقيلَ: العِبادةُ: لزومُ الطّاعة، والدّوامُ علَيها، والتّجرُّدُ للحَقِّ علَى موجبِ الشّرعِ، وكأنّ هذه العِباداتِ اقتضَت أن يُقال: العبادةُ تُقرِّب المربوب إلى رَبِّه والخُضوع لِعظَمتِه والمُثابرة علَى ما فيه رِضاه بقدرِ طاقَتِه، فمَن أعطَى هذا المقامَ حقَّه فهو العبدُ علَى الحقيقة، ومَن نَقَص منه شيئًا فلَيس بتامِّ العُبوديّة.

ولا يُقالُ: العبدُ الّذي يخدِمُ مولاه ويَتذلّلُ لَه، عَبَدَه ولا يَعبُدُه[1]؛ لأنّ العِبادةَ غايةُ الخُضوعِ الّذي ليسَ فوقَه خُضوعٌ، فلا يستَحِقُّه إلّا الله؛ لأنّ الخُضوعَ الّذي هو عِبادةٌ، أعلَى دَرجاتِ الشُّكرِ، وذكَرَه العماني في «تفسيره»[2]، ولأنّ حاجةَ العبدِ أن يعبُدَ اللهَ، لا يُشرِكُ به شيئًا؛ لا في العملِ لَه، ولا في محبَّتِه، ولا في خوفِه، ولا في رَجائِه، ولا في التّوكُّلِ علَيه، ولا في الحلفِ به، ولا في النّذر لَه، ولا في الخُضوعِ لَه، ولا في التّذلُّلِ لَه، ولا في التّعظيمِ والسُّجودِ، وجميعِ أنواعِ التّقرُّبِ إليه أعظَمُ من حاجتِه للطَّعام[3] والشّرابِ الّذي لا قِوامَ للجَسَدِ إلّا به، بل أعظَمُ من حاجةِ الجسَدِ إلى روحِه، والعينِ إلى نورِها، والأُذنِ إلى سمعِها، فلَيس لهذه الحاجةِ نظيرٌ، فإنّ حقيقةَ العبدِ قلبُه وروحُه، ولا صلاحَ له إلّا بإلَهه الّذي لا إله إلّا هو، فلا يطمَئِنُّ في الدُّنيا إلّا بذكرِه ومعرفَتِه، ولا في الآخرة إلّا بالنّظرِ إليه.

---

(1) قال ابن فارس في مقاييس اللغة، (ج4/ 205-206)، مادة (عبد): قال الخليل: إلا أن العامة اجتمعوا على تفرقة ما بين عباد الله، والعبيد المملوكين... وأما عبد يَعبدُ عِبادةً، فلا يقال إلا لمن يعبد الله تعالى، يقال منه عبد يعبدُ عِبادة، وتعبَّد يتعبد تعبدًا، فالمتعبِّد: المتفرد بالعبادة... وأما عبد في معنى خدم مولاه فلا يقال عَبدَه، ولا يقال: يعبد مولاه...

(2) لم أقف عليه.

(3) في الأصل: لطعام.

فَصْلٌ

والعِبادة تشتَمِلُ علَى سائِرِ أنواعِ التّقرُّبِ من: تذَلُّلٍ، وخُضوعٍ، وخِدمةٍ، وتَوكُّلٍ، واستعانة، وحمدٍ، وشُكرٍ، وخَوفٍ، ورَجاءٍ، وفعلِ خَيرٍ، وتركِ شَرٍّ إذا قصَدَ العبدُ بذلك عِبادة الله عَزَّوَجَلَّ.

قال ابنُ جَريرٍ في قولِه تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: 5]؛ أي: نعبُدُكَ اللهم، نَخشَعُ ونذلُّ ونخضَعُ ونستَكينُ إقرارًا لكَ يا رَبَّنا بالرُّبوبيّة لا لِغيرِكَ[1]. انتَهى [93/ ب].

فَصْلٌ

المُريدُ والسّالِكُ إذا أنِسَ قلبُه بمعبودِه، وجَدَّ في الطّلَبِ، وسارع في المكتَسَبِ تَرَقَّى إلى مقام الكشفِ[2]، ومن مَقام رُسوم الأعمال إلى مَقام حقائِقِها وأذواقِها ومَواجيدِها وأحوالِها، فيتَرَقَّى مِنَ الإسلام إلى الإيمانِ، ومِنَ الإيمانِ إلى الإحسانِ[3]، فالإحسانُ هو التّوحيدُ الخالِصُ كما سنُبَيِّنه، فإنّ اللهَ تعالى كلَّفَ عبادَه ثلاثةَ أنواعٍ مِنَ الإحسانِ:

أحدُها: الإحسانُ باللِّسانِ.

والثّاني: بالأركانِ.

---

(1) انظر: تفسير الطبري، (ج1/ 159) بلفظ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: لك اللهم نخشع ونذل ونستكين، إقرارًا لك ربَّنا بالربوبية لا لغيرك.

(2) قال الجرجاني في التعريفات، (ص:184)، رقم (1484): الكشف: في اللغة: رفع الحجاب، وفي الاصطلاح: هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية؛ وجودًا وشهودًا.

(3) راجع: مدارج السالكين لابن القيم، (ج2/ 373).

والثّالِثُ: بالجنانِ.

وكلُّ نوعٍ من هذه الثّلاثةِ ينقَسِمُ قِسمَينِ:

فإحسانُ اللِّسانِ: النُّطقُ بالتّوحيدِ؛ لقولِه تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾ [يونس: 26] قالوا: لا إله إلّا الله، قاله ابنُ عبّاسٍ(1). و﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ لهم الجنّة، ذكَره أبو الفرَجِ(2).

والثّاني: إحسانُ القول في عِبادِ الله، وهو قولُه تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾(3) [البقرة: 83].

وأمّا أحَدُ قِسمي القلبِ: فالإخلاصُ؛ كقولِه تعالى: ﴿بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ [البقرة: 112]؛ أي: مُخلِصٌ(4)، ويدُلُّ عليه قولُه ﷺ: «الإحسانُ أن تعبُدَ اللهَ كأنّكَ تَراه، فَإن لم تكُن تَراه فإنّه يَراكَ»(5).

الثّاني: حُسنُ الظّنِّ بالله، فأمّا حُسنُ الظّنِّ بالله فقوله تعالى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة: 195] معناه: أن تُحسِنوا الظّنّ بربِّكُم، فإنّ اللهَ

---

(1) رواه: الطبري في تفسيره (ج12/ 164). ابن أبي حاتم في تفسيره (ج6/ 1944)؛ من طريق: عبد الله بن صالح، قال: حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عبّاسٍ في قوله: «للذين أحسنوا الحسنى»، يقول للذين شهدوا أن لا إله إلا الله.

(2) انظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، (ج4/ 23-24)، وذكر في معنى الحسنى خمسة أقوال: أحدها: أنها الجنة، روي عن رسول الله ﷺ، وبه قال الأكثرون. والثاني: أنها الواحدة من الحسنات بواحدة، قاله ابن عباس. والثالث: النصرة، قاله عبد الرحمن بن سابط. والرابع: الجزاء في الآخرة، قاله ابن زيد. والخامس: الأمنية، ذكره ابن الأنباري.

(3) قال ابن جرير الطبري في تفسيره، (ج2/ 195): (... وقال آخر: بل «الحُسن» هو الاسم العام الجامع جميع معاني الحسن... والذي قاله هذا القائل في معنى «الحُسن» بضم الحاء وسكون السين، غير بعيد من الصواب، وأنه اسم لنوعه الذي سمي به).

(4) قال الطبري في تفسيره، (ج2/ 433): وتأويل الكلام: بلى من أخلص طاعته وعبادته لله محسنًا في فعله ذلك.

(5) سبق تخريجه.

يُحبُّ الّذينَ يُحسِنونَ الظّنّ به، قاله عِكرمة(1) وسُفيانُ(2)(3).

وأمّا حُسنُ الظّنِّ بعبادِه: فقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱجۡتَنِبُوا كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ [الحجرات: 12] ﴿وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ﴾ [الفتح: 12].

وأمّا الإحسان بالأركانِ فأحَدُ قِسميه: أن يُشغلَها بعبادة الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا﴾؛ أي: تركوا المعاصي ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل: 128] مُشتغِلونَ بالطّاعاتِ(4).

والثّاني منه: هو الإحسانُ إلى النّاس، قال تعالى: ﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾(5) [القصص: 77]، ويدُلُّ عليه أيضًا قولُه تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ

---

(1) تقدمت ترجمته.

(2) تقدمت ترجمته.

(3) رواه: 1- الطبري في تفسيره (ج3/ 327). 2- ابن أبي حاتم في تفسيره (ج1/ 333)، (1752)؛ من طريق: حفص بن عمر، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾: قال: أحسنوا الظنّ بالله، يبرَّ بكُم. 3- سفيان الثوري في تفسيره، رواية أبي حذيفة النهدي عنه، ط دار الكتب العلمية، (ص:59)، (72: 44)؛ قال سفيان الثوري: حدثنا بعض أشياخنا في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «وأحسنوا إن الله يحب المحسنين»، قال: أحسنوا بالله الظن.

۞ راجع: زاد المسير لابن الجوزي، (ج1/ 203)، قال: (قوله تعالى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاۚ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: أحسنوا الإنفاق... والثاني: أحسنوا الظن بالله، قاله عكرمة، وسفيان... والثالث: أن معناه: أدوا الفرائض، رواه سفيان عن أبي إسحاق).

(4) قال ابن جرير الطبري في تفسيره، (ج14/ 409): (يقول تعالى ذكره: وإن الله يا محمد ﷺ ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا﴾ الله في محارمه فاجتنبوها، وخافوا عقابه عليها، فأحجموا عن التقدم عليها، ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾، يقول: وهو مع الذين يحسنون رعاية فرائضه، والقيام بحقوقه، ولزوم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه).

(5) قال ابن جرير الطبري في تفسيره، (ج18/ 324-325): (وقوله: ﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾، يقول: وأحسن في الدنيا بإنفاق مالك الذي آتاكه الله، في وجوهه وسبله، كما أحسن الله إليك، فوسّع عليك منه، وبسط لك فيها).

ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ [الرحمن: 60]، وحُكي عن ذي القرنَين لَمّا خَرَج مِنَ الظُّلُماتِ لَقِي شَيخًا، فقال لَه: يا شَيخُ! عِظني، فقال: مَلَكتَ البلادَ بالفِرسانِ، فاجتَهِد أن تملِكَ القُلوبَ بالإحسانِ[1].

وقيلَ: الإحسانُ أربعَةٌ: إحسانُ اللِّسانِ، وإحسانُ النّفسِ، وإحسانُ القلبِ، وإحسانُ السِّرِّ.

⊙ فإحسانُ اللِّسانِ: ذكرُ مَن لَم يزَل.

⊙ وإحسانُ النّفسِ: خِدمة مَن لم يزَل.

⊙ وإحسانُ القلبِ: معرِفة مَن لم يَزَل.

⊙ وإحسانُ السِّرِّ: مُشاهدة مَن لم يزَل.

وقال بعضُهم: الإحسانُ يورِثُ الأُنسَ، والإساءةُ تورِثُ الوحشة، ولهذا قيلَ: كُلُّ مُطيعٍ مُستَأنسٍ، وكُلُّ عاصٍ مُستوحشٍ[2].

وأمّا قولُه تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن: 60]؛ قال ابنُ عبّاس: هل جزاءُ مَن وحَّدَ، وقال: لا إله إلّا الله وعَمِلَ بما جاءَ به محمَّدٌ إلّا الجنّة[3]. وعن أنَس بن مالِكٍ: قرَأ رسول الله ﷺ هذه الآية، وقال: «هل تَدرونَ ما قال رَبُّكُم»؟ قالوا: الله ورَسولُه أعلَمُ، قال: «فإنّ

---

(1) ذكر قصة قريبة منها؛ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن البخاري، في كتابه محاسن الإسلام، ط مكتبة القدسي، كتاب الزكاة، (ص:14)، فقال: (قيل: إن أم ذي القرنين، واسمه اسكندر، دخلت على ابنها بعدما ملك الأرض بأقطارها، فقالت: يا بني ملكت البلاد بالفرسان، فاملك القلوب بالإحسان).

(2) راجع: مدارج السالكين لابن القيم، منزلة الأنس بالله، (ج2/ 406).

(3) ذكره عنه: الثعلبي في الكشف والبيان، ط دار التفسير، (ج25/ 368). الماوردي في النكت والعيون (ج5/ 440). الواحدي في التفسير الوسيط (ج4/ 227)، ابن الجوزي في زاد المسير، (ج8/ 123). بلا إسناد.

رَبّكم يَقولُ: هل جَزاءُ مَن أنعَمنا علَيه بالتّوحيدِ إلّا الجنّة»[1].

وقال الزّجّاجُ[2]: هل جزاءُ مَن أحسَنَ في الدُّنيا إلّا أن يُحسَنَ إليه في الآخِرة[3]. وقال الضّحّاكُ[4]: هل جزاءُ مَن عمِلَ حسَنة في الدُّنيا إلّا إحسانُ الله إليهِ[5].

وقال مُجاهِدٌ[6]: هل جَزاءُ تصحيحِ الجِسم وسلامةِ الأعضاءِ إلّا الطّاعة[7].

وقال الخوّاصُ[8]: هل جزاءُ الإسلام إلّا دارُ السّلام، وهل جزاءُ الطّاعاتِ إلّا رفعُ الدّرَجاتِ، وهل جَزاءُ مَن تَرَكَ الدُّنيا إلّا الآخِرة، وهل جزاءُ مَنِ انقَطَع من نفسِه واستَوحَشَ مِنَ الخلقِ إلّا الأُنسُ بربِّه، وهل جزاءُ مَن صبَرَ على الله إلّا الوُصولُ إلى الله، وهل جَزاءُ مَن خافَ في هذه الدُّنيا إلّا الأمنُ في العُقبَى، وهل جَزاءُ مَن آمَنَ وعَمِلَ صالِحًا إلّا البُشرَى عندَ الموتِ[9].

وقيلَ علَى هذا: وهل جَزاءُ الشُّكرِ إلّا الزّيادة، وهل جزاءُ الصّبرِ إلّا الأجرُ بغيرِ حِسابٍ، وهل جَزاءُ الدُّعاءِ إلّا الإجابةُ، وهل جزاءُ التّوبة النّصوحِ إلّا القبولُ، وهل جَزاءُ التّوكُّلِ علَيه إلّا الكِفايةُ منه وبه وعليه[10].

---

(1) رواه: 1- أبو نعيم في تاريخ أصبهان (ج1/ 280)؛ من طريق: أحمد بن محمود بن صبيح، قال: ثنا الحجاج بن يوسف بن قتيبة، ثنا بشر بن الحسين القيسي الأصبهاني، ثنا الزبير بن عدي، عن أنس بن مالك... ذكره.

2- الواحدي في التفسير الوسيط (ج4/ 227)؛ من طريق: إسحاق بن إبراهيم بن بهرام، قال: نا حجّاج بن يوسف، بهذا الإسناد.

(2) تقدمت ترجمته.

(3) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، (ج5/ 103)، وفيه: (أي: ما جزاء...).

(4) تقدمت ترجمته.

(5) ذكر القولَ الماورديُّ في النكت والعيون (ج5/ 440)، ولم ينسبه لأحدٍ.

(6) تقدمت ترجمته.

(7) لم أقف عليه.

(8) تقدمت ترجمته.

(9) انظر: تفسير السلمي، (ج2/ 296).

(10) لم أقف عليه.

فأمّا العابِدُ فكُلُّ مربوبٍ اهتدى إلى التّقرُّبِ فأتى بما أمكنه ممّا اهتدى إليه بحسبِ حالِه اختيارًا، ويدخل في ذلك كُلُّ مخلوقٍ سِوى كفّارِ الثّقلينِ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾... الآية[1] [الحج: 18]، وقال: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦﴾ [الرحمن: 6]، والآياتُ في هذا المحلِّ كثيرةٌ، وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: 44]، وقال تعالى: ﴿وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ [النور: 41]، ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 74] إلى غيرِ ذلك مِنَ الآياتِ تشهدُ بأنّ العابدَ لا يختصُّ بنوعٍ من أنواعِ المخلوقاتِ، كما سنَذكُر ذلك بعدُ، لكن حالَت بينَ أفهامِنا وبينَ الإشرافِ علَيها الحوائلُ، فنحن معاشِرَ النّاسِ نُسبِّحُ بلِسانٍ عربيٍّ فصيحٍ، فالعجَميُّ لا يفهَمُ ما نقولُ، فكيف نفقَه تَسبيحَ ما هو من غيرِ جنسِنا، هذا الهُدهدُ الّذي هو في نظَرِنا طَيرٌ عديمُ العقلِ أبكَمُ النّطقِ، صياحُه كصياحِ غيرِه مِنَ الطُّيورِ قد خاطَبَ سُليمانَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعُلومٍ تحتَوي علَى توحيدٍ ودَلائِلَ ينطِقُ بها مِنَ البشَرِ أعقَلُ عالِمٍ ولا أعلَمُ عاقِلًا[2] قال: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ إلى قولِه تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[3] [النمل: 22 - 26]، هذا كلُّه من كلامِ الهُدهدِ، ومَن هَذا كلامُه فهو باللهِ تعالى مِنَ العارفينَ، والمعرفةُ باللهِ تعالى أعلَى عُرى العابدينَ، فهذا أعَمُّ ما يُفسّر به العابد طوعًا، وأعَمُّ منه أن يضمَّ إليه العابد

---

(1) وتمامها:... ﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾.

(2) في الأصل: عاقل.

(3) والآيات هي قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۝٢٢ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۝٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۝٢٤ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝٢٥ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

كرهًا، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ (1) [الرعد: 15]، فالمعبودُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يجوزُ أن يُشاركَه في هذا الاسم [93/ أ] أحدٌ؛ لأنّه سُبحانَه المعبودُ علَى الإطلاقِ، فكُلُّ مخلوقٍ وجَّهَ عِبادتَه إلى غيرِ خالِقِه ورازقِه؛ فقد سلَكَ مِنَ الظُّلم أجورَ(2) طَرائِقِه ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]، فالعِبادة نهايةُ التّعظيم، فلا تليقُ إلّا بمَن له نهايةُ الإنعام، فمُطلقُ العِبادة لا يستحِقُّها إلّا الخلاقُ الرّزّاقُ، فمَن صرَفَها إلى غيرِه؛ فقد صرَفَ الحقَّ إلى غيرِ مُستحقِّه، بل إلى مَن ليسَ له فيه استِحقاقٌ أصلًا(3).

---

(1) قال ابن الجوزي في زاد المسير، (ج4/ 318-319): وفي معنى سجود الساجدين كرهًا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه سجود من دخل في الإسلام بالسيف، قاله ابن زيد. والثاني: أنه سجود ظل الكافر، قاله مقاتل. والثالث: أن سجود الكاره تذلله وانقياده لما يريده الله منه من عافية ومرض وغنى وفقر.

(2) جور: الجيم والواو والراء أصل واحد، وهو الميل عن الطريق، يقال: جار جورًا. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج1/ 493).

(3) يوجد فصل كاملٌ بعد هذا الفصل، لكن النّاسخ ضرب عليه، فأثبتُّه في الحاشية؛ ليستفاد منه، وفيه: فَصلٌ: وقصد العابدين بعبادتهم ينقسم إلى قسمين: قصد حسن صحيح، وقصد قبيح فاسد، كما أنّ العبادةَ قسمانِ: صحيحةٌ، وفاسدةٌ، وما يعبده النّاس أيضًا قِسمانِ: حقٌّ، وباطلٌ، فنَشأ مِنَ التّركيبِ ثمانيةُ أقسام: الأوّل: قصدٌ حسَنٌ صحيحٌ لِعبادةٍ صَحيحةٍ لمعبودٍ بالحقِّ؛ كمُسلم مُخلصٍ مُتبعٍ، يعبُدُ اللهَ علَى الوجه الشّرعي.

الثّاني: قصدٌ صحيحٌ بعبادةٍ فاسِدةٍ لِمَعبودٍ بالحقِّ؛ كمُسلم مُبتدع، يتَقرَّبُ إلى الله تعالى بسماعِ اللهوِ مِنَ الغِناءِ والمواصيلِ والأوتارِ وما أشبه ذلِكَ، فقَصدُ التّقرُّبِ إلى الله صحيحٌ والمعبودُ حَقٌّ، لكنِ العِبادةُ باطِلة، وكُلُّ مُتقرّبٍ إلى الله تعالى بما ليسَ من شرائعِه، ولا له أصلٌ فيها فهو باطِلٌ، فإنّ اللهَ تعالى لا يقبَلُ عمَلًا حتّى يكونَ صَوابًا خالِصًا.

الثّالِث: قصدٌ فاسِدٌ بعبادة صحيحةٍ لِمَعبودٍ بالحقِّ، وهو المُرائي بالعِبادة، فيقصِدُ اللهَ بِعبادَتِه وأمرًا دُنيويًا من جاهٍ أو مالٍ أو غيرِ ذلِكَ. فإن قيلَ: كيفَ الجمعُ بينَ فَسادِ القصدِ وبينَ العِبادة لله، وقد علِمنا أنّ ما كان [94/ ب] لله لا يكونُ لِقصدٍ فاسِدٍ؟ فالجواب: أنّها عِبادةٌ مركَّبة ذاتُ وجهَينِ؛ فلِهذا أشكلَت؛ لأنّه عابِدٌ مُسلمٌ مُراءٍ، فمِن حيثُ إنّه مُسلِمٌ لا تَتوجّه عبادتُه إلى معبودٍ باطِلٍ، ومن حيثُ إنّه مُراءٍ لا يوصفُ قصدُه بالصِّحّة. =

فَصْلٌ

في تَقسيم العِبادة بحسبِ مَقاصدِ العبادِ

وهي تَنحَصِرُ في أربعة أقسامٍ:

الأوَّلُ: وهو ألّا يقصدَ العابدُ بعِبادة الله نفعًا يرجِعُ إلى العابدِ، ولا

= الرّابعُ: قصدٌ فاسِدٌ بعبادة فاسِدة لِمعبودٍ بالحقِّ؛ كمُسلِمٍ مُراءٍ مُبتدعٍ، معبودُه حَقٌّ؛ لأنّه مُسلِمٌ، وقصدُه فاسِدٌ؛ لأنّه مُراءٍ، وعِبادَتُه فاسِدةٌ؛ لأنّه مُبتدِعٌ؛ لأنّه يفعَلُ ما لا يحِلُّ له فعلُه، ويعتَقِدُ التّقرُّبَ إلى الله به، وفي هذا مِنَ المُناقشة، والجوابُ ما في القِسمِ الثّالِثِ، وهُما في القُربِ والتّداخُلِ علَى السّواءِ.

الخامِسُ: قصدٌ صحيحٌ بعِبادةٍ صَحيحةٍ لِمعبودٍ باطِلٍ؛ ككافِرٍ أخلَصَ في عِبادتِه، يفعَلُ الخيراتِ، ويترُكُ المُنكراتِ، ويتَّصِفُ بالصِّفاتِ الحميدةِ مِنَ: الصّدَقةِ، والعِتقِ، وصِلةِ الرّحمِ، وتركِ الأذى، وصِدقِ الحديثِ، وأداءِ الأمانة، وتركِ الخيانة والزِّنا والسّرِقة، وغيرِ ذلِكَ؛ كما في حديثِ حَكيمٍ، قال: يا رسول الله! أرأيتَ أُمورًا كُنتُ أتَحَنَّثُ بها في الجاهِلية؟ قال: «أسلمتَ على ما أسلَفتَ مِن خَيرٍ»، فهذا إذا أسلَمَ كان له أجرُه، وإلّا حَبِطَ جميعُ ذلِكَ، فإنّ المقاصِدَ صَحيحةٌ، والعِبادة حَسنة، لكِنِ المعبودُ باطِلٌ، ويشهَدُ لِذلِكَ حديثُ عائِشةَ، قالت: يا رسول الله! إنّ ابنَ جُدعانَ كان يَفعَلُ ويَفعَلُ، فقال رسول الله ﷺ: «إنّه لا يَنفَعُه ذلك، إنّه لم يَقُل يومًا: رَبِّ اغفِر لي خَطيئَتي يومَ الدِّينِ».

السّابعُ [السّادسُ]: قصدٌ فاسِدٌ بعبادةٍ صحيحةٍ لِمعبودٍ باطِلٍ؛ كالرّاهبِ المُتعبدِ المُرائي، وكونها عِبادةً صَحيحةً فيها نَظَرٌ.

الثّامن [السّابع]: قصدٌ فاسِدٌ بعبادة فاسِدة [94/ أ]، ومعبودٍ باطِلٍ؛ كالكافِرِ المُبتَدعِ المُرائي، فمعبودُه باطِلٌ؛ لِكُفرِه، وقصدُه فاسِدٌ؛ لِريائِه. إن قيلَ: فقد ذكرتَ في أعمالِ المُشركينَ المُرائين صحيحًا وفاسِدًا واتِّباعًا وابتِداعًا ورياءً وإخلاصًا، ومِن أينَ للكافِرِ إخلاصٌ ومُتابعة وصِحّة؟ فالجوابُ: أنّي لم أعنِ بالعِبادةِ الصّحيحةِ أن تكونَ مُتقبّلة، فإنّ ذلِكَ إلى الله تعالى، وإنّما عنيتُ المشروعةَ إلى للعِبادِ في أصلِ وضعِها؛ كالصِّدقِ، والسّخاءِ، واصطِناعِ المعروفِ، ونحوِ ذلِكَ ممّا يتَحَنّثُ به المُؤمِنونَ والكافِرونَ، فهي صَحيحةٌ في أصلِ وضعِ الشّرعِ، وإنّما الفسادُ مِن جِهة العامِلِ، والله أعلَمُ.

ضَرًّا يُصرف عنه، بل يقصدُ بها تأديةَ حَقِّ الله تعالى؛ لِكونِه أهل أن يُعبدَ وأن يُطاعَ، ولو لم يصدُر منه جزاء إلى أحَدٍ، «يَرحَمُ الله صُهَيبًا لو لم يَخَفِ اللهَ لم يَعصِه»(1)، وهذا مَقامُ العارفينَ، وهو أعلَى المقاماتِ عندَ أربابِ الأحوالِ.

الثّاني: ألّا يُقصدَ بعِبادة الله فوزًا بجنّة ولا نجاةً من نارٍ ولا غيرَ ذلك من خيراتِ الدُّنيا والآخِرة، إلّا فوزًا بقُربه، ونَظَرًا إلى وجهه، وتَنَعُّمًا بلَذيذِ خِطابه، وتَبَختُرًا في ملابس رِضوانه ونحو ذلك ممّا ليسَ فيه شيءٌ خارِجٌ عَنِ الحضرةِ، فهَذا مَقامُ المُحبّينَ، كما هو معروفٌ عن

---

(1) ذكره: 1- أبو عبيد القاسم بن سالم في غريب الحديث (ج3/ 394)، من قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: (نعم المرء صهيب لو لم يخف الله لم يعصه). قال أبو عبيد: والمعنى والوجه فيه أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أراد أن صهيبًا إنما يطيع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حبًا له لا مخافة عقابه.

2- الزّجّاج في معاني القرآن (ج3/ 199)، من قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بلفظ: نِعم الرجل صُهيب لَو لم يخف الله لم يَعصِه.

۞ قال ابن كثير في مسند الفاروق، (ج2/ 681): فأما قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صهيب بن سنان الرومي: (نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه)؛ فهو مشهور عنه، ولم أره إلى الآن بإسناد عنه، والله الموفق، وقد ذكره أبو عبيد في كتاب الغريب، ولم أره أسنده.

۞ قال السخاوي في المقاصد الحسنة، حديث (1259)، (ص:701): اشتهر في كلام الأصوليين، وأصحاب المعاني، وأهل العربية، من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذكر البهاء السبكي أنه لم يظفر به في شيء من الكتب، وكذا قال جم من أهل العربية، ثم رأيت بخط شيخنا -أي ابن حجر- أنه ظفر به في مشكل الحديث لأبي محمد بن قتيبة، لكن لم يذكر له ابن قتيبة إسنادًا.

۞ قال ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة، (ج3/ 240-242) في ترجمة عبد الله بن الحسين العكبري: (ومن كلامه ونقلته من خط الصيرفي «لو» تقع في الكلام على ثلاثة أوجه: أحدها: امتناع الشيء لامتناع غيره... والقسم الأول يرد في اللغة على خمسة أوجه:... والخامس: أن يقع للمبالغة، فلا تفيد مفادها في الوجوه الأول، كقول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نعم العبد صهيب، لو لم يخف الله لم يعصه»، والمعنى: أنه لو لم يكن عنده خوف لما عصى، فكيف يعصي وعنده خوف؟ ولو لم يرد المبالغة لكان معنى ذلك: أنه يعصى الله، لأنه يخافه).

مَعروفٍ؛ لأنّ أبا الفرَج ابنَ الجوزيِّ ذَكَر في «مَناقِبِ الإمامِ أحمد»[1] أنّ عَليَّ[2] بن الموفَّقِ[3] رَأى في منام له أنّه دخَلَ الجنّة، ورَأى في وسطِها رَجُلًا شاخِصًا ببَصرِه إلى الله عَزَّوَجَلَّ لا يطرُفُ، فقُلتُ: مَن هَذا؟ قالوا: معروفٌ الكرخيُّ[4] عبد اللهَ عَزَّوَجَلَّ لا خوفًا مِنَ النّار ولا شَوقًا إلى الجنّة، ولَكِن عبد اللهَ شَوقًا إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فقد مَكّنَه مِنَ النّظَرِ إليه، وسيَأتي تمامُه بعدُ إن شاءَ الله، وهو دونَ الأوّلِ.

الثّالِثُ: أن يقصِدَ بالعِبادة الفوزَ بالجنّة والنّجاةَ مِنَ النّارِ، وكُلُّ خَيرٍ مُتعلّق بما بعدَ الموتِ دونَ ما قبلَه، فهَذا مَقامُ الزّاهِدينَ، وهو الغالِبُ علَى أكثَرِ الخلقِ.

الرّابِعُ: أن يُراد بالعِبادة بعضُ خَيراتِ العاجِلة إيمانًا بأنّ الخيرَ كُلَّه بيدِ الله تعالى لا يقدِر علَيه سِواه، وأنّ خَيرَه لا ينالُ بمعصيتِه، فتَرَى كثيرًا مِنَ المُؤمِنينَ يصِلونَ أرحامَهم رغبة في زيادة العُمرِ، ويطعمونَ مساكينَهم رغبة في سعة الأرزاقِ، ويتَصَدَّقونَ [95/ ب] ويُنفِقونَ ثِقةً بالخلفِ، ويَتَواضَعونَ ليرفعَهم الله، ويُجاهِدون لينصرَهم الله علَى أعدائِهم، ويَبتَهِلونَ إلى الله تعالى في دُعائِهم في الاستِسقاءِ والكُسوفِ ونحوِ ذلك مِنَ الأعمالِ الصّالِحةِ، الّتي خَلُصت لله تعالَى، لكِن يَرجونَ بها الفوزَ بخيراتِ العاجِلة والآجِلة، فهذا أدنَى مَقاماتِ العابِدينَ.

---

(1) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي، ط هجر، (ص: 632).

(2) في الأصل: عليا.

(3) هو علي بن موفق، أبو الحسن العابد. حدَّث عن منصور بن عمار، وأحمد بن أبي الحواري. روى عنه: أحمد بن مسروق الطّوسي، وعباس بن يوسف الشكلي، في آخرين. وهو عزيز الحديث، وكان ثقة، نقل عن الإمام أحمد أشياء. توفي سنة (265هـ). انظر: طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين بن أبي يعلى، تحقيق العثيمين، (ج2/ 143-147).

(4) تقدمت ترجمته.

وَثَمَّ مَقامٌ خامِسٌ ينبَغي التّنبيه علَيه؛ لِوقوعِ جَمٍّ غفيرٍ مِنَ النّاسِ فيه: وهم الّذين يفعَلون هذه الخيراتِ لِما فيها مِنَ المصلَحةِ لهُم، لا لنيّةِ العِبادة والطّاعة، كما يصومُ الطّبيبُ أو غيره ليصَحّحَ بدَنَه، ويحفَظَ المُصارعُ فرجَه مِنَ الزّنا ليقَوّي بنانَه وجَسَدَه بعدَم خُروجِ مَنيِّه، فيُعَفّ بذلك عَنِ الزّنا، ولولا هذا الغرَضُ لزَنا، وما أشبه ذلكَ من خُروجِه إلى الجِهادِ والسّفَرِ إليه أو إلى غيره مِنَ المساجِدِ الثّلاثة ليحصُلَ له بسفَرِه حركة ونَهضَةٌ ويَبقَى نَشيطًا سَريعًا في حَركَتِه وما أشبه ذلك، فهَذا مَقامُ الواقِفينَ معَ العقلِ دونَ الشّرع، ولَيس لأهلِ هذا المقامِ سِوى ما قَصدوا، وقد لا يحصلونَ المقصودَ ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: 18].

فَصْلٌ

وأهلُ التّوحيدِ، ومَن حَسُنَت عَقيدتُه وقَصدُه قد ذكَرَهم الله تعالى في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ٣٥﴾(1) [فاطر: 32-35]. فهذه الأصنافُ [95/ أ] الثّلاثةُ في هذه الآيةِ الكريمةِ هم أُمّةُ مُحمّدٍ ﷺ خاصّة علَى المشهورِ عند أكثرِ المُفسّرينَ؛ لأنّ أُمّةَ مُحمّدٍ ﷺ، هم المُصدَّرُ بهم في أوّلِ الآية في قوله: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾ فهم الّذين أورِثوا الكتابَ بعدَ الأُمَمِ المُتقدّمةِ(2)، فكُلُّ مَن

---

(1) وتمام الآيات هي قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ٣٥﴾.

(2) قال ابن جرير الطبري في تفسيره، (ج19/ 373-374): وأولى الأقوال في تأويل ذلك=

آمَنَ بالقرآنِ سَواء حفظَه أو لم يحفظه دَخَل في الآية، وقَسَّمَهُمُ الله تعالى إلى: ظالم، ومُقتَصِد، وسابق، بخلافِ الآياتِ الّتي في الواقِعةِ والانفِطار[1] والمُطفّفين[2]، فإنّه تعالى قَسَّمَهم ثلاثة أقسام أيضًا[3]، لكن هذا التّقسيمُ في هذه السّوَرِ لجميعِ الأُمَم المُتقدِّمةِ كافِرهم ومُؤمِنهم، وفي سورةِ «الواقعة» ذَكَرهم في أوّلِها في قوله: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [الواقعة: 8- 12]، وفي آخرها في قوله: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [88- 96].

وأمّا هُنا فالتّقسيمُ لأُمّة مُحمَّدٍ ﷺ، فالظّالِمُ لِنفسه: أصحابُ الذُّنوبِ المُصِرّونَ عليها، وقد رَوى الإمامُ أحمد في «مُسنَدِه»[4] أنّ ابنَ مَسعودٍ

=بالصواب: تأويل من قال: عُنى بقوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ الكتب التي أنزلت من قبل الفرقان... وإنما قلنا: عُني بقوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾ الكتب التي ذكرنا، لأن الله جل ثناؤه قال لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ثم أتبع ذلك قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا﴾ فكان معلومًا إذ كان معنى الميراث إنما هو انتقال معنى من قوم إلى آخرين، ولم تكن أمة على عهد نبينا ﷺ انتقل إليهم كتاب من قوم كان قبلهم غير أمته أن ذلك معناه...

(1) في إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار: 13-14].

(2) في إشارة إلى قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾ [المطففين: 7- 18].

(3) الذي يظهر والله أعلم أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قسمهم في سورتي الانفطار والمطففين إلى قسمين.

(4) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده: حديث (3589)، (ج6/ 68)؛ من طريق: أبي معاوية، قال: حدثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود. وحديث (4031)، (ج7/ 129)؛ من طريق: ابن نمير، قال: حدثنا الأعمش بهذا الإسناد. وحديث (4240)، (ج7/ 275)؛ من طريق: وكيع، قال حدثنا الأعمش بهذا الإسناد. =

قال: لَمَّا نَزَلَ قولُه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام: 82]: شَقَّ ذلك علَى النّاسِ، وقالوا: يا رسول الله! أَيُّنا لا يَظلِمُ نَفسَه؟ قال: «إنّه ليس الّذي تعنونَ، ألم تَسمَعوا إلى ما قال العبدُ الصّالحُ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان: 13] إنّما هو الشِّركُ». وهذا مِمّا يُؤَكِّدُ أنّ الظّالم من هذه الأُمّة، والمُقتصِدُ: المُؤدّي للفرائِض المُجتَنِبُ للمَحارِم. والسّابِقُ بالخيراتِ: هو المُؤدّي للفَرائِض والنّوافِلِ. وقال ابنُ الجوزيِّ في «تفسيرِه»[1]: في قولِه: ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ فيه أربعة أقوالٍ:

أحدُها: أنّه صاحِبُ الصّغائرِ، روي عن عُمرَ بن الخطّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «سابِقُنا سابِقٌ، ومُقتَصِدُنا ناجٍ، وظالِمُنا مَغفورٌ له»[2].

= 2- البخاري في صحيحه: - كتاب الإيمان، باب ظلم دون ظلم، حديث (32). وكتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾، حديث (3360). وكتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِ﴾، حديث (3428)، وحديث (3429). وكتاب التفسير، سورة الأنعام، حديث (4629). كتاب التفسير، سورة لقمان، حديث (4776). وكتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم وإثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة، حديث (6918). وكتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم وإثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة، باب ما جاء في المتأولين، حديث (6937)؛ من طرق عن الأعمش به.

3- مسلم في صحيحه، حديث (197- 124)؛ من طريق: عبد الله بن إدريس، وأبو معاوية، ووكيع، عنِ الأعمَش، به.

(1) انظر: زاد المسير في علم التفسير (ج6/ 489-490).

(2) رواه: 1- سعيد بن منصور (227هـ) في سننه، تحقيق الأعظمي، القسم الثاني من المجلد الثالث، (ص:120)، حديث (2308)؛ من طريق: فرج بن فضالة، قال: نا الأزهر بن عبد الله الحرازي، قال: (وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا نزع هذه الآية قال: ألا إن سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له).

2- يحيى بن سلام (200هـ) في تفسيره، (ج2/ 790)؛ من طريق: أبو أمية، عن ميمون بن سياه، عن شهر بن حوشب، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوفًا.

3- العقيلي (322هـ) في الضعفاء الكبير (ج3/ 443)؛ من طريق: عمرو بن الحصين، قال: حدثنا الفضل بن عميرة القيسي، عن ميمون بن سياه، عن أبي عثمان النهدي، قال: سمعت=

وروى أبو سَعيدٍ الخُدريُّ عن رسول الله [96/ ب] ﷺ في هذه الآية قال: «كُلُّهم في الجنّة»[1].

الثّاني: أنّه الّذي ماتَ علَى كبيرةٍ ولم يَتُب منها، رَواه عطاءٌ[2]، عَنِ ابنِ عبّاسٍ[3].

=عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الحديث. قال العقيلي: وهذا يُروى من غير هذا الوجه بنحو هذا اللفظ بإسناد أصلح من هذا.

4- البيهقي (458هـ) في البعث والنشور، تحقيق عامر أحمد حيدر، حديث (61)، (ص:84)؛ من طريق: حفص بن خالد بن جابر، قال: حدثني ميمون بن سياه، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: تلا هذه الآية: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات» قال: فقال رسول الله ﷺ -الحديث-. قال البيهقي: فيه ارسال بين ميمون بن سياه وبين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وروي من وجه آخر غير قوي عن عمر موقوفًا عليه. قال ابن كثير في مسند الفاروق، (ج2/ 603) بعد أن رواه من طريق: ميمون بن سياه، عن أبي عثمان النهدي، عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، فقال: ثم رواه من وجه آخر عن عمرو بن الحصين، وهو متروك. قال الذهبي في ميزان الاعتدال، (ج3/ 355): الفضل بن عميرة القيسي، عن ميمون بن سياه، عن أبي عثمان النهدي، قال: سمعت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الحديث. رواه عنه عمرو بن الحصين؛ وعمرو ضعفوه. قال العقيلي: (الفضل هذا لا يتابع على حديثه)، ذكره ابن حبان في الثقات. قلت -أي: الذهبي-: (بل هو منكر الحديث). راجع: الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، (ج3/ 153).

(1) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده، حديث (11745)، (ج18/ 271)؛ من طريق: محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن الوليد بن العيزار أنه سمع رجلًا من ثقيف يحدث عن رجل من كنانة، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ أنه قال في هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَٰبَ...﴾ الآية- قال: «هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة، وكلهم في الجنة».

2- الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، ومن سورة الملائكة، حديث (3526)، بنفس طريق أحمد. قال أبو عيسى الترمذي: (هذا حديث غريب حسن)

3- الطيالسي في مسنده، ط هجر، حديث (2350)؛ ومن طريق: شعبة، عن الوليد بن العيزار به. وفيه: (قال: «كلهم في الجنة»، أو قال: «كلهم بمنزلة واحدة» قال شعبة أحدهما).

(2) تقدمت ترجمته.

(3) ذكره: الواحدي في: 1- التفسير البسيط (ج18/ 423) وعزاه إلى ابن عبّاسٍ. =

الثّالِث: أنّه الكافِرُ، رَواه عمرو بن دينارٍ[1]، عَنِ ابنِ عبّاسٍ[2].

فعلى هذا لا يكونُ الاصطِفاءُ لِجملةِ مَن أُنزِل علَيه الكِتابُ؛ كما قال تعالَى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ ﴾ [الزخرف: 44]؛ أي: لَشَرفٌ لكُم، وكَم من مُكرَم لَم يَقبلِ الكرامة!

الرّابع: أنّه المُنافِقُ، حُكي عنِ الحسَنِ[3].

= 2- التفسير الوسيط (ج3/ 505) وعزاه إلى عطاء، عن ابن عبّاسٍ. نسب هذا القولَ الثعلبيُّ في الكشف والبيان، ط دار التفسير، (ج22/ 199) إلى بكر بن سهل الدمياطي.

(1) هو عمرو بن دينار، الإمام الكبير الحافظ، أبو محمد الجمحي مولاهم، المكي الأثرم، أحد الأعلام، وشيخ الحرم في زمانه، ولد في إمرة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة (45هـ، أو46هـ)، وسمع من: ابن عباس، وجابر بن عبد الله، وابن عمر، وأنس بن مالك، وعبد الله بن جعفر، وأبي الطفيل، وغيرهم من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وكان من الحفاظ المقدمين، أفتى بمكة ثلاثين سنة، وكان من أوعية العلم، وأئمة الاجتهاد. قال شعبة: (ما رأيت في الحديث أثبت من عمرو بن دينار)، قال ابن عيينة: (ما كان عندنا أحد أفقه من عمرو بن دينار، ولا أعلم، ولا أحفظ منه). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج5/ 300-307).

(2) رواه: 1- عبد الرزاق في تفسيره (ج3/ 71)، حديث (2445)؛ من طريق: ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، قال: كان ابن عباس، يقول: «فمنهم ظالم لنفسه»، قال: (الظالم الكافر)، قال عمرو: وسمعت عبيد بن عمير يقول: (كلهم صالح).

2- ابن أبي حاتم في تفسيره، حديث (17986)، (ج10/ 3181)؛ من نفس طريق عبد الرزاق، دون زيادة: قال عمرو...

(3) رواه: 1- عبد الرزاق في تفسيره (ج3/ 70)، حديث (2443)؛ من طريق: معمر عن الحسن وقتادة.

2- الطبري في تفسيره (ج19/ 372)؛ من طريق: عوف، قال: قال الحسن.

۞ الحسن البصري تقدمت ترجمته.

قال الطبري في تفسيره، (ج19/ 374): وأما الظالم لنفسه، فإنه لأن يكون من أهل الذنوب والمعاصي، التي هي دون النفاق والشرك عندي، أشبه بمعنى الآية، من أن يكون المنافق أو الكافر، وذلك أن الله تعالى ذكره أتبع هذه الآية قوله: «جنات عدن يدخلونها»، فعمّ بدخول الجنة جميع الأصناف الثلاثة.

وروي عَنِ الحسَنِ أيضًا أنّه قال: «الظّالِمُ: الّذي تَرجَحُ سيِّئاتُه علَى حَسَناتِه، والمُقتَصِدُ: الّذي استَوَت حَسَناتُه وسَيِّئاتُه، والسّابِقُ: مَن رَجَحَت حَسَناتُه»[1]. ورويَ عن عُثمانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنّه تَلا هذه الآية، فقال: «سابِقُنا: أهلُ جِهادِنا، ومُقتَصِدُنا: أهلُ حَضَرِنا، وظالِمُنا: أهلُ بَدونا»[2]. انتَهَى كلامُه. وأمّا قولُه تعالَى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾ ﴾ فقد أخبَرَ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أنّ جميعَ مَن ذكر أنّه يدخُلُ الجنّة.

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ: وممّا يَستَدِلُّ به أهلُ السُّنّة والجماعةِ علَى أنّه لا يُخلَّدُ في النّارِ أحَدٌ من أهلِ التّوحيدِ بهذه الآية، ومَن قال بخُلودِ أهلِ الكبائرِ في النّارِ مِنَ المُعتزلة تأوّلَ الآية علَى أنّ السّابِقينَ: هُمُ الّذين يدخلونَها، وأنّ المُقتصِدَ والظّالم لا يدخلُها فهو مُقابَلٌ بتأويلِ المُرجِئة[3] الّذين لا يَقطَعونَ بدُخولِ أحَدٍ من أهلِ الكبائِرِ إلى النّارِ،

---

(1) ذكر ذلك عنه: الثعلبي في الكشف والبيان (ج22/ 199). الواحدي في التفسير البسيط (ج18/ 424) بهذا اللفظ.

(2) رواه: 1- سعيد بن منصور في سننه (ج2/ 151)، (2308) من طريق فرج بن فضالة، عن الأزهر بن عبد الله الحرازي، قال: حدثني من سمع عثمان بن عفّان.

2- الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان، ط دار التفسير، (ج22/ 196)؛ من نفس طريق سعيد بن منصور.

3- البيهقي في البعث والنشور (ص:85)، حديث (62)؛ من نفس طريق سعيد بن منصور.

۞ وإسناد ضعيف؛ لجهالة من حدَّث به عن عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وفرج بن فضالة بن النعمان التنوخي القضاعي، أبو فضالة، قال يحيى بن معين: (ضعيف الحديث)، وقال علي بن المديني: (ضعيف لا أحدث عنه). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج23/ 155-164).

(3) الإرجاء على معنيين: أحدهما: بمعنى التأخير. والثاني: إعطاء الرجاء. أما اطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح؛ لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد. وأما بالمعنى الثاني فظاهر؛ فإنهم كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر=

وأنّهم يدخلونَ الجنّة بلا عذاب، وكِلاهُما مُخالِفٌ للسُّنّة المُتواتِرة عَنِ الرسول ﷺ وإجماعِ سلَفِ [99/ أ] الأُمّة وأئمّتِها[1]. انتهى كلامُه.

والمقصودُ: أنّ المُرادَ بالأصنافِ الثّلاثة من هذه الأُمّة، وأنّه يُؤيِّد ذلك ما روي عن أبي الدّرداءِ، عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**أمّا السّابقُ فَيدخُلُ الجنّة بغير حِساب، وأمّا المُقتَصِدُ فَيُحاسَبُ حِسابًا يسيرًا، وأمّا الظّالِمُ لِنَفسه فإنّه حَزِينٌ في ذلك المقام، ولِهذا يَقولونَ إذا دَخَلوا الجنّة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ﴾ [فاطر: 34]**»[2]. رواه ابنُ أبي الدُّنيا.

=طاعة. انظر: الملل والنحل للشهرستاني، ط دار المعرفة، الفصل الخامس المرجئة، (ج1/ 161- 162).

(1) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية، (ج11/ 184).

(2) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده، حديث (21727)، (ج36/ 57)؛ من طريق: إسحاق بن عيسى، قال: حدثني أنس بن عياض الليثي أبو ضمرة، عن موسى بن عقبة، عن علي بن عبد الله الأزدي، عن أبي الدرداء. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [فاطر: 32]، فأما الذين سبقوا بالخيرات، فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا، فأولئك يحاسبون حسابًا يسيرًا، وأما الذين ظلموا أنفسهم، فأولئك الذين يحاسبون في طول المحشر، ثم الذين تلافاهم الله برحمته، فهم الذين يقولون: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤﴾ [فاطر: 34]، إلى قوله، ﴿لُغُوبٞ ٣٥﴾ [فاطر: 35]). قال الهيثمي في مجمع الزوائد، (ج7/ 95): رواه أحمد بأسانيد رجال أحدها رجال الصحيح، وفي هذه إن كان علي بن عبد الله الأزدي سمع من أبي الدرداء؛ فإنه تابعي.

2- الطبري في تفسيره (ج19/ 375)؛ من طريق: ابن بشار قال: ثنا أبو أحمد الزبيري، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، قال: ذكر أبو ثابت قال: دخل رجل المسجد، فجلس إلى جنب أبي الدرداء، فقال: اللهم آنس وحشتي، وارحم غربتي، ويسّر لي جليسًا صالحًا، فقال أبو الدرداء: لئن كنت صادقًا لأنا أسعد به منك، سأحدثك حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ، لم أحدث به منذ سمعته ذكر هذه الآية: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات»، «فأما السابق بالخيرات فيدخلها بغير حساب، وأما المقتصد فيحاسب حسابًا يسيرًا، وأما الظالم لنفسه فيصيبه في ذلك المكان من الغم والحزن، فذلك قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ﴾». =

فالظّالِمُ لنَفسِه مَن شهِدَ الطّاعةَ والمعصيةَ، لكِن معصيتُه أكثَرُ من طاعتِه؛ فلِذلك دَخَل في قولِه تعالَى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: 14] وهو داخِلٌ تحتَ المشيئةِ.

وذكَرَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ عن طائِفة أنّهم يجعَلون المراتِبَ ثلاثة:

يقولونَ: العبدُ يشهَدُ أوّلًا طاعة ومَعصيةً، ثم طاعةً بلا معصيةٍ، ثُمَّ لا طاعة ولا مَعصيةً، والشُّهودُ الأوّلُ هو الشُّهودُ الصّحيحُ، وهو الفرقُ بينَ الطّاعاتِ والمعاصي، وأمّا الثّاني فيُريدونَ به شُهودَ القدَرِ، كما كان بعضُ هؤُلاءِ يقولُ: أنا كافِرٌ بربٍّ يُعصَى، وهذا يزعُمونَ أنّ المعصيةَ مُخالِفةٌ للإرادةِ الّتي هيَ المشيئةُ، والخلقُ كُلُّهم داخِلون تحتَ حُكم المشيئة، ويَقولُ شاعِرُهم [من الكامل]:

أصبَحتَ مُنفَعِلًا لِما تَختارُهُ مِنّي فَفِعلي كُلُّه طاعاتُ[1]

ومعلومٌ أنّ هذا خِلافُ ما أرسَلَ الله به الرُّسُلَ وأنزَل به الكُتبَ؛ فإنّ المعِصيةَ الّتي يستَحِقُّ صاحِبَها الذّمُّ والعِقابُ مُخالَفة أمرِ الله ورَسولِه؛

= 3- الطبراني في المعجم الكبير، حديث (11454)، (ج11/ 189)؛ موقوفًا على ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: (السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد ﷺ). قال الهيثمي في مجمع الزوائد، (ج10/ 378): رواه الطبراني في الكبير والأوسط باختصار عنه، وفيه موسى بن عبد الرحمن الصنعاني؛ وهو وضاع.

(1) نسبه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى، (ج8/ 257) لابن إسرائيل؛ وهو محمد بن سوار بن إسرائيل بن خضر بن إسرائيل بن الحسن، الفقير المشهور الشاعر الأديب البارع نجم الدين الشيباني الدمشقي، صاحب الحريري، وصاحب الديوان المعروف، ولد سنة (603هـ)، ولبس الخرقة من الشيخ شهاب الدين السهروردي وسمع عليه، وسلك في نظمه مسلك ابن الفارض وابن العربي، وتوفي سنة (677هـ). انظر ترجمته في تاريخ الإسلام للذهبي، (ج15/ 347-352).

كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: 13- 14] وسرد الآياتِ في هذا الباب.

ثُمَّ قال: وسنَذكُرُ الفرقَ بينَ الإرادة الكونيّة والدّينيّة، والأمرِ الكوني والدّيني، وكانت هذه المسألة قدِ اشتبهَت علَى طائفة مِنَ الصّوفيّة، فبيّنَها الجُنيدُ[1] رَحِمَهُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ لهم فمَن اتّبعَ الجُنيدَ فيها كان علَى السّدادِ، ومَن خالفه ضلَّ، فإنّهم تكلّموا في أنّ الأمورَ كلّها بمشيئته وقُدرتِه، وفي شُهودِ هذا التّوحيدِ، وهذا يُسمّونَه الجمعَ الأوّلَ، فبيّنَ لهم الجُنيدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّه لا بُدَّ من شُهودِ الفرقِ الثّاني، وهو أنّه شُهودِ كونِ الأشياءِ مُشتركة في مَشيئةِ الله وقُدرتِه وخَلقِه، فيَجبُ الفرقُ بينَ ما يأمُرُ به ويُحبُّه ويَرضاه، وبينَ ما يَنهى عنه ويَكرَهُه ويَسخَطُه، ويُفرِّقُ بينَ أعدائِه وأوليائِه؛ كما قالَ تعالَى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [القلم: 35]، وقال: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: 28]، وقال: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: 21][2]. انتهى ما ذكَره.

(1) تقدمت ترجمته.

(2) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية، (ج11/ 244- 245).

الباب الثامن

في ذكر الله تعالى

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: 41-42]، وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: 156]، وقال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: 45]. قال عَطيّة[1]: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾: هي قولُه: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [96/ أ]، قال: «فَذِكرُ الله إيّاكم أكبرُ من ذكرِكُم إيّاه»[2].

رواه ابنُ أبي الدُّنيا، ورواه بعضُ المُفسِّرينَ[3]، عنِ ابنِ مسعودٍ[4]، وابنِ

---

(1) هو عطية بن سعد بن جنادة العوفي الجدلي القيسي أبو الحسن الكوفي، روى عن: زيد بن أرقم، وابن عباس، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعكرمة مولى ابن عباس، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة. روى عنه: أبان بن تغلب، وإسماعيل بن خالد، وفضيل بن مرزوق، والحجاج بن أرطاة، وسليمان الأعمش، وقرة بن خالد. قال مسلم بن الحجاج: قال أحمد وذُكر عطية العوفي، فقال: (هو ضعيف الحديث) ثم قال: (بلغني أن عطية كان يأتي الكلبي ويسأله عن التفسير، وكان يكنيه بأبي سعيد، فيقول: قال أبو سعيد)، وقال أبو زرعة: (لين)، وقال النسائي: (ضعيف)، روى له البخاري في «الأدب»، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجة، توفي سنة (111هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، ترجمة (3956)، (ج20/ 145-149).

(2) رواه: الطبري في تفسيره (ج18/ 412)؛ من طريق: ابن فضيل، قال: ثنا فضيل بن مرزوق، عن عطية. والبيهقي في شعب الإيمان، حديث (663)، (ج2/ 167)؛ من طريق: ابن أبي الدنيا، قال: حدثنا أبو هشام، حدثنا ابن فضيل به.

(3) قال ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز، ط الأوقاف 1436هـ - 2015م، (ج7/ 586): وقوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قال ابن عباس، وأبو الدرداء، وسلمان، وابن مسعود، وأبو قرة؛ معناه: ولذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إيّاه. راجع: معاني القرآن للنحاس، (ج5/ 229).

(4) رواه: الطبري في تفسيره، (ج18/ 414)؛ من طريق: زائدة، عن عاصم، عن شقيق، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ولذكر الله أكبر»، قال: ذكر الله العبد أكبر من ذكر العبد لربه.

عبّاسٍ[1]. وقال تعالى: ﴿وَالذَّٰكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: 35]، قال مُجاهِدٌ[2]: لا يكونُ مِنَ الذّاكِرينَ اللهَ كثيرًا والذّاكِراتِ حتَّى يذكُرَ اللهَ قائمًا وقاعِدًا ومُضْطجِعًا[3]. وقال ابنُ عبّاسٍ: إذا ذُكِر اللهَ أدبارَ الصّلَواتِ غُدوًّا وعَشيًّا وعندَ نومِه واستيقاظِه كان مِنَ الذّاكِرينَ اللهَ كثيرًا[4].

فانظُر -رحِمَكَ اللهُ-: إلى تفسيرِ ابنِ عبّاسٍ ما أجمعه! فإنّ هذه الأوقاتِ طَرَفي النّهارِ، وعندَ نومِه واستيقاظِه، وأدبارِ الصّلواتِ المفروضاتِ من أشرَفِ أوقاتِ اللّيلِ والنّهارِ، وقد نطَقَ الكتابُ والسُّنّة بالحثِّ عليها

(1) رواه: 1- مجاهد في تفسيره، تحقيق/ محمد عبد السلام أبو النيل، (ص:535)؛ من طريق: ورقاء، عن عطاء بن السائب، عن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله: «ولذكر الله أكبر»، يقول: ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم أياه.

2- عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره، حديث (2256)، (ج3/ 9)؛ من طريق: الثوري، عن عطاء بن السائب، عن عبد الله بن ربيعة، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سألني عن هذه الآية: «ولذكر الله أكبر»، قال: قلت: التكبير والتسبيح، فقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه.

3- الطبري في تفسيره (ج18/ 411-414)؛ من عدة طريق: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

4- ابن أبي حاتم في تفسيره، حديث (17348)، و(17349)، و(17350)، و(17352)، (ج9/ 3067-3068)؛ من عدة طرق: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. قال أبو جعفر الطبري في تفسيره، (ج18/ 417)، بعد أن ذكر الأقوال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾: وأشبه هذه الأقوال بما دل عليه ظاهر التنزيل قول من قال: ولذكر الله إيّاكم أفضل من ذكركم إيّاه.

(2) تقدمت ترجمته.

(3) رواه: 1- ابن المبارك في الزهد، تحقيق/ حبيب الرحمن الأعظمي، حديث (938)، (ص:280). 2- عبد الرزاق في تفسيره (3/ 39)، حديث (2344). 3- ابن أبي حاتم في تفسيره، حديث (3483)، (ج2/ 646)؛ جميعًا من طريق: سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نَجيح، عن مجاهد.

4- أبو نعيم في حلية الأولياء، (ج3/ 283)؛ من طريق: سفيان، عن ليث، عن مجاهد، به.

(4) ذكره عنه الواحدي في: التفسير البسيط (ج18/ 247-248). التفسير الوسيط (ج3/ 471).

والتّرغيب فيها. وقال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ [مريم: 11]، قال أهل اللُّغة: البُكرةُ: أوّلُ النّهار[1]، والعشيُّ: آخِرُهُ[2].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: 205]، وقال تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾﴾ [النور: 36- 37]، قال أهل اللُّغة: الآصالُ جمعُ أصيلٍ؛ وهو ما بينَ العصرِ والمغربِ[3].

وأمّا قولُه تعالى: ﴿يُسَبِّحْنَ [98/ ب] بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ [ص: 18]، قال الأزهريُّ[4]: العشيُّ عندَ العرَبِ: ما بينَ أن تَزولَ الشّمسُ إلى أن تَغرُبَ[5].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾ [طه: 130].

وهذه الآياتُ وما يُشبِهُها تدُلُّ على ما جاءَ عَنِ النّبيِّ ﷺ: أنّه مَن قال حينَ يُصبِحُ كذا فله كذا، ومَن قال حينَ يُمسي فله كذا، وأنّ العبدَ يحصُلُ له فضلُ الذِّكرِ المُؤقَّتِ مِنَ المساءِ مِنَ العصرِ إلى غُروبِ الشّمسِ، كما

---

(1) راجع: مفردات ألفاظ القرآن للراغب، مادة (بكر)، (ص:122).

(2) قال الراغب في مفردات ألفاظ القرآن، مادة (عشا)، (ص:455): العشي من زوال الشمس إلى الصباح.

(3) انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين للحميدي، تحقيق/ زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، (ص:202).

(4) هو العلامة، أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري الهروي اللغوي الشافعي، ارتحل في طلب العلم، وكان رأسًا في اللغة والفقه، ثقة، ثبتًا، دينًا، وله كتاب «تهذيب اللغة» المشهور، توفي سنة (370هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج16/ 315-317).

(5) انظر: تهذيب اللغة للأزهري، باب العين والشين من معتل العين، (ج3/ 58)، ولفظه: (ويقع العِشي على ما بين زوال الشمس إلى وقت غروبها، كل ذلك عشي، فإذا غابت الشمس فهو العِشاء).

فسَّرَ أهل اللُّغة الآصال، وقد يحصُلُ له من زَوالِ الشَّمسِ إلى غُروبها كما حكاه الأزهَريُّ، ويحصُلُ له عندَ الصَّباحِ ما بَينَ طلوعِ الفجرِ إلى طُلوعِ الشَّمسِ كما تقدمَ، حتَّى إنّ أهل الجنّة في الجنّة يُحافِظونَ على هذَينِ الوقتَينِ بُكرة وعَشيًّا، كما ثَبَت في «صَحيح مُسلِم»، و«مُسندِ أحمد» عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أوَّلُ زُمرةٍ تَلِجُ الجنّة، صوَرُهم على صورة[1] القمَرِ لَيلة البدرِ، لا يَبصُقونَ فيها، ولا يَمتَخِطونَ، ولا يَتَغَوَّطونَ فيها، آنيتُهم وأمشاطُهم الذَّهَبُ والفِضّة، ورَشحُهم المِسكُ، ولِكُلِّ واحِدٍ منهم زَوجَتانِ، يُرَى مُخَّ ساقِهما[2] من وراءِ الحُسنِ، قُلوبُهم على قَلبِ واحِدٍ، يُسَبِّحونَ اللهَ بُكرة وعشيًّا**»[3].

ويدلُّ أيضًا بعضُ هذه الآياتِ على الصَّلَواتِ، وهيَ قولُه: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾؛ أي: صَلِّ له بالحمدِ والثّناءِ علَيه صلاةَ الفجرِ ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ يعني: صلاةَ العصرِ ﴿وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ﴾؛ أي: ساعاتِه ﴿فَسَبِّحْ﴾ [طه: 130]؛ أي: فَصَلِّ المغربَ والعِشاءَ، روي ذلك عَنِ ابنِ عَبّاسٍ[4]، وروي

---

(1) في الأصل: صور، والمثبت من مسند أحمد، وصحيح مسلم.

(2) والمخ: بضم الميم وتشديد المعجمة، ما في داخل العظم، والمراد به وصفها بالصفاء البالغ، وأن ما في داخل العظم لا يستتر بالعظم واللحم والجلد. انظر: فتح الباري لابن حجر، (ج6/ 325-326).

(3) رواه: 1- الإمام أحمد في مسند، حديث (8198)، (ج13/ 519-520). 2- البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقه، حديث (3245). 3- مسلم في صحيحه، حديث (17-2834).

(4) رواه: 1- يحي بن سلام في تفسيره، (ج1/ 293)؛ - من طريق: سعيد، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾، قال: صلاة الصبح. «وقبل غروبها»، قال: صلاة الظهر والعصر. ﴿وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ﴾، يعني: المغرب والعشاء. ومن طريق: سفيان، عن عاصم، عن أبي رزين، عن ابن عباس، قال: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾: الصلاة المكتوبة.

2- عبد الرزاق في تفسيره، حديث (1847)، (ج2/ 380)؛ - من طريق: معمر، عن قتادة=

عنه: جوفُ اللّيلِ[1]. وقال الحسَنُ: أوسَطُه وآخِرُه[2].

وقولُه: ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ قال الفرّاءُ: وسبِّح أطرافَ النّهار[3]. وقيلَ: صلاةُ المغرِبِ والفجرِ، قاله ابنُ زَيدٍ[4]. وقال قَتادة: صلاةُ الظُّهرِ[5]. قال الفرّاءُ: إنّما هُما طَرَفانِ فَخرَجا مخرَجَ الجمعِ؛ كقولِه تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى

=في قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ قال: هي صلاة الفجر ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ قال: صلاة العصر ﴿وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ﴾ قال: صلاة المغرب والعشاء ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ قال: صلاة الظهر.

۞ ومن طريق: الثوري، عن عاصم، عن أبي رزين، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾، قال: الصلاة المكتوبة.

3- الطبري في تفسيره (ج16/ 210)؛ من طريق: عبد الرزاق، عن معمر، عن قَتادة به.

۞ ومن طريق: سفيان، عن عاصم، عن أبي رزين، عن ابن عباس، فـ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾، قال: الصلاة المكتوبة.

(1) رواه: 1- الطبري في تفسيره، (ج16/ 212)؛ من طريق: محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾ قال: آناء الليل: جوف الليل.

2- ابن أبي حاتم في تفسيره (ج3/ 738)، حديث (4010)؛ من طريق: يحيى بن المغيرة، قال: ثنا جرير، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عبّاسٍ به.

(2) رواه: 1- الطبري في تفسيره (16/ 212)؛ من طريق: يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، قال: سمعت الحسن قرأ: ﴿وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ﴾ قال: من أوّله، وأوسطه، وآخره.

2- ابن أبي حاتم في تفسيره (ج3/ 739)، حديث (4013)؛ من طريق: عباد بن منصور، قال: سألت الحسن قوله: ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾، قال: ساعات من أوله، وآخره.

(3) انظر: معاني القرآن للفراء، (ج2/ 196)، بلفظ: سبحه من الليل، ومن أطراف النهار.

(4) رواه: الطبري في تفسيره (ج16/ 211)؛من طريق: يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ قال: ﴿وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ﴾: العتمة، ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾: المغرب والصبح.

(5) رواه: الطبري في تفسيره (ج16/ 211)؛ من طريق: عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قَتادة في قوله: ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ قال: صلاة الظهر.

﴿ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ [التحريم: 4][1]، وكذا قوله تعالى [98/ أ]: ﴿يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ [الأنعام: 52]، قال ابنُ عُمرَ[2]، وابنُ عبّاس[3]، ومُجاهدٌ[4]: إنّه الصّلَواتُ المكتوباتُ الخمسُ. وقال قتادةُ: صَلاةُ الصُّبحِ والعصرِ[5]. وقال إبراهيمُ النّخعيُّ[6]: إنّه ذكرُ الله تعالَى[7].

---

(1) انظر: معاني القرآن للفراء، (ج2/ 195)، بلفظ: (وقوله: ﴿وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾، وإنما للنهار طرفان، فقال المفسرون: ﴿وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ صلاة الفجر والظهر والعصر، وهو وجه: أن تجعل الظهر والعصر من طرف النهار الآخر، ثم يضم إليهما الفجر، فتكون أطرافًا، ويكون لصلاتين فيجوز ذلك: أن يكونا طرفين فيخرجا مخرج الجمع، كما قال: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ وهو أحب الوجهين إليّ).

(2) رواه: الطبري في تفسيره (ج9/ 265)؛ من طريق: ابن أبي مريم، قال: حدثنا يحيى بن أيوب، قال: حدثنا محمد بن عجلان، عن نافع، عن عبد الله بن عمر في هذه الآية: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾... الآية: أنهم الذين يشهدون الصلوات المكتوبة.

(3) رواه: الطبري في تفسيره (ج9/ 264)؛ من طريق: معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾، يعني: يعبدون ربهم ﴿بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾، يعني: الصلاة المكتوبة.

(4) رواه: الطبري في تفسيره (ج9/ 265)؛ من طريق: محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى. ح: حدثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء. جميعًا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾، قال: الصلاة المكتوبة.

(5) رواه: الطبري في تفسيره (ج9/ 265)؛ من طريق: يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾؛ هما الصلاتان: صلاة الصبح، وصلاة العصر.

ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (7/ 2357)، وابن مردويه، من طريق عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده، كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (4/ 398).

(6) تقدمت ترجمته.

(7) رواه: 1- سعيد بن منصور في سننه، (ج5/ 20)، حديث (879)؛ من طريق: جرير، عن منصور، عن إبراهيم، في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ قال: لا تطردهم عن الذِّكر.

2- الطبري في تفسيره، (ج9/ 268)؛ بنفس طريق سعيد بن منصور.

وقال أبو جعفرٍ[1]: قِراءةُ القرآنِ بُكرة وعَشيًّا[2]. وقال الزّجّاجُ[3]: إنّه دُعاءُ اللهِ بالتّوحيدِ والإخلاصِ له[4]، ويُشبه هذه الآية الكريمة قولُه تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الروم: 17-18].

والمقصودُ: أنّ اللهَ تعالى حَضَّ علَى الذِّكر في غيرِ آيةٍ من كتابه مؤقّتًا ومُطلقًا، وقائمًا وقاعِدًا ومُضطجعًا؛ كقولِه تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾... الآية[5] [آل عمران: 191]، وما ذاكَ إلّا لِشدّة حاجةِ العِبادِ إليه وعِظمِ الانتِفاعِ به في الدُّنيا والآخِرة.

---

(1) هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي، أبو جعفر الباقر، أمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب. كان مولده سنة (56هـ)، روى عن: إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص، وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، والحسين بن علي بن أبي طالب، وسعيد بن المسيب، وأبي هريرة، وغيرهم. روى عنه: أبان بن تغلب الكوفي، وجابر بن يزيد الجعفي، وابنه جعفر بن محمد الصادق، والحجاج بن أرطاة، وغيرهم. ذكره محمد بن سعد في الطبقة الثالثة من أهل المدينة، وقال: (كان ثقة، كثير الحديث، وليس يروي عنه من يحتج به)، وقال العجلي: (مدني، تابعي، ثقة)، وذكره النسائي في فقهاء التابعين من أهل المدينة، روى له الجماعة، اختلف في سنة وفاته بين عامي (114هـ، و118هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، ترجمة (5478)، (ج26/ 136-142).

(2) رواه: الطبري في تفسيره، (ج9/ 268)؛ من طريق: وكيع، عن إسرائيل، عن جابر، عن أبي جعفر قوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾، قال: كان يقرئهم القرآن.

۞ قال ابن عطية في تفسيره، (ج4/ 9): (وقيل: قراءة القرآن وتعلمه، قاله أبي جعفر، ذكره الطبري).

(3) تقدمت ترجمته.

(4) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، (ج3/ 281)، بلفظ: (ومعنى يدعون ربهم بالغداة والعشي، أي: يدعونه بالتوحيد والإخلاص له، ويعبدونه يريدون وجهه، أي: لا يقصدون بعبادتهم إلا إياه).

(5) وتمام الآية:... ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾.

فإذا علِمَ العبدُ أنّ بذِكره يذكره الله، وبذكره أعَدَّ له مَغفرةً وأجرًا عَظيمًا، وهذا نهايةُ المطلوبِ كان عليه أن يبذُلَ وُسعَه ويجتهِدَ في ذكرِ الله تعالى، فإنّه ينالُه من غيرِ مشقّة ولا تعبٍ في روحه، بل الذِّكرُ لا يشغَلُ صانِعًا عن صنعَتِه ولا مَريضًا بوَجعِه؛ لأنّه إمّا بلِسانِه وقلبِه، أو بقلبِه فقط، وكِلاهُما لا تعَبَ فيه، وكلّما خفي كان أفضَلَ كما سَنُبيِّنُه إن شاءَ الله.

فهم مأمورونَ بذِكرِ معبودِهم في كُلِّ حالٍ في كُلِّ وقتٍ، فإنّ الجنّة قيعانٌ وهو غِراسُها، فكذلك القُلوبُ خَرابٌ وهو عِمارتُها [99/ ب].

فَصْلٌ

والذِّكرُ هو بابُ الله الأعظمُ المفتوحُ بينَه وبينَ عبدِه ما لم يغلقه العبدُ بغفلتِه. قال الحسنُ البصريُّ[1]: تَفَقدوا الحلاوةَ في ثلاثةِ أشياءَ: في الصّلاةِ، والذِّكرِ، وقراءةِ القُرآنِ، فإن وجَدتُم وإلّا فاعلَموا أنّ البابَ مُغلَقٌ عليكُم[2].

ومنزلةُ الذِّكرِ هي منزلةُ القومِ الكُبرَى الّتي منها يتَرَدَّدونَ، وفيها يتَّجِرونَ، وإليها دائِمًا يتَرَدَّدونَ.

والذِّكرُ هو منشورُ الوِلايةِ الّتي من أُعطيَه اتَّصَلَ ومَن مُنِعَه عُزِلَ، وهو قوتُ قلوبِ العارفينَ الّتي مَتَى فارَقَها صارَتِ الأجسادُ لها قُبورًا، وهو عِمارة ديارِهم وأراضيهم، فمَتَى تعَطَّلَت عنه بورًا، وهو سِلاحُهم الّذي يُقاتِلونَ به قُطّاعَ الطّريقِ، وهو دَواءُ أسقامِهم الّتي مَتَى فارَقَهم انتكسَت

(1) تقدمت ترجمته.

(2) انظر: الرسالة القشيرية، باب الذكر، (ص: 386). مدارج السالكين لابن القيم، منزلة الذكر، (ج2/ 424).

قلوبُهم منهم القُلوب، كما قيلَ [من البسيط]:

إذا مَرِضنا تَداوَينا بِذِكرِكُمُ ... فَنَترُكُ الذِّكرَ أحيانًا فَنَنتَكِسُ[1]
وكيفَ لا يُبتلى بالنّكس قلبٌ فَني ... عن ذكرِ خالقِه في الدّهر يُختَنَسُ
فَذِكرُ ربّي دَواءٌ للقلوبِ به ... شِفاؤُها وبتَركِ الذِّكرِ يُنتَحَسُ
وَإن أدامَت لِذِكرِ الله فهو لها ... عَينُ الهُدى بضَلالٍ ليسَ يُلتَبَسُ
فالذِّكرُ أفضَلُ أعمالٍ يُنالُ بها ... خَيرًا وعن قَبيحِ شَرٍّ نحنُ نَختَنِسُ
فالله يُلهِمُنا ذكرًا له أبدًا ... أوِ القُلوب بتَركِ الذِّكرِ تُنتَكَسُ

وبالذِّكر يَستدفِعونَ الآفاتِ، ويَستكشِفونَ الكُرُباتِ، ويَهونُ عليهم به المصائِبُ، ويَسعونَ به في الرّغائبِ إذا أحَلَّ بهمُ البلاءُ، فإليه ملجَؤُهم، وإذا نزلَت بهم النّوازلُ فإليه مَفزَعَهُم، فهو رياضُ جَنّتِهم الّتي فيها يَتقلّبونَ، ورُءوسُ أموالِ سَعادتِهم الّتي بها يَتّجِرونَ، يَدَعُ القلبَ الحزينَ ضاحِكًا مَسرورًا مُستَبشرًا، بما أُعِدَّ له مِنَ الثّوابِ الجزيلِ والفضلِ العظيمِ.

---

(1) ذكر ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط دار الكتب العلمية، (ج12/ 353)؛ أن زين الدين الصفدي كتب إليه:

إنا ليملكنا من هيبة خرس ... في حبكم وعلينا منكم حرس
وإن خلونا وخلنا وحشة عرضت ... عذنا بأسمائكم فاعتادنا الأنس
فنحن منكم وفيكم لا يزال لنا ... من غيرة حرس من هيبة خرس
حالان في حبكم ما حال بينهما ... عهد الهوى وعليكم ليس تلتبس
وهل علمتم وحكم الحال واحدة ... أنا على النأي للأذكار نختلس
إذا مرضنا تداوينا بذكركم ... ونترك الذكر إجلالا فننتكس
ومن لنا لو لثمنا تربكم فبها ... شفاء أكبادنا والبرء يلتمس
أرض لها قبس من نوركم وكذا ... من وطء أقدامكم يندى بها اليبس
تفديكم أنفس منا تحبكم ... حياتها منكم في موتها نفس

۞ البيت بلا نسبة في: مدارج السالكين، منزلة الذكر، (ج2/ 423).

والذِّكرُ عُبوديّة [99/ أ] القلب واللِّسانِ إذا اجتمعا عليه معَ الإخلاص فهو أفضَلُ الذِّكر، فإن اقتصَر علَى أحَدِهما فالقلبُ أفضلُ؛ لأنّه أبعَدُ عن الرِّياءِ، ولأنّ الذِّكر باللِّسانِ وحدَه لا يَعتدُّ به القومُ، فالقلبُ بيتُ الرّبِّ، ولأنّه يحدثُ مِنَ الذِّكر بالقلبِ مِنَ المعرفةِ، والمحبّة، والحياءِ، والخوفِ، والمُراقبة، والتّعظيم، والأحوالِ الزّكيّة ما لا يحدُثُ مِنَ اللِّسانِ وحدَه، فنَتيجةُ الذِّكرِ بالقلبِ أعظَمُ من نَتيجتِها باللِّسانِ.

وأفضَلُ الذِّكر الخفيُّ لِما رَوى ابنُ أبي الدُّنيا بإسنادِه في كتاب «الذِّكر» له عن عائِشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يُفَضَّلُ الذِّكرُ الخفيُّ الّذي لا تَسمَعُه الحفَظة على الّذي تَسمَعُه بسَبعينَ ضِعفًا**»[1]، وروي أيضًا عن عائِشة،

(1) رواه: 1- ابن أبي الدنيا في الإخلاص -كما في المغني عن حمل الأسفار للعراقي، (ج2/ 931)-. قال العراقي: بسند ضعيف.

2- ابن أبي شيبة في مصنفه، حديث (29664)، (ج6/ 85)؛ من طريق: أبو داود، عن هشام، عن يحيى، عن رجل، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا.

4- أبو يعلى في مسنده، حديث (382-4738)، (ج8/ 182)؛ من طريق: أبو هشام الرفاعي، قال: حدثنا إسحاق، حدثنا معاوية، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كان رسول الله يفضل الصلاة التي يستاك لها على الصلاة التي لا يستاك سبعين ضعفا.

وكان رسول الله ﷺ يفضل الذكر الخفي الذي لا يسمعه الحفظة سبعين ضعفا. فيقول: «إذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلائق لحسابهم، وجاءت الحفظة بما حفظوا وكتبوا. قال الله لهم: انظروا، هل بقي له من شيء؟ فيقولون: ربنا ما تركنا شيئا مما علمناه وحفظناه إلا وقد أحصيناه وكتبناه. فيقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى له: إن لك عندي خبئا لا تعلمه؛ وأنا أجزيك به، وهو الذكر الخفي».

5- البيهقي في شعب الإيمان، (ج2/ 84): - حديث (551)؛ من طريق: محمد بن حميد، قال: حدثنا إبراهيم بن المختار، حدثنا معاوية بن يحيى، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن عائشة مرفوعًا.

۞ حديث (552)؛ من طريق: عبد الله بن أبي الدنيا، قال: حدثنا أحمد بن حاتم الطويل، حدثنا محمد بن الحسن الواسطي، عن معاوية بن يحي - بهذا الإسناد-. =

قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يومُ القيامة جَمع الله عَزَّوَجَلَّ الخلائِقَ لِحِسابِهِم، جاءَتِ الحفَظة بما حَفِظوا أو كَتَبوا، قال الله عَزَّوَجَلَّ لهم: انظُروا. هل له من شَيء؟ فَيَقولونَ: رَبَّنا ما تَركنا شَيئًا عَلِمناه وحَفِظناه، إلّا كَتَبناه وأحصَيناه. فَيَقولُ الله عَزَّوَجَلَّ: إنّ لَكَ عندي كَنزًا لا يَعلَمُه أحَدٌ غيري، وأنا أجزيكَ به، وهو الذِّكرُ الخفيُّ»(1).

وَرَوي أيضًا عَنِ الحجّاجِ بن دينارٍ(2)، قال: سألتُ أبا مَعشَرٍ(3) عَنِ

= ۞ قال البيهقي، (ج2/ 85): تفرد به معاوية بن يحيى الصدفي؛ وهو ضعيف.

۞ قال الهيثمي في مجمع الزوائد، (ج10/ 81): رواه أبو يعلى، وفيه معاوية بن يحيى الصدفي، وهو ضعيف.

۞ قال الفتني في تذكرة الموضوعات، بعد أن ذكر الحديث، (ص:54): سنده ضعيف.

۞ قال المناوي في فيض القدير، (ج3/ 570): قيل: ولعل المراد به التدبر والتفكر في مصنوعات الله وآلائه... قال ابن عربي: وإذا أشعر الإنسان قلبه ذكر الله دائما في كل حال لا بد أن يستنير قلبه بنور الذكر، فيرزقه ذلك النور الكشف؛ فإنه بالنور يقع الكشف... وفيه إبراهيم بن المختار: أورده الذهبي في الضعفاء، وقال: تركه البخاري ولم يرضه، وقال أبو حاتم: صالح، وقال الحافظ العراقي: إسناده ضعيف.

(1) انظر التخريج السابق.

(2) هو حجاج بن دينار الأشجعي، وقيل: السلمي، مولاهم، الواسطي. روى عن: أبي بشر جعفر بن أبي وحشية، والحكم بن عتبة، وعاصم الأحول، ومحمد بن ذكوان، ومعاوية بن قرة، وأبي معشر التميمي، وغيرهم. روى عنه: أبو إسماعيل المؤدب، وإسرائيل بن يونس، وشعبة بن الحجاج، وغيرهم. قال عبد الله بن المبارك: (ثقة)، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه: (ليس به بأس)، وقال يحيى بن معين: (صدوق، ليس به بأس)، وقال الترمذي: (ثقة مقارب الحديث)، ذكره مسلم في مقدمة كتابه، وروى له أبو داود، والترمذي، والنسائي في اليوم والليلة، وابن ماجه. انظر: تهذيب الكمال للمزي، ترجمة (1118)، (ج5/ 435-437).

(3) هو زياد بن كليب، التميمي، الحنظلي، أبو معشر الكوفي. روى عن: إبراهيم النخعي، وسعيد بن جبير، وعامر الشعبي، وفضيل بن عمرو الفقيمي. روى عنه: إسماعيل بن مسلم المكي، وأيوب السختياني، وحجاج بن دينار، والحسن بن فرات، وخالد الحذاء، شعبة بن الحجاج، وغيرهم. قال أحمد بن عبد الله العجلي: (كان ثقة في الحديث، قديم الموت)، وقال=

الرَّجُلِ يَذكُرُ رَبَّه في نَفسِه، كيف تَكتُبُه حفَظة الملائِكة؟ قال: يَجِدون الرِّيحَ[1].

وعن سعَدِ بن أبي وقَّاص، أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «خَيرُ الذِّكرِ الخفيُّ، وخَيرُ الرِّزقِ ما يَكفي»، رواه الإمامُ أحمد[2].

=أبو حاتم: (صالح، من قدماء أصحاب إبراهيم...)، وقال النسائي: (ثقة)، قال ابن حبان: (كان من الحفاظ المتقنين، مات سنة (119 هـ)، روى له مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي. انظر: تهذيب الكمال للمزي، ترجمة (2065)، (ج9/ 504-506).

(1) رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة، حديث (522-28)، (ج3/ 1002)؛ من طريق: إسحاق بن أحمد، قال: حدثنا عبد الرحمن بن يونس، حدثنا أبو إسحاق الفزاري، عن حجاج بن دينار به.

(2) رواه: 1- الإمام أحمد في مسند: - حديث (1477)، (ج3/ 76)؛ من طريق: وكيع، قال: حدثنا أسامة بن زيد، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة، عن سعد بن مالك مرفوعًا.

۞ حديث (1478)، (ج3/ 76-77)؛ من طريق: علي بن إسحاق، عن ابن المبارك، عن أسامة، قال: أخبرني محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، أن محمد بن عبد الرحمن بن لبيبة أخبره. وقال يحيى القطان: ابن لبيبة أيضًا، إلا أنه قال: عن أسامة، قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن بن لبيبة.

۞ حديث (1559)، (ج3/ 131)؛ من طريق: يحيى بن سعيد، عن أسامة بن زيد، قال: حدثني عبد الرحمن بن لبيبة، عن سعد بن مالك مرفوعًا.

۞ حديث (1623)، (ج3/ 168)؛ من طريق: عثمان بن عمر، قال: حدثنا أسامة، عن محمد بن عبد الرحمن بن لبيبة، أن سعد بن مالك، قال: الحديث.

2- وكيع في الزهد، حديث (118)، وحديث (339)؛ من طريق: أسامة بن زيد، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة، عن سعد مرفوعًا.

3- ابن أبي شيبة في مصنفه، حديث (34377)، (ج7/ 84)؛ من طريق وكيع به.

4- ابن حبان في صحيحه، ط الأوقاف، ذكر البيان بأن ذكر العبد ربه جَلَّ وَعَلَا بينه وبين نفسه أفضل من ذكره بحيث يسمع صوته، حديث (442)؛ من طريق: ابن قتيبة، قال: حدثنا حرملة، حدثنا ابن وهب، أخبرنا أسامة بن زيد، أن محمد بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة حدثه، أن سعد بن أبي وقاص قال: الحديث. قال ابن حبان: الشك من ابن وهب. =

فَصْلٌ

في فَضلِ الذِّكرِ والحثِّ عليه

فـإنّ الذِّكـرَ هـو شِـفاءُ القُلـوبِ وجَلاؤُهـا وصِقالُهـا إذا غَشِـيها اعتِـلالٌ، وبالمُداومـةُ علَيـه يحفظُـه الله مـن كُلِّ شـيءٍ، ويكـونُ الله لـه عِوَضًـا مـن كُلِّ شـيءٍ، بـه زَيَّـنَ الله تعالـى ألسِـنة الذّاكِرينَ، كمـا زَيَّنَ بالنّـورِ أبصـارَ النّاظِرينَ، فاللِّسـانُ الغافِـلُ عـن ذكـرِ رَبِّـه؛ كالعيـنِ إذا عميَـت، والأُذُنِ إذا صمّـت، قـال ابـنُ مسـعودٍ: «الذِّكـرُ يُنبِـتُ الإيمـانَ فـي القلـبِ كمـا يُنبِـتُ المـاءُ البقـلَ»[1]،

= ۞ مـدار الحديـث عـلى محمد بـن عبد الرحمن بـن لبيبـة، ويقـال: ابـن أبي لبيبـة. روى عـن: سـعد بن أبي وقـاص مرسـل، وسـعيد بن المسيب، والقاسـم بن محمد بـن أبي بكـر الصديـق، وغيرهـم. روى عنـه: أسـامة بن زيـد الليثـي، ووكيع بـن الجـراح، ويحيى بـن سـعيد الأنصـاري، وغيرهـم. قـال يحيى بـن معين: (ابـن أبي لبيبة الـذي يحدث عنه وكيع ليس حديثه بشيء)، وذكـره ابـن حبـان في كتـاب الثقـات، روى لـه أبـو داود والنسـائي. انظـر: تهذيـب الكـمال للمـزي، ترجمـة (5405)، (ج25/ 620-622).

(1) رواه: 1- ابـن أبي الدنيـا في ذمِّ الملاهـي (ص:41)، حديـث (30)؛ من طريـق: علي بـن الجعـد، قـال: أخبرنـا محمد بـن طلحـة، عـن سـعيد بن كعـب المـرادي، عـن محمد بـن عبد الرحمن بـن يزيـد، عـن ابـن مسـعود، بلفـظ: «الغِنـاءُ يُنبِتُ النِّفـاقَ في القلـبِ كـما يُنبِتُ الماءُ الزّرعَ، والذِّكـرُ يُنبِتُ الإيـمانَ في القلـبِ كـما يُنبِتُ الماءُ الزّرعَ».

2- أبو بكر بن الخلال في السنة (ج5/ 73)، حديث (1650)؛ من طريق محمد بن طلحة، به.

3- البيهقـي في السـنن الكـبرى، (ج10/ 377)، حديـث (21007)؛ مـن طريـق: ابـن أبي الدنيـا، قـال: ثنـا علي بـن الجعـد، بـه.

4- المـروزي في تعظيـم قـدر الصـلاة، ط مكتبـة الـدار بالمدينـة المنـورة، (ج2/ 636)، حديـث (691)؛ مـن طريـق: يحيـى، قـال: ثنـا عبد الله بـن دكـين، عـن فراس بـن عبـد الله، عـن الشـعبي، قـال: «إن الغنـاء ينبـت النفـاق في القلـب كـما ينبـت المـاء الـزرع، وإن الذكـر ينبـت الإيـمان في القلـب كـما ينبـت المـاء الـزرع». =

فسلامُ الله علَى قلوبٍ استنارَت بعِرفانِ أنواره، ولهِجَت بأذكاره، وحنَّت إليه وإلى جِواره، وتمثَّلَت بتقواه، واكتَحلَت بإيقانه.

عن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قال:** كان رسول الله ﷺ يَسيرُ في طريقِ مكّة، فَمَرَّ علَى جَبَلٍ يُقالُ لَه: جُمدانُ[1]، فقال: «**سيروا هَذا جُمدانُ، سَبَقَ**

= ۞ قال الذهبي في المهذب في اختصار السنن الكبرى، (ج8/ 4236): شعبة، عن الحكم، عن حماد، عن إبراهيم، قال ابن مسعود: «الغناء ينبت النفاق في القلب». محمد بن طلحة بن مصرف، عن سعيد بن كعب، عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد، عن ابن مسعود: مثله، زاد: «كما ينبت الماء الزرع، والذكر ينبت الإيمان في القلب كما ينبت الماء الزرع». قال الذهبي: هما منقطعان.

۞ قال ابن القيم في إغاثة اللهفان، ط دار ابن الجوزي، فصل: وأما تسميته منبت النفاق، (ج1/ 444): وهو صحيح عن ابن مسعود من قوله.

۞ قال ابن الملقن في البدر المنير، (ج9/ 633): ورواه البيهقي أيضًا موقوفًا على ابن مسعود، فذكره من حديث سعيد بن كعب المرادي، عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عنه: «الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع، والذكر ينبت الإيمان في القلب كما ينبت الماء الزرع»؛ وسعيد هذا مجهول، وما أعرفه روى عنه غير محمد بن طلحة اليامي.

(1) - بُجدان: بالضم ثم السكون: اسم جبل في طريق مكة من المدينة...كذا رواه الأزهري بالضم ثم السكون والدال مهملة، وأكثر الناس يرويه جمدان. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، (ج1/ 340).

۞ جُمدان: بالضم ثم السكون...قال أبو بكر بن موسى: (جمدان جبل بين ينبع والعيص على ليلة من المدينة)، وقيل: جمدان واد بين ثنية غزال وبين أمج، وأمج من أعراض المدينة... قال أبو هريرة: (مر النبي ﷺ في طريق مكة على جبل يقال له: بجدان...)، هكذا في كتاب الأزهري: بالباء الموحدة، ثم الجيم ثم الدال، وغيره يرويه كما ترجم به، قال ياقوت الحموي: (ولا أدري ما الجامع بين سبق المفردون، ورواية جمدان، ومعلوم أن الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات سابقون، وإن لم يروا جمدان، ولم أر أحدًا ممن فسر الحديث ذكر في ذلك شيئًا). انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، (ج2/ 161). قلت: تجد الجامع بين جمدان، وسبق المفردون في هامش (رواه مسلم). =

المُفَرِّدونَ[1]»، قالوا: وما المُفَرِّدونَ؟ يا رسول الله؟ قال: «الذّاكِرونَ اللهَ كَثيرًا والذّاكِراتُ»، رواه مُسلِمٌ[2].

ورَوَى الأعمَشُ[3]، عن سالِمِ بن أبي الجعدِ[4]، قال: قيلَ لأبي

= ۞ قال ابن قرقول في مطالع الأوار، ط الأوقاف، (ج2/ 195): جمدان: بالميم والدال، وصحفه يزيد بن هارون بالنون، وصحفه بعض رواة مسلم، فقال: «حمران» بالراء والحاء، وهو منزل من منازل أسلم بين قديد وعسفان.

(1) - قال أبو بكر بن العربي في المسالك في شرح موطأ مالك، ط دار الغرب الإسلامي، (ج3/ 433): قوله: «مفردون» يعني الذين أفردوا الله بالوجود الحقيقي، وبعموم العلم والقدرة، وبعموم الخلق، فلا خالق سواه، وباختصاص الإرادة يفعل ما يشاء، وبأن المرجع إليه، ومعناه: أنهم لم يروا إلا الله، وكأنه يريد بالموحدين الذين يروا الله واحدًا فردًا.

(2) صحيح مسلم (4- 2676).

۞ قال الوزير ابن هبيرة في الإفصاح عن معاني الصحاح، (ج8/ 183): وفي هذا الحديث من الفقه أن رسول الله ﷺ ذكر بانفراد هذا الجبل المفردين...وقوله: «سيروا» يجوز أن يكون المعنى أنه قال لهم وهم يسيرون: «سيروا»، أي: تلاحقوا لتسمعوا هذا، وذكرهم لسبق المفردين عن سيرهم هم، وقد فسرهم رسول الله ﷺ بقوله: «الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات»، فيعني ﷺ أم السير والسبق إنما هو بالذكر، فهو سير بالهمة، فهر يشبه في قطع مفازات الأعمار بسعي الأقدام في قطع مفاوز الأرض.

۞ قال ابن حجر الهيتمي في فتح الإله في شرح المشكاة، ط دار الكتب العلمية، كتاب الدعوات، (ج7/ 303-304): (فقال: «هذا جمدان»، أي: هذا الجبل الملقب بهذا اللقب الدال على الجمود المناسب لحالكم في جمودكم عن السير الظاهر، الذي ربما جر إلى الجمود عن السير الباطن، ولما ذكر ذلك ونبههم على ما هم فيه مما ينبغي الترقي عنه كأن سائلًا قال له: فما الذي يعيننا على ذلك السير الباطن الذي أشرت لنا إليه؟ فقال: الاشتغال بالذكر، فإن الطرق كلها متفقه على أنه الوسيلة العظمى والطريق المثلى).

(3) تقدمت ترجمته.

(4) هو سالم بن أبي الجعد الأشجعي مولاهم الكوفي، روى عن: أنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر بن الخطالب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعلي بن أبي طالب، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وغيرهم. روى عنه: سليمان الأعمش، وعمرو بن دينار، وقتادة بن دعامة، وغيرهم. قال يحيى بن معين، وأبو زرعة، والنسائي:=

الدّرداءِ: إنّ رَجُلًا أعتَقَ مِائةَ نَسَمة، قال: «إنّ ذلك من مالِ رَجُلٍ لَكَثيرٌ، وأفضَلُ من ذلك: إيمانٌ مَلزومٌ باللّيلِ والنّهارِ، ولا يَزالُ لِسانُ أحَدِكم رَطبًا من ذِكرِ الله»[1]، رواه ابنُ جريرٍ بإسنادِه في «آدابِ النُّفوسِ».

قال القاضي عياض: الّذي ضَبطناه عن شُيوخِنا: بفتحِ الفاءِ [100/ ب]، وكسرِ الرّاءِ[2]. وقال أبو زكريّا النّوويُّ[3]: روي بتَشديدِ الرّاءِ وتخفيفِها[4].

=(ثقة)، روى له الجماعة، توفي سنة: (97هـ، وقيل: 98هـ، وقيل: 100هـ، وقيل: 101هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، ترجمة (2142)، (ج10/ 130-133).

(1) رواه: 1- ابن المبارك في الزهد، حديث (959)؛ من طريق: أبو عمر بن حيويه، قال: حدثنا يحيى، حدثنا الحسين، أخبرنا عبد الله، أخبرنا موسى بن عبيدة، عن أبي عمران: أن رجلًا أعتق مائة رقبة في ماله، فذكر ذلك بعض جلساء ابن مسعود له، فدعا له بخير، وقال: ألا أخبركم بأفضل من ذلك؟ إيمان ملزوم بالليل والنهار، وأن لا يزال لسان أحدكم رطبًا من ذكر الله.

2- ابن أبي شيبة في مصنفه: - حديث (29464)، (ج6/ 59)، وحديث (35057)، (ج7/ 170-171)؛ من طريق: شريك، عن الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، قال: قيل لأبي الدرداء: إن أبا سعد بن منبه جعل في ماله مائة محررة، فقال: إن مائة محررة في مال رجل لكثير، ألا أخبركم بأفضل من ذلك؛ إيمان ملزوم بالليل والنهار، ولا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله.

3- الإمام أحمد في الزهد، حديث (730)؛ من طريق: عبد الرحمن، عن سفيان، عن منصور، عن سالم بن أبي الجعد، قال: -كلفظ ابن أبي شيبة-.

4- أبو نعيم في حلية الأولياء، (ج1/ 219)؛ من طريق الإمام أحمد.

۞ قال المنذري في الترغيب والترهيب، ط دار إحياء التراث العربي، كتاب الذكر والدعاء، الترغيب في الإكثار من ذكر الله سرًا وجهرًا والمداومة عليه، (ج2/ 395): رواه ابن أبي الدنيا موقوفًا بإسناد حسن.

(2) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض، (ج8/ 174).

(3) تقدمت ترجمته.

(4) قال النووي في شرحه على صحيح مسلم، (ج17/ 4): هكذا الرواية فيه: «المفَرِّدون»؛ بفتح الفاء، وكسر الراء المشددة، وهكذا نقله القاضي عن متقني شيوخهم، وذكر غيره أنه روي بتخفيفها، وإسكان الفاء، يقال: فرد الرجل، وفرد بالتخفيف، والتشديد.

قال الأزهريُّ[1]: همُ المتخلّون عَن النّاس بذكر الله تعالى[2]، [وقد جاء مفسَّرًا: قيلَ: يا رسول الله! وما المُفرِّدونَ؟ قال: «الذينَ اهتَروا[3] في ذكرِ الله، يَضَعُ الذّكرُ أثقالهم، فَيأتونَ خِفافًا»[4]. وقيل: معنى «أهتَروا»:

(1) تقدمت ترجمته.

(2) علّق عليه في حاشية الأصل أن كلامه هذا في تفسيره، والذي في تهذيب اللغة للأزهري:

۞ (ج6/ 233)، أبواب الهاء والتاء، مادة (هـ ت ر): قال أبو بكر: المفردون: الشيوخ الهرمى الذين مات لذاتهم وذهب القرن الذين كانوا فيهم. قال: والمفردون يجوز أن يكون عنى بهم المتفردون المتخلون بذكر الله.

۞ (ج14/ 99)، باب الدال والراء (من الثلاثي الصحيح)، مادة (فرد): قال ثعلب عن ابن الأعرابي: فرد الرجل إذا تفقه، واعتزل الناس، وخلا بمراعاة الأمر والنهي، وجاء في الخبر «طوبى للمفردين»، وذكر القتيبي هذا الحديث، وقال: «المفردون الذين قد هلك لذاتهم من الناس، وذهب القرن الذين كانوا فيه، وبقوا، فهم يذكرون الله»، قال الأزهري: وقول ابن الأعرابي في التفريد عندي أصوب، من قول القتيبي.

(3) يعني: الذين أولعوا به...ومستهتر: أي مولع به لا يتحدث بغيره، ولا يفعل غيره. وقيل: أراد بقوله «أهتروا في ذكر الله» كَبِروا في طاعته، وهلكت أقرانهم. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (هتر)، (ج10/ 4529).

(4) رواه: 1- الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، حديث (3896)؛ من طريق: أبو معاوية، عن عمر بن راشد، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «سبق المفردون»، قالوا: يا رسول الله، وما المفردون؟ قال: «المستهترون في ذكر الله، يضع الذكر عنهم أثقالهم، فيأتون يوم القيامة خفافًا». قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

2- الإمام أحمد في مسنده: - حديث (8290)، (ج14/ 44)؛ من طريق: أبو عامر العقدي، قال: حدثنا علي بن المبارك، عن يحيى بن أبي كثير، عن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة، قال: سمعت أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: قال رسول الله ﷺ: «سبق المفردون»، قالوا: يا رسول الله، وما المفردون؟ قال: «الذين يهترون في ذكر الله».

3- البخاري في التاريخ الكبير، حديث (3651)، (ج8/ 448-449)؛ قال البخاري بعد أن أورد طريق أبو عامر العقدي: (قال يحيى، عن محمد بن بشر العبدي، عن عمرو بن راشد، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، نحوه، وقال: «يضع الذكر عنهم=

أصابهم خبالٌ][1]. وقيلَ: المفرّدون: الموحِّدونَ. وقيلَ: الآحادُ مِنَ النّاسِ، الفُرادة بذكرِ اللهِ، واللهُ أعلَمُ.

وفي «الصّحيحَينِ» عن أبي موسى أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «**مَثَلُ الّذي يَذكُرُ رَبّه والّذي لا يَذكُرُ رَبّه، مَثَلُ الحيِّ والميِّتِ**»[2]، وفي مُسلِمٍ: «**مَثَلُ البيتِ الّذي يُذكَرُ اللهُ فيه، والبيتُ الّذي لا يُذكَرُ اللهُ فيه، مَثَلُ الحيِّ والميِّتِ**»[3]،

=أثقالهم، فيأتون يوم القيامة خفافًا». والأول أصح).

4- أبو عوانة في المستخرج على صحيح مسلم، ط الجامعة الإسلامية، (ج20/ 361-362)، كتاب الدعوات، حديث (11773)؛ من طريق: محمد بن بشر العبدي، قال: حدثنا عمر بن راشد، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، أو أبي الدرداء -كذا قال ابن بشر-، قال: قال رسول الله ﷺ: «سيروا، سبق المفردون»، قالوا: يا رسول الله! وما المفردون؟ قال: «الذين أهتروا بذكر الله، يضع الذكر عنهم أثقالهم، فيأتون يوم القيامة خفافًا».

5- الحاكم في المستدرك، حديث (1823/ 23)، (ج1/ 673)؛ من نفس طريق أحمد. قال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي.

6- البيهقي في شعب الإيمان: - حديث (503)، (ج2/ 51)؛ من نفس طريق أحمد.

۞ حديث (504)، (ج2/ 51)؛ من طريق: محمد بن عبد الله بن محمد بن صبح، قال: أخبرنا عبد الله بن سيرويه، حدثنا إسحاق بن راهوية، أخبرنا محمد بن بشر العبدي، عن عمر بن راشد اليمامي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ قال: «سيروا، سبق المفردون» قيل: يا رسول الله ومن المفردون؟ قال: «المستهترون بذكر الله عَزَّوَجَلَّ، يضع الذكر عنهم أثقالهم، فيأتون يوم القيامة خفافًا».

۞ قال البيهقي: أخبرنا أبو الحسين بن بشران ببغداد، حدثنا الحسين بن صفوان، حدثنا ابن أبي الدنيا، حدثنا محمد بن يزيد العجلي، حدثنا محمد بن بشر؛ فذكره بإسناده بنحوه غير أنه قال: «الذين أهتروا بذكر الله، يضع الذكر عنهم أوزارهم»، ولم يذكر ما بعده، والإسناد الأول أصح، والله أعلم.

(1) ما بين المعكوفين غير ظاهر في الأصل إلا كلمات يسيرة منه، والمثبت من مشارق الأنوار على صحاح الآثار (ج5/ 212).

(2) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، حديث (6407).

(3) صحيح مسلم (211- 779).

فجعَل بيتَ الذِّكرِ بمنزلة بيتِ الحيِّ، وبيتَ الغافلِ عنِ الذِّكرِ بمنزلة بيتِ الميِّتِ؛ وهو القبرُ، وفي اللّفظِ الآخرِ: جعَلَ الذّاكر بمنزلة الحيِّ، والغافلَ بمنزلةِ الميِّتِ؛ كما قيلَ [من الرجز]:

فَنِسيانُ ذِكرِ الله مَوتُ قُلوبِهِمُ   وَأجسامُهم قَبلَ القُبورِ قُبورُ(1)

وقالت أُمُّ الدّرداءِ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا: «لَقَد طلَبتُ العِبادةَ في كُلِّ شيءٍ، فَما وجَدتُ شَيئًا أشفَى لِصَدري ولا أحرَى أن أُصيبَ فيه الّذي أُريدُ من مَجالِسِ الذِّكرِ»(2).

---

(1) البيت بلا نسبة في: - تفسير الماوردي -النكت والعيون-، ط دار الكتب العلمية، ومؤسسة الكتب الثقافية، (ج2/ 163)؛ بلفظ:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله   فأجسامهم قبل القبور قبور

وإن امرأ لم يحي بالعلم ميت   وليس له قبل النشور نشور

۞ تفسير السمعاني، ط دار الوطن، (ج2/ 141)؛ بلفظ تفسير الماوردي.

۞ إغاثة اللهفان لابن القيم، الباب الرابع في أن حياة القلب وإشراقه مادة كل خير فيه وموته وظلمته مادة كل شر فيه، (ج1/ 23)؛ البيت الأول بلفظ تفسير الماوردي، وجاء البيت الثاني:

وأرواحهم في وحشة من جسومهم   وليس لهم حتى النشور نشور

۞ مدارج السالكين؛ لابن القيم، منزلة الذكر، (ج2/ 430)؛ البيت الأول بلفظ المنبجي، وتتمتها:

وأرواحهم في وحشة من جسومهم   وليس لهم حتى النشور نشور.

(2) رواه: 1- الإمام أحمد في الزهد (921)؛ من زيادات عبد الله بن الإمام أحمد، قال: حدثتني خديجة أم محمد سنة (226هـ)، وكانت تجيء إلى أبي فتسمع منه وتحدثنا، قالت: حدثنا إسحاق الأزرق، حدثني المسعودي، عن عون بن عبد الله، قال: كنا نجلس إلى أم الدرداء فنذكر الله عَزَّوَجَلَّ عندها، فقالوا: لعلنا قد أمللناك، قالت: تزعمون أنكم قد أمللتموني، فقد طلبت العبادة في كل شيء، فما وجدت شيئًا أشفى لصدري، ولا أحرى أن أصيب به الذي أريد من مجالس الذكر.

2- ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (ج1/ 428-429)، برقم (640)؛ من طريق: أبو بكر بن أبي الدنيا، قال: ثنا عمرو بن محمد، ثنا الوليد بن مسلم، ثنا الأوزاعي، ثنا=

وعن عبد الله بن بُسر، أنّ رَجُلًا قال: يا رسول الله! إنّ شَرائعَ الإسلام قد كَثُرَت عَلَيَّ، فَأخبِرني بشَيءٍ أتَشَبَّثُ بِه(1)، قال: «لا يَزالُ لِسانُكَ رَطبًا من ذِكرِ الله»، رواه التِّرمذيُّ، وابنُ ماجه، والحاكمُ في «مُستدركه»، وابنُ حبّان في «صَحيحِه»(2). وقولُه: «أتَشَبَّثُ به» معناه:

=حسين بن الحسن، عن عون بن عبد الله بن عتبة قال: لقد أتينا أم الدرداء فتحدثنا عندها، فقلنا: أمللناك يا أم الدرداء، فقالت: ما أمللتموني، لقد طلبت العبادة في كل شيء فما وجدت شيئا أشفى لنفسي من مذاكرة العلم -أو قال: مذاكرة الفقه-.

3- الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، (ج16/ 623)، من طريق عبد الله بن الإمام أحمد.

(1) قال الطيبي في شرح المشكاة، (ج5/ 1739): التنكير في بـ«شيء» للتقليل المتضمن لمعنى التعظيم... معناه: أخبرني بعمل يسير مستجلب لثواب كثير، فألازم عليه، وأعتصم به، ولم يرد بقوله: «كثرت عليّ» أنه يترك ذلك رأسًا، ويشتغل بغيره فحسب، وإنما أراد أنه بعد أداء ما افترض عليه، يتشبث بما يستغني به عن سائر ما لم يفترض عليه.

(2) رواه: 1- الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الذكر، حديث (3692)؛ من طريق: زيد بن حباب، عن معاوية بن صالح، عن عمرو بن قيس الكندي، به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

2- ابن ماجه في سننه، كتاب الأدب، باب فضل الذكر، حديث (3793)؛ من نفس طريق الترمذي.

3- ابن حبان في صحيحه، ط الأوقاف، ذكر الاستحباب للمرء دوام ذكر الله جَلَّ وَعَلَا في الأوقات والأسباب، حديث (446)؛ من طريق: ابن قتيبة، قال: حدثنا يزيد بن موهب، حدثنا ابن وهب، حدثني معاوية بن صالح، أن عمرو بن قيس الكندي حدثه، عن عبد الله بن بسر، قال: جاء أعرابيان إلى النبي ﷺ، فقال أحدهما: يا رسول الله، أخبرني بأمر أتشبث به، قال: «لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله تعالى».

4- الحاكم في المستدرك، (ج1/ 672)، حديث (1822/ 22)؛ من طريق: يحيى بن أبي طالب، قال: ثنا زيد بن الحباب، ثنا معاوية بن صالح، حدثني عمرو بن قيس السكوني، عن عبد الله بن بسر: أن أعرابيًا قال لرسول الله ﷺ: إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، فأنبئني بشيء أتشبث به، فقال: «لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله». قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي.

5- الإمام أحمد في مسنده: - حديث (17680)، (ج29/ 226)؛ من طريق: علي بن=

أَتمسَّكُ وأتَعَلَّقُ. وعن أبي سَعيدٍ، أنّ رسول الله ﷺ سُئِلَ: أيُّ العِبادِ أفضَلُ دَرَجة عند الله يومَ القيامة؟ قال: «**الذّاكِرونَ اللهَ كَثيرًا**»، قلتُ: يا رسول الله! ومَنِ الغازي في سَبيلِ الله؟ قال: «**لو ضَرَبَ بسَيفِه في الكُفّارِ والمُشرِكينَ حَتّى يَنكَسِرَ، ويَختَضِبَ دَمًا، لَكان الذّاكِرونَ أفضَلَ منه دَرَجة**»، رَواه التِّرمذيُّ وغرَّبَهُ(1). والذِّكرُ بابٌ واسعٌ، وقد ورَدَ في

=عياش، قال: حدثنا حسان بن نوح، عن عمرو بن قيس، به.

۞ حديث (17698)، (ج29/ 240)؛ من طريق: عبد الرحمن بن مهدي، عن معاوية بن صالح، عن عمرو بن قيس، قال: سمعت عبد الله بن بسر، يقول: جاء أعرابيان إلى رسول الله ﷺ، فقال أحدهما: يا رسول الله، أي الناس خير؟ قال: «من طال عمره، وحسن عمله»، وقال الآخر: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ...الحديث.

(1) رواه: 1- الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الذكر، حديث (3660). قال الترمذي: هذا حديث غريب إنما نعرفه من حديث دراج.

2- الإمام أحمد في مسنده، (11720)، (ج18/ 248)..

3- أبو يعلى في مسنده (428-1401)، (ج2/ 53-54).. =

=4- البغوي في شرح السنة (ج5/ 17) (1246)، و(1247).

۞ جميعًا عن: ابن لهيعة، عن دراج أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ ... الحديث.

۞ وفيه: دراج بن سمعان أبو السمح القرشي السهمي المصري القاص، مولى عبد الله بن عمرو بن العاص، رأى مولاه عبد الله بن عمرو بن العاص. وروى عن: حيي بن هانئ المعافري، والسائب مولى أم سلمة زوج النبي ﷺ، وأبي الهيثم سليمان بن عمرو العتواري وهو راويته، وغيرهم. روى عنه: حيوة بن شريح، وسالم بن غيلان التجيبي، وعبد الله بن سليمان الطويل، وعبد الله بن لهيعة، والليث بن سعد، وغيرهم. قال عبد الله بن الإمام أحمد، عن أبيه: (حديثه منكر)، وقال أبو عبيد الآجري، عن أبي داود: (أحاديثه مستقيمة إلا ما كان عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد)، وقال أبو حاتم: (في حديثه ضعف)، وقال الدارقطني: (متروك)، روى له البخاري في «الأدب»، وغيره، والأربعة، توفي سنة (126هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج8/ 477-480).

فضلِه والحثِّ علَيه ما قد أُفرد له مُجلَّدات، والّذي يغلُبُ علَى ظَنّي -والله أعلَم- أنّه ما ورَدَ عَنِ النّبيِّ ﷺ في فضلِ شيءٍ مِنَ العِباداتِ أكثَر ما ورَدَ في فضلِ الذِّكرِ، وله مِنَ الفوائدِ والمنافعِ الّتي لا يُحصيها إلّا الله تعالى، فنَذكُر منها ما يَسَّرَه الله تعالَى. فمنها: طردُ الشّيطانِ بالذِّكرِ، وهو أصلٌ عظيمٌ في التّحرُّزِ والتّحفُّظِ منه بالذِّكر، وهو أنفَع ما للعبد، فمَنِ ابتُلي بالوسواسِ كثرةً؛ ذكرَ اللهَ.

وقد ذكَرَ الحافِظُ أبو داودَ[1] بإسناده، عَنِ ابنِ عبّاسٍ في قولِه تعالى: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ [الناس: 4]، قال: «مَثَلُ الشّيطانِ كَمَثَلِ ابنِ عِرس، واضِعٌ فَمَه على فَمِ قَلبِه فيوَسوِسُ إليه، فإذا ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ»[2]. وأيضًا روي أنّه كان من دُعاءِ رسول الله ﷺ: «**أعمِر قَلبي من وَسَواسِ ذِكرِكَ، واطرُد عَنّي وسواسَ الشّيطانِ**»[3] [100/ أ].

قال بعضُ السّلفِ: إذا تمكَّنَ الذِّكرُ مِنَ القلبِ، فإذا دنا منه الشّيطانُ

---

(1) هو سليمان بن الأشعث، الإمام، شيخ السنة، مقدم الحفاظ، أبو داود، الأزدي السجستاني، محدث البصرة، ولد سنة (202هـ)، ورحل، وجمع، وصنّف، وبرع في هذا الشأن، قال الخطيب أبو بكر: (يقال: إنه صنف كتابه «السنن» قديمًا، وعرضه على أحمد بن حنبل، فاستجاده، واستحسنه)، وكان أبو داود مع إمامته في الحديث وفنونه من كبار الفقهاء، فكتابه يدل على ذلك، وهو من نجباء أصحاب الإمام أحمد، لازم مجلسه مدّة، وسأله عن دقاق المسائل في الفروع والأصول، توفي سنة (275هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج13/ 203-221).

(2) رواه الشبلي في آكام المرجان، ط دار الكتب العلمية، الباب السابع والثمانون في كيفية الوسوسة وما ورد في الوسواس، (ص:159)؛ من طريق: محمد ابن عبد الملك، قال: حدثنا يزيد، أنا روح بن المسيب، حدثنا عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس به.

۞ عزاه السيوطي في الدر المنثور، (ج15/ 807) إلى ابن أبي داود، عن ابن عباس به.

۞ قال القسطلاني في إرشاد الساري، (ج5/ 296): وعن ابن عباس فيما رواه عبد الله بن أبي داود السجستاني، قال:...

(3) رواه أبو بكر بن أبي داود في كتاب ذم الوسوسة، كما في الدر المنثور (15/ 807) عن مُعاوية بن أبي طلحة.

صُرِعَ كما يُصرَعُ الإنسانُ إذا دَنا منه الشّيطانُ، فتَجتمِعُ عليه الشّياطينُ فيَقولونَ: ما لِهذا؟ فيُقال: قد مَسّه الإنسيُّ[1]. فما للشّيطانِ طردٌ إلّا بالذِّكرِ، قال الله تعالَى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾ [الإسراء: 46]. ومنها: قضاءُ الحوائجِ، فمن فضلِ ذكرِ الله تعالى أن يقضيَ الله حاجتَه من غيرِ سُؤالٍ؛ لِما رَوى أبو سَعيدٍ الخُدريُّ، أنّ رسول الله ﷺ قال: «**يقولُ الرّبُّ عَزَّوَجَلَّ: مَن شَغَله القُرآنُ عن ذِكري ومَسألَتي أعطَيتُه أفضَلَ ما أُعطي السّائِلينَ، وفَضلُ كَلامِ الله على سائِرِ الكلامِ كَفَضلِ الله على خَلقِه**»، رواه التِّرمذيُّ وحَسَّنَه[2].

---

(1) ذكره عبد القادر الجيلاني في الغنية لطالبي طريق الحق (ص:303).

(2) رواه: 1- الترمذي في سننه، أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، حديث (3148). قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

2- الدارمي في سننه، باب فضل كلام الله على سائر الكلام، حديث (3399).

3- أبو نعيم في حلية الأولياء، (ج5/ 106).

4- البيهقي في الأسماء والصفات، حديث (507)، (ج1/ 581).

۞ جميعًا من طريق: محمد بن الحسن الهمداني، عن عمرو بن قيس، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

۞ قال محمد بن طاهر القيسراني المقدسي في تذكرة الحفاظ، ط دار الصميعي، (ص:332-333): رواه محمد بن الحسن الهمداني، عن عمرو بن قيس، عن عطيه، عن أبي سعيد الخدري. ومحمد هذا يقال له: ابن أبي يزيد من أهل الكوفة، ثم سكن واسط وبغداد، قال أحمد بن حنبل: رأيته كان لا يساوي شيئا. وقال يحيى بن معين: ليس بشيء.

۞ قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري، (ج9/ 66): رجاله ثقات إلا عطية العوفي ففيه ضعف.

۞ محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني ثم المعاشري، أبو الحسن الكوفي، نزيل واسط. روى عن: بكر بن خنيس، وثور بن يزيد الحمصي، وجعفر بن محمد الصادق، وسفيان الثوري، وسليمان الأعمش، وعمرو بن قيس الملائي، وغيرهم. روى عنه: أحمد بن منيع=

وعن ابنِ عُمرَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقولُ الله: مَن شَغَله ذِكري عن مَسألَتي أَعطَيتُه أكثَرَ ما أُعطيَ السّائِلينَ»، رواه ابنُ شاهين(1).

= البغوي، والحسن بن حماد الضبي الوراق، وسريج بن يونس، وشهاب بن عباد العبدي، وغيرهم. قال البخاري: (يُذكر عن أحمد أنه سئل عن محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني، فقال: ما أراه يسوى شيئًا...)، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه: (ضعيف)، وقال يحيى بن معين: (يكذب)، وقال ابن حبان: (ضعيف)، وقال النسائي: (متروك)، روى له الترمذي. انظر: تهذيب الكمال للمزي، ترجمة (5153)، (ج25/ 76-79).

۞ عطية بن سعد بن جنادة العوفي الجدلي القيسي، أبو الحسن الكوفي. تقدمت ترجمته، وبيان حاله.

۞ قال الطيبي في شرح المشكاة، (ج5/ 1656): يعني: لا يظن القارئ أنه إذا لم يطلب من الله حوائجه لا يعطيه أكمل الإعطاء، فإنه من كان لله كان الله له.

(1) هو الشيخ الصدوق، الحافظ العالم، شيخ العراق، وصاحب التفسير الكبير، أبو حفص، عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن أيوب بن أزداذ، البغدادي الواعظ، ولد سنة (297هـ)، جمع وصنف الكثير، وحدث عنه خلق كثير، قال أبو الفتح بن أبي الفوارس: (ثقة مأمون، صنّف ما لم يصنفه أحد)، توفي سنة (385هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج16/ 431-435).

رواه: 1- ابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال، حديث (153)، (ص: 56)؛ من طريق: عبد الله بن محمد البغوي، قال: ثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني، ثنا صفوان بن أبي الصهباء، عن بكير بن عتيق، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه، عن عمر، مرفوعًا.

2- الإمام أحمد في الزهد، حديث (503)؛ من طريق: أبو معاوية، قال: أخبرنا الأعمش، عن مالك بن الحرث، قال: يقول الله تعالى: من شغله ذكري عن مسألتي؛ أعطيه فوق ما أعطي السائلين.

3- ابن أبي شيبة في مصنفه، (ج6/ 34): - حديث (29271)؛ من نفس طريق أحمد.

۞ حديث (29273)؛ من طريق: ابن نمير، عن موسى بن أسلم، عن عمرو بن مرة رفعه.

4- البخاري في خلق أفعال العباد، ط أطلس الخضراء، حديث (579)، (ج2/ 280-281)؛ من طريق: ضرار، قال: حدثنا صفوان بن أبي الصهباء، عن بكير بن عتيق، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه، عن جده مرفوعًا. =

قال بعض العلماء: مَن شغَله ذكري عن ذكره لي، وذلك قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: 152] اذكروني بطاعَتي أذكُركُم برحمَتي[1]، فالذِّكرُ روح الأعمال الصّالحة ولُبُّها وأُنسُها. وما يُشبه هذا ويُؤيده ما ورَد في الحديث مرفوعًا: «**خَيرُ الدُّعاءِ دُعاءُ يوم عَرَفة، وخَيرُ ما قُلتُ أنا والنّبيّونَ من قَبلي: لا إله إلّا الله وحدَه لا شَريكَ لَه، له المُلكُ وله الحمدُ وهو على كُلِّ شَيءٍ قديرٌ**»، رواه أحمد، والتِّرمذيُّ[2]، ولفظُ أحمدَ: «**كان أكثَرُ دُعاءِ النّبيِّ ﷺ يومَ عَرَفة: لا إله إلّا الله**»... وذَكرَ الحديثَ[3]. وفي الحديث أيضًا: «**أفضَلُ الدُّعاءِ الحمدُ لله**»[4].

= ۞ قال ابن الجوزي في الموضوعات، (ج3/ 166): (قال ابن حبان: هذا موضوع، ما رواه إلا صفوان بهذا الإسناد، عن عطية، عن أبي سعيد. قال: فأما صفوان فيروي عن الأثبات ما لا أصل له من حديث الثقات، ولا يجوز الاحتجاج بما انفرد به).

۞ قال القسطلاني في إرشاد الساري، (ج9/ 173): استشكل حديث «من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين» المقتضي لأفضلية ترك الدعاء حينئذ مع الآية المقتضية للوعيد الشديد على تركه، وأجيب: بأن العقل إذا كان مستغرقًا في الثناء، كان أفضل من الدعاء، لأن الدعاء طلب الجنة، والاستغراق في معرفة جلال الله أفضل من الجنة...

(1) انظر: الآداب الشرعية لابن مفلح، ط الأوقاف، فصل في فضائل القرآن وأهله، (ج 2/ 458).

(2) رواه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، حديث (3885)؛ من طريق: عبد الله بن نافع الصائغ، عن محمد بن أبي حميد، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده مرفوعًا. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وحماد بن أبي حميد هو: محمد بن أبي حميد، وهو: أبو إبراهيم الأنصاري المديني، وليس هو بالقوي عند أهل الحديث.

(3) رواه الإمام أحمد في مسنده، (6961)، (ج11/ 548)؛ من طريق: روح، قال: حدثنا محمد بن أبي حميد، بهذا الإسناد. قتا الهيثمي في مجمع الزوائد، (ج3/ 252): رواه أحمد، ورجاله موثقون.

(4) رواه: 1- الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، حديث (3667)؛ من طريق: موسى بن إبراهيم بن كثير الأنصاري، قال: سمعت طلحة بن خراش، قال: سمعت جابر بن عبد الله، يقول: سمعت رسول الله ﷺ =

قيلَ لِسُفيانَ بن عُيَينة[1]: كيف جَعَلَها دُعاءً؟ قال: أما سَمِعتَ قول أُمَيّة بن أبي الصّلتِ[2] لِعبد الله بن جُدعانَ[3]، يَرجو نائِلةً [من الوافر]:

أأذكُرُ حاجَتي أم قد كَفاني حَياؤُكَ؟ إنّ شيمَتَكَ الحياءُ
إذا أثنى عليكَ المرءُ يوماً كَفاه من تَعَرُّضِه الثّناءُ[4]

=يقول: «أفضل الذكر: لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء» الحمد لله». قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم، وقد روى علي بن المديني، وغير واحد عن موسى بن إبراهيم، هذا الحديث.

2- ابن ماجة في سننه، أبواب الأدب، باب فضل الحامدين، حديث (3800)؛ من نفس طريق الترمذي.

3- النسائي في: - السنن الكبرى، حديث (10599)، (ج9/ 306)؛ من نفس طريق الترمذي. - عمل اليوم والليلة، ط مؤسسة الرسالة، أفضل الذكر وأفضل الدعاء، حديث (831) من نفس طريق الترمذي.

4- ابن حبان في صحيحه، ذكر البيان بأن الحمد لله جَلَّ وَعَلَا من أفضل الدعاء والتهليل له من أفضل الذكر، حديث (544)؛ من نفس طريق الترمذي.

5- الحاكم في المستدرك: - حديث (1834/ 34)، و حديث (1852/ 52)؛ من نفس طريق الترمذي. قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي.

(1) تقدمت ترجمته.

(2) هو أمية بن أبي الصّلت عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف، أبو عثمان، ويقال: أبو الحكم الثقفي، شاعر جاهلي، قدم دمشق قبل الإسلام، قال الأصمعي: (...وكل شعر قيل في الزهد غلب عليه أمية بن أبي الصّلت). انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر، (ج9/ 255-287).

(3) هو عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، سيد بني تيم، وهو ابن عم والد أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان من الكرماء الأجواد في الجاهلية المطعمين للمسنتين. انظر: البداية والنهاية لابن كثير، (ج2/ 505-507).

(4) انظر: ديوان أمية بن أبي الصلت، ط دار صادر، قافية الهمزة، (ص:17-20)؛ والأبيات بتمامها، هي:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء
وعلمك بالأمر وأنت قرم لك الحسب المهذب والسناء =

فإذا كان هذا مخلوقٌ اكتفى من مَخلوقٍ مثلِه بالثّناءِ عليه من سُؤالِه، فكيف بربِّ العالَمينَ؟[1] الّذي يُعطي من غيرِ ثناءٍ ولا سُؤالٍ إلّا إكرامًا وتَفَضُّلا وجودًا وحِلمًا، وهو مُطَّلِعٌ علَى ما في قلبِكَ ممّا ترجوه منه، فإنّه يعلَم خائنة الأعيُنِ وما تُخفي الصُّدور.

ومنها: أنّ مَنِ اشتغَلَ بذكرِ الله والصّلاةِ علَى النّبيِّ ﷺ؛ كفاه الله ما أهمَّه وغفَرَ ذنبَه؛ لِما رَوى أُبيِّ بن كعب، قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذَهَبَ ثُلُثا اللّيلِ قامَ، فقال: «**يا أيُّها النّاسُ اذكُروا اللهَ اذكُروا اللهَ جاءَتِ الرّاجِفةُ تَتبَعُها الرّادِفةُ، جاءَ الموتُ [101/ ب] بما فيه، جاءَ الموتُ بما فيه**»، قال أُبَيٌّ: قُلتُ: يا رسول الله! إنّي أُكثِرُ الصّلاةَ عليك فَكَم أجعَلُ لَكَ من صَلاتي؟ قال: «**ما شِئتَ**»، قُلتُ: الرُّبُعَ؟ قال: «**ما شِئتَ فإن زِدتَ فَهو خَيرٌ لَكَ**»، قُلتُ: النِّصفَ؟ قال: «**ما شِئتَ، فَإن زِدتَ فَهو خَيرٌ لَكَ**»، قُلتُ: فالثُّلُثَين[2]؟ قال: «**ما شِئتَ، فَإن زِدتَ فَهو خَيرٌ لَكَ**»، قُلتُ: أجعَلُ لَكَ صَلاتي كُلَّها؟ قال: «**إذًا تُكفَى هَمَّكَ، ويُغفَرُ لَكَ ذَنبُكَ**»، رواه التِّرمذيُّ

= كريم لا يغيره صباح ... عن الخلق السني ولا مساء
تباري الريح مكرمة وجودًا ... إذا ما الكلب أجحره الشتاء
فيوم منك خير من أناس ... تروح عليهم نعم وشاء
إذا أثنى عليك المرء يومًا ... كفاه من تعرضه الثناء
إذا خلفت عبد الله فاعلم ... بأن القوم ليس لهم جزاء
فأرضك كل مكرمة بناها ... بنو تيم أنت لها سماء
فأبرز فضله حقًّا عليهم ... كما برزت لناظرها السماء
فهل تخفى السماء على بصير ... وهل بالشمس طالعة خفاء

(1) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق، (ج9/ 273-276)، بلفظ: أأطلب حاجتي....، ورواه أيضًا بلفظ: أأذكر حاجتي....

(2) في الأصل: فالثلثان، والمثبت من سنن الترمذي، على تقدير: اجعل الثلثين.

وحسَّنَه، والحاكمُ في «مُستدركه»، وقال: صحيحُ الإسنادِ[1]. وقد فسَّرتِ الرّاجِفة: بالنّفخةِ الأولى، والرّادِفة: بالنّفخة الثّانيةِ[2].

ومنها: أنّ من فضلِ الذِّكر شِفاءً للقلبِ المريض وجلاؤه وصقاله، وقد رَوى ابنُ أبي الدُّنيا بإسناده، عن عُمرَ بن الخطّاب أنّه قال: «ذِكرُ الله شِفاءٌ، وذِكرُ النّاسِ داءٌ»، ذكَرَه مُرسلًا، عن مكحولٍ[3]،[4] وقد رَوى البيهَقيُّ بإسنادِه، عنِ ابنِ عُمرَ، عنِ النّبيِّ ﷺ أنّه قال: «**لِكلِّ شيءٍ صِقالةٌ[5]، وإنّ صِقالةَ القُلوبِ ذكرُ الله عَزَّوَجَلَّ، وما من عمَلٍ أنجى من عذابٍ من ذكرِ الله**»[6].

---

(1) رواه: 1- الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، حديث (2626). قال أبو عيسى: هذا حديث حسنٌ.

2- الحاكم في المستدرك، حديث (3578/ 715)، (ج2/ 457). قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). ووافقه الذهبي.

(2) قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر، (ج4/ 1561)، مادة (رجف): الراجفة: النفخة الأولى التي يموت لها الخلائق. والرادفة: النفخة الثانية التي يحيون لها يوم القيامة. وأصل الرجف: الحركة، والاضطراب.

(3) تقدمت ترجمته.

(4) رواه: 1- البيهقي في شعب الإيمان، حديث (705)؛ من طريق: ابن أبي الدنيا، قال: حدثنا علي بن إشكاب، حدثنا أبو النضر، حدثنا أبو عقيل، عن عبد الله بن يزيد، عن مكحول، قال: قال رسول الله ﷺ...الحديث. قال البيهقي: هذا مرسل، وروي عن عمر بن الخطّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من قوله.

2- قوام السنة في الترغيب والترهيب، حديث (1389)؛ من نفس طريق البيهقي.

۞ وهو حديث مرسل، وفيه: عبد الله بن يزيد الدمشقي، روى عنه: أبو عقيل عبد الله بن عقيل الثقفي. قال الجوزجاني: (عبد الله بن يزيد روى عنه ابن عقيل أحاديث منكرة...). انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر، (ج6/ 82).

(5) قال المناوي في فيض القدير، (ج2/ 511): بسين أو صاد مهملتين؛ أي: جلا.

(6) رواه البيهقي في: 1- الدعوات الكبير، باب ما جاء في فضل الدعاء والذكر، حديث=

وروواه ابنُ أبي الدُّنيا، ولفظُه: «إنّ هذه القُلوبَ لَتَصدَأُ كما يَصدَأُ الحديدُ»، قالوا: فما جلاؤُها يا رسول الله؟ قال: «تِلاوةُ كِتابِ الله، وكثرة ذكرِ الله»(1).

=(19)، (ج1/ 80)؛ من طريق: محمد بن إسحاق الصغاني، قال: حدثنا علي بن عيّاش، حدثنا سعيد بن سنان، حدثني أبو الزاهرية، عن أبي شجرة واسمه كثير بن مرة، عن عبد الله بن عمر رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا، عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «إن لكل شيء صقالة، وإن صقالة القلوب ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، وما من شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله»، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد، إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع».

2- شعب الإيمان، حديث (519)، (ج2/ 62)؛ كطريق كتاب الدعوات الكبير.

۞ وفيه: سعيد بن سنان الشامي، أبو مهدي الحنفي، ويقال: الكندي، الحمصي. روى عن: ثعلبة بن مسلم الخثعمي، وأبو الزاهرية حدير بن كريب، والوليد بن عامر اليزني، وغيرهم. روى عنه: بشر بن بكر التنيسي، وبقية بن الوليد، وعبد الله بن المبارك، وعلي بن عيّاش الحمصي، وغيرهم. قال الإمام أحمد: (ضعيف)، وقال يحيى بن معين: (ليس بثقة)، وقال الجوزجاني: (أخاف أن تكون أحاديثه موضوعة، لا تشبه أحاديث الناس)، وقال= =البخاري: (منكر الحديث)، وقال النسائي: (متروك الحديث)، وقال أبو أحمد بن عدي: (وعامة ما يرويه وخاصة عن أبي الزاهرية غير محفوظ)، روى له ابن ماجة، توفي سنة (163هـ، وقيل: 168هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج10/ 495-498).

(1) رواه: 1- الخرائطي في اعتلال القلوب، باب ما ينفي عن القلوب صداها، حديث (50)؛ من طريق: عبد الرحيم بن هارون، قال: حدثنا عبد العزيز بن أبي رواد، عن نافع، عن ابن عمر رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا مرفوعًا.

2- أبو نعيم في حلية الأولياء، (ج8/ 197)؛ من نفس طريق الخرائطي. قال أبو نعيم: غريب من حديث نافع، وعبد العزيز؛ تفرد به أبو هشام، واسمه عبد الرحيم بن هارون الواسطي.

3- البيهقي في شعب الإيمان، حديث (1859)، (ج3/ 392)؛ رواه من طريقين: أحدهما طريق الخرائطي. والآخر من طريق: عبد الله بن عبد العزيز بن أبي رواد، قال: حدثنا أبي، عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا. وفيه: «كثرة ذكر الموت، وتلاوة القرآن».

۞ قال ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ، حديث (2052)، (ج2/ 986): هذا منكر.

۞ قال ابن الجوزي في العلل المتناهية، كتاب الذكر، حديث (1390)، (ج2/ 832): هذا=

ومنهـا: أنّ مـن فضـلِ الذِّكـرِ عَـدمَ الغفلـةِ عـن اللـه، وقـد يكـون سـببَ عـدَمِ نسيانِه، فـإنّ ذكـرَ اللـه تعالـى ينَبّـه الغافِـلَ والنّاسـيَ، والفـرقُ بينَهمـا: أنّ الغفلَـةَ تكـون باختيـارِ العبـدِ، والنِّسـيان: تـركٌ بغيـر اختيـار، وقـد ذكـروا منه قولُـه تعالـى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ [الأعراف: 205]، ولـم يقُـل: ولا تكُـن مِـنَ النّاسين، ولـم ينهَ الله تعالـى عـنِ النِّسيانِ؛ لأنّـه لا يدخـلُ تحـت التّكليـفِ، كـذا ذكَـرَه غيرُ واحِـدٍ(1)، فذِكـرُ الله تعالـى يشـتَغِلُ به العبـدُ عَنِ الغيبة الفاشـيةِ فـي زمانِنـا والنّميمـة والكـذب والفُحش وغير ذلـك، فذِكرُ اللـه دَواءُ القُلوبِ؛ ولأنّ النِّسيانَ يدخـل علَـى الأنبيـاءِ دون الغفلـةِ.

فذِكـرُ اللـه تعالـى فـي محـلِّ الغافليـن بالأسـواق أفضَـلُ؛ لِعَظيـم مـا روي عـن عُمـرَ قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «**مَـن قـال: فـي سـوقٍ مـن هـذه الأسـواقِ: لا إلـه إلّا اللـه وحـدَه لا شَـريكَ لَـه، لـه المُلـكُ ولـه الحمـدُ، يُحـي ويُميـتُ وهـو حَـيٌّ لا يَمـوتُ، بيَـدِه الخيـرُ، وهـو علـى كُلِّ شَـيءٍ قديـرٌ؛ كَتَـبَ اللـه لـه ألـف ألـفِ حَسَـنة، ومَحـا عنـه ألـف ألـفِ سَـيِّئة، وبَنَـى لـه بَيتًـا(2) فـي الجنّـة**»، رواه الإمـام أحمـد، وابـنُ أبـي الدُّنيـا(3).

=حديـث مشـهور بعبـد العزيـز معـروف بروايـة عبد الرحيم بـن هـارون الغسـاني عنـه، وقـد سرقـه منـه إبراهيـم، فأمـا عبد العزيـز، فقـال ابـن حبـان: (كان يحـدث عـلى التوهـم والنسيان فسـقط الاحتجـاج بـه)، وأمـا عبد الرحيـم، فقـال الدارقطنـي: (مـتروك الحديـث، وكان يكـذب)، وأمـا إبراهيـم، فقـال ابـن عـدي: (كان يحـدث بالمناكـير) قـال: (وعنـدي أنـه يـسرق الحديـث).

(1) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، منزلة الذكر، (ج2/ 434).

(2) في الأصل: بيت، والمثبت من مسند الإمام أحمد.

(3) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده، حديث (327)، (ج1/ 410-411)؛ من طريق: حماد بن زيد، عـن عمرو بـن دينار مـولى آل الزبير، عـن سالم، عـن أبيه، عـن عمر مرفوعًـا. وفيـه زيـادة: «وبنى لـه بيتًا في الجنة».

2- الترمـذي في سـننه، أبـواب الدعـوات عـن رسـول الله ﷺ، بـاب مـا يقـول إذا دخـل السـوق، حديـث (3712)؛ مـن طريـق: يزيـد بـت هـارون، قـال: أخبرنـا أزهر بـن سـنان، حدثنـا محمد بـن=

قال أبو صالِحٍ[1]: إنّ اللهَ تعالى لَيضحكُ إلى العبدِ أن يذكرَه تعالى في السّوقِ[2]. وقال ابنُ الهُذيلِ[3]: إنّ اللهَ لَيُحبُّ أن يُذكرَ في السّوقِ،

=واسع، قال: قدمت مكة فلقيني أخي سالم بن عبد الله بن عمر فحدثني، عن أبيه، عن جده مرفوعًا. وفيه زيادة: «ورفع له ألف ألف درجة». قال الترمذي: (هذا حديث غريب. وقد رواه عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير، عن سالم بن عبد الله...هذا الحديث).

3- ابن ماجة في سننه، أبواب التجارات، باب الأسواق ودخولها، حديث (2235)؛ من نفس طريق أحمد.

۞ قال البزار في مسنده، (ج1/ 239): وهذان الحديثان رواهما عمرو بن دينار قهرمان دار الزبير، وهو مولى لهم يكنى أبا يحيى، روى عنه حماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وعبد الوارث، وخارجة بن مصعب، وسعيد بن زيد، وغيرهم، ولم يتابع عليهما.

۞ قال العقيلي في الضعفاء الكبير، (ج3/ 305): وقد روى هذا الحديث عمرو بن دينار القهرمان، وغيره، عن سالم؛ والأسانيد فيه فيها لين.

۞ قال الترمذي في العلل الكبير -ترتيب أبو طالب القاضي-، ط عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، (ص:363): سألت محمدًا -أي: البخاري- عن هذا الحديث، فقال: هذا حديث منكر.

(1) هو عبد الرحمن بن قيس، أبو صالح الحنفي الكوفي، أخو طليق بن قيس، قال يحيى بن معين: (أبو صالح الحنفي ثقة)، وذكره ابن حبان في كتاب «الثقات»، روى له مسلم، وأبو داود، والنسائي. انظر: تهذيب الكمال للمزي، رقم (3937)، (ج17/ 360-363).

(2) ذكره ابن بطة في الإبانة، المجلد الثالث، الكتاب الثالث، باب الإيمان بأن الله عَزَّوَجَلَّ يضحك، رقم (81)، (ص:111). وروى أبو داود في المراسيل، ط الرسالة، رقم (75)، (ص:112)؛ من طريق: أحمد بن إبراهيم، قال: حدثنا أحمد بن نصر، قال: سألت سفيان بن عيينة، قلت: يا أبا محمد، أريد أسألك، قال: لا تسأل، قلت: إذا لم أسألك، فمن أسأل؟ قال: سل، قلت: ما تقول في هذه الأحاديث التي رويت نحو: «القلوب بين إصبعين»، و«أن الله يضحك، أو يعجب ممن يذكره في الأسواق»، فقال: أمروها كما جاءت بلا كيف.

(3) هو عبد الله بن أبي الهذيل العنزي، أبو المغيرة الكوفي، روى عن: أبي بن كعب، وجرير بن عبد الله البجلي، وخباب بن الأرت، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وعمر بن الخطاب، وغيرهم. روى عنه: الأجلح بن عبد الله الكندي، وأشعث بن أبي الشعثاء، وخالد بن سليمان الزعافري، وأبو سنان ضرار بن مرة الشيباني، وعطاء بن السائب، وغيرهم. قال النسائي: (ثقة)، وذكره ابن حبان في كتاب=

ويُحِبُّ أن يُذكَرَ علَى كُلِّ أحيانِه، إلّا الخلاءَ[1].

وقال أبو قِلابةَ[2]: التَقَى رَجُلانِ في السّوقِ، فقال أحَدُهما للآخِرِ: تعالى حَتَّى نستغفِرَ اللهَ في غفلةِ النّاسِ، فَفَعَلا فماتَ أحَدُهما فلَقِيَه في النّومِ، فقال له: أعَلِمتَ أنّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ غَفَر لنا عَشيةَ التقَينا في السّوقِ[3]، رواه ابنُ أبي الدُّنيا، وروي أنّه كان أبو رِفاعةَ يأتي السّوقَ يقُولُ: أُريدُ أن أذكُرَ اللهَ حيثُ لا يُذكَرُ[4].

فإذا اشتغَلَ العبدُ بذكرِ الله؛ فقد اشتغَلَ بالدّواءِ الشّافي، وإن جعَلَ ذكرَ

=«الثقات»، وروى له البخاري في «القراءة خلف الإمام»، وفي «الأدب»، ومسلم، والترمذي، والنسائي. انظر: تهذيب الكمال للمزي، ترجمة (3629)، (ج16/ 244-246).

(1) رواه: أبو نعيم في الحلية (ج4/ 359)؛ من طريق: عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: ثنا وهب بن بقية، قال: ثنا خالد بن عبد الله، عن أبي سنان، عن عبد الله بن أبي الهذيل.

۞ وذكر ابن بطة في الإبانة، المجلد الثالث، الكتاب الثالث، باب الإيمان بالتعجب، رقم (104)، (ص:135)، بلفظ: إن الله تعالى ليعجب ممن يذكره في الأسواق.

(2) هو عبد الله بن زيد بن عمرو أو عامر بن ناتل بن مالك، الإمام، شيخ الإسلام، أبو قلابة الجرمي البصري، قدم الشام، وانقطع بداريّا. حدث عن: ثابت بن الضحاك، وأنس، ومالك بن الحويرث، وسمرة بن جندب، وعبد الله بن عباس، وأبي هريرة، وغيرهم. حديث عنه: مولاه أبو رجاء سلمان، ويحيى بن أبي كثير، وثابت البناني، وقتادة، وأيوب السختياني، وخالد الحذاء، وعاصم الأحول، وغيرهم. قال ابن سعد: (كان ثقة، كثير الحديث، وكان ديوانه بالشام)، وقال أيوب: (كان والله من الفقهاء ذوي الألباب)، اختلف في سنة وفاة بين عام (104هـ، و107هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج4/ 468-475).

(3) رواه: 1- ابن أبي شية في مصنفه، رقم (35692)، (ج7/ 241)؛ من طريق: أبي معاوية، عن عاصم، عن أبي قلابة.

2- ابن أبي الدنيا في: المنامات، رقم (89)، (ص:59)؛ من طريق: سويد بن سعيد، قال: حدثنا أبو معاوية، عن عاصم، عن أبي قلابة. وحسن الظن بالله، رقم (120)، (ص:111)؛ من طريق: ابن أبي عثمان عن أبي معاوية، عن عاصم الأحول، عن أبي قلابة.

(4) لم أقف عليه.

النّاسَ كان في الوقوعِ في أعراضِهم، فقد [101/ أ] نصَبَ منجنيقًا يرمي به حَسناتَه شَرقًا وغربًا، فهذا الدّاءُ المُهلك فليتداركه بالتوبةِ وليحذره كُلَّ الحذرِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الكهف: 28].

وفي أثرٍ إلهيٍّ يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: «يا ابنَ آدمَ! ما أنصفتَني، أذكُرُكَ وتَنساني، وأدعوكَ وتَهرُبُ إلى غيري، وأُذهِبُ عنكَ البلايا وأنت مُعتكِفٌ على الخطايا، يا ابنَ آدمَ! ما تقولُ غدًا إذا جِئتَني»[1]، وفي آخرَ: «يا ابنَ آدمَ! اذكُرني حينَ تَغضَبُ أذكُركَ حينَ أغضَبُ»[2].

---

(1) ذكره: عبد الكريم القشيري في الرسالة القشيرية، باب الذكر، (ص:386)؛ عن سهل بن عبد الله قال: ما من يوم إلا والجليل سبحانه ينادي: يا عبدي، ما أنصفتني..

۞ ابن القيم في مدارج السالكين، منزلة الذكر، (ج2/ 430)، قال: (وفي آخر: ابن آدم، ما انصفتني...).

(2) رواه: 1- ابن حبان في روضة العقلاء، ط أروقة، الباب الثالث والعشرون الحث على مجانبة الغضب لأنه المورد موارد العطب، (ص:325) قال: محمّد بن عثمان العقبى، قال: حدثنا إسحاق بن زكريا البناني، حَدَّثَنا عبد الصمد بن حسان، قال: حدثني وهيب، قال: مكتوب في الإنجيل: ابن آدم اذكرني حين تغضب، أذكرك حين أغضب، فلا أمحقك فيمن أمحق، وإذا ظلمت فلا تنتصر وارض بنصرتي؛ فإن نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك.

2- أبو نعيم في حلية الأولياء: - (ج3/ 65)؛ من طريق: - أبي محمد بن حيان، قال: ثنا علي بن جبلة، قال: ثنا محمد بن عبد العزيز، قال: ثنا أبي، عن المسيب، عن يزيد بن أبي زياد، عن طلق بن حبيب، قال: مكتوب في الإنجيل: ابن آدم اذكرني حين تغضب، أذكرك حين أغضب، ولا أمحقك فيمن أمحق، يا ابن آدم -فذكره-.

۞ (ج5/ 124)؛ من طريق: أبي بكر بن مالك، قال: ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، ثنا أبو المغيرة، ثنا بشر بن عبد الله بن يسار، ثنا عبد الله بن أبي زكريا، عن أبي ادريس عائذ الله، قال: إن ربكم تعالى قال: ابن آدم اذكرني حين تغضب، أذكرك حين أغضب، فلم أمحقك فيمن امحق.

۞ (ج5/ 215)؛ من طريق: محمد بن معمر، قال: ثنا أبو شعيب الحراني، ثنا يحيى بن عبد الله البابلتي، ثنا صفوان بن عمرو، قال: سمعت خالد بن معدان يقول: قال الله تعالى:=

وقال مالكٌ[1]: في بعض الكُتُب: «يقولُ الله: يا مَعشَرَ الظَّلمةِ! لا تُجالِسوا أهلَ ذِكري، فإذا ذَكَروني ذَكَرتُهم برَحمَتي، وإذا ذكَرتُموني ذَكَرتُكم بلَعنَتي»[2]. قال بعضُ الحُكماءِ: إذا أردتَ أن تعلَم قدرَك عندَ الله؛ فاعلم قدرَ طاعة الله في قلبِكَ[3].

فليَتدبَّر العاقِلُ هذا، وليَستَمسِك به، وليَعلم أنّ مَن عوَّدَ لِسانَه ذكرَ الله؛ صانَ الله لسانَه عن كُلِّ قولٍ لا يُحبُّه الله؛ لأنّ مُلازمةَ ذِكرِ الله تعالى هي سَبَبُ طَهارةِ لِسانِه عمّا لا يُحبُّه الله، نسألُ الله التوفيق لذلك.

ومنها: أنّ الذِّكرَ من أفضَل الأعمالِ، وهو روحُها ولُبُّها، وأنّ العمَلَ [إذا][4] خلا عَنِ الذِّكرِ كان كالجسَدِ الّذي لا روحَ فيه، فهو علَمُ الأعمالِ الصّالِحةِ.

عن أبي الدّرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أُنبِّئُكم بخَيرِ أعمالِكُم، وأزكاها عند مَليكِكُم، وأرفَعِها في دَرَجاتِكم، وخَيرٌ لَكم من إنفاقِ الذّهَبِ والفِضّة، وخَيرٌ لَكم من أن تَلقَوا عَدوَّكم فتَضرِبوا أعناقَهم ويَضرِبوا[5] أعناقَكُم؟**» قالوا: بلَى يا رسول الله! قال: «**ذِكرُ الله تعالى**»، رواه الإمامُ

=يا ابن آدم إن ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي، وإن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير من الملأ الذي ذكرتني فيهم، وإن ذكرتني حين تغضب أذكرك حين أغضب، فلم أمحقك فيمن أمحق.

(1) أي: مالك بن دينار؛ تقدمت ترجمته.

(2) ذكره الفريابي في صفة النفاق وذم المنافقين (ص:88)، رقم (45)، وفيه: (...أهل ذكري حتى تنزعوا عن الظلم، فإني روأت على نفسي أني أذكر من ذكرني فإذا ذكروني ذكرتهم برحمتي...).

(3) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال، (ج10/ 191).

(4) سقط من الأصل، والسياق يقتضيه، وهو بمعناه في مدارج السالكين لابن القيم، منزلة الخشوع، (ج1/ 526).

(5) في الأصل: ويضربون، والمثبت هو الجادة، كما في مصادر الحديث.

أحمدُ، والتِّرمذيُّ، وابنُ ماجه، والحاكِم، وقال: صَحيحُ الإسنادِ، وفي التِّرمذيِّ: قال مُعاذ: «ما من شَيءٍ أنجَى من عَذابِ الله من ذِكرِ الله»(1).

ومنها: أنّ من فضلِ الذِّكر والمُداومةِ عليه محبّة الله تعالى والعبادِ لَه، ومحبَّتُه لله، فالذِّكرُ هو السّبَبُ، فإنّ اللهَ أحَقُّ بكمالِ الحُبِّ والتّعظيمِ

(1) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده: - حديث (21702)، (ج36/ 33-34)؛ من طريق: يحيى بن سعيد، عن عبد الله بن سعيد، قال: حدثني مولى ابن عياش، عن أبي بحرية. ح: وحدثنا مكي، قال: حدثنا عبد الله بن سعيد، عن زياد بن أبي زياد، عن أبي بحرية، عن أبي الدرداء -مرفوعًا-.

۞ حديث (21704)، (ج36/ 36)؛ من طريق: عفان، قال: حدثنا وهيب، حدثنا موسى بن عقبة، حدثني زياد بن أبي زياد حديثًا يرفعه إلى أبي الدرداء، يرفعه إلى النبي ﷺ -الحديث-.

2- الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، حديث (3694)؛ من طريق: الحسين بن حريث، قال: أخبرنا الفضل بن موسى، عن عبد الله بن سعيد بن أبي هند، عن زياد مولى ابن عياش، عن أبي بحرية، عن أبي الدرداء -مرفوعًا-. قال الترمذي: وقد روى بعضهم هذا الحديث عن عبد الله بن سعيد مثل هذا... بهذا الإسناد، وروى بعضهم عنه، فأرسله.

3- ابن ماجه في سننه، كتاب الأدب، باب فضل الذكر، حديث (3790)؛ من طريق: يعقوب بن حميد بن كاسب، قال: ثنا المغيرة بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن سعيد بن أبي هند، عن زياد بن أبي زياد مولى ابن عياش، عن أبي بحرية، عن أبي الدرداء -مرفوعًا-.

4- الحاكم في المستدرك، حديث (1825/ 25)، (ج1/ 673)؛ من طريق: بكر بن محمد بن حمدان الصيرفي بمرو، قال: ثنا عبد الصمد بن الفضل البلخي، ثنا مكي بن إبراهيم، ثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند، عن زياد بن أبي زياد مولى ابن عياش، عن أبي بحرية، عن أبي الدرداء -مرفوعًا-. قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي.

۞ قال البغوي في شرح السنة، (ج5/ 16): هذا حديث حسن.

۞ قال عز الدين بن عبد السلام في قواعد الأحكام، (ج1/ 35): ومما يدل على أن الثواب لا يترتب على قدر النصب في جميع العبادات ما روى أبو الدرداء، عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم...» الحديث.

من كُلِّ أحَدٍ، فإذا أكثَرَ من ذكرِ الله؛ أحبَّه الله فأحَبَّته[1] العِبادُ، وقد ذكَرَ ابنُ أبي الدُّنيا، عنِ الحسَنِ البصريِّ[2]: أنّه قال: أحَبُّ عِبادِ الله إلى الله أكثرُهم له ذكرًا وأتقاهم قلبًا[3].

ومنها: أنّ دورَ الجنّة تُبنَى بالذِّكر، وقُصورَها وغِراسَها بذِكرِ الله، فيَنبَغي لكُلِّ شخصٍ أن يجتَهِدَ في كثرة دوره وقُصوره وبَساتينِه.

وقد روي عنِ الحكَم بن محمَّدٍ الأخنسيِّ[4] [102/ ب]، قال: بلَغَني أنّ دورَ الجنّة تُبنَى بالذِّكر، فإذا أُمسِكَ عَنِ الذِّكرِ أمسَكوا عَنِ البناءِ، فيُقالُ لهم؟ فيَقولونَ: حَتَّى تَأتيَنا نَفَقةٌ[5]، رواه ابنُ أبي الدُّنيا.

وفي حديثِ الإسراءِ: أنّه رأى إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقال: «**يا محمَّدُ! أقرئ أُمّتَكَ منّي السّلامَ، وأخبِرهم: أنّ الجنّة طَيِّبة التُّربة، عَذبة الماءِ، وأنّها قيعانٌ، وأنّ غِراسَها: سُبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إله إلّا الله، والله أكبَرُ**»، رواه الإمام أحمد، والتِّرمذيُّ وغيرُهما[6].

---

(1) كذا في الأصل، والأولى: فأحبَّه.

(2) تقدمت ترجمته.

(3) ذكره عنه: ابن رجب في جامع العلوم والحكم (ج2/ 515).

(4) حكيم بن محمد الأخنسي روى عنه أبو المغيرة النضر بن إسماعيل. انظر: الإكمال لابن ماكولا، (ج1/ 135).

(5) رواه الخطيب البغدادي في تلخيص المتشابه (ج1/ 150)؛ من طريق: ابن أبي الدنيا، قال: نا أبي سليمان الجرجاني، ثنا النضر بن إسماعيل البجلي، عن حكيم بن محمد الأخنسي.

(6) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده، حديث (23552)، (ج38/ 533)؛ من طريق: أبي عبد الرحمن، قال: حدثنا حيوة، قال: أخبرني أبو صخر، أن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر أخبره، عن سالم بن عبد الله، قال: أخبرني أبو أيوب الأنصاري: أن رسول الله ﷺ ليلة أسري به مر على إبراهيم، فقال: من معك يا جبريل؟ قال: هذا محمد، فقال له إبراهيم: مر أمتك فليكثروا من غراس الجنة، فإن تربتها طيبة، وأرضها واسعة، قال: وما غراس الجنة؟ قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. =

فَصْلٌ

ينبغي التّنبيه علَيه أوّلًا، وهو أنّ الذِّكرَ ثلاثةُ أنواعٍ:

أحدُها: ذكرُ الله تعالى بأسمائِه وصِفاتِه، والثّناءُ علَيه بها.

= 2- الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، حديث (3787)؛ من طريق: عبد الله بن أبي زياد، قال: حدثنا سيار، قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن ابن مسعود، -بلفظ المصنف-. قال الترمذي: (وفي الباب: عن أبي أيوب. هذا حديث حسن، غريب من هذا الوجه من حديث ابن مسعود).

3- الطبراني في: - المعجم الكبير، حديث (10363)، (ج10/ 214)؛ من نفس طريق سيار، عن عبد الواحد، به.

۞ المعجم الأوسط، حديث (4170)، (ج4/ 270-271)؛ من نفس طريق سيار، عن عبد الواحد، به. قال الطبراني: (لا يروى هذا الحديث عن ابن مسعود إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق عن القاسم).

۞ المعجم الصغير، حديث (539)؛ من نفس طريق سيار، عن عبد الواحد، به. قال الطبراني: (لم يروه عن القاسم إلا عبد الرحمن، ولا عنه إلا عبد الواحد، ولم يروه عن عبد الواحد مرفوعا إلا سيار بن حاتم).

۞ قال الهيثمي في مجمع الزوائد، (ج10/ 91): رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه عبد الرحمن بن إسحاق أبو شيبة الكوفي، وهو ضعيف.

۞ قال الطيبي في شرح المشكاة، (ج6/ 1831): (المعنى: أعلمهم أن هذه الكلمات تورث قائلها الجنة، وتفيد مخارفتها، وأن الساعي في اكتسابها لا يضيع سعيه؛ لأنها المغرس الذي لا يتلف ما استودع فيه. وأقول: هنا إشكال؛ لأن هذا الحديث يدل على أن الجنة أرض خالية عن الأشجار والقصور، ويدل قوله تعالى: «جنات تجري من تحتها الأنهار»، وقوله تعالى: «أعدت للمتقين»، على أنها غير خالية عنها؛ لأنها إنما سميت جنة لأشجارها المتكاثفة المظلة بالتفاف أغصانها، وتركيب الجنة دائر على معنى الستر، وأنها مخلوقة معدة للمتقين. والجواب: أنها كانت قيعانا، ثم إن الله تعالى أوجد بفضله وسعة رحمته فيها أشجارا وقصورا على حسب أعمال العاملين، لكل عامل ما يختص به بحسب عمله).

والثّاني: تلاوةُ كلامه وتَسبيحه وتَحميدِه وتكبيرِه وتوحيدِه وتَمجيدِه بها، وهو لفظُ الذِّكر عندَ كثيرٍ مِنَ المُتأخِّرينَ.

الثّالث: ذكرُه بأحكامِه وأوامرِه ونَواهيه، وذَكَر ابنُ بَطّالٍ في «شرحِ البُخاريِّ» عنِ ابنِ جَريرٍ أنّه روي عن عُمرَ بن الخطّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه قال: الذِّكرُ ذِكرانِ: أحدُهما: ذِكرُ الله عندَ أوامرِه ونَواهيه، والثّاني: ذكرُ الله باللِّسانِ وكِلاهُما فيه الأجرُ، إلّا أنّ ذكرَ الله عندَ أوامره ونَواهيه -إذا فعَلَ الذّاكِرُ ما أُمِر به وانتَهى عَمّا نُهي عنهُ- أفضلُ من ذكره باللِّسانِ معَ مُخالفةِ أمره ونَهيه، والفضلُ كلُّه والشّرفُ والأجرُ في اجتماعِهما مِنَ الإنسانِ، وهو ألّا يَنسَى ذكرَ الله عندَ أمرِه ونَهيه، ولا ينساه من ذكره بلِسانِه[1]. وهو ذكرُ أهل العِلم -كما قال عطاءٌ[2]-: مَجالِسُ الذِّكر هيَ مجالِسُ الحلالِ والحرام؛ لِتعلَمَ كيفَ تُصلّي وتَصومُ وتَبيعُ وتَشتَري وتَنكحُ وتُطلّق وأشباه ذلكَ[3].

---

(1) انظر: شرح صحيح البخاري؛ لابن بطّال (10/ 137).

(2) تقدمت ترجمته.

(3) رواه: أبو زرعة الدمشقي في تاريخه (ص:359)، رقم (761)؛ من طريق: أبي عبد الملك، قال: حدَّثنا يزيد بن سمرة، أنّه سمع عطاء الخراساني يقول: مَجالِسُ الذِّكرِ هي مَجالِسُ الحلالِ والحرامِ، كيف يَشتَري ويَبيعُ ويُصلّي ويَصومُ، ويَنكِحُ ويُطَلِّقُ، ويحج، وأشباه هذا.

۞ ومن طريق أبي زرعة رواه: - الطبراني في مسند الشاميين (ج3/ 294) (2299). - أبو نعيم في حلية الأولياء (ج5/ 195). جميعًا مختصرًا بلفظ: «مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام».

۞ الخطيب في الفقيه والمتفقه (ج1/ 94)، رقم (40)، وفيه: («مجالس الذكر، هي مجالس الحلال والحرام»، وهذا آخر حديث الطبراني، وزاد ابن راشد: «كيف تشتري وتبيع، وتصلي وتصوم، وتنكح وتطلق، وتحج، وأشباه هذا»).

۞ ابن عساكر في تاريخ دمشق (ج40/ 431-432)، وفيه: (زاد الميمون: كيف يشتري، ويبيع، ويصلي ويصوم، وينكح ويطلق، ويحج، وأشباه)

وذَكَرَ الخلّال في «جامِعه» عن عطاءٍ أيضًا أنّه قال: مَن جلَس مَجلِسًا للذِّكر كفَّر سبعينَ مجلِسًا من مجالِس الباطِل، فإن كان ذلك المجلِسُ في سَبيلِ الله يُكفِّرُ سبعينَ ألفًا من مجالِس الباطِل، ثُمَّ قال عطاءٌ: مجالِسُ الذِّكرِ كيفَ أُصلّي؟ كيفَ أُزكّي؟ كيفَ أُحُجُّ؟ كيفَ أنكِحُ؟ كيفَ أُطلِّق؟ كيفَ أبيعُ؟ كيفَ أشتَري؟ ذكَرَه في كتابِ العِلم[1].

والتّحقيق: أنّ ذكرَ الله تعالى [102/ ب] لا ينحَصِر في نوعٍ من هذه الأنواع، بل يشمَلُها ويشمَلُ غيرَها مِنَ الطّاعاتِ؛ كما قال سعيدُ بن جُبيرٍ[2]: كُلُّ عاملٍ لله بطاعَته فهو ذاكِرٌ لله تعالى[3]. لكن مِنَ النّاسِ مَن يعتَني بذكرِ الثّناءِ؛ نحوُ: «سُبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إله إلّا الله، والله أكبَرُ، وسُبحان الله وبِحمدِه»، ونحوُ ذلك.

ومنهم: مَن يعتَني بذكرِ الدُّعاءِ؛ نحوُ: «﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: 23]، يا حَيُّ يا قَيّومُ؛ لا إله إلّا أنت برَحمَتِكَ أستَغيثُ»، ونحوُ ذلك. ومنهم مَن يعتَني بذكرِ الرِّعايةِ؛ نحوُ قولِ

---

(1) ذكره عنه ابن مفلح في الآداب الشرعيّة، فصل في طلب العلم وما يبدأ به منه وما هو فريضة منه وفضل أهله، (ج2/ 131).

(2) تقدمت ترجمته.

(3) ذكره: - النووي في كتاب الأذكار، ط الأوقاف، (ص:51) بهذا اللفظ، وقال: (كذا قاله سعيد بن جبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره من العلماء).

۞ البغوي في شرح السنة، ط المكتب الإسلامي، باب فضل ذكر الله عَزَّوَجَلَّ ومجالس الذكر، (ج5/ 10)، بلفظ: (قال سعيد بن جبير: الذكر طاعة الله، من أطاع الله فقد ذكره، ومن لم يطعه؛ فليس بذاكر وإن أكثر التسبيح وتلاوة الكتاب).

۞ ورواه ابن المبارك في الزهد، ط دار الكتب العلمية، باب في خوف الله واجتناب معاصيه، رقم (138)، (ج2/ 35)؛ من طريق: ابن لهيعة، عن عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير، قال: الخشية أن تخشى الله حتى تحول خشيته بينك وبين معصيته، فتلك الخشية، والذكر طاعة الله، ومن أطاع الله فقد ذكره، ومن لم يطع الله فليس بذاكر، وإن أكثر التسبيح وتلاوة الكتاب.

الذّاكِر: «الله معي، ناظِرٌ إليَّ». والّذي ينبَغي للعبدِ أن لا يقتصِرَ علَى ذكرٍ واحِدٍ، بل يجتَهِد في الأذكارِ النّبويّة والإكثارِ منها علَى اختلافِ أنواعِها، فإنّها مُتضمنة لِما ذكرناه، ولغير ذلك، والله أعلم.

فَصْلٌ

والذِّكرُ في القرآن ورَدَ علَى عِشرينَ وجهًا، فمِنَ العُلماءِ والمُفسرينَ مَن ذَكرَه في عشرةٍ، ومنهم مَن ذكره اثنا عشَرَ، ومنهم أكثرَ وأقلَّ من ذلك:

أحدُها: الأمرُ به مُطلقًا ومُقيَّدًا؛ كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: 41-42]، وقوله: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ﴾ [الأعراف: 205]، وكقوله: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: 152]، وكقوله: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾ [البقرة: 198]، وكقوله: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران: 41]، فيه قولانِ[1]: أحدُهما: في سِرِّكَ وقلبِكَ.

الثّاني: بِلسانِكَ بحيثُ تُسمِعُ نفسكَ[2].

الثّاني: النّهي عن ضِدِّه مِنَ الغفلة والنِّسيان؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: 205]، وكقوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ [الحشر: 19].

---

(1) قال ابن الجوزي في زاد المسير، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ﴾، (ج3/ 313): في هذا الذكر أربعة أقوال: أحدها: أنه القراءة في الصلاة، قاله ابن عباس؛ فعلى هذا أمر أن يقرأ في نفسه في صلاة الإسرار. والثاني: أنه القراءة خلف الإمام سرًا في نفسه، قاله قتادة. والثالث: أنه ذكر الله باللسان. والرابع: أنه ذكر الله باستدامة الفكر، لا يغفل عن الله تعالى.

(2) راجع: مدارج السالكين لابن القيم، (ج2/ 425).

الثّالث: تعليق الفلاح بالكثرة والمُداومة، فإنّ اللهَ تعالى لم يرضَ مِنَ الذِّكر إلّا بالكثير، بخِلافِ غيرِه، قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥﴾[1] [الأنفال: 45].

الرّابع: الثّناء علَى أهله، والإخبارُ بما أُعِدَّ لهم مِنَ المغفرةِ والجنّاتِ والدّرجاتِ؛ كقولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾... إلى قوله: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾[2] [الأحزاب: 35].

الخامس: الإخبارُ عن خُسرانِ مَن لها عن ذكرِ الله بغيرِه؛ كقولِه تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩﴾[3] [المنافقون: 9]، وقولِه: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الكهف: 28]، وقولِه: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي﴾ [طه: 124] يعني: إلى غيري[4].

السّادِس: أنّه جعَلَ ذكرَه سُبحانه لهم جزاءً لِذكرِهم لَه؛ كقولِه تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: 152].

السّابع: الإخبارُ بأنّه أكبَرُ من كُلِّ شيءٍ؛ كقولِه تعالى: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ

---

(1) روى الطبري في تفسيره، (ج11/ 213)؛ عن قتادة، قال: افترض الله ذكره عند أشغل ما تكونون؛ عند الضراب بالسيوف.

(2) قال الرازي في تفسيره، ط دار الفكر، (ج25/ 212): يعني هم في جميع هذه الأحوال يذكرون الله، ويكون إسلامهم وإيمانهم وقنوتهم وصدقهم وصبرهم وخشوعهم وصدقتهم وصومهم بنية صادقة لله، واعلم أن الله تعالى في أكثر المواضع حيث ذكر الذكر قرنه بالكثرة...

(3) اللهو: ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه. انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، مادة (لهى)، (ص:593).

(4) قال ابن جرير الطبري في تفسيره، (ج16/ 192): يقول تعالى ذكره: ومن أدبر معرضًا عن ذكري الذي أُذكّره به، فتولى عنه، ولم يقبه، ولم يستجب له، ولم يتعظ به، فينزجر عما هو عليه مقيم من خلافه أمر به، «فإن له معيشة ضنكًا».

إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ [العنكبوت: 45] [102/ ب]، وقد تقدَّم قريبًا قولُ بعضِ المُفسّرين في تفسيرِ هذه الآية، فلا حاجةَ إلى تكرارِها، لكن قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ في هذه الآية: إنّ في الصّلاةِ فائدتَينِ عظيمتَينِ:

إحداهُما: نَهيُها عَنِ الفحشاءِ والمُنكَر.

والثّاني: اشتِمالُها علَى ذكرِ الله تعالى، وتَضمُّنُها لَه، وما تضمَّنته من ذكرِ الله أعظَم من نَهيها عَنِ الفحشاءِ والمُنكَرِ، انتهَى[1].

وذكَرَ غيرُه أقوالًا: منها: أنّ المعنَى: أنّكم إذا ذكَرتُم اللهَ ذكَركُم اللهُ، مكانُ ذكرِه لكُم أكبر من ذكرِكم لَه، فعلى هذا: المصدرُ مُضافٌ إلى الفاعِلِ، وعلَى الأوّلِ مُضافٌ إلى المذكورِ الثّاني: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ من أن يبقَى معَه فاحِشةٌ أو مُنكَرٌ، بل إذا تَمَّ الذِكرُ مُحق كلُّ معصيةٍ، وقد تقدمَ، وذَكَر الواقِديُّ في بعضِ كتُبه: أنّ أوّلَ كلِمةٍ تكلّم بها النّبيُّ ﷺ وهو مُسترضَعٌ عندَ حليمةَ: اللهُ أكبرُ[2].

الثّامِن: أنّه جعَله خاتمةَ الأعمالِ الصّالحةِ، كما كان مِفتاحَها، فكما ختَم به سُبحانه عملَ الصّيام؛ كقولِه: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة: 185]، وختَم به الحجَّ ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ﴾ [البقرة: 200]، وختَمَ به الصّلاةَ؛ كقولِه: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ﴾ [النساء: 103]، وختَمَ به صلاةَ الجُمُعةِ؛ كقولِه تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة: 10]؛ ولهذا

---

(1) ذكره عنه ابن القيم في: مدارج السالكين، (ج2/ 426).

(2) ذكره عنه: السهيلي في الروض الأنف، تحقيق/ عبد الرحمن الوكيل، (ج7/ 577).

إذن، مَن كان خاتمةُ حياةِ العبدِ مِنَ الدُّنيا وآخِرُ كلامه ذكرَ الله وتوحيدَه دخَلَ الجنّة.

التّاسِع: الإخبار عن أهله بأنّهم أهل الانتِفاع بآياتِه، وأنّهم أولو الألباب[1] دونَ غيرِهم؛ كقولِه تعالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 190- 191].

العاشِر: أنّه جعَله قرينَ جميعِ الأعمالِ الصّالِحة وروحَها، فمَتَى عدمته كانت كالجسدِ بلا روحٍ؛ كقولِه تعالَى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه: 14]، وقَرَنَه بالصّيام والحجِّ ومناسِكه، بل هو روح الحجّ ولُبُّه؛ كقولِ النّبي ﷺ: «**إنّما جُعِلَ الطّوافُ بالبيتِ، والسّعيُ بَينَ الصّفا والمروة، ورَميُ الجِمارِ إلّا لإقامةِ ذِكرِ الله**»[2]، وكقولِه عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**الحجُّ العَجُّ والثَّجُّ**»[3]، فالعجُّ:

---

(1) أي: ذوي العقول السليمة. انظر: زاد المسير لابن الجوزي، (ج4/ 297).

(2) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده: - حديث (24351)، (ج40/ 408).

2- أبو داود في سننه، كتاب المناسك، باب في الرمل، حديث (1888).

3- الترمذي في سننه، أبواب الحج عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء كيف ترمى الجمار، حديث (920). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

4- الدارمي في سننه، كتاب المناسك، باب في سنة الحاج، باب الذكر في الطواف والسعي بين الصفا والمروة، حديث (1895).

۞ جميعًا من طريق: عبيد بن أبي زياد، قال: سمعت القاسم بن محمد، قال: قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قال رسول الله ﷺ: «إنّما جُعِلَ الطّوافُ بالبيتِ، وبِالصّفا والمروة، ورَميُ الجِمارِ؛ لِإقامة ذِكرِ الله عَزَّ وَجَلَّ».

(3) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده، حديث (16566)، (ج27/ 99)؛ من طريق: عفان، قال: حدثنا حماد بن سلمة، قال: أخبرنا محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي لبيد، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، عن السائب بن خلاد: أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أتى النبي ﷺ، فقال: «كن عجّاجًا ثجاجًا». والعج: التلبية. والثج: نحر البُدن. =

رفعُ الصَّوتِ بذِكرِ الله بالتّلبيةِ[1]، والثّجُّ: إراقةُ الدّمِ[2].

الحادي عَشرَ: ذكرُ [103/ أ] الله باللّسانِ ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ [البقرة: 200].

الثّاني عَشرَ: ذِكرُ الله بالقلبِ؛ كقولِه تعالى: ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾[3] [آل عمران: 135].

الثّالث عَشرَ: العِظة؛ كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾[4] [الأعراف: 165].

=2- الترمذي في سننه: - أبواب الحج عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل التلبية والنحر، حديث (844)؛ من طريق: ابن أبي فديك، عن الضحاك بن عثمان، عن محمد بن المنكدر، عن عبد الرحمن بن يربوع، عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ سُئل: أيّ الحج أفضل؟ قال: «العجُّ والثّجُّ». - أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، سورة آل عمران، حديث (3261)؛ من طريق: إبراهيم بن يزيد، قال: سمعت محمد بن عباد بن جعفر يحدث، عن ابن عمر، قال: قام رجل إلى النبي ﷺ، فقال: من الحاج يا رسول الله؟ قال: «الشعث التفل»، فقام رجل آخر، فقال: أيّ الحج أفضل يا رسول الله؟ قال: «العجُّ والثّجُّ»، فقام رجل آخر، فقال: ما السبيل يا رسول الله؟ قال: «الزاد والراحلة». قال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث إبراهيم بن يزيد الخوزي المكي، وقد تكلم بعض أهل العلم في إبراهيم بن يزيد من قبل حفظه.

3- ابن ماجة في سننه، كتاب المناسك: - باب ما يوجب الحج، حديث (2896)؛ من نفس طريق ولفظ الترمذي (3261). قال وكيع: يعني بـ«العج»: العجيج بالتلبية. و«الثج»: نَحر البُدن. - باب رفع الصوت بالتلبية، حديث (2924)؛ من نفس طريق ولفظ الترمذي (844).

4- الدارمي في سننه، من كتاب المناسك، باب أي الحج أفضل، حديث (1838)؛ من نفس طريق ولفظ الترمذي (844).

(1) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (عجج)، (ج6/ 2660).

(2) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (ثج)، (ج2/ 499).

(3) قال ابن الجوزي في زاد المسير، (ج1/ 463): وفي قوله تعالى: ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ قولان: أحدهما: أنه ذكر اللسان، وهو الاستغفار؛ قاله ابن مسعود وعطاء في آخرين. والثاني: أنه ذكر القلب...

(4) قال ابن جرير الطبري في تفسيره، (ج9/ 244): يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾: فلما تركوا العمل بما أمرناهم به على ألسن رسلنا. ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ =

الرّابعَ عَشرَ: البيانُ؛ كقوله تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾(1) [الأعراف: 63].

الخامِسَ عَشرَ: الحديثُ؛ كقوله تعالى: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: 42]؛ أي: حَدِّثه بحالي وقِصَّتي.

السّادِسَ عَشرَ: أنّ التّوراةَ والقرآنَ يُسمَّيانِ ذكرًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ [النحل: 43- 44]، والذِّكر بالقرآن هو أعظَمُ الذّكر ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)﴾ [الحجر: 9]، ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: 2].

السّابعَ عَشرَ: الشّرَفُ؛ كقوله تعالى: ﴿كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾(2) [الأنبياء: 10].

الثّامِنَ عَشرَ: اللّوحُ المحفوظُ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾(3) [الأنبياء: 105].

=شَيْءٍ﴾ يقول: بدلنا مكان البأساء الرخاء والسعة في العيش، ومكان الضراء الصحة والسلامة في الأبدان والأجسام؛ استدراجًا منّا لهم.

(1) قال ابن جرير الطبري في تفسيره، (ج10/ 262): يقول: أوعجبتم أن جاء تذكير من الله وعظة، يذكركم بما أنزل ربكم على رجل منكم... لينذركم بأمن الله، ويخوفكم عقابه على كفركم به.

(2) قال ابن الجوزي في زاد المسير، (ج5/ 341): فيه ثلاثة أقوال: أحدها: فيه شرفكم؛ قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: فيه دينكم؛ قاله الحسن، يعني: فيه ما تحتاجون إليه من أمر دينكم. والثالث: فيه تذكرة لكم لما تلقونه من رحمة أو عذاب؛ قاله الزجاج.

(3) قال ابن الجوزي في زاد المسير، (ج5/ 397): فيه أربعة أقوال: أحدها: أن «الزبور»: جميع الكتب المنزلة من السماء، و«الذكر»: أم الكتاب الذي عند الله؛ قاله سعيد بن جبير في رواية، ومجاهد، وابن زيد، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية ابن جبير، فإنه قال: «الزبور»: التوراة والإنجيل والقرآن، و«الذكر»: الذي في السماء. والثاني: أن «الزبور»: الكتب، و«الذكر»: التوراة؛ رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أن «الزبور»: القرآن، و«الذكر»: التوراة والإنجيل؛ قاله سعيد بن جبير في رواية. والرابع: أن «الزبور»: زبور داود، و«الذكر»: ذكر موسى؛ قاله الشعبي.

التّاسعَ عَشرَ: الوحيُ؛ كقولِه تعالى: ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ٣﴾ [1] [الصافات: 3].

العشرونَ: صلاةُ العصرِ؛ كقولِه تعالى: ﴿حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ [2] [ص: 32].

وهو في القرآنِ علَى أكثر من ذلك ممّا لا أُحصيه ولا اطَّلعت عليه أوِ اطَّلعتُ عليه ولا أعلَم معناه؛ كقولِه تعالى: ﴿قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا ١٠ رَّسُولٗا﴾ [الطلاق: 10-11]، فقيل: ﴿ذِكۡرٗا ١٠﴾: القرآن، و﴿رَّسُولٗا﴾: محمد. وقيل: ﴿رَّسُولٗا﴾: جِبريلُ، فعلى هذا: الذّكرَ والرسولَ مُنزلين، وعلَى الأوّل: وبَعث رَسولًا، وقال ثعلبُ[3]: الرّسولُ: هو الذِّكرُ[4]. وقيلَ غير ذلك، فلِذلك أضربتُ عن مثلِ هذا وأشباهِه، والله أعلَم.

فَصْلٌ

وقد أمَر الله تعالى عبادَه بكثرة ذكره في غيرِ آية من كتابِ اللهِ[5]، كقولِه تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١﴾ [الأحزاب: 41]، وقولِه: ﴿وَٱبۡتَغُواْ مِن [104/ب] فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠﴾ [الجمعة: 10]، وقولِه: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: 35]، ولم يأمُر في سائرِ العِباداتِ بكثرة الصّلاةِ والصّيام والحجِّ ونحوِ ذلك، كما أمَر بكثرة الذّكرِ، وذلك -والله أعلَم- أنّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُحبُّ المدحَ فما أحَدٌ

---

(1) قال ابن الجوزي في زاد المسير، (ج7/ 45): وفي التاليات ذكرًا ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الملائكة تقرأ كتب الله تعالى؛ قاله ابن مسعود، والحسن، والجمهور. والثاني: أنهم الرسل؛ رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: ما يُتلى في القرآن من أخبار الأمم؛ قاله قتادة.

(2) قال ابن جرير الطبري في تفسيره، (ج20/ 84-85): وقوله: ﴿عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ يقول: إني أحببت حب الخير، حتى سهوت عن ذكر ربي، وأداء فريضته. وقيل: إن ذلك كان صلاة العصر...

(3) تقدمت ترجمته.

(4) راجع: زاد المسير لابن الجوزي، ط الشيخ علي، (ج8/ 298).

(5) كذا في الأصل، والأولى: كتابه، بإعادة الضمير إلى لفظ الجلالة.

أَحَبّ إليه المدحُ مِنَ الله، يُؤيّد ذلك ما حكاه الله تعالى عن ملائكتِه في قولِه تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء: 20]، فهو سُبحانَه لم يَرضَ مِنَ الذِّكر إلّا بالكثيرِ منه، وذَكَرَ ابنُ بَطّالٍ في «شَرحِ البُخاريِّ»[1] عَنِ ابنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا، أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «مَن عَجَزَ منكم عَنِ اللّيلِ أن يُكابِدَهُ[2]، وبَخِلَ بالمالِ أن يُنفِقَه، وجَبُنَ عَنِ العدوِّ أن يُجاهِدَه؛ فَلْيُكثِر من ذِكرِ الله عَزَّوَجَلَّ»[3].

---

(1) انظر: شرح صحيح البخاري؛ لابن بطّال (ج10/ 136).

(2) (كبد) الكاف والباء والدال أصل صحيح يدل على شدة في شيء وقوة. من ذلك الكبد، وهي المشقة. يقال: لقي فلان من هذا الأمر كبدا، أي مشقة. قال تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤﴾ [البلد: 4] وكابدت الأمر: قاسيته في مشقة. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج5/ 153).

(3) رواه: 1- ابن أبي شيبة في مصنفه، تحقيق/ كمال يوسف الحوت، كتاب الدعاء، ما قالوا في الرجل إذا بخل بماله أو جبن عن العدو وعن الليل أن يقومه وما يدعو به، حديث (29726)؛ من طريق: شبابة، عن شعبة، عن أبي التياح، عن مورق العجلي، عن عبيد بن عمير، قال: إن عجزتم عن الليل أن تكابدوه، وعن العدو أن تجاهدوه، وعن المال أن تنفقوه، فأكثروا من: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنهن أحب إلي من جبلي ذهب وفضة.

2- عبد بن حميد في المنتخب، حديث (641)؛ من طريق: عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من عجز منكم عن الليل أن يكابده، وبخل بالمال أن ينفقه، وجبن عن العدو أن يجاهده، فليكثر ذكر الله».

3- البخاري في الأدب المفرد، حديث (275)؛ من طريق: محمد بن كثير، قال: أخبرنا سفيان، عن زبيد، عن مرة، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنهُ، قال: «إن الله تعالى قسم بينكم أخلاقكم، كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله تعالى يعطي المال من أحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب، فمن ضن بالمال أن ينفقه، وخاف العدو أن يجاهده، وهاب الليل أن يكابده، فليكثر من قول: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر.

4- أبو داود في الزهد، حديث (157)؛ من طريقين: أحدهما كطريق البخاري في الأدب المفرد. والثاني من طريق: أحمد بن يونس، قال: أنبأنا زهير، قال: أنبأنا زبيد، عن مرة، عن عبد الله بن مسعود، به.

=

=5- البزار في مسنده، (ج11/ 168)، حديث (4904)؛ من نفس طريق عبد بن حميد. قال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى إلا عن ابن عباس، عن النبي ﷺ، ولا نعلم له طريقًا عن ابن عباس إلا هذا الطريق، وأبو يحيى فلا نعلم به بأسا قد روى عنه جماعة من أهل العلم، وهو كوفي معروف.

6- الطبراني في الكبير: - (ج8/ 228)، حديث (7795)؛ من طريق: أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة الدمشقي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، قال: ثنا حداد العذري، مع ابن جابر، عن العباس بن ميمون، عن القاسم، عن أبي أمامة، أن رسول الله ﷺ قال: «من هاله الليل أن يكابده، وبخل بالمال أن ينفقه، وجبن عن العدو أن يقاتله، فليكثر أن يقول: سبحان الله وبحمده، فإنها أحب إلى الله من جبل ذهب وفضة ينفقان في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ».

۞ (ج8/ 230)، حديث (7800)؛ من طريق: أحمد بن الحسين بن مدرك، ثنا سليمان بن أحمد الواسطي، قال: ثنا عتبة بن حماد، ثنا ابن ثوبان، عن القاسم، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: -الحديث كاللفظ السابق-.

۞ (ج8/ 263)، حديث (7877)؛ من طريق: جعفر بن محمد الفريابي، قال: ثنا هشام بن عمار، ثنا صدقة بن خالد، قال: حدثني عثمان بن أبي العاتكة، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «من فاته الليل أن يكابده...الحديث».

۞ (ج9/ 229)، حديث (8990)؛ من طريق: زبيد، عن مرة، ابن مسعود موقوفًا.

۞ (ج11/ 84)، حديث (11121)؛ من طريق: عبد الله بن رجاء، عن إسرائيل، عن أبي يحيى القتات، عن مجاهد، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

۞ قال الهيثمي في مجمع الزوائد، (ج10/ 74): رواه البزار والطبراني، وفيه: أبو يحيى القتات، وقد وثق، وضعفه الجمهور، وبقية رجال البزار رجال الصحيح.

۞ قال البيهقي في القضاء والقدر، ط العبيكان، (ص:264-265)، حديث (367) بعد أن ساق الحديث من طريق: صالح بن محمد بن حبيب الحافظ، قال: أنبأنا أحمد بن جناب المصيصي، أنبأنا عيسى بن يونس، عن سفيان الثوري، عن زبيد، عن مرة، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ ... الحديث: (قال أبو عبد الله: هذا حديث صحيح الإسناد، تفرد به أحمد بن جناب، وهو ثقة، وقد روي عن سفيان بن عقبة أخي قبيصة، عن الثوري. قال الشيخ: وقد روي من وجه آخر، عن عبد الرحمن بن زيد، عن أبيه مرفوعًا، وروى من وجه آخر، عن مرة، عن عبد الله مرفوعًا، ورواه المسعودي، عن أبيه موقوفًا) ثم ساق سند المسعودي الموقوف.

فينبَغي للعبد أن يتَشبَّه بالملائكة، وأن لا يزالَ لِسانُه رطبًا بذكرِه، وأنّ اللهَ أمَرَه بكثرة ذكره لِشدّة حاجة العبدِ إليه وعدَم استغنائه عنه لِما يؤولُ به إليه في الدّارِ الآخِرة، ولأنّ النّبيَّ ﷺ قال: «**كُلُّ كَلام ابنِ آدمَ عليه، لا له إلّا أمرٌ بمَعروفٍ أو نَهيٌ عن مُنكَرٍ أو ذِكرُ الله**»[1].

فينبَغي لِكُلِّ عبد أن يجعَلَ أكثَر كلامِه ذكرَ الله عَزَّوَجَلَّ، وقد رَوى البيهَقيُّ، عن زَيدِ بن أسلَم[2]، أنّ موسَى عَلَيهِ السَّلَامُ، قال: يا رَبِّ قد أنعَمتَ عَلَيَّ كَثيرًا فَدُلَّني أن أشكُرَكَ كَثيرًا، قال: «اذكُرني كَثيرًا، فإذا ذَكَرتَني كَثيرًا؛ فَقَد شَكَرتَني، وإن نَسيتَني فَقَد كَفَرتَني»[3]. وفي أثَرٍ إلَهيٍّ: «**ابنَ آدمَ! خَلَقتُ**

---

(1) رواه: 1 - الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حفظ اللسان، (2591). قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب؛ لا نعرفه إلا من حديث محمد بن يزيد بن خنيس.

2 - ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، حديث (3974).

۞ كلاهما من طريق: محمد بن يزيد بن خنيس المكي، قال: سمعت سعيد بن حسان المخزومي، قال: حدثتني أم صالح، عن صفية بنت شيبة، عن أم حبيبة، زوج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله.

3 - البخاري في تاريخه (ج1/ 261- 262)؛ قال: حدثنا سعيد بن حسان، عن أم صالح -مرسل-، وحدثنا قتيبة بعد بإسناده، عن صفية بنت شيبة، عن أم حبيبة، عن النبي ﷺ -الحديث-.

(2) هو زيد بن أسلم، الإمام الحجة القدوة، أبو عبد الله العدوي، العمري، المدني الفقيه. حدث عن: والده أسلم مولى عمر، وعن عبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وسلمة بن الأكوع، وأنس بن مالك، وخلق. حدث عنه: مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والأوزاعي، وسفيان بن عيينة، وخلق كثير. وكان له حلقة للعلم في مسجد رسول الله ﷺ، قال البخاري: (كان علي بن الحسين يجلس إلى زيد بن أسلم، فَكُلِّمَ في ذلك، فقال: إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه)، توفي سنة (136هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج5/ 316-317).

(3) رواه: 1 - ابن أبي حاتم في تفسيره، ط مكتبة نزار مصطفى الباز، (1/ 261)، رقم (1404)؛ من طريق: يونس بن عبد الأعلى قراءة، قال: ثنا ابن وهب، ثنا هشام بن سعد،=

كُلَّ شَيءٍ لَكَ، وخَلَقتُكَ لي، فَبِحَقّي عليكَ لا تَشتَغِل بما خَلَقتُه لَكَ عَمّا خَلَقتُكَ لَه»[1]. وعن أبي سَعيدٍ الخُدريِّ، أنّ رسول الله ﷺ قال: «أكثِروا من ذِكرِ الله حَتّى يَقولوا: مَجنونٌ»، رَواه ابنُ حِبّان في «صَحيحه»[2].

وروي عن أبي مُسلِمٍ الخولانيِّ[3]: أنّ رَجُلًا أتاه، فقال: يا أبا مُسلِمٍ!

=عن زيد بن أسلم، قال: أن موسى ﷺ قال له ربه: تذكرني ولا تنساني، فإذا نسيتني فقد كفرتني.

2- البيهقي في شعب الإيمان، (ج2/ 183)؛ من طريق: عبد الرزاق، عن معمر، عن زيد بن أسلم -بلفظ المصنف-.

(1) ذكره: ابن تيمية في مجموع الفتاوى، (ج1/ 23)؛ بلفظ المصنف. - ابن القيم في طريق الهجرتين، ط الأوقاف، (ج2/ 526)؛ بلفظ: «ابن آدم خلقتك لنفسي، وخلقت كل شيء لك، فبحقي عليك لا تشتغل بما خلقته لك عمّا خلقتك له». ولم أقف عليه مسندًا.

(2) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده: - حديث (11653)، (ج18/ 195)؛ من طريق: ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، أن دراجًا أبا السمح، حدثه عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: «أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون».

⊙ حديث (11674)؛ من طريق: ابن لهيعة، قال: حدثنا درّاج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أكثِروا ذِكرَ الله، حَتّى يَقولوا: مَجنونٌ».

2- ابن حبان في صحيحه، ذكر استحباب الاستهتار للمرء بذكر ربه جَلَّ وَعَلَا، حديث (448)؛ من نفس طريق ولفظ أحمد (11653).

3- الحاكم في المستدرك، حديث (1839/ 39) (ج1/ 677)؛ من نفس طريق ولفظ أحمد (11653). قال الحاكم: هذه صحيفة للمصريين صحيحة الإسناد، وأبو الهيثم سليمان بن عتبة العُتَواري من ثقات أهل مصر.

⊙ قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج10/ 75-76): رواه أحمد، وأبو يعلى؛ وفيه دراج، وقد ضعفه جماعة، وبقيةُ رجال أحدِ إسنادَي أحمد ثقاتٌ.

(3) هو أبو مسلم الخولاني الداراني، سيد التابعين، وزاهد العصر، قدم من اليمن، وقد أسلم في أيام النبي ﷺ، فدخل المدينة في خلافة الصديق، وحدث عن: عمر، ومعاذ بن جبل، وأبي عبيدة، وأبي ذر الغفاري، وعبادة بن الصامت. روى عنه: أبو إدريس الخولاني، وجبير بن نفير، وأبو قلابة الجرمي. توفي بأرض الروم، وكان شتا مع بسر بن أبي أرطاة، فأدركه أجله،=

أوصِني، قال: اذكُرِ اللهَ تَحتَ كُلِّ شَجرة ومَدرة، فقال: زِدني، قال: اذكُرِ اللهَ حَتَّى يَحسبَكَ النّاسُ من ذكرِ الله مجنونًا[1]. ورَوَى ابنُ أبي الدُّنيا -مُرسلًا- أنّ النّبيَّ ﷺ سُئِلَ: أيُّ أهلِ المسجِدِ خيرٌ؟ قال: «أكثَرُهم ذِكرًا لله عَزَّوَجَلَّ» [104/ أ]، قيلَ: فأيُّ الحُجّاجِ خيرٌ؟ قال: «أكثَرُهم ذِكرًا لله عَزَّوَجَلَّ»، قيلَ: فأيُّ المُجاهِدينَ خيرٌ؟ قالَ: «أكثَرُهم ذِكرًا لله عَزَّوَجَلَّ»، قال أبو بَكرٍ: ذَهَبَ الذّاكِرونَ اللهَ بالخيرِ كُلِّه. ورَواه الإمامُ أحمد مُسندًا من وجهٍ ضَعيفٍ[2].

=في سنة (62هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج4/ 7-14).

(1) رواه: - البيهقي في شعب الإيمان، (ج2/ 177)، رقم (685). - ابن عساكر في تاريخ دمشق، (ج27/ 209).

۞ كلاهما من طريق: أبي يحيى الخفاف، قال: حدثنا يحيى بن يحيى، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عقيل، عن لقمان بن عامر، عن أبي مسلم الخولاني.

(2) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده، حديث (15614)، (ج24/ 380-381)؛ من طريق: ابن لهيعة، قال: حدثنا زبان بن فائد، عن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ أن رجلًا سأله، فقال: أي الجهاد أعظم أجرا؟ قال: «أكثرهم لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ ذكرًا»، قال: فأي الصائمين أعظم أجرًا؟ قال: «أكثرهم لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ ذكرًا»، ثم ذكر لنا الصلاة، والزكاة، والحج، والصدقة، كل ذلك رسول الله ﷺ، يقول: «أكثرهم لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ ذكرًا»، فقال أبو بكر لعمر: يا أبا حفص، ذهب الذاكرون بكل خير، فقال رسول الله ﷺ: «أجل».

2- ابن المبارك في الزهد، باب فضل ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، حديث (1429)؛ من طريق: حيوة، قال: حدثني زهرة بن معبد، أنه سمع أبا سعيد المقبري يقول: قيل: يا رسول الله، أي الحاج أعظم أجرا؟ قال: «أكثرهم لله ذكرا»، قال: فأي المصلين أعظم أجرا؟ قال: «أكثرهم لله ذكرا»، قال: فأي الصائمين أعظم أجرا؟ قال: «أكثرهم لله ذكرا»، قال: فأي المجاهدين أعظم أجرا؟ قال: «أكثرهم لله ذكرا». قال زهرة: فأخبرني أبو سعيد المقبري: أن عمر بن الخطاب قال لأبي بكر: ذهب الذاكرون بكل خير.

3- الطبراني في: - المعجم الكبير، (ج20/ 186)، حديث (407). - كتاب الدعاء، باب فضل الذكر في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، حديث (1887)؛ من نفس طريق ولفظ أحمد.

۞ قال الهيثمي في مجمع الزوائد، (ج10/ 74): رواه أحمد والطبراني، وفيه زبان بن فائد،=

فعلى السّالِكِ العارِفِ أن يَتَداوَى بذكرِ الله، ويجعله دَأبه في قيامه وقُعودِه وغدوه ورواحه، وفي مأكله ومَشربه وحَضره وسفَره وجميعِ أحوالِه، حتَّى يتَّخذَه الله بذكره وليًّا، كما اتَّخذَ المُعرِض عن ذكره عدوًّا، وأن اللهَ يُصلّي علَى مَن ذكَرَه؛ كقولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾... الآية[1] [الأحزاب: 42- 43]، فمَن صلَّى الله وملائكتُه عليه فقد أفلَحَ وأنجَحَ، وقد رَوى ابنُ أبي شَيبةَ بإسنادِه، عن أبي عُثمانَ النّهديِّ[2]، أنّه قال: إنّي لَأعلَم حين يذكُرني ربّي، قالوا: وكيف ذلك؟ قال الله: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: 152]، فإذا ذكَرتُ اللهَ ذكَرَني[3].

فيَنبَغي لِكُلِّ عبد أن يجتَهِدَ أن لا يزال ذاكِرًا لله، حتَّى لا يزالَ الله

=وهو ضعيف، وقد وثق، وكذلك ابن لهيعة، وبقية رجال أحمد ثقات.

(1) وتمام الآية:... ﴿لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾.

(2) تقدمت ترجمته.

(3) رواه: 1- ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الزهد، رقم (35378)، (ج7/ 206)؛ من طريق: عفان، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، قال: قال أبو عثمان النهدي: إني لأعلم حين يذكرني ربي، قالوا: وكيف ذاك؟ قال: إن الله يقول: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾، فإذا ذكرت الله ذكرني.

2- أبو نعيم في حلية الأولياء، (ج2/ 324)؛ من طريق: أحمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم، ثنا بكير بن محمد، ثنا جعفر، قال: ثنا ثابت البناني، عن رجل من العباد قال: قال يوما لإخوانه: «إني لأعلم حين يذكرني ربي» قال: ففزعوا من ذلك، فقالوا: تعلم حين يذكرك ربك؟ قال: «نعم»، قالوا: ومتى؟ قال: «إذا ذكرته ذكرني»، قال: «وإني لأعلم حين يستجيب لي ربي»، قال: فتعجبوا من قوله، قالوا: تعلم حين يستجيب لك ربك عَزَّوَجَلَّ؟ قال: «نعم»، قالوا: وكيف تعلم ذلك؟ قال: «إذا وجل قلبي، واقشعر جلدي، وفاضت عيناي، وفتح لي في الدعاء، فثَمَّ أعلم أن قد استجيب لي» قال: فسكتوا.

3- البيهقي في شعب الإيمان، (ج2/ 383)، رقم (1099)؛ من طريق: أبو العباس الأصم، قال: حدثنا الخضر، عن سيار، قال: حدثنا جعفر، حدثنا ثابت البناني -كلفظ أبي نعيم-.

ذاكِرَه، فذِكرُ الله تعالى مَشروعٌ في كُلِّ وقتٍ وعلى كُلِّ حالٍ، بخِلافِ غيره مِنَ العِباداتِ؛ كالصّلَواتِ، لها أوقاتٌ يُنهَى عنِ الصّلاةِ فيها[1]، وكذَلِك الصّومُ، له أوقاتٌ نُهي عَنِ الصّومِ فيها[2]، وكذلك الحجُّ إذا لم يستَطِع إلَيه سَبيلًا، فهو منهيٌّ أن يُلقيَ بيدِه إلى التّهلُكةِ، وهذا في وقتٍ مُعيّنٍ مِنَ السّنةِ، ونحو ذلك مِنَ العِباداتِ، بخلافِ الذِّكرِ، فقد ثَبَت في «صحيح مُسلم» من حديث عائِشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله ﷺ يَذكُرُ اللَّهَ علَى كُلِّ أحيانِهِ[3]. ورَوَى البيهقيُّ في «شُعب الإيمان» لَه، عن عبد الله بن سلام، قال موسَى: يا رَبِّ! ما الشُّكرُ الّذي يَنبَغي لَكَ؟ فأوحَى الله تعالى إليه: أن لا يَزالَ لِسانُكَ رَطبًا من ذِكري. قال: يا رَبِّ! إنّي أكونُ على حالٍ أجلّكَ أن أذكُرَكَ فيها، قال: وما هيَ؟ قال: أكونُ جُنُبًا، أو على الغائِطِ، أو إذا بُلتُ، فقال: وإن كان، قال: يا رَبِّ! فَما أقولُ؟ قال: تَقولُ: سُبحانَكَ وبِحَمدِكَ، جَنِّبني الأذَى، وسُبحانَك وبحمدِكَ فَقِني الأذَى[4].

---

(1) منها أوقات النهي الخمسة؛ من طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس. ومن صلاة العصر إلى الغروب. وعند طلوعها إلى ارتفاعها قيد رمح. وقيامها حتى تزول. وغروبها حتى يتم. انظر: منتهى الإرادات للفتوحي، تحقيق/ عبد الله التركي، (ج1/ 281).

(2) قال في منتهى الإرادات، (ج2/ 39): ولا يصح صوم أيام التشريق، إلا عن دم متعة أو قران، ولا يوم عيد مطلقًا، ويحرم.

(3) رواه مسلم في صحيحه، (117- 373).

(4) رواه: 1- ابن المبارك في الزهد، حديث (942).

2- ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الزهد، حديث (34288)، (ج7/ 73).

3- البيهقي في شعب الإيمان: - (ج2/ 170)، حديث (669). - (ج6/ 245)، حديث (4114).

۞ جميعًا من طريق: ابن أبي ذئب، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبيه، عن عبد الله بن سلام، قال: قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: الحديث.

واعلـم أنّ كلَّ مُحِـبٍّ يفتَخِـرُ بذكـرِ محبوبـه، وفـي أثـرٍ إلهـيٍّ: إذا كان الغالِـبُ علَـى عبـدي ذِكـري أحبَّنـي وأحببتُـهُ[1] [105/ ب].

فَصْلٌ

عظيمٌ نافِعٌ لِكلِّ مَن نظَرَ فيه يزيدُه إيمانًا وهُدًى

وهـو أنّ مـن فضـلِ ذكـرِ اللـه وعِظَـمِ مِقداره لهجَـت جميـعُ المخلوقـاتِ بتَسـبيحِه: الحيوانـات، والنّباتـات، والجمـادات، قـال اللـه تعالـى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: 44].

قـال أبـو الفـرجِ ابـنُ الجـوزيِّ: وهـلَ هـذا التّسـبيحُ علَـى إطلاقـه؟ فيـه قـولانِ: أحدُهمـا: أَنّ كُلَّ شـيءٍ يُسبِّحُه حتَّـى الثّـوبُ والطّعـامُ وصَريـرُ البابِ.

الثّاني: أنّه عامٌّ أُريد به الخاصُّ، ثُمَّ فيه ثَلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنّ التّسبيحَ من كُلِّ شَيءٍ فيه روحٌ، قاله الحسَنُ[2]، والضّحّاكُ[3].

والثّاني: أنّه[4] كُلُّ روحٍ وكُلُّ نامٍ من شجَرٍ أو نَباتٍ، قاله عِكرمةُ[5].

---

(1) انظر: - الرسالة القشيرية، باب الذكر، (ص:386)؛ من طريق: محمد بن الحسين، قال: سمعت عبد الرحمن بن عبد الله الذبياني، يقول: سمعت الجريري، يقول: سمعت الجنيد، يقول: سمعت السري، يقول: مكتوب في بعض الكتب التي أنزلها الله تعالى: إذا كان الغالب على عبدي ذكري؛ عشقني وعشقته.

۞ مدارج السالكين لابن القيم، منزلة الذكر، (ج2/ 430)؛ بلفظ المصنف.

(2) وهو الحسن البصري تقدمت ترجمته.

(3) تقدمت ترجمته.

(4) في الأصل: أنّ، والمثبت هو الجادة، كما في زاد المسير.

(5) تقدمت ترجمته.

والثّالث: أنّهُ[1] كلُّ شيءٍ لَم يتغيَّر عن حالِه، فإذا تغيَّرَ انقَطَع عن تسبيحه، ورَوى خالِدُ بن معدان[2]، عَنِ ابن معد يكرب[3]، قال: التُّرابُ يسبِّح ما لم يبتَلَّ، والثّوبُ يُسبِّح ما لَم يَتَّسِخ، والورَقة تُسبِّح ما دامَت[4].

وذكَر بعضُ المُفسِّرين بعضَ هذه الآياتِ الّتي ذكرناها [فيستدلُّ][5] بها علَى عِبادةِ المخلوقاتِ، وأنّها لا تختَصُّ بنَوع ولا بشَخصٍ من أنواعِ المخلوقاتِ، ثُمَّ قال: ويدخُلُ في هذه الآياتِ كُلُّ مَخلوقٍ سِوى كُفّارِ الثّقلَينِ، انتَهى كلامُه.

وقال شيخُنا ابنُ قاضي جبل[6]: في قولِه تعالَى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ

(1) في الأصل: أنّ، والمثبت هو الجادة، كما في زاد المسير.

(2) هو خالد بن معدان بن أبي كرب الكلاعي، أبو عبد الله الشامي الحمصي، روى عن: ثوبان مولى رسول الله ﷺ، وعبد الله بن سعد الأنصاري، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وكثير بن مرة، ومعاوية بن أبي سفيان، والمقدام بن معدي كرب، وعائشة أم المؤمنين، وغيرهم. روى عنه: إبراهيم بن أبي عبلة المقدسي، وثابت بن ثوبان، وثور بن يزيد، وفضيل بن فضالة، وغيرهم. ذكره محمد بن سعد في الطبقة الثالثة من تابعي أهل الشام، قال أحمد بن عبد الله العجلي: (شامي تابعي ثقة)، روى له الجماعة، وتوفي وهو صائم سنة (103هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج8/ 167-174).

(3) هو الصحابي الجليل المقدام بن معد يكرب بن عمرو بن يزيد بن معد يكرب، صحب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وروى عنه أحاديث، وروى عنه ابنه يحيى، وحفيده صالح بن يحيى، وخالد بن معدان، والشعبي، وشريح بن عبيد، وآخرون. ذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة من أهل الشام، وقال: مات سنة (87هـ). انظر: الإصابة لابن حجر، ط دار الكتب العلمية، (ج6/ 161-162).

(4) انظر: زاد المسير لابن الجوزي، (ج5/ 39). راجع: تفسير الطبري، (ج14/ 605-607).

(5) كلمة غير واضحه، وهذه قراءة اجتهاديه.

(6) هو أحمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة، الشيخ العلامة، شيخ الحنابلة، قاضي القضاة، شرف الدين، المقدسي الأصل، ثم الدمشقي، المعروف بـ«ابن قاضي الجبل»، ولد سنة (693هـ)، كان من أهل البراعة والفهم، قرأ على الشيخ تقي الدين عدة مصنفات في علوم شتى، وأذن له في الإفتاء، ودرس في عدة مدارس، ثم طلب في آخر=

بِحَمْدِهِۦ﴾... الآيةَ، يدُلُّ علَى أنّه تسبيحٌ حَقيقيٌّ؛ ولِهذا قال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾؛ أي: إذا كانتِ الجامداتُ الّتي لا تتنعَّم ولا تنال المُستلذّاتِ مُسبِّحةً بحمدِ خالِقِها فهو حليمٌ غفورٌ، إذ لم يُعاجِلِ المُقصّرينَ الّذين كمُلَتِ النِّعمُ في حقوقِهم بالعُقوبةِ[1]، انتهَى.

وقال تعالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾[2] [النور: 41]، وقال تعالَى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ [الحشر: 1]، وقال تعالَى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾ [الحشر: 24]، وغيرُ ذلك مِنَ الآياتِ الدّالّةِ علَى تسبيحِ جميعِ المخلوقاتِ، وقد أتَى بلفظِ الماضي الدّالِّ علَى وقوعِ التّسبيحِ، وصدوره بلفظِ المُضارعِ الدّالِّ علَى استمرارِ التّسبيحِ وتجدُّدِه كُلَّ وقتٍ، ولا يُستنكر معرفتُها بخالِقِها وتسبيحُها بحمدِه، وقد كان الصّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَسمعونَ تَسبيحَ الطّعامِ وهو يُؤكَلُ[3]، كما سنذكُر ذلك في كراماتِ أولياءِ الرّحمنِ، وقد سمِعوا حنينَ الجذعِ إلى النّبيِّ ﷺ كما تحِنُّ النّاقةُ إلى ولَدِها بآذانِهم[4]، لَمّا فارَقَه حينَ اتّخذَ المنبر، وقد حكَى الحافِظُ أبو

=عمره إلى مصر ليدرس بمدرسة السلطان حسن، وأقبل عليه أهل مصر وأخذوا عنه، ثم عاد إلى الشام، وله اختيارات في المذهب، توفي بالصالحية سنة (771هـ). انظر: المقصد الأرشد لابن مفلح، تحقيق/ عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ترجمة (31)، (ج1/ 92-95).

(1) لم أقف على مصدر النقل، ولعله سمعه من شيخه مباشرة.

(2) قوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيْرُ﴾؛ أي: وتسبح له الطير، ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾؛ أي: باسطات أجنحتها في الهواء، وإنما خص الطير بالذكر لأنها تكون بين السماء والأرض إذا طارت، فهي خارجة عن جملة من في السماوات والأرض. انظر: زاد المسير لابن الجوزي، (ج6/ 51).

(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث (3579) بلفظ: «ولقد كُنّا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل».

(4) رواه الترمذي في سننه، أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، حديث (3974)؛ عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنّ رسول الله ﷺ خطَب إلى لِزقِ جِذعٍ، فاتّخذوا له منبرًا، فخطَب عليه، فحَنّ=

نُعَيم الإجماعَ علَى تسبيحِ الحصا في كَفِّ الرسول ﷺ حتَّى سَمِعه النّاسُ الحاضِرونَ[1]، وإنّي لأعرفُ حجرًا كان يُسلِّم علَيَّ قبلَ أن أُبعثَ[2].

وقد أخبَر تعالى أنّه يُسبِّح الرّعدُ بحمدِهِ[3]، وقد ثَبَت في «صحيح مُسلِم» أنّ النّبيَّ ﷺ مَرَّ بقبرَينِ، فأخبَرَ أنّهما يُعذَّبانِ، فأخَذَ جريدة رَطبةً فشقَّهَا نِصفَينِ، فغَرَزَهما في القبرَينِ. وقال: «**لَعَلَّه أن يُخَفَّفَ عنهما ما لم يَيبَسا**»[4]، وقد فسَّر بتَسبيحِهِما: ما دامَتا [105/أ] رَطبَتَينِ، وهذا

=الجذعُ حَنينَ النّاقة، فنَزَل النّبي ﷺ فمسَّه فسَكَتَ. قال الترمذي: حديث أنس حديث حسن صحيح، غريب من هذا الوجه.

(1) رواه أبو نعيم في دلائل النبوة، حديث (338)؛ من طريق: داود بن أبي هند، عن رجل من أهل الشام -يعني الوليد بن عبد الرحمن الجرشي-، عن جبير بن نفير الحضرمي، عن أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: إني لشاهد عند النبي ﷺ في حلقة وفي يده حصيات فسبحن في يده، وفينا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، يسمع تسبيحهم مَن في الحلقة، ثم دفعَهنّ النّبي ﷺ إلى أبي بكر، فسبحن مع أبي بكر يسمع تسبيحهن مَن في الحلقة، ثم دفعَهُنّ النّبي ﷺ إلى عمر فسبَّحنَ في يده، يسمع تسبيحهن مَن في الحلقة، ثم دفعَهُنّ إلى عثمان فسبحن في يده، ثم دفعَهُنّ إلينا، فلم يسبحن مع أحَدٍ منّا. لفظهما سواء، ولم يسم ابن الضحاك الوليد، وسماه ابن صدقة.

(2) رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب ما جاء في آيات نبوة النبي ﷺ وما قد خصه الله به، حديث (3971)؛ عن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ بمكّة حجرًا كان يسلِّم عليَّ ليالي بُعثت، إني لأعرِفُه الآن». قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(3) قال تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد: 13].

(4) متفق عليه: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: مرّ النبي ﷺ بقبرين، فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير؛ أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة، ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين، فغرز في كل قبر واحدة»، قالوا: يا رسول الله لم فعلت هذا؟ قال: «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا». رواه: 1- البخاري في صحيحه: كتاب الوضوء، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله، حديث (216). وكتاب الوضوء، حديث (218). وكتاب الجنائز، باب الجريدة على القبر، حديث (1361). وكتاب الجنائز، باب عذاب القبر من=

لأنّ يُبسهما بمنزلة موتِ الإنسانِ، والإنسانُ إذا ماتَ انقطع عملُه. قال الخطّابيُّ[1]: هذا عندَ أهلِ العِلم مَحمولٌ علَى أنّ الأشياءَ ما دامَت علَى أصلِ خلقَتِها وخُضرتِها فإنّها تُسبِّحُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ، حتَّى تجفَّ رطوبتُها أو تُحولَ خضرتُها[2]. انتَهى كلامُه. وذكَر البُخاريُّ أنّ بُريدةَ أوصَى أن تُجعَلَ جَريدةٌ علَى قبرِه[3]، وقدِ استَحَبَّ ذلك جماعة من أصحابِنا[4] وغيرِهم[5]، وأنكَرَه آخَرونَ[6].

=الغيبة والبول، حديث (1378). - كتاب الأدب، باب النميمة من الكبائر، حديث (6055).

2- مسلم في صحيحه، حديث (111-292).

(1) هو الإمام العلامة، الحافظ اللغوي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، صاحب التصانيف، قال أبو طاهر السلفي: (وأما أبو سليمان الشارح لكتاب أبي داود، فإذا وقف منصف على مصنفاته، واطلع على بديع تصرفاته في مؤلفاته، تحقق إمامته وديانته فيما يورده وأمانته...)، توفي سنة (388هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (17/ 23-28).

(2) ذكره عنه أيضًا المصنف في تسلية أهل المصائب، ط دار الكتب العلمية، (ص:181). ولم أقف على مصدر النقل من كتب الخطابي.

(3) ذكره البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الجريد على القبر، وأوصى بريدة الأسلمي: «أن يجعل في قبره جريدان».

(4) قال ابن قدوس في حاشيته على كتاب الفروع، تحقيق التركي، كتاب الجنائز، (ج3/ 422): ويسن ما يخفف عنه، ويدل عليه استدلاله بخبر الجريدة، وهو أن النبي ﷺ كسر الجريدة، وجعل على كل قبر واحدة، وقال: «لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا».

(5) قال الرملي في نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، ط دار الكتب العلمية، كتاب الجنائز، (ج3/ 35): ويستحب وضع الجريد الأخضر على القبر للاتباع، وكذا الريحان ونحوه من الأشياء الرطبة.

(6) قال الخطابي في معالم السنة، ط محمد راغب الطباخ، (ج1/ 19-20): وقوله: «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا»؛ فإنه من ناحية التبرك بأثر النبي ﷺ ودعائه بالتخفيف عنهما، وكأنه ﷺ جعل مدة بقاء النداوة فيهما حَدًّا لما وقعت به المسألة من تخفيف العذاب عنهما، وليس ذلك من أجل أن في الجريد الرطب معنى ليس في اليابس، والعامة في كثير من البلدان تفرش الخوص في قبور موتاهم، وأراهم ذهبوا إلى هذا، وليس لما تعاطوه من ذلك وجه، والله أعلم.

وقد نُقِل عن غيرِ واحِدٍ مِنَ السّلَفِ أنّ خَريرَ الماءِ تسبيحٌ[1]، وقد نَهى النّبيُّ ﷺ عن قتلِ الضّفدعِ، وقال: «إنّ نَقيقَها لَتسبيحٌ»[2]، وصوتُ الرّياحِ عندَ هُبوبِها تَسبيحٌ، وأمثالُ ذلك كثيرٌ ممّا لا أستحضرُه، ولا رأيتُه، وقد شذَّ طائِفةٌ فأنكرت ذلك، وقالت: إنّ تَسبيحَها هو دلالتُها علَى صانعِها بما علَيها من آثارِ الصّنعة. وهذا ضعيفٌ لا يُلتفت إليه[3] لوجوهٍ:

أحَدُها: أنّه تأويلٌ بلا دليلٍ، الثّاني: أنّ قولَه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ إنّما هو تنزيهُه وتحميدُه، لا معنَى له غيرُ ذلك، فحملُه علَى ما ادَّعوه حملٌ علَى خِلافِ مفهوم اللّفظِ المُتعارَفِ في كُلِّ لِسانٍ، الثّالث: قولُه سُبحانَه: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ فنَفَى عن عِبادِه إدراكَ هذا التّسبيحِ،

---

(1) ذكره: ابن كثير في تفسيره عن بعض السلف، تحقيق/ سامي بن محمد السلامة، (ج5/ 80) بلفظ: إن صرير الباب تسبيحه، وخرير الماء تسبيحه.

(2) رواه: 1- الطبراني في: - المعجم الأوسط (ج4/ 104)، حديث (3716). - المعجم الصغير، حديث (521) من طريق المسيب بن واضح قال: نا حجاج بن محمد، عن شعبة، عن قتادة، عن زرارة بن أوفي، عن عبد الله بن عمرو قال: نهى النبي ﷺ، عن قتل الضفدع، وقال: «إن نقيقها تسبيح». قال الطبراني: لم يرفع هذا الحديث عن شعبة، إلّا حجّاج، تفرد به: المسيب بن واضح.

۞ قال الطحاوي في شرح مشكل الآثار، (ج5/ 33-34): فإن قال قائل: إنما نهى عن قتل الضفدع؛ لأنه يسبح. قيل له: والسمك أيضا يسبح، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، ولم يمنع ذلك من قتله لأكله والانتفاع به، فدل ذلك على أن الضفدع إنما نهي عن قتله لخلاف ذلك، وهو لأنه لا يؤكل، وكل ما لا يؤكل فقتله عبث، والعبث في ذلك فحرام، والله نسأله التوفيق.

(3) قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة، ط الأوقاف، (ج2/ 646): ولعلك أن تكون ممن غلظ حجابه، فتذهب إلى أن التسبيح دلالتها على صانعها فقط؛ فاعلم أن هذا القول يظهر بطلانه من أكثر من ثلاثين وجهًا... وفي أيّ لغة تسمى الدلالة على الصانع تسبيحًا وسجودًا وصلاة وتأويبًا وهبوطًا من خشيته، كما ذكر تعالى ذلك في كتابه؟!...

ودلالتُها علَى صانِعِها أمرٌ معلومٌ لكُلِّ أحَدٍ، فلا يصِحُّ أن يُقال فيه: إنّا لا نفقَه تسبيحَها، يعني: صانعَها.

وأيضًا نَحنُ نُسبِّحُ بلِسانٍ عربيٍّ فصيحٍ، فالعجميُّ لا يفهَمُ ما نقولُ، وهو من جنسِنا، ونحنُ لا نفهَم ما يقولُ، فكيف نفقَه تسبيحَ ما هو من غيرِ جنسِنا، ولَكن حالَت بينَ أفهامِنا وبينَ الإشرافِ علَيها الحوائِلُ، هذا الهُدهدُ طَيرٌ مِنَ الطُّيورِ في نظَرنا عديمُ العقلِ، يصيحُ لغَيره مِنَ الطُّيورِ، قد خاطَبَ سليمانَ بأعظَم التّوحيدِ وأعلَمَه بغير ذلك، فقال: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [النمل: 22-26][1]، كلّه كلامُ الهُدهد، وقد أشَرنا إلى هذا في «فصل في العِبادة»، فلا حاجةَ إلى تكراره، لكِن ابنُ الجوزيِّ قال: إن قُلنا: إنّ كُلَّ شيءٍ يُسبِّحُ حقيقةً كان قولُه: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ لِسائرِ الخلقِ، وإن قُلنا: دلالتُه على صانِعه كان الخِطابُ للكُفّارِ[2]، وهذا ضعيفٌ؛ لأنّ كُلَّ شيءٍ فيه آيةٌ تدُلُّ علَى صانعِه، وإن لم يُسبِّح كما سنذكُرُه.

الرّابع: أنّه سبحانه قيّد هذا التّسبيحَ في موضعٍ آخرَ بوقتٍ دون وقتٍ، كما قال في حقِّ داودَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ١٨﴾ [ص: 18]، ولو كان تسبيحُها هو دلالتُها علَى صانعِها لَما اختصّ بهذينِ الوقتينِ، وأيضًا قد ثَبَت في «صَحيح مُسلِم» أنّ النّبيَّ ﷺ مرَّ في طَريقِ مكّة بجبَلٍ يُقالُ لَه: جُمدان فقال: «سيروا. هَذا جُمدانُ

---

(1) قال تعالى: ﴿ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ٢٢ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ٢٤ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ٢٥ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾.

(2) انظر: زاد المسير لابن الجوزي، (ج5/ 40).

سَبَقَ المُفَرِّدونَ»، قالوا: وما المُفَرِّدونَ يا رسول الله؟ قال: «الذّاكِرونَ اللهَ كثيرًا والذّاكراتُ»[1].

فهذا جبَلٌ قد سبَقَ، المُتفَرِّدونَ بذكرِ الله كثيرًا [والمُستَهتَرونَ في] ذِكرِ الله، وقال ابنُ الجوزيُّ في قولِه: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ في الآية قولانِ:

أحدُهما: أنّها تُسبِّحُ للهِ معَه، و﴿أَوَّابٌ﴾؛ أي: رجّاعٌ، كُلٌّ له مُطيعٌ بالتّسبيحِ معَه، هذا قولُ الجمهورِ.

الثّاني: أنّها ترجعُ إلى الله، فالمعنَى: كُلٌّ مُسبِّحٌ لله، قاله السُّدّيُّ[2]، وقال أبو هُريرة: كان داودُ إذا سبَّحَ أجابَته الجِبالُ والطّيرُ بالتّسبيحِ والذِّكرِ[3]. وقال غيرُه: كان إذا وجَد فترة، أمَر الجِبال فسبَّحت حتّى يشتاقَ هو فيُسبِّحُ[4]. انتَهى كلامُه[5].

الخامِس: أنّه أخبَرَ عن سُجودِها له كما قالَ تعالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحج: 18].

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (ج20/ 46)؛ من طريق: محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾، يقول: مسبِّح لله.

۞ والسدي تقدمت ترجمته.

(3) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (ج3/ 544)؛ عن ابن عبّاسٍ بلفظ: كان داود إذا سبح جاوبته الجبال واجتمعت إليه الطير، فسبحت معه.

(4) رواه: أبو الشيخ في العظمة (ج5/ 1706)، رقم (1161-7)؛ من طريق: حدثنا جعفر بن أحمد، قال: حدثنا سلمة، حدثنا محمد بن يوسف الفريابي، عن سليم بن حيان، قال: كان داود -صلى الله على نبينا وعليه وسلم- إذا وجد فترة «أمر الجبال فسبحت حتى يشتاق».

(5) انظر: زاد المسير في علم التفسير: (ج5/ 373)، و(ج7/ 111).

ولو كان السُّجودُ هو مجرَّدَ دلالتِها علَى الصّانِعِ لَما اختصَّ بكثيرٍ مِنَ النّاسِ، بل جميعُ العالَم دالٌّ على صانعِهِ(1) [106/ ب].

السّادس: أنّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خاطَبَ الجماداتِ في غيرِ آيةٍ، منها قولُه تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ (2) [الأحزاب: 72] فهذا الاستعفاءُ والإباءُ بعدَ أن عقلَت خِطابَه وفهمته، ومنها: قولُه تعالى مُخاطبًا للجبالِ والطّيرِ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ [سبأ: 10]؛ أي: تَرجيع التّسبيحِ، ومَن قال: إنّ هذا التّأويبَ لا يختَصُّ بداوُدَ، بل رجعُ الصّوتِ بالصّدَى مِنَ الجبالِ، لِكُلِّ مصوِّتٍ بأيِّ كلامٍ كان، فقبَّحَ الله قائلَه، فإنّ كلامَ الله يُصانُ عن مثلِ هذا التّفسير

(1) أجاب الرازي في تفسيره، (ج23/ 20) عن هذا الاستشكال، فقال: والجواب من وجوه: أحدها: أن السجود بالمعنى الذي ذكرناه، وإن كان عاما في حق الكل إلا أن بعضهم تمرد وتكبر وترك السجود في الظاهر، فهذا الشخص وإن كان ساجدا بذاته لكنه متمرد بظاهره، أما المؤمن فإنه ساجد بذاته وبظاهره؛ فلأجل هذا الفرق حصل التخصيص بالذكر. وثانيها: أن نقطع قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ عما قبله، ثم فيه ثلاثة أوجه: الأول: أن نقول تقدير الآية: ولله يسجد من في السموات، ومن في الأرض، ويسجد له كثير من الناس؛ فيكون السجود الأول بمعنى الانقياد، والثاني بمعنى الطاعة والعبادة، وإنما فعلنا ذلك لأنه قامت الدلالة على أنه لا يجوز استعمال اللفظ المشترك في معنييه جميعا. الثاني: أن يكون قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ مبتدأ، وخبره محذوف، وهو مثاب، لأن خبر مقابله يدل عليه، وهو قوله: ﴿حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾، والثالث: أن يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب، فيعطف كثير على كثير، ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب، كأنه قيل: وكثير من الناس، وكثير حق عليهم العذاب. وثالثها: أن من يجوز استعمال اللفظ المشترك في مفهوميه جميعا، يقول: المراد بالسجود في حق الأحياء العقلاء العبادة، وفي حق الجمادات الانقياد، ومن ينكر ذلك يقول: إن الله تعالى تكلم بهذه اللفظة مرتين، فعنى بها في حق العقلاء؛ الطاعة، وفي حق الجمادات؛ الانقياد.

(2) قال ابن جرير الطبري في تفسير، (ج19/ 204-205): إنه عنى بالأمانة في هذا الموضع جميع معاني الأمانات في الدين، وأمانات الناس، وذلك أن الله لم يخص بقوله: ﴿عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ بعض معاني الأمانات.

الباطِلِ[1]. ولما أخبر سُبحانه برجيعِ الجبالِ والطّير معًا فهو إلهامٌ لها بتَسبيحه، كما ألهم النّحلَ أن تتَّخذَ مِنَ الجبالِ بُيوتًا ومِنَ الشّجرِ، كما حكاه سبحانه عنها[2].

وقد ظهَرَ أثَرُ هذا الإلهام، وقد ذَكَر الحافظُ الضّياءُ[3] في ترجمةِ الشّيخ الذّيالِ[4]، قال: سمِعتُ أبا منصورِ بن هِبةَ الله الواسطيَّ، قال: أقمتُ عندَ الشّيخ ذيّالٍ، فلمّا كان في بعضِ اللّيالي أسمَعُ قائِلًا: يا واحِدُ يا أحَدُ -مرارًا- وليسَ ثَمَّ أحدٌ، فقُلتُ للشّيخِ، فقال: وتَسمعنّه؟ فقلتُ: نعَم! فقَبّلَني، وقال: هذا صوتُ الجبالِ بالتّسبيحِ، قال: فأُغمي علَيَّ ساعة[5].

وقال أبو عليٍّ المقدسيُّ: قال لي الشّيخُ ذَيّالٌ: في بعضِ الأيّامِ خرجتُ

---

(1) قال وهب بن منبه: نوحي معه «والطير» يساعده على ذلك، قال: فكان إذا نادى بالنياحة أجابته الجبال بصداها، وعكفت الطير عليه من فوقه، فصدى الجبال الذي يسمعه الناس اليوم من ذلك. انظر: الكشف والبيان للثعلبي، ط دار التفسير، (ج22/ 20).

(2) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [النحل: 68].

(3) هو محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور السعدي، المقدسي، الصالحين، الحافظ الكبير، ضياء الدين، أبو عبد الله بن أبي أحمد، محدث عصره، ووحيد دهره، ولد سنة (569هـ)، قال ابن النجار: (وهو حافظ، متقن، ثبت، ثقة، صدوق، نبيل، حجة، عالم بالحديث وأحوال الرجال، له مجموعات وتخريجات، وهو ورع، تقي، زاهد، عابد، محتاط في أكل الحلال، مجاهد في سبيل الله...)، توفي سنة (643هـ). انظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب، ترجمه (375)، (ج3/ 514-521).

(4) هو ذيال بن أبي المعالي بن راشد العراقي، الزاهد العارف، صنف الحافظ الضياء جزءًا في كراماته، فقال: سكن ببيت المقدس مدة، كان يتقوت من لقاط الزرع، ولا يأكل لأحد شيئًا إلا لآحاد الناس، وانتفع به الخلق، وعلمهم القرآن والفقه، توفي سنة (614هـ). انظر: المقصد الأرشد لابن مفلح، ترجمة (421)، (ج1/ 389).

(5) لم أقف عليه.

البارحة، والجبالُ تُسبِّحُ[1]. وقد أخبرَ سُبحانَه عن الحجارة أنّ منها لَما يهبطُ من خشيةِ اللهِ[2]، وهذا يدُلُّ علَى أنّها تعرفُ ربَّها معرفةً تليقُ بها، وإلّا لَما هبطَت من خشيَتِه، فإنّ الخشيةَ تستلزمُ العِلمَ بالمخشي، وقد رَوى الفِريابيُّ[3]، عن عبد الله بن مسعودٍ قال: إنّ الجبَلَ لَيُنادي الجبَلَ باسمِه، هل مَرَّ بكَ اليومَ ذاكرٌ لله عَزَّوَجَلَّ؟ فإن قال: نعَم؛ سَرّه ذلك فيقولُ: هنيئًا لَكَ، لكِن ما مَرَّ علَيَّ اليومَ أحَدٌ يذكُرُ اللهَ[4]. وقال ابنُ عبد السّلام[5]: للعُلَماءِ في الحِجارة [أنّها][6] تَهبطُ من خشيةِ الله ثلاثة مذاهِبَ: قالَتِ الصّوفيّة هي حيوانٌ، وفيها جزءٌ حيٌّ يُسبِّحُ اللهَ تعالى ويخِرُّ لَه. وقال

---

(1) ذكره عنه الذهبي في تاريخ الإسلام (ج13/ 407).

(2) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [البقرة: 74].

(3) هو جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض، الإمام الحافظ الثبت، شيخ الوقت، أبو بكر الفريابي القاضي، ولد سنة (207هـ)، ارتحل من فرياب -وهي مدينة من بلاد الترك- إلى ما وراء النهر، وخراسان، والعراق، والحجاز، والشام، ومصر، والجزيرة، ولقي الأعلام، وتميز في العلم، وولي قضاء الدينور، وصنف التصانيف النافعة، قال الخطيب: (جعفر الفريابي قاضي الدينور كان ثقة حجة، من أوعية العلم، ومن أهل المعرفة والفهم، طوف شرقًا وغربًا، ولقي الأعلام)، توفي سنة (301هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج14/ 96-100).

(4) رواه: 1- الطبراني في المعجم الكبير، (ج9/ 107)، حديث (8542)؛ من طريق: سعيد بن منصور، قال ثنا سفيان، عن مسعر، عن عون بن عبد الله، عن ابن مسعود، قال: إن الجبل لينادي الجبل باسمه: أي فلان، هل مر بك اليوم أحد ذكر الله؟ فإذا قال: نعم، استبشر. قال عون: فيستمعن الشر، ولا يستمعن الخير، هن للخير أسمع. وقرأ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾.

2- أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب العظمة (ج5/ 1717)، حديث (1176-2). 3- أبو نعيم في حلية الأولياء (ج4/ 242)؛ كلاهما من طريق: ابن أبي عمر، قال: سفيان، به.

(5) تقدمت ترجمته. (6) من مجموع الفتاوى.

آخرون: هذا من مجازِ التّشبيه. وقال الأشعريُّ: الله تعالى خلَق لها حياةً عندَ إرادةِ ذلك منها؛ نحو جبَلِ الطّورِ[1]. انتهى.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت: 11]، ومعلومٌ أنّ هذا خِطابُ مَن يعقِلُ ويعرِفُ ربَّه، وليسَ خِطابَ تكوينٍ لِمعدوم، فإنّه خاطبَهما بعدَ وجودِهما[2]، وعن أنَسِ بن مالِكٍ قال: ما من صباحٍ ولا رَواحٍ إلّا تُنادي بقاعُ الأرض بعضُها بعضًا: يا جارة؛ هل مرَّ بكِ اليومَ عبد يُصلّي عليكِ لله، أو ذكَرَ اللهَ عليكِ؟ فمن قائلة: لا، ومن قائِلة: نَعَم؛ فإذا قالت: نعَم؛ زادَت بذلك لها فضلًا. رواه الفِريابيُّ في «الذكرِ»[3]. ويُشبه هذا قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ

---

(1) ذكره عنه: شيخ الإسلام ابن تيمية في الرسائل الكبرى، (ج2/ 342).

(2) قال الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب، (ج27/ 109): القول الأول: تجري هذه الآية على ظاهرها، فنقول: إن الله تعالى أمرهما بالإتيان فأطاعاه، قال القائلون بهذا القول، وهذا غير مستبعد، ألا ترى أنه تعالى أمر الجبال أن تنطق مع داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾، والله تعالى تجلى للجبل، قال: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾، والله تعالى أنطق الأيدي والأرجل، فقال: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾، وإذا كان كذلك: فكيف يستبعد أن يخلق الله في ذات السماء والأرض حياة وعقلا وفهما، ثم يوجه الأمر والتكليف عليهما؟! ويتأكد هذا الاحتمال بوجوه؛ الأول: أن الأصل حمل اللفظ على ظاهره إلا إذا منع منه مانع، وهاهنا لا مانع، فوجب إجراؤه على ظاهره. الثاني: أنه تعالى أخبر عنهما، فقال: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾، وهذا الجمع جمع ما يعقل ويعلم. الثالث: قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾، وهذا يدل على كونها عارفة بالله، مخصوصة بتوجيه تكاليف الله عليها...

(3) رواه: - ابن المبارك في الزهد، حديث (335). - الطبراني في الأوسط (ج1/ 177)، حديث (562). - أبو نعيم في حلية الأولياء (ج6/ 174) جميعًا من طريق: صالح المري، عن جعفر بن زيد، وميمون بن سياه، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صباح، ولا رواح إلّا وبقاع الأرض تنادي بعضها بعضًا: يا جارة، هل مرّ بك اليوم عبد صالح صلى عليك أو ذكر الله؟ فإن قالت: نعم؛ رأت لها بذلك فضلًا». إلا ابن المبارك فإنه لم يروه عن ميمون بن سياه. قال أبو نعيم: غريب من حديث صالح تفرد به إسماعيل. وقال الطبراني: لا يروي هذا الحديث عن أنس إلا بهذا الإسناد، تفرد به: صالح المري. =

انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾﴾ [الانشقاق: 1-5]، ومعنى «أذِنت»: أصغَت واستمعت لِقولِه وأمرِه[1]، وهذا دليلٌ علَى كونِهما عارفَينِ به.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾﴾ ... إلى قولِه: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾ [2] [الزلزلة: 1-5]، وفي التِّرمذِيِّ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أتَدرونَ ما أخبارُها»؟ قالوا: اللهُ ورَسولُه أعلَمُ، قال: «فإنَّ أخبارَها أن تَشهَدَ على كُلِّ عبد بما عَمِلَ على ظَهرِها من خيرٍ أو شَرٍّ»[3]،

= ۞ وهو صالح بن بشير بن وادع بن أبي بن أبي الأقعس القارئ، أبو بشر البصري القاص، المعروف بالمري. روى عن: بكر بن عبد الله المزني، وثابت البناني، وجعفر بن زيد العبدي، والحسن البصري، وغيرهم. قال يحيى بن معين: (ضعيف)، وقال ابن المديني: (ليس بشيء، ضعيف ضعيف)، وقال البخاري: (منكر الحديث)، توفي سنة (172هـ، وقيل: 176هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج13/ 16-23). وأما كتاب الذكر للفريابي فلم أقف عليه.

(1) قال الراغب الأصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن، مادة (أذن)، (ص:67): وأذن: استمع، نحو قوله: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾﴾.

(2) وتمامها قوله تعالى:... ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾﴾

(3) رواه: 1- الترمذي في سننه: - أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، حديث (2599)؛ من طريق: سويد بن نصر، قال: أخبرنا. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

۞ أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، ومن سورة «إذا زلزلت»، حديث (3635). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب. 2- الإمام أحمد في مسنده، حديث (8867)، (ج14/ 455). جميعًا من طريق: عبد الله بن المبارك، قال: أخبرنا سعيد بن أبي أيوب، قال: حدثنا يحيى بن أبي سليمان، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾﴾ قال: «أتدرون ما أخبارها؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا في يوم كذا وكذا»، قال: «فهذه أخبارها». فيه: يحيى بن أبي سليمان، أبو صالح المدني، قدم البصرة. روى عن: زيد بن أبي العتاب، وسعد بن إبراهيم، وسعيد المقبري، وعطاء بن أبي رباح. روى عنه: سعيد بن أبي أيوب، وشعبة بن الحجاج، وأبو الوليد الطيالسي، وغيرهم. قال البخاري: (منكر الحديث). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج31/ 372-373).

وهذه شَهادةُ نطقٍ لِما تحمِلُه مِنَ الشّهادة في هذه الدّارِ لَمّا أوحي لها ذلك، وأمثالُ هذا كثيرٌ ممّا يردُّ علَى هؤُلاءِ، وما كان بهذه المثابةِ والأدلّة علَيه -كما ذكرناها- كيفَ يُستنكر معرفتُه لخالقِه؟

والمقصودُ: أنّ جميعَ المخلوقاتِ خَلاها الثّقلَين تُسبِّحُ بحمدِه، وتَسبيحُ كُلِّ شَيءٍ بحسبه، مع أنّا نَقولُ: إنّ له في كُلِّ شيءٍ آية تدُلُّ علَى أنّه واحِدٌ، ولكِن معَ دلالتِها علَى الوحدانيّة تُسبِّحُه وتُنزِّهُه بما لا نفهمُه نحنُ ولا يعلَمُه إلّا الّذي أنطقَها به، ولو لم يَكُن في هذا إلّا قولُه تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ①﴾ [الحشر: 1]، وقولُه: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ①﴾ [الجمعة: 1] فأتى سبحانه بلفظِ «ما» المُتناولة لغير أولي العِلم قطعًا؛ إمّا اختصاصًا، وإمّا تغليبًا[1]. ولا يصِحُّ حملُ ما ذكَرنا مِنَ الآياتِ علَى أولي العِلمِ، وتخصيصُها بهِم، إذ لَو أُريد ذلك لَجيءَ بلفظِ «مَن» المُختصّة بمَن يعقِل؛ كقولِه تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ﴾[2] [البقرة: 201]، ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ[3] فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة: 58] ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ[4] ٱلْعُمُرِ ﴾ [الحج: 5]، وإن كان قد وقَعَ في القرآن «ما» لِمَن يعقِل، و«مَن» لِما لا يعقِلُ فَفيه بحثٌ ليسَ هذا محلّ ذكرِه، والله أعلَم.

---

(1) قال البقاعي في نظم الدرر، (ج5/ 61): «ما في السماوات»، أي: كلها على عظمها من عاقل وغيره، وعبر بـ «ما» لأن غير العاقل أكثر، وهي به أجدر...

(2) في الأصل: ومنهم من يقول آمنا، وهو سبق قلم من المصنف؛ لأنه ليس في القرآن آية هكذا، والمثبت اجتهاد.

(3) اللمز: الاغتياب وتتبع المعاب، يقال: لمزه يلمِزه ويلمُزه. انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب، مادة (لمز)، (ص:592).

(4) الرذل والرذال: المرغوب عنه لرداءته. انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب، مادة (رذل)، (ص:287).

فَصْلٌ

وقد لهِج أكثرُ أهلِ زمانِنا في الذِّكر بـ«لا إله إلّا الله» جهرًا أكثرَ من غيره مِنَ الأذكار، وقد سألَني بعضُ أصحابِنا من أصحابِ الطّريقِ، وقال: بعضُ النّاسِ يُنكره علَينا، وبعضُهم يسكُتُ، فقلتُ له: لا بدَّ أن نُدخله في بابِ الذِّكر، ونكتُبُ علَيه ما يسَّرَه الله تعالى. فقُلتُ: لهِجَ النّاسُ بهذه الكلِمة أكثَرَ من غيرِها؛ لأنّه قد ورَد فيها مِنَ الكتابِ والسُّنّة والآثارِ وإجماعِ الأُمّة ما لم يرِد في غيرِها مِنَ الأذكارِ.

أمّا الكِتابُ: فقوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾ [البقرة: 59]، قال: قولوا: لا إله إلّا الله، قاله عِكرمة(1). وقوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح: 26] هي قولُ: «لا إله إلّا الله». رَواه الحاكمُ في «المُستدرك» عن عليٍّ(2).

---

(1) رواه: 1- ابن جرير الطبري في تفسيره (ج1/ 717). 2- ابن أبي حاتم في تفسيره (ج1/ 118)، رقم (582). كلاهما من طريق: حفص بن عمر، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة 3- الطبراني في الدعاء، (ص:452)، رقم (1564)؛ من طريق: إسحاق بن الضيف، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة. وعكرمة تقدمت ترجمته.

(2) رواه: 1- الحاكم في المستدرك، (ج2/ 500)، حديث (3717/ 854)؛ من طريق: سفيان الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن عباية بن ربعي، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، قال: «لا إله إلا الله، والله أكبر». قال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه). ووافقه الذهبي. 2- الثوري في تفسيره، ط دار الكتب العلمية، (ص: 278)، رقم (896)؛ من طريق: سلمة بن كهيل، عن عباية بن ربعي، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. كلفظ الحاكم. 3- عبد الرزاق في تفسيره، (ج3/ 216)، رقم (2917)؛ من طريق: شعبة، سلمة بن كهيل، قال: سمعت عباية، يقول: سمعت عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذه الآية: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، «لا إله إلا الله وحده». 4- الطبري في تفسيره، (ج21/ 310)؛ من طريق: شعبة، كلفظ عبد الرزاق.

ورُوي عن ابنِ عُمرَ[1]، وأبي هُريرة[2]، وقاله عِكرمة أيضًا[3]، وقد رواه التِّرمذيُّ مرفوعًا من حديثِ أُبيِّ بن كعبٍ[4].

(1) رواه: 1- عبد الرزاق في: - تفسيره، (ج3/ 217)، رقم (2921). - المصنف، (ج5/ 497)، رقم (9798)؛ من طريق: ابن عيينة، أخبرني شيخ مؤذن لأهل مكة، عن علي الأزدي قال: سمعت ابن عمر: لا إله إلا الله، والله أكبر، فقال ابن عمر: هي هي، قال: قلت: ما هي هي يا أبا عبد الرحمن؟ قال: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾. 2- الطبري في تفسيره، (ج21/ 313)؛ من طريق: سفيان بن عيينة، عن يزيد أبي خالد المكي، عن علي الأزدي قال: كنت مع ابن عمر بين مكة ومنى بالمأزمين، فسمع الناس يقولون: لا إله إلا الله، والله أكبر. فقال: هي هي، فقلت: ما هي؟ قال: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾.

(2) رواه: 1- الطبري في تفسيره، (ج21/ 308). 2- الطبراني في المعجم الأوسط، حديث (1272). 3- ابن منده في الإيمان، حديث (199)، و(200). 4- البيهقي في الأسماء والصفات، حديث (195)، و(196). جميعًا من طريق: ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، أن أبا هريرة أخبره أن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله» وأنزل الله في كتابه، فذكر قوما استكبروا فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾، وقال الله: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾، وهي: لا إله إلا الله محمد رسول الله، استكبر عنها المشركون يوم الحديبية، يوم كاتبهم رسول الله ﷺ على قضية المدة.

(3) رواه: 1- الطبري في تفسيره (ج21/ 312)؛ من طريق: سعد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا حفص بن عمر، قال: ثنا الحكم بن أبان، عن عكرمة. 2- الطبراني في الدُّعاء، رقم (1621)؛ من طريق: أحمد بن زيد بن الحريش، قال: ثنا إسحاق بن الضيف، ثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان، عن أبيه، عن عكرمة.

(4) رواه: 1- الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، سورة الفتح، حديث (3538)؛ من طريق: الحسن بن قزعة البصري، قال: حدثنا سفيان بن حبيب عن شعبة، عن ثوير، عن أبيه، عن الطفيل بن أبي بن كعب، عن أبيه، عن النبي ﷺ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾، قال: «لا إله إلا الله». قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث الحسن بن قزعة، وسألت أبا زرعة عن هذا الحديث؛ فلم يعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه.

2- عبد الله بن الإمام أحمد في زياداته على مسند الإمام أحمد، ط الرسالة، (ج35/ 176)، حديث (21255)؛ من نفس طريق الترمذي ولفظه.

وقولـه تعالـى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: 64] يعني: «لا إله إلّا الله»[1]. وقولُه تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: 28] كلِمة: «لا إلـه إلّا الله»، ذكَره ابنُ قُتيبةَ[2].

وقوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: 27] يعني: بقول: «لا إله إلّا الله»[3].

وذكَر الطّبرانيُّ في كتاب «الدُّعاء» طَرَفًا كَبيرًا من هذا فقال: قولُه تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢﴾ [الحجر: 92] عن قول: «لا إله إلّا الله»، عن أنَسٍ[4] وابنِ عُمرَ[5] وغيرِهما.

---

(1) رواه ابن المنذر في تفسيره، تحقيق سعد السعد، (ج1/ 237)، رقم (564)؛ من طريق: يحيى بن عبد الحميد، عن يحيى بن اليمان، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد: ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾، قال: لا إله إلا الله.

(2) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة، (ص:397)، رقم (28).

(3) قال الطبري في تفسيره، (ج13/ 657): ﴿بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾، يقول: بالقول الحق، وهو فيما قيل: شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

(4) رواه: 1- الطبراني في الدعاء: رقم (1491)؛ من طريق: محمد بن الفضل السقطي، قال: ثنا سعيد بن سليمان، عن شريك، عن ليث، عن بشر، عن أنس بن مالك.

وبرقم (1492)؛ من طريق: محمد بن الفضل السقطي، قال: ثنا سعيد، عن إسماعيل بن زكريا، عن ليث بن أبي سليم، عن بشر أو بشير، عن أنس بن مالك.

وبرقم (1493)؛ من طريق: طالب بن قرة الأذني، قال: ثنا محمد بن عيسى الطباع، ثنا عمار بن محمد، عن ليث، عن داود، عن أنس بن مالك.

وبرقم (1494)؛ من طريق: محمد بن محمد التمار، قال: ثنا أبو الوليد الطيالسي (ح) وحدثنا الحسن بن أحمد بن حبيب الكرماني، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة؛ قالا: ثنا حفص بن غياث، عن ليث، عن بشر، عن أنس بن مالك. -قال الطبراني: ولم يرفعه حفص-.

2- ابن أبي شيبة في مصنفه، حديث (34758).

(5) رواه: 1- الطبراني في الدعاء، رقم (1495)؛ من طريق: الحسن بن أحمد الكرماني، قال:=

وذكَرَ البُّخاريُّ في «صَحيحه» عدّة من أهل العِلم في قولِه: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾... فذكَرَه[1].

وقولُه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ ﴾ [الأنعام: 160] يعني: بـ«لا إله إلّا الله»، قاله ابنُ مَسعودٍ[2]، وعِكرمة[3]، والنّخعيُّ[4].

وقال عِكرمة: له منها خيرٌ؛ لأنّه لا شَيءَ خيرٌ من «لا إله إلّا الله»[5]،

=ثنا أبي بكر بن أبي شيبة، ثنا حسين بن علي الجعفي، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية، عن ابن عمر.

2- ابن أبي شيبة في مصنفه، حديث (34650).

(1) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من قال إن الإيمان هو العمل، لقول الله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾، وقال عدة من أهل العلم في قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾، عن قول: لا إله إلا الله، وقال: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾.

(2) رواه الطبري في تفسيره، (ج10/ 38)؛ من طريق: ابن وكيع، قال: ثنا حفص بن غياث، عن الأعمش، والحسن بن عبيد الله، عن جامع بن شداد، عن الأسود بن هلال، عن عبد الله بن مسعود.

(3) رواه الطبري في تفسيره: (ج18/ 143)؛ من طريق: سعد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا حفص بن عمر العدني، قال: ثنا الحكم بن أبان، عن عكرمة، قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ ﴾ قال: شهادة أن لا إله إلا الله، ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ قال: السيئة الشرك. قال الحكم: قال عكرمة: كل شيء في القرآن «السيئة» فهو الشرك.

و(ج18/ 144)؛ كالطريق السابق؛ بلفظ: قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ قال: ليس شيء خيرًا من لا إله إلا الله، ولكن له منها خير.

(4) رواه الطبري في تفسيره، (ج10/ 40)؛ من طريق: ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن أبي المحجل، عن أبي معشر، قال: كان إبراهيم يحلف بالله ما يستثني أن ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ ﴾: لا إله إلا الله، ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾: من جاء بالشرك.

(5) رواه الطبري في تفسيره، (ج18/ 144)؛ من طريق: سعد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا حفص بن عمر، قال: ثنا الحكم، عن عكرمة قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ قال: ليس شيء خيرًا من لا إله إلا الله؛ ولكن له منها خير.

وقالـه الحسـنُ أيضًـا[1].

وقولُـه: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت: 6- 7] يعنـي: الّذيـن لا يقولـونَ: «لا إلـه إلّا اللـه»، قالـه عِكرمـة أيضًـا[2].

وقولُـه تعالـى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83]، قـال ابـنُ عبّـاسٍ: قولـوا: «لا إلـه إلّا اللـه»[3].

وقولُـه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [آل عمران: 110]، قـال ابـنُ عبّاسٍ: تأمُرونَهـم بقـولِ: «لا إلـه إلّا اللـه»[4].

وقولُـه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [يونس: 26] قالـوا: «لا إلـه إلّا اللـه». قالـه ابـنُ عبّـاسٍ أيضًـا[5] [107/ أ].

---

(1) رواه الطـبري في تفسـيره، (ج18/ 143)؛ مـن طريـق: محمد بـن بشـار، قـال: ثنـا روح بـن عبـادة، قـال: ثنـا حبيب بـن الشـهيد، عـن الحسـن: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ قـال: لـه منهـا. القاسـم، قـال: ثنـا الحسـين، قـال: ثنـا أبو سـفيان، عـن معمـر، عـن الحسـن قـال: مـن جـاء بـلا إلـه إلا الله؛ فلـه منهـا خـير.

(2) رواه الطـبري في تفسـيره، (ج20/ 379)؛ مـن طريـق: سـعد بن عبد الله بـن عبد الحكـم، قـال: ثنـا حفص بـن عمـر، قـال: ثنـا الحكم بـن أبـان، عـن عكرمـة، قولـه: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: الذيـن لا يقولـون: لا إلـه إلا الله.

(3) رواه الطـبري في تفسـيره، (ج2/ 196)؛ مـن طريـق: أبي كريـب، قـال: ثنـا عثمان بـن سـعيد، قـال: ثنـا بشر بـن عمارة، عـن أبي روق، عـن الضحـاك، عـن ابـن عبـاس: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾: أمرهـم أيضًـا بعـد هـذا الخلـق أن يقولـوا للنـاس حسـنًا؛ أن يأمـروا بــ «لا إلـه إلا الله» مـن لم يقلهـا ورغـب عنهـا، حتـى يقولوهـا كـما قالوهـا، فـإن ذلـك قربـة لهـم مـن الله جـل ثنـاؤه.

(4) رواه الطـبري في تفسـيره (ج5/ 676)؛ مـن طريـق: علي بـن داود، ال: ثنـا عبد الله بـن صالـح، قـال: ثني معاويـة، عـن علي، عـن ابن عبّـاسٍ قولـه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ يقـول: تأمرونهـم بالمعـروف؛ أن يشـهدوا أن لا إلـه إلا الله، والإقـرار بـما أنـزل الله، وتقاتلونهـم عليـه، ولا إلـه إلا الله هـو أعظـم المعـروف، وتنهونهـم عـن المنكـر، والمنكـر: هـو التكذيـب، وهـو أنكـر المنكـر.

(5) رواه الطـبري في تفسـيره، (ج12/ 164)؛ مـن طريـق: المثنـى، قـال: ثنـا عبد الله بـن صالـح قـال، ثنـي معاويـة، عـن علي، عـن ابـن عبـاس قولـه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، يقـول: للذيـن شـهدوا أن لا إلـه إلا الله.

وقولُه تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ [الأعلى: 14]، قال: «لا إله إلّا الله». قاله عكرِمة(1).

وقوله: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ [النازعات: 18]، فقُل: «لا إله إلّا الله»(2).

وقولُه: ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ [آل عمران: 194] لِمَن قال: «لا إله إلّا الله»(3).

وقولُه: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: 19]، قال: «لا إله إلّا الله»(4).

وقال عِكرمة في قولِه: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾ [هود: 78] يقول: «لا إله إلّا الله»(5).

وقولُه: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ [غافر: 3] لِمَن قال: «لا إله إلّا الله»(6).

---

(1) رواه الطبري في تفسيره (ج24/ 319)؛ من طريق: سعد بن عبد الله بن عبد الحكم، عن حفص بن عُمر العدَنيّ، عن الحكم، عن عكرِمة.

(2) رواه الطبري في تفسيره، (ج24/ 81)؛ من طريق: سعيد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا حفص بن عمر العدني، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة: قول موسى لفرعون: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾: هل لك إلى أن تقول: لا إله إلا الله.

(3) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره، (ج3/ 844)؛ رقم (4667)؛ من طريق: إسحاق بن الضيف، قال: ثنا إبراهيم بن الحكم، قال: حدثني أبي، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ قال: ميعاد من قال: لا إله إلا الله.

(4) رواه الطبري في تفسيره، (ج23/ 346)؛ من طريق: محمد بن بشار، قال: ثنا هوذة، قال: ثنا عوف، عن الحسن في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ قال: لما قام رسول الله ﷺ يقول: لا إله إلا الله، ويدعو الناس إلى ربهم، كادت العرب تلبّد عليه جميعًا.

(5) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره، (ج6/ 2063)، رقم (11071)؛ من طريق: أبي عبد الله الطهراني، قال: ثنا حفص بن عمر العدني، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس في قول لوط لقومه: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾ يقول: أليس منكم واحد يقول: لا إله إلا الله.

(6) رواه الطبراني في: - المعجم الأوسط، حديث (9481)؛ من طريق: يعقوب بن إسحاق، قال: ثنا يحيى الحماني، ثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن ابن عمر، في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ لمن يقول: لا إله إلا الله، ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ ممن يقول: لا إله إلا الله، ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾ لمن لا يقول: لا إله إلا الله، ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ ذي الغنى لا إله إلا هو. =

وقولُه: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [الحج: 26] القائلينَ: «لا إله إلّا الله»(1).

وقولُه: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: 256] يعني: «لا إله إلّا الله»(2).

وقولُه: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الزمر: 22] يعني: لِقولِ: «لا إله إلّا الله». قاله ابنُ عبّاس(3).

وقولُه: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾ [مريم: 87] هو قولُ: «لا إله إلّا الله»(4).

= قال الطبراني: لم يرو هذه الأحاديث عن زيد بن أسلم إلا ابنه عبد الرحمن بن زيد.

⊙ كتاب الدعاء، رقم (1559)؛ من طريق: داود بن محمد بن صالح المروزي، قال: ثنا إبراهيم بن الحجاج السامي، ثنا حماد بن سلمة، عن الكلبي، في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ قال: لمن قال: لا إله إلا الله، ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ ممن قال: لا إله إلا الله، ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾ لمن لم يقل: لا إله إلا الله.

(1) روى ابن جرير الطبري في تفسيره: - (ج16/ 512)، عن ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد في قوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ قال: من الشرك.

⊙ (ج16/ 513)، عن ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ قال: من الشرك وعبادة الأوثان.

(2) رواه الطبري في تفسيره: - (ج4/ 560)؛ من طريق: أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن أبي السوداء، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جُبَير، قوله: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ قال: لا إله إلا الله.

⊙ (ج4/ 561)؛ من طريق: المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهرة، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ قال: لا إله إلا الله.

(3) لم أقف عليه. قال الطبري في تفسيره، (ج20/ 189): يقول تعالى ذكره: أفمن فسح الله قلبه لمعرفته والإقرار بوحدانيته والإذعان لربوبيته والخضوع لطاعته، ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ يقول: فهو على بصيرة مما عليه ويقين؛ بتنوير الحق في قلبه، فهو لأمر الله متبع، وعما نهاه عنه منته.

(4) رواه الطبري في تفسيره، (ج15/ 633)؛ من طريق: علي، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾ قال: العهد: شهادة أن لا إله إلا الله، ويتبرأ إلى الله من الحول والقوّة، ولا يرجو إلا الله.

وَقال عِكرمة في قولِه تعالى: ﴿وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠﴾ [الأحزاب: 70]: «لا إله إلّا الله»[1]. وقولُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ [يونس: 108] يعني: «لا إله إلّا الله»[2].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ﴾ [الرعد: 14]: «لا إله إلّا الله»، قاله عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[3].

وقولُه: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ يقول: «لا إله إلّا الله» ﴿فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾[4] [المائدة: 5].

وقال قتادةُ في قولِه تعالى: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ۝١٥﴾ [إبراهيم: 15] أن يقولَ: «لا إله إلّا الله»[5].

---

(1) رواه الطبري في تفسيره، (ج19/ 196)؛ من طريق: سعد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا حفص بن عمر، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة في قول الله: ﴿وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠﴾ قولوا: لا إله إلا الله.

(2) لم أقف عليه. قال الطبري في تفسيره، (ج12/ 305): يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلك: «قل» يا محمد للناس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ﴾ يعني: كتاب الله فيه بيان كل ما بالناس إليه حاجة من أمر دينهم، ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ يقول: فمن استقام فسلك سبيل الحق، وصدق بما جاء من عند الله من البيان، ﴿فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ﴾...

(3) رواه الطبري في تفسيره: - (ج13/ 486)؛ من طريق: إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن هاشم قال: ثنا سيف، عن أبي روق، عن أبي أيوب، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ﴾ قال: التوحيد.

۞ (ج13/ 485-486)؛ من عدة طريق: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ﴾ قال: لا إله إلا الله.

۞ قال الطبري في تفسيره، (ج13/ 485): وإنما عَنى بالدعوة الحقّ توحيدَ الله، وشهادةَ أن لا إله إلا الله.

(4) ذكره: السمرقندي في بحر العلوم (ج1/ 418) عن ابن عبّاس. والواحدي في التفسير البسيط (ج7/ 275) وعزاه إلى الكلبي.

(5) رواه الطبري في تفسيره، (ج13/ 616)؛ من طريق: بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة.

۞ الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة.

وقال ابنُ عبّاسٍ في قولِه تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: 27]: هو «لا إله إلا الله»(1). وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النحل: 90] يعني: «لا إله إلّا الله»(2). ولهذا أخبرَ الله عنِ الكُفّارِ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الصافات: 35]. ورَوَى ابنِ رزقويهِ(3) عنِ ابنِ عبّاسٍ في قولِه تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: 20] يقول: «لا إله إلّا الله»(4). وقولُه: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: 89] يقول: «لا إله إلّا الله»(5). وقال ابنُ عبّاسٍ في قولِه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً

---

(1) رواه الطبري في تفسيره (ج14/ 258)؛ من طريق: محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ قال: شهادة أن لا إله إلا الله.

۞ وفي تفسير ابن أبي حاتم، رقم (12548)، (ج7/ 2287)، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ قال: يقول: ليس كمثله شيء.

۞ وعزاه دون سند الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان، ط دار التفسير، (ج16/ 63) لابن عباس، فقال: وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾: النار، و﴿ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: شهادة أن لا إله إلا الله.

(2) رواه الطبري في تفسيره، (ج14/ 335)؛ من طريق: المثنى، وعلي بن داود، قالا: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ قال: شهادة أن لا إله إلا الله.

(3) هو ابن رزقويه؛ الإمام المحدث، المتقن، المعمر، شيخ بغداد، أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رزق بن عبد الله بن يزيد، البغدادي البزاز، ولد سنة (325هـ)، قال الخطيب: (كان ثقة صدوقًا كثير السماع والكتابة، حسن الاعتقاد، مديمًا للتلاوة...)، توفي سنة (412هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج17/ 258-259).

(4) رواه الطبري في تفسيره، (ج18/ 568)؛ من طريق: ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن آدم، عن سفيان، عن عيسى، عن قَيس، عن ابن عباس ﴿نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ قال: لا إله إلا الله.

(5) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره، (ج8/ 2783)، رقم (15732)؛ من طريق: مسلم بن إبراهيم، قال: ثنا يحيى بن عمرو، ثنا أبي، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ قال: شهادة أن لا إله إلا الله.

طَيِّبَةً﴾ [إبراهيم: 24] الكلمة الطّيبةُ: «لا إله إلّا الله»[1]. وقولُه تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: 10] قال عليُّ بن المدينيِّ: ﴿الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾: قولُ: «لا إله إلّا الله»، ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ﴾: أداءُ الفرائضِ واجتنابُ المحارمِ[2]. وقولُه تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۝ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾ [المؤمنون: 99-100] قال عكرمةُ: لعَلّي أقولُ: «لا إله إلّا الله»[3]. وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ [108/ ب] بِالْهُدَى﴾ [التوبة: 33] بقولِ: «لا إله إلّا الله»[4].

قال عمرو بن مالكٍ[5]: سمعتُ أبا الجوزاءِ[6] يقولُ في قولِه تعالى:

---

(1) رواه الطبري في تفسيره، (ج13/ 635)؛ من طريق: المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾: شهادةُ أن لا إله إلا الله.

(2) رواه الطبري في تفسيره (ج19/ 339)؛ من طريق: علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ قال: الكلام الطيب: ذكر الله، و﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ﴾: أداء فرائضه.

۞ قال ابن جرير الطبري في تفسيره، (ج19/ 338): وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ يقول تعالى ذكره: إلى الله يصعد ذكر العبد إياه، وثناؤه عليه، ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ يقول: ويرفع ذكرُ العبدِ ربَّه إليه عمله الصالح، وهو العمل بطاعته، وأداء فرائضه، والانتهاء إلى ما أمره به.

(3) رواه الطبراني في الدعاء، رقم (1623)؛ من طريق: أحمد بن زيد بن الحريش، قال: ثنا إسحاق بن الضيف، قال: ثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان، عن أبيه، عن عكرمة، في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ۝ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾، قال: «قول: لا إله إلا الله».

(4) انظر: تفسير بحر العلوم للسمرقندي، (ج3/ 258).

(5) هو عمرو بن مالك النكري أبو يحيى، ويقال: أبو مالك البصري. روى عن: أبي الجوزاء أوس بن عبد الله الربعي، وأبيه مالك النكري. روى عنه: جسر بن فرقد، وحماد بن زيد، ومخلد بن الحسين، وغيرهم. روى له البخاري في «أفعال العباد»، والأربعة، ذكره ابن حبان في كتاب «الثقات»، وقال: مات سنة (129هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج22/ 211-212).

(6) هو أوس بن عبد الله الربعي، أبو الجوزاء البصري. روى عن: صفوان بن عسال المرادي، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبي هريرة، وعائشة أم المؤمنين. روى عنه: أبان بن أبي عياش، وبديل بن ميسرة، وعمرو بن مالك النكري، وقتادة، وغيرهم.=

﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ﴾ [الإسراء: 46]، قال: والّذي نفسي بيَدِه إنّ الشّيطانَ لازمٌ بالقلبِ ما يستَطيعُ صاحبُه أن يذكُرَ اللهَ تعالى ما له مِنَ القلبِ طردٌ إلّا قولَ: «لا إله إلّا الله»، ثُمّ قرأ: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾ رواه ابنُ أبي الدُّنيا[1].

وقال عكرِمةُ: سمِعتُ ابنَ عبّاسٍ يقولُ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: 30] استقاموا علَى شهادة أن لا إله إلّا اللهُ[2].

وقال أبو الفرج[3] في قولِه: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ﴾ [غافر: 12]؛ أي: إذا قيلَ: «لا إله إلّا الله»[4].

وقال ابنُ عبّاسٍ في قولِه: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن: 60]

=قال البخاري: (في إسناده نظر، ويختلفون فيه)، وقال أبو زرعة، وأبو حاتم: (ثقة)، روى له الجماعة، وحكى البخاري، عن يحيى بن سعيد: أنه قتل في الجماجم سنة (83هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج3/ 392-393).

(1) رواه ابن أبي الدنيا في رسالة مكائد الشيطان، ط مكتبة القرآن، (ص: 44)، رقم (23)؛ من طريق: محمد بن الحارث المقري، قال: حدثنا سيار بن حاتم، قال: حدثنا جعفر بن سليمان، قال: حدثنا عمرو بن مالك النكري، قال: سمعت أبا الجوزاء يقول: والذي نفسي بيده، إن الشيطان لازم بالقلب، ما يستطيع صاحبه أن يذكر الله تعالى. أما ترونهم في مجالسهم، وأسواقهم، يأتي على أحدهم عامة يومه لا يذكر الله تعالى إلا حالفًا، ماله من القلب طَردٌ إلا قوله: لا إله إلا الله.

(2) رواه الطبري في تفسيره، (ج20/ 424)؛ من طريق: - سعد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا حفص بن عمر، قال: ثنا الحكم بن أبان، عن عكرمة قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ قال: استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله.

ومن طريق علي، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس قوله: «إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا» يقول: على أداء فرائضه.

(3) أبو الفرج ابن الجوزي تقدمت ترجمته.

(4) انظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، (ج7/ 209). راجع: تفسير السمرقندي، المسمى بحر العلوم، (ج3/ 163).

هل جزاءُ مَن قال: «لا إله إلّا الله»، وعمِلَ بما جاءَ به محمَّدٌ إلّا الجنّة[1].

وقولُه: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ ﴾ [الزمر: 33] بـ«لا إله إلّا الله»[2].

وقولُه تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر: 3] الدّينُ الخالِصُ: «لا إله إلّا الله»[3].

وقولُه تعالى: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ ﴾ [الأحزاب: 46] بقول: «لا إله إلّا الله»[4].

وقولُه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: 56] ليوحِّدوني بـ«لا إله إلّا الله»[5].

فهذا ما رأيته في القرآن العظيم معَ أنّ بعضَ الآياتِ الّتي ذكرتها، فيها أقوالٌ للمُفسِّرينَ غير الّذي ذكرتُه، وسيأتي آياتٌ ضمنها أحاديثُ تشهَدُ أيضًا لهذا، ولأنّ هذه الكلمةَ هي إخلاصُ التّوحيدِ لله وحدَه لا شَريكَ له الّتي لا يقبَلُ الله عَزَّوَجَلَّ من عبد عمَلًا ولا دينًا ولا قولًا إلّا بها.

---

(1) رواه الطبراني في الدعاء، رقم (1544)؛ من طريق: الحسين بن إسحاق التستري، قال: ثنا يحيى الحماني، قال: ثنا أبي، عن النضر أبي عمر، عن عكرمة، عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾، قال: هل جزاء من قال: لا إله إلا الله إلا الجنة.

(2) رواه الطبري في تفسيره، (ج20/ 289)؛ من طريق: أبي صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ ﴾ يقول: من جاء بلا إله إلا الله، ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾، يعني: رسوله.

(3) رواه: 1- عبد الرزاق في تفسيره (ج3/ 128)، رقم (2617)؛ من طريق: عن معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾، قال: فشهادة ألا إله إلا الله. 2- الطبري في تفسيره، (ج20/ 156)؛ من طريق: بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾: شهادة أن لا إله إلا الله.

(4) رواه الطبري في تفسيره، (ج19/ 126)؛ من طريق: بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ ﴾: إلى شهادة أن لا إله إلا الله.

(5) رواه الطبراني في الدعاء، رقم (1627)؛ من طريق: أحمد بن الجعد الوشا، قال: ثنا محمد بن بكار، قال: ثنا أبو معشر، عن محمد بن كعب، في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾، قال: «إلا ليقولوا: لا إله إلا الله».

فالأقوالُ والأفعالُ والنّياتُ متوقّفةٌ علَى إخلاصِها، وهي توحيدُ الألوهيّة، وهو أبلَغُ من توحيدِ الرُّبوبيّة الّذي أقَرَّت به جميعُ المخلوقاتِ، فإذا أخلَص القلبُ قولَ: لا إله إلّا الله ذابَ من حَلاوةِ الإيمانِ والحُبِّ، فمَحبّة الله هيَ حَقيقةُ قول: لا إله إلّا الله، وذلك لأنّ الإله هو الّذي [108/ أ] تألهه العِبادُ حُبًّا وذُلًّا وخَوفًا ورَجاءً وتعظيمًا وإجلالًا وإكرامًا وخشية وطاعةً[1]، فإنّ قوامَ السّماواتِ والأرضِ ومَن فيهنّ بأن تُألَّهَ الإلهَ الحقَّ، فإنّه لو كان فيهما آلهة غير الله لفَسَد أمرُ السّماواتِ والأرضِ ومَن فيهنّ[2]، ولم يكُن إلهًا حَقًّا، إذِ الإله الحقُّ لا شَريكَ له ولا سَميَّ لَه، ولا مِثلَ له ولا كُفؤَ لَه، وهو الله الواحِدُ القهّارُ الّذي لا إله إلّا هو.

وأمّا السُّنّة: فكثيرةٌ أيضًا لا يُمكِنني حصرُها، وقد رغَّب في هذه الكلِمة الرسولُ ﷺ في الحياةِ وعندَ المماتِ ترغيبًا عَظيمًا وحضَّ علَيها ما لَم يحضَّ علَى غيرِها، وقد ثَبت في «الصّحيح» أنّ النّبيَّ ﷺ قال: **«مَن قال: لا إله إلّا الله خالِصًا من قَلبِه حَرَّمَه الله على النّارِ»**[3].

---

(1) قال ابن القيم في إغاثة اللهفان، ط الأوقاف، (ج1/ 41): فإن الإله هو الذي تألهه القلوب محبة، وإنابة، وإجلالًا، وإكرامًا، وتعظيمًا، وذلًا، وخضوعًا، وخوفًا، ورجاءً، وتوكلًا، والرب هو الذي يرب عبده، فيعطيه خلقه، ثم يهديه إلى مصالحه، فلا إله إلا هو، ولا رب إلا هو.

(2) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء: 22].

(3) متفق عليه: 1- صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا، حديث (128)؛ عن أنس بن مالك: أن النبي ﷺ، ومعاذ رديفه على الرحل، قال: «يا معاذ بن جبل»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: «يا معاذ»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثا، قال: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، صدقا من قلبه، إلا حرمه الله على النار»، قال يا رسول الله: أفلا أخبر به الناس، فيستبشروا؟ قال: «إذًا يتكلوا» وأخبر بها معاذ عند موته تأثما. 2- صحيح مسلم (53- 32) بنحو لفظ البخاري.

وفي «الصّحيح» أيضًا: أنّ النبيَّ ﷺ قال: «مَن ماتَ وهو يَعلَمُ أنّه لا إله إلّا الله دَخَلَ الجنّة»(1).

وفي «السُّننِ» مرفوعًا: «مَن كان آخِرُ كَلامِه: لا إله إلّا الله دَخَلَ الجنّة»(2). ورواه الإمامُ أحمدُ، ولفظُه: «مَن كان آخِرُ قولِه: لا إله إلّا الله دَخَلَ الجنّة»(3). ورواه الحاكِمُ، وقال: صَحيحُ الإسنادِ(4).

وفي «الصّحيح»: أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَن قال: لا إله إلّا الله يَبتَغي بذلك وجهَ الله حَرَّمَه الله على النّارِ». وفي لفظٍ آخَرَ: «حَرَّمَ الله على النّارِ مَن قال: لا إله إلّا الله»(5)، وفي حديثِ أبي ذَرٍّ مرفوعًا: «ما من عبد قال:

---

(1) صحيح مسلم (43- 26)، عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(2) رواه: أبو داود في سننه، كتاب الجنائز، باب في التلقين، حديث (3116)؛ من طريق: الضحاك بن مخلد، قال: حدثنا عبد الحميد بن جعفر، قال: حدثني صالح بن أبي عريب، عن كثير بن مرة، عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ... الحديث.

(3) رواه الإمام أحمد: - حديث (22034)، (ج36/ 363)؛ من طريق: محمد بن بكر، قال: أخبرنا عبد الحميد بن كعفر، قال: حدثنا صالح بن أبي عريب، عن كثير بن مرة، عن معاذ بن جبل -قال: قال لنا معاذ في مرضه-: قد سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا كنت أكتمكموه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله؛ وجبت له الجنة».

⊙ حديث (22127)، (ج36/ 443)؛ من طريق: أبو عاصم، قال: حدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن صالح بن أبي عريب، عن كثير بن مرة، عن معاذ مرفوعًا. بلفظ: «وجبت له الجنة» بدل: «دخل الجنة».

(4) رواه: الحاكم في مستدركه: حديث (1299/ 36)، (ج1/ 503)؛ من طريق: أبي عاصم النبيل، قال: ثنا عبد الحميد بن جعفر، ثنا صالح بن أبي عريب، عن كثير بن مرة، عن معاذ مرفوعًا... الحديث.

قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي.

⊙ حديث (1842/ 42)، (ج1/ 678)؛ من نفس الطريق السابق. قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه). ووافقه الذهبي.

(5) متفق عليه: 1- صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت، حديث=

لا إله إلّا الله، ثُمَّ ماتَ على ذلك إلّا دَخَلَ الجنّة»، قلتُ: يا رسول الله وإن زَنا وسَرَقَ؟ قال: «وإن زَنا وسَرَقَ» ثلاثًا، ثُمَّ قال في الرّابِعةِ: «على رغمِ

=(425)؛ عن ابن شهاب، قال: أخبرني محمود بن الربيع الأنصاري، أن عتبان بن مالك -وهو من أصحاب رسول الله ﷺ ممن شهد بدرا من الأنصار- أنه أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله قد أنكرت بصري، وأنا أصلي لقومي، فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم، لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي بهم، ووددت يا رسول الله، أنك تأتيني فتصلي في بيتي، فأتخذه مصلى، قال: فقال له رسول الله ﷺ: «سأفعل إن شاء الله». قال عتبان: فغدا رسول الله ﷺ، وأبو بكر حين ارتفع النهار، فاستأذن رسول الله ﷺ، فأذنت له، فلم يجلس حتى دخل البيت، ثم قال: «أين تحب أن أصلي من بيتك؟» قال: فأشرت له إلى ناحية من البيت، فقام رسول الله ﷺ فكبر، فقمنا فصفّنا، فصلى ركعتين ثم سلم، قال: وحبسناه على خزيرة صنعناها له، قال: فثاب في البيت رجال من أهل الدار ذوو عدد، فاجتمعوا، فقال قائل منهم: أين مالك بن الدخيشن -أو ابن الدخشن-؟ فقال بعضهم: ذلك منافق، لا يحب الله ورسوله. فقال رسول الله ﷺ: «لا تقل ذلك، ألا تراه قد قال: لا إله إلا الله، يريد بذلك وجه الله» قال: الله ورسوله أعلم، قال: فإنا نرى وجهه، ونصيحته إلى المنافقين. قال رسول الله ﷺ: «فإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله». قال ابن شهاب: ثم سألت الحصين بن محمد الأنصاري -وهو أحد بني سالم- وهو من سَرَاتهم، عن حديث محمود بن الربيع الأنصاري: فصدقه بذلك.

⊙ كتاب التهجد، باب صلاة النوافل جماعة، حديث (1186) بنحو اللفظ السابق.

⊙ كتاب الأطعمة، باب الخزيرة؛ قال النضر: الخزيرة من النخالة، والحريرة من اللبن، حديث (5401) بنحو اللفظ السابق.

⊙ كتاب الرقاق، باب العمل الذي يبتغي به وجه الله، حديث (6423)؛ بلفظ: (عن عتبان بن مالك الأنصاري، ثم أحد بني سالم، قال: غدا عليّ رسول الله ﷺ، فقال: «لن يوافي عبد يوم القيامة، يقول: لا إله إلا الله، يبتغي به وجه الله، إلا حرم الله عليه النار»).

⊙ كتاب الإكراه، باب ما جاء في المتأولين، حديث (6938)؛ بلفظ: (عن عتبان بن مالك، يقول: غدا عليّ رسول الله ﷺ، فقال رجل: أين مالك بن الدخشن؟ فقال رجل منّا: ذلك منافق، لا يحب الله ورسوله، فقال النبي ﷺ: «ألا تقولوه: يقول لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله» قال: بلى، قال: «فإنه لا يوافى عبد يوم القيامة به، إلا حرم الله عليه النار»).

2- صحيح مسلم، حديث (263-33)؛ بنحو لفظ البخاري حديث (425).

أنفِ أبي ذَرٍّ»[1]، وعن أنَسٍ، عَنِ النّبيِّ ﷺ قال: «يَخرُجُ مِنَ النّارِ مَن قال: لا إله إلّا الله، وفي قَلبِه وزنُ شَعيرة من خَيرٍ، ويَخرُجُ مِنَ النّارِ مَن قال: لا إله إلّا الله، وفي قَلبِه وزنُ بُرّة من خَيرٍ، ويَخرُجُ مِنَ النّارِ مَن قال: لا إله إلّا الله، وفي قَلبِه وزنُ ذَرّة من خَيرٍ»، رواه البُخاريُّ، ومُسلِمٌ[2].

والذّرّة: النّملة الصّغيرة[3]. وفي «صحيح مُسلِم» قال رسول الله ﷺ: «لَقِّنوا مَوتاكُم: لا إله إلّا الله»[4].

وعن حُمَيدٍ[5]، عن أنَسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قال: لا

---

(1) متفق عليه: 1- صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب الثياب البيض، حديث (5827)؛ عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: أتيت النبي ﷺ وعليه ثوب أبيض، وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ، فقال: «ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة»، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق»، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق»، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق، على رغم أنف أبي ذر»، وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال: وإن رغم أنف أبي ذر. قال أبو عبد الله البخاري: هذا عند الموت، أو قبله إذا تاب وندم، وقال: لا إله إلا الله، غفر له.

2- صحيح مسلم، حديث (154- 94) بنحو لفظ البخاري.

(2) متفق عليه: 1-صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، حديث (44). 2- صحيح مسلم (325- 193).

(3) الذَّرُّ: النمل الأحمر الصغير، واحدتها: ذرّة... وقيل: الذّرة ليس لها وزن، ويراد بها ما يُرى في شعاع الشمس الداخل في النافذة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (ذرر)، (ج4/ 1462).

(4) صحيح مسلم (1- 916) من حديث أبي سعيد الخدري.

(5) هو حميد بن أبي حميد الطويل، أبو عبيدة الخزاعي البصري، وهو خال حماد بن سلمة. روى عن: إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل، وأنس بن مالك، وثابت البناني، والحسن البصري، وعكرمة مولى ابن عباس، ونافع مولى ابن عمر. روى عنه: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفزاري، وإسماعيل بن علية، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك، وعبد العزيز بن الماجشون، وغيرهم. قال يحيى بن معين: (ثقة)، وقال العجلي: (بصري تابعي ثقة)، وقال حامد بن سلمة: (عامة ما=

إلـه إلّا الله عنـد المـوتِ، هَدَمَـت مـا قَبلَهـا مِـنَ الخطايـا» قالـوا: كيـف هـي الحيـاةُ؟ قـال: «أهـدَمُ وأهـدَمُ» رواتـه ثقـات[1]. وعـن زَيدِ بـن أسـلَمَ[2]، قـال:

=يروي حميد عن أنس سمعه من ثابت)، روى له الجماعة، توفي وهو قائم يصلي سنة (140 هـ، وقيل:142 هـ، وقيل:143 هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج7/ 355-365).

(1) رواه: 1- عبد الرزاق في مصنفه، (ج3/ 387)، حديث (6048)؛ من طريق: معمر، عن أبان، عمّن حدَّثه، عن ابن مسعود.

2- المطالب العالية لابن حجر، (ج5/ 191)، حديث (772)؛ من طريق: أبي يعلى، قال: حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل، حدثنا فرج بن فضالة، عن العلاء بن الحارث، عن مكحول، قال: مرض معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأتاه أصحابه يعودونه، فقال: أجلسوني. فأجلسوه، فقال كلمة سمعتها من رسول الله ﷺ، فقال: «من كان آخر كلامه عند الموت لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هدمت ما كان قبلها من الذنوب والخطايا، فلقنوها موتاكم». قالوا: يا أبا عبد الرحمن فكيف هي للأحياء. قال: «أهدم وأهدم».

۞ قال البوصيري في الإتحاف، (ج2/ 428): رواه أبو يعلى بسند فيه فرج بن فضالة؛ وهو ضعيف، وهو منقطع أيضًا بين مكحول ومعاذ بن جبل.

3- ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين (ص:19)، حديث (3)؛ من طريق: أبي نصر التمار... عن عروة بن مسعود، عن أبيه، عن حذيفة، كما في التلخيص الحبير (ج2/ 103)، وسكت عنه الحافظ ابن حجر.

۞ قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (ج1/ 246)، حديث (942): أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس»؛ من طريق ابن المقري من حديث أبي هريرة، وفيه موسى بن وردان مختلف فيه، ورواه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف، ورواه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» من حديث الحسن مرسلًا.

(2) زيد بن أسلم القرشي، العدوي، أبو أسامة، ويقال: أبو عبد الله، المدني، الفقيه، مولى عمر بن الخطاب. روى عن: أنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وعائشة أم المؤمنين. روى عنه: ابنه أسامة بن زيد بن أسلم، وأيوب السختياني، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، والضحاك بن شرحبيل، وعبد العزيز بن عبد الله الماجشون، ومالك بن أنس، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري، وغيرهم. قال عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه، وأبو زرعة، وأبو حاتم، ومحمد بن سعد، والنسائي، وابن خراش: (ثقة)، وقال يعقوب بن شيبة: (ثقة من أهل الفقه والعلم)، روى له الجماعة، توفي سنة (136 هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج10/ 12-18).

قال عُثمانُ بن عَفّانَ: «إذا احتَضَرَ الميِّتُ فَلَقِّنوه: لا إله إلّا الله، فإنّه ما من عبد يُختَمُ له بها عند مَوتِه إلّا كانت زادَه إلى الجنّة». رَواهُما[1] ابنُ أبي الدُّنيا في «الذِّكرِ» له[2].

وعن أبي هريرة، قال: سَمِعتُ رسول الله ﷺ يَقولُ: «حَضَرَ مَلَكُ الموتِ رَجُلًا يَموتُ، فنَظَر في قَلبِه فلم يَجِد فيه شَيئًا، فَفَكَّ لَحيَيهِ[3]، فَوَجَدَ طَرَفَ لِسانِه لاصِقًا بحَنَكِه يَقولُ: لا إله إلّا الله، فَغَفَرَ الله له بكَلِمة الإخلاصِ»، رواه الطَّبَرانيُّ[4].

---

(1) أي: هذا الحديث، وحديث أنس السابق.

(2) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين (ص:20)، حديث (5)؛ من طريق: عبد الملك بن عبد العزيز الماجشون، قال: حدثني أبي، عن زيد بن أسلم، قال: قال عثمان بن عفان -الحديث-. الحديث إسناده منقطع؛ حيث إنّ زيدًا لم يدرك عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(3) في الأصل: لحيته، والمثبت من مصادر الحديث، وهو الصواب.

(4) رواه: 1- الطبراني في الدعاء، (ص:433)، حديث (1473)؛ من طريق: الحسن بن علي المعمري، وعبدان بن أحمد، قالا: ثنا أبو المفلس عبد ربه بن خالد النميري، ثنا فضيل بن سليمان النميري، عن موسى بن عقبة، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «حضر ملك الموت عَلَيْهِ السَّلَامُ رجلا فنظر في كل عضو من أعضائه فلم يجد فيه حسنة، ثم شق عن قلبه فلم يجد فيه شيئا، ثم فك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول: لا إله إلا الله، فقال: وجبت لك الجنة بقولك كلمة الإخلاص»

2- أبو حاتم الرازي في الزهد (ص:39)، حديث (15)؛ من طريق: عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن موسى بن عقبة، عن رجل من آل عبادة بن الصامت، عن أبي هريرة مرفوعًا.

3- ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين (ص:22)، حديث (9)؛ كطريق أبي حاتم.

4- البيهقي في شعب الإيمان: (ج2/ 323)، حديث (984). و(ج11/ 439)، حديث (8799)؛ كطريق أبي حاتم.

5- الغزالي في إحياء علوم الدين (ج4/ 466) عن أبي هريرة مرفوعًا.

۞ قال الحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار، (ج2/ 1213): رواه ابن أبي الدنيا في=

فمَـن واظَـبَ علَـى هـذه الكلِمـة، وعوَّدَهـا لِسانَه، فالظَّاهِـرُ أنَّـه يكـونُ أكثرَ استحضارًا لهـا عنـدَ المـوتِ مـن غيـره، بـل لِسانُه يلهجُ بهـا مـن غيرِ اختيـاره، واللـه أعلَـمُ.

وفـي البُخـاريِّ ومُسلِم أنّ النّبـيَّ ﷺ قـال: «يـا مُعـاذُ»؛ قُلـتُ: لَبّيـكَ وسَعدَيكَ يـا رسـول الله. ثَلاثًـا، ثُـمَّ قـال: «مـا مـن عبد يَشـهَدُ أنّ لا إلـه إلّا اللـه، وأنّ محمّـدًا رسـول الله إلّا حَرَّمَـه اللـه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ علـى النّـارِ»، قـال مُعـاذٌ: ألا أُخبِرُ بهـا النّـاسَ فَيستبشِـروا؟ قـال: «إذًا يَتّكِلـوا»، فَأخبَـرَ بهـا مُعـاذٌ عنـد مَوتِـه تَأثُّمًـا[1]. يعنـي: مخافـة الإثـم[2].

ورَوَى ابـنُ البنّـاءِ بإسـناده، عـن حُمـرانَ[3]، عـن عُثمـانَ، عـن عُمَرَ بـن الخطّـابِ، قـال: سَـمِعتُ رسـول الله ﷺ يَقـولُ: «إنّـي لَأعلَـمُ كَلِمـة لا يَقولُهـا

=كتاب المحتضرين، والطبراني، والبيهقي في الشعب، وإسناده جيد، إلّا أنّ في رواية البيهقي رجـلًا لم يُسمَّ، وسمي في رواية الطبراني: إسحاق بن يحيى بن طلحة، وهو ضعيف.

۞ قال المناوي في فيض القدير، (ج3/ 388): التوحيد المحض الخالص عن شوائب الشرك لا يبقى معه ذنب، فإنه يتضمن من محبة الله وإجلاله وخوفه ورجائه وحده ما يوجب غسل الذنوب، فلو لقي الموحد المخلص ربه بقراب الأرض خطايا قابله بقرابها مغفرة، فإن نجاسة الذنوب عارضة، والدافع لها قوي، فلا تثبت معه خطيئة.

(1) تقدم تخريجه.

(2) أي: تجنبًا للإثم. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (أثم)، (ج1/ 51).

(3) هو حمران بن أبان -ويقال: ابن أُبَي، ويقال: ابن أبَا- بن خالد النمري المدني، مولى عثمان بن عفان، من سبي عين التمر، كان للمسيب بن نجبة فابتاعه منه عثمان فأعتقه، أدرك أبا بكر وعمر. وروى عن: مولاه عثمان بن عفان، ومعاوية بن أبي سفيان. روى عنه: بكير بن عبد الله بن الأشج، والحسن البصري، وزيد بن أسلم، وعروة بن الزبير، ومسلم بن يسار وغيرهم. قال معاوية بن صالح، عن يحيى بن معين في تسمية تابعي أهل المدينة ومحدثيهم: حمران بن أبان. روى له الجماعة، توفي بعد سنة (75هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج7/ 301-306).

عبد إلّا حُرِّمَ على النّارِ [109/ ب]: لا إله إلّا الله»(1). وفي «صحيح مُسلِم» من حديثِ أبي مالِكٍ الأشعَريِّ رفعَه إلى النّبيِّ ﷺ وفيه: «لا إله إلّا اللّه ليس لها دونَ الله حِجابٌ حَتّى تَخلُصَ إليه»(2).

---

(1) رواه: 1- ابن البناء في التهليل وثوابه الجزيل (ص:29-30)، حديث (1)؛ من طريق: سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن مسلم بن يسار، عن حمران بن أبان، عن عثمان بن عفان، عن عمر بن الخطاب، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «إني لأعلم كلمة، لا يقولها عبد إلا حُرِّم على النّار: لا إله إلا الله».

2- الإمام أحمد في مسنده، حديث (447)، (ج1/ 499)؛ من طريق: سعيد، عن قتادة، عن مسلم بن يسار، عن حمران بن أبان، عن عثمان بن عفّان، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقًّا من قلبه إلا حرم على النار»، فقال له عمر بن الخطاب: أنا أحدثك ما هي؟ هي كلمة الإخلاص التي ألزمها الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ محمّدًا ﷺ وأصحابه، وهي كلمة التقوى التي ألاص عليها نبي الله ﷺ عمه أبا طالب عند الموت: شهادة أن لا إله إلا الله.

3- الحاكم في مستدركه، حديث (242/ 242)، (ج1/ 143-144)؛ من نفس طريق ابن البناء. قال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذا اللفظ، ولا بهذا الإسناد. إنما اتفقا على حديث: محمود بن الربيع، عن عتبان بن مالك، الحديث الطويل في آخره: «وإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله -الحديث-»، وقد أخرجاه أيضا من حديث: شعبة، وبشر بن المفضل، وخالد الحذاء، عن الوليد أبي بشر، عن حمران، عن عثمان، عن النبي ﷺ: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة»، وليس فيه ذكر عمر، وله شاهد بهذا الإسناد عن عثمان، ولم يخرجاه). ووافقه الذهبي.

4- ابن خزيمة في التوحيد، حديث (11-500)، (ج2/ 774)؛ من نفس طريق ابن البناء، بلفظ: «إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه، فيموت على ذلك إلا حرم على النار: لا إله إلا الله»

5- ابن حبّان في صحيحه، ذكر البيان بأن الجنة إنما تجب لمن شهد بما وصفنا عن يقين منه ثم مات على ذلك، حديث (816)؛ من نفس طريق، ولفظ ابن خزيمة.

(2) لم أقف عليه بهذا اللفظ في مسلم، والذي رواه مسلم في صحيحه، حديث (1- 223)؛ عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن -أو تملأ- ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو؛ فبايع نفسه=

وَعَنِ ابنِ عَمرٍو[1]، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما على الأرضِ أحَدٌ يقولُ: لا إله إلا الله، والله أكبَرُ، ولا حَولَ ولا قوّة إلّا بالله العليِّ العظيم؛ إلّا كُفِّرَت عنه خَطاياه[2]، وإن[3] كانت مِثلَ زَبَدِ البحرِ». رواه التِّرمذيُّ، والنَّسائيُّ[4].

=فمعتقها، أو موبقها». ورواه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، حديث (3811)؛ من طريق: الحسن بن عرفة، قال: حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عبد الرحمن بن زياد، عن عبد الله بن يزيد، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «التسبيح نصف الميزان، والحمد لله يملؤه، ولا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص إليه». قال أبو عيسى: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وليس إسناده بالقوي.

(1) في الأصل: ابن عُمر، والمثبت من مصادر الحديث.

(2) في الأصل: خطايا، والمثبت من مصادر الحديث.

(3) كذا في الأصل، وفي سنن الترمذي: ولو.

(4) رواه: 1- الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد: - حديث (3749)؛ من طريق: عبد الله بن أبي زياد، قال: حدثنا عبد الله بن بكر السهمي، عن حاتم بن أبي صغيرة، عن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما على الأرض أحد يقول: لا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ إلا كفرت عنه خطاياه، ولو كانت مثل زبد البحر». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن، وروى شعبة هذا الحديث عن أبي بلج، بهذا الإسناد نحوه، ولم يرفعه، وأبو بلج اسمه: يحيى بن أبي سليم، ويقال: ابن سليم أيضًا.

⊙ حديث (3750)؛ من طريق: محمد بن بشار، قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن حاتم بن أبي صغيرة، عن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ...نحوه.

⊙ حديث (3751)؛ من طريق: محمد بن بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن أبي بلح...نحوه، ولم يرفعه.

2- النسائي في السنن الكبرى، (ج9/ 53): - حديث (9873)؛ من طريق: محمد بن المثنى، قال: حدثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله، قال: حدثنا شعبة، عن أبي بلج، قال: سمعت عمرو بن ميمون يحدث عن عبد الله بن عمرو، قال: (من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير؛ كفرت عنه ذنوبه، وإن كانت مثل زبد البحر). =

وروي أيضًا عن فَرقد السَّبخيِّ[1]، عن أَنَسِ بن مالِكٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ يقولُ: نوري هُداي، ولا إله إلّا الله كَلِمَتي، وأنا هو، فَمَن قالها مُخلِصًا، أدخَلتُه جَنّتي، ومَن أدخَلتُه جَنّتي فَقد أتحَفتُه»[2].

= ۞ حديث (9874)؛ من طريق: محمد بن بشار، قال: حدثنا محمد، قال: حدثنا شعبة، عن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله بن عمرو، قال: (من قال: لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله، وسبحان الله كثيرًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ كفرت خطاياه، وإن كانت أكثر من زبد البحر).

۞ حديث (9875)؛ من نفس طريق الترمذي حديث (3750).

(1) هو فرقد بن يعقوب السبخي، أبو يعقوب البصري، نسب إلى سبخة البصرة. قال أبو حاتم: (كان حائكًا). روى عن: إبراهيم النخعي، وأنس بن مالك، وربعي بن حراش، وسعيد بن جبير، وغيرهم. روى عنه: أشرس أبو شيبان الهذلي، والحسن بن ذكوان، والحكم بن أبان، وحماد بن سلمة، ووهب بن راشد، وغيرهم. قال سليمان بن حرب، عن حماد بن زيد: (سألت أيوب عنه، فقال: ليس بشيء)، وقال علي بن المديني، عن يحيى بن سعيد القطان: (ما يعجبني الحديث عنه)، وقال أبو طالب، عن أحمد بن حنبل: (رجل صالح، ليس بقوي في الحديث، لم يكن صاحب حديث)، وقال البخاري: (في حديثه مناكير)، روى له الترمذي وابن ماجة، توفي أيام الطاعون بالبصرة سنة (131هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج23/ 164- 170).

(2) رواه: 1- العقيلي في الضعفاء الكبير، (ج4/ 322).

2- ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال، (ج7/ 68).

3- ابن البناء في فضل التهليل (ص:31)، حديث (2).

۞ جميعًا من طريق: وهب بن راشد، عن فرقد السنجي، عن أنس بن مالك مرفوعًا. قال ابن عدي: (وهذه الأحاديث عن ثابت، وعن فرقد غير محفوظة، ولا أعلم يرويها غير وهب بن راشد).

۞ قال ابن حجر في لسان الميزان، ط مكتب المطبوعات الإسلامية، (ج8/ 397)، ترجمة (8391): وهب بن راشد رقي، ويقال: بصري. عن: ثابت، ومالك بن دينار، وفرقد. وعنه: داود بن رشيد، وعلي بن معبد، وجماعة. قال ابن عدي: (ليس حديثه بالمستقيم أحاديثه كلها فيها نظر)، وقال الدارقطني: (متروك)، وقال ابن حبان: (لا يحل الاحتجاج به بحال).

وروَى نافعُ بن أبي سُهَيلٍ[1]، عن أنَسٍ أيضًا، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا إله إلّا الله تَمنَعُ العِبادَ من سَخَطِ الله ما لم يُؤثِروا صَفقةَ دُنياهم على دِينِهم**»[2]. قال بعضُ الحُفّاظِ: إسنادُه ثِقاتٌ. وَعن حُذَيفة بن اليمانِ، قال: أسنَدتُ النّبيَّ ﷺ إلى صَدري[3]، فقال: «**مَن قال: لا إله إلّا الله، ابتِغاءَ وجه الله؛ دَخَلَ الجنّة**»[4]، رواه الإمامُ أحمد.

---

(1) هو نافع بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، أبو سهيل المدني، حليف بني تيم، عم مالك بن أنس، وأخو أويس بن مالك، والربيع بن مالك روى عن: أنس بن مالك، وسعيد بن المسيب، وعمر بن عبد العزيز، وأبي بردة بن أبي موسى الأشعري. روى عنه: إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير، وسليمان بن بلال، وعمر بن حمزة العمري، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري، وغيرهم. قال عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه: (من الثقات)، وقال أبو حاتم، والنسائي: (ثقة)، روى له الجماعة. انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج29/ 290-291).

(2) رواه: 1- ابن أبي الدنيا في العقوبات، (ص:22)، حديث (6).

2- ابن أبي عاصم في الزهد، (ص:144)، حديث (288)؛ من نفس طريق ابن أبي الدنيا.

3- ابن أبي حاتم في كتاب العلل (ج5/ 125)، حديث (1857).

۞ جميعًا من طريق: الحسين بن علي بن الأسود العجلي، قال: حدثنا أبو أسامة، قال: حدثنا عمر بن حمزة العمري، عن نافع بن مالك أبي سهيل، عن أنس بن مالك مرفوعًا -الحديث-.

۞ قال الدارقطني في أطراف الغرائب والأفراد، ط دار الكتب العلمية، (ج2/ 245-245)، حديث (1269): غريب من حديثه -أي: نافع أبو سهيل- عن أنس، تفرد به عمر بن حمزة العمري عنه، ولا نعلم رواه غير أبي أسامة.

۞ قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (ج1/ 424)، حديث (1612): رواه أبو يعلى والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف.

(3) في الأصل: أسندت إلى النبي ﷺ إلى صدري، والمثبت من مسند الإمام أحمد.

(4) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده، حديث (23324)، (ج38/ 350)؛ من طريق: حسن، وعفان، قالا: حدثنا حماد بن سلمة، عن عثمان البتي، عن نعيم -قال عفان في حديثه: ابن أبي هند-، عن حذيفة، قال: أسندت النبي ﷺ إلى صدري، فقال: «مَن قال لا إله إلا الله -قال حسن: ابتغاء وجه الله- ختم له بها دخل الجنة، ومن صام يومًا ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة، ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة». =

وَعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما قال عبد: لا إله إلّا

= 2- البيهقي في الأسماء والصفات، حديث (651)، (ج2/ 84)؛ من طريق: حسن بن موسى وحده، به.

3- أبو نعيم في حلية الأولياء، (ج5/ 208)؛ من طريق: داود بن أبي الفرات، عن محمد بن سيف أبي رجاء الأسدي، عن عطاء الخرساني، عن نعيم بن أبي هند، عن أبي سهل، عن حذيفة، قال: (دخلت على النبي ﷺ في مرضه الذي توفي فيه، وعلي يسنده إلى صدره، فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، كيف تجدك؟ قال: «صالح». فقلت لعلي: ألا تدعني فأسند رسول الله ﷺ إلى صدري، فإنك قد شهدت وأعييت؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا، هو أحق بذلك يا حذيفة، أُدنُ مني» فدنوت منه، فقال: «يا حذيفة من ختم له بصدقة أو بصوم يبتغي وجه الله أدخله الله الجنة». قلت: بأبي وأمي، أعلن أم أسر؟ قال: «بل أعلن»). قال أبو نعيم: مشهور من حديث نعيم، غريب من حديث عطاء، تفرد به داود.

4- البزار في مسنده، حديث (2919)، (ج7/ 320)؛ من طريق: الحسن بن عفان، قال: أخبرنا الحسن بن عطية، قال: أخبرنا قطري، عن سماك بن حذيفة، عن حذيفة قال: جئت إلى النبي ﷺ، والعباس جالس عن يمينه، وفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن يساره، فقال: «يا فاطمة بنت رسول الله ﷺ، اعملي لله خيرا إني لا أغني عنك من الله شيئا يوم القيامة»، قال: يعني ذلك ثلاث مرات، ثم قال: «يا عباس بن عبد المطلب، يا عم رسول اعمل لله خيرا إني لا أغني عنك يوم القيامة من الله شيئا»، قالها ثلاث مرات، ثم قال: «يا حذيفة ادن»، فدنوت، ثم قال: «يا حذيفة، من شهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وآمن -أحسبه قال: «بما جئت به»- إلا حرم الله عليه النار، ووجبت له الجنة، ومن صام رمضان يريد وجه الله، والدار الآخرة، ختم الله له به، وحرم عليه النار، ومن تصدق بصدقة يريد بها وجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والدار الآخرة، ومن حج بيت الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يريد وجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والدار الآخرة، ختم الله به، وحرم عليه النار، ووجبت له الجنة»، قلت: يا رسول الله، أسر هذا أم أعلنه؟، قال: «أعلنه». قال البزار: وهذان الحديثان لا نعلمهما يرويان عن حذيفة إلا بهذا الإسناد، ولا نعلم لحذيفة ابنا يقال له: سماك، إلا في هذا الحديث.

۞ قال الهيثمي في مجمع الزوائد، (ج2/ 324): رواه أحمد، وروى البزار طرفا منه في الصيام فقط، ورجاله موثقون.

۞ قال المنذري في الترغيب والترهيب، كتاب الصوم، (ج2/ 85): رواه أحمد بإسناد لا بأس به.

اللهِ قَطُّ مُخلِصًا، إلّا فُتِحَت له أبوابُ السّماءِ حَتّى تُفضي إلى العرشِ، ما اجتُنِبَتِ[1] الكبائرُ»، رواه التِّرمذيُّ، والنّسائيُّ[2].

ورَوَى الزُّهريُّ[3]، عن أنسٍ أيضًا، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما قال عبد: لا إله إلّا الله في ساعة من لَيلٍ أو نَهارٍ إلّا طُلِسَت[4] ما في صَحيفَتِه مِنَ السّيِّئاتِ إلى مِثلِها مِنَ الحسَناتِ»[5].

---

(1) في الترمذي: اجتَنب.

(2) رواه: 1- الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، حديث (3890). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

2- النسائي في: السنن الكبرى، (ج9/ 307)، حديث (10601). وعمل اليوم والليلة، حديث (833).

3- البزار في مسنده، حديث (9762)، (ج17/ 155). قال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى من حديث أبي حازم إلا من رواية يزيد بن كيسان عنه.

۞ جميعًا من طريق: الوليد بن القاسم بن الوليد الهمداني، عن يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة مرفوعًا.

۞ قال الطيبي في شرح المشكاة، (ج6/ 1830): والمراد بهذا وأمثاله سرعة القبول، وكثرة الثواب، قَيَّدَ سرعة القبول، وكمال الثواب باجتناب الكبائر؛ فإن الثواب يحصل للقائل سواء اجتنب الكبائر، أو لم يجتنب، ولكن ثواب من يجتنب الكبائر أكمل ممن لم يجتنب، فإن السيئة لا تحط الحسنة، بل تُذهب الحسنةُ السيئةَ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾.

(3) تقدمت ترجمته.

(4) في هامش الأصل: (أي: محت، والطّلس: المحو). قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة (طلس)، (ج6/ 2549): أي: محوته. وقيل: الأصل فيه الطُّلسة؛ وهي الغبرة إلى السواد. الأطلس: الأسود، والوسخ.

(5) رواه: 1- أبو يعلى في مسنده، حديث (3611)، (ج6/ 294).

2- ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال، (ج6/ 272).

۞ كلاهما من طريق: عثمان بن عبد الرحمن الزهري -من ولد سعد بن أبي وقاص-، عن الزهري، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ- الحديث- بلفظ: «إلا طمست». =

وروى ابنُ رَزقويهِ[1] بسنَدِه، عن سُليمانَ بن يَسارٍ[2]، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ لله عَمودًا تَحتَ العرشِ، فإذا قال العبدُ: لا إله إلّا الله اهتزَّ ذلك العمودُ، فيَقولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: اسكُن، فيَقولُ: يا رَبِّ؛ وكيف أسكُنُ ولم تَغفِر لِقائِلِها؟ فيَقولُ: فإنّي قد غفَرتُ له. قال: فيَسكُنُ عند ذلك»[3]. . . . .

= ۞ قال الذهبي في تاريخ الإسلام، (ج4/ 454): عثمان بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري الوقاصي المدني، أبو عمرو؛ أحد الضعفاء، قال البخاري: (تركوه)، وقال النسائي، وغيره: (متروك الحديث)، وقال الترمذي: (ليس بالقوي)...-ثم ذكر الذهبي الحديث بسنده عن عثمان بن عبد الرحمن-

(1) هو ابن رزقويه؛ الإمام، المحدث المتقن، المعمر، شيخ بغداد، أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رزق بن عبد الله بن يزيد البغدادي، البزاز. ولد سنة (325هـ) قال الخطيب: (كان ثقة صدوقًا كثير السماع والكتابة، حسن الاعتقاد، مديمًا للتلاوة...) توفي سنة (412هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج17/ 258-259).

(2) هو سليمان بن يسار الهلالي، المدني، مولى ميمونة زوج النبي ﷺ، أخو: عطاء بن يسار، وعبد الملك بن يسار، وعبد الله بن يسار. روى عن: جابر بن عبد الله، وحسان بن ثابت، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وغيرهم. روى عنه: أسامة بن زيد الليثي، وبكير بن عبد الله بن الأشج، وصالح بن كيسان، وعبد الله بن دينار، وغيرهم. قال الزهري: (كان من العلماء)، قال يحيى بن معين: (سليمان بن يسار ثقة)، وقال أبو زرعة: (ثقة مأمون فاضل عابد)، روى له الجماعة. انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج12/ 100-105).

(3) رواه: 1- ابن البناء في فضل التهليل وثوابه الجزيل (ص:76)، حديث (44)، من طريق: ابن رزقويه، قال: أخبرنا عثمان بن علي بن إبراهيم الوكيل، قال: حدثنا محمد بن يونس، قال: حدثنا عبد الله بن إبراهيم بن أبي عبيد الغفاري، حدثنا عبد الله بن أبي بكر بن المنكدر، عن صفوان بن سليم، عن سليمان بن يسار، عن أبي هريرة.

2- البزار في مسنده، حديث (8065)، (ج14/ 361)؛ من طريق: سلمة بن شبيب، قال: نا عبد الله بن إبراهيم بن أبي عمرو، قال: نا عبد الله بن أبي بكر، عن صفوان بن سليم، به. قال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه، بهذا الإسناد، وعبد الله بن إبراهيم بن أبي عمرة ليس بالقوي في الحديث، وإنما ذكرنا هذا الحديث لحسن كلامه. =

لكِن في إسناده مَقالٌ(1).

ورَوَى ابنُ أبي شَيبة بإسناده، عن سَعدِ بن سَعيدٍ الأنصاريِّ(2)، قال: سَمِعتُ عَليَّ بن الحُسَينِ يُحدِّثُ، قال: كان رَجُلٌ أكثَرَ الغزوَ في سَبيلِ الله، فَكان لا يَخلو إلى وادٍ إلّا قال: لا إله إلّا الله وحدَه لا شَريكَ لَه، يَرفَعُ بها صَوتَه، فَبينا هو يَرفَعُ صَوتَه؛ إذ خَرَجَ عليه رَجُلٌ على فَرَسٍ، فقال: ما تَقولُ يا عبد الله؟ قال: أقولُ: ما سَمِعتَ، قال: فَوَ الّذي نَفسي

=3- ابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال، حديث (2)، (ص: 7)؛ من طريق: محمد بن مخلد بن حفص، قال: نا عبدوس بن بشر، قال: نا أبو عبد الرحمن عبد العزيز بن عبد الواحد العسقلاني، قال: نا أبو نعيم عمر بن صبح، عن مقاتل بن حيان، عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ، قال: «إن لله عَزَّوَجَلَّ عمودا من نور، أسفله تحت الأرض السابعة، ورأسه تحت العرش، فإذا قال العبد: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله؛ اهتز ذلك العمود، فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: «اسكن» فيقول: يا رب، كيف أسكن، ولم تغفر لقائلها؟ فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: «اسكن فإني قد غفرت لقائلها»، قال: فقال النبي ﷺ: «أكثروا من هز ذلك العمود».

4- أبو نعيم في حلية الأولياء، (ج3/ 164)؛ من طريق: أبي بكر بن خلاد، قال: ثنا محمد بن يونس، ثنا عبد الله بن إبراهيم بن أبي عمرو الغفاري، ثنا عبد الله بن أبي بكر بن المنكدر، به. قال أبو نعيم: غريب من حديث صفوان، تفرد به ابن المنكدر، ورواه محمد بن أشرس، عن عبد الصمد بن حسان، عن سفيان الثوري، عن صفوان مثله.

(1) ذكره ابن الجوزي في كتاب الموضوعات، (ج3/ 166-167). والسيوطي في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، (ج2/ 289-290). وعلي بن محمد الكناني في تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة، (ج2/ 319). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج10/ 82): رواه البزار، وفيه عبد الله بن إبراهيم بن أبي عمرو، وهو ضعيف جدًّا.

(2) هو سعد بن سعيد بن عمرو الأنصاري، المدني، أخو يحيى بن سعيد، وعبد ربه بن سعيد. روى عن: أنس بن مالك، وعمرو بن الزبير، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري، وغيرهم. روى عنه: إسماعيل بن جعفر، وحفص بن غياث، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وشعبة بن الحجاج، وغيرهم. قال عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه: (ضعيف)، وقال النسائي: (ليس بالقوي)، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات، وقال: (كان يخطئ)، استشهد به البخاري في «الجامع»، وروى له في «الأدب»، وروى له الباقون، توفي سنة (140هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (10/ 262-265).

بيده إنها الكلمة التي قال الله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ٨٩﴾[1] [النمل: 89].

وعن عَطاءِ بن السّائِب[2]، عن أبيه[3]، عَنِ ابنِ عمرو[4] رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا، قال: قال رَجُلٌ: لا إله إلّا الله، عَدَدَ ما أحصاه عِلمُه، قال: فقال رسول الله ﷺ: «لَقد رَأيتُ الملائِكة يَتَلَقّى بعضهم بعضا أيُّهم يَسبِقُ إليها فيَكتُبُها»، قال: «فقالتِ الملائِكة: يا رَبِّ؛ فكيف نكتُبُها؟ قال: اكتُبوا[5] كما قال عبدي»[6]، رواه البزّار.

وفي السّيرةِ من حديثِ العلاءِ[7]: سُئِل رسول الله ﷺ عن مِفتاحِ

---

(1) لم أقف عليه عند ابن أبي شيبة. ورواه الطبري في تفسيره، (ج18/ 141-142)؛ من طريق: أبي السائب، قال: ثنا حفص، ثنا سعد بن سعيد، عن علي بن الحسين -وكان رجلا غزاء-، قال: بينا هو في بعض خلواته، حتى رفع صوته: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، قال: فرد عليه رجل: ما تقول يا عبد الله؟ قال: أقول ما تسمع. قال: أما إنها الكلمة التي قال الله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ٨٩﴾.

(2) تقدمت ترجمته.

(3) هو السائب بن مالك، -ويقال: ابن يزيد، ويقال: ابن زيد-، الثقفي، أبو يحيى -ويقال: أبو كثير- الكوفي، والد عطاء بن السائب. روى عن: سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعلي بن أبي طالب، وعمار بن ياسر، والمغيرة بن شعبة. روى عنه: ابنه عطاء بن السائب، وأبو إسحاق السبيعي، وأبو البختري. قال أحمد بن عبد الله العجلي: (كوفي، تابعي، ثقة)، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات، روى له البخاري في «الأدب»، والباقون سوى مسلم. انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج10/ 192-193).

(4) في الأصل: ابن عمر، والمثبت من مصادر الحديث.

(5) كذا في الأصل، وفي مصادر الحديث: اكتبوها.

(6) رواه: البيهقي في: الأسماء والصّفات، (ج1/ 303)، حديث (228). والدّعوات الكبير (ج1/ 221)، حديث (150)؛ من طريق: عليّ بن عاصم، قال: أخبرنا عطاء بن السّائب، عن أبيه، به.

(7) أي: ابن الحضرمي.

الجنّـة، فقـال: «مِفتاحُهـا: لا إلـه إلّا اللـه»(1).

وفـي البُخـاريِّ: قيـلَ لِوَهـبٍ: أليس مِفتاحُهـا: لا إلـه إلّا اللـه؟ [109/ أ]، فقـال: بَلَـى، ولَكِـن ليس مـن مِفتـاحٍ إلّا ولـه أسـنانٌ، فَـإن جِئـتَ بِمِفتـاحٍ لـه أسـنانٌ فُتِـحَ لَـكَ، وإلّا لـم يُفتَـح لَـكَ(2).

وفـي روايـةِ غيـره: أنّـه ذُكِـر لابـنِ عبّـاسٍ قـولُ وهـبٍ، فقـال: صَـدَقَ، وأنـا أُخبِركـم عَـنِ الأسـنانِ، فذَكَـر الصّـلاةَ، والزّكـاةَ، وشَـرائعَ الإسـلام(3).

حتَّـى إنّ العبـدَ لا يقتَصِـرُ علَـى هـذه الكلِمة لِمـا يرَى من عِظَمِهـا وفضلِها، ويـدَعُ باقـي أركان الإسـلام، بَـل هـي رأسُ الذِّكـرِ وأفضَلُـه، كمـا ثَبَـت فـي «الصّحيـح»: أنّ النّبـيَّ ﷺ قَـال: «الإيمـانُ بضـعٌ وسَـبعونَ شُـعبة: أعلاهـا قـول: لا إلـه إلّا اللـه، وأدناهـا إماطـة الأذَى عَـنِ الطّريـقِ»(4).

وفـي حديـثِ جابـرٍ مرفوعًـا: «أفضَـلُ الذِّكـرِ: لا إلـه إلّا الله، وأفضَـلُ الدُّعاءِ: الحمـدُ لله»(5).

---

(1) انظر: الروض الأنف للسهيلي، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، (ج7/ 520).

(2) صحيح البخاري قبل حديث (1237)، باب الجنائز ومن كان آخر كلامه: لا إله إلا الله.

(3) ذكـره ابـن الملقـن في التوضيـح، (ج9/ 386)؛ عـن عبد الله بـن معقـل قـال: كان وهب بـن منبه جالسـا في مجلس ابـن عبـاس فسئل: أليس تقـول: إن مفتـاح الجنـة لا إلـه إلا الله؟ قـال علي: وجـدت في التـوراة: ولكـن اتخـذوا لـه أسنانا، فسـمع ذلـك ابـن عبـاس فقـال: أسـنانه والله عنـدي: أولهـا: شـهادة أن لا إلـه إلا الله، وهـو المفتـاح. والثـاني: الصـلاة، وهـو القنطـرة. والثالـث: الـزكاة، وهـي الطهـور. والرابـع: الصـوم، وهـو الجُنـة. والخامـس: الجهـاد. والسـادس: الأمـر بالمعـروف، وهـو الألفـة. والسـابع: الطاعـة، وهـي العصمـة. والثامـن: الغسـل مـن الجنابـة، وهـي السريـرة. وقـد خـاب مـن لا سـن لـه، هـذا والله أسـنانها.

(4) رواه مسـلم في صحيحـه، حديـث (58- 35) عـن أبي هريـرة، قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «الإيـمان بضـع وسـبعون -أو بضـع وسـتون- شـعبة، فأفضلهـا قـول لا إلـه إلا الله، وأدناهـا إماطـة الأذى عـن الطريـق، والحيـاء شـعبة مـن الإيـمان».

(5) رواه: 1- الترمـذي في سـننه، أبـواب الدعـوات عـن رسـول الله ﷺ، بـاب مـا جـاء أن دعـوة=

ولهذا حكَى جماعةٌ مِنَ المُفسِّرين في أوَّل تفسيرِ الفاتِحة: هلِ الأفضَلُ قولُ: لا إله إلّا الله، أمِ الحمدُ للهِ[1]؟

=المسلم مستجابة، حديث (3667). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم، وقد روى علي بن المديني، وغير واحد عن موسى بن إبراهيم، هذا الحديث.

2- النّسائي في: السنن الكبرى، أفضل الذكر وأفضل الدعاء، حدي (10599)، (ج9/ 306). وعمل اليوم الليلة، حديث (831).

3- ابن ماجه في سننه، كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، حديث (3800).

4- ابن حبان في صحيحه، ذكر البيان بأن الحمد لله جَلَّ وَعَلَا من أفضل الدعاء والتهليل له من أفضل الذكر، حديث (544).

5- الحاكم في المستدرك: حديث (1834/ 34). قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي.

⊙ حديث (185/ 52). قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي.

⊙ جميعً من طريق: موسى بن إبراهيم بن كثير الأنصاري، قال: سمعت طلحة بن خراش، قال سمعت جابر بن عبد الله، يقول: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: الحديث.

⊙ (ج5/ 325) من طريق إبراهيم بن المنذر الحزامي، عن موسى بن إبراهيم بن كثير الأنصاري، عن سمعت طلحة بن خراش، به. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(1) في هامش الأصل: هل الأفضل كلمة التّوحيد، أم الحمد لله.

⊙ قال ابن عطية في تفسيره «المحرر الوجيز» ط الأوقاف 1436هـ-2015م، (ج1/ 225-226): روى أنس بن مالك، أن النبي ﷺ قال: «لـ»الحمد لله رب العالمين« فضل ثلاثين حسنة على سائر الكلام» وورد حديث آخر أن النبي ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله كتبت له عشرون حسنة، ومن قال: «الحمد لله رب العالمين» كتبت له ثلاثون حسنة»، وهذا الحديث هو في الذي يقولها من المؤمنين مؤتجرًا طالب ثواب؛ لأن قوله: «الحمد لله» في ضمنها التوحيد الذي هو معنى: لا إله إلا الله، ففي قوله توحيد وحمد، وفي قول: لا إله إلا الله توحيد فقط. وأما إذا أخذا بموضعهما من شرع الملة ومحلها من دفع الكفر والإشراك، فلا إله إلا الله أفضل...

⊙ راجع: تفسير القرطبي، ط الأوقاف، (ج1/ 204). وتفسير ابن جزي، ط المنتدى الإسلامي، (ص:49). وتفسير ابن كثير، ط دار طيبة، (ج1/ 131).

قالوا: اختلفَ العلَماءُ في ذلكَ:

فمنهُم: مَن فضَّلَ التّحميدَ علَى التّهليلِ، قالوا: لأنّ في التّحميدِ التّوحيدَ والشُّكرَ. والتّهليلُ، ليسَ فيه إلّا التّوحيدُ فقَط، ولأنّ اللهَ تعالى افتتَحَ كتابَه بالحمدِ، والدّليلُ علَى ذلكَ أنّ القائلَ إذا قالَ: الحمدُ للهِ؛ فقد جعَلَ الحمدَ كلَّه للهِ، ومَن جعَلَ الحمدَ لله فقد جعَلَ الإنعامَ كُلَّه للهِ، وإذا كانَ لا مُنعِمَ إلّا اللهُ، فلا إلهَ إلّا اللهُ، لا سيَّما إذا قالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾؛ لأنّه يكونُ قد أتى بمعنَى التّهليلِ صَريحًا.

ومنهُم: مَن فضَّلَ التّهليلَ علَى الحمدِ؛ لأنّ العبدَ يقولُ: لا إلهَ إلّا اللهُ؛ تبَرَّأ مِنَ الكُفرِ وتَحرّم [110/ ب] على النّارِ ويُخلَّد في الجنّة. انتهى ما ذكروه.

والصّحيح: أنّ التّهليلَ أفضلُ؛ لأنّ بإخلاصِ لا إله إلّا الله بحقِّها يدخُلُ في الإسلامِ ويخرُجُ مِنَ الكفرِ، فإنّها تجريدُ التّوحيدِ والألوهيّة لله وحدَه لا شَريكَ لَه، والحمدُ ليسَ كذلكَ، بلِ الحمدُ قد يشتَرِكُ فيه الرّبُّ والعبدُ، فإنّكَ تقولُ: أحمد فُلانًا علَى كذا، ولا يقَعُ هذا في التّهليلِ، ويدُلُّ علَى ذلكَ[1] قولُ النّبي ﷺ: «**أفضَلُ ما قُلتُ أنا والنّبيّونَ من قَبلي: لا إله إلّا الله، وحدَه لا شَريكَ لَه، له المُلكُ، ولهُ الحمدُ، وهو على كُلِّ شَيءٍ قديرٌ**»[2].

---

(1) في هامش الأصل بخطٍّ مُغاير: أي: على كون التهليل أفضل وفي الدلالة بحث لأنه يجوز أن تكون أفضليته باعتبار اشتماله على التهليل والتحميد معًا

(2) رواه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، حديث (3885)؛ من طريق: عبد الله بن نافع، عن حمّاد بن أبي حميد، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن النبي ﷺ، قال: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير». قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه. وحماد بن أبي حميد: هو محمد بن أبي حميد، وهو أبو إبراهيم الأنصاري المدني، وليس بالقوي عند أهل الحديث.

فلا إله إلّا الله هيَ الإيمانُ بالله؛ لقولِه تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [المائدة: 5]، وقد تقدمَ، وحديثِ وفدِ عبد القيس مرفوعًا: «**أتدرونَ ما الإيمانُ بالله؟ شَهادة أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّدًا رسول الله**»... الحديثَ[1].

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**جَدِّدوا إيمانكم**»، قالوا: يا رسول الله؛ وكيف نُجَدِّدُ إيمانَنا؟ قال: «**أكثِروا من قول: لا إله إلّا الله**»، وهو من حديث شُتَيرِ بن نَهارٍ[2]، رَواه الإمامُ أحمد في «مُسنده»[3].

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان، حديث (53) عن أبي جمرة، قال: كنت أقعد مع ابن عباس يجلسني على سريره، فقال: أقم عندي حتى أجعل لك سهما من مالي، فأقمت معه شهرين، ثم قال: إن وفد عبد القيس لما أتوا النبي ﷺ قال: «من القوم؟ - أو من الوفد؟ -» قالوا: ربيعة. قال: «مرحبا بالقوم، -أو: بالوفد- غير خزايا ولا ندامى»، فقالوا: يا رسول الله إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، فمرنا بأمر فصل، نخبر به من وراءنا، وندخل به الجنة، وسألوه عن الأشربة: فأمرهم بأربع، ونهاهم عن أربع، أمرهم: بالإيمان بالله وحده، قال: «أتدرون ما الإيمان بالله وحده» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس» ونهاهم عن أربع: «عن الحنتم، والدباء، والنقير، والمزفت»، وربما قال: «المقير» وقال: «احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم».

(2) هو شتير بن نهار العبدي البصري. قال البخاري: (وقال لي محمد بن بشار: سمعت عبد الرحمن بن مهدي، يقول: ليس أحد يقول: شتير بن نهار إلا حماد بن سلمة)، قال أبو نضرة: (وكان من أوائل من حدث في هذا المسجد -يعني: مسجد البصرة-) روى له أبو داود. انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج12/ 378).

(3) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده، حديث (8710)، (ج14/ 328)؛ من طريق: سليمان بن داود يعني الطيالسي، قال: حدثنا صدقة بن موسى السلمي، حدثنا محمد بن واسع، عن سمير بن نهار، عن أبي هريرة، بهذا اللفظ.

2- أبو نعيم في حلية الأولياء، (2/ 357)؛ من طريق: عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبيه، بهذا الإسناد. قال أبو نعيم: غريب من حديث محمد بن واسع، تفرد به عنه صدقة بن موسى، ويعرف بالدقيقي بصريٌّ مشهور. =

ولِهذا كان مِفتاحُ دعوةِ الرُّسلِ صلَوات الله وسلامُه عليهم: لا إله إلّا الله، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: 25]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾... الآيةَ[1] [محمد: 19]. وثَبَت أنّ النبيَّ ﷺ قال: «أُمِرتُ أن أُقاتِلَ النّاسَ حَتّى يَشهَدوا أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّدًا رسول الله»[2]، وبِهذا التّوحيدِ بعَثَ رسول الله ﷺ رَسوله مُعاذَ بن جبَلٍ إلى اليمَنِ يدعوهم إليهِ[3].

= 3- الحاكم في المستدرك، حديث (7657)، (ج4/ 285)؛ من طريق: أبي داود الطيالسي، قال: ثنا صدقة بن موسى، ثنا محمد بن واسع، عن سمير بن نهار، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال ربكم عَزَّ وَجَلَّ: لو أن عبادي أطاعوني لأسقيتهم المطر بالليل، ولأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولما أسمعتهم صوت الرعد»، وقال رسول الله ﷺ: «حسن الظن بالله من حسن العبادة»، وقال رسول الله ﷺ: «جددوا إيمانكم» الحديث- . قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، وتعقبه الذهبي، بقوله: صدقة ضعفوه.

۞ وفيه: صدقة بن موسى الدقيقي، أبو المغيرة، ويقال: أبو محمد السلمي، البصري. روى عن: ثابت البناني، وسعيد بن أبي عروبة، ومالك بن دينار، ومحمد بن واسع، وغيرهم. روى عنه: إبراهيم بن أعين، وأبو داود سليمان بن داود الطيالسي، وعلي بن الجعد، وغيرهم. قال يحيى بن معين: (ليس حديثه بشيء)، وقال أبو داود، والنسائي، وأبو بشر الدولابي: (ضعيف)، روى له البخاري في «الأدب»، وأبو داود، والترمذي. انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج13/ 149-155).

(1) وتمام الآية: ﴿... وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾.

(2) متفق عليه: 1- صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾، حديث (25). 2- صحيح مسلم (36- 22). عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ، قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا: أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة؛ فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم، وأموالهم، إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله».

(3) عن ابن عباس، أن معاذا، قال: بعثني رسول الله ﷺ، قال: «إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن=

ورَوى رَبيعةُ بـن عبّـادٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قـال: رَأيـتُ رسـول الله ﷺ بسـوقِ ذي المجـازِ[1] يَمشـي، ووَراءَه النّـاسُ، وهو يقولُ: «**قولوا: لا إلـه إلّا الله تُفلِحوا**»[2].

=الله افـترض عليهـم خمـس صلـوات في كل يـوم وليلـة، فـإن هـم أطاعـوا لذلـك، فأعلمهـم أن الله افـترض عليهـم صدقـة تؤخـذ مـن أغنيائهـم فـترد في فقرائهـم، فـإن هم أطاعـوا لذلـك، فإيـاك وكرائم أموالهـم، واتـق دعـوة المظلوم، فإنـه ليس بينهـا وبـين الله حجـاب». متفق عليـه:

1 - صحيـح البخـاري: - كتـاب الـزكاة، بـاب وجـوب الـزكاة، حديـث (1395). - كتـاب الـزكاة، بـاب أخـذ الصدقـة مـن الأغنيـاء وتـرد في الفقـراء حيـث كانـوا، حديـث (1496). - كتـاب المغـازي، بعـث أبي موسـى ومعـاذ إلى اليمـن قبـل حجـة الـوداع، حديـث (4347).

2 - صحيح مسلم، حديث (19-19).

(1) المجاز: بالفتـح، وآخـره زاي، يقـال: جزت الطريـق جوازًا ومجازًا وجوزًا، والمجاز: الموضـع، وكذلـك المجـازة، وذو المجـاز: موضـع سـوق بعرفـة عـلى ناحيـة «كبكـب» عـن يمـين الإمـام عـلى فرسـخ مـن عرفـة كانـت تقـوم في الجاهليـة ثمانيـة أيـام، وقـال الأصمعـي: ذو المجـاز مـاء مـن أصـل «كبكـب» وهـو لهذيـل وهـو خلـف عرفـة. انظـر: معجـم البلـدان لياقـوت الحمـوي، (ج5/ 55).

(2) رواه: 1- الإمـام أحمـد في مسـنده: (ج25/ 404)، حديـث (16023) مـن زوائـد عبد الله بـن الإمـام أحمـد، قـال: حدثنـي أبـو سـليمان الضبـي داود بـن عمرو بـن زهـير المسـيبي، عـن عبد الرحمن بـن أبي الزنـاد، عـن أبيـه، عـن ربيعة بـن عبـاد الديـلي، وكان جاهليًـا أسـلم، فقـال: (رأيـت رسـول الله ﷺ بـصر عينـي بسـوق ذي المجـاز، يقـول: «يـا أيهـا النـاس، قولـوا: لا إلـه إلا الله، تفلحـوا» ويدخـل في فجاجهـا، والنـاس متقصفـون عليـه، فـما رأيـت أحـدًا يقـول شـيئًا، وهـو لا يسـكت، يقـول: «يـا أيهـا النـاس، قولـوا: لا إلـه إلا الله تفلحـوا» إلا أن وراءه رجـلًا أحـول وضيء الوجـه ذا غديرتـين، يقـول: إنـه صابـئ كاذب، فقلـت: مـن هـذا؟ قالـوا: محمد بـن عبـد الله، وهـو يذكـر النبـوة. قلـت: مـن هـذا الـذي يكذبـه؟ قالـوا: عمـه أبـو لهـب. قلـت: إنـك كنـت يومئـذ صغـيرًا! قـال: لا والله إني يومئـذ لأعقـل).

۞ (ج27/ 148)، حديـث (16603)؛ مـن طريـق: شـيبان، عـن أشـعث قـال: حدثنـي شـيخ مـن بنـي مالـك بـن كنانـة، قـال: رأيـت رسـول الله ﷺ بسـوق ذي المجـاز يتخللهـا، يقـول: «يـا أيهـا النـاس، قولـوا: لا إلـه إلا الله تفلحـوا»، قـال: وأبـو جهـل يحثـي عليـه الـتراب، ويقـول: يـا أيهـا النـاس، لا يغرنكـم هـذا عـن دينكـم، فإنـما يريـد لتتركـوا آلهتكـم، وتتركـوا الـلات والعـزى، قـال: ومـا يلتفـت إليـه رسـول الله ﷺ، قـال: قلنـا: انعـت لنـا رسـول الله ﷺ، قـال: «بـين برديـن أحمريـن، مربـوع كثـير اللحـم، حسـن الوجـه، شـديد سـواد الشـعر، أبيـض شـديد البيـاض، سـابغ الشـعر». =

= ۞ (ج31/ 342)، حديث (19004)؛ من طريق: عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، قال: أخبرني رجل يقال له: ربيعة بن عباد من بني الديل، وكان جاهليا، قال: رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز، وهو يقول: «يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا». والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه، أحول ذو غديرتين، يقول: إنه صابئ كاذب، يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه، فذكروا لي نسب رسول الله ﷺ، وقالوا لي: هذا عمه أبو لهب.

۞ (ج38/ 246)، حديث (23192)؛ من نفس طريق ولفظ حديث (16603).

2- ابن خزيمة في صحيحه، حديث (159)؛ من طريق: الفضل بن موسى، عن زيد بن زياد -هو ابن أبي الجعد-، عن جامع بن شداد، عن طارق المحاربي، قال: رأيت رسول الله ﷺ مرّ في سوق ذي المجاز، وعليه حلة حمراء، وهو يقول: «يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا»، ورجل يتبعه يرميه بالحجارة، قد أدمى كعبيه وعرقوبيه، وهو يقول: يا أيها الناس لا تطيعوه، فإنه كذاب. فقلت: من هذا؟ قالوا: غلام بني عبد المطلب. فقلت: من هذا الذي يتبعه يرميه بالحجارة؟ قالوا: هذا عبد العزى أبو لهب.

قال أبو بكر: وفي هذا الخبر دلالة أيضا على أن الكعب هو العظم الناتئ في جانبي القدم، إذ الرمية إذا جاءت من وراء الماشي لا تكاد تصيب القدم، إذ الساق مانع أن تصيب الرمية ظهر القدم.

3- ابن حبان في صحيحه، ذكر مقاساة المصطفى ﷺ ما كان يقاسي من قومه في إظهار الإسلام، حديث (7231)؛ من طريق نفس طريق ولفظ ابن خزيمة، وفيه زيادة: قال: فلما ظهر الإسلام، خرجنا في ركب حتى نزلنا قريبا من المدينة، ومعنا ظعينة لنا. فبينا نحن قعود إذ أتانا رجل عليه ثوبان أبيضان، فسلم، وقال: من أين أقبل القوم؟ قلنا: من الربذة. قال: ومعنا جمل. قال: أتبيعون هذا الجمل؟ قلنا: نعم. قال: بكم؟ قلنا: بكذا وكذا صاعا من تمر. قال: فأخذه، ولم يستنقصنا. قال: قد أخذته. ثم توارى بحيطان المدينة، فتلاومنا فيما بيننا، فقلنا: أعطيتم جملكم رجلا لا تعرفونه؟ قال: فقالت الظعينة: لا تلاوموا، فإني رأيت وجه رجل لم يكن ليحقركم، ما رأيت شيئا أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه! قال: فلما كان من العشي، أتانا رجل فسلم علينا، وقال: أنا رسول رسول الله ﷺ يقول: «إن لكم أن تأكلوا حتى تشبعوا، وتكتالوا حتى تستوفوا» قال: فأكلنا حتى شبعنا، واكتلنا حتى استوفينا. قال: ثم قدمنا المدينة من الغد، فإذا رسول الله ﷺ قائم يخطب على المنبر وهو يقول: «يد المعطي يد العليا، وابدأ بمن تعول: أمك وأباك، أختك وأخاك، ثم أدناك أدناك»، فقام رجل، فقال: يا رسول الله، هؤلاء بنو ثعلبة بن يربوع قتلوا فلانا في الجاهلية، فخذ لنا بثأرنا منه. فرفع رسول الله ﷺ يديه حتى رأيت بياض إبطيه، وقال: «ألا لا تجني أمٌّ علَى ولد، ألا لا تجني أم على ولد». =

وفي لفظٍ: يقولوا: «يا أيُّها النّاسُ؛ قولوا: لا إله إلّا الله تُفلِحوا»، ورَجُلٌ يَتلوه من ورائِه، وهو يَقولُ: يا أيُّها [110 / أ] النّاسُ؛ لا تَقبَلوا منه، ويَرمي عَقِبَيه بالحجارة حَتَّى أدمَى عَقِبيه، فقُلتُ: مَن هَذا؟ قال: هذا محمّد بن عبد الله بن عبد المُطَّلِب، فَقُلتُ: مَن هَذا الّذي يَرميه بالحِجارة؟ قال: عَمُّه أبو لَهَبٍ. رواه الدّارقُطني فيما استَدركَه علَى «الصّحيحَين».

وَرَوى أبو داودَ عن أنَسٍ أنّ رسول الله ﷺ قال: «ثَلاثٌ من الإسلام: الكفُّ عَمَّن قال: لا إله إلّا الله، لا نُكَفِّرُه بذَنبٍ، ولا نُخرِجُه مِنَ الإسلَامِ بعَمَلٍ -وذَكَرَ الجهادَ- والإيمانُ بالأقدارِ»(1).

= 5- الحاكم في المستدرك: حديث (39/ 39)، (ج1/ 61)؛ من نفس طريق أحمد (19004) وبنحو لفظه. قال الحاكم: (وإنما استشهدت بعبد الرحمن بن أبي الزناد؛ اقتداء بهما، فقد استشهدا جميعًا به). وحديث (4219/ 229)، (ج2/ 668-669)؛ من نفس لفظ وطريق ابن حبان. قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). ووافقه الذهبي.

(1) رواه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في الغزو مع أئمة الجور، حديث (2532)؛ من طريق: سعيد بن منصور، قال: حدثنا أبو معاوية، قال: حدثنا جعفر بن برقان، عن يزيد بن أبي نشبة، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة من أصل الإيمان: الكفُّ عمَّن قال: لا إله إلا الله، ولا نكفِّره بذنب، ولا نُخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد ماضٍ منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال، لا يبطله جورُ جائرٍ، ولا عدلُ عادلٍ، والإيمانُ بالأقدار»،

۞ قال المنذري في مختصر سنن أبي داود، ط دار الكتب العلمية، (ج2/ 399): والراوي عن أنس: يزيد بن أبي نشبة، وهو في معنى المجهول.

۞ قال الذهبي في المذهب في اختصار السنن الكبرى، (ج7/ 3704): يزيد لم يتكلم فيه.

۞ قال المناوي في كشف المناهج، ط الدار العربية للموسوعات، (ج1/ 89): نُشبة؛ بضم النون، وسكون الشين المعجمة، وبعدها باء موحدة مفتوحة، وتاء تأنيث.

۞ قال الطيبي في شرح المشكاة، (ج2/ 512): «ثلاث من أصول الإيمان»: أصل الشيء قاعدته التي لو توهمت مرتفعة لارتفع بارتفاعه؛ ولذلك قال: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾﴾ أي ثلاث خصال من أصل الإيمان. «الكف عمن قال»: وفيه إشارة إلى اعتقاد أن المؤمن لا يكفر بالذنب، ولا يخرج من الإسلام ردًّا على الخوارج والمعتزلة...

وفي «الصّحيح»: قال المِقدادُ بن الأسوَدِ: أرأيتَ إنِ اختلَفتُ أنا ورَجُلٌ مِنَ المُشرِكينَ بضَربتَينِ فَقطَعَ يَدي، فَلَمّا عَلَقَ به السّيفُ قال: لا إله إلّا الله، أضرِبُه أم أدَعه قال: «دَعه»؟ قُلتُ: قد قَطَعَ يَدي؟ قال: «إن ضَرَبتَه بعدَ أن قالها فهو مِثلُكَ قَبلَ أن تَقتُله وأنت مِثلُه قَبلَ أن يَقولَها»[1].

وفي «الصّحيحَينِ» -واللّفظُ للبُخاريِّ- من حديث أُسامةَ بن زيدٍ، قال: بَعَثَنا رسول الله ﷺ إلى الحُرَقة من جُهينة[2]، فَصَبَّحنا القومَ فهَزَمناهم، قال: ولَحِقتُ أنا ورَجُلٌ مِنَ الأنصارِ رَجُلًا منهم، فَلَمّا غشيناه، قال: لا إله إلّا الله، قال: فَكَفَّ عنه الأنصاريُّ، وطَعنتُه برُمحي حَتَّى قَتَلتُه، قال: فَلَمّا قدمنا بَلَغَ ذلك النّبيَّ ﷺ قال: فقال لي: «يا أُسامة؛ أقَتَلتَه بعدَ ما قال: لا إله إلّا الله»؟ قال: قُلتُ: يا رسول الله؛ إنّما كان مُتَعَوِّذًا[3]، قال: «أقَتَلتَه بعدَ ما قال: لا إله إلّا الله»؟ قال: قُلتُ: يا رسول الله؛ إنّما كان مُتَعَوِّذًا، قال: «أقَتَلتَه بعدَ ما قال: لا إله إلّا الله»؟ قال: فما زالَ يُكَرِّرُها، حَتَّى تَمنّيتُ أنّي لم أكُن أسلمتُ قَبلَ ذلك اليومِ[4]. وفي لفظٍ: «هَلّا شَقَقتَ عن قَلبِه؟»[5].

---

(1) متفق عليه: 1- صحيح البخاري: كتاب المغازي، حديث (4019). وكتاب الديات، حديث (6865). 2- صحيح مسلم، حديث (155- 95).

(2) الحرقة: بطن من جهينة، والحرقات: بفتح الراء. انظر: مطالع الأنوار لابن قرقول، ط الأوقاف، (ج2/ 394).

(3) أي: إنما أقر بالشهادة لاجئًا إليها، ومعتصماً بها ليدفع عنه القتل، وليس بمخلص في إسلامه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (عوذ)، (ج7/ 2930).

(4) متفق عليه: 1- صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة، حديث (4269). كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾، حديث (6872). 2- مسلم (159- 96).

(5) رواه: 1- أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب على ما يقاتل المشركون، حديث (2643). 2- ابن أبي شيبة في مصنفه، (ج6/ 480)، حديث (33099). 3- النسائي في السنن الكبرى (ج8/ 12-13)، حديث (8540).

ورَوَى أبو داودَ -أيضًا- عن عبد الله بن مُعاويةَ العامِريِّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلاثٌ مَن فَعَلَهُنّ فَقد طَعِمَ طَعمَ الإيمانِ: مَن عبد اللهَ وحدَه، وأنّه لا إله إلّا الله، وأعطَى زَكاةَ مالِه طَيِّبة بها نَفسُه»... الحديثَ[1].

ولِهذا لَمّا علِمَ رسول الله ﷺ أنّ لا إله إلّا الله كلِمةُ الإيمانِ، وأنّ مَن لم يقُلها كان في النّارِ خالِدًا مُخلَّدًا فيها أبدًا خافَ علَى عمِّه أبي طالِبٍ، فقال: «يا عَمِّ؛ قُل: لا إله إلّا الله، أشهَدُ لَكَ بها يومَ القيامة»، فقال: لولا أن تُعَيِّرَني نِساءُ قُرَيشٍ يَقُلنَ: إنّما حَمَلَه على ذلك الجزَعُ لأقرَرتُ بها عَينَكَ، فأنزَلَ الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: 56]، انفرَدَ بإخراجه مُسلِمٌ[2].

---

(1) رواه: 1 - أبو داود في سننه، كتاب الزكاة، باب في زكاة السائمة، حديث (1582): قال أبو داود: وقرأت في كتاب عبد الله بن سالم بحمص عند آل عمرو بن الحارث الحمصي، عن الزبيدي، قال: وأخبرني يحيى بن جابر، عن جبير بن نفير، عن عبد الله بن معاوية الغاضري -من غاضرة قيس- قال: قال النبي ﷺ: «ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الإيمان: من عبد الله وحده، وأنه لا إله إلا الله، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه رافدة عليه كل عام، ولا يعطي الهرمة، ولا الدرنة، ولا المريضة، ولا الشرط اللئيمة، ولكن من وسط أموالكم، فإن الله لم يسألكم خيره، ولم يأمركم بشره».

2 - البخاري في التاريخ الكبير، (ج5/ 31)؛ من عدة طريق جميعًا عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه، عن عبد الله بن معاوية الغاضري -الحديث-، وفيه زيادة: («...وزكى نفسه»، فقال رجل: ما تزكية المرء نفسه؟ قال: «أن يعلم أن الله عَزَّوَجَلَّ معه حيث ما كان»).

۞ قال المزي في تهذيب الكمال، (ج16/ 165): قال أبو داود في كتاب «الزكاة» من «سننه»: قرأت في كتاب عبد الله بن سالم بحمص، عند آل عمرو بن الحارث الحمصي، عن الزبيدي، قال: وأخبرني يحيى بن جابر عن جبير بن نفير، عن عبد الله بن معاوية الغاضري، فذكره. ولم يذكر عبد الرحمن بن جبير بن نفير. وقد جوده الطبراني، كما سقناه من روايته.

(2) صحيح مسلم، حديث (42- 25).

وكذلك ذكرَ المُفسِّرون عن عمِّه أيضًا في قولِه: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ ﴾ [التوبة: 113]: أنّ عمَّه لَمّا حَضَرته الوفاةُ دَخَل عليه رسول الله ﷺ، وعنده أبو جَهلٍ وعبد الله بن أبي أُمَيّة، فقال: «يا عَمِّ؛ قُل: لا إله إلّا الله، أحاجُّ لكَ بها عند الله». فقال أبو جَهلٍ، وابنُ أبي أُمَيّة [111/ ب]: أترغَبُ عن مِلّة عبد المُطَّلِب، فلم يَزالا يُكلِّمانه، فكان آخِرَ شَيءٍ كَلَّمَه به، قال: هو على مِلّة عبد المُطَّلِب، فقال النّبيُّ ﷺ: «لَأستَغفِرَنّ لَكَ، ما لم أُنهَ عنكَ» فنَزَلت: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾... الآية، الحديثُ رواه البُخاريُّ ومُسلِمٌ[1].

وَرَوى ابنُ أبي الدُّنيا، عن مَعمَرٍ[2]، عَنِ الزُّهريِّ[3]، عن أبي بَكرٍ

---

(1) متفق عليه: 1- صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله، حديث (1360). كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، حديث (3884). كتاب التفسير، سورة براءة، حديث (4675).

2- صحيح مسلم (39- 24).

(2) هو معمر بن راشد الأزدي الحداني، أبو عروة بن أبي عمرو البصري، سكن اليمن، وكان شهد جنازة الحسن البصري. روى عن: أبان بن أبي عياش، وأيوب السختياني، وثابت البناني، وخالد الحذاء، وسليمان الأعمش، وقتادة بن دعامة، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري، وغيرهم. روى عنه: أبان بن يزيد العطار، وإسماعيل بن علية، وسعيد بن أبي عروبة، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وشعبة بن الحجاج، وعبد الرزاق بن همام، وغيرهم. قال أحمد بن حنبل: (لا تضم أحدًا إلى معمر إلا وجدته يتقدمه في الطلب، كان من أطلب أهل زمانه للعلم)، وقال يحيى بن معين: (معمر أثبت في الزهري من ابن عيينة)، وقال أيضًا: (ثقة)، وقال العجلي: (معمر بن راشد بصري سكن اليمن، ثقة، رجل صالح)، وقال النسائي: (معمر بن راشد الثقة المأمون)، روى له الجماعة، توفي بين سنة (150هـ-154هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج28/ 303-312)، ترجمة (6104).

(3) تقدمت ترجمته.

الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قُلتُ: يا رسول الله؛ ما نَجاةُ هذا الأمرِ الّذي نحن فيه؟ قال: «مَن قَبِلَ منّي الكلِمةَ الّتي عَرَضتُها على عَمّي»(1). ورَوى الفِريابيُّ(2) في كتاب «الذِّكر» أنّ عُمرَ مَرَّ بطلحة بعدَ وفاةِ رسول الله ﷺ، فقال: ما لي أراكَ مُكتَئِبًا(3)؟ فقال: سَمِعتُ رسول الله ﷺ يَقولُ: «[إنّي](4)

(1) رواه: 1- عبد الرزاق في التفسير، (ج2/ 168-169)، حديث (1134)؛ من طريق: معمر، عن الزهري، قال: لما قبض النبي ﷺ كاد بعض أصحابه أن يُوَسوِسَ، فكان عثمان بن عفان ممن كان كذلك، فمر به عمر بن الخطاب فسلم عليه فلم يجبه، فأتى عمر أبا بكر، فقال: ألا ترى عثمان؟ مررت به فسلمت عليه، فلم يرد علي، قال: فانطلق بنا إليه، قال: فمرا به فسلما عليه فرد عليهما، فقال له أبو بكر: ما شأنك مر بك أخوك آنفا فسلم عليك فلم ترد عليه؟ قال: ما فعلتُ، فقال عمر: بلى قد فعلت، ولكنها تخونكم يا بني أمية، فقال أبو بكر: أجل قد فعل، ولكنه أمر ما شغلك عنه، قال: إني كنت أذكر رسول الله ﷺ، وأذكر أن الله قبضه قبل أن أسأله عن نجاة هذا الأمر، فقال أبو بكر: فإني قد سألته عن ذلك، فقال عثمان: فداك أبي وأمي فأنت أحق بذلك، فقال أبو بكر: قلت يا رسول الله، ما نجاة الأمر الذي نحن فيه؟ قال: فقال: «من قبل مني الكلمة التي عرضتها على عمي -فردَّها علي- فهي له نجاة».

2- البزار في مسنده، (ج1/ 56-57)، حديث (4). قال البزار: هكذا رواه معمر وصالح بن كيسان، وقد تابعهما غير واحد على هذه الرواية، عن الزهري، عن رجل من الأنصار، وقد روى هذا الحديث عبد الله بن بشر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن عثمان، عن أبي بكر.

3- أبو يعلى الموصلي في مسنده، حديث (9)؛ من طريق: عبد الله بن بشر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، به.

⊙ قال العقيلي في الضعفاء الكبير، (ج2/ 235-236)، بعد أن ساق الحديث من عدة طريق، عن الزهري: (وهذه أسانيد متقاربة في الضعف، خالفها الثقات من أصحاب الزهري).

⊙ راجع تعليل الحديث عند: - الدارقطني في كتابه العلل، (ج1/ 171- 175). - الخطيب في تاريخ بغداد، ط دار الغرب، (ج2/ 92-93).

(2) تقدمت ترجمته.

(3) في الأصل: مكتئب، والمثبت من المصادر، وهو الجادة.

(4) ليست في الأصل، والمثبت من المصادر.

لأعلَمُ كَلِمة لا يَقولُها عبد عند مَوتِه، إلّا كانت نورًا لِصَحيفَتِه، فقال: أنا أعلَمُها، هي الّتي أرادَ عليها عَمَّه، ولو عَلِمَ شَيئًا أنجى منها لأَمَرَه»[1]. ومِمّا يُؤيِّد هذا أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «يَأتي على النّاسِ زَمانٌ لا يَعرِفونَ فيه صَلاةً، ولا صيامًا، ولا حَجًّا، ولا عُمرة، إلّا الشّيخَ الكبيرَ والعجوزَ الكبيرةَ، ويَقولونَ: أدرَكنا آباءَنا وهم يَقولونَ: لا إله إلّا الله». فَقيلَ لِحُذَيفة بن اليمانِ: ما تُغني عنهم لا إله إلّا الله؟ قال: تُنجيهم مِنَ النّارِ، تُنجيهم مِنَ النّارِ[2].

---

(1) رواه: 1- ابن ماجة في سننه، كتاب الأدب، باب فضل لا إله إلا الله، حديث (3795)؛ من طريق: هارون بن إسحاق الهمداني، قال: حدثنا محمد بن عبد الوهاب، عن مسعر، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن يحيى بن طلحة، عن أمه سعدى المرية، قالت: (مر عمر بطلحة بعد وفاة رسول الله ﷺ، فقال: ما لك مكتئبا؟ أساءتك إمرة ابن عمك؟ قال: لا، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني لأعلم كلمة لا يقولها أحد عند موته، إلا كانت نورا لصحيفته، وإن جسده وروحه ليجدان لها روحا عند الموت»، فلم أسأله حتى توفي. قال: أنا أعلمها، هي التي أراد عمه عليها، ولو علم أن شيئا أنجى له منها لأمره).

2- البخاري في التاريخ الكبير، (ج1/ 168)، رقم (502)؛ من طريق: محمد بن عبد الوهاب، به. قال البخاري: (وقال لي أحمد بن أبي سريج، أخبرني محمد بن سعيد، سمع عمرا، عن مطرف، عن الشعبي، عن يحيى بن طلحة بن عبيد الله، عن أبيه، قال عمر بهذا. وقال عبثر، حدثنا مطرف، عن عامر، عن يحيى بن طلحة: مر عمر بطلحة. وقال ابن نمير، عن مجالد، عن الشعبي، عن جابر: سمعت عمر مر بطلحة. قال أبو عبد الله: ولا يصح فيه جابر. وقال محمد بن عبيد، عن إسماعيل، عن رجل، عن الشعبي؛ مرسل...).

3- النسائي في: - السنن الكبرى، حديث (10874)، (ج9/ 404). - عمل اليوم والليلة، حديث (1101)؛ من نفس طريق ولفظ ابن ماجة.

4- ابن حبان في صحيحه، ذكر إعطاء الله جَلَّوَعَلَا نور الصحيفة من قال عند الموت ما وصفناه، حديث (817)؛ من نفس طريق ولفظ ابن ماجة.

(2) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وكأنه روي بالمعنى. رواه: 1- ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب ذهاب القرآن والعلم، حديث (4049)؛ من طريق: علي بن محمد، قال: حدثنا أبو معاوية، عن أبي مالك الأشجعي، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُدرَس الإسلام كما يدرس وَشيُ الثوب، حتى لا يُدرَى ما صيام ولا صلاة=

ولَمّـا كانـت هـذه الأدلّـة مُتوافِـرةً علَـى الإيمـانِ بـلا إلـه إلّا اللـه نُطقًـا واعتِقـادًا، كان الصّحيحُ مـن أقـوالِ العُلمـاءِ أنّ أوّلَ مـا يجِـبُ علَـى المكلّـف أن يشـهَدَ أن لا إلـه إلّا اللـه، فهـو أوّلُ واجِـب يدخُـلُ بـه فـي الإسـلامِ، وأوّلُ واجِـبٍ يخـرجُ بـه مِـنَ الدُّنيـا، فـلا إلـه إلّا اللـه أوّلُ الأمـرِ وآخِـره، فبِهـا ينجـو العبـدُ مـن عـذابِ يـومِ القيامـة، وبِهـا يدخـلُ دارَ السّـلامَةِ، وبِهـا يَنـالُ شـفاعةَ أشـرَفِ المُرسـلينَ، ويسـعَدُ السّـعادةَ الأبديّـة؛ كمـا ثَبَـت فـي «صَحيـحِ

=ولا نسك ولا صدقة، ولَيُسرَى على كتاب الله عَزَّوَجَلَّ في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس؛ الشيخ الكبير، والعجوز، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: لا إله إلا الله، فنحن نقولها». فقال له صلة: ما تغني عنهم لا إله إلا الله، وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة؟ فأعرض عنه حذيفة، ثم ردها عليه ثلاثًا، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة، فقال: يا صلة، تنجيهم من النار، ثلاثًا.

2- الحاكم في المستدرك، حديث (8542/ 250)، (ج4/ 550-551)؛ من طريق: أبو محمد أحمد بن عبد الله المزني، قال: ثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، ثنا واصل بن عبد الأعلى، ثنا محمد بن فضيل، ثنا أبو مالك الأشجعي، به. قال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه).

3- الداني في السنن الواردة في الفتن، حديث (419)، (ج4/ 824)؛ من طريق: أحمد بن ثابت، قال: حدثنا سعيد بن عثمان، قال: حدثنا نصر بن مرزوق، قال: حدثنا علي بن معبد، قال: حدثنا إسحاق بن أبي يحيى، عن سعيد بن طارق، عن زر، عن حذيفة، قال: «ليدرسن الإسلام كما يدرس الثوب، حتى لا تعرف صلاة، ولا صياما، ولا نسكا؛ إلا بقايا من شيخ كبير، وعجوز، يقولون: كنا نسمع كلاما من أقوام أدركنا من قبلنا، يقولون: لا إله إلا الله، فنحن نقولها»، فقال له صلة بن زفر العبسي: يا أبا عبد الله، فما تنفعهم: لا إله إلا الله، وهم لا يعرفون؛ صلاة، ولا صياما، ولا نسكا؟ قال: «تنجيهم من النار».

۞ صحح إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة، ط دار الكتب العلمية، حديث (1357)، (ص:522-523)، وقوى إسناده الحافظ في فتح الباري، (ج13/ 16).

۞ قال القرطبي في التذكرة بأحوال الموتى، (ج3/ 1261): هذا إنما يكون بعد موت عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ... لا عند خروج يأجوج ومأجوج...

البُخاريِّ»: أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «أسعَدُ النّاسِ بشَفاعَتي مَن قال: لا إله إلّا الله خالِصًا مُخلِصًا من قَلبه»(1). وفي حديثِ الشّفاعةِ أنّ رسول الله ﷺ يقولُ في آخِرِ مرّة: «يا رَبِّ؛ ائذَن لي فيمَن قال: لا إله إلّا الله، فَيَقولُ الله عَزَّوَجَلَّ: وعِزَّتي وجَلالي، وعَظَمَتي وكِبريائي لَأُخرِجَنّ منها مَن قال: لا إله إلّا الله»... الحديثَ(2).

ولأنّ العبدَ إذا حقَّقَ قولُ: لا إله إلّا الله بصدقٍ وأخلَصَها من قلبه لم يكُن في هذه الحالِ مُصرًّا على كبيرةٍ، فإنّ اللهَ تعالى يقولُ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾ [يوسف: 24]؛ ولأنّ هذه الكلِمةَ هيَ من أعظم حسَناتِ العبدِ، كما ورَدَ من حديثِ أبي ذَرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ [112/ أ] قال: سألتُ رسول الله ﷺ عن لا إله إلّا الله أمِنَ الحسَناتِ هيَ؟ فقال: «هي أفضَلُ الحسَناتِ»، رواه الطّبرانيُّ(3).

---

(1) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، حديث (99)؛ عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أنه قال: قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث؛ أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال: لا إله إلا الله، خالصا من قلبه، أو نفسه».

۞ باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، باب صفة الجنة والنار، حديث (6570)؛ بنحو اللفظ السابق.

۞ قال ابن بطال في شرح صحيح البخاري، (ج1/ 176): الشفاعة إنما تكون في أهل الإخلاص خاصة، وهم أهل التصديق بوحدانية الله، ورسوله، لقوله عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ: «خالصًا من قلبه، أو نفسه».

(2) هو جزء من حديث طويل، متفق عليه: 1- صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام الرب عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، حديث (7510). 2- صحيح مسلم، حديث (326- 193).

(3) رواه: 1- الإمام أحمد في: مسنده، حديث (21487)، (ج35/ 385-386). والزهد، حديث (143)؛ من طريق: أبي معاوية، حدثنا الأعمش، عن شمر بن عطية، عن أشياخه،=

بل قد تقدم لنا من حديث أنسٍ أنّ قائلَ هذه الكلِمة في أيِّ وقتٍ من ليلٍ أو نَهارٍ طَلَست - أي: مَحت - ما في صَحيفة العبدِ مِنَ السّيِّئاتِ إلى الحسناتِ، فهي تبدِّلُ السّيِّئَةَ بحسنة، ويأمَن قائِلُها مِنَ الفقرِ، ومن وحشة القبرِ؛ لِما رَوى ابنُ أبي الدُّنيا عن جعفرِ بن محمّد[1]، عن أبيه[2]، عَن جَدِّه عليِّ بن أبي طالِب موقوفًا، قال: «مَن قال في يوم مِائة مرّة: لا إله إلّا الله، الملِكُ الحقُّ المُبينُ؛ كان له أمانٌ مِنَ الفقرِ، وأَمِنَ من وحشة القبرِ، واستجلَبَ الغِنَى، واستَقرَعَ بابَ الجنّة»[3].

=عن أبي ذر، قال: قلت: يا رسول الله، أوصني. قال: «إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها». قال: قلت: يا رسول الله، أمن الحسنات لا إله إلا الله؟ قال: «هي أفضل الحسنات».

2- البيهقي في الأسماء والصفات، حديث (202)؛ من نفس طريق ولفظ أحمد.

۞ قال الهيثمي في مجمع الزوائد، (ج1/ 81): رواه أحمد، ورجاله ثقات، إلا أن شمر بن عطية حدث به عن أشياخه، عن أبي ذر، ولم يسم أحدًا منهم.

(1) تقدمت ترجمته. (2) هو محمد بن علي بن الحسين تقدمت ترجمته.

(3) رواه: 1- أبو نعيم في: صفة الجنة، حديث (185)؛ من طريق: الفضل بن غانم، قال: ثنا مالك بن أنس، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن علي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من قال لا إله إلا الله الملك الحق المبين، في كل يوم مائة مرة؛ كان له أمانا من الفقر، ويُؤَمِّنُ من وحشة القبر، واستجلب به الغنى، واستقرع به باب الجنة».

۞ حلية الأولياء، (ج8/ 280)؛ من طريق: سالم الخواص، عن مالك بن أنس، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قال في يوم مائة مرة: لا إله إلا الله الملك الحق المبين؛ كان له أنيسا في وحشة القبر، واستجلب الغنى، واستقرع باب الجنة». قال أبو نعيم: غريب من حديث سالم عن مالك.

۞ قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار، (ج1/ 313)، حديث (1181): أخرجه المستغفري في «الدعوات»، والخطيب في «الرواة عن مالك» من حديث علي: «من قالها في يوم مائة مرة كان له أمان من الفقر، وأمان من وحشة القبر، واستجلب به الغنى، واستقرع باب الجنة»؛ وفيه: الفضل بن غانم ضعيف، ولأبي نعيم في «الحلية»: «من قال ذلك في كل يوم وليلة مائتي مرة؛ لم يسأل الله فيهما حاجة إلا قضاها»؛ وفيه: سليم الخواص ضعيف، وقال فيه: أظنه عن علي.

قَالَ الفضلُ بن غانِم[1]: لو خَرجتُم في هذا الحديثِ إلى اليمنِ لكان قليلًا[2]. لكِن هذا الفضلُ ضعيفٌ عندَ أهلِ الحديثِ[3]. ورَوَى الحاكِمُ في «المُستدرك»، وقال: صَحيحُ الإسنادِ من حديثِ أُمِّ هانئٍ رَضِيَ اللهُ عَنها أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «قول: لا إله إلّا الله لا تَترُكُ ذَنبًا، ولا يُشبِهُها عَمَلٌ»[4].

---

(1) هو الفضل بن غانم، أبو علي المروزي الخزاعي، حدث عن: مالك بن أنس، وسليمان بن بلال، وغيرهما. وعنه: أحمد بن أبي خيثمة، ومحمد بن يحيى المروزي، وأبو القاسم البغوي. قال الدارقطني: (الفضل ليس بالقوي)، وتكلم فيه أحمد بن حنبل، توفي سنة (236هـ). انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، (ج5/ 900-901).

(2) انظر: تاريخ بغداد للخطيب، (ج14/ 322).

(3) قال الدارقطني في العلل، (ج3/ 106-107): يروي عن مالك بن أنس، واختلف عنه؛ فرواه الفضل بن غانم، عن مالك، عن جعفر، عن أبيه، عن جده، عن علي، قال ذلك إبراهيم المخرمي...والفضل بن غانم ليس بالقوي.

(4) رواه: 1- الحاكم في المستدرك على الصحيحين؛ من طريق: إبراهيم بن موسى القزاز، قال: ثنا زكريا بن منظور، حدثني محمد بن عقبة، عن أم هانئ بنت أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنها قالت: قلت: يا نبي الله إني امرأة قد كبرت وضعفت فدلني على عمل، قال: «كبري الله مائة مرة، واحمدي الله مائة مرة، وسبحي الله مائة مرة، فهو خير لك من مائة بدنة متقبلة، وخير من مائة فرس مسرج ملجم في سبيل الله، وخير من مائة رقبة متقبلة، وقولُ: لا إله إلا الله؛ لا يترك ذنبًا، ولا يُشبِهُها عملٌ». قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد، وزكريا بن منظور لم يخرجاه). قال الذهبي في التلخيص: (زكريا ضعيف...).

2- ابن ماجة في سننه، كتاب الأدب، باب فضل لا إله إلا الله، حديث (3797)؛ من طريق: إبراهيم بن المنذر الحزامي، قال: حدثنا زكريا بن منظور، حدثني محمد بن عقبة، عن أم هانئ، قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا إله إلا الله لا يسبقها عمل، ولا تترك ذنبًا».

۞ فيه: زكريا بن منظور، ويقال: زكريا بن يحيى بن منظور بن ثعلبة بن أبي مالك، ويقال: زكريا بن منظور بن عقبة بن ثعلبة بن أبي مالك القرظي، أبو يحيى المدني القاضي، حليف الأنصار. روى عن: ثابت بن يزيد المدني، وزيد بن أسلم، وجده لأمه محمد بن عقبة بن أبي مالك القرظي، ونافع مولى ابن عمر، وغيرهم. روى عنه: إبراهيم بن عبد الله الهروي، وإبراهيم بن المنذر الحزامي، وموسى بن مروان الرقي، وغيرهم. قال أبو بكر المروذي، عن أحمد بن حنبل: (شيخ، ولينه)، وقال يحيى بن معين: (ليس بشيء)، وقال علي بن المديني،=

ورَوَى أبو يعلَى الموصليُّ بإسناده عن ابنِ عُمرَ، عَنِ النّبيِّ ﷺ قال: «لَيس علَى أهلِ لا إله إلّا الله وحشة في قُبورِهم، وكَأنّي بأهلِ لا إله إلّا الله يَنفُضونَ التُّرابَ عن رُؤوسِهم، ويَقولونَ: الحمدُ لله الّذي أذهَبَ عَنّا الحزنَ»(1). ورواه ابنُ أبي حاتِمٍ، عَنِ ابنِ عُمَر أيضًا. ورواه الطَّبَرانيُّ من

=والنسائي: (ضعيف)، قال أبو زرعة: (واهي الحديث، منكر الحديث)، وقال البخاري: (منكر الحديث)، روى له ابن ماجة. انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج9/ 369-373).

۞ قال المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير، (ج2/ 488): «لا إله إلا الله لا يسبقها عمل»: لأنها مبدؤ الأعمال المعتد بها...»ولا تترك ذنبًا»: فإذا أتى بها الكافر مع قرينتها؛ كفر الله عنه كل ذنب، فإن الإسلام يجب ما قبله.

(1) رواه: 1- ابن أبي الدنيا في: - الأهوال، حديث (222)؛ من طريق: يحيى بن عبد الحميد الحماني، قال: نا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: الحديث. - حسن الظن بالله، حديث (76)؛ كالطريق السابق. - القبور، حديث (69)؛ كالطريق السابق.

2- الطبراني في: - المعجم الكبير، تحقيق فريق من الباحثين، بإشراف/ سعد بن عبد الله الحميد، وخالد بن عبد الرحمن الجريسي، (ج13/ 177-178)، حديث (13880)؛ من طريق: جعفر بن محمد الفريابي، قال: ثنا موسى بن يحيى المروزي، ثنا سليمان بن عبد الله بن وهب الكوفي، عن عبد العزيز بن حكيم، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: الحديث.

المعجم الأوسط، (ج9/ 181)، حديث (9478)؛ من نفس طريق ابن أبي الدنيا. قال الطبراني: (لم يرو هذه الأحاديث عن زيد بن أسلم إلا ابنه عبد الرحمن بن زيد). - الدعاء، حديث (1484)، (ص:1491)؛ من نفس طريق المعجم الأوسط.

3- البيهقي في: - شعب الإيمان، حديث (99)، (ج1/ 202-203)؛ من نفس طريق المعجم الأوسط. قال البيهقي: (تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم).

۞ البعث والنشور، حديث (82)؛ من طريق: إسحاق بن إبراهيم بن يونس، ثنا الحسن بن قزعة، ثنا بهلول بن عبيد، قال: سمعت سلمة بن كهيل، عن ابن عمر، قال رسول الله ﷺ: الحديث. قال البيهقي: (هذا مرسل عن سلمة بن كهيل وابن عمر، وبهلول بن عبيد تفرد به، وليس بالقوي). وحديث (83)؛ من طريق: عبد الباقي بن قانع، قال: ثنا حمزة بن داود بن سليمان المؤدب، بالأيلة، ثنا الحسن بن عرعرة، حدثنا بهلول بن عبيد، عن سلمة بن كهيل،=

حديثِ ابنِ عبّاسٍ مرفوعًا، وفيه: «كَأنّي أنظُرُ إليهم، وقد انفَلَقَت عنهم الأرضُ يَقولونَ: لا إله إلّا الله»(1). وقال رَوحُ بن عُبادة(2)، قال حَبيبُ بن

=عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: الحديث. قال البيهقي: (كذا أخبرناه من أصله، وكذا في الأمالي: الحسن بن عرعرة، ولعل الصواب: الحسن بن قزعة).

۞ قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار، (ج1/ 245)، حديث (939): (أخرجه أبو يعلى، والطبراني، والبيهقي في الشعب؛ من حديث ابن عمر بسند ضعيف). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (ج10/ 83): في الرواية الأولى يحيى الحماني، وفي الأخرى مجاشع بن عمرو، وكلاهما ضعيف. - (ج10/ 333): رواه الطبراني، وفيه جماعة لم أعرفهم. وقال السخاوي في المقاصد الحسنة، حديث (918): أبو يعلى، والطبراني، والبيهقي في الشعب، بسند ضعيف، عن ابن عمر.

۞ راجع: العلل المتناهية لابن الجوزي، (ج2/ 913-914).

(1) رواه: 1- تمام في الفوائد، (ج1/ 17)، حديث (13)؛ من طريق: أبو عتبة أحمد بن الفرج الحجازي، بحمص، قال: ثنا محمد بن سعيد الطائفي، ببغداد، حدثني ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم، كأني أنظر إليهم إذا انفلقت الأرض عنهم يقولون: لا إله إلا الله، والناس بهم».

2- الطبوري في الطبوريات، حديث (785)، (ج3/ 870-871)؛ من نفس طريق تمام.

۞ قال ابن طاهر القيسراني في تذكرة الحفاظ، (ص:256): رواه محمد بن سعيد الطائفي، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس. ومحمد هذا يروي عن الثقات ما ليس من حديثهم لا يحل الاحتجاج به بحال. ورواه بهلول بن عبد الله، عن سلمة بن كهيل، عن نافع، عن ابن عمر. وبهلول هذا يسرق الحديث، لا يجوز الاحتجاج به بحال. وهذا الحديث إنما يعرف من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن ابن عمر. وعبد الرحمن ليس بشيء في الحديث.

(2) هو روح بن عبادة بن العلاء بن حسان بن عمرو، الحافظ الصدوق، الإمام أبو محمد القيسي البصري، من قيس ثعلبة. حدث عن: ابن عون، وحسين المعلم، وزكريا بن إسحاق، وابن جريج، وسعيد بن أبي عروبة، وحبيب بن الشهيد، وغيرهم. حدث عنه: ابن نمير، وبندار، وأبو إسحاق الجوزجاني، وعبد بن حميد، والحارث بن أبي أسامة، وبشر بن موسى، وخلق كثير. وكان من كبار المحدثين. قال يعقوب بن شيبة: (روح كان أحد من يتحمل الحمالات، وكان سريا مريا، كثير الحديث جدا، صدوقا)، قال الخطيب: (وروح كان بصيرا، قدم بغداد، وحدث بها مدة طويلة، ثم انصرف إلى البصرة، فمات بها، وكان كثير الحديث، صنف=

الشَّهيدِ(1): قال الحسَنُ: ثَمَنُ الجنّة قول: لا إله إلّا اللهُ(2).

ورَوَى ابنُ أبي الدُّنيا -أيضًا- عن أبي شِبلٍ، عن أبيه، عن جَدِّه -وكان جَدُّه له صُحبةٌ- أنّ النّبيَّ ﷺ قال لِمُعاذِ بن جَبَلٍ: «كَم تَذكُرُ رَبَّكَ في كُلِّ يوم؟ تَذكُرُه عَشرة آلافِ مَرّة»؟ قال: كُلُّ ذلك أَفعَلُ، قال: «أفَلا أدُلُّكَ على كَلِماتٍ هُنّ أهوَنُ عليكَ، وهُنّ أكثَرُ من عَشرة آلافٍ، وعَشرة آلافٍ، وعَشرة آلافٍ؟ أن تَقولَ: لا إله إلّا الله عَدَدَ حَصاه، لا إله إلّا الله عَدَدَ خَلقِه، لا إله إلّا الله زِنة عَرشِه، لا إله إلّا الله مِلءَ سَماواتِه، لا إله إلّا الله مِلءَ أرضِه، لا إله إلّا الله مِثلَ ذلك، لا يُحصيه مُحصٍ، ولا مَلَكٌ، ولا غيره»(3)،

=الكتب في السنن والأحكام، وجمع التفسير، وكان ثقة)، وقال أبو حاتم الرازي: (روح لا يحتج به)، وقال النسائي: (ليس بالقوي)، توفي سنة (205هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج9/ 402-407).

(1) هو حبيب بن الشهيد، الإمام الحجة، أبو محمد، ويقال: أبو شهيد، البصري، مولى قريبة. أرسل عن: الزبير بن العوام، وأنس بن مالك. وروى عن: الحسن البصري، وميمون بن مهران، وعمرو بن شعيب، وابن أبي مليكة، وجماعة. حدث عنه: ابنه إبراهيم، وإسماعيل بن علية، ويحيى القطان، وروح بن عبادة، وعدد كثير. وكان من كبار العلماء، له نحو من مئة حديث. ذكره أحمد بن حنبل، فقال: (ثقة مأمون)، توفي سنة (145هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج7/ 56-57).

(2) رواه ابن باكويه في جزئه (35)؛ من طريق: بشر بن موسى، والحارث بن أبي أسامة، قالا: ثنا روح بن عبادة، عن حبيب بن الشهيد، عن الحسن، قال: «ثمن الجنة قول لا إله إلا الله».

(3) رواه: 1- الدولابي في الكنى والأسماء، (ج1/ 115)، حديث (236). 2- الطبراني في الدعاء، ط دار البشائر، حديث (1630)، (ج3/ 1538). 3- أبو نعيم في معرفة الصحابة، (ج6/ 3183)، حديث (7319). 4- ابن البناء في فضل التهليل (ص:50)، حديث (11). 5- ابن الأثير في أسد الغابة (ج5/ 358)؛ جميعًا من طريق: مسلم بن إبراهيم، عن واصل بن مرزوق، عن رجل من بني مخزوم -يكنى أبا شِبل- عن جدِّه، عن معاذ بن جبل... فذكره. إلا ابن البناء، فقال: (...حدثني رجل من نبي مخزوم يقال له: أبو شبل، عن أبيه، عن جده...).

۞ قال الذهبي في تجريد أسماء الصحابة، (ج2/ 218): جدّ أبي شبل المخزومي له خبر منكر. =

ولـه نظيرٌ فـي «الصّحيـح» لكـن بالتّسـبيحِ دونَ التّهليـل[1].

وإذا أراد العبدُ أن يعلَـم علمًـا قاطعًـا [112/ ب] بفضـلِ هـذه الكلمةِ يومَ القيامـة فليَنظُـر إلـى مـا رواه التِّرمـذيُّ، وابـنُ ماجـةَ، والحاكِـمُ، وابـنُ حِبّـانَ فـي صَحِيحيهمـا مـن حديـثِ عبد الله بـن عمرو بـن العـاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «يُؤتَـى برَجُـلٍ مـن أُمَّتـي علـى رُؤوسِ الخلائـقِ يـومَ القيامـة، ويَنشُـرُ عليـه تِسـعة وتِسـعينَ سِـجِلًّا، كُلُّ سِـجِلٍّ مِثـلُ مَـدِّ البصَـرِ، ثُـمَّ يَقـولُ: أتُنكِـرُ مـن هَـذا شَـيئًا؟ أظَلَمَـكَ كَتَبَتِـي الحافِظـونَ؟ فَيَقـولُ: لا يـا رَبِّ؛ فَيَقـولُ: أفَلَـكَ عُـذرٌ؟ فَيَقـولُ: لا يـا رَبِّ؛ فَيَقـولُ: بَلَـى إنّ لَـكَ عندنـا حَسَـنة، وإنّه لا ظُلْـمَ عليـكَ اليـومَ، فَتَخـرُجُ بطاقـة فيهـا: أشـهَدُ أن لا إلـه إلّا اللـه، وأشـهَدُ أنّ محمّـدًا عبده ورَسـولُه، فَيَقـولُ: احضُـر وزنَـكَ. فَيَقـولُ: يـا رَبِّ؛ مـا هـذه البطاقـة مـع هـذه السِّـجِلّاتِ؟ فقـال: فإنّـكَ لا تُظلَـمُ. قـال: فَتوضَـعُ السِّـجِلّاتُ فـي كِفّـة والبِطاقـة فـي كِفّـة، فَطاشَـتِ[2] السِّـجِلّاتُ وثَقُلَـتِ البطاقـة، ولا يَثقُـلُ مـع اسـمِ اللـه شَـيءٌ». قـال الحاكِـمُ: علَـى شـرطِ مُسـلِمٍ[3].

= ۞ قـال السـخاوي في الأجوبـة المرضيـة، (ج3/ 946): ولم أقـف عـلى أبي شـبل ولا مـن فوقـه ولا مـن دونـه.

(1) إشـارة إلى الحديـث الـذي رواه مسـلم في صحيحـه، (79 - 2726)؛ عـن ابـن عبـاس، عـن جويريـة، أن النبـي ﷺ خـرج مـن عندهـا بكـرة حـين صـلى الصبـح، وهـي في مسـجدها، ثـم رجـع بعـد أن أضحـى، وهـي جالسـة، فقـال: «مـا زلـت عـلى الحـال التـي فارقتـك عليهـا؟» قالـت: نعـم، قـال النبـي ﷺ: «لقـد قلـت بعـدك أربـع كلـمات، ثـلاث مـرات، لـو وزنـت بـما قلـت منـذ اليـوم لوزنتهـن: سـبحان الله وبحمـده، عـدد خلقـه، ورضـا نفسـه، وزنـة عرشـه، ومـداد كلماتـه».

(2) الطيـش: الخفـة. وقـد طـاش يطيـش طيشًـا، فهـو طائـش. انظـر: النهايـة في غريـب الحديـث والأثـر لابـن الأثـير، مـادة (طيـش)، (ج6/ 2592).

(3) رواه: 1 - الإمام أحمد في مسنده، حديث (6994)، (ج11/ 571).

2 - الترمـذي في سـننه، أبـواب الإيـمان عـن رسـول الله ﷺ، بـاب فيمـن يمـوت وهـو يشـهد أن لا إلـه إلا الله، حديـث (2828). قـال الترمـذي: (هـذا حديـث حسـن غريب...والبطاقـة: القطعـة). =

فانظُر -رَحِمَكَ اللهُ- إلى هذه الكلِمة لَمّا أُخلصت وخرَجَت من قلبِ صادِقٍ أخرجَت جميعَ ما قابَلَها مِنَ الذُّنوبِ.

ورَوَى الفِريابيُّ عَن ابنِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إنّ نوحًا ﷺ لَمّا حَضَرته الوفاةُ دَعا ابنَيه، فقال: أوصيكُما باثنَتَينِ، وأنهاكُما عَنِ اثنَتَينِ، أنهاكُما عَنِ الشِّركِ والكِبرِ، وآمُرُكما بلا إله إلّا الله، فإنّ السّماواتِ والأرضَ، ومَن فيهِما لو وُضِعَت في كِفّة الميزانِ، ووُضِعَت لا إله إلّا الله في الكِفّة الأُخرَى كانت أرجَحَ منهُنّ، ولو أنّ السّماواتِ والأرضَ وما فيهِما**

=3- ابن ماجة في سننه، كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، حديث (4300).

4- ابن حبّان في صحيح، ذكر البيان بأن الله جَلَّ وَعَلَا بتفضله قد يغفر لمن أحب من عباده ذنوبه بشهادته له ولرسوله ﷺ وإن لم يكن له فضل حسنات يرجو بها تكفير خطاياه، حديث (5095).

5- الطبراني في: المعجم الكبير، (ج13/ 19)، حديث (30). المعجم الأوسط، (ج5/ 79)، حديث (4725). قال الطبراني: (لا يروى هذا الحديث عن رسول الله ﷺ إلا بهذا الإسناد، تفرد به: عامر بن يحيى).

6- الحاكم في المستدرك: (ج1/ 46-47)، حديث (9/ 9). قال الحاكم: (هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين، وهو صحيح على شرط مسلم، فقد احتج بأبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص. وعامر بن يحيى: مصري ثقة. والليث بن سعد: إمام. ويونس المؤدب: ثقة، متفق على إخراجه في الصحيحين). ووافقه الذهبي.

۞ (ج1/ 710-711)، حديث (1937/ 137). قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه). ووافقه الذهبي.

۞ جميعًا من طريق: الليث بن سعد، قال: حدثني عامر بن يحيى، عن أبي عبد الرحمن المعافري الحبلي، قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ... الحديث-.

۞ قال ابن الملقن في التوضيح، (ج33/ 596): (وهو حديث صحيح على شرط مسلم...قال حمزة: ولا أعلمه روى هذا الحديث غير الليث بن سعد، وهو أحسن الحديث...).

لو كانتا حَلقة فَوُضِعَت لا إله إلّا الله عليها لَقَصَمَتها، وآمُرُكُما بسُبحانَ الله وبِحَمدِه، فإنّها صَلاةُ [كل شيء][1]، وبِها يُرزَقُ كُلُّ شَيءٍ»[2].

فَينبَغي للعبد أن يجتَهِدَ في إخلاصها، بَل يجتهِدُ في إخلاصِ كلِّ عمَلٍ لله عَزَّوَجَلَّ، وقد تقدم الكلامُ علَى الإخلاصِ، فلا حاجةَ إلى تكراره.

وذكَرَ جماعةٌ من أكابِرِ العُلماءِ أنَّه يُستحَبُّ قولُ: لا إله إلّا الله، لِمَنِ ابتُلِيَ بالوسواسِ في الوضوءِ والصّلاةِ وشِبهِهما، فإنّ الشيطانَ إذا سمِعَ الذِّكرَ خَنَسَ[3].

---

(1) زيادة من المصادر.

(2) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده: حديث (6583)، (ج11/ 150-151). وحديث (7101)، (ج11/ 670-671).

2- البخاري في الأدب المفرد، حديث (548).

3- ابن أبي الدنيا في التواضع والخمول، حديث (206).

4- الحاكم في المستدرك، (ج1/ 112-113)، حديث (154/ 154). قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجا للصقعب بن زهير، فإنه ثقة قليل الحديث. سمعت أبا الحسن علي بن محمد بن عمر يقول: سمعت عبد الرحمن بن أبي حاتم يقول: سألت أبا زرعة، عن الصقعب بن زهير فقال: «ثقة، وهو أخو العلاء بن زهير». وهذا من الجنس الذي يقول: إن الثقة إذا وصله لم يضره إرسال غيره). ووافقه الذهبي.

۞ كلُّهم من طريق: الصقعب بن زهير، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن عمرو... الحديث.

۞ قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار، (ج2/ 949): أخرجه أحمد، والبخاري في كتاب «الأدب»، والحاكم بزيادة في أوله، وقال: صحيح الإسناد.

۞ قال الهيثمي في مجمع الزوائد، (ج4/ 219-220): رواه كله أحمد، ورواه الطبراني بنحوه، وزاد في روايته: وأوصيك بالتسبيح، فإنها عبادة الخلق، وبالتكبير، رواه البزار من حديث ابن عمر... ورجال أحمد ثقات.

(3) راجع: تفسير الثعالبي، ط دار إحياء التراث العربي، (ج5/ 642).

قلتُ: يُعضّدُه ما حكيناه عَن أبي الجوزاءِ في قولِه تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ۝٤٦﴾ [الإسراء: 46]، وقد تقدمَ.

والمقصود: أنّ لا إله إلّا الله لها ميزةٌ من بينِ الذِّكر، وقد ذكَرَ أبو زكريّا النّواوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الأذكار» أنّ السّادةَ الجِلّةَ[1] من صفوةِ هذه الأمّة أهل تربية السّالكينَ وتأديب [113/أ] المُريدينَ اختاروا قولَ: لا إله إلّا الله لأهلِ الخلوةِ، وأمَروهم بالمُداومة علَيها. انتَهى كلامُه[2].

وسُئلَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ عن أفضَلِ الأعمالِ؟ فقال: يختلِفُ باختِلافِ النّاسِ فيما يقدِرونَ علَيه وما يُناسِبُ أوقاتَهُم، لكِن [مِمّا][3] هو كالإجماعِ بينَ العُلماءِ: مُلازَمة ذكرِ الله دائمًا، هو أفضَلُ ما شغَلَ العبدَ به نفسَه، ثُمَّ الذِّكر المُطلق والمُقيّد[4].

ثُم قال: وأفضلُه قولُ: لا إله إلّا الله؛ ولهذا كانت لا إله إلّا الله أحسنَ الحسَناتِ، والتّوحيدُ بها رأسُ الأمرِ[5]. ثُمَّ قال في موضع آخرَ: وحَقيقةُ الإسلام: أن يَستَسلِمَ لله؛ لا لِغيره وهو معنَى لا إله إلّا اللهُ[6]. انتَهى

ولهذا كانت شعارَ المُؤمنينَ في ظلمةِ القيامة؛ لِما رَوى الحافظُ أبو بَكرٍ الخطيبُ[7] بإسناده عن عبد الله بن عمرِو بن العاصِ، قال: قال رسول الله

---

(1) أي: العظماء. قال ابن فارس في مقاييس اللغة، مادة (جل)، (ج1/ 417): جَلّ الشيء: عظم، وجُلّ الشيء: معظمه. وجلال الله: عظمته -وهو ذو الجلال والإكرام-. والجلَل: الأمر العظيم.

(2) انظر: الأذكار للنووي، ط الأوقاف، باب ما يقوله من بلي بالوسوسة، (ص:223).

(3) في الأصل: ما، والمثبت من مجموع الفتاوى.

(4) انظر: مجموع الفتاوى، (ج10/ 660-661).

(5) انظر: مجموع الفتاوى، (ج1/ 23).

(6) مجموع الفتاوى (ج4/ 245)،

(7) هو الخطيب، الإمام الأوحد، العلامة المفتي، الحافظ الناقد، محدث الوقت أبو بكر؛ أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي، صاحب التصانيف، وخاتمة الحفاظ.=

ﷺ: «شِعارُ المُؤمِنينَ يومَ القيامة في ظُلمة القيامة: لا إله إلّا الله»[1]. وقد رَوى الفِريابيُّ في كتاب «الذِّكر» عن عُبادةَ بن الصّامتِ، وشَدّادِ بن أوس، قال: كُنّا عندَ النّبيِّ ﷺ فقال: «هل فيكم غريبٌ»؟ يعني: أهل الكِتاب. قُلنا: لا يا رسول الله. فَأمَرَ، فأُغلِقَ البابُ، فقال: «ارفَعوا أيديَكُم، فَقولوا: لا إله إلّا الله»، فَرَفَعنا أيدِيَنا ساعة، قال: ثُمَّ وضَعَ نَبيُّ الله يَدَه، ثُمَّ قال: «الحمدُ لله، اللهم إنّكَ تَعبَّدتَني[2] بهَذه الكلِمة، وأمَرتَني بها، ووَعَدتَني عليها الجنّة، إنّكَ لا تُخلِفُ الميعادَ». ثُمَّ قال: «أبشِروا، فإنّ اللهَ قد غَفَرَ لَكُم»[3]. لكِن

=ولد سنة (392هـ)، وكتب الكثير، وجمع وصنف وصحح، وعلل وجرح، وعدل وأرخ وأوضح، وصار أحفظ أهل عصره على الإطلاق، وكان من كبار الشافعية. قال المؤتمن الساجي: (ما أخرجت بغداد بعد الدارقطني أحفظ من أبي بكر الخطيب)، توفي سنة (463هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج18/ 270-297).

(1) رواه: 1- ابن عدي في الكامل (ج8/ 132)؛ من طريق: محمد بن منير، قال: حدثنا عباس البرقعي، حدثنا أحمد بن بشير الواسطي، حدثنا منصور بن عمار، عن ابن لهيعة، عن أبي قبيل، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ... الحديث.

2- شهدة في مشيختها، المعروف بـ «العمدة من الفوائد والآثار الصحاح والغرائب»، ط الخانجي، (ص:126)؛ من طريق: الحسن بن حماد أبو علي الواسطي، قال: ثنا منصور بن عمار، عن ابن لهيعة، عن أبي قبيل، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ... الحديث. قالت: (معروف من رواية منصور بن عمار، عن ابن لهيعة).

قال ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ (ج3/ 1501): رَواه مَنصور بن عمار: عَن عبد الله بن لَهيعة، عَن أبي قبيل، عَن عبد الله بن عمرو. ومَنصور مَشهور بالوعظ، وحَديثه مُنكر.

(2) في المسند وغيره: بَعَثتَني.

(3) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده، حديث (17121)، (ج28/ 348).

2- البزار في مسنده البحر الزخار: (ج7/ 156-157)، حديث (2717). و(ج8/ 408)، حديث (3483).

3- الدولابي في الكنى والأسماء (ج1/ 286). =

هـذا الحديـثُ مـن روايـة إسـماعيلَ بن عيّـاشٍ[1]، وهـو رَجـلٌ صالِـحٌ، لكِـن ضعَّفَـه النّسـائيُّ[2]. وقـال أحمـدُ: مـا رَوَى عَـنِ الشّـاميينَ صحيـحٌ، ومـا رَوى

= 4- الطبراني في مسند الشاميين، (ج2/ 157-158)، حديث (1103).

5- الحاكم في المستدرك، (ج1/ 679)، حديث (1844/ 44). قال الحاكم: (حال إسماعيل بن عياش يقرب من الحديث قبل هذا فإنه أحد أئمة أهل الشام، وقد نسب إلى سوء الحفظ، وأنا على شرطي في أمثاله). قال الذهبي في التلخيص: (راشد ضعفه الدارقطني وغيره، ووثقه دحيم).

۞ جميعًا من طريق: إسماعيل بن عياش، عن راشد بن داود، عن يعلى بن شداد، قال: حدثني أبي شداد بن أوس، وعبادة بن الصامت... فذكره.

۞ قال المنذري في الترغيب والترهيب، (ج2/ 415): رواه أحمد بإسناد حسن، والطبراني وغيرهما.

۞ قال الهيثمي في مجمع الزوائد: (ج1/ 19): رواه أحمد والطبراني والبزار ورجاله موثوقون. و(ج10/ 81): رواه أحمد؛ وفيه راشد بن داود وقد وثقه غير واحد، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات.

(1) هو إسماعيل بن عيّاش بن سليم العنسي، أبو عتبة الحمصي. روى عن: إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة المدني، وثابت بن عجلان الأنصاري، والحجاج بن أرطاة الكوفي، وراشد بن داود الصنعاني، وغيرهم. روى عن: إبراهيم بن شماس السمرقندي، وبقية بن الوليد، وسفيان الثوري، وأبو داود سليمان بن داود الطيالسي، وغيرهم. قال أحمد بن حنبل: (ليس أحد أروى لحديث الشاميين من: إسماعيل بن عياش، والوليد بن مسلم)، وقال يعقوب: (وتكلم قوم في إسماعيل، وإسماعيل ثقة عدل، أعلم الناس بحديث الشام، ولا يدفعه دافع، وأكثر ما تكلموا، قالوا: يغرب عن ثقات المدنين والمكين)، وقال يحيى بن معين: (إسماعيل بن عياش ثقة)، قال البخاري: (إذا حدث عن أهل بلده فصحيح، وإذا حدث عن غير أهل بلده ففيه نظر)، روى له البخاري في كتاب «رفع اليدين في الصلاة»، وغيره والباقون سوى مسلم، توفي سنة (181هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج3/ 163-181).

(2) انظر: كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي، ط مؤسسة الكتب الثقافية، (ص:49) ترجمة: (36).

۞ النسائي: هو الإمام الحافظ الثبت، شيخ الإسلام، ناقد الحديث، أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني النسائي، صاحب السنن، وُلد بِنَسَا=

عن الحجازيين فليس بصحيح[1]. وتغيَّرَ حفظُه في كِبره، والحديثُ في الفضائِلِ، وأحمدُ قد قال: إذا كان الفضائِلُ سهَّلنا[2].

ورَوَى أيضًا من حديث أبي سعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ [113/ ب]: يا رَبِّ؛ عَلِّمني شيئًا أذكُرُكَ به وأدعوكَ به، قال: قُل يا موسَى: لا إله إلّا الله، قال: يا رَبِّ؛ كُلُّ عِبادِكَ يقولُ هَذا. قال: قُل: لا إله إلّا الله. قال: لا إله إلّا أنت، إنّما أُريدُ شيئًا تَخُصُّني به، قال: يا موسَى؛ لو أنّ السّماواتِ السّبعَ وعامِرَهُنّ غيري، والأرَضينَ السّبعَ في كِفّة، ولا إله إلّا الله في كِفّة مالَت بهِنّ لا إله إلّا الله». رواه النّسائيُّ، وابنُ حبّان في «صحيحه»[3]. ولا إله إلّا الله دُعاءٌ وذكرٌ، كما علّمَه الله

=في سنة (215هـ)، وطلب العلم في صغره، وكان من بحور العلم، مع الفهم، والإتقان، والبصر، ونقد الرجال، وحسن التأليف، ورحل الحفاظ إليه، ولم يبق له نظير في هذا الشأن. قال الحاكم: (كلام النسائي على فقه الحديث كثير، ومن نظر في سننه تحير في حسن كلامه)، توفي سنة (303هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج14/ 125-135).

(1) انظر: تهذيب الكمال؛ للمزي (ج3/ 174).

(2) انظر: الآداب الشرعية لابن مفلح، ط الأوقاف، فصل في العمل بالحديث الضعيف وروايته والتساهل في أحاديث الفضائل دون ما ثبت به الأحكام والحلال والحرام والحاجة إلى السنة وكونها بيانًا للقرآن يجب اتباعه، (ج2/ 423- 435).

قال الإمام أحمد: إذا روينا عن رسول الله ﷺ في الحلال والحرام شددنا في الأسانيد، وإذا روينا عن رسول الله ﷺ في فضائل الأعمال، وما لا يضع حكمًا، ولا يرفعه تساهلنا في الأسانيد.

(3) رواه: 1- النسائي في: السنن الكبرى، حديث (10602)، وحديث (10913). وعمل اليوم والليلة، حديث (834)، وحديث (1141)؛ من طريق: أحمد بن عمرو بن السرح، عن ابن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث، أن دراجًا أبا السمح حدثه، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري... فذكره.

2- ابن حبان في صحيحه، ذكر سؤال كليم الله ربه أن يعلمه شيئًا يذكره به، حديث (3057)؛ من طريق: حرملة بن يحيى، قال: حدثنا ابن وهب، به. =

لِموسَى، ويُؤيِّد ذلك ما رَوى الإمامُ أحمدُ من حديثِ عمرِو بن شُعَيبٍ[1]

=3- الطبراني في الدعاء، حديث (1480)؛ من طريق: بكر بن سهل، قال: ثنا أحمد بن صالح، ثنا ابن وهب، به.

4- أبو يعلى في مسنده (420-1393).

5- الحاكم في المستدرك (ج1/ 710)، حديث (1936/ 136)؛ من طريق: أبو النضر محمد بن يوسف الفقيه، قال: ثنا سعيد الدارمي، ثنا أصبغ بن الفرج المصري، أنبأ ابن وهب، به. قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي.

6- البيهقي في الأسماء والصفات (ج1/ 251-252)، حديث (185)، من نفس طريق الحاكم.

۞ قال أبو نعيم في حلية الأولياء، (ج8/ 328): غريب من حديث عمرو، لم يروه عنه إلا ابن وهب.

۞ قال الهيثمي في مجمع الزوائد، (ج10/ 82): رواه أبو يعلى، ورجاله وثقوا، وفيهم ضعف.

(1) هو عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي المدني. قال أبو حاتم: (سكن مكة، وكان يخرج إلى الطائف إلى ضيعة له). روى عن: سالم مولى جده عبد الله بن عمرو، وسعيد بن المسيب، وأبيه شعيب بن محمد -وجل روايته عنه-، وغيرهم. روى عنه: إبراهيم بن ميسرة الطائفي، وأيوب السختياني، حميد الطويل، وغيرهم. قال يحيى بن سعيد القطان: (إذا روى عنه الثقات فهو ثقة يحتج به)، وقال سفيان بن عيينة: (كان إنما يحدث عن أبيه، عن جده، وكان حديثه عند الناس فيه شيء)، وقال أحمد بن حنبل: (عمرو بن شعيب له أشياء مناكير، وإنما يُكتب حديثه يُعتبر به، فأما أن يكون حجة فلا)، وقال البخاري: (رأيت أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، وإسحاق بن راهويه، وأبا عبيد، وعامة أصحابنا يحتجون بحديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، وما تركه أحد من المسلمين)، وقال أبو عبيد الآجري: (قيل لأبي داود: عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده؛ حجة عندك؟ قال: لا، ولا نصف حجة)، روى له البخاري في «القراءة خلف الإمام» وغيره، والباقون سوى مسلم، توفي سنة (118هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج22/ 64-75).

۞ هو شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي الحجازي، والد عمرو بن شعيب. روى عن: عبادة بن الصامت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وجده عبد الله بن عمرو بن العاص، وغيرهم. روى عنه: ثابت البناني، وعطاء الخرساني، وعمرو بن شعيب، وغيرهم. ذكره خليفة بن خياط في الطبقة الأولى من أهل =

عن أبيه، عن جدِّه، قال: كان أكثَرُ دُعاءِ النَّبيِّ ﷺ يومَ عَرَفة: «**لا إله إلّا الله، وحدَه لا شَريكَ لَه، له المُلكُ وله الحمدُ بيَدِه الخيرُ وهو على كُلِّ شَيءٍ قديرٌ**»(1)، ورَوَى أحمدُ والتِّرمذيُّ: «**خَيرُ الدُّعاءِ دُعاءُ يومَ عَرَفة**»..

= الطائف، وذكره محمد بن سعد في الطبقة الثانية من أهل المدينة، وذكره ابن حبان في كتاب «الثقات»، وذكر البخاري، وأبو داود، وغير واحد؛ أنه سمع من جده عبد الله بن عمرو. قال محمد بن سعد: (روى عن جده عبد الله بن عمرو، وروى عنه ابنه عمرو بن شعيب، فحديثه عن أبيه، يعني: عمرو بن شعيب، وحديث أبيه عن جده، يعني: عبد الله بن عمرو). روى له البخاري في «القراءة خلف الإمام»، وفي «الأدب»، والباقون سوى مسلم. انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج12/ 534-536).

(1) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده: (ج11/ 548)، حديث (6961)؛ من طريق: روح، قال: حدثنا محمد بن أبي حميد، قال: أخبرني عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده... فذكره.

2- الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، حديث (3885)؛ من طريق: عبد الله بن نافع الصائغ، عن حماد بن أبي حميد، بهذا الإسناد، بلفظ: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير». قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

3- الإمام مالك في الموطأ: كتاب القرآن، باب ما جاء في الدعاء، حديث (726/ 239)؛ من طريق: زياد بن أبي زياد، عن طلحة بن عبيد الله بن كريز؛ أن رسول الله ﷺ قال: «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له».

وكتاب الحج، جامع الحج، حديث (1598/ 428)؛ من نفس الطريق السابق.

4- قوام السنة في الترغيب والترهيب، حديث (386)؛ من طريق: أحمد بن إسحاق بن أيوب النيسابوري، قال: ثنا أحمد بن داود بن جابر الأحمسي، ثنا أحمد بن إبراهيم الموصلي، ثنا فرج بن فضالة، عن يحيى بن سعيد، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «دعائي ودعاء الأنبياء قبلي عشية عرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير». قال قوام السنة: هذا إسناد حسن.

6- الطبراني في الدعاء: حديث (874)؛ من طريق: عفان بن مسلم، قال: ثنا قيس بن الربيع، عن الأغر بن الصباح، عن خليفة بن حصين، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل ما قلت أنا والنبيون قبلي عشية عرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير». - حديث (875)؛ من طريق: أحمد بن إبراهيم الموصلي،=

الحديث[1]. وروَى الطّبَرانيُّ في «المناسِكِ» عن عليٍّ مرفوعًا، قال: «أفضَلُ ما قُلتُ أنا والأنبياءُ من قَبلي عَشيّة عَرفة: لا إله إلّا الله وحدَه لا شَريكَ لَه، له المُلكُ وله الحمدُ وهو على كُلِّ شَيءٍ قديرٌ»[2].

وقد تَقدَّم حديثُ جابرٍ: «أفضَلُ الذِّكرِ لا إله إلّا الله»[3]، فهي شِعارُ الأنبياءِ والأتقياءِ والصّالِحينَ والنّاسِ أجمعينَ ذكرًا ودُعاءً إلّا من حرَمَه الله تعالى هذه الكلِمة. ولَمّا كانت هذه الكلمةُ رأسَ الأمرِ وأفضله وأوّله كان ابتداءُ أسماء الله بها، فقد رَوى الوليدُ بن مُسلِم[4] وعبدُ الملِكِ بن

= قال: ثنا فرج بن فضالة، عن يحيى بن سعيد، عن نافع، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: (كان عامة دعاء النبي ﷺ والأنبياء قبله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عشية عرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير). قال ابن الملقن في البدر المنير، (ج6/ 225-227): هذا حديث رواه مالك في «الموطأ» عن زياد بن أبي زياد مولى ابن عباس، عن طلحة بن عبيد الله بن كريز - بفتح الكاف وآخره زاي- أن رسول الله ﷺ قال: الحديث، وهذا مرسل، طلحة هذا تابعي كوفي، قال البيهقي في سننه: وقد روي عن مالك بإسناد آخر موصولًا، قال: ووصله ضعيف.

ورواه الترمذي في «جامعه» مطولًا من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن النبي ﷺ قال... الحديث، ثم قال: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وحماد بن أبي حميد المذكور في إسناده هو أبو إبراهيم المدني الأنصاري، وليس هو بالقوي عند أهل الحديث. ورواه أحمد من هذا الطريق بلفظ...

ورواه العقيلي في «تاريخه» من حديث نافع عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ... الحديث. قال العقيلي: في إسناده فرج بن فضالة، قال البخاري: منكر الحديث. ورواه الطبراني في «مناسكه» من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ... الحديث، وفي إسناده قيس بن الربيع القاضي، وقد ساء حفظه بآخرة... قال الهيثمي في مجمع الزوائد، (ج3/ 252): رواه أحمد ورجاله موثوقون. راجع: تلخيص احبير لابن حجر، ط مؤسسة قرطبة، (ج2/ 484)، حديث (1044-37).

(1) انظر الحديث السابق. (2) راجع الحديث السابق. (3) تقدَّم قريبًا.

(4) هو الوليد بن مسلم القرشي، أبو العباس الدمشقي. روى عن: إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، وثور بن يزيد الرحبي، وزهير بن محمد التميمي، وغيرهم. روى عنه: إبراهيم بن أيوب=

مُحمَّدٍ[1]، عن زُهَيرِ بن محمّد[2]، عن موسى بن عُقبةَ[3]، عَنِ الأعرَجِ[4]،

=الحوراني، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهوية، وغيرهم. قال محمد بن سعد: (كان ثقة، كثير الحديث)، وقال أحمد بن حنبل: (ليس أحد أروى لحديث الشاميين من: إسماعيل بن عياش، والوليد بن مسلم)، وقال علي بن المديني: (ما رأيت من الشاميين مثله، وقد أغرب الوليد أحاديث صحيحة لم يشركه فيها أحد)، وقال العجلي، ويعقوب بن شيبة: (الوليد بن مسلم ثقة)، روى له الجماعة، وتوفي سنة (194هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج31/ 86-99).

(1) هو عبد الملك بن محمد الحميري البرسمي الصنعاني، من صنعاء دمشق. روى عن: ثابت بن عجلان الحمصي، وخارجة بن مصعب الخراساني، وزهير بن محمد التميمي، وغيرهم. روى عنه: إسماعيل بن عبد الله السكري الرقي، وزيد بن المبارك الصنعاني، وهشام بن عمار، وغيرهم. قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: (سألت أبي عنه، فقال: يكتب حديثه)، وقال أبو حاتم بن حبان: (كان يجيب فيما يسأل عنه حتى ينفرد بالموضوعات، لا يجوز الاحتجاج بروايته)، روى له أبوداود، والنسائي، وابن ماجة. انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج18/ 405-407).

(2) هو زهير بن محمد التميمي العنبري، أبو المنذر الخراساني المروزي الخرقي من أهل قرية من قرى مرو تسمى خرق. روى عن: أبان بن أبي عياش، وجعفر بن محمد الصادق، وموسى بن عقبة، وغيرهم. روى عنه: شر بن منصور السليمي، وعبد الملك بن محمد الصنعاني، والوليد بن مسلم، وغيرهم. قال أحمد بن حنبل: (ثقة)، وقال يحيى بن معين: (صالح لا بأس به)، وقال البخاري: (ما روى عنه أهل الشام فإنه مناكير، وما روى عنه أهل البصرة فإنه صحيح)، وقال النسائي: (ضعيف)، روى له الجماعة، توفي سنة (162هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج9/ 414-418).

(3) هو موسى بن عقبة بن أبي عياش القرشي الأسدي المطرفي، أبو محمد المدني، أخو إبراهيم بن عقبة، ومحمد بن عقبة، أدرك أنس بن مالك، وسهل بن سعد، وعبد الله بن عمر. روى عن: إسحاق بن يحيى بن الوليد بن عبادة بن الصامت، وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وغيرهم. وروى عنه: إبراهيم بن طهمان، وإسماعيل بن عياش، وزهير بن محمد العنبري، وغيرهم. قال محمد بن سعد: (كان ثقة، قليل الحديث)، وقال أحمد بن حنبل: (موسى بن عقبة ثقة)، روى له الجماعة، توفي سنة: (141هـ، وقيل:142هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج29/ 115-122).

(4) هو عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، أبو داود المدني. روى عن: أسيد بن رافع بن خديج، وعبد الله بن عباس، وأبي هريرة، وغيرهم. روى عنه: أسيد بن يزيد المدني، وأيوب السختياني، وموسى بن عقبة، وغيرهم. قال محمد بن سعد: (كان ثقة كثير الحديث)، وقال العجلي: (مدني تابعي ثقة)، روى له الجماعة، توفي (117هـ). انظر: تهذيب الكمال، (ج17/ 467-471).

عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «لله تِسعة وتِسعونَ اسمًا، مِائة إلّا واحِدًا، مَن أحصاها دَخَلَ الجنّة».

قال زهير: فبَلَغَني عن غيرِ واحدٍ من أهل العِلم أنّ أوّلها أن يُفتَتَحَ بلا إله إلّا الله، له الأسماءُ الحُسنَى... وذكَر تمامَ الحديثِ[1].

وأمّا اجتماعُ أهل زمانِنا على الذِّكر بلا إله إلّا الله جَهرًا فهم داخِلون في قولِه ﷺ: «لا يَقعُدُ قَومٌ يَذكُرونَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ إلّا حَفَّتهم الملائِكة، وغَشِيَتهم الرّحمة، ونَزَلَت عَليهم السّكينة، وذَكَرَهم الله فيمَن عنده». رواه مُسلِمٌ[2].

وكذلك: ما ثَبَت في الحديث الإلهيِّ يقولُ الله عَزَّوَجَلَّ: «مَن ذَكَرَني في نَفسِه، ذَكَرتُه في نَفسي، ومَن ذَكَرَني في مَلَإٍ ذَكَرتُه في مَلَإٍ خَيرٌ منهم»... الحديث[3].

---

(1) رواه من هذا الطريق: 1- أبو نعيم الأصبهاني في «جزء فيه طريق حديث إنّ لله تسعة وتسعين اسمًا»، (ص:107).

2- ابن حجر في الأمالي المطلقة، (ص:241)؛ من طريق أبي نعيم.

(2) صحيح مسلم، حديث (39- 2700).

(3) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده: (ج14/ 291)، حديث (8650)؛ من طريق: حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن سلمان الأغر، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ.

وحميد، وثابت البناني، وصالح بن ذكوان، عن الحسن، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ - فيما يحكي عن ربه عَزَّوَجَلَّ- أنه قال: «من ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ من الناس، ذكرته في ملأ أكثر منهم وأطيب».

(ج15/ 145)، حديث (9254)؛ من طريق: حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن الأغر، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مرفوعًا كاللفظ السابق.

2- ابن حبان في صحيحه، ذكر الإخبار بأن من تقرب إلى الله قدر شبر أو ذراع بالطاعة كانت الوسائل والمغفرة أقرب منه بباع، حديث (4718)؛ من طريق: حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن الأغر أبي مسلم، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ فيما يحكي عن الله جَلَّ وَعَلَا، قال: «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني في واحدة منهما، قذفته في النار؛=

وفي «صَحيح مُسلِم» من حديث مُعاوية [113/ أ] أنّ رسول الله ﷺ خرَجَ على حلقة منَ أصحابه، فقال: «ما أجلَسَكُم»؟ فقالوا: جَلسنا نَذكُرُ اللهَ ونَحمَدُه على ما هَدانا لِلإسلام، ومَنّ به علينا، قال: «آلله، ما أجلَسَكم إلّا ذلك[1]»؟ قالوا: آللهِ[2] ما أجلَسَنا إلّا ذلك[3]. فقال: «أما إنّي لم أستَحلِفكم تُهمة لَكُم، ولَكِنّ[4] جِبريلَ أتاني فَأخبَرَني؛ أنّ اللهَ يُباهي بكُمُ الملائِكة»[5].

وفي حديث جابر قال: خَرَجَ علينا رسول الله ﷺ، فقال: «يا أيُّها النّاسُ؛ ارتَعوا[6] في رياضِ الجنّة»، قُلنا: وأينَ رياضُ الجنّة يا رسول الله؟ قال: «مَجالِسُ الذِّكرِ»[7].

=ومن اقترب إلي شبرا، اقتربت منه ذراعا؛ ومن اقترب مني ذراعا، اقتربت منه باعا؛ ومن جاءني يمشي، جئته أهرول؛ ومن جاءني يهرول، جئته أسعى. ومن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي؛ ومن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ أكثر منهم وأطيب».

۞ ورواه البخاري ومسلم في صحيحيهما بلفظ: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة». البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾، حديث (7405). مسلم، حديث (2-2675).

(1) كذا في الأصل، وفي صحيح مسلم: ذاك.

(2) كذا في الأصل، وفي صحيح مسلم: والله.

(3) كذا في الأصل، وفي صحيح مسلم: ذاك.

(4) كذا في الأصل، وفي صحيح مسلم: ولكنّه.

(5) صحيح مسلم، حديث (40- 2701).

(6) الترعة في الأصل: الروضة على المكان المرتفع خاصة، فإذا كانت في المطمئن فهي روضة... وهذا المعنى من الاستعارة في الحديث كثير...أي: إن هذه الأشياء تؤدي إلى الجنة.

انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (ترع)، (ج2/ 447- 448).

(7) رواه: 1- عبد بن حميد في المنتخب، تحقيق/ صبحي السامرائي، ومحمود الصعيدي،=

وفي «الصّحيح» من حديث أبي هُريرة أنّ النّبيّ ﷺ قال: «إنّ لله ملائكة سَيّارة يَتبَعونَ مَجالِسَ الذِّكرِ، فإذا وجَدوا مَجلِسًا فيه ذِكرٌ، قَعَدوا معهُم، فَيَحُفّونَهم بأجنِحَتِهم إلى السّماءِ الدُّنيا»... الحديثَ[1].

=حديث (1107)؛ من طريق: بشر بن المفضل، قال: ثنا عمر بن عبد الله، مولى غفرة، عن أيوب بن خالد بن صفوان الأنصاري، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، فقال: «إن لله عَزَّوَجَلَّ سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر في الأرض، فارتعوا في رياض الجنة»، قالوا: وأين رياض الجنة؟ قال: «مجالس الذكر، فاغدوا وروحوا في ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، واذكروه بأنفسكم، من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله؛ فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإن الله عَزَّوَجَلَّ ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه».

2- أبو يعلى في مسنده، (ج3/ 390)، حديث (98-1865)؛ من طريق: بشر بن المفضل، قال: ثنا عمر بن عبد الله، به.

3- الحاكم في مستدركه، حديث (1820/ 20)؛ من طريق: بشر بن المفضل، قال: ثنا عمر بن عبد الله، به. قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). قال الذهبي في التلخيص: عمر ضعيف.

۞ قال عبد الحق الإشبيلي في الأحكام الكبرى (ج3/ 472): وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بهذا اللفظ إلّا عن جابر عنه بهذا الإسناد، ولا روى أيوب عن جابر إلا هذا الحديث. عمر مولى غفرة ضعفه يحيى بن معين، وقال أحمد بن حنبل: عمر مولى غفرة ليس به بأس.

۞ قال الهيثمي في مجمع الزوائد، (ج10/ 77): رواه أبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط، وفيه عمر بن عبد الله مولى عفرة، وقد وثقه غير واحد، وضعفه جماعة، وبقية رجالهم رجال الصحيح.

۞ قال ابن بطال في شرح صحيح البخاري، (ج3/ 184): فجعل مجالس الذكر في شرفها وفضلها بمنزلة رياض الجنة، وجعل ذاكر الله فيها كالراتع في رياض الجنة.

(1) متفق عليه؛ 1- صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، حديث (6408)؛ بلفظ: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم. قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا. قال:=

وفي أثرٍ غريبٍ مرفوعًا: «إنّ لله ملائكةً يبثُّهم في الأرضِ يتفقّدون المجالِسَ، فلعلّهم يأتونَ المجلِسَ فيه الذِّكر، ورَجُلٌ معَهم ليسَ فيما هم فيه، فيَعرُجونَ بذلك، فيَقولُ الله تعالى: قد غفرتُ لهم، وله معَهُم، فما هم بالجُلَساءِ الّذين يَشقَى مَن جالَسَهم»[1].

وفي حديثِ أنسٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من قَوم اجتَمَعوا يَذكُرونَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لا يُريدونَ إلّا وجهَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، إلّا ناداهم مُنادٍ مِنَ السّماءِ: قوموا مَغفورًا لَكم قد بُدِّلَت سَيِّئاتُكم حَسَناتٍ»، رفعَه قومٌ. وقال قومٌ: وقفُه أشبَه بالصّوابِ[2].

= فيسألهم ربهم - وهو أعلم منهم- ما يقول عبادي. قالوا: يقولون: يسبحونك، ويكبرونك، ويحمدونك، ويمجدونك. قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك. قال: فيقول: وكيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدا، وأكثر لك تسبيحا. قال: يقول: فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا، وأشد لها طلبا، وأعظم فيها رغبة، قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا، وأشد لها مخافة. قال: فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم. قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة. قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم».

2- صحيح مسلم، حديث (25-2689)؛ بلفظ: «إن لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ملائكة سيارة، فُضُلًا يتتبعون مجالس الذكر...الحديث».

(1) لم أقف عليه.

(2) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده، حديث (12453)، (ج19/ 437)؛ من طريق: محمد بن بكر، قال: أخبرنا ميمون المرئي، قال: حدثنا ميمون بن سياه، عن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ: -الحديث بهذا اللفظ-.

2- ابن أبي شيبة في مصنفه، حديث (29477)، وحديث (35713)؛ من طريق: عفان، قال: حدثنا أبان بن يزيد العطار، قال: حدثنا قتادة، قال: حدث أبو العالية الرياحي، عن=

وقال ابنُ مَسعودٍ: إذا مَرَرتُم بمَجالِسِ الغُرَباءِ فاقعُدوا، فَقيلَ لَه: وما مَجالِسُ الغُرَباءِ؟ قال: قَومٌ يَجتَمِعونَ على ذِكرِ اللهِ من كُلِّ قَبيلةٍ. ثُمَّ

=حديث سهيل بن حنظلة العبشمي، أنه قال: «ما اجتمع قوم قط يذكرون الله إلا نادى مناد من السماء: قوموا مغفورًا لكم، قد بدلت سيئاتكم حسنات».

3- البزار في مسنده، حديث (6467)؛ من طريق: يوسف بن يعقوب الضبعي، قال: نا ميمون بن عجلان، عن ميمون بن سياه، عن أنس، عن النبي ﷺ: -الحديث بهذا اللفظ-.

4- أبو يعلى في مسنده، (ج7/ 167)، حديث (1386-4141)؛ من نفس طريق ولفظ البزار.

5- الطبراني في الأوسط، حديث (1556)؛ من طريق: إسماعيل بن عبد الملك الزئبقي أبو إسحاق، قال: نا ميمون بن عجلان، به. قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن ميمون بن عجلان إلا إسماعيل بن عبد الملك.

6- أبو نعيم في حلية الأولياء، (ج3/ 107)؛ من طريق الإمام أحمد.

7- ضياء الدين المقدسي في الأحاديث المختارة: - حديث (2676)؛ من طريق: يوسف بن يعقوب صاحب السلعة، قال ثنا ميمون بن عجلان، به. - حديث (2677)؛ من طريق: يوسف بن يعقوب السدوسي، قال: ثنا ميمون بن عجلان، به.

⊙ قال ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ، (ج4/ 2117): رواه ميمون بن سياه، عن أنس؛ وميمون هذا ضعيف.

⊙ قال المنذري في الترغيب والترهيب، كتاب الذكر والدعاء، (ج2/ 403-404): رواه أحمد، ورواته محتج بهم في الصحيح إلا ميمون المرائي، وأبو يعلى، والبزار، والطبراني، ورواه البيهقي من حديث عبد الله بن مغفل.

⊙ قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار، (ج1/ 243): رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني؛ بسند ضعيف من حديث أنس.

⊙ قال الهيثمي في مجمع الزوائد، (ج10/ 76): رواه أحمد، وأبو يعلى، والبزار، والطبراني في الأوسط؛ وفيه ميمون المرئي، وثقه جماعة، وفيه ضعف، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح.

⊙ قال المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير، (ج2/ 347): أي إذا انتهى المجلس وقمتم؛ قمتم والحال أنكم مغفور لكم، أي الصغائر، وليس المراد بترك الذكر والقيام.

قال: نِعمَ المجلِسُ الّذي تُنشَرُ فيه الحِكمة، ويُرجَى فيه الرّحمة: مَجالِسُ الذِّكرِ. رواه ابنُ أبي الدُّنيا[1].

وفي أثَرٍ إلَهِيٍّ: يقولُ الله تَعالى: بي فافرَحوا، وبِذِكري فتَنَعَّموا[2]؛ ولأنّ مُلازمَةَ العبدِ للذِّكر معَ الاجتماع والانفِرادِ بالقلبِ واللِّسانِ علَى كُلِّ حالٍ، وفي كُلِّ وقتٍ نصيبُه من محبّة الله نَصيبٌ وافرٌ، كما سَنَذكر [114/ ب] ذلك في المحبّة، فإنّ العبدَ إذا أكثَرَ من ذكرِ الله، وأخلَصَ له نَوَّرَ الله قلبَه ووجهَه وبيتَه.

---

(1) لم أقف عليه عند ابن أبي الدنيا.

ورواه: 1- الدارمي في سننه، تحقيق/ حسين سليم أسد، (ج1/ 333)، (295)؛ من طريق: يوسف بن موسى، قال: أنبأنا أبو عامر، قال: أنبأنا قرة بن خالد، عن عون بن عبد الله قال: قال عبد الله: نعم المجلس، مجلس تنشر فيه الحكمة، وترجى فيه الرحمة.

2- ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، ط الأوقاف، باب جامع في فضل العلم، (ج1/ 109)، (186)؛ من طريق: إسحاق بن إبراهيم بن يونس، قال: نا علي بن عبد العزيز، قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم، نا قرة، به، -بلفظ الدارمي-.

۞ ولفظ: «عليكم بمجالس الغرباء من كل قبيلة: رجل أو رجلان» عزاه السيوطي في جمع الجوامع -المعروف بالجامع الكبير-، (ج5/ 725)، رقم (317/ 15743): لأبي نعيم عن أنس.

(2) رواه: 1- أبو نعيم في حلية الأولياء، (ج8/ 217)؛ من طريق: إسماعيل بن عبد الله، قال: ثنا إسحاق بن موسى الخطمي، قال: ثنا عباد بن كليب، عن محمد بن النضر الحارثي، قال: قرأت في بعض الكتب: «أيها الصديقون؛ بي فافرحوا، وبذكري فتنعموا».

2- القشيري في الرسالة، الباب الرابع والثلاثون الذكر، (ص:386)؛ من طريق: محمد بن الحسين، قال: سمعت عبد الرحمن بن عبد الله الذبياني، يقول: سمعت الجريري، يقول: سمعت الجنيد، يقول: سمعت السري، يقول: أوحى الله تعالى إلى داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: «بي فافرحوا، وبذكري فتنعموا».

۞ ذكره الحكيم الترمذي في رياضة النفس بغير إسناد، (ص:45)، فقال: (قال تعالى فيما روي: «قل للصديقين: بي فافرحوا، وبذكرى فتنعموا»).

وقد رَوى ابنُ أبي شَيبةَ[1]، عن عبد الرّحمَنِ بن محمّد المُحارِبيّ[2]، عَنِ الإفريقيِّ[3]، عن أبي عَلقَمة[4]، عن أبي هريرة، قال: إنّ أهلَ السّماءِ لَيَرونَ بُيوتَ أهلِ الذِّكرِ تُضيءُ لهم كما يُضيءُ الكوكَبُ لِأهلِ الأرضِ[5].

(1) هو عبد الله بن محمد بن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان الإمام العلم، سيد الحفاظ، وصاحب الكتب الكبار «المسند»، و«المصنف»، و«التفسير»، أبو بكر العبسي مولاهم الكوفي. وهو من أقران أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعلي بن المديني في السن والمولد والحفظ. وكان بحرًا من بحور العلم، وبه يضرب المثل في قوة الحفظ. توفي سنة (235هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج11/ 122-127).

(2) هو عبد الرحمن بن محمد بن زياد المحاربي، أبو محمد الكوفي. روى عن: إبراهيم بن مسلم الهجري، وحجاج بن أرطأة، وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي، وغيرهم. روى عنه: إبراهيم بن يوسف الحضرمي الصيرفي، وأبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، وهناد بن السري، وغيرهم. قال يحيى بن معين: (ثقة)، وقال النسائي: (ثقة)، وقال أبو حاتم: (صدوق إذا حدث عن الثقات، ويروي عن المجهولين أحاديث منكرة فيفسد حديثه بروايته عن المجهولين). روى له الجماعة. توفي سنة: (195هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج17/ 386-390).

(3) هو عبد الرحمن بن زياد بن أنعم بن منبه الشعباني الإفريقي، قاضيها، عداده في أهل مصر. روى عن: بكر بن سوادة الجذامي، وعبد الرحمن بن رافع التنوخي، وأبي علقمة مولى بني هاشم، وغيرهم. روى عنه: الأبيض بن الأغر، وسفيان الثوري، وعبد الرحمن بن محمد المحاربي، وغيرهم. قال علي بن المديني: (سألت يحيى بن سعيد عنه، فقال: سألت هشام بن عروة عنه، فقال: دعنا منه، حديثه حديث مشرقي!)، وقال عبد الرحمن بن مهدي: (أما الإفريقي، فما يَنبَغي أن يُروى عنه حديث)، وقال أحمد بن حنبل: (ليس بشيء)، روى له البخاري في «الأدب»، وفي «أفعال العباد»، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجة، توفي بإفريقية سنة (156هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج17/ 102-110).

(4) أبو علقمة المصري، مولى بني هاشم. روى عن: عبد الله بن عمر بن الخطاب، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وغيرهم. روى عنه: إبراهيم بن مسلم بن يعقوب القبطي، وأبو الخليل صالح بن أبي مريم، وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي، وغيرهم. قال أبو حاتم: (أحاديثه صحاح)، روى له البخاري في «القراءة خلف الإمام»، والباقون. انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج34/ 101-102).

(5) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، (ج7/ 170)، حديث (35055).

ويُشبه هذا ما ثَبَت في «الصّحيح»: أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «مَثَلُ البيتِ الّذي يُذكَرُ الله فيه، والبيتِ الّذي لا يُذكَرُ الله فيه مَثَلُ الحيِّ والميِّتِ»[1]، فجَعَل بيتَ الذِّكر بمنزلةِ بيتِ الحيِّ، وبَيتَ الغافِلِ بمنزلةِ بيتِ الميِّتِ وهو القبرُ، فالحيُّ فاعِلٌ قادرٌ علَى تحصيلِ ما ينفَعُه، والميِّتُ عاجِزٌ علَى فعلِ ذَرّةٍ واحدة مِنَ الخيرِ. وممّا يُستأنَس به في رفعِ الصّوت بهذه الكلِمة: أنّ أفضلَ الحجِّ العجُّ والثّجُّ[2]. فالعجُّ: رفعُ الصّوتِ بالتّلبيةِ[3]؛ وذلك لاشتمالِ التّلبيةِ علَى التّوحيدِ، فهي من شعارِ الحُجّاجِ، ولا إله إلّا الله أعظَمُ التّوحيدِ وأبلَغُه، وهي شِعارُ أهلِ الإسلام، فيَنبغي رفعُ الصّوت بها كالتّلبيةِ. وقال البُخاريُّ: وكان ابنُ عُمرَ[4] يُكبِّرُ في قُبّتِه بمنًى، فيَسمَعُه أهلُ المسجدِ فيُكبِّرونَ ويُكبِّرُ أهلُ الأسواقِ حتّى ترتجَّ منى تكبيرًا[5].

وكذلك ما وَرَد في الجهرِ بـ«لا إله إلّا الله وحدَه لا شَريكَ لَه، له المُلكُ، وله الحمدُ يُحيي ويُميتُ، وهو حَيٌّ لا يموتُ، بيده الخيرُ، وهو علَى كُلِّ شَيءٍ قديرٌ»[6]، في الأسواقِ.

---

(1) متفق عليه: 1- صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، حديث (6407)؛ عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل الذي يذكر ربه، والذي لا يذكر؛ مثل الحي، والميت». 2- صحيح مسلم، حديث (211- 779)، بلفظ المصنف.

(2) الثج: سيلان دماء الهدي، والأضاحي. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (ثج)، (ج2/ 499). قلت: وهو استدلال غير صحيح، والدليل مقصور على موضعه.

(3) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثر، مادة (عجج)، (ج6/ 2660).

(4) كذا في الأصل، وفي صحيح: وكان عُمر. بدون (ابن).

(5) صحيح البخاري، كتاب العيدين، باب التكبير أيام منى وإذا غدى إلى عرفة، وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يكبر... -قبل حديث (970)-.

(6) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده، (ج1/ 410)، حديث (327)؛ بلفظ: «من قال في سوق: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، بيده الخير، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، كتب الله له بها ألف ألف حسنة، ومحا عنه بها ألف ألف سيئة، وبنى له بيتا في الجنة». =

وكان ابنُ عُمَرَ وأبو هُريرةَ: يخرُجانِ إلى السّوقِ في العشرِ يُكبِّرانِ، ويُكبِّرُ النّاسُ بتكبيرِهِم، كذا ذكَرَه البُخاريُّ[1].

وأمثال ذلك ممّا لا يحضرُني دالٌّ علَى الجهرِ بذكرِ الله عَزَّوَجَلَّ.

=2- أبو داود الطيالسي في مسنده، حديث (12)؛ بلفظ: «من دخل سوقًا من هذه الأسواق، فقال: الحديث». قلت: وليس يلزم رفع الصوت بها.

3- الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما يقول إذا دخل السوق: حديث (3712)؛ من طريق: يزيد بن هارون، قال: أخبرنا أزهر بن سنان، قال: حدثنا محمد بن واسع، قال: قدمت مكة فلقيني أخي سالم بن عبد الله بن عمر، فحدثني، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله ﷺ، قال: «من دخل السوق، فقال: الحديث». قال الترمذي: (هذا حديث غريب). وحديث (3713)؛ من طريق: حماد بن زيد، والمعتمر بن سليمان، قالا: حدثنا عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير، به.

4- ابن ماجه في سننه، كتاب التجارات، باب الأسواق ودخولها، حديث (2235)؛ بلفظ: «من قال حين يدخل السوق -الحديث-».

5- البزار في مسنده، حديث (125). قال البزار: (هذان حديثان رواهما عمرو بن دينار قهرمان دار الزبير، مولى لهم يكنى أبا يحيى، روى عنه حماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وعبد الوارث، وخارجة بن مصعب، وسعيد بن زيد، وغيرهم، ولم يتابع عليهما).

6- الحاكم في المستدرك، حديث (1974/ 174)؛ من طريق: يزيد بن هارون، قال: أنبأ أزهر بن سنان القرشي، به. قال الحاكم: (له طرق عن عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير عن سالم، فأما أزهر فبصري زاهد) جميعًا من طريق: حماد بن زيد، عن عمرو بن دينار مولى آل الزبير، عن سالم، عن أبيه، عن عمر، مرفوعًا.

۞ قال الترمذي في العلل الكبير، (ص:363): (سألت محمدًا عن هذا الحديث، فقال: هذا حديث منكر).

۞ قال أبو حاتم الرازي فيما نقله عنه ابنه في العلل، تحقيق فريق من الباحثين، بإشراف/ سعد الحميد، وخالد الجريسي، (ج5/ 312): (هذا حديث منكر جدًّا، لا يحتمل سالم هذا الحديث).

(1) صحيح البخاري، كتاب العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق، وقال ابن عباس: «واذكروا الله في أيام معلومات»: أيام العشر، والأيام المعدودات؛ أيام التشريق، وكان ابن عمر وأبو هريرة يخرجان إلى السوق...وكبر محمد بن علي خلف النافلة. -قبل حديث (969)-.

والمقصودُ: الكلامُ على فضيلة الذِّكر جماعةً، وما قدَّمنا مِنَ الأدلّة فهو دالٌّ عليه، ويكفي في شرَفِ اجتِماعِ الذّاكِرينَ لله أنّ اللهَ تعالى يُباهي بهِمُ الملائكة، ويذكُرُهم فيما عندَه، وأنّهم يرتَعون في رياضِ الجنّة، وأنّ الملائكةَ تحفُّهم بأجنِحتِهِم، وأنّهم القومُ لا يُشقى جليسُهُم، وأنّهم يرجونَ الرّحمةَ في حالِ ذكرِهِم، وتغشاهم في مجلِسِهم، وتنزِلُ عليهم السّكينةُ، ويُغفر لهم بإخلاصِهِم في ذكرِهِم، وتُبدَّلُ سَيِّئاتُهم حَسناتٍ، ولهم غيرُ ذلك؛ ولأنّ إظهارَ الذِّكر معَ الإخلاصِ فيه مِنَ الفوائدِ الّتي لا تحصُل في غيرِه من تذكُّرِ الغافلِ والسّاهي والنّاسي.

وفيه: استعمالُ القلبِ واللِّسانِ وجميع الذّات بخشوعها واقشعرارها، وفيه إذهابُ النُّعاسِ، وكلُّ هذا معَ الجماعةِ يكونُ الدّاعي أقوَى وأشدّ؛ لأنّ الذّاكرَ إذا كان مُنفردًا [114/أ] قد يكسلُ ويملُّ، فجماعة الذّاكِرينَ سبَبُ نشاطه وإذهابِ كسَله، ولهذا قال بعضُ العارفينَ: القُلوبُ يُساعِدُ بعضُها بعضًا.

ففي الخلوة يكسلُ وينعَسُ، فالجماعةُ سبَبُ تخلُّصِه مِنَ الكسلِ، والنُّعاسِ، وقُيودِ الغفلة، والنِّسيانِ، والحُجبِ الحائِلة بينَ القلبِ وبينَ الرّبِّ تعالَى، وهذا شأنُ المُحبّينَ معَ محبوبهِم، ومُناجاتُهم له ذكرًا وتضرعًا ودُعاءً، وتارةً تملقًا[1] وثَناءً، ويكفي أنّ في إظهار الذِّكرِ أنّ كُلَّ مَن يسمعُه من جِنٍّ وإنسٍ ورطبٍ ويابسٍ وغيرِه يشهَدُ له بالتّوحيدِ يومَ القيامة.

---

(1) ملق: الميم واللام والقاف أصل صحيح يدل على تجرد في الشيء ولين، قال ابن السكيت: الملق من التملق، وأصله التليين. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج5/ 351).

وقد رَوَى الفِريابيُّ[1]، عن عَطيّة، قال: كان النّاسُ يذكُرونَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ عندَ غُروبِ الشّمسِ يرفَعونَ أصواتَهم بالذِّكرِ، فإذا خفيت أصواتُهم أرسَلَ إليهم عُمَرُ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن ثَوِّروا[2] الذِّكرَ[3].

وعن نافِعٍ، عَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا أنّ رسول الله ﷺ قال: «أَلِظّوا[4] ألسِنَتَكم بقولِ: لا إله إلّا الله وأنّ محمّدًا رسول الله، والله رَبُّنا، والإسلامُ دينُنا، ومحمّد نَبيُّنا، فإنّكم تُسألونَ عنها في قُبورِكُم»[5].

وفي التِّرمذيّ: «أَلِظّوا ألسِنَتَكم بيا ذا الجلالِ والإكرامِ»[6].

---

(1) تقدمت ترجمته.

(2) ثار الشيء ثورًا وثؤورًا وثورانًا وتثور: هاج. انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (ثور)، (ج4/ 108).

(3) لم أقف عليه. وذكره السيوطي في كتاب الحاوي، ط دار الكتب العلمية، (ج2/ 312).

(4) بفتح الهمزة وكسر اللام وبظاء معجمة مشددة أي الزموا هذه الدعوة وأكثروا منها، انظر: فيض القدير للمناوي، (ج2/ 160).

(5) رواه ابن البناء في فضل التهليل وثوابه (ص:63)، حديث (22)؛ من طريق: أبي سهل بن زياد، قال: حدثنا محمد بن غالب، قال: حدثنا سعد بن عبد الحميد بن جعفر، قال: حدثنا عثمان بن مطر، عن أبي عبيدة، عن علي بن زيد، عن نافع، عن ابن عمر... فذكره.

۞ قال السيوطي في شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، ط دار المدني، (ص:125): في سنده عثمان بن مطر.

۞ وهو عثمان بن مطر الشيباني البصريُّ، روى عن: ثابت البناني، ومعمر بن راشد، ويحيى بن عبيد، وغيرهم. روى عنه: أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم الترجماني، وسعد بن عبد الحميد بن جعفر الأنصاري، وأبو بكر بن عياش الأحدب، وغيرهم. قال يحيى بن معين: (كان ضعيفًا ضعيفًا)، وقال أبو زرعة: (ضعيف الحديث)، وقال أبو داود والنسائي: (ضعيف)، روى له ابن ماجة.

انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج19/ 494-497).

(6) رواه: 1- الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ: حديث (3821)؛ من طريق: محمد بن حاتم، قال: حدثنا أبو بدر شجاع بن الوليد، عن الرحيل بن معاوية، أخي=

وذَكَرَ ابنُ أبي الدُّنيا في كتابِ «الشُّكر» بسَندِه، عن سُفيانَ بن عُيَينة[1]، قال: ما أنعَمَ الله على العِبادِ نِعمة من أن عَرَّفَهم لا إله إلّا الله، وإنّ لا إله إلّا الله لِأهل الجنّة كالماءِ البارِدِ لِأهل الدُّنيا[2]؛ ولأنّ نتيجةَ إظهارِ الذِّكر مع الذّاكِرينَ له ميزةٌ لا تحصُلُ في غيرِه.

=زهير بن معاوية، عن الرقاشي، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام». قال أبو عيسى: (هذا حديث غريب، وقد روي هذا الحديث عن أنس من غير هذا الوجه). وحديث (3822)؛ من طريق: محمود بن غيلان، قال: حدثنا مؤمل، عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن أنس، أن النبي ﷺ قال: الحديث. قال أبو عيسى الترمذي: (هذا حديث غريب وليس بمحفوظ، وإنما يروى هذا عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن البصري، عن النبي ﷺ، وهذا أصح. والمؤمل غلط فيه، فقال: عن حميد، عن أنس، ولا يتابع فيه).

2- الإمام أحمد في مسنده، (ج29/ 138)، حديث (17596)؛ من طريق: إبراهيم بن إسحاق، قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، عن يحيى بن حسان من أهل بيت المقدس، وكان شيخًا كبيرًا حسن الفهم، عن ربيعة بن عامر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام». 3- الحاكم في المستدرك: حديث (1836/ 36)؛ من طريق: عبدان، قال: أنبأ عبد الله بن مبارك، به. قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه). ووافقه الذهبي. وحديث (1837/ 37)؛ من طريق: رشدين بن سعد، قال: ثنا موسى بن حبيب، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: الحديث.

۞ قال الدارقطني في العلل، (ج12/ 26): يرويه حماد بن سلمة، واختلف عنه... وهذا الحديث إنما يعرف عن أنس من رواية يزيد الرقاشي، حدث به عنه الأعمش وغيره.

(1) تقدمت ترجمته.

(2) رواه: 1- ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، (ص:40)، (95)؛ من طريق: إسحاق بن إبراهيم، قال: سمعت سفيان بن عيينة، قال: «ما أنعم الله عَزَّوَجَلَّ على العباد نعمة أفضل من أن عرفهم أن لا إله إلا الله». قال: «وإن لا إله إلا الله لهم في الآخرة كالماء في الدنيا». 2- أبو نعيم في حلية الأولياء (ج7/ 272)؛ من طريق: أبو محمد بن حيان، قال: ثنا علي بن رستم، ثنا إبراهيم بن معمر، وإسحاق بن إبراهيم، قالا: سمعنا سفيان بن عيينة، يقول: «ما أنعم الله على العباد نعمة أفضل من أن عرفهم لا إله إلا الله، فإن لا إله إلا الله لهم في الآخرة كالماء في الدنيا». 3- البيهقي في شعب الإيمان، (ج2/ 282)، رقم (4181)؛ من طريق ابن أبي الدنيا.

فإن قيلَ: الذِّكر خُفية أبعَد عنِ الرِّياءِ مِنَ الذِّكر جماعةً.

فَيُقالُ: لكِن يُخاف علَى صاحِبه العُجبُ(1)، والكلامُ إنّما هو في الذّاكِرينَ المُخلصينَ، وأمّا الذِّكرُ خُفيةً؛ فقد تقدم الكلامُ عليه [115/ ب].

فَصْلٌ

في آدابِ الذِّكرِ

فالمُستحَبُّ أن يَذكرَ الله تعالى علَى أكملِ الأحوالِ وأتمِّها، مُتطهرًا مِنَ الحدَثَينِ، خاشعًا حاضِرَ القلبِ، كأنّك تَراه وتُخاطبه، فإن لم تكُن تَراه فإنّه يَراكَ(2).

فإن قيلَ: قد تقدَّم لنا قريبًا أنّ الذِّكرَ مشروعٌ في كُلِّ وقتٍ وعلَى كُلِّ حالٍ، وأنّ النّبيَّ ﷺ كان يذكُر اللهَ علَى كُلِّ أحيانه، وأنّ العُلماءَ كرِهوا الذِّكرَ في بعضِ الأحوال؛ كالمُتخلّي.

فنَصَّ الإمامُ أحمَدُ علَى أنّ المُتخلّي إذا عَطسَ حمِدَ اللهَ في نفسه، وقال مرّة: يُحرِّك به شفَتَيه. فمن أصحابه مَن حكَى عنه في التّلفُّظِ بالحمدِ سِرًّا رِوايتَينِ(3).

---

(1) أي: يخاف أيضًا على الذاكر خفية العجب. والله أعلم.

(2) قال البهوتي في شرح منتهى الإرادات، تحقيق/ عبد الله التركي، طبعة مؤسسة الرسالة، (ج1/ 106): «فلو نوى بوضوئه ما تسن له الطهارة من قول، أو فعل، كقراءة قرآن، وذكر الله تعالى...».

(3) قال إسحاق بن منصور المروزي: قلت لأحمد: إذا عطس على الخلاء؟ قال: يحمد الله عَزَّوَجَلَّ في نفسه. انظر: مسائل الإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، برواية إسحاق بن منصور المروزي، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة والمنورة، (ج2/ 460)، رقم (147). وقال المرداوي في الإنصاف، تحقيق/ محمد حامد الفقي، (ج1/ 95): وأما حمد العاطس، وإجابة المؤذن: فيحمد، ويجيب بقلبه، ويكره بلفظه على الصحيح من المذهب، وعليه الأصحاب، وعنه: لا يكره.

وقد كره بعضُ العُلماءِ للعبدِ أن يذكُرَ اللهَ، واستدَلّوا بأحاديثَ، منها:

ما ثَبَتَ في «صحيح مسلم»، عَنِ ابنِ عُمرَ، قال: مَرَّ رَجُلٌ بالنّبيِّ ﷺ وهو يبولُ فسَلَّم عليه، فلَم يرُدَّ عليهِ[1].

وفي «الصّحيح» مرفوعًا: «لا يَخرُجُ الرّجُلانِ يَضرِبانِ الغائِطَ كاشِفَينِ عن عَورَتِهما يَتحَدَّثانِ، فإنّ اللهَ يَمقُتُ على ذلك»[2].

---

(1) صحيح مسلم (115- 370) من طريق: محمد بن عبد الله بن نمير، قال: حدثنا أبي، حدثنا سفيان، عن الضحاك بن عثمان، عن نافع، عن ابن عمر: «أن رجلا مر ورسول الله ﷺ يبول، فسلم، فلم يرد عليه».

(2) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده، (ج17/ 412)، رقم (11310).

2- أبو داود في سننه، رقم (15).

3- النسائي في الكبرى (ج1/ 86-87): - رقم (37).

4- ابن ماجه في سننه، رقم (342).

5- ابن خزيمة في صحيحه، (ج1/ 39)، رقم (71)، قال ابن خزيمة: «أخبرنا أبو طاهر، نا أبو بكر، حدثنا به محمد بن يحيى، حدثنا سلم بن إبراهيم -يعني: الوراق- قال: حدثنا عكرمة بن عمار، عن يحيى بن أبي كثير، عن عياض بن هلال، بهذا الإسناد نحوه. وهذا هو الصحيح، هذا الشيخ هو عياض بن هلال، روى عنه يحيى بن أبي كثير غير حديث، وأحسب الوهم من عكرمة بن عمار، حين قال: عن هلال بن عياض».

۞ جميعا من طريق: عكرمة بن عمار، عن يحيى بن أبي كثير، عن هلال بن عياض، عن أبي سعيد الخدري مرفوعا.

۞ قال ابن قطان في بيان الوهم والإيهام، تحقيق/ الحسين آيت سعيد، طبعة دار طيبة، (ج3/ 271)، رقم (1018): «وأعله -أي: عبدالحق الأشبيلي في الأحكام الوسطى- بأن قال: «لم يسنده غير عكرمة بن عمار، وقد اضطرب فيه». لم يزد على هذا، وقد ترك ما هو علة في الحقيقة، وهو الجهل براويه عن أبي سعيد، وهو عياض بن بلال، أو هلال بن عياض».

وَعـنِ المُهاجرِ بـن قُنفـذ[1] أنّـه أتَـى النّبيَّ ﷺ وهـو يَبـول فسَـلَّمَ علَيـه فلـم يَـرُدَّ علَيـه حَتَّـى تَوَضَّـأ، ثُـمَّ اعتَـذَرَ إليـه، فقـال: «إنّـي كَرِهـتُ أن أذكُـرَ اللـهَ تعالـى إلّا علـى طُهـرٍ»، أو قـال: «علـى طَهـارة»، رواه أحمـد، وأبـو داودَ، وابـنُ ماجـه، والنّسـائيُّ[2].

---

(1) هـو المهاجر بـن قنفذ بـن عمير بـن جدعان بـن كعب بـن سـعد بن تيم بـن مـرّة القـرشي التيمي، كان أحد السابقين إلى الإسلام، ولّما هاجر أخذه المشركون فعذَّبوه، فانفلت منهـم، وقـدم المدينـة، فقـال النبـي ﷺ: هـذا المهاجـر حقًّـا. سـكن البـصرة، ومـات بهـا. انظـر: الإصابـة في تمييـز الصحابـة (ج6/ 181).

(2) رواه: الإمـام أحمـد في مسـنده: (ج31/ 381)، رقـم (19034)، و(ج34/ 361)، رقـم (20761)؛ مـن طريـق: سعيد، عن قتـادة، عـن الحسـن، عن الحضـين أبي ساسـان، عـن المهاجر بـن قنفـذ، أنـه سـلم عـلى رسـول الله ﷺ...الحديـث.

و(ج34/ 362)، رقـم (20762)؛ مـن طريـق: عفـان، قـال: حدثنـا حمـاد، عـن حميـد، عـن الحسن، عـن المهاجر بـن قنفـذ، أن النبي ﷺ كان يبـول -أو قـد بـال- فـسلمت عليه، فلـم يـرد علي حتـى توضـأ، ثـم رد عـلي.

وأبو داود في سننه، رقم (17)؛ من طريق: سعيد، عن قتادة...به.

والنسـائي في سـننه، رقـم (34)؛ مـن طريـق: سـعيد، عـن قتادة...بـه. وابـن حبـان في صحيحـه، طبعـة وزارة الأوقـاف والشـؤون الإسـلامية، بدولـة قطـر، (ج7/ 537)، رقـم (6954)، ذكـر العلـة التـي مـن أجلهـا فعـل ﷺ مـا وصفنـاه؛ مـن طريـق: سـعيد، عـن قتادة...بـه. قـال ابـن حبـان: «في هـذا الخـبر بيـان واضـح أن كراهيـة المصطفـى ﷺ ذكـر الله إلا عـلى طهـارة؛ كان ذلـك لأن الذكـر عـلى طهـارة أفضـل، لا أن ذكـر المـرء ربـه عـلى غـير الطهـارة غـير جائـز، لأنـه ﷺ كان يذكـر الله عـلى كل أحيانـه».

والحاكـم في المسـتدرك، طبعـة دار الكتـب العلميـة، (ج1/ 272)، رقـم (592/ 147)؛ مـن طريـق: شـعبة، عـن قتـادة، عـن الحسـن، عـن حضـين بـن المنـذر، عـن المهاجـر بـن قنفـذ...الحديـث. قـال الحاكـم: «هـذا حديـث صحيـح عـلى شرط الشـيخين، ولم يخرجـاه بهـذا اللفـظ...» ووافقـه الذهبـي. وابـن ماجـة في سـننه، رقـم (350)؛ مـن طريـق: سـعيد، عـن قتـادة، عـن الحسـن، عـن حضـين بـن المنـذر بـن الحـارث أبي ساسـان الرقـاشي، عـن المهاجـر بـن قنفـذ بـن عمـير بـن جدعـان، قـال: أتيـت النبـي ﷺ وهـو يتوضـأ، فسـلمت عليـه، فلـم يـرد عـلي السـلام، فلـما فـرغ مـن وضوئـه، قـال: «إنـه لم يمنعنـي مـن أن أرد عليـك إلا أني كنـت عـلى غـير وضـوء».

ورَوَى مالِكٌ والفِريابيُّ[1]، عن عبد الأعلَى[2]، عن حَمّادِ بن سلَمة[3]، عن أيّوبَ[4]، عن نافِعٍ، [عَنِ ابنِ عُمَرَ: أنّهُ][5] كان لا يَقرَأُ القُرآنَ، ولا يَذكُرُ اللهَ، إلّا وهو طاهِرٌ[6].

ورَوَى الفِريابيُّ، قال: حَدَّثَنا عُقبة بن مُكرَمٍ الضَّبي[7]، عن يونُسَ بن

---

(1) هو جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض، الإمام الحافظ الثبت شيخ الوقت، أبو بكر الفريابي القاضي. ولد سنة (207هـ). ارتحل من فيرياب -وهي مدينة من بلاد الترك- إلى بلاد ما وراء النهر، وخراسان، والعراق، والحجاز، ومصر، والجزيرة، ولقي الأعلام، وتميز في العلم، وولي قضاء الدينور. حدث عن: أبي بكر بن أبي شيبة، وعبدالأعلى بن حماد، وعلي بن المديني، وخلق كثير. حدث عنه: أبو بكر الشافي، وأبو القاسم الطبراني، وأبو بكر الآجري، وغيرهم. وصنف التصانيف النافعة. توفي سنة (301هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج14/ 96-106).

(2) هو عبدالأعلى بن حماد بن نصر الباهلي مولاهم، أبو يحيى البصري، المعروف بالنرسي، سكن بغداد. روى عن: حماد بن سلمة، وسفيان بن عيينة، ومالك بن أنس، وغيرهم. روى عنه: البخاري، ومسلم، وجعفر بن محمد الفريابي، وغيرهم. قال يحيى بن معين: «النرسيان ثقتان»، وقال أبو حاتم: «ثقة». توفي بالبصرة سنة (237هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج16/ 348-352). (3) تقدمت ترجمته.

(4) هو أيوب بن أبي تميمة -واسمه: كيسان-، السختياني، أبو بكر البصري. رأى أنس بن مالك. وروى عن: الحسن البصري، وعطاء بن أبي رباح، ونافع مولى ابن عمر، وغيرهم. روى عنه: جرير بن حازم، وحماد بن سلمة، وسفيان الثوري، وغيرهم. قال سفيان بن عيينة: «ومن كان أطلب لحديث نافع، وأعلم به من أيوب؟!». روى له الجماعة، توفي سنة (131هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج3/ 457-464). (5) ليس في الأصل، والمثبت من المحلَّى.

(6) رواه ابن حزم في المحلَّى بالآثار (ج1/ 102)؛ من طريق: عبد الله بن ربيع، قال: ثنا عبد الله بن محمد بن عثمان، ثنا أحمد بن خالد، ثنا علي بن عبد العزيز، ثنا الحجاج بن المنهال، ثنا حماد بن سلمة، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر: أنّه كان لا يقرأ القرآن، ولا يردُّ السّلام، ولا يذكر اللهَ، إلّا وهو طاهرٌ.

(7) هو عقبة بن مكرم بن عقبة بن مكرم الضبي الهلالي، أبو مكرم الكوفي. روى عن: سفيان بن عيينة، والمسيب بن شريك، ويونس بن بكير الشيباني، وغيرهم. روى عنه: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، وعبدالله بن أحمد بن حنبل، وأبو حاتم محمد بن إدريس الرازي، وغيرهم. قال أبو داود: «عقبة بن مكرم الكوفي ليس به بأس، ولم أكتب عنه». توفي سنة (234هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج20/ 226-227).

بُكَيرٍ[1]، عن خالدِ بن دينارٍ[2]، قال: كان الحَسَنُ[3] يَكرَه أن يَذكُرَ اللهَ أحَدٌ إلّا وهو على وضوءٍ ولو أن يَتيمَّمَ[4].

وَذَكَر خَيثَمة بن سُلَيمانَ[5]، عن مسلِم بن إبراهيمَ[6]، عن يزيدَ التّسترِيِّ[7]، أنّ الحسَنَ البصريَّ، قال: كانوا يَستَحِبّونَ ألّا يُذكَرَ الله عَزَّوَجَلَّ

---

(1) هو يونس بن بكير بن واصل الشيباني الجمال الكوفي. روى عن: خالد بن دينار النيلي، وسليمان الأعمش، وهشام بن عروة، وغيرهم. روى عنه: سعيد بن سليمان الواسطي، وعقبة بن مكرم الضبي الكوفي، وهناد بن السري التميمي، وغيرهم. قال يحيى بن معين: «كان صدوقا». استشهد به البخاري في «الصحيح»، وروى له في كتاب «القراءة خلف الإمام» وغيرهم، وروى له الباقون سوى النسائي، توفي سنة (199هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج32/ 493-497).

(2) هو خالد بن دينار التميمي السعدي، أبو خلدة البصري الخياط. روى عن: أنس بن مالك، والحسن البصري، وأبي العالية الرياحي، وغيرهم. روى عنه: عبدالرحمن بن مهدي، ووكيع بن الجراح، ويونس بن بكير، وغيرهم. قال يحيى بن معين: «صالح». روى له الجماعة سوى مسلم، وابن ماجة. انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج8/ 56-59).

(3) هو الحسن البصري، تقدمت ترجمته. (4) لم أقف عليه.

(5) هو الإمام الثقة المعمر محدث الشام، أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة بن سليمان القرشي الشامي الأطرابلسي. مصنف «فضائل الصحابة». كان رحالًا جوالًا صاحب حديث. ولد سنة (250هـ). سمع: أبا عتبة أحمد بن الفرج الحجازي، ومحمد بن عوف الطائي، وأبا إسماعيل الترمذي، وخلقًا سواهم بالشام والحرمين والعراق والجزيرة. حدث عنه: أبو علي بن معروف، وأبو عبد الله بن منده، وأبو بكر محمد بن يوسف الرقي، وخلق كثير. قال أبو بكر الخطيب: «خيثمة ثقة ثقة، قد جمع فضائل الصحابة». وفي سنة (343هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج15/ 412-416).

(6) هو مسلم بن إبراهيم الأزدي الفراهيدي مولاهم، أبو عمرو البصري، وفراهيد من الأزد. روى عن: أبان بن يزيد العطار، ومبارك بن فضالة، ويريد بن إبراهيم التستري، وغيرهم. روى عنه: البخاري، وأبو داود، وعبدالرحمن الدارمي، وغيرهم. قال يحيى بن معين: «ثقة مأمون». توفي سنة (222هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج27/ 487-492).

(7) هو يزيد بن إبراهيم التستري، أبو سعيد البصري. روى عن: أيوب السختياني، والحسن البصري، وقتادة بن دعامة، وغيرهم. روى عنه: عبد الله بن مسلمة القعنبي، ومسلم بن إبراهيم، ووووكيع بن الجراح، وغيرهم. قال أحمد بن حنبل: «ثقة». وقال علي بن المديني:=

إلّا علىٰ طَهارة[1]. فهذا يدُلُّ علَىٰ أنّه لا يذكُرُه إلّا علَىٰ أكمَلِ الأحوالِ.

وأمّا الحديثُ الّذي فيه ذكرُ المقتِ؛ فإنّ المقتَ علَىٰ كشفِ العورةِ، والحديثِ ونَظَرِ كُلٍّ واحِدٍ إلىٰ عورةِ صاحبِه، وحَديثُ ابنِ عُمَر كحَديثِ المُهاجِر، والله أعلَمُ.

وحكَىٰ ابنُ عَقيلٍ، عن عَليٍّ، وابنِ عُمرَ: كراهةَ القِراءةِ في الحمّام[2]. ورواه سَعيدُ بن منصورٍ موقوفًا عن عليٍّ[3]. وقال النّواوي: وتُكرَه القِراءةُ حالَ القُعودِ علَى الخلاءِ والجِماعِ والنِّفاسِ [115/ أ]، ثُمّ قال: وأمّا الحمّامُ فقد اختلَفَ السّلَفُ في كراهَتِها، فقال أصحابُنا: لا تُكرَه، ونقَله ابنُ المُنذرِ في «الإشرافِ» عن إبراهيمَ النّخَعيِّ، ومالِكٍ، وهو قولُ عَطاءٍ.

=«يزيد بن إبراهيم ثبت في الحسن، وابن سيرين». روى له الجماعة. توفي سنة (161هـ) -وقيل غير ذلك-.

انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج32/ 77-82).

(1) رواه: خيثمة بن سليمان القرشي الأطرابلسي، في جزء «من حديث خيثمة بن سليمان القرشي الأطرابلسي» تحقيق/ عمر عبدالسلام تدمري، طبعة دار الكتاب العربي، (ص:171)؛ من طريق: خيثمة، قال: حدثنا أحمد بن محمد البرتي، حدثنا مسلم بن إبراهيم، أخبرنا يزيد -يعني: ابن إبراهيم-، قال: حدثنا الحسن، قال:...

۞ فأدخل أحمد بن محمد البرتي، بين خيثمة، ومسلم بن إبراهيم. وهو الصواب: فأحمد بن محمد بن عيسى البرتي البغدادي الحنفي العابد. سمع: أبا نعيم، ومسلم بن إبراهيم، ومحمد بن كثير، وعدة. قال الخطيب: «كان ثقة ثبتا حجة، يذكر بالصلاح والعبادة». توفي سنة (280هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج13/ 407-410).

۞ ورواه الإمام أحمد في الزهد، (ص:209)، (1444)؛ من طريق: علي بن ثابت، قال: حدثني أبو الأشهب، عن الحسن، قال: «كانوا يستحبون أن يذكروا الله على طهارة».

(2) انظر: الشرح الكبير (ج1/ 232).

(3) انظر: الآداب الشرعيّة، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بدولة قطر، (ج2/ 415).

والكراهةُ حُكيت عن عليٍّ وأبي وائِلٍ، والشّعبيِّ، والحسَنِ، ومَكحولٍ، وقَبيصةَ، ذكَرَه في «التِّبيانِ»[1].

وقال الشّعبيُّ: تُكرَه القِراءةُ في ثَلاثة مَواضِعَ: الحمّاماتِ، والحُشوشِ[2]، وبَيتِ الرّحَى وهي تَدورُ[3].

وكذلك ذكَرَ الشّيخ مجد الدّين في «شرح الهداية»[4]، وقال: نَصَّ علَيه أحمدُ، وبه قال أبو حَنيفةَ[5].

وقال حربٌ: قُلتُ لِأحمدَ: فالقِراءةُ في الحمّامِ؟ قال: الحمّامُ لم تُبنَ للقِراءةِ، فكَأنّه كرِهَ ذلك[6].

ورَوَى ابنُ بطّة في كتابِ «الحمّامِ» عن مُعاويةَ بن قُرّة[7]، قال: كَتَبَ

---

(1) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن للنووي، تحقيق/ محمد الحجاز، طبعة دار ابن حزم، (ص: 78-79).

(2) الحش: بفتح الحاء، وضمها: البستان، وهو أيضا: المخرج، لأنهم كانوا يقضون حوائجهم في البستان، والجمع حشوش. انظر: مختار الصحاح، طبعة الجفان والجابي، ودار ابن حزم، (ص:146-147)، مادة (ح ش ش).

(3) رواه: ابن الضريس في فضائل القرآن، تحقيق/ عروة بدير، طبعة دار الفكر، (ص:42)، رقم (41)؛ من طريق: عياش بن الوليد الرقام، قال: ثنا مسلمة بن علقمة، ثنا داود، عن الشعبي، قال: أنه كره قراءة القرآن في ثلاثة مواطن: الرحا، وبيت الخلاء، وبيت الحمام.

(4) في حاشية النسخة الخطيّة بخط مغاير: من كتب الحنابلة. ويعني به: مجد الدين ابن تيمية المتوفى سنة (652هـ)، له كتابٌ يُسمَّى: «منتهى الغاية في شرح الهداية»، غير مطبوع، انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (ج2/ 249- 253).

(5) انظر: الفتاوى الكبرى (ج2/ 389)، والبيان؛ للعمراني (ج1/ 250).

(6) مسائل حرب الكرماني (ص: 438)، مسألة رقم (715).

(7) هو معاوية بن قرة بن إياس بن هلال بن رئاب، الإمام العالم الثبت، أبو إياس المزني البصري. حدث عن: ابن عمر، وأبي أيوب الأنصاري، وأنس بن مالك، وطائفة. حدث عنه: ابنه إياس، وقتادة، وثابت البناني، وخلق كثير. وثقه ابن معين، والعجلي، وأبو حاتم، وابن سعد، والنسائي. توفي سنة (113هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج5/ 153-155).

عُمَرُ إلى أبي موسَى الأشعَرِيِّ: إنّ عندكَ بُيوتًا يُقالُ لها: الحمّاماتُ، فلا يُقرَأُ فيها آيةٌ من كتابِ اللهِ(1).

واختارَ صاحِبُ «المُغني»(2) الكراهةَ، وكذلك العلّامةُ ابنُ أخيه في «شرحِ المُقنع»(3) لَه، وقد ذكَرنا أضعاف ذلك في كتاب «المِصباح في أذكار المساءِ والصباح»(4) فوائد الذِّكرِ وآدابه في كُلِّ بابٍ علَى قدرِ الاستِطاعة.

والمقصودُ: أنّ كُلَّ ما ذكرناه دالٌّ علَى كراهة القِراءة في هذه المواطنِ دونَ الذِّكر المُطلق، ونحن نجزمُ بتحريم القِراءةِ علَى الجنُبِ والحائِضِ والنُّفَساءِ، ولكِن كلامنا في الذِّكر المُطلقِ الّذي لا يمتنع منه؛ لا جنُبٌ ولا حائِضٌ ولا نُفساء، ولا غيرُ هؤلاء، بل يُقال: إنّ الشّخصَ يذكر اللهَ على كل أحيانه، فإنِ امتنع عليه في الخلاءِ، كما تقدم، أو غيره بلِسانه لم يمتنع عليه بقلبه؛ لأنّ مَن أكثرَ مِنَ الذِّكر وتَعوَّدَه لم يمكنه صرفُه عن قلبِه، بل يُلازِمُه استحضارُه في جميع أحواله، بل منصوصُ أحمدَ علَى أنّ المُتخلّي يحمَدُ اللهَ، وإنّما الخِلافُ في التّلفُّظِ، وقد رَوَى البيهَقيُّ بإسناده، عن عائِشةَ، عَنِ النّبيِّ ﷺ أنّه قال: «**ما من ساعة تَمرُّ بابنِ آدَمَ لم يَذكُرِ اللهَ فيها، إلّا تَحسَّرَ عليها يومَ القيامة**»(5).

---

(1) انظر: شرح العمدة لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبعة مجمع الفقه الإسلامي بجدة، (ج1/ 451)، قال: وتكره قراءة القرآن فيه، نص عليه، لما روى ابن بطة بإسناده عن معاوية بن قرة، قال:...

(2) انظر: المغني لابن قدامة، تحقيق/ التركي، والحلو، (ج1/ 308).

(3) انظر: الشرح الكبير على المقنع، طبعة هجر، (ج2/ 163).

(4) انظر: المصباح في أذكار المساء والصباح، للمنبجي، تحقيق/ أحمد فريد، طبعة دار الكتب العلمية، (ص:27).

(5) رواه: 1- الطبراني في المعجم الأوسط (8316)، وقال: لم يرو هذا الحديث عن عمر بن عبد العزيز إلا إبراهيم بن أبي عبلة، ولا عن إبراهيم إلا ابن علاثة، تفرد به: عمرو بن الحصين.=

وقال بعضُ العارفينَ: لو أقبلَ عبد علَى الله كذا كذا سَنة، ثُمَّ أعرَضَ [116/ ب] عنه لحظةً؛ لكان ما فاتَه أعظَم ممّا حصل له[1].

وما نقلناه مِنَ الكراهةِ عن هَؤُلاء الأئمّة، إنّما هو في القِراءة دون الذِّكر، ومِنَ المعلوم الفرقُ بينَ التّلاوةِ والذِّكرِ المُطلق، وإنّما كره السّلفُ القِراءةَ في هذه الأَحوال والمواطن؛ لأنّ الذِّكرَ بالقرآن أعظَمُ الذِّكر، فكَرِهوا ذلك صيانة له، بخلافِ الذِّكر المُطلق، فإنّه أوسَعُ من جميع الأبوابِ، كما تقدم.

وأيضًا نحن نجزِمُ أنّ الذّاكِرَ إذا كان مُتطهِّرًا مِنَ الحدَثَينِ هو أكمَل مِنَ الذّاكِرِ المُحدث. ويُستحب خفضُ الصّوتِ بالذِّكرِ.

قال قيسُ بن عَبّاد[2]: كانوا يَستحبّون خفضَ الصّوتِ عندَ الذِّكر وعندَ

= 2- أبو نعيم في حلية الأولياء، (ج5/ 361).

3- البيهقي في شعب الإيمان (ج2/ 54)، رقم (508)، وقال: وفي هذا الإسناد ضعف غير أن له شواهد من حديث معاذ.

۞ جميعًا من طريق: عمرو بن حصين، عن محمد بن علاثة، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن عمر بن عبد العزيز، عن عروة، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من ساعة تمر بابن آدم لم يذكر الله فيها إلا تحسر عليها يوم القيامة».

۞ قال الهيثمي في مجمع الزوائد، (ج10/ 80): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عمرو بن الحصين العقيلي؛ وهو متروك.

(1) ذكره: ابن القيم في الوابل الصيب، تحقيق/ عبدالرحمن بن حسن بن قائد، طبعة عطاءات العلم، (ص:89).

(2) هو قيس بن عباد القيسي الضبعي، أبو عبد الله البصري. قدم المدينة في خلافة عمر بن الخطاب. روى عن: سعد بن أبي وقاص، وعلي بن أبي طالب، وأبي ذر الغفاري، وغيرهم. روى عنه: الحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وأبو مجلز لاحق بن حميد، وغيرهم. وثقه العجلي، والنسائي، وقال العجلي: «من كبار الصالحين». روى له الجماعة سوى الترمذي. انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج24/ 64-70).

الجنائِزِ، وعندَ التِحامِ الحربِ[1].

قال ابنُ بَطّالٍ في «شرحِ البُخاريِّ»: فَإن قال قائِلٌ: أيُّ الأمرَينِ أفضَلُ: ذكرُ اللهِ بالتّسبيحِ والتّحميدِ والتّهليلِ، أو قِراءةِ القُرآنِ؟ فالجوابُ: أنّ عمرَو بنِ أبي سلَمة، سألَ الأوزاعيَّ عن ذلك؟ فقال لَه: سَل سَعيدًا، فسَأله؟ فقال: بلِ القُرآنُ، فقال الأوزاعيُّ لِسعيدٍ: إنّه ليسَ شَيءٌ يعدِلُ القرآنَ، ولكن إنّما كان هديُ مَن سلَفَ يذكُرونَ اللهَ قبلَ طلوعِ الشّمسِ وقَبلَ الغُروبِ.

قال ابنُ جريرٍ الطّبريُّ: والّذي قال الأوزاعيُّ أقرَبُ إلى الصّوابِ؛ لأنّه ثَبت من حديثِ أنَسٍ وأبي هُرَيرة مَرفوعًا، قال: «**لَأن أجلِسَ مع قَومٍ يَذكُرونَ اللهَ بعدَ الفجرِ إلى طُلوعِ الشّمسِ، وبعدَ العصرِ إلى غُروبِ الشّمسِ أحَبُّ إلَيَّ مِنَ الدُّنيا وما فيها**»[2].

---

(1) رواه: 1- ابن المبارك في الزهد، رقم (247). 2- ابن أبي شيبة في المصنف، (ج2/ 774)، رقم (11201)؛ من طريق: همام، عن قتادة، عن الحسن، عن قيس بن عباد، قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يستحبون خفض الصوت عند القتال، وعند القرآن، وعند الجنائز.

3- ابن المنذر في الأوسط في السنن والإجماع، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بدولة قطر، (ج5/ 422)، رقم (3034)؛ من طريق: هشام، عن قتادة، عن الحسن، عن قيس بن عباد، قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهون رفع الصوت عند ثلاث: عند القتال، وعند الجنائز، وعند الذكر.

(2) رواه أبو داود في سننه (3667)؛ من طريق: محمد بن المثنى، قال: حدثني عبد السلام يعني ابن مطهر أبو ظفر، قال: حدثنا موسى بن خلف العمى، عن قتادة، عن أنس بن مالك، بلفظ: «لَأن أقعُدَ مع قَومٍ يَذكُرونَ الله تعالى مِن صَلاةِ الغداةِ، حَتّى تَطلُعَ الشّمسُ أحَبُّ إلَيَّ، مِن أن أعتِقَ أربَعة مِن ولَدِ إسماعيلَ ولَأن أقعُدَ مع قَومٍ يَذكُرونَ الله مِن صَلاةِ العصرِ إلى أن تَغرُبَ الشّمسُ أحَبُّ إلَيَّ مَن أن أعتِقَ أربَعة».

۞ ورواه: البيهقي في شعب الإيمان، (ج2/ 86-87)، رقم (555)؛ من طريق: عبد الله بن محمد بن الحسن الشرقي، قال: حدثنا عبد الله بن هاشم، حدثنا يحيى بن عيسى الرملي،=

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية: وقدِ ابتدَع النّاسُ عندَ الذِّكرِ رفعَ الأصواتِ، وعندَ الجنائزِ أيضًا، وعندَ الحربِ بوقاتٍ ودَبادِبَ[1] وكوساتٍ[2]، وابتَدعوا المُكاءَ والتّصديةَ المُضارعَ لذكرِ الله تعالى[3]. انتهى كلامُه.

ولو ورَد على الإنسان في تِلاوَتِه أو في ذكرِه أو في سَماعِه لهذا أو لهذا حالٌ تغلُب فيها، حتّى يخرُجَ إلى حالة خارجةٍ عَنِ المشروع، وكان ذلك الحالُ بسَببِ مشروعٍ، كسماعِ القُرآنِ العظيم ونحوِه، كما تقدم لسَلِمَ إليه ذلك، فأمّا إذا تكلَّفَ مِنَ الأسبابِ ما لم يُؤمَر به معَ علمِه بأنّه يوقعُه فيما لا يصلُح لَه؛ فهو بمنزلةِ مَن شَرب الخمرَ معَ علمِه أنّها تُسكرُه.

=حدثنا الأعمش، قال: اختلفوا في القصص، فأتوا أنس بن مالك، فقال: أكان رسول الله ﷺ يقص، فقال: إنما بعث رسول الله ﷺ بالسيف، ولكن قد سمعته، يقول: «لأن أذكر الله مع قوم بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس، أحب إلي من الدنيا وما فيها، ولأن أذكر الله مع قوم بعد صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس أحب إلى من الدنيا وما فيها».

۞ ورواه: البيهقي في شعب الإيمان، (ج2/ 87)، رقم (556)؛ من طريق: العباس بن الوليد بن مزيد، قال: أخبرني أبي، قال: سمعت الأوزاعي، يقول: حدثني عمرو بن سعد، عن يزيد الرقاشي، قال: حدثني أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أجلس مع قوم يذكرون الله بعد صلاة الصبح إلى أن تطلع الشمس أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ولأن أجلس مع قوم يذكرون الله بعد العصر إلى أن تغيب الشمس أحب إلى من أن أعتق ثمانية من ولد إسماعيل، دية كل رجل منهم اثنا عشر ألفا».

۞ ورواه: 1- الطبراني في الدعاء (1878). 2- البيهقي في شعب الإيمان، (ج2/ 87-88)، رقم (557) و(558) من طريقين عن موسى بن خلف، به.

انظر: شرح صحيح البخاري؛ لابن بطّال، (ج10/ 94-95).

(1) الدبادب: صوت كأنه دب دب، وهي حكاية الصوت. انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (دبب)، (ج1/ 372).

(2) الكوس بالضم: الطبل. انظر: الصحاح للجوهري، مادة (كوس)، (ج3/ 973).

(3) انظر: جامع المسائل، لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبعة دار عالم الفوائد، المجموعة الثامنة، (ج1/ 84).

وإذا قال: ورَدَ علَيَّ حالٌ وأنا سكرانٌ، قيلَ لَه: إذا كان السّبَبُ محظورًا لم يَكُن صاحِبُه معذورًا، اللهم إلّا أن يصطَلِم بالكُليّة، فذاك الّذي يزول تمييزُه ويسقط القلَمُ والتّكليفُ عنه في هذا، فإنّ الخطابَ يلزَم أهلَ العقلِ والتّمييز، لا أهل الاصطِلام وعدَم الشُّعورِ للذُّهول في عظَمة الملكِ العزيز الغفورِ، وهذه حالٌ نادِرٌ، تقَعُ في حَقِّ [116/ أ] الضُّعفاءِ، أو لِقوّة الواردِ المُصطلم في حقِّ الأقوياءِ، والله تعالى أعلَم.

فَصْلٌ

وإذا أرادَ العبدُ أن يعلَمَ علمًا يقينيًّا، كيف منزلتُه عندَ الله عَزَّوَجَلَّ؛ فلينظُر كيفَ منزلة الله عندَه، إن كان أمَرَه فامتثَل أمرَه، ونَهاه فانتَهى، وجعَلَ اللهَ نُصُبَ عينَيه، وأكثَرَ من ذكرِه، فإذا أنزَلَ العبدُ ربَّه منه هذه المنزلة كان منزلةُ العبدِ عندَ الله بالمكانِ الرّفيعِ منه، فأحَبّه وحفظَه، وكفاه ما أهمَّه، وذكَرَه عندَه في الملإ الأعلَى، وكانَ سببًا لِسعادتِه في الدُّنيا والآخِرة.

وقد رَوَى أحمد والحاكِمُ في «مستدركه» من حديث جابرِ بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَن كان يُحِبُّ أن يَعلَمَ مَنزِلَتَه عند الله فَليَنظُر كيف مَنزِلة الله عنده، فإنّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُنزِلُ العبدَ منه حَيثُ أنزَله من نَفسِه»**. قال الحاكِمُ: صحيحُ الإسنادِ، ورَواه ابنُ أبي الدُّنيا أيضًا[1].

---

(1) روه: 1- عبد بن حميد في المنتخب (1107).

2- أبو يعلى في مسنده، (ج3/ 390)، رقم (98-1865).

3- الطبراني في الأوسط، (ج3/ 67)، رقم (2501)، وقال: «لا يروى هذا الحديث عن جابر إلا بهذا الإسناد، تفرد به: عمر».

4- الحاكم في المستدرك (1/ 671)، رقم (1820/ 20)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». قال الذهبي: «عمر ضعيف». =

وقال طاوسٌ: مِنَ النّاسِ مَن تجري محابُّ الله علَى لِسانه، فإن عجِبَ من شيءٍ ذكَرَ اللهَ، وإن فزِعَ من شيءٍ ذكَرَ اللهَ، فتُحصي عليه ملائِكةُ الله خيرًا، ومِنَ النّاسِ مَن تجري اللّعنة علَى لِسانِه، فإن أعجبَه شيءٌ لعَنَه، وإن فزِعَ من شيءٍ لعَنَه، فتُحصي عليه ملائِكةُ الله شرًّا[1].

فلُزومُ مُناجاةِ القلبِ بالذِّكرِ للرَّبِّ عَزَّوَجَلَّ تملُّقًا وتَضرُّعًا وخُفيةً دون الجهرِ مِنَ القولِ علَى كلِّ حالٍ ثَناءٌ علَيه، وتعظيمًا وإجلالًا وتمجيدًا وتحميدًا وغير ذلك من مُناجاةِ القلبِ واللِّسانِ سرًّا تدُلُّ علَى المحبّة، وهل يستلذُّ المُحبُّ قطُّ بذكرِ غيرِ ذكرِ محبوبه؟ كما سنُبيِّن ذلك في المحبّة، بل مُلازمةُ ذكرِه بالقلبِ واللِّسانِ هو شأنُ كلِّ مُحبٍّ مَع محبوبِه كما قيلَ [من الطويل]:

إذا ما خَلونا والرّقيبُ بمَجلِسٍ فَنحن سُكوتٌ والهوَى يَتَكَلَّمُ[2]

= ۞ جميعًا من طريق: عمر بن عبد الله مولى غفرة، عن أيوب بن خالد بن صفوان الأنصاري، قال: قال جابر بن عبدالله: خرج علينا النبي ﷺ، فقال: «يا أيها الناس إن لله سرايا من الملائكة تحل، وتقف على مجالس الذكر في الأرض، فارتعوا في رياض الجنة» قالوا: وأين رياض الجنة؟ قال: «مجالس الذكر، فاغدوا، وروحوا في ذكر الله، واذكروه في أنفسكم؛ من كان...الحديث».

۞ قال المنذري في الترغيب والترهيب (ج2/ 261): في أسانيدهم كلها عمر مولى عفرة... وبقية أسانيدهم ثقات مشهورون محتج بهم، والحديث حسن، والله أعلم.

۞ قال الهيثمي في مجمع الزوائد: (ج10/ 77): رواه أبو يعلى، والبزار، والطبراني في الأوسط، وفيه عمر بن عبد الله مولى عفرة، وقد وثقه غير واحد، وضعفه جماعة، وبقية رجالهم رجال الصحيح.

(1) رواه: أبو إسحاق الختلي في كتاب المحبة لله (ص:90)، رقم (220)؛ من طريق: محمد بن إدريس بن المنذر الرازي، قال: حدثني يوسف بن يعقوب الصفار، ثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد، حدثني أبي عن طاوس قال:...

(2) البيت بلا نسبة في مدارج السالكين لابن القيم، تحقيق/ محمد حامد الفقي، طبعة دار الكتاب العربي، (2/ 433).

فحَصَل للعبد بهَذا الذِّكر ثَلاثُ فَوائِدَ عَظيماتٍ:

أحدُها: أنّ اللهَ يذكُره؛ لِقولِه تعالَى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: 156]، وفي قولِ النّبيِّ ﷺ فيما يحكيه عن ربِّه عَزَّوَجَلَّ: «مَن ذَكَرَني في نَفسِه؛ ذَكرتُه في نَفسي، ومَن [117/ ب] ذَكَرَني في مَلَإٍ؛ ذَكَرتُه في مَلَإٍ خَيرٍ منهم»(1).

الثّاني: أنّ اللهَ يُصلّي عليه ومَلائكتُه؛ لِقولِه تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ۝٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب: 41- 43].

الثّالث: قُربُ منزلَتِه عندَ الله، وأنّ اللهَ قد أنزَله منه حيثُ أنزَله العبدُ من نفسِه، وقد تقدَّمَ هذا الحديثُ.

---

(1) تقدّم تخريجه.

فَصلٌ مُهِمٌّ يَجِبُ الاعتِناءُ بِهِ

وهـو أنّ العبدَ إذا علِمَ فضلَ الذِّكرِ، وما تقدمَ لنا في هذا البابِ، وما امتازَ به مِنَ الفضلِ العظيمِ والثّوابِ الجسيمِ، الّذي لا يُشاركه فيه غيرُه مِنَ الأبوابِ، كان علَى السّالكِ، بل علَى كُلِّ أحدٍ أن يجعَلَ له مِنَ الأذكارِ النّبويّة وردًا يواظِب عليه طرَفَي النّهارِ، وعندَ نومِه واستيقاظِه.

وقد تقدم لَنا في أوّلِ البابِ قولُ ابنِ عبّاسٍ ومُجاهِدٍ في قولِه: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: 35] حتّى يذكُرَ اللهَ قائمًا وقاعِدًا ومُضطجعًا، وأدبارَ الصّلَواتِ، وغُدوًّا وعَشيًّا، وعندَ نومِه واستيقاظه.

وعَنِ الحسَنِ، عن أبي هُريرةَ، عَنِ النّبي ﷺ قال: «**يَقولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ابنَ آدَمَ اذكُرني[1] من أوَّلِ النّهارِ ساعة، ومن آخرِ النّهارِ ساعة؛ أكفِكَ ما بَينَهما**»[2].

فبادرتُ أن أذكُرَ منها إشاراتٍ إلى هذه الأوقاتِ؛ ليتأهَّبَ لها السّالِكُ،

---

(1) في الأصل: اذكروني، والمثبت هو الأولى، وكما ورد في المصادر.

(2) رواه: 1- عبد الله بن الإمام أحمد في زياداته، على كتاب الزهد، (ص:34)، رقم (203)؛ من طريق: عبد الله بن سندل، قال: حدثنا ابن المبارك، عن جبير، عن الحسن، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ فيما يذكر عن ربه عَزَّوَجَلَّ: «ابن آدم اذكرني بعد الفجر، وبعد العصر ساعة؛ أكفيك ما بينهما».

2- أبو نعيم في حلية الأولياء، (ج8/ 213)؛ من طريق: أبو بكر بن مالك، قال: ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني عبد الله بن صندل، ثنا ابن السماك. (ح) ومحمد بن المظفر، قال: ثنا محمد بن أحمد بن ثابت، قال: وجدت في كتاب جدي، عن محمد بن صبيح بن السماك، عن جبير، عن الحسن، عن أبي هريرة...به. قال أبو نعيم: غريب من حديث الحسن، عن أبي هريرة. ولم يروه عنه إلا جبير، وحديث ابن السماك لم يروه عنه إلا ابن صندل.

ويواظبَ عليها؛ لأنّه قد ثبَت أنّه كان أحبُّ العمَلِ إلى النّبي ﷺ أدومَه وإن قَلَّ، ولَوِ اجتهدنا في ذكرِ ما ورَد في هذه الأوقاتِ لَخرَج الكتابُ عن موضوعِه، فإنّ هذا سَبيله كُتُبُ عمَلِ يومٍ ولَيلة، وقد ألف العُلماءُ في هذا البابِ شيئًا كثيرًا.

وقد ذكرنا في كتابِنا [117/ أ] «المِصباح» في هذا البابِ جانِبًا كبيرًا، لا يُظفَرُ به مجموعًا في كتابٍ سِواه.

فمِنَ الإشاراتِ ما ورَد في فَضلِ الذِّكرِ صَباحًا ومَساءً: ما ثَبت في «صحيح مُسلِم»: أنّ النّبي ﷺ قال: **«مَن قال حينَ يُصبِحُ وحينَ يُمسي: سُبحانَ الله وبِحَمدِه؛ لم يَأتِ أحَدٌ بأفضَلَ مِمّا جاءَ به، إلّا أحَدٌ قال مِثلَ ما قال أو زادَ عليه»**(1).

ورواه أحمد، والتِّرمذيُّ، وأبو داوُد، ولفظُه: **«سُبحانَ الله العظيمِ وبِحَمدِه»**(2)، ورواه الحاكِمُ وصَحَّحَه، ولفظُه: **«مَن قال إذا أصبَحَ مِائةَ**

---

(1) صحيح مسلم، رقم (29/ 2692)؛ بلفظ: «من قال حين يصبح، وحين يمسي: سبحان الله وبحمده، مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال، أو زاد عليه».

(2) رواه: 1- مسلم في صحيحه، رقم (29-2693)؛ من طريق: سهيل، عن سمي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، يرفعه.

2- الإمام أحمد في مسنده: (ج14/ 429)، رقم (8835)؛ من طريق: محمد، قال: حدثنا إسماعيل بن زكريا، عن سهيل، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ:... الحديث.

3- الترمذي في سننه، طبعة دار التأصيل، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، رقم (3795)؛ من نفس طريق مسلم. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب».

4- أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، رقم (5091)؛ من نفس طريق مسلم.

مَرّة، وإذا أمسَى مِائة مَرّة»... فذكَرَهُ[1]، ورواه ابنُ أبي الدُّنيا، وفي آخرِه: «غُفِرَت خَطاياه، وإن كانت مِثلَ زَبَدِ البحرِ».

وَرَوى الحاكِمُ، عَنِ ابنِ أبي أوفَى قال: قال رسول الله ﷺ: «خيارُ عِبادِ الله الّذينَ يُراعونَ الشّمسَ والقمَرَ»[2].

---

(1) رواه: الحاكم في المستدرك، رقم (1906/ 106)؛ من طريق: أحمد بن عبيدالله الحافظ، قال: ثنا إبراهيم بن الحسين بن ديزيل، ثنا أبو النصر عمر بن محمد النصري، ثنا حماد بن سلمة، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، سمع النبي ﷺ، يقول: من قال إذا أصبح مائة مرة، وإذا أمسى مائة مرة: سبحان الله وبحمده؛ غفرت ذنوبه، وإن كانت أكثر من زبد البحر». قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي.

۞ ورواه: ابن حبان في صحيحه، (ج1/ 373)، ذكر الشيء الذي إذا قاله الإنسان حين يصبح لم يواف في القيامة أحد بمثل ما وافى، رقم (496)؛ من طريق: الحسن بن سفيان، قال: حدثنا محمد بن المنهال الضرير، قال: حدثنا يزيد بن زريع، قال: حدثنا روح بن القاسم، عن سهيل، عن سمي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يصبح: سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة، وإذا أمسى كذلك؛ لم يواف أحد من الخلائق بمثل ما وافى».

(2) رواه: 1- الحاكم في المستدرك، رقم (163/ 163)؛ من طريق: أبو بكر بن إسحاق، وعلي بن حمشاد، قالا: ثنا بشر بن موسى، ثنا عبدالجبار بن العلاء العطار، ثنا سفيان بن عيينة، عن مسعر، عن إبراهيم السكسكي، عن ابن أبي أوفى، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن خيار عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر والنجوم والأظلة؛ لذكر الله». قال الحاكم: «قال بشر بن موسى: ولم يكن هذا الحديث عند الحميدي في مسنده، هذا إسناد صحيح، وعبدالجبار العطار: ثقة، وقد احتج مسلم والبخاري بإبراهيم السكسكي، وإذا صح مثل هذه الاستقامة، لم يضره توهين من أفسد إسناده». قال الذهبي: «إسناده صحيح».

2- ابن المبارك في كتاب الزهد، (ص:367)، رقم (1304)؛ من طريق: عبدالجبار بن العلاء العطار، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا مسعر، عن إبراهيم السكسكي، عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: قال رسول الله صلى الله لعيه وسلم: «إن من أحب عباد الله عَزَّ وَجَلَّ الذين يراعون الشمس والقمر والنجوم والأظلة؛ لذكر الله عَزَّ وَجَلَّ».

3- ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء، (ص:18)، رقم (28)؛ من طريق: هارون بن معروف،=

وَعن أُمِّ هانِئٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: مَرَّ بي النَّبيُّ ﷺ ذات يوم، فقُلتُ: مُرني بعَمَلٍ أعملُه وأنا جالِسةٌ، قال: «سَبِّحي اللهَ مِائة تَسبيحة، فإنّها تَعدلُ مِائة رَقَبة من ولَدِ إسماعيلَ، واحمَدي اللهَ مِائة تَحميدة، فإنّها تَعدِلُ مِائة فَرَسٍ مُلَجَّمة، تَحمِلينَ عليها في سَبيلِ الله، وكَبِّري اللهَ مِائة تكبيرة، فإنّها تَعدِلُ لَكِ مِائة بَدَنة مُقَلَّدة مُتَقَبَّلةٍ، وهَلِّلي اللهَ مِائة تَهليلة».

قال أبو خلَفٍ: لا أحسبُه إلّا قال: «تَملأُ ما بَينَ السّماءِ والأرضِ»، رواه النّسائيُّ، وابنُ ماجه، والحاكِمُ في «المُستدرك»(1).

=قال: نا سفيان، عن مسعر، عن إبراهيم السكسكي، عن ابن أبي أوفى، قال: «خيار عباد الله...-الأثر موقوفا-».

4- البزار في مسنده، (ج8/ 283)، رقم (3350)، و(3351)؛ من طريق: سفيان بن عيينة، عن مسعر، عن إبراهيم السكسكي، عن ابن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أحب...الحديث». قال البزار: «وهذا الحديث لا نعلم أحدًا رواه عن مسعر بهذا الإسناد إلا سفيان بن عيينة...والصحيح الذي روى عن مسعر، عن إبراهيم، عن رجل، عن أبي الدرداء موقوفا».

5- البيهقي في السنن الكبرى، (ج1/ 558)، باب مراعاة أدلة المواقيت، رقم (1781)؛ من طريق: بشر بن موسى، قال: ثنا عبدالجبار بن العلاء العطار، ثنا سفيان بن عيينة...به. قال البيهقي: «تفرد به عبدالجبار بن العلاء بإسناده هكذا، وهو ثقة».

۞ قال المناوي في فيض القدير، (ج2/ 448-449): «أي: يتربصون دخول الأوقات بها «لذكر الله» أي: لأجل ذكره تعالى من الأذان للصلاة، ثم لإقامتها، ولإيقاع الأوراد في أوقاتها المحبوبة...».

(1) رواه: 1- السنن الكبرى، (ج9/ 311)؛ من طريق: إبراهيم بن يعقوب، قال: حدثنا سعيد بن سليمان، قال: حدثنا موسى بن خلف، قال: حدثنا عاصم بن بهدلة، عن أبي صالح، عن أم هانئ، قالت:...

2- ابن ماجة في سننه، كتاب الأدب، باب فضل التسبيح، رقم (3810)؛ من طريق: إبراهيم بن المنذر الحزامي، قال: حدثنا أبو يحيى زكريا بن منظور، حدثني محمد بن عقبة بن أبي مالك، عن أم هانئ، قالت:... =

ورَوَى التِّرمذيُّ[1] وحسَّنه وغرَّبه: أنّ النبيَّ ﷺ قال: «مَن سَبَّحَ مِائة مَرّة بالغداةِ، ومِائة بالعشيِّ؛ كان كَمَن حَجَّ مِائة حَجّة، ومَن حَمِدَ اللهَ مِائة بالغداةِ ومِائة بالعشيِّ؛ كان كَمَن حَمَلَ على مِائة فَرَسٍ في سَبيلِ الله -أو قال: غَزا مِائة غَزوة-، ومَن هَلَّلَ لله مِائة بالغداةِ، ومِائة بالعشيِّ لم يَأتِ في ذلك اليومَ أحَدٌ بأكثَرَ مِمّا أتى به، إلّا مَن قال مِثلَ ما قال، أو زادَ على ما قال»[2].

ورَوَى النّسائيُّ، وابنُ حِبّانَ في «صحيحه»، عن أبي أيّوبَ الأنصاريِّ أنّه قال -وهو في أرضِ الرّوم-: إنّ رسول الله ﷺ قال: «مَن قال غُدوة: لا إله إلّا الله، وحدَه لا شَريكَ لَه، له المُلكُ وله الحمدُ، وهو على كُلِّ شَيءٍ قديرٌ عَشرَ مرّاتٍ؛ كَتَبَ اللهُ له عَشرَ حَسَناتٍ، ومَحا عنه عَشرَ سَيِّئاتٍ، وكُنّ له قدرَ عَشرِ رِقابٍ [118/ ب]، وأجارَه اللهُ مِنَ الشّيطانِ، ومَن قالها

=3- الحاكم في المستدرك، (ج1/ 695)، رقم (1893/ 93)؛ من طريق: إبراهيم بن عصمة بن إبراهيم العدل، قال: ثنا أبي، ثنا إبراهيم بن موسى القزاز، ثنا زكريا بن منظور... به. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، وزكريا بن منظور لم يخرجاه». قال الذهبي: «زكريا ضعيف، وسقط مَن بين محمد، وأم هانئ».

4- الإمام أحمد في مسنده، (ج44/ 479)، رقم (26911)؛ من طريق: سعيد بن سليمان، عن موسى بن خلف...به.

5- البخاري في التاريخ الكبير، (ج2/ 254-255)؛ من طريق: عبدالسلام بن مطهر، قال: ثنا موسى بن خلف...به. قال البخاري: «ولا يصح هذا عن أم هانئ».

(1) رواه: الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، رقم (3797)؛ من طريق: محمد بن وزير الواسطي، قال: حدثنا أبو سفيان الحميري، عن الضحاك بن حمرة، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدة، قال: قال رسول الله ﷺ:.... قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

(2) قال علي القاري في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، طبعة دار الفكر، (ج5/ 140): دل الحديث على أن الذكر بشرط الحضور مع الله بسهولته أفضل من العبادات الشاقة بغفلته...

عَشيّة مِثلَ ذلك بهم»(1). ورَوى البُخاريُّ(2) وغيرُه أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «سَيِّدُ الاستِغفارِ أن يَقولَ العبدُ: اللهم أنت رَبّي لا إله إلّا أنت، خَلَقتَني وأنا عبدكَ، وأنا على عَهدِكَ ووَعدِكَ ما استَطَعتُ، أعوذُ بكَ من شَرِّ ما صَنَعتُ، أبوءُ لَكَ بنِعمَتِكَ عَلَيَّ، وأبوءُ بذَنبي، فاغفِر لي، فإنّه لا يَغفِرُ الذُّنوبَ إلّا أنت، مَن قالها حينَ يُمسي، فَماتَ من لَيلَتِه دَخَلَ الجنّة، ومَن قالها حينَ يُصبِحُ فَماتَ من يومِه دَخَلَ الجنّة». قال عبد الله بن عمرو: «ذِكرُ الله بالغداةِ والعشيِّ أفضَلُ من حَطمِ السُّيوفِ في سَبيلِ الله، وإعطاءِ المالِ سَحًّا»(3).

---

(1) رواه: 1- النسائي في: السنن الكبرى، (ج9/ 16)، رقم (9768). وعمل اليوم والليلة، (ص:148)، رقم (24). من طريق: يونس بن عبدالأعلى، عن ابن وهب، قال: أخبرني الليث بن سعد، عن سليمان بن عبدالرحمن، عن القاسم مولى عبدالرحمن بن يزيد بن معاوية، عن أبي أيوب، أنه قال وهو في أرض الروم...

2- ابن حبان في صحيحه، (ج1/ 372)، ذكر الشيء الذي يعدل لمن قاله بعد صلاة الغداة والمغرب عتاقة أربع رقاب مع احتراسه من الشيطان به، رقم (495)؛ من طريق: الفضل بن الحباب، قال: حدثنا علي بن المديني، قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، حدثنا أبي، عن ابن إسحاق، قال: حدثني يزيد بن يزيد بن جابر، عن القاسم بن مخيمرة، عن عبد الله بن يعيش، عن أيوب، قال: قال رسول الله ﷺ:...بنحوه.

قال المنذري في الترغيب والترهيب، طبعة دار إحياء التراث العربي، (ج1/ 456): «ورواه الطبراني بنحو أحمد، وإسنادهما جيد».

(2) رواه: البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار، رقم (6306).

(3) رواه: 1- ابن المبارك في الزهد، (ص:323)، رقم (1116).

2- ابن أبي شيبة في مصنفه (ج7/ 170)، رقم (35047). جميعًا من طريق: هشيم، عن يعلى بن عطاء، عن بشر بن عاصم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال:...

۞ قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار، تحقيق/ أشرف بن عبدالمقصود، طبعة مكتبة دار طبرية، الطبعة الأولى 1415هـ- 1995م، كتاب الأذكار والدعوات، (ج1/ 242)، رقم (925): رويناه من حديث أنس بسند ضعيف في الأصل، وهو معروف من قول ابن عمر -الصواب ابن عمرو بن العاص-، كما رواه ابن عبد البر في التمهيد.

ومنها: ما ورَدَ عندَ النّوم؛ لأنّه قد ورَدَ أنّ اللهَ تعالى قال في التّوراةِ: «كما تَنامونَ تَموتونَ، وكما تَستيقِظونَ تُبعَثونَ»[1]، فأيُّ حالةٍ نامَ عليها العبدُ واستيقَظَ من ذِكرِ خيرٌ أو شرٌّ، فإنّ موتَه أو بعثَه علَى ذلك، ولِهذا ورَدَ مِنَ الأحاديثِ، عَنِ النّبيِّ ﷺ في الوقتِ قولًا وفعلًا ومواظَبةً وتعليمًا وحَضًّا عليهما، وقد بسَطناه في «المِصباح»[2].

ورَوَى الطّبرانيُّ أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «مَنِ استَفتَحَ أوّلَ نَهارِهِ بخَيرٍ، وخَتَمَه بالخيرِ، قال الله: لا تكتُبوا على عبدي ما بَينَ ذلك مِنَ الذُّنوبِ»[3]، ورواه

---

(1) ذكره: الماوردي في أدب الدنيا والدين، تحقيق/ المكتب العلمي بالدارا الشامية، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، (ج1/ 342)؛ عن عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «كما تنامون كذلك تموتون، وكما تستيقظون كذلك تبعثون».

(2) راجع: المصباح في أذكار المساء والصّباح (ص:84) وما بعده.

(3) رواه: 1- أبو نعيم في معرفة الصحابة، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، طبعة دار الوطن، (ص:1596)، رقم (4023)؛ من طريق: أبو يعلى محمد بن أحمد بن الأقطع، قال: ثنا ميمون بن العباس، ثنا سليمان بن سلمة، ثنا عمرو بن عمرو الأحموسي، قال: سمعت عبد الله بن بسر، يقول: قال رسول الله ﷺ:...الحديث.

2- البيهقي في شعب الإيمان، (ج9/ 273)، رقم (6651)؛ من طريق: أبو يعلى حمزة بن عبدالعزيز، قال: أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد البزاري، أخبرنا أبو بكر محمد بن سليمان الباغندي، حدثنا سليمان -يعني: ابن سلمة الخبائري-، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعي، عن عطاء، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ:...الحديث.

3- الضياء في الأحاديث المختارة، تحقيق/ عبدالملك بن دهيش، (ج9/ 82)، رقم (65)؛ من طريق: سليمان بن أحمد الطبراني، قال: ثنا إبراهيم بن محمد بن عرق الحمصي، ثنا محمد بن مصفى، ثنا الجراح بن يحيى المؤذن، ثنا عمر بن عمرو بن عبد الأحموسي، عن عبد الله بن بسر، قال: قال رسول الله ﷺ:...الحديث.

۞ قال المناوي في فيض القدير، (ج6/ 59): «من استفتح أول نهاره بخير، وختمه بالخير» كصلاة وذكر وتسبيح وتهليل وصدقة وأمر بمعروف ونهي عن منكر، ونحو ذلك «قال الله لملائكته» يعني: الحافظين الموكلين به «لا تكتبوا عليه ما بين ذلك من الذنوب» يعني: الصغائر كما في قياس النظائر، ويحتمل التعميم، وفضل الله عظيم. =

ابنُ أبي الدُّنيا، ولفظُه: «ما من حافِظَينِ يرفعانِ إلى الله ما حَفظا فيَرى الله في أوَّلِ الصَّحيفة خيرًا، وفي آخرِها خيرًا، إلّا قال الله لِملائِكته: اشهدوا أنّي قد غفرتُ لِعبدي ما بينَ طرَفَي الصَّحيفة»[1].

وفي «الصَّحيحَينِ» أنّ النَّبيَّ ﷺ كان إذا أوَى إلى فِراشه كُلَّ ليلة جمع كفَّيه، ثُمَّ نفَثَ فيهما، فقرَأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ثُمَّ يمسحُ بهما ما استطاعَ من جسدِه، يبدَأُ بهما علَى رأسه ووَجهِه، وما أقبَلَ من جسَدِه، يفعَل ذلك ثلاثَ [118/ أ] مرّاتٍ[2].

قالت عائِشة: فلمّا اشتَكى كان يأمُرُني أن أفعَلَ ذلك بهِ[3].

= ۞ قال المنذري في الترغيب والترهيب، كتاب النوافل، الترغيب في آيات وأذكار يقولها إذا أصبح وإذا أمسى، (ج1/ 456): «رواه الطبراني وإسناده حسن إن شاء الله».

وقال الهيثمي في المجمع (ج10/ 19-120): «رواه الطبراني من طريق الحجاج بن يحيى المؤذن، عن عمر بن عمرو بن عبد الأحموسي، والجراح بن يحيى لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات، ولم يرو عن عمر بن عمرو إلا الجراح بن مليح البهزاني الشامي، فإن كان هو إيّاه، فهو ثقة».

(1) رواه: 1- الترمذي في سننه، أبواب الجنائز عن رسول الله ﷺ، رقم (1005)؛ من طريق: زياد بن أيوب، قال: حدثنا مبشر بن إسماعيل الحلبي، عن تمام بن نجيح، عن الحسن، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ:...الحديث.

2- أبو يعلى في مسنده، (ج5/ 162)، رقم (20-2775)؛ من طريق: الحكم بن موسى، قال: حدثنا مبشر بن إسماعيل الحلبي...به.

۞ قال ابن الجوزي في العلل المتناهية، طبعة دار الكتب العلمية، (ج1/ 45)، رقم (28): هذا حديث لا يصح، قال ابن حبان: تمام يروي أشياء موضوعة عن الثقات كأنه المتعمد لها. قال ابن عدي: ليس بثقة.

(2) رواه: البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات، رقم (5017).

(3) رواه: البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب النفث في الرقية، رقم (5748)؛ من طريق: سليمان، عن يونس، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت:... قال يونس: كنت أرى ابن شهاب يصنع ذلك إذا أتى إلى فراشه.

وفي روايةٍ: كان ينفُثُ علَى نفسِه في المرضِ الّذي ماتَ فيه. وقالت عائِشةُ: فلمّا ثقُلَ كنتُ أنفُثُ علَيه بهنّ، وأمسَحُ بيدِ نفسِه لبَركتِها[1].

فانظُر -رحِمَكَ اللهُ-: إلى شِدّة المُحافظةِ علَى هذه السّورةِ في حالِ الصّحّة والمرضِ، فتَأَسَّ به. وروَى التِّرمذيُّ وغرَّبَه: أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «مَن أرادَ أن يَنامَ على فِراشِه، فَنامَ على يَمينِه -ثُمَّ قرَأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ - مِائةَ مرّة، فإذا كان يومَ القيامة يَقولُ له الرّبُّ: يا عبدي ادخُل على يَمينِك الجنّة»[2]. ورَوَى النّسائيُّ والتِّرمذيُّ وحسَّنَه، أنّ النّبيَّ ﷺ كان لا ينامُ حتَّى يقرَأ الزُّمَرَ وبَني إسرائيلَ[3].

---

(1) رواه: البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب الرقى بالقرآن والمعوذات، رقم (5735).

(2) رواه: الترمذي في سنن، أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في سورة الإخلاص، رقم (3137). قال الترمذي: «حديث غريب من حديث ثابتٍ، عن أنسٍ، وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه أيضا عن ثابت».

(3) رواه: 1- النسائي في عمل اليوم والليلة، (ص:434)، رقم (712)؛ من طريق: محمد بن النضر بن مساور، قال: حدثنا حماد، عن مروان أبي لبابة، أن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول: ما يريد أن يفطر، ويفطر حتى نقول: ما يريد أن يصوم، وكان يقرأ في كل ليلة بني إسرائيل، والزمر.

2- الترمذي في سننه: أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، حديث رقم (3163)؛ من طريق: صالح بن عبدالله، قال: حدثنا حماد بن زيد، عن أبي لبابة، قال: قالت عائشة: كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ بني إسرائيل، والزمر. قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب. وأبو لبابة هذا شيخ بصري، قد روى عنه حماد بن زيد غير حديث، ويقال اسمه: مروان. أخبرنا بذلك محمد بن إسماعيل في كتاب التاريخ». وأبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، رقم (3724). قال الترمذي: «أخبرني محمد بن إسماعيل، قال: أبو لبابة هذا اسمه: مروان، مولى عبدالرحمن بن زياد، وسمع من عائشة، سمع منه حماد بن زيد».

3- الإمام أحمد في مسنده: - (ج40/ 452)، رقم (24388)؛ من طريق: حسن، قال: حدثنا حماد -يعني: ابن زيد-، عن أبي لبابة العقيلي، قال: سمعت عائشة، تقول: كان رسول الله ﷺ يصوم...الحديث.

۞ (ج41/ 394)، رقم (24908)؛ من طريق: عفان، قال: حدثنا حماد بن زيد...به. =

وفي البُخاريِّ[1]: «مَن قَرَأ آيةَ الكُرسيِّ إذا أوَى إلى فِراشِه، حَتَّى يَختمَها، فإنّه لَن يَزالَ عليه مِنَ الله حافِظٌ، ولا يَقربُه شَيطانٌ حَتَّى يُصبِحَ»، وفيه: أنّ النَّبيَّ ﷺ قال: «الآيتانِ من آخِرِ البقرة مَن قَرأهما في لَيلة كَفَتاه»[2].

وفي «السُّننِ الأربَع»: أنّ النَّبيَّ ﷺ كان إذا أرادَ أن يَرقُدَ وضَعَ يَدَه اليُمنَى تَحتَ خَدِّه، ثُمَّ يَقولُ: «اللهم قِني عَذابَكَ يومَ تَبعَثُ عِبادَكَ أو تَجمَعُ عِبادَكَ»[3].

= ۞ (ج42/ 359)، رقم (25556)؛ من طريق: عبدالرحمن بن مهدي، عن حماد بن زيد...به.

4- ابن خزيمة في صحيحه، (ج2/ 191)، باب استحباب قراءة بني إسرائيل والزمر كل ليلة استنانا بالنبي ﷺ إن كان أبو لبابة هذا يجوز الاحتجاج بخبره فإني لا أعرفه بعدالة ولا جرح، رقم (1163)؛ من طريق: أحمد بن عبدة، قال: أخبرنا حماد -يعني: ابن زيد-...به.

5- الحاكم في المستدرك (ج2/ 472)، رقم (3625/ 762)؛ من طريق: محمد بن صالح بن هانئ، قال: ثنا الحسين بن الفضل البجلي، ثنا سليمان بن حرب، ثنا حماد بن زيد...به.

(1) رواه: البخاري في صحيحه: كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل فهو جائز وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز، رقم (2311)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان...قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها. قلت: ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح. فخليت سبيله، فأصبحت...فقال النبي ﷺ: «أما إنه قد صدقك، وهو كذوب»... وكتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم (3275)، مختصرا. وكتاب فضائل القرآن، فضل البقرة، رقم (5010)، مختصرا.

(2) رواه: 1- البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، رقم (4008). وكتاب فضائل القرآن، فضل البقرة، رقم (5009). وكتاب فضائل القرآن، باب من لم ير بأسا أن يقول سورة البقرة وسورة كذا وكذا، رقم (5040). وكتاب فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن وقول الله تعالى: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ ﴾، رقم (5051). 2- مسلم في صحيحه، رقم (255-807)، و(256-808).

(3) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده: (ج6/ 287)، رقم (3742)؛ من طريق: يحيى بن آدم، قال: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبدالله، أن النبي ﷺ كان إذا وضع جنبه على فراشه، قال: «اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك». =

=۞ (ج7/ 47)، رقم (3931)؛ من طريق: أسود بن عامر، وأبو أحمد، قالا: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود، قال: كان النبي ﷺ إذا نام -قال أبو أحمد: إذا أوى إلى فراشه- وضع يده اليمنى تحت خده -قال أبو أحمد: الأيمن- ثم قال: «اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك».

۞ (ج7/ 267)، رقم (4226)؛ من طريق: وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبدالله، أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه، وضع يده تحت خده، وقال: «اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك».

۞ (ج30/ 420)، رقم (18472)؛ من طريق: محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، ورجل آخر، عن البراء بن عازب، قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينام، توسد يمينه، ويقول: «اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك» قال: فقال أبو إسحاق: وقال الآخر: «يوم تبعث عبادك».

۞ (ج30/ 521)، رقم (18552)؛ من طريق: أبو داود الحفري، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن البراء، قال: كان النبي ﷺ إذا نام وضع يده على خده، ثم قال: «اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك».

۞ (ج30/ 592)، رقم (18631)؛ من طريق: عبدالرزاق، قال: حدثنا سفيان...-بنحوه-.

۞ (ج30/ 608)، رقم (18660)؛ من طريق: أسود بن عامر، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن يزيد الأنصاري، عن البراء بن عازب أن النبي ﷺ كان إذا نام، وضع يده اليمنى تحت خده، وقال: «اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك».

۞ (ج30/ 613)، رقم (18672)؛ من طريق: وكيع، عن إسرائيل...-بنحوه-.

۞ (ج30/ 627-628)، رقم (18696)؛ من طريق: إسحاق بن يوسف، قال: حدثنا سفيان...-بنحوه-.

۞ (ج44/ 63-64)، رقم (26462)؛ من طريق: يزيد بن هارون، قال: أخبرنا حماد بن سلمة، عن عاصم بن أبي النحود، عن سواء الخزاعي، عن حفصة ابنة عمر زوج النبي ﷺ، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه وضع يده اليمنى تحت خده، وقال: «رب قني عذابك يوم تبعث عبادك» ثلاثًا. =

= ۞ (ج44/ 65-66)، رقم (26465)؛ من طريق: عبدالصمد، قال: حدثنا أبان -يعني: ابن يزيد العطار-، قال: حدثنا عاصم، عن معبد بن خالد، عن سواء الخزاعي...-بنحوه-.

2- أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما يقال عند النوم، رقم (5045)؛ من طريق: موسى بن إسماعيل، قال: ثنا أبان...به.

3- الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ: - رقم (3716)؛ من طريق: ابن أبي عمر، قال: حدثنا سفيان، عن عبدالملك بن عمير، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة بن اليمان، أن النبي ﷺ كان إذا أراد أن ينام وضع يده تحت رأسه، ثم قال: «اللهم قني عذابك يوم تجمع -أو: تبعث- عبادك». قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

۞ رقم (3717)؛ من طريق: أبو كريب، قال: حدثنا إسحاق بن منصور، عن إبراهيم بن يوسف بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن أبي إسحاق، عن أبي بردة، عن البراء بن عازب، قال: كان رسول الله ﷺ يتوسد يمينه عند المنام، ثم يقول: «رب قني عذابك يوم تبعث عبادك». قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وروى الثوري هذا الحديث عن أبي إسحاق، عن البراء، لم يذكر بينهما أحدًا، ورواه شعبة، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة ورجل آخر، عن البراء، ورواه إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن يزيد، عن البراء، وعن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبدالله، عن النبي ﷺ...مثله»

4- النّسائي في الكبرى، (ج9/ 277-278): - رقم (10520)؛ من طريق: أحمد بن سليمان، قال: حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا زهير، عن أبي إسحاق، عن البراء...به.

۞ رقم (10521)؛ من طريق: إبراهيم بن يوسف، قال: حدثنا الأشجعي...به.

۞ رقم (10522)؛ من طريق: محمد بن المثنى، قال: حدثنا محمد، قال: حدثنا شعبة...به.

۞ رقم (10523)؛ من طريق: إبراهيم بن الحسن، عن حجاج، عن إسرائيل...به.

۞ رقم (10524)؛ من طريق: إبراهيم بن الحسن، قال: حدثنا حجاج بن محمد، عن إسرائيل...به.

۞ رقم (10525)؛ من طريق: أحمد بن حفص بن عبدالله، قال: حدثني أبي، قال: حدثني إبراهيم، عن أبي أسحاق...به.

۞ رقم (10526)؛ من طريق: أحمد بن سعيد، قال: حدثنا إسحاق بن منصور، قال: حدثنا إبراهيم -وهو ابن يوسف- عن أبي إسحاق، قال: حدثني أبو بردة، عن البراء...به. قال أبو عبدالرحمن: «يشبه أن يكون فيه عن أبيه، عن أبي إسحاق». =

وروَى الإمامُ أحمد، والتِّرمذيُّ وحسَّنَه: أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «مَن قال حينَ يَأوي إلى فِراشِه: أستَغفِرُ اللهَ الّذي لا إله إلّا هو الحيَّ القيّومَ وأتوبُ إليه ثَلاثَ مَرّاتٍ غُفِرَت خطاياه، وإن كانت مِثلَ زَبَدِ البحرِ، وإن كانت عَدَدَ ورَقِ الشّجَرِ، وإن كان عَدَدَ رَملِ عالِجٍ، وإن كانت عَدَدَ النُّجومِ، وإن كانت عَدَدَ أيّامِ الدُّنيا»(1).

وفي البُخاريِّ: أنّ فاطِمة أتَتِ النّبيَّ ﷺ فَشَكَت ما تَلقَى [في](2) يَدِها مِنَ الرّحا، وتَسألُه خادِمًا، فلَم تجده، ووَجدَت عائِشةَ، فأخبَرتها، فلَمّا جاءَ النّبيُّ ﷺ أخبرته، قال عليٌّ: فجاءَنا النّبيُّ ﷺ، وقد أخذنا مَضاجِعَنا، فذَهَبتُ أقومُ، فقال: «مَكانك» فَجَلَسَ بَينَنا حَتّى وجَدتُ بردَ قدمَيه على صَدري، فقال: «ألا أدُلُّكُما على ما هو خيرٌ لَكُما من خادِمٍ؟ إذا أوَيتُما إلى فِراشِكُما؛ فَسَبِّحا ثَلاثًا وثَلاثينَ، واحمدا ثَلاثًا وثَلاثينَ، وكَبِّرا ثَلاثًا وثَلاثينَ»، وفي لفظٍ: «أربعًا وثَلاثينَ»، «فإنّه خيرٌ لَكُما من خادِمٍ». قال عليٌّ: فَما تَرَكتُهُنّ مُنذُ سَمِعتُهُنّ من رسول الله ﷺ، قيلَ

=5- النسائي في عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا أوى إلى فراشه، وذكر اختلاف الناقلين للخبر عن أبي إسحاق في ذلك، (ص:449-451)، الأرقام من (752) إلى (758) بنحو أسانيد السنن الكبرى.

6- ابن ماجه في سننه، كتاب الدعاء، باب ما يدعو به إذا أوى إلى فراشه، رقم (3877)؛ من طريق: علي بن محمد، قال: حدثنا وكيع...به.

(1) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده، (ج17/ 130)، رقم (11074)؛ من طريق: أبي معاوية، قال: حدثنا عبيدالله بن الوليد الوصافي، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ:...الحديث.

2- الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، رقم (3715)؛ من طريق: صالح بن عبدالله، قال: أخبرنا أبو معاوية...به. قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث عبيدالله بن الوليد الوصافي».

(2) من الصحيح.

لَـه: ولا لَيلـة صِفّيـنَ؟ قـال: ولا لَيلـة صِفّيـنَ[1].

قال شيخُ الإسلامِ: وقـد بلَغَنـا أنّـه مَـن حافَـظَ علَـى هـذه الكلِمـاتِ [لـم يأخـذه إعيـاء فيمـا يعانيـه مـن شـغل، وغيـره][2] [119/ ب].

ومنهـا: مـا ورَدَ عنـدَ الاسـتيقاظِ؛ فقـد رَوَى البُخـاريُّ، ومُسـلِمٌ[3]: أنّ ابـنَ عبّـاسٍ قـال: بـتُّ عنـد خالَتـي مَيمونـة، فتَحـدَّثَ رسـول الله ﷺ مـع أهلـه، ثُـمَّ رَقَـد، فلَمّـا كان ثُلُثُ اللّيـلِ الآخِرُ، قَعَدَ فنظَـر إلى السّـماءِ، فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران: 190]. وفـي لفـظِ البُخـاريِّ[4]: ثُـم قـرَأ العشـرَ الأواخِـرَ مـن آلِ عِمـرانَ، حَتَّـى

---

(1) رواه: 1- البخـاري في صحيحـه: - كتـاب فـرض الخمـس، بـاب الدليـل عـلى أن الخمـس لنوائـب رسـول الله ﷺ والمسـاكين وإيثـار النبـي ﷺ أهـل الصفـة والأرامـل حـين سـألته فاطمـة وشـكت إليـه الطحـن والرحـى أن يخدمهـا مـن السـبي فوكلهـا إلى الله، رقـم (3113).

⊙ كتـاب فضائـل الصحابـة، بـاب مناقـب علي بـن أبي طالـب القـرشي الهاشـمي أبي الحسـن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رقـم (3705).

⊙ كتاب النفقات، باب عمل المرأة في بيت زوجها، رقم (5361).

⊙ كتاب النفقات، باب خادم المرأة، رقم (5362).

⊙ كتاب الدعوات، باب التكبير والتسبيح عند المنام، رقم (6318).

2- مسلم في صحيحه، رقم (2727).

(2) سـقط في الأصـل، والاسـتدراك مـن: - المسـتدرك عـلى مجمـوع الفتـاوى (ج1/ 158). - الوابـل الصيـب مـن الكلـم الطيـب، تحقيـق/ عبدالرحمن بـن حسـن بن قائـد، طبعـة دار عـالم الفوائـد، (ص:250).

(3) رواه: 1- البخـاري في صحيحـه: - كتـاب التفسـير، رقـم (4569). - كتـاب الأدب، بـاب رفـع البـصر إلى السـماء، رقـم (6215). - كتـاب التوحيـد، رقـم (7452).

2- مسلم في صحيحه، رقم (48- 256).

(4) رواه: البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، رقم (4570).

ختمَها، ثُمَّ قامَ فتَوَضَّأ... الحديث. وفي «مسند أحمد» وغيرِه[1]: أنّ النبيَّ ﷺ أمَرَ أن يُقرَأ بسورةِ المُعوِّذتَينِ كُلَّما نِمتَ وكُلَّما قُمتَ.

ورَوَى البُخاريُّ[2]: أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «مَن تَعارَّ[3] مِنَ اللّيلِ، فقال: لا إله إلّا الله وحدَه لا شَريكَ لَه، لَه المُلكُ، ولَه الحمدُ، وهو على كُلِّ شَيءٍ قديرٌ، الحمدُ لله، وسُبحانَ الله، والله أكبَرُ، ولا حَولَ ولا قوّة إلّا بالله، ثُمَّ قال: اللهم اغفِر لي أو دَعا، استُجيبَ لَه، فَإن تَوَضَّأ، وصَلَّى قُبِلَت صَلاتُه».

وَرَوى الإمامُ أحمد، وأبو داوُدَ: أنّ عائِشةَ قالت: كان رسول الله ﷺ

---

(1) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده، (ج28/ 528-529)، رقم (17296)؛ من طريق: الوليد بن مسلم، قال: حدثنا ابن جابر، عن القاسم أبي عبد الرحمن، عن عقبة بن عامر، قال: بينما أنا أقود برسول الله ﷺ في نقب من تلك النقاب... ثم قال: يا عُقبُ! ألا أُعلِّمُكَ سورَتَينِ مِن خَيرِ سورَتَينِ قَرَأ بِهِما النّاسُ؟ قال: قُلتُ: بَلَى يا رسول الله. قال: فَأقرَأني: قُل أعوذُ بِرَبِّ الفلَقِ وقُل أعوذُ بِرَبِّ النّاسِ، ثُمَّ أُقيمَتِ الصّلاةُ، فتَقدمَ رسول الله ﷺ فقَرَأ بِهِما، ثُمَّ مَرَّ بي، قال: كيف رَأيتَ يا عُقبُ؟ اقرَأ بِهِما كُلَّما نِمتَ وكُلَّما قُمتَ.

2- النسائي في المجتبى، كتاب الاستعاذة، رقم (5437)؛ من طريق: محمود بن خالد، قال: حدثنا الوليد... به. 3- ابن خزيمة في صحيحه، (ج1/ 266-267)، باب قراءة المعوذتين في الصلاة ضد قول من زعم أن المعوذتين ليستا من القرآن، رقم (534)؛ من طريق: أبو طاهر، قال: نا أبو بكر، نا أبو عمار، علي بن سهل الرملي، قالا: حدثنا الوليد بن مسلم، حدثني عبدالرحمن بن يزيد بن جابر... به. قال أبو بكر -ابن خزيمة-: «هذه اللفظة «كلما نمت وقمت» من الجنس الذي أعلمت أن العرب يوقع اسم النائم على المضطجع، ويوقعه على النائم الزائل العقل، والنبي ﷺ إنما أراد بقوله في هذا الخبر: «اقرأ بهما إذا نمت»، أي إذا اضطجعت، إذ النائم الزائل العقل محال أن يخاطب، فيقال له: إذا نمت - وزال عقله - فاقرأ بالمعوذتين».

(2) رواه: البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب فضل من تعار من الليل فصلى، رقم (1154).

(3) في حاشية الأصل بنفس خط الناسخ: أي: استيقظ من نومه، مأخوذٌ من عرار الظّليم؛ وهو صياحه، وذلك لأن الغالب على من هبَّ من نومه يستيقظ مع صوت.

۞ راجع: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، تحقيق/ أحمد بن محمد الخراط، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، (ج2/ 455)، مادة (تعر).

يَقولُ إذا قامَ مِنَ اللّيلِ: يُكَبِّرُ عَشرًا، ويَحمَدُ عَشرًا، ويُسَبِّحُ عَشرًا، ويَستَغفِرُ عشرًا، ويقولُ: «**اللهم اغفِر لي، واهدِني، وارزُقني**» عَشرًا، ويقولُ: «**اللهم إنّي أعوذُ بكَ مِنَ الضّيقِ يومَ الحِسابِ**» عشرًا، وزاد أبو داوُدَ: «**سُبحانَ الملِكِ القُدّوسِ**» عشرًا[1].

وفي البُخاريِّ، ومُسلِم[2]: أنّ النّبيَّ ﷺ كان إذا استَيقَظَ من نومِه، قال: «**الحمدُ لله الّذي أحيانا بعدَ ما أماتَنا وإليه النُّشورُ**».

---

(1) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده، (ج42/ 37-38)، رقم (25102)؛ من طريق: يزيد، قال: أخبرنا الأصبغ، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، قال: حدثني ربيعة الجرشي، قال: سألت عائشة، فقلت: ما كان رسول الله ﷺ يقول إذا قام من الليل؟ وبم كان يستفتح؟ قالت:... 2- أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، رقم (766)؛ من طريق: محمد بن رافع، قال: ثنا زيد بن الحباب، أخبرني معاوية بن صالح، أخبرني أزهر بن سعيد الحرازي، عن عاصم بن حميد، قال: سألت عائشة: أي شيء كان يفتتح رسول الله ﷺ قيام الليل؟ فقالت: سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك، كان.... قال أبو داود: «ورواه خالد بن معدان، عن ربيعة الجرشي، عن عائشة، نحوه».

3- النسائي في المجتبى: - كتاب قيام الليل، باب ذكر ما يستفتح به القيام، رقم (1617)؛ من طريق: عصمة بن الفضل، قال: حدثنا زيد بن الحباب...به. - كتاب الاستعاذة، الاستعاذة من ضيق المقام يوم القيامة، رقم (5535)؛ من طريق: إبراهيم بن يعقوب، قال: حدثنا زيد بن الحباب...به. 4- ابن ماجة في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، رقم (1356)؛ من طريق: أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا زيد بن الحباب...به.

5- ابن أبي شيبة في مصنفه، (ج6/ 43)، رقم (29336)؛ من طريق: زيد بن حباب...به. 6- ابن حبان في صحيحه، (ج7/ 13)، ذكر الإباحة للمرء أن يزيد في ما وصفنا من التكبير والتسبيح والتحميد عند افتتاح صلاة الليل، رقم (6029)؛ من طريق: ابن قتيبة، قال: حدثنا يزيد بن موهب، عن معاوية بن صالح...به.

(2) رواه: 1- البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا نام، رقم (6312). كتاب الدعوات، باب وضع اليد اليمنى تحت الخد الأيمن، رقم (6314). - كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا أصبح، رقم (6324) و(6325). - كتاب التوحيد، رقم (7394)، و(7395).

2- مسلم في صحيحه، رقم (59- 2711).

وَرَوى البُخاريُّ، ومُسلِمٌ[1]: أنّ النّبيَّ ﷺ كان إذا قامَ إلى الصّلاةِ من جَوفِ اللّيلِ يَقولُ: «اللهم لَكَ الحمدُ، أنت نورُ السّمواتِ والأرضِ، ولَكَ الحمدُ أنت قَيّومُ السّمواتِ والأرضِ، ولَكَ الحمدُ أنت رَبُّ السّمواتِ والأرضِ ومَن فيهنّ، أنت الحقُّ وقولُكَ الحقُّ، ووَعدُكَ الحقُّ، ولِقاؤُكَ حَقٌّ، والجنّة حَقٌّ، والنّارُ حَقٌّ، [119/ أ] والسّاعة حَقٌّ، اللهم لَكَ أسلمتُ، وبكَ آمنتُ، وعليكَ تَوكّلتُ، وإليك أنبتُ، وبكَ خاصَمتُ، وإليك حاكَمتُ، فاغفِر لي ما قدمتُ وما أخّرتُ، وما أسرَرتُ وما أعلَنتُ، أنت المُقدمُ وأنت المُؤَخِّرُ، لا إله إلّا أنت، ولا إله غيرُكَ». وزاد في لفظ: «وَلا حَولَ ولا قوّة إلّا بالله»[2].

ومنها: ما ورَد مِنَ الذِّكرِ عُقَيب الصّلَواتِ المفروضاتِ: عن أبي أُمامة، أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «مَن قَرَأ آيةَ الكُرسيِّ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ لم يَكُن بينَه وبَينَ الجنّة إلّا أن يَموتَ»، رواه ابنُ حِبّانَ وصَحّحَه، وكذا الحافِظُ الضّياءُ في «المُختارة»، والطّبرانيُّ، ولفظُه: «لم يَمنَعه من دُخولِ الجنّة إلّا الموتُ»[3]،

---

(1) رواه: 1- البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه بالليل، رقم (6317). وكتاب التوحيد، رقم (7385)، و(7442)، و(7499).

2- مسلم في صحيحه، رقم (199- 769).

(2) رواه: البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب التهجد بالليل، رقم (1120)؛ من طريق: علي بن عبدالله، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا سليمان بن أبي مسلم، عن طاوس، سمع ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد، قال:.... قال سفيان: وزاد عبدالكريم أبو أمية: «ولا حول ولا قوة إلا بالله»

(3) رواه: الطبراني في الأوسط، (ج8/ 92-93)، رقم (8068)؛ من طريق: موسى بن هارون، قال: نا هارون بن داود النخار الطرسوسي، نا محمد بن حمير، نا محمد بن زياد الألهاني، عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ:.... قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن محمد بن زياد إلا محمد بن حمير، ولا يروى عن أبي أمامة إلا بهذا الإسناد».

وزادَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾[1].

ورَوَى أحمد، وأبو داوُدَ، والنّسائيُّ: أنّ النّبيَّ ﷺ أمَرَ عُقبة بن عامِرٍ أن يَقرَأ المُعَوِّذتَينِ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ. ورواه التِّرمذيُّ، وقال: بالمُعَوِّذاتِ[2].

---

(1) رواه: الطبراني في المعجم الكبير، (ج8/ 134)، رقم (7532)؛ قال: حدثنا محمد بن الحسن بن كيسان المصيصي، ثنا الحسين بن بشر الطرسوي. وثنا عمرو بن إسحا بن العلاء بن زبريق الحمصي، ثنا عمي محمد بن إبراهيم. وثنا موسى بن هارون بن داود النجار الطرسوسي، قالوا: ثنا محمد بن حمير...به. زاد محمد بن إبراهيم في حديثه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

(2) رواه: 1- أبو داود في سننه، كتاب الوتر، باب في الاستغفار، رقم (1523)؛ من طريق: محمد بن سلمة المرادي، قال: حدثنا ابن وهب، عن الليث بن سعد، أن حنين بن أبي حكيم حدثه، عن علي بن رباح اللخمي، عن عقبة بن عامر، قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات دبر كل صلاة. 2- النسائي في المجتبى، باب الأمر بقراءة المعوذات بعد التسليم من الصلاة، رقم (1336)؛ من طريق: محمد بن سلمة...به.

3- الترمذي في سننه، أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في المعوذتين، رقم (3143)؛ من طريق: قتيبة، قال: حدثنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن علي بن رباح، عن عقبة بن عامر، قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذتين في دبر كل صلاة. قال الترمذي: «هذا حديثٌ غريبٌ».

4- الإمام أحمد في مسنده: - (ج8/ 633-634)، رقم (17417)؛ من طريق: سعيد -يعني: ابن أبي أيوب-، قال: حدثني يزيد بن عبدالعزيز الرعيني، وأبو مرحوم، عن يزيد بن محمد القرشي، عن علي بن رباح، عن عقبة بن عامر، أنه قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة. و(ج29/ 330)، رقم (17792)؛ من طريق: هارون، قال: حدثنا ابن وهب...به.

5- ابن خزيمة في صحيحه، (ج1/ 372)، باب الأمر بقراءة المعوذتين في دبر الصلاة، رقم (755)؛ من طريق: محمد بن عبد الله بن عبدالحكم، عن أباه، قال: أخبرنا الليث. (ح) الحسن بن محمد، قال: حدثنا عاصم -يعني: ابن علي-، قال: حدثنا ليث، عن حنين بن أبي حكيم، عن علي بن رباح. وفي حديث ابن عبدالحكيم، عن علي بن رباح، عن عقبة، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرؤوا المعوذات في دبر كل صلاة». لم يقل الحسن بن محمد: «لي».

6- ابن حبان في صحيحه، (ج2/ 507)، ذكر الأمر بقراءة المعوذتين في عقب الصلاة للمصلي، رقم (1775)؛ من طريق: ابن خزيمة، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن عبدالحكم...به. =

فالظّاهر أنّها سورةُ الإخلاص معَ المُعوِّذتَين. وفي مُسلِم[1]: كان رسول الله ﷺ إذا انصرَفَ من صَلاتِه استَغفرَ ثَلاثًا، وقال: «اللهمَّ أنت السّلامُ ومنكَ السّلامُ، تَبارَكتَ يا ذا الجلالِ والإكرام»، وفيهِ[2]: أنّ النّبيَّ ﷺ كان إذا سَلَّمَ من صَلاتِه قال بصَوتِه الأعلَى: «لا إلهَ إلّا الله وحدَه لا شَريكَ لَه، له المُلكُ، وله الحمدُ، وهو على كُلِّ شَيءٍ قديرٌ، لا حَولَ ولا قوّة إلّا بالله، لا إله إلّا الله، ولا نَعبُدُ إلّا إيّاه، له النِّعمة، وله الفضلُ، وله الثّناءُ الحسَنُ، لا إله إلّا الله مُخلِصينَ له الدّينَ ولو كَرِهَ الكافِرونَ».

وفي البُخاريِّ، ومُسلِم[3] أيضًا: «اللهم لا مانعَ لِما أعطَيتَ، ولا مُعطيَ لِما مَنَعتَ، ولا يَنفَعُ ذا الجدِّ منكَ الجدُّ».

وفي «الصّحيحَين»[4]: أنّ النّبيَّ ﷺ علَّمَ فُقراءَ المُهاجرينَ أن يُسبِّحوه ويَحمَدوه ويُكَبِّروه دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثًا وثَلاثينَ، وقد تقدم هذا [120/ب] الحديثُ في أوائلِ الكتابِ.

وفي مسلم[5]: قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن سَبَّحَ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ

= 7- الحاكم في المستدرك، (ج1/ 383)، رقم (929/ 256)؛ من طريق: عمرو بن محمد بن منصور العدل، قال: ثنا عمر بن حفص السدوسي، ثنا عاصم بن علي...به. قال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي.

(1) صحيح مسلم، رقم (135- 591).

(2) صحيح مسلم، رقم (139- 594).

(3) رواه: 1- البخاري في صحيحه: كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، رقم (844). وكتاب الدعوات، باب الدعاء بعد الصلاة، رقم (6330). وكتاب القدر، باب لا مانع لما أعطى الله، رقم (6615). وكتاب الاعتصام، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، رقم (7292). 2- مسلم في صحيحه، رقم (205- 477).

(4) تقدم تخريجه.

(5) صحيح مسلم، رقم (146- 597).

ثلاثًا وثلاثينَ، وحَمِدَ ثلاثًا وثلاثينَ، وكَبَّرَ ثلاثًا وثلاثينَ، فَتلك تِسعة وتِسعونَ، وقال تَمامَ المائةِ: لا إله إلّا الله وحدَه لا شَريكَ لَه، له المُلكُ وله الحمدُ، وهو على كُلِّ شَيءٍ قديرٌ؛ غُفِرَت خَطاياه وإن كانت مِثلَ زَبَدِ البحرِ».

وفي روايةٍ لِلنّسائي[1] في هذا الحديثِ: «مَن سَبَّحَ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ مِائة، وكَبَّرَ مِائة، وهَلَّلَ مِائة، وحَمِدَ مِائة؛ غُفِرَت ذُنوبُه وإن كانت أكثَرَ من زَبَدِ البحرِ[2]».

وفي التِّرمذيِّ[3]: قيلَ: يا رسول الله؛ أيُّ الدُّعاءِ أسمَعُ؟ قال: «جَوفُ اللّيلِ الأخيرُ، ودُبُرَ الصَّلَواتِ المكتوباتِ».

---

(1) رواه: النسائي في: 1- السنن الكبرى: - (ج2/ 103)، رقم (1279)؛ من طريق: أحمد بن حفص بن عبدالله، قال: حدثني أبي، حدثني إبراهيم بن طهمان، عن الحجاج بن الحجاج، عن أبي الزبير، عن أبي علقمة، عن أبي هريرة، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سبح في دبر صلاة الغداة مئة تسبيحة، وهلل مئة تهليلة؛ غفر له ذنوبه، ولو كانت مثل زبد البحر». - (ج9/ 60)، رقم (9892)؛ من نفس الطريق السابق. و(9893)؛ من طريق: أحمد بن نصر، عن مكي بن إبراهيم، قال: أخبرنا يعقوب بن عطاء، عن عطاء بن أبي علقمة بن الحارث بن نوفل، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ:...الحديث. قال أبو عبدالرحمن -النسائي-: «يعقوب بن عطاء بن أبي رباح ضعيف...».

2- المجتبى، رقم (1354)؛ من طريق: أحمد بن حفص...به.

۞ قال المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير، (ج2/ 422): «وإسناده صحيح»

(2) كذا في النسخة الخطية، وفي سنن النسائي المجتبى والكبرى: وإن كانت مِثلَ زَبَدِ البحرِ.

(3) رواه: الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، رقم (3826)؛ من طريق: محمد بن يحيى الثقفي المروزي، قال: حدثنا حفص بن غياث، عن ابن جريج، عن عبد الرحمن بن سابط، عن أبي أمامة، قال: قيل: يا رسول الله! أي الدعاء أسمع؟ قال:...الحديث. قال الترمذي: «هذا حديث حسن».

قال ابن رجب في فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق/ طارق بن عوض الله، طبعة دار ابن الجوزي، (ج5/ 254): «واستحب -أيضا- أصحابنا وأصحاب الشافعي الدعاء عقب الصلوات، وذكره بعض الشافعية اتفاقا. واستدلوا بحديث أبي أمامة...».

ورَوَى أحمد، وأبو داوُدَ، والنّسائيُّ، والحاكِمُ -وقال: على شَرطِ الشّيخَين-: أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «أوصيكَ يا مُعاذُ؛ لا تَدَعَنّ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ أن تَقولَ: اللهم أعِنّي على ذِكرِكَ وشُكرِكَ وحُسنِ عِبادَتِكَ»[1]. ورَوَى أبو داوُدَ، وابنُ السُّني[2]: أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «لَأن أجلِسَ مع قَومٍ يَذكُرونَ اللهَ تعالى من صَلاةِ العصرِ إلى أن تَغرُبَ الشّمسُ، أحَبُّ إلَيَّ من أن أعتِقَ أربَعة من ولَدِ إسماعيلَ». ولفظُ ابنِ السُّنّي: «ثَمانيةً من ولَدِ إسماعيلَ».

---

(1) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده: (ج36/ 429-430)، رقم (22119). و(ج36/ 443)، رقم (22126).

2- أبو داود في سننه، كتاب الوتر، باب في الاستغفار، رقم (1522).

3- النسائي في سننه، رقم (1303).

4- الحاكم في المستدرك: - (ج1/ 407)، رقم (1010/ 337). قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي. (ج3/ 307)، رقم (5194/ 792). قال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

5- ابن خزيمة في صحيحه، (ج1/ 369)، رقم (751). قال ابن خزيمة: «وأوصى بذلك معاذ الصنابحي، وأوصى به الصنابحي أبا عبدالرحمن الحبلي، وأوصى به أبو عبدالرحمن عقبة بن مسلم». جميعا من طريق: حيوة، قال: حدثني عقبة بن مسلم، حدثنا أبو عبدالرحمن الحبلي، عن الصنابحي، عن معاذ.

(2) رواه: 1- أبو داود في سننه، كتاب العلم، رقم (3667)؛ من طريق: محمد بن المثنى، قال: حدثني عبدالسلام -يعني: ابن مطهر أبو ظفر- قال: حدثنا موسى بن خلف العمي، عن قتادة، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أقعُدَ...الحديث».

2- ابن السني في عمل اليوم والليلة، باب استحباب الذكر بعد العصر إلى الليل، رقم (670)؛ من طريق: حماد بن زيد، قال: ثنا المعلى بن زياد، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك، يرفعه -بلفظه-.

3- ضياء الدين المقدسي في الأحاديث المختارة، (ج7/ 32-33)، رقم (2418)، وقال: «أخرجه أبو داود في كتاب العلم، عن محمد بن المثنى، عن عبدالسلام. موسى: أثنى عليه جماعة، وتكلم فيه آخرون»

قال يزيدُ الرّقاشيُّ[1]: كان أنسٌ إذا حدَّثنا بهذا الحديثِ يقولُ: والله ما هو الّذي تَصنَعُه أنت وأصحابُك -يعني: القصص- يقعُدُ أحدُكم فتجتمِعونَ حَوله فيَخطُبُ، إنّما كانوا إذا صَلّوا قَعدوا حِلَقًا يقرءونَ القُرآنَ، ويَتعلَّمونَ الفرائضَ والسُّنَنَ، ويَذكُرونَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ[2].

وفي التِّرمذيِّ، والنّسائيِّ[3]: قال رسول الله ﷺ: «مَن قال: **لا إله إلّا الله، وحدَه لا شَريكَ لَه، لَه المُلكُ ولَه الحمدُ وهو على كُلِّ شَيءٍ قديرٌ -عَشرَ مَرّاتٍ- على إثرِ المغربِ بَعَثَ الله [120/ أ] لَه مَسلَحة يَتكفَّلونَهُ[4] مِنَ الشّيطانِ حَتّى يُصبِحَ، وكَتَبَ الله لَه بها عَشرَ حَسَناتٍ موجِباتٍ، ومَحا عنه عَشرَ سَيِّئاتٍ موبِقاتٍ، وكانت لَه بعَدلِ عَشرِ رِقابٍ مُؤمِناتٍ**»[5].

---

(1) هو يزيد بن أبان الرقاشي، أبو عمرو البصري القاص، من زهاد أهل البصرة. روى عن: أبيه أبان الرقاشي، وأنس بن مالك، والحسن البصري، وغيرهم. روى عنه: إبراهيم العجلي، والربيع بن صبيح، وسليمان الأعمش. قال البخاري: «تكلم فيه شعبة». وقال أحمد بن حنبل: «لا يكتب حديث يزيد الرقاشي». روى له البخاري في «الأدب»، والترمذي، وابن ماجة. انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج32/ 64-77).

(2) رواه: أبو يعلى في مسنده، (ج7/ 129)، رقم (1333-4088)؛ من طريق: خلف بن هشام، قال: حدثنا حماد بن زيد، عن جعفر بن ميمون، قال: حدثنا الرقاشي، قال: كان أنس مما يقول لنا -إذا حدثنا هذا الحديث-:....

قال الهيثمي في مجمع الزوائد، (ج1/ 132): ويزيد الرقاشي ضعيف.

(3) سنن الترمذي (3534)، والسنن الكبرى؛ للنسائي (10338) من حديث عمارة بن شبيب السبائي.

وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث ليث بن سعد، ولا نعرف لعمارة بن شبيب سماعًا من النبي ﷺ.

(4) كذا في الأصل، وفي نسخ الترمذي، والنسائي (10338): «يحفظونه». وفي النسائي (10339): «يحرُسونَه».

(5) رواه: 1- الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، رقم (3863)؛ من طريق: قتيبة، قال: حدثنا الليث، عن الجلاح أبي كثير، عن أبي عبدالرحمن الحبلي، عن=

ورواه أحمد[1] من حَديثِ أُمِّ سلَمة في قِصّة فاطِمةَ، وفيه: ذكرُ التّهليلِ دُبُرَ صَلاةِ المغرِبِ والصُّبحِ. والمسلحةُ: جماعة الملائِكةِ[2]. وفي النّسائي مرفوعًا[3]: ذكر التّهليلِ دُبُر صَلاةِ العصرِ. وفي كتابِ «مدارجِ السّالكينَ في منازل السّائرين»[4] قال: ومن تجريباتِ السّالكين الّتي جرَّبوها فألِفوها صحيحةً أنّه مَن أدمَن قولَ: يا حيُّ يا قيّومُ، لا إله إلّا أنت؛ أورثَه ذلك حَياةَ القلبِ.

=عمارة بن شبيب السبئي، قال: قال رسول الله ﷺ:...الحديث. قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث ليث بن سعد، ولا نعرفه لعمارة بن شبيب سماعًا من النبي ﷺ».

2- السنائي في السنن الكبرى، (ج9/ 215): - رقم (10338)؛ من نفس طريق الترمذي. - رقم (10339)؛ من طريق: أحمد بن عمرو بن السرح، قال: أخبرنا بن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث، أن الجلاح حدثه، أن أبا عبدالرحمن المعافري حدثه، أن عمارًا السبائي حدثه، أن رجلًا من الأنصار حدثه، أن رسول الله ﷺ، قال:...-بنحوه-.

(1) رواه: الإمام أحمد في مسنده، (ج44/ 175-176)، رقم (26551)؛ من طريق: أبو النضر، قال: حدثنا عبدالحميد، حدثني شهر، قال: سمعت أم سلمة تحدث، زعمت أن فاطمة جاءت إلى نبي الله تشتكي إليه الخدمة، فقال:...وإذا صليت صلاة الصبح، فقولي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير. عشر مرات بعد صلاة الصبح، وعشر مرات بعد صلاة المغرب....

(2) المسلحة: القوم الذين يحفظون الثغور من العدو. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر؛ لابن الأثير، مادة (سلح)، (ج5/ 1975).

(3) رواه: 1- النسائي في السنن الكبرى، (ج9/ 54)، رقم (9877). 2- النسائي في عمل اليوم والليلة، (ص:195)، رقم (126)؛ من طريق: جعفر بن عمران، قال: حدثنا المحاربي، عن حصين بن عاصم بن منصور الأسدي، عن ابن أبي حسين المكي، عن شهر بن حوشب، عن عبدالرحمن بن غنم، عن معاذ، -يرفعه-. قال أبو عبدالرحمن -أي: النسائي-: «حصين بن عاصم؛ مجهول، وشهر بن حوشب ضعيف، سئل ابن عون عن حديث شهر، فقال: إن شهرًا نزكوه، وكان شعبة سيء الرأي فيه، وتركه يحيى القطان».

(4) انظر: مدارج السالكين، تحقيق/ محمد حامد الفقي، (ج1/ 448)، وفيه: «...حياة القلب والعقل».

وحكى الحافظ الذّهبيُّ عَنِ الشّيخ أبي عُمرَ أنّه كان لا يخِلُّ بها بَينَ سُنّة الفجر والفرضِ[1].

وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ: مَن واظَبَ علَى أربَعينَ مرّة، بينَ سُنةِ الفجرِ وصلاة الفجرِ: «يا حَيُّ يا قَيّومُ، لا إله إلّا أنت، برَحمَتِك أستَغيثُ» حَصلَت له حَياةُ القلبِ، ولم يَمُت قَلبُهُ[2].

وفي التِّرمذيِّ وحَسَّنَهُ[3]: أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «مَن صَلَّى الفجرَ في جَماعة، ثُمَّ قَعَدَ يَذكُرُ اللهَ حَتّى تَطلُعَ الشّمسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكعَتَينِ كانت له كَأجرِ حَجّة وعُمرة تامّة تامّة تامّة»، وهذا الحديث رواه أَنس بن مالِكٍ. وخَرّجَه التِّرمذيُّ، وقال: «حديثٌ حسَنٌ غريبٌ»، كذا في «التّرغيب والتّرهيب»[4] للمُنذري.

فهَذه نبذةٌ يسيرةٌ للعارفِ المُسترشِدِ، فأينَ السّالكُ المجدُّ قليلٌ -واللهِ- في مثلِ هذا الزّمان. شَكا رجُلٌ إلى الحسَنِ البصريِّ قسوة قلبِه،

---

(1) قال الذهبي في تاريخ الإسلام، في ترجمة (محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر، الإمام القدوة الزاهد أبو عمر المقدسي الجماعيلي)، (ج13/ 174): «وكان يقول بين سنة الفجر والفرض أربعين مرة: يا حَيُّ يا قيوم لا إله إلا أنت».

(2) انظر: مدارج السالكين، (1/ 448).

(3) رواه: الترمذي في سننه، أبواب السفر، باب ما ذكر مما يُستحب من الجلوس في المسجد بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس، رقم (593)؛ من طريق: عبد الله بن معاوية الجمحي البصري، قال: حدثنا عبدالعزيز بن مسلم، قال: حدثنا أبو ظلال، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ:...الحديث. قال أبو عيسى -أي: الترمذي-: «هذا حديث حسن غريب. وسألت محمد بن إسماعيل -أي: البخاري- عن أبي ظلال، فقال: هو مقارب الحديث. قال محمد: واسمه هلال».

(4) انظر: الترغيب والترهيب للمنذري، طبعة دار إحياء التراث العربي، كتاب الصلاة، الترغيب في جلوس المرء في مصلاه بعد صلاة الصبح وصلاة العصر، (ج1/ 294-295)، رقم (1).

فقال: ادنُه مِنَ الذِّكرِ[1]. فإذا حصَل للعبدِ التّخلصُ منَ الغفلةِ والنِّسيانِ والحُجبِ الحائلةِ بين القلبِ وبينَ ذكرِ الرّبِّ عَزَّوَجَلَّ حصَلت له العِنايةُ التّامّة. هذا الفُضيل بن عياضٍ رحمة الله عليه كان يقطَعُ الطّريقَ، فخرَجَ ليلة، فإذا هو بقافلة قدِ انتهَت إليه، فقال بعضُهم لِبعضٍ: اعدِلوا إلى هذه القريةِ، فإنّ أمامَنا رَجلا يقطَعُ الطّريقَ يُقال لَه: الفُضيل بن عياضٍ، فسَمِعَ الفُضيلُ كلامَهم فأُرعِد، وقال: يا قومِ انزلوا بي وأنتُم آمِنونَ مِنَ [121/ ب] الفُضيلِ بن عياضٍ، فأضافَهم تلك اللّيلةَ، وخرَجَ يرتاد لهم علَفًا، فلمّا رجعَ سمعَ قارئًا يقرَأُ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: 15]، فصاحَ الفُضَيلُ، ومَزّق ثيابَه، وقال: بلَى والله قد آنَ، والله لَأجتَهِدنّ ألّا أعصيَ اللهَ أبَدًا[2]. وكان ذلك سبب توبتِه، فهذه العِنايةُ: «إنّ أحَدَكم لَيعمَلُ بعَمَلِ أهل النّارِ، حَتّى ما يَكونُ بَينَه وبَينَها إلّا ذِراعٌ، فَيَسبِقُ

---

(1) رواه: 1- الإمام أحمد في الزهد، (ص:216)، رقم (1510)؛ من طريق: يونس بن محمد، قال: حدثنا حماد بن زيد، عن المعلى بن زياد، قال: قال رجل للحسن: يا أبا سعيد! أشكو إليك قسوة قلبي. قال: ادنه من الذكر. أي: ممن يذكر.

2- ابن أبي الدنيا في كتاب الرقة والبكاء، (ص:62)، رقم (48)؛ من طريق: محمد بن سليمان الأسدي، قال: حدثنا حماد بن زيد...به. -دون قوله: أي: ممن يذكر-.

3- الخرائطي في اعتلال القلوب، (ج1/ 34)، رقم (53)؛ من طريق: حماد بن الحسن، قال: حدثنا سيار بن حاتم، عن جعفر بن سليمان، عن المعلى بن زياد...به. -دون قوله: أي: ممن يذكر-.

(2) روى قصة توبة الفضيل: 1- البيهقي في شعب الإيمان، (ج9/ 429-430)، رقم (6935)؛ من طريق: أبو عبدالرحمن السلمي، قال: أخبرنا محمد بن جعفر البغدادي، حدثنا الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري، حدثنا أبو القاسم ابن أبي أبي زرعة، حدثنا محمد بن إسحاق بن راهويه، حدثنا أبو عمار، عن الفضيل بن موسى، قال: كان الفضيل بن عياض شاطرا يقطع الطريق...-وفيها اختلاف عما ذكره المصنف-.

2- ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق، (ج48/ 382)، من نفس طريق البيهقي.

عليه الكِتابُ، فَيعمَلُ بعَمَلِ أهلِ الجنّة فَيدخُلُها»[1]. الفُضيلُ بن عياضٍ اثنانِ[2]، وكلاهما صوفيٌّ مُتعبّدٌ، يُفرّق بينَهما الجدُّ:

أحدُهما: ابنُ عياض بن المتهلل الصّوفيُّ، حَدَّثَ عن أبي سلَمة بن عبد الرّحمن.

والثّاني: ابنُ عياض بن مسعودٍ الزّاهِدُ، حدَّثَ عنِ الأعمَش، وهو الّذي ذكرنا له هذه الحكاية في قولِه: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾.

قال بعضُ العارفينَ: مساكينُ أهلِ الدُّنيا خَرجوا مِنَ الدُّنيا، وما تلَذَّذوا بأطيَبَ ما فيها، أو ما ذاقوا أطيبَ ما فيها، قيلَ لَه: وما أطيَبُ ما فيها؟ قال: ذكرُ الله ومحبَّتُه ومعرِفتُه[3].

---

(1) رواه: 1- البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم: (3208). وكتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾، رقم (3332). وكتاب القدر، رقم (6594) وكتاب التوحيد، باب ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾، رقم (7454). 2- مسلم في صحيحه، (1-2643).

(2) انظر: المتفق والمفترق للخطيب البغدادي، تحقيق/ محمد صادق آيدن الحامدي، طبعة دار القادري، (ج3/ 1765-1766). وفيه: «فضيل بن عياض المتهلل الصدفي المصري...مات قبل سنة عشرين ومائة...أبو علي فضيل بن عياض أبو مسعود الزاهد...مات سنة سبع وثمانين ومائة».

(3) ذكره: ابن القيم في الوابل الصيب، تحقيق/ عبدالرحمن بن حسن بن قائد، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، (ص:110)؛ وفيه: «...محبة الله تعالى ومعرفته وذكره. أو نحو هذا».

۞ ورواه: أبو نعيم في حلية الأولياء، (ج8/ 167)؛ من طريق: عمر بن أحمد بن شاهين، قال: ثنا محمد بن سليمان الحراني، ثنا حسين بن محمد الضحاك، ثنا الحسين بن الحسن المروزي، قال: سمعت ابن المبارك، يقول: أهل الدنيا خرجوا من الدنيا قبل أن يتطعموا أطيب ما فيها. قيل له: وما أطيب ما فيها؟ قال: المعرفة بالله عَزَّوَجَلَّ.

وقد ورَد في بعضِ الآثارِ: اللهم لا تُنسِني ذكرَكَ، ولا تُؤَمِّنّي مَكرَكَ، قال الإمامُ أحمد: حَدَّثنا عبد الوهّاب، عن إسحاقَ، عن مُطَرِّفِ بن عبد الله بن الشِّخّيرِ، أنّه كان يَكرَه أن يَدعوَ بهَذا الدُّعاءِ، ولَكِن أنا أقولُ: اللهم لا تُنسِني ذِكرَكَ، وأعوذُ بكَ أن آمَنَ مَكرَكَ حَتَّى تكونَ أنت تُؤَمِّنَني(1).

وقال مالِكُ بن دينارٍ: ما تَلَذَّذَ المُتلَذِّذونَ بمثلِ ذكرِ الله عَزَّوَجَلَّ(2).

فليسَ في العِباداتِ شيءٌ أخفّ مُؤنةً منه، فإنّ حركةَ اللِّسانِ فيه من أخَفِّ حركاتِ الجوارحِ وأيسرها علَى العبدِ وأجلّها وأفضلها بعد أداءِ الفرائضِ، وأفضلُ العِبادةِ بالذِّكر ذكرُ الله بكلامِه، فالقُرآنُ أعظَم الذِّكر؛ لقولِ الله تعالَى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: 9]، فالذِّكر به من أعظَم الأذكارِ وهو شافعٌ مُشفَّعٌ، مَن جعَله أمامَه قادَه إلى الجنّة، ومَن جعَله خلفَه قادَه إلى النّارِ، كذا رواه ابنُ مسعودٍ مرفوعًا وموقوفًا، رواه أبو حاتِم بسنَدِه عنهُ(3).

---

(1) رواه: الإمام أحمد في كتاب الزهد، (ص:195)، رقم (1345).

(2) رواه: البيهقي في شعب الإيمان، (ج2/ 181)، رقم (692)؛ من طريق: ابن أبي الدنيا، قال: حدثني علي بن مسلم، حدثنا سيار بن حاتم، حدثنا جعفر بن سليمان، قال: سمعت مالك بن دينار، يقول:....

(3) رواه: 1- الإمام أحمد في كتاب الزهد، (ص:128)، رقم (843)؛ من طريق: عبدالرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن المعلى رجل من كندة، عن فلان ابن عبدالرحمن بن يزيد، قال: قال عبدالله: إن هذا القرآن شافع مشفع، ومَاحِلٌ مصدق، فمن جعله...

2- ابن أبي شيبة في مصنفه، (ج6/ 131)، رقم (30054)؛ من طريق: أبو خالد الأحمر، عن عمرو بن قيس، عن زبيد، قال: قال عبدالله: القرآن شافع مشفع، وماحل مصدق، فمن جعله...

3- الطبراني في المعجم الكبير: (ج9/ 141)، رقم (8655)؛ من طريق: إسحاق بن إبراهيم،=

وروى الترمذيُّ وحسّنه[1]: أنّ رسول الله ﷺ قال: «فَضلُ كَلامِ الله سُبحانَه على سائِرِ الكلامِ، كَفَضلِ الله تعالى على خَلقِه».

وروى الترمذيُّ أيضًا وحَسّنه[2]: أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَن قَرأ حَرفًا

=عن عبدالرزاق، عن الثوري، عن أبي إسحاق وغيره، عن عبدالرحمن بن يزيد، قال: قال عبد الله: القرآن شافع مشفع، وماحل مصدق، فمن جعله...

و(ج10/ 244)، رقم (10450)؛ من طريق: أحمد بن النضر العسكري، قال: ثنا هشام بن عمار، ثنا الربيع بن بدر، عن الأعمش، عن شقيق بن سلمة، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «القرآن شافع مشفع، وماحل مصدق، من جعله...».

4- أبو نعيم في حلية الأولياء، (ج4/ 108)؛ من طريق: هشام بن عمار، قال: ثنا الربيع بن بدر، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ:... الحديث. قال أبو نعيم: «غريب من حديث الأعمش، تفرد به عنه الربيع».

(1) رواه: 1- الترمذي في سننه، أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، رقم (3169)؛ من طريق: محمد بن إسماعيل، قال: حدثنا شهاب بن عباد العبدي، قال: حدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني، عن عمرو بن قيس، عن عطية، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى: من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي؛ أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله...». قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

2- الدارمي في سننه، باب فضل كلام الله على سائر الكلام، رقم (3399)؛ من طريق: إسماعيل بن إبراهيم الترجماني، قال: حدثنا محمد بن الحسن الهمداني...به

۞ قال البيهقي في كتاب الاعتقاد، تحقيق/ أحمد عصام الكاتب، منشورات دار الآفاق الجديدة، (ص:102): «قال أصحابنا: لما كان من فضل الله على خلقه أنه قديم غير مخلوق، كان من فضل كلامه على كلام خلقه أنه لم يزل غير مخلوق».

۞ قال ابن حجر في فتح الباري، طبعة المكتبة السلفية، (ج9/ 66): «قوله: (باب فضل القرآن على سائر الكلام) هذه الترجمة لفظ حديث أخرج الترمذي معناه من حديث أبي سعيد الخدري... ورجاله ثقات إلا عطية العوفي؛ ففيه ضعف».

(2) رواه: الترمذي في سننه، أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ما له من الأجر، رقم (3151)؛ من طريق: محمد بن بشار، قال: حدثنا أبو=

مِن كِتابِ اللهِ فَلَه [بِهِ][1] حَسَنة، والحسَنة بعَشرِ أمثالِها، لا أقولُ: الم حَرفٌ، ولَكِنِ الألِفُ حَرفٌ، واللّامُ حَرفٌ، والميمُ حرفٌ».

فهذا الثّوابُ الجزيلُ لا نعلَمُه لِشيءٍ مِنَ الذِّكرِ غير القرآنِ، ففَضلُ الذِّكر بكلامِ اللهِ يفضلُ علَى سائِرِ الأذكارِ المُطلقةِ، كفضلِ اللهِ علَى سائِرِ خلقِه، واللهُ تعالى يُحبُّ الّذي يذكرُ بالقرآنِ من أوّلِه إلى آخرِه، كما رَوَى التِّرمذيُّ[2]: أنّ رَجُلًا، قال: يا رسول الله؛ أيُّ العمَلِ أحَبُّ إلى اللهِ، قال: «الحالُّ المُرتَحِلُ»، قال: وما الحالُّ المُرتَحِلُ؟ قال: «الّذي

=بكر الحنفي، قال: حدثنا الضحاك بن عثمان، عن أيوب بن موسى، قال: سمعت محمد بن كعب القرظي، يقول: سمعت عبد الله بن مسعود، يقول: قال رسول الله ﷺ:...الحديث. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح، غريب من هذا الوجه. سمعت قتيبة بن سعيد، يقول: بلغني أن محمد بن كعب القرظي ولد في حياة النبي ﷺ، ويروى هذا الحديث من غير هذا الوجه عن ابن مسعود، رواه أبو الأحوص، عن عبد الله بن مسعود، ورفعه بعضهم، ووقفه بعضهم عن ابن مسعود. ومحمد بن كعب القرظي، يكنى: أبا حمزة». ورواه: سعيد بن منصور في سننه، تحقيق/ سعد بن عبد الله بن عبدالعزيز آل حميد، (ج2/ 17)، رقم (4)؛ من طريق: الوليد بن أبي ثور الهمداني، عن أبي حصين، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود، قال: «تعلموا القرآن، فإن بكل حرف منه عشر حسنات، لا أقول: ألم، ولكن: ألف، ولام، وميم».

(1) من سنن الترمذي.

(2) رواه: 1- الترمذي في سننه، أبواب القراءات عن رسول الله ﷺ: رقم (3195)؛ من طريق: نصر بن علي الجهضمي، قال: حدثنا الهيثم بن ربيع، قال: حدثني صالح المري، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن ابن عباس، قال: قال رجل: يا رسول الله! أي العمل أحب إلى الله؟ قال:... الحديث. قال الترمذي: «هذا حديث غريب، لا نعرفه عن ابن عباس إلا من هذا الوجه، وإسناده ليس بالقوي.

ورقم (3196)؛ من طريق: محمد بن بشار، قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم، قال: حدثنا صالح المري، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن النبي ﷺ... - نحوه -. قال الترمذي: «ولم يذكر فيه: عن ابن عباس. وهذا عندي أصح من حديث نصر بن علي، عن الهيثم بن الربيع».

2- الدارمي في سننه، (ج4/ 2180)، رقم (3519)؛ من طريق: إسحاق بن عيسى، عن صالح المري، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى: أن النبي ﷺ سئل...الحديث.

يَضرِبُ من أوَّلِ القُرآنِ إلى آخِرِه، فَكُلَّما حَلَّ ارتَحَلَ».

ثُمَّ بعدَ ذلك ما ورَد مِنَ الأذكارِ المشروعةِ، ثُمَّ ما كان في معناها؛ لأنّ المقصودَ بالطّاعاتِ كلِّها إقامة ذكرِها، فالذِّكرُ سنَدُ الطاعات وروحُها [121/ أ].

البابُ التاسع

في المحبة والشوق

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: 165]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: 54].

قال بعضُ المُفسِّرينَ: ذكرَ الله لهم أربعَ عَلاماتٍ:

أحدُها: أنّهم ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ معناه: أرقّاءُ، رحماءُ مُشفقين عليهِم، ولهذا عدّاه بأداةِ «على»[1].

الثّانية: أنّهم ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قال ابنُ عطاء[2]: للمُؤمنينَ كالولَدِ للوالدة، والعبدِ لسيِّده، و﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ كالأسدِ علَى فَريستِه ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾.

الثّالثة: الجهادُ في سَبيل الله بالنّفسِ واليدِ، واللِّسانِ، والمالِ.

قلتُ: وهذه أظهَرُ علاماتِ المحبّة أن يبذُلَ العبدُ نفسَه وبدَنَه ومالَه في مَرضاةِ محبوبِه، وهو لَطيفٌ؛ لأنّه استعمَلَ ما أمكنَه وما له تصرُّفٌ فيه مِنَ النّفس والبدن والمالِ، وهو نَتيجةُ عمَلِ القلبِ الّذي هو حُبُّ الله ورسولِه، وتعظيم الله ورسولِه، وتعزير الرسول وتوقيرُه، وخَشيةُ الله والإنابة إليه، والإخلاصُ والتّوكُّل عليه إلى غيرِ ذلك مِنَ الأحوالِ، فهذه الأعمال القلبيّة، وتلك الأعمال الذّاتيّة.

---

(1) راجع: تفسير الطبري، طبعة هجر، (ج8/ 527).

(2) ذكره عنه: الثعلبي في الكشف والبيان (ج11/ 386). البغوي في تفسيره (ج3/ 72).

الرّابعة: أنّهم لا تأخُذُهم في الله لومة لائِم، وهذه علامةُ صِحّة المحبّة، فكُلُّ محبٍّ أخذه اللّومُ علَى محبوبه، فليس بمُحبٍّ علَى الحقيقة.

وقال الحسن: علِمَ الله أنّ قومًا يرجعونَ عنِ الإسلام بعدَ موتِ الرّسول، فأخبَرَهم بأنّه سيَأتي بقوم يُحبّونَهُ[1]. أبو بكرٍ وأصحابُه، أوِ المُهاجِرون والأنصارُ الّذين قاتلوا أهلَ الرِّدّةِ[2].

وقال أبو الفرَجِ بن الجوزيِّ[3]: ليس العجبُ أنّهم يُحِبّونَه، إنّما العجَبُ أنّه يُحبّهُم، وليسَ العجَبُ من فقيرٍ يُحِبُّ مُحسنًا إليه، إنّما العجَبُ من مُحسِن يُحبُّ الفقيرَ إليه.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [الإسراء: 57]، فذكَر المقاماتِ الثّلاثَ: الحُبّ: وهو ابتِغاءُ القُربِ إليه، والتّوسُّلُ إليه بالأعمالِ الصّالحةِ، والرّجاءُ والخوفُ[4].

والآياتُ في هذا البابِ كثيرةٌ، وكذلك الأحاديثُ النّبويّة، فثَبت في «الصّحيحينِ»[5] عن أنَسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثٌ مَن كُنّ فيه وجَدَ بهِنّ حَلاوة الإيمانِ: أن يَكونَ الله ورَسولُه أحَبَّ إليه ممّا سِواهما،**

---

(1) ذكره عنه: الواحدي في التفسير البسيط، تحقيق/ محمد بن حمد بن عبد الله المحيميد، إصدارات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (ج7/ 428). البغوي في تفسيره (ج3/ 69).

(2) راجع الأقوال في هؤلاء القوم: زاد المسير لابن الجوزي، طبعة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني، (ج2/ 381).

(3) ذكره: ابن القيم في كتاب الفوائد، تحقيق/ محمد عزير شمس، طبعة دار عالم الفوائد، (ص: 98).

(4) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، (ج3/ 22).

(5) رواه: البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، رقم (16). وكتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، رقم (6941). ومسلم في صحيحه (67- 43).

وأن يُحِبَّ المرءَ لا يُحِبُّه إلّا لله، وأن يَكرَه أن يَعودَ في الكُفرِ بعدَ أن أنقذَه الله منه كما يَكرَه أن يُقذَفَ في النّارِ».

وفي البُخاريِّ[1]، عن أبي هُريرةَ، قال: قال رسول الله [122/ ب]: «يقولُ الله تعالى: مَن عادَى لي وليًا فقد آذنتُه بالحرب، وما تَقرَّبَ إليَّ عبدي بشَيءٍ أحَبَّ إلَيَّ من أداءِ ما افترَضتُهُ[2] عليه، ولا يَزالُ عبدي يَتقرَّبُ إلَيَّ بالنّوافِلِ حَتّى أُحِبَّه، فإذا أحببتُه: كُنتُ سَمعَه الّذي يَسمَعُ به، وبَصَرَه الّذي يُبصِرُ به، ويَدَه الّتي يَبطِشُ بها، ورِجله الّتي يَمشي بها، ولَئِن سَألَني لأُعطِيَنّه، ولَئِن استَعاذَ بي لأُعيذَنّه».

وفي «الصّحيحَين»[3] عنه أيضًا، عَنِ النّبي ﷺ قال: «إذا أحَبَّ الله العبدَ دَعا جِبريلَ، فقال: إنّي أُحِبُّ فُلانًا فأحِبَّه، فيُحِبُّه جِبريلُ، ثُمَّ يُنادي في السّماءِ: إنّ اللهَ يُحِبُّ فُلانًا فأحِبّوه، فيُحِبُّه أهل السّماءِ، ثُمَّ يوضَعُ له القبولُ في الأرضِ»، وذكَرَ في البُغضِ مثلَ ذلك في تمامِ الحديثِ.

وفي «الصحيحين»[4] عن عائِشةَ في حديثِ أميرِ السّريّة الّذي كان يقرَأُ بهم في كُلِّ صلاةٍ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وقال: إنّها صِفةُ الرّحمَنِ، فَأنا أُحِبُّ أن أقرَأ بها، فقال رسول الله ﷺ: «أخبِروه أنّ اللهَ تعالى يُحِبُّه».

وفي التِّرمذيِّ[5]، عن أبي الدّرداءِ، عَنِ النّبيِّ ﷺ قال: «كان من دُعاءِ

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم (6502)

(2) كذا في النسخة الخطية، وهي في صحيح البخاري: «أحب إليّ مما افترضت».

(3) رواه: البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم (3209). - كتاب الأدب، باب المقة من الله تعالى، رقم (6040). وكتاب التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة، رقم (7485). ومسلم في صحيحه، رقم (157- 2637).

(4) رواه: البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، رقم (7375). ومسلم في صحيحه، رقم (263- 813).

(5) رواه: الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، رقم (3816)؛ من طريق:=

داوُدَ ﷺ: اللهم إنّي أسألك حُبَّكَ، وحُبَّ مَن يُحِبُّكَ، والعمَلَ الّذي يُبَلِّغُني حُبَّكَ، اللهم اجعَل حُبَّكَ أحَبَّ إلَيَّ من نَفسي وأهلي، ومِنَ الماءِ البارِدِ».

وروّينا في التِّرمذيِّ[1] أيضًا، من حديثِ عبد الله بن يَزيدَ الخطميِّ: أنّ النّبيَّ ﷺ كان يَقولُ في دُعائِه: «اللهم ارزُقني حُبَّكَ، وحُبَّ مَن يَنفَعُني حُبُّه عندكَ، اللهم ما رَزَقتَني مِمّا أُحِبُّ فاجعَله قوّة لي فيما تُحِبُّ، وما زَوَيتَ عَنّي مِمّا أُحِبُّ فاجعَله فَراغًا لي فيما تُحِبُّ».

وروّينا فيه أيضًا: أنّ النّبي ﷺ قال: «أوثَقُ عُرَى الإيمانِ الحُبُّ في الله، والبُغضُ في الله، ومَن أحَبَّ لله، وأبغَضَ لله، وأعطَى لله، ومَنَعَ لله؛ فَقد استَكمَلَ الإيمانَ»[2]. [122/ أ].

=أبو كريب، قال: حدثنا محمد بن فضيل، عن محمد بن سعد الأنصاري، عن عبد الله بن ربيعة الدمشقي، قال: حدثني عائذ الله أبو إدريس الخولاني، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: ...وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر داود يحدث عنه، قال: «كان أعبد البشر». قال الترمذي: «هذا حديث حسنٌ غريبٌ». والحاكم في المستدرك، (ج2/ 470)، رقم (3621/ 758)؛ من طريق: محمد بن يعقوب، قال: ثنا أحمد بن عبدالجبار، ثنا محمد بن فضيل، ثنا محمد بن سعد الأنصاري، عن عبد الله بن يزيد الدمشقي، ثنا عائذ الله أبو إدريس الخولاني...به. قال الحاكم: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». قال الذهبي: «بل عبد الله بن يزيد الدمشقي هذا، قال أحمد: أحاديثه موضوعة». عبد الله بن يزيد الدمشقي، هو عبد الله بن ربيعه بن يزيد الدمشقي. انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج14/ 489-491).

(1) سنن الترمذي، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، رقم (3817)؛ من طريق: سفيان بن وكيع، قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن حماد بن سلمة، عن أبي جعفر الخطمي، عن محمد بن كعب القرظي، عن عبد الله بن يزيد الخطمي الأنصاري، عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول في دعائه: ...الحديث. قال الترمذي: «هذا حديث حسنٌ غريبٌ. وأبو جعفر الخطمي اسمه: عمير بن يزيد بن خماشة».

(2) رواه: الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، رقم (2705)؛ من طريق: عباس الدوري، قال: حدثنا عبد الله بن يزيد، قال: حدثنا سعيد بن أبي أيوب، عن أبي مرحوم عبدالرحيم بن ميمون، عن سهل بن معاذ الجهني، عن أبيه، أن النبي ﷺ، قال: «من أعطى لله، ومنع لله، وأحب لله، وأبغض لله، فقد استكمل إيمانه». قال الترمذي: «هذا حديث منكر».

فَصْلٌ

وأشرَفُ منازِلِ القومِ المحبّة، ففيها يتنافسُ المُتنافسونَ، وإليها شَخِصَ أبصارُ العاملين، وإلى علمِها شمّرَ السّابقونَ، وبرَوحِ نسيمِها تروّحَ العابِدونَ، فهي قوتُ القلوبِ، وغِذاءُ الأرواحِ، وقُرّة العُيونِ، وهي الحياةُ الأبديّة، والفوزُ باللذّة السّرمديّة، وهي روحُ الإيمانِ والأعمالِ والمقاماتِ والأحوالِ، الّتي متى خلَت منها فهي كالجسَدِ الّذي لا رَوحَ فيه، فلو بطلَت مسألة المحبّة لَبطلت جميعُ مقاماتِ الإيمانِ والإحسانِ ولَتعطّلَت منازِلُ السّائرينَ إلى رَبِّ العالَمينَ.

فإنّ المحبّة رَوحُ كُلِّ مقام ومنزِلةٍ وعمَلٍ، ونِسبتُها إلى الأعمالِ كَنِسبةِ الإخلاصِ إليها، بل هي حقيقةُ الإخلاصِ، بَل هي نفسُ الإسلام، والإسلامُ هو الاستِسلامُ والانقيادُ بالذّاتِ والصِّفاتِ، والحُبُّ والطّاعةُ للهِ[1]، فمَن لا مَحبّة له لا استِسلامَ لَه، بَل يُقالُ: إنّ المحبّة هي حقيقةُ شهادة أن لا إله إلّا الله، فإنّ الإله هو الّذي تألهه العِبادُ حُبًّا وذُلًّا وخوفًا ورَجاءً وتعظيمًا وطاعة، إلَهٌ بمعنى: مألوهٌ؛ وهو الّذي تَألَهه القُلوبُ؛ أي: تُحبُّه وتُذلُّ له[2].

---

(1) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب اقتضاء الصراط المستقيم، تحقيق/ ناصر بن عبدالكريم العقل، طبعة مكتبة الرشد، (ج2/ 846): «فلا بد في الإسلام من الاستسلام لله وحده، وترك الاستسلام لما سواه، وهذا حقيقة قولنا: لا إله إلا الله...».

(2) أله: الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبد، فالإله الله تعالى، وسمي بذلك لأنه معبود. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج1/ 127).

۞ راجع أقوال العلماء في اشتقاق لفظ الجلالة «الله»: تحفة السامع والقاري في ختم صحيح البخاري، للقسطلاني، تحقيق/ أحمد بن محمد بن غانم آل ثاني، طبعة مركز روايا للدرسات والبحوث، (ص: 249- 265).

وأصلُ التّألُّـه: التّعبُّدُ، والتّعبُّـدُ آخِرُ مراتِبُ الحُبِّ، والمحبّـة حقيقـةُ العُبوديـةِ، وقـد تقـدمَ الـكلامُ علـى العِبـادةِ واشـتِقاقِها وحَقيقَتِهـا ومادَّتِهـا، فـلا حاجـة بنـا إلـى تكـرارِ ذلـك.

قال العِمادُ الواسِطيُّ[1]: كمالُ العبدِ إنّما يَتِمُّ بكمالِ عُبوديَّتِه لله تعالَى، وهو مركَّبٌ من جسمٍ طاهِرٍ، ونفسٍ مائلة، وعقلٍ مُميِّزٍ، وقلبٍ [123/ب] حاكِمٍ، وروحٍ كُليّةٍ.

فكَمالُ عُبوديّة الجسم قيامُه بأعمالِ الشّرعِ واجتِنابُ مَناهيه، وكمالُ عُبوديّة النّفسِ موافَقةُ مَولاها في محبّة ما أحَبَّه وكراهة ما كَرِهَه، وهذا إنّما يصِحُّ لأهلِ النُّفوسِ المُطمَئِنّة، ويتَعذَّرُ عندَ أهلِ النُّفوسِ الأمّارة واللّوّامة، وكمالُ عُبوديّة العقلِ امتِلاؤُها بتَفاصيلِ علومِ الأمرِ والنّهيِ، وحذاقةُ البصيرةِ فيه، وكمالُ عُبوديّة القلبِ انفِتاحُ بصَرِه في الصِّفاتِ والقيامُ بأحكامِ عُبوديَّتِها مِنَ الخوفِ والرّجاءِ والخشية والرِّضا والتّوكُّلِ والمحبّة التّامّة والمُراقبةِ وغيرِ ذلك، وكمالُ عُبوديّة الرّوحِ انطِلاقُها في فضاءِ القُربِ ووجدانُها للحُبِّ الخاصِّ الملهِب لها بواسِطةِ ما يبدو علَيها من آثارِ الجلالِ والإكرامِ. انتَهَى كلامُه[2].

فإن كان لكَ انتِقادٌ عرَفتَهم بسيماهُم، لِباسُهم ما سَتَرَ، وأكلُهم ما حَضَر، ذَلّوا ليَرضَى، فإذا رَأيتَهم، قُلتَ: مَرضَى.

---

(1) هو أحمد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن مسعود بن عمر الواسطي الحزامي، الزاهد القدوة العارف، عماد الدين، أبو العباس، ابن شيخ الحزاميين. ولد سنة (657هـ) رأى الشيخ تقي الدين بن تيمية، وصاحَبَه، وكان صاحب نسك وعبادة، وانقطاع وعزوف عن الدنيا. توفي سنة (711هـ). انظر: الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب، تحقيق/ عبدالرحمن العثيمين، طبعة مكتبة العبيكان، (ج4/ 380-384).

(2) لم أقف عليه.

والمقصودُ: أنّ مَحبّـة اللـه عَزَّوَجَلَّ هـيَ مـن أشـرَفِ العِبـاداتِ، وأفضَـلِ الطّاعـاتِ، وأعلَـى المقامـاتِ، وقـد ثَبَـت أنّ النّبـيّ ﷺ قـال: «المرءُ مع مَن أحَـبَّ»(1)، فوالله لَقد ذَهَبَ أهلها بشَرَفِ الدُّنيا والآخرة، إذ لهم من هذه المعيّـة أوفـرُ نصيـبٍ، فيـا لهـا نِعمـةٌ علَـى المُحِبّيـنَ، مـا أسبَغَها وأوسَعَها وأرفعَهـا، ولقـد حصَـل بمحَبّتِه وتعظيمِه وخَشيَتِه ما أمَدَّهـم بـه من فوائِد الصِّـلاتِ، ومِنَـح التّجليّـاتِ، وأنـواع الكرامـاتِ، مـا يعجـزُ عـن حَصـره العـادّونَ، فإنّهـم يَـرَونَ بقُلوبِهـم مـا غـابَ عَـنِ العيـانِ، فبـه يتَلَـذَّذونَ، ومنـه يخافـونَ، وعلَيـه يعكفـونَ، فَمنهـم المزيـدُ والمـزادُ، أجابـوا مـؤذِّنَ الشّـوقِ إذ نـادَى بهِـم: حيَّ علَـى الفـلاحِ، وبَذَلـوا أنفُسَـهم فـي طلَـبِ الوُصـولِ إلـى مَحبوبِهِـم، وكان بَذلُهـم بالرِّضـا والسّـماحِ، وواصَلـوا المسيرَ بـالإدلاجِ(2) والغُـدوِّ والـرّواحِ [123/ أ]، تالله لقد حمِـدوا عنـدَ الوُصـولِ مَسـراهُم، وإنّمـا يحمَـدُ القـومُ السُّـرَى عنـدَ الصّبـاحِ(3).

فَصْلٌ

وقـد أكثَـر النّـاسُ الـكلامَ فـي المحبّـة، وادَّعَتهـا أكثَـرُ النُّفـوسِ، هيهـاتَ مـا أعَـزَّ مَقامَهـا.

---

(1) رواه: 1 - البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب علامة حب الله عَزَّوَجَلَّ، لقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾، رقم (6168)، و(6169)، و(6170). 2- مسلم في صحيحه، رقم (2640) و(2641).

(2) في حاشية الأصل: أي: السيرُ ليلاً.

الدلج: سير الليل. ويقال أدلج القوم، إذا قطعوا الليل كله سيرا. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج2/ 294).

(3) «عند الصباح يحمد القومُ السُّرَى» هو مثل يُضرب لِمَا يُنال بالمشقة، ويوصل إليه بالتعب. انظر: كتاب جمهرة الأمثال؛ لأبي هلال العسكري، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبدالمجيد قطامش، طبعة دار الجيل، ودار الفكر، (ج2/ 42).

[من البسيط]:

ما كُلُّ مَن يَدَّعي دَعوَى تَصِحُّ لَهُ كَم مُدَّعٍ بَطَلَت بالحَقِّ دَعواهُ[1]

فالمحبّة لا توصَف بوصفٍ أظهَر من المحبّة، وقد تكَلَّم العُلماءُ وأربابُ السُّلوكِ وأهل المعرفة في أسبابِها وموجباتِها وعَلاماتِها وشَواهِدِها وثَمراتِها وأحكامِها، فحُدودُهم ورُسومُهم تَدور علَى هذه السِّتّة الّتي ذكَرناها، فتَنَوَّعَت عبارتُهم وكثُرَت إشاراتُهم بحسبِ إدراكهم واجتِهادِهم.

قال أبو يَزيدَ البسطاميُّ[2]: المحبّة استِقلالُ الكثيرِ من نفسِكَ، واستِكثارُ القليلِ من حَبيبكَ[3].

وقال سَهلُ بن عبد اللهِ[4]: الحُبُّ مُعانقة الطّاعةِ ومُباينة المُخالفة[5].

وقال أبو عبد الله القُرَشيُّ: حقيقة المحبّة أن تهَبَ كلَّكَ لِمَن أحبَبتَ، ولا يَبقَى لَكَ شيءٌ[6].

وقال الشِّبليُّ[7]: سُمّيتِ المحبّة مَحبّة؛ لأنّها تمحو من القلبِ ما سِوَى

(1) لم أقف على القائل.

(2) هو سلطان العارفين، أبو يزيد، طيفور بن عيسى البسطامي، أحد الزهاد، وله كلام نافع. توفي سنة (261هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج13/ 86-89).

(3) انظر: الرسالة القشيرية، باب المحبة، (ص:521).

(4) هو سهل بن عبد الله بن يونس، شيخ العارفين، أبو محمد التستري، الصوفي الزاهد. صحب خاله محمد بن سوار. ولقي في الحج ذا النون المصري وصحبه. روى عنه الحكايات: عمر بن واصل، وعباس بن عصام، ومحمد بن المنذر الهجيمي، وطائفة. له كلمات نافعة، ومواعظ حسنة، وقدم راسخ في الطريق. توفي سنة (283هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج13/ 330-333).

(5) انظر: الرسالة القشيرية، باب المحبة، (ص:521).

(6) انظر: الرسالة القشيرية، باب المحبة، (ص:522).

(7) هو شيخ الطائفة، أبو بكر الشبلي البغدادي. أصله من الشبلية قرية، ومولده بسامراء. صحب الجنيد وغيره، وكان فقيها عارفا بمذهب مالك، وكتب الحديث عن طائفة. توفي سنة (334هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج15/ 367-369).

المحبوبِ[1]. وقال بعضُ السّلَفِ[2]: المحبّة: الموافقة[3].

وقال بعضُ العارفين: مَحبّة العبد لربِّه طلوعُه بينَ يدي عزِّه ومولاه، وهيَ في طريقِ العوامِّ عمدة الإيمانِ، وفي طريقِ الخاصِّ عِلّة الفناءِ؛ لأنّ العوامَّ بها يجتَلِبونَ الخِدمةَ ويحتَمِلونَ المحبّة، وفي طريقِ الخاصِّ كُلُّ ما كان نتيجةً من العبد فهو علّة تليقُ بعَجز العبدِ وفاقَتِه. وقيلَ: محبّة القوم لله فناؤهم في محبّة الحقِّ لهم، فإنّ المحابَّ كلَّها ضَلّت في محبّةَ الحقِّ لأحبابِه، فماذا بعدَ الحقِّ إلّا الضّلالُ؟ انتهى.

وكان عليُّ بن بشّار[4] يوعظ النّاسَ، فكان يفتَتِح كلامَه: إنّك لَتعلَمُ ما نُريدُ، فنَسألُه ما الّذي تُريدُ؟ فقال: هو يعلَمُ أنّي ما أُريدُ مِنَ الدُّنيا والآخِرة سِواه. رواه ابنُ الجوزيِّ عنهُ[5].

وقال أحمدُ بن حربٍ[6]: طلَبتُ الفخرَ فوَجدتُه في الفقرِ، وطلَبتُ

---

(1) انظر: الرسالة القشيرية، باب المحبة، (ص:522).

(2) نسبه في الرسالة القشيرية (2/ 487) إلى أبي علي الروذباري.

(3) انظر: الرسالة القشيرية، باب المحبة، (ص:522)؛ وعزاها: لأبي علي الروذباري.

(4) هو علي بن محمد بن بشار، أبو الحسن البغدادي الزاهد. روى عن: صالح بن الإمام أحمد مسائل، وأبي بكر المروذي. وعنه: أحمد بن محمد بن مقسم، وعلي بن جعفر البجلي، وعمر بن بدر المغازلي. قال ابن بطة: (إذا رأيت الرجل البغدادي يحب أبا الحسن بن بشار، وأبا محمد البربهاري؛ فاعلم أنه صاحب سنة). كان ابن بشار من أعيان حنابلة بغداد. توفي سنة (313هـ). انظر: تاريخ مدينة السلام للخطيب البغدادي، (ج13/ 535). تاريخ الإسلام للذهبي، (ج7/ 267).

(5) ذكره: القاضي أبو الحسين محمد بن أبي يعلى في كتاب طبقات الحنابلة، (ج2/ 60):... فقال له: وما حملك على المسألة عن ذلك، وأنا أقول ذلك منذ أربعين سنة، فما سألني أحد عنه؟ فأقسم عليه. فقال:... وابن الجوزي في صفة الصفوة، (ج2/ 446)؛ بلفظه.

(6) هو أحمد بن حرب بن فيروز، الإمام القدوة شيخ نيسابور، أبو عبد الله النيسابوري الزاهد، كان من كبار الفقهاء والعباد. ارتحل، وسمع من: سفيان بن عيينة، وابن أبي فديك، وأبي داود الطيالسي، وغيرهم. وحدث عن: أحمد بن الأزهر، ومحمد بن شادل، وزكريا بن=

الرِّفعةَ فوَجَدتُها في التّواضُعِ، وطلَبتُ الرّاحةَ فوَجَدتُها في الزُّهدِ، وطلَبتُ حُبَّ اللهِ فوَجَدتُه في حُبِّ ذِكرِه، وطَلَبتُ حُبَّ الموتِ فوَجَدتُه في تركِ المالِ، وطلَبتُ صاحِبًا خَيِّرًا فوَجدتُه العمَلَ الصّالحَ، وطلَبتُ أفضلَ الجِهادِ فوَجَدتُه مُجاهَدةَ النّفسِ، وطلَبتُ [124/ب] الأنسَ فوَجَدتُه في تِلاوةِ القُرآنِ، وطلَبتُ حُبَّ الخلقِ فوَجَدتُه في تركِ الحسَدِ. وقدِ اختَصرتُ كلامَه إلى هذا، فإنّه أكثرَ في هذا البابِ من هذه الكلماتِ الحكمياتِ[1].

وذكَرَ العلّامة ابنُ القيِّم لها موادَّ وإشاراتٍ، أطالَ الكلامَ فيها، ثُمَّ قال: ولا ريبَ أنّ المحبّة صفاءُ المودّة، وهَيَجانُ إراداتِ القلبِ. وعُلوُّها وظُهورُها منه لِتَعَلُّقِها بالمحبوبِ المُرادِ، وثُبوتِ إرادةِ القلبِ للمَحبوبِ ولُزومِها لُزومًا لا تُفارِقُه، ولِإعطاءِ المُحِبِّ محبوبَه لُبَّه، وأشرَفَ ما عنده، وهو قلبُه، ولِاجتِماعِ عزَماتِه وإراداتِه وهمومِه علَى مَحبوبِه.

فاجتمعت في المحبّةِ هذه المعاني، ووَضَعوا لِمعناها حرفَينِ مُتَناسِبَينِ غايةَ المُناسبة «الحاءَ» الّتي هي من أقصَى الحلقِ، و«الباءَ» الشَّفَهيّة الّتي هي نَهايتُه. فالحاءُ الابتِداءُ، والباءِ الانتِهاءُ، وهذا شأنُ المحبّة وتعَلُّقُها بالمحبوبِ، فإنّ ابتِداءَها منه وانتِهاءَها إليه. انتهى[2].

وذاكَرتُ يومًا بعضَ الصّوفيّة بهذا، فأعجبَه، وقال: ثَمَّ مُناسبة أُخرَى وهو أنّ الحاءَ آخِرُ حرفٍ من حُروفِ الرّوحِ، والباءَ أوّلُ حرفٍ من حُروفِ البدَنِ، فكأنّ روحَه وذاتَه قد ذهَبا لِمحبوبِه، فليس له من روحِه وبَدَنِه شَيءٌ.

=دلويه، وعدد سواهم. وجمع وصنف. توفي سنة (234هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج11/ 32-35).

(1) كذا في الأصل، وتحتمل: الحكيات.

(2) مدارج السالكين (ج3/ 10).

وَقال بشرٌ الحافي[1]: أفضَلُ المقاماتِ اعتِقادُ الصّبرِ علَى الفقرِ إلى القبرِ[2].

وفي مثلِ ذلك قالوا [من البسيط]:

غَدا العيدُ ماذا أنت لابِسُه؟ فَقُلتُ: خُلعة ساقٍ حُبَّه جَرَعا[3]
فَقرٌ وصَبرٌ هما ثَوبايَ تَحتَهما قَلبٌ يَرَى الفه الأعيادَ والجُمعا
الدّهرُ لي مَأتَمٌ إن غِبتَ يا أمَلي والعيدُ ما دُمتَ لي مَرأى ومُستَمَعا[4]

وأمّا كلام النُّحاةِ في فعلِه: فقالوا: «أحِبُّه، وإحِبُّه»[5]، واقتَصروا علَى اسم الفاعِل من «أحَبَّ»، فقالوا: «مُحِبٌّ»، ولَم يَقولوا: «حابٌّ»، ولَم يَقتَصِروا على اسم المفعولِ من «حَبَّ»، فقالوا: «مَحبوبٌ»، ولم يقولوا: «مُحَبٌّ» إلّا قليلًا، لكن في أشعارِهم ومَنثور كلامِهم، ولا حاجة بنا إلى الاستِشهاد لِذلك لنخرج به عن ما وُضع الكتابُ لَه، لكنّهم أعطوا «الحُبَّ» حركةَ الضّم الّذي هي أشَدُّ الحركاتِ وأقواها مُطابقة؛ لِشدّة حركة مُسمّاه وقوّتها، وأعطَوا «الحِبَّ»، وهو المحبوبُ حركةَ الكسرِ؛ لِخفّتِها عَنِ الضّمة؛ ولِخفّة ذكرِ المحبوب علَى قلوبِهم وألسِنَتِهم [124/ أ].

(1) هو بشر بن الحارث بن عبدالرحمن بن عطاء، الإمام العالم المحدث الزاهد الرباني القدوة شيخ الإسلام، أبو نصر المروزي، ثم البغدادي، المشهور بالحافي، ولد سنة (152)، وارتحل في العلم، فأخذ عن: مالك، وفضيل بن عياض، وابن المبارك، وعدة. حدث عنه: أحمد الدورقي، وسري السقطي، وعمر بن موسى الجلاء، وخلق سواهم. كان رأسا في الورع والإخلاص، توفي سنة (227هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج10/ 469-477).

(2) ذكره: القشيري في الرسالة، باب الفقر، (ص:456).

(3) وتحتمل في الأصل: جزعا.

(4) الأبيات لأبي بكر الشبلي في حلية الأولياء (ج10/ 373)، ولأبي علي الرّوذباري في مثير الغرام؛ لابن الجوزي (ص: 224).

(5) بفتح الهمزة وكسرها، وكسرها نادر. انظر: تحفة المجد الصريح في شرح الفصيح (ص: 203).

فَصْلٌ

في شَواهدِ المحبّة لله وآثارِها وكَلام القومِ في ذلك وكَلامِ غيرهِم

فمنها: استِكثارُ القليلِ من جنايتِكَ، واستِقلالُ الكثيرِ من طاعَتِكَ، واستِكثارُ القليلِ من حَبيبِكَ، وقد تقدمَ معناه عن أبي يَزيدَ البسطاميِّ.

ومنها: مُعانَقة الطّاعة، ومُبايَنة المُخالَفة، وقد تقدم لنا هذا عن سهلٍ.

ومنها: دُخولُ صِفاتِ المحبوبِ علَى البدَلِ من صِفاتِ المُحِبِّ، وهذا لِلجُنَيد[1]. وفيه غُموضٌ. ومُرادُه: استيلاءُ ذكرِ المحبوبِ وصِفاتِه وأسمائِه علَى قلبِ المُحِبِّ حَتّى لا يكونَ الغالبُ عليه إلّا ذلك، ولا يكونَ شُعورُه وإحساسُه بنَفسِه، بل قد يَحتَمِلُ معنًى أشرَفَ من هَذا: وهو تُبَدِّلُ صِفاتِ المُحِبِّ الذّميمة -الّتي لا توافِقُ صِفاتِ المحبوبِ- بالصِّفاتِ الحميدةِ المحبوبة الّتي توافِقُ صِفاتِه. ذكرَه القيِّمُ ابنُ القيِّم[2].

ومنها: أن تَهَبَ كُلَّكَ لِمَن أحبَبتَ، ولا يبقَى لكَ شَيءٌ. وقد تقدم لنا هذا لأبي عبد الله القُرَشيِّ.

ومعناه: أن تَهَبَ إرادتَك وعزَماتَك وأفعالَك ونفسَكَ ومالَك ووَقتَك لِمَن تُحبُّه، وتَجعَلَها حبسًا في مَرضاتِه، فلا تَأخُذُ منها لِنَفسِكَ إلّا ما أعطاكَ، فتَأخُذُ منه لَه.

---

(1) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي، ثم البغدادي القواريري، والده الخزاز. هو شيخ الصوفية، تفقه على أبي ثور، وسمع من السري السقطي وصحبه، ومن الحسن بن عرفة، والحارث المحاسبي، وأتقن العلم، ثم أقبل على شأنه، وتأله وتعبد، ونطق بالحكمة. توفي سنة (297هـ). انظر: طبقات الصوفية للسلمي، (ص:129-135). سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج14/ 66-70).

(2) انظر: مدارج السالكين (3/ 12).

ومنها: أن تمحوَ مِنَ القلبِ ما سِوى المحبوبِ، وقد تَقدم للشّبليِّ، وما قاله رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هو كمالُ المحبّة.

وما ذاكَ -والله أعلَم-: إلّا لأنّ القُلوبَ جُبلَت علَى حُبِّ مَن أحسَنَ إليها، وهل ثَمَّ مُحسِنٌ أحسَنَ إلى ابنِ آدمَ غيرُ الله، من قبلِ خلقِه له قدَّرَ مقاديرَه وكتَبَه في اللّوحِ المحفوظِ، فلمّا أراد خلقَه وبدأه من ماءٍ مهينٍ، ثُمَّ نقَله إلى علَقة ثُمَّ إلى مُضغة، ثُمَّ إلى عَظم، ثُمَّ كَساه لحمًا، ثُمَّ أنشأه خلقًا آخرَ، ثُمَّ وكّلَ به في حفظِه وحِراستِه وإخراجِه من بطنِ أُمّه، فعطَفَت عليه وحَنّنَ أباه إليه، ولم يَزَلِ الله تعالى ينقلُه من طورٍ إلى طورٍ، ومن يوم إلى شهرٍ، ومن سنة إلى عصرٍ، وهو يُريدُ به الخيرَ، ويدفَعُ عنه الشّرَ، ولهذا سُبحانه مدَحَ نفسَه فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: 2] يعني: هو المُربّي لكُلِّ شيءٍ، فحينئذٍ استحَقَّ ألّا يُدخلَ القُلوبَ محبّة لِمحَبّتِه، فإنّها إذا جُبلَت علَى حُبِّ مَن أحسَنَ إليها، فلتَقرأ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: 53] ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝٣٤﴾ [إبراهيم: 34] فكُلُّ نعمة ظاهرةٍ وباطِنةٍ فمِنَ الله عَزَّوَجَلَّ.

ومنها: إقامة العِتابِ علَى الدّوام(1)، وهو لابنِ عطاءٍ(2). قالوا: ومُراده: أن لا تَزالَ عاتِبًا علَى نفسِكَ في مرضاةِ المحبوبِ، وألّا ترضَى له منها عمَلًا ولا حالة.

---

(1) انظر: الرسالة للقشيري، (ص:522).

(2) هو الزاهد العابد المتأله، أبو العباس، أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي البغدادي. صحب: إبراهيم المارستاني، والجنيد بن محمد، ومن فوقهما من المشايخ. كان أبو سعيد الخراز يعظم من شأنه. توفي في سنة (309هـ).

انظر: طبقات الصوفية للسلمي، (ص:207-212). سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج14/ 255-256).

ومنها: موافَقةُ الحبيبِ في المشهدِ والمغيبِ. وقد تقدمَ معناه عن بعضِ السّلَفِ [125/ ب]، ومعناه -والله أعلم-: أنّ المحبّة غُرِسَت أغصانُها في القلبِ والأحشاءِ، فأثمَرَتِ الموافقة والطّاعةَ في كُلِّ أمرٍ أمَرَه به، وكُلِّ نَهيٍ نَهاه عنه.

ومنها: أن ينسَى المُحِبُّ حظَّه من محبوبه، وينسَى حوائِجَه إليه[1]، وهو لأبي يعقوبَ السّوسيِّ. ومُرادُه: -والله أعلم- أنّ سُلطانَ المحبّة استَولَى علَى قلبِه فغَيَّبَه عن حُظوظِ نفسِه وحَوائِجِه. واندَرَجَت كلُّها في حُكمِ المحبّة. وهذا كلُّه يُشبه الفناءَ عندَ القومِ، والله أعلَم.

ومنها: توحيدُ المحبوب بخالِصِ الإرادةِ وصِدقِ الطّلَبِ. ومنها: محوُ المُحبِّ لِصفاتِه، وإثباتُ المحبوبِ لذاتِه، وهذا من أحكام الفناءِ في المحبّة، ويأتي الكلامُ علَى الفناء مفصّلًا في بابه إن شاءَ الله.

ومنها: الميلُ الدّائمُ، بالقلبِ الهائِم. وهذا الحدُّ لا تَمييزَ فيه بينَ المحبّة الخاصّة والمُشتركة، والصّحيحة والمعلولةِ. فالحدُّ بهذا مدخولٌ يحتاج إلى تفصيلٍ. ومنها: إيثارُ المحبوبِ عَلى جَميعِ المصحوبِ. وهذا حكمٌ من أحكامِ المحبّة وأثَرٌ من آثارِها.

فَصْلٌ

في منشَإ المحبّة والمعرِفة لله ولِعِبادِه المُؤمِنينَ

فإنّه لم يبقَ في الدُّنيا ممّا يُحرصُ علَيه ويُرجى نفعُه إلّا الحُبُّ في الله والبُغضُ فيه، والمولاةُ فيه، فإنّ ذلك أفضلُ الإيمانِ. ومَحبّة الله

---

(1) انظر: الرسالة للقشيري، (ص:523)، بلفظ: «وقال أبو يعقوب السوسي: حقيقة المحبة: أن ينسى العبد حظه من الله، وينسى حوائجه إليه».

-وما أعَزَّ هذه المنزلةَ- فتَحصُلُ المحبّة بأسبابٍ يستدرج بها السّالك إلى مقصوده:

السّببُ الأوَّلُ: قِراءة القُرآنِ بالتدبُّرِ والتّفَهُّم؛ لأنّها شِفاءٌ لِما في الصُّدورِ.

قال إبراهيمُ الخوّاصُ[1]: «دَواءُ القلبِ خمسةَ أشياءَ: قِراءة القُرآنِ بالتّدَبُّرِ، وخَلاءُ البطنِ، وقيامُ اللّيلِ [125/ أ]، والتّضَرُّعُ عندَ السّحَرِ، ومُجالَسة الصّالِحينَ»[2].

الثّاني: التّقرُّبُ إلى الله بالنّوافِلِ بعدَ أداءِ الفرائِضِ.

الثّالثُ: مُلازمة ذكرِ الله تعالى في كُلِّ وقتٍ، وعلَى كُلِّ حالٍ بالقلبِ واللِّسانِ الرّطبِ به، قائِمًا وقاعِدًا ومُضطجعًا، فيكونُ نَصيبُكَ مِنَ المحبّة حينَئذٍ علَى قدرِ نَصيبِكَ من هذا الذِّكر. وقد تقدمَ في بابِ الذِّكر ما هو أتمّ من هذا وأبيَن.

الرّابِع: الأمرُ بالمعروفِ والنّهي عن المُنكر، فإذا أمَرَ للهِ، ونَهَى للهِ كان له مِنَ المحبّة أوفَرُ نصيبٍ؛ لأنّه اتّصف بصِفتَينِ عَظيمَتَينِ:

أحدُهما: أنّه اتَّصَفَ بصفاتِ الأنبياءِ والرُّسُلِ -صلَوات الله وسَلامُه عليهم- ما بُعِثوا إلّا بالأمرِ بالمعروف والنّهيِ عنِ المُنكرِ.

الثّاني: أنّه اتَّصَفَ بالغيرة لِمَحبوبه، وهذا لم أرَ أحدًا ذكَرَه ولا لوَّحَ به.

الخامِس: مُلازَمةُ اليقظة وقتَ الأسحارِ عندَ نُزول الجبّارِ، فيَحصُلُ

---

(1) هو إبراهيم بن أحمد، أبو إسحاق الخواص الزاهد، شيخ الصوفية بالري. كان من كبار مشياخ الطريق، أخذ عنه جعفر الخلدي، وغيره. له تصانيف في التصوف. توفي سنة (291هـ)، وقيل (284هـ). انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، (ج6/ 906-907).

(2) رواه: أبو نعيم في حلية الأولياء (10/ 327)؛ من طريق: محمد بن الحسين بن موسى، قال: سمعت أحمد بن علي بن جعفر، يقول: سمعت الأزدي، يقول: سمعت إبراهيم الخواص، يقول:....

لـه مِنَ التَّلذُّذِ بالمُناجاةِ من كلامِه واستِغفارِه ودُعائِه ما تقَرُّ به العُيونُ.

فإنّ في اللّيلِ يجتَمِعُ الهمُّ ويصفو الذِّهنُ ويتَمكّنُ التّالي، فيَستَحضرُ عظمة المتكلّم سبحانه في الكلام، فيُرشدُه إلى الفهم عنه، فيَمتَثِل ما أمَرَه وما نَهاه، ومَن فاتَه اللّيلُ وأورادُه دَلَّ علَى قِصَرِ همَّتِه وقلّة نصيبه، فإنّه يُقال: إنّ أكثَرَ أهل النّصيب إنّما حصَلَ النّصيبُ في قيام اللّيلِ، فيَنبَغي ألّا يُفوِّتَ المُريدُ ذلك، وإن كان السّالِكُ فَقيهًا، فليَجعَل نَهارَه للعِلم، وليله للتوجُّه إلى الله تعالى.

قال أبو سُلَيمان الدّاراني[1]: «والله لولا اللّيلُ لَما اختَرتُ البقاءَ في الدُّنيا»[2].

السّادِسُ: ذلّة العبدِ وانكسارُه بينَ يدَيه، وتَضرُّعُه ومسكَنتُه، فإنّه يحصُلُ له بها مِنَ المقاماتِ العالياتِ ما هو كافٍ للعارِفِ.

السّابع: مجالِس الصّالِحينَ الصّادِقينَ العارِفينَ، ومحبَّتُهُم، وتَرسيمُ شيمِهم، وقد تقدمَ معنَى هذا من كلامِ الخوّاصِ.

الثّامن: اجتِهادُه في نفي كُلِّ سببٍ يحولُ بينَ القلبِ وبينَ الرّبِّ عَزَّوَجَلَّ.

فهذه الأسبابُ الّتي تَنشَأ عنها المحبّة، فعندَ ذلك يصلونَ إلى محبّة محبوبِهم، ودخَلوا علَى الحبيبِ مِنَ الأبوابِ الّتي تليق بالمُحِبِّ والمحبوبِ، وفَّقَنا الله وإيّاكُم لِما يُحبُّه علّامُ الغُيوبِ [126/ ب].

---

(1) هو الإمام الكبير زاهد العصر، أبو سليمان عبدالرحمن العنسي الداراني. روى عن: سفيان الثوري، وعلقمة بن سويد، وصالح بن عبدالجليل، وغيرهم. روى عنه: تلميذه أحمد بن أبي الحواري، وهاشم بن خالد، وإبراهيم بن أيوب الحوراني، وغيرهم. توفي سنة (205. وقيل: 215هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج10/ 182-186).

(2) رواه: أبو نعيم في حلية الأولياء، (ج9/ 275)؛ من طريق: عبدالله، قال: ثنا إسحاق، ثنا أحمد، قال: سمعت أبا سليمان، يقول:...ولولا الليل...

فَصْلٌ

وهو مُتعلِّقٌ بما قبلَه؛ لأنّا قد ذكَرنا في أوّلِه أنّ الحُبَّ في الله والبُغضَ في الله من أعظَم الإيمانِ، وما ذاكَ إلّا لأنّ غالب مَن يدَّعي أنّه يُحبُّك في الله إنّما يُحبُّكَ لأَمرٍ لو انقضَى لانقضَت محبّتُه معَه حتَّى ولَدِ الإنسانِ وأهلِه بهذه المنزلةِ، فلولا عزّة هذا المقام وبُعدُ أكثرِ النُّفوسِ عنه لم يكُن من أوثقِ عُرَى الإيمانِ، ولم يكُن أهلَه في ظلِّ العرشِ يومَ القيامة.

قال شَيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ -في فصلِ المحبّة-: وسبَبُ عِزّة مقامِ المحبّة وامتِناعُه علَى أكثَرِ النُّفوسِ أنّه يستلزِم ثلاثة أصولٍ:

أحدُها: معرفة مَن يُحبُّ لأجلِه.

الثّاني: كمالُ محبَّته، فإنّ المحبّة لأجل الله فرعٌ علَى مَحبّة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فمَن كان قلبُه فارغًا من محبّة الله بشَهادة أعمالِه علَيه بذلك، وعدَم حِرصه علَى مراضي الله وإيثاره رِضا النّاسِ علَى رِضا الله، فكيف تكونُ محبَّتُه في الله؟! هذا مُحالٌ، فإنّ المحبّة في الله من تمام محبّة الله، فإنّ محبّة المحبوبِ توجبُ أن يحبَّ ما يُحبُّ، وهذا هو الأصلُ.

الثّالث: أن يكونَ مَن يُحبُّه في الله ممَّن يُحبُّه الله، وهذا وإن كان لا اطِّلاعَ لنا علَيه، فتُطَّلعُ علَى أسبابه وموجباته، فإذا كان العبدُ حريصًا علَى محابِّ الله مُؤثِرًا لِمَرضاته وجَبَت محبَّتُه لله، فإذا اجتمعت هذه الأُصولُ الثّلاثةُ كانتِ المحبّة حينَئذٍ لله، وبهذا يُعلم كذِبُ الرّافِضةِ واليهودِ والنّصارى في دعواهم محبّة عليٍّ وموسَى وعيسَى، فإنّهم لو أحَبّوهم لله لأحَبّوا مَن كان [126/ أ] مثلهم واتّصف بصفاتِهِم، فإنّ المحبّة لله توجِبُ أن يحبَّ ما يُحبُّ اللهَ ومَن يُحبُّه اللهُ، فإذا أحبّوا

واحِدًا وعادوا مَن هو أقرَبُ إلى الله منه وأحَبُّ إليه منه عُلم أنّ مَحبَّتَهم لم تكُن لله، وإنّما هيَ لأجلِ انتِسابِهم إلى مَن زَعَموا محبَّتَه، وهذا الموضعُ فُرقانٌ بينَ المحبّة لله والمحبّة معَ الله.

والمقصود: أنّ منِ ادَّعى حبَّكَ في الله وهو فارِغُ القلب مِنَ الله أو راجٍ منكَ جَزاءً علَى مَحبَّتِه لو قُطِعَ عنه لانقطَعَتِ المحبّة، أو يبغَضُ مَن هوَ أولَى بالمحبّة منكَ، فهو كاذِبٌ في دعواه، وأكثَرُ النّاسِ إنّما مَحبَّتُهم رِشوةٌ لِتقومَ بها مَصالِحُهم وصُحبتُهم، وهي المحبّة الّتي قيلَ فيها [من الطويل]:

وَما أنا بالباغي على الحُبِّ رِشوة ضَعيفٌ هَوًى يَبغي عليه ثَوابا[1]

فإنّ الهوى الّذي يَطلبُ المحبوبُ ثمنَه ليس بمحبّة له في الحقيقةِ، وإنّما هو محبَّتُه لغَرَضِ نفسِه، وقد جعَلَ محبوبَه طَريقًا إليها.

وأمّا المحبّة الخالِصة فأن يكونَ مُرادُه من محبوبِه عينَ مُرادِ المحبوبِ، ولا يُعقَل الاتِّحادُ أبدًا إلّا في هذا الموضعِ وحدَه، وهو الاتِّحادُ في المُرادِ، فيَكونُ عينُ مُرادِ المُحبِّ عَينَ مُرادِ المحبوبِ.

وغلَطَت طائِفةٌ فظَنّوا أنّ الإرادَتينِ تَتّحِدانِ بهذه، وهو غلَطٌ، فإنّ إرادةَ كُلٍّ منهما صِفةٌ قائِمةٌ به لا تتَّحِد بصفة الآخرِ، وأبطَلُ من هذا مَن ظَنّ الاتِّحادَ في المُريدِ، وهذه كلُّها خيالاتٌ باطلة، وليسَ الاتِّحادُ إلّا في المُرادِ، بأن يكونَ من مُرادِ المُحبِّ والمحبوبِ واحِدٌ، وهذه هي المحبّة الصّادِقة[2]. انتهى.

---

(1) البيت للمتنبي في: - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، للثعالبي، تحقيق/ مفيد محمد قميحة، طبعة دار الكتب العلمية، (ج1/ 95). - شرح شعر المتنبي؛ لابن الإفليلي، تحقيق/ مصطفى عليان، طبعة مؤسسة الرسالة، (ص:340).

(2) لم أقف عليه.

فمُرادُ الشّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ اتِّحادُ المحبَّتَينِ قوّة الائتلافِ الّذي يجعَلُ الاثنَينِ كالواحِدِ، فهو اتِّحادٌ وصفيٌّ نوعيٌّ، لا اتِّحادٌ عينيٌّ ذاتيٌّ، وهذا يعرفُه مَن ذاقَ المحبّة. قال بعضُ العارفينَ: نعيمُ محبّة الله في الدُّنيا لَطيفةٌ، هيَ نعيمُ الجنّة في الآخِرة، بل هو جَنّة الدُّنيا، فما طابَتِ الدُّنيا إلّا بمعرِفتِه ومحبَّتِه، ولا الجنّة إلّا برُؤيَتِه ومشاهدتِه.

وقال أبو بكرٍ الكِتّانيُّ[1] [127/ ب] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: جرَت مسألة في المحبّة بمكّة -شرَّفَها اللهُ- في أيّامِ الموسمِ، فتكلَّمَ الشُّيوخُ فيها، وكان الجُنيدُ أصغرَهم سِنًّا، فقالوا: هاتِ ما عندكَ يا عِراقيُّ، فأطرَقَ رأسَه ودَمعَت عيناه، ثُمَّ قال الجُنيدُ: عبد ذاهِبٌ عن نفسِه، مُتَّصلٌ بربِّه قائمٌ بأداءِ حُقوقِه، ناظِرٌ إليه بقَلبِه، أحرَقَ قلبَه أنوارُ هَيبتِه، وصَفاءُ شُربه من كأسِ مودَّتِه، وانكشَفَ له الجبّارُ من أستارِ غَيبِه، فإن تكَلَّم فبالله، وإن نطَقَ فعَنِ الله، وإن تَحرَّكَ فبأمرِ الله، وإن سَكَنَ فمع الله، فهو بالله ولله ومعَ الله. فبَكى الشُّيوخُ، وقالوا: ما علَى هذا مَزيدٌ، جَبَرَكَ الله يا تاجَ العارفينَ[2]. انتهَى.

وسُئِلَ بعضُ السّالِكينَ عَنِ المحبّة؟ فقال: نارٌ في القلبِ تحرِقُ ما سِوى مُرادِ المحبوبِ[3].

---

(1) هو القدوة العارف، شيخ الصوفية، أبو بكر، محمد بن علي بن جعفر البغدادي، الكتاني. حكى عن: أبي سعيد الخراز، وإبراهيم الخواص. حكى عنه: جعفر الخلدي، ومحمد بن علي التكريتي، وأبو القاسم البصري، وآخرون. توفي سنة (323هـ)، وقيل: (328هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج14/ 533-535). راجع: طبقات الصوفية للسلمي، (ص:282).

(2) ذكره: القشيري في رسالته، (ص:528).

(3) ذكره: القشيري في رسالته (ص:524).

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية: لُمتُ بعضَ المُباحيّة[1]، فقال هذا الكلامَ بعَينِه، ثُمَّ قال لي: والكونُ كلُّه مُرادُه، فأيَّ شيءٍ أبغضُ منه؟

قال الشّيخُ: فقُلتُ لَه: إذا كان المحبوبُ قد أبغَضَ أفعالًا وأقوالًا وأقوامًا، وعاداهم وطَردَهم ولعَنَهُم، فأحببتَهم أنت: كنتَ مواليًا للمَحبوب أو مُعاديًا لَه؟ قال: فكأنّما أُلقِم حجرًا، وافتُضِح بينَ أصحابِه، وكان مُقدَّمًا كبيرًا فيهم، ومُشارًا إليه من دونِهم[2]. وهذا القولُ في نفسِه صحيحٌ، وقائلُه إنّما أرادَ: أنّها تحرِقُ مِنَ القلبِ ما سِوى مرادِ المحبوبِ الدّيني الأمريِّ، الّذي يُحبُّه ويَرضاه، لا المُرادُ الّذي قدَّره الله وقضاه كونًا كالفُسوقِ والعِصيانِ ونحوِهما[3]، والله أعلَم [127/ أ].

فَصْلٌ

وأصلُ ما أجمع عليه المُحبّونَ اتّباعُهم للرسول ﷺ في جميعِ أوامرِه ونَواهيه، وقيامِه وقُعودِه، ومأكَلِه ومشرَبِه، وحركاتِه وسَكَناتِه، وأن يجعلوه نصبَ أعيُنِهم، ومرآةَ قلوبِهم، يتَراءونَ فيها صحيحَ الإراداتِ والحركاتِ من سَقيمِها، وميزانًا يزِنون ما اشتَبَه عليهم مِنَ العُلوم والأعمالِ؛ لِتصحيحِها وتقويمِها، فقد ضمِنَ الله تعالى لِمَن هذه سَبيلُه ألّا تَزيغَ به الأهواءُ، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ﴾ [النور: 54]، وذكَرَ تعالى أنّ رحمَتَه يكتُبُها للّذين يَتّبِعونَ هذا الرسول الأُميّ[4]، فهم يستَمِعونَ منه ما يقولُ، ويقومونَ

---

(1) كذا في الأصل، وفي مدارج السالكين، والمستدرك على مجموع الفتاوى: الإباحية.

(2) انظر: المستدرك على مجموع الفتاوى، (ج1/ 162).

(3) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، (ج3/ 14-15).

(4) إشارة إلى قوله تعالى:...﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾ [الأعراف 156-157].

بحكم مراسيمِه في وظيفةِ الوقتِ، ومَن أعرَضَ عنه وعن ذكره، وأقبَلَ علَى الله عَزَّوَجَلَّ بكُلِّيته، ويدَّعي المحبّة والعِرفانَ، ويقولُ: أنا آخذُ عَنِ الرّحمنِ، فهذا هو الخبيثُ الشّيطانُ، والله لو أقبَلَ الخلقُ كلُّهم علَى الله، وأعرَضوا عن رسول الله ﷺ أدخَلهم نارَ جهَنّمَ خالِدينَ فيها أبدًا، قال تعالى في حقّه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 31]، فتأخّرَ الخلقُ كلُّهُم، وثَبَتَ تُبّاعُ[1] الرسول في أفعالِه وأقوالِه وأخلاقه.

وقد ذكَرَ المُفسِّرونَ في هذه الآيةِ أربعة أقوالٍ:

أحدها: أنّ النّبيَّ ﷺ وقَفَ علَى قُريشٍ وهم يسجُدونَ للأصنام، فقال: خالَفتُم ملّة أبيكُم إبراهيمَ، فقالوا: نعبدُها حبًّا لله؛ ليقرِّبونا إلى الله زلفَى، فنزَلَت هذه الآية، قاله ابنُ عبّاس[2].

الثّاني: أنّ اليهودَ قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: 18]، فنزَلَت الآية، فعرَضَها عليهم، فلَم يقبلوها، رواه صالِح، عن ابنِ عبّاسٍ[3].

الثّالث: أنّ ناسًا قالوا: إنّا لَنحِبُّ رَبَّنا حبًّا شديدًا، فأحبَّ الله أن يجعَلَ لِحبِّه عَلَمًا، فأنزَلَ الله هذه الآيَةَ، قاله الحسَنُ، وابنُ جُريجٍ[4].

---

(1) كذا في الأصل. وفي زاد المعاد لابن القيم، طبعة مؤسسة الرسالة، (ج3/ 65): أتباع.

(2) ذكره: الثعلبي في الكشف والبيان (ج8/ 237-238). والواحدي في أسباب النزول (ص:103). عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عبّاس.

(3) ذكره: الثعلبي في الكشف والبيان (ج8/ 238- 239). والواحدي في أسباب النزول، (ص:103). من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عبّاسٍ.

۞ قال السيوطي في كتاب الإتقان في علوم القرآن، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، بالمملكة العربية السعودية، (ج4/ 209): وأوهى طرقه، طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس...فهي سلسلة الكذب، وكثير ما يخرج منها الثعلبي والواحدي.

(4) رواه الطبري في تفسيره، (ج5/ 325-326)؛ من عدة طرق: =

الرّابعُ: أنّ نصارَى نَجران قالوا: إنّما نقول هذا في عيسى حُبًّا لله [128/ ب] وتعظيمًا لَه، فنزَلَت هذه الآيةُ، ذكرَه ابنُ إسحاقَ، وأبو سُليمانَ الدّمشقيُّ(1).

بل قد قال غيرُ واحدٍ مِنَ المُفسِّرينَ في الآيةِ الّتي بعدَها: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [آل عمران: 32]، قال عبد الله بن أُبَيٍّ لأصحابه: إنّ محمّدًا يجعلُ طاعتَه كطاعة الله، ويأمرُنا أن نُحبَّه كما أحبّتِ النّصارَى عيسى، فنزَلَت هذه، قاله ابنُ عبّاسٍ(2).

= ۞ إسحاق، قال: ثنا عبدالرحمن بن عبدالله، عن بكر بن الأسود، قال: سمعت الحسن يقول: قال قوم على عهد النبي ﷺ...

۞ علي بن الهيثم، قال: ثنا عبدالوهاب، عن أبي عبيدة، قال: سمعت الحسن، يقول: قال أقوام...

۞ محمد بت سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، قال: ثنا عباد بن منصور، عن الحسن، في قوله: ﴿إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ الآية. قال: إن أقوامًا...

۞ القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾، قال: كان قوم يزعمون...

(1) رواه: الطبري في تفسيره (ج5/ 326)؛ من طريق: ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾؛ أي: إن كان هذا من قولكم -يعني في عيسى-.... وذكره: الثعلبي في الكشف والبيان، (ج8/ 239). والواحدي في أسباب النزول (ص: 103- 104). عن محمد بن إسحاق بن يسار، عن محمد بن جعفر بن الزبير، قال: نزلت في نصارى نجران.

۞ قال ابن جرير الطبري في تفسيره، (ج5/ 326): وأولى القولين بتأويل الآية، قول محمد بن جعفر بن الزبير، لأنه لم يجر لغير وفد نجران في هذه السورة، ولا قبل هذه الآية ذكر قوم ادعوا أنهم يحبون الله، ولا أنهم يعظمونه...لأن ما قبل هذه الآية من مبتدأ هذه السورة وما بعدها خبر عنهم، واحتجاج من الله لنبيه محمد ﷺ، ودليل على بطول قولهم في المسيح، فالواجب أن تكون هي أيضا مصروفة المعنى إلى نحو ما قبلها، ومعنى ما بعدها.

(2) ذكره: الثعلبي في الكشف والبيان، (ج8/ 243). وابن الجوزي في زاد المسير، (ج1/ 373- 374).

وقال مُقاتِلٌ: إنّ النّبيّ ﷺ دعا اليهودَ إلى الله، فقالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: 18]، ونحنُ أشدُّ حُبًّا لله، فنزلَت: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى﴾... إلى قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ (1).

فتُبّاعُ الرسول هم الثّابتونَ علَى محبّة الله ومَحبّة رسولِه، فإن طولِبوا ببُرهان هذه المحبّة فقيل: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: 54]، فتأخّر بعضُ المُحبّينَ وقامَ المُجاهِدونَ، فقيلَ لهم: إنّ نُفوسَ المُحِبّين وأموالهم ليسَت لهم فهلُمّوا إلى بيعةِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾... الآية [التوبة: 111]، فلمّا عَرفوا عظمة المُشتري، وفضلَ الثّمنِ، وجلالة مَن جرَى بَينَ يدَيه عقدُ التّبايُع: عرَفوا قدرَ السّلعةِ، وأنّ لها شأنًا، فعُلم بذلك أنّ قيمةَ السّلعةِ تُعرف بقدر مُشتَريها ودلّالِها وثَمَنِها، فإذا كان المُشتَري جَليلًا، والدّلّالُ نَبيلًا، والثّمنُ جَزيلًا؛ كانتِ السِّلعة نَفيسةً، فالله هو المُشتَري، ومحمّدٌ هو الدّلّال، والجنّة هي الثّمَنُ، ونفسُ المُؤمِنِ هي السِّلعة(2)، وكما قيلَ [من البحر البسيط]:

مَن يَشتَري قُبّةً في الخُلدِ غاليةً ... دَلّالُها المُصطَفَى، والله بائِعُها
في ظِلّ طوبَى رَفيعاتٌ مَبانيها ... لِمَن أرادَ، وجِبريلٌ مُناديها(3)

ومَنِ اشتَرَى سِلعةً، ثُمّ رأى بها عيبًا، فله الرّدُّ بالعيب، فالحقُّ علِمَ العيبَ من نفسِكَ فاشترَاها، فلَكَ الأمانُ مِنَ الرّدِّ، فلَمّا تَمّ العقدُ، وسَلّموا المبيعَ؛ قيلَ لهم: حينَ صارَت [128/ ب] نفوسُكم وأموالُكم لنا رَدَدناها

---

(1) ذكره: ابن الجوزي في زاد المسير، (ج1/ 374).

(2) ذكر ذلك ببعض ألفاظه، وبمعناه؛ ابنُ القيّم في مدارج السالكين، (ج3/ 8-9).

(3) رواه: الثعلبي في الكشف والبيان، (ج14/ 74)؛ قال: أنشدنا أبو القاسم الحبيبي، قال: أنشدنا القاضي أبو الربيع محمد بن علي، قال: أنشدنا أبو علي الحسن بن علي بن عاصم الكوفي: من يشتري قبة في العدن عالية...

عليكم أوفرَ ما كانت وأضعافَ أضعافِها معها ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾... الآيةَ [آل عمران: 169- 170] إذا غُرِسَت شجَرة المحبّة في القلبِ، وسُقيت بماءِ الإخلاص، وحرَثَ حولَها بسكّة السّكينةِ، ومتابعةِ الحبيب، وأينَعت وأثمَرت أنواعَ الثِّمارِ، وآتت أُكُلَها كُلَّ حينٍ بإذنِ ربِّها، أصلُها ثابتٌ في القلبِ، وفُرعُها مُتّصِلٌ بسِدرة المُنتَهى.

وسَفَرُ المُحبِّ إلى مَحبوبه يَرَى في قطعِ المسافة مثلَ السّها، ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة ص: 39].

فَصْلٌ

وأكثرُ النّاسِ محبّة لله بعدَ الأنبياءِ والرُّسلِ أولياءُ الله

لأنّهم وَالُوه فأحَبّوه أشدَّ المحبّة، وأحَبّوا ما يُحبُّ، وأبغَضوا ما يبغَض، ورَضوا ما يرضَى، وسخطوا ما يسخَطُ، وأمَروا بما يأمُرُ، ونَهَوا عمّا ينهَى، وأعطوا لِمَن يُحبُّ أن يُعطى، ومَنَعوا مَن يُحِبُّ أن يُمنَعَ، كما في التِّرمذيِّ وغيرِه: أنّ النّبي ﷺ قال: «**أوثَقُ عُرَى الإيمانِ الحُبُّ في الله والبُغضُ في الله، ومَن أحَبَّ لله وأبغَضَ لله، وأعطَى لله ومَنَعَ لله؛ فَقد استَكمَلَ الإيمانَ**»(1).

وأصلُ الولايةِ المحبّة لله والقُربُ إليه، وقيلَ: سُمّي وليًّا من موالاته

---

(1) رواه: الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، رقم (2705)؛ من طريق: عباس الدوري، قال: حدثنا عبد الله بن يزيد، قال: حدثنا سعيد بن أبي أيوب، عن أبي مرحوم عبدالرحيم بن ميمون، عن سهل بن معاذ الجهني، عن أبيه، أن النبي ﷺ، قال: «من أعطى لله، ومنع لله، وأحب لله، وأبغض لله، فقد استكمل إيمانه». قال الترمذي: «هذا حديث منكر».

للطّاعاتِ؛ أي: متابعَتَه لها، والأوَّلُ أصَحُّ[1]، فإذا كان وليُّ الله هو الموافِقَ التّابِعَ له فيما يُحبُّ ويرضاه ويسخطُه ويبغضُه، ويأمُر به ويَنهَى عنه؛ كان المُعادي للوَليِّ مُعاديًا لله، كما قال: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: 1]، فمَن عادَى أولياءَ الله؛ فقد عاداه، ومَن عاداه فقد حارَبَه، فلِهذا قال: «مَن عادَى لي وليًّا فَقد بارَزَني بالمُحارَبة»[2]؛ لأنّ الأولياءَ يُحبُّهم ويُحِبّونَه، بخلافِ الأعداءِ، ولِهذا جاءَ في الحديثِ الإلَهي، يقولُ الله عَزَّوَجَلَّ يومَ القيامة: «يا ابنَ آدَمَ؛ ألَيس عَدلًا مِني أن أوَلّيَ كُلَّ رَجُلٍ منكم ما كان يَتَوَلّاه في الدُّنيا»[3].

فأصلُ التّولّي: الحُبُّ، فكُلُّ مَن تَوَلّى شَيئًا دونَ الله؛ ولّاه الله يومَ القيامة ما تَوَلّى وصلاه جهَنّم وساءَت مصيرًا.

---

(1) ولي: الواو واللام والياء: أصل صحيح يدل على قرب. من ذلك الولي: القرب. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج6/ 141).

(2) رواه: رواه البيهقي في الأسماء والصفات، (ج2/ 447)، رقم (1029)؛ من طريق: إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكي -إملاء-، قال: نا أبو العباس محمد بن إسحاق، نا محمد بن عثمان بن كرامة، نا خالد بن مخلد، عن سليمان بن بلال، قال: أخبرني شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن عطاء، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عَزَّوَجَلَّ، قال: من عادى لي وليًا فقد بارزني بالحرب...». ورواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم (6502)؛ من طريق: محمد بن عثمان، قال: حدثنا مخلد، حدثنا سليمان بن بلال، حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن عطاء، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب...».

(3) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، (ج1/ 32)، رقم: (81)؛ من طريق: أحمد بن يحيى، قال: نا أبي يحيى بن خالد بن حيان، قال: نا أبو المليح الحسن بن عمر الرقي، قال: نا فرات بن سلمان، عن أبي بردة بن أبي موسى، قال: سمعت أبا موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول: قال رسول الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة، فينادي منادٍ: أليس عدلًا مني أن أولّي كلّ قوم ما كانوا يعبدون؟...الحديث». قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن فرات بن سلمان إلا أبو المليح الرقي». قال الهيثمي في مجمع الزوائد، (ج10/ 343): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه فرات بن السائب، وهو ضعيف».

فأصلُ المحبّة: امتِثالُ أوامرِ المحبوبِ، فهو قُرّة العُيونِ، وسُرورُ القُلوبِ، ونَعيمُ الأرواحِ، ولذّاتُ النُّفوسِ، وبها كمالُ النّعيم، وهذا ملحظٌ عظيمٌ لِمَن تأمّلَه، أن تَقَرَّ عينُ المُحبِّ في الصّلاةِ، وأن يُسرَّ ويَبتَهِجَ بالزكاةِ، والحجِّ، والصّيامِ، والصّدَقة، والذِّكرِ، والتِّلاوةِ، وجميع أفعاله.

وكُلُّ مَن كان بأوامرِ محبوبه أسرَعَ امتِثالًا كان نصيبُه مِنَ الالتذاذِ به أعظَمَ، ومنه أقربُ، والله الموفق [129/ أ].

فصل

وأمّا الشّوقُ: فقد قيلَ منه قولُه تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍ﴾ [العنكبوت: 5]، قيلَ: هذا تعزيةٌ للمُشتاقين وتسليةٌ لهُم؛ أي: أنا أعلَم أنّ مَن كان يرجو لِقائي فهو مُشتاقٌ إلَيَّ، فقد أجّلتُ له أجَلًا يكونُ عن قريبٍ، فإنّه آتٍ، وفيه لَطيفةٌ أُخرَى: وهيَ تعَلُّلُ المُشتاقين برجاءِ اللِّقاء، قال الشّاعرُ [من الكامل]:

لولا التّعَلُّلُ بالرّجاءِ تَقَطَّعَت ... نَفسُ المُحِبِّ صَبابة وتَشَوُّقا(1)

---

(1) البيت لأبي الحسن علي بن هارون بن علي بن يحيى المنجم في: الفرج بعد الشدة للتنوخي، تحقيق/ عبود الشالجي، طبعة دار صادر، (ج5/ 27)؛ من طريق: محمد بن عبدالواحد بن الحسن بن طوخان، قال: أنشدني أبو الحسن علي بن هارون بن علي بن يحيى المنجم، لنفسه من أبيات كتب بها إلى علي بن خلف بن طناب، فعلمت فيه طوتًا:

بيني وبين الدهر فيك عتاب ... سيطول إن لم يمحه الإعتاب

يا غائبا بمزاره وكتابه ... هل يرتجى من غيبتك إياب

لولا التعلل بالرجاء تقطعت ... نفس عليك شعارها الأوصاب

لا يأس من فرج الإله فربما ... يصل القطوع ويقدم الغياب

۞ يتيمة الدهر؛ لأبي منصور الثعالبي، شرح وتحقيق/ مفيد محمد قميحة، طبعة دار الكتب العلمية، (ج3/ 135-136).

ولِمّـا كان النّظَـرُ إلـى وجـه الله مـن أعظَـم اللـذات حجَـبَ الكفّـارَ عنـه كمـا قـال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾ [المطففين: 15- 16]، وعَـذابُ الحجـابِ مـن أعظَـمِ أنـواعِ العـذاب الّـذي عـذّب الكُفّـارَ بـه، ولـذّة النّظـر إلـى وجهـه الكريـم وسَـماع كَلامـه بالمحبّـة لا بالتّوبيـخ.

وقـد رَوَى الإمـام أحمـدُ والحاكـمُ في «مُسـتدركه» وصحّحَـه، وابنُ حبّانَ: أنّ النّبيَّ ﷺ كان يدعـو: «اللهم بعِلمِـكَ الغيـبَ، وقُدرَتِكَ علَـى الخلقِ، أحيِني إذا كانـت الحيـاةُ خَيـرًا لـي، وتَوَفَّنـي إذا كانـتِ الوفـاةُ خَيـرًا لـي، اللهـم إنّـي أسـألك خَشـيَتَكَ فـي الغيـبِ والشّـهادة»... والحديـثُ فيـه طـولٌ، وفـي آخـرِه: «وَأسـألك لَـذّة النّظَـرِ إلـى وجهِـكَ، والشّـوقَ إلـى لِقائِـكَ»، ورواه النّسـائيُّ[1].

---

(1) رواه: - الإمام أحمد في مسنده، (ج30/ 264-265)، رقم (18325)؛ من طريق: إسحاق الأزرق، عن شريك، عن أبي هاشم، عن أبي مجلز، قال: صلى بنا عمار صلاة، فأوجز فيها، فأنكروا ذلك، فقال: ألم أتم الركوع والسجود؟! قالوا: بلى. قال: أما إني قد دعوت فيهما بدعاء، كان رسول الله ﷺ يدعو به: «اللهم بعلمك الغيب...واجعلنا هداة مهديين».

۞ الدارمي في الرد على الجهمية، تحقيق/ أبو عاصم الشوامي الأثري، طبعة المكتبة الإسلامية، (ص:107)، رقم (95)؛ من طريق: سليمان بن حرب، قال: حدثنا حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن أبيه، أن عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صلى بأصحابه صلاة أوجز فيها، فقيل له: خففت!! فقال: أما إني قد دعوت فيها بدعاء...الحديث.

۞ النسائي في سننه: رقم (1305)؛ من طريق: يحيى بن حبيب بن عربي، قال: حدثنا حماد...به. ورقم (1306)؛ من طريق: عبيدالله بن سعد بن إبراهيم بن سعد، قال: حدثنا عمي، قال حدثنا شريك، عن أبي هاشم الواسطي، عن أبي مجلز، عن قيس بن عباد، قال: صلى عمار بن ياسر...الحديث.

۞ ابن خزيمة في كتاب التوحيد، (ص:29-30)، رقم (3)؛ من طريق: أحمد بن عبده الضبي، قال: ثنا حماد -يعني: بن زيد- عن عطاء بن السائب، عن أبيه، قال: كنا جلوسًا في المسجد...الحديث. قال أبو بكر-يعني: ابن خزيمة-: «ألا يعقل ذوو الحجا - يا طلاب العلم - أن النبي ﷺ لا يسأل ربه ما لا يجوز كونه، ففي مسألة النبي ﷺ ربَّه لذةَ النظر إلى وجهه أبينُ البيان وأوضحُ الوضوحِ أن لله عَزَّوَجَلَّ وجهًا، يتلذذ بالنظر إليه مَن مَنَّ الله جَلَّوَعَلَا عليه وتفضّل بالنظر إلى وجهه.
=

وقـال بعضُهـم: كان النّبيُّ ﷺ دائِمَ الشّوقِ إلى الله لـم يسكُن شوقُه إلى لِقاءِ الله قَطُّ.

والشّوقُ[1]: سفَر القلبِ إلى المحبوب في كُلِّ حالٍ. وقيلَ: هو اهتياجُ القُلوبِ إلى المحبوبِ. وقيلَ: هو احتِراقُ الأحشاءِ وتلَهُّبُ القلبِ وتقطُّعُ الأكبادِ، والمحبّة أعلَى منه؛ لأنّ الشّوق عنها يتولّد وعلَى قدرها يقوَى ويضعُفُ.

قال يَحيى بن مُعاذٍ[2]: علامة الشّوقِ فِطامُ الجوارحِ عَنِ الشّهواتِ.

وقـال أبو عُثمان: علامَتُه حُبُّ القُرب معَ الرّاحةِ والعافيةِ، كحالِ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمّا أُلقيَ في الجُبِّ لم يقُل: تَوَفَّني، ولا قال ذلك لَمّا سُجِنَ، ولَمّا تَمَّ له أمرُه مِنَ النُّبوّة والرِّسالة والمُلكِ قال: ﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا﴾ [يوسف: 101]. وقيلَ: هو لَهيبٌ ينشَأُ بينَ الحشا عَنِ الفُرقةِ، فإذا وقَعَ اللِّقاءُ طُفِئَ[3].

قال بعضُ العارفينَ: شوقُهم هرَبُهم من رَسمِهم وسِماتِهم، ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ

= ۞ ابن حبان في صحيحه، (ج7/ 372-373)، ذكر جواز دعاء المرء في الصلاة بما ليس في كتاب الله، رقم (6619)؛ من طريق: ابن خزيمة...به

۞ الحاكم في المستدرك، (ج1/ 705-706)، رقم (1923/ 123)؛ من طريق: محمد بن يعقوب، قال: ثنا علي بن الحسن الهلالي، ثنا أبو النعمان محمد بن الفضل، ثنا حماد بن زيد... به. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي.

(1) (شوق) الشين والواو والقاف يدل على تعلق الشيء بالشيء...ثم اشتق من ذلك الشوق، وهو نزاع النفس إلى الشيء. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج3/ 229).

(2) هو يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي، الواعظ، تكلم في علم الرجاء، وأحسن الكلام فيه، توفي سنة (258هـ). انظر: طبقات الصوفية للسلمي، (ص: 98).

(3) راجع: - مدارج السالكين لابن القيم، (ج3/ 52-53). - الرسالة للقشيري، (ص: 533-534).

رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾(1) [طه: 84]. وقال غيره: الشّوقُ: هو غلَبةُ ذكر متمَنّي واضطِرار، الصّبرُ عن فقدِه وشِدّة طلَبه، وهو للعَوامِّ، وهو في طريقِ الخواصِّ عِلّة؛ لأنّ الشّوقَ يكونُ إلى غائِبٍ، والمُشتاقُ حاضِرٌ، وطَريقُ الخاصِّ أن يكونَ العبدُ غائِبًا، والحقُّ حاضِرًا، ولم ينطق بالشّوقِ كِتابٌ ولا سُنّة صَحيحةٌ؛ لأنّه مُخبِرٌ عن بُعدٍ ومُشيرٌ إلى غيبةٍ، وتطَلّع إلى إدراكٍ ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الحديد: 4] [129/ أ].

قال العلّامةُ ابنُ القيِّم: وقدِ اختلَف المُحبّونَ، أو قال: هذه مسألةُ نِزاع بينَ المُحبّينَ، وهي أنّ الشّوقَ هل يزولُ باللِّقاءِ أم لا؟ ولا يختَلِفونَ أنَّ المحبّة لا تزولُ.

فمنهم مَن قال: إنّ الشّوقَ يزولُ باللِّقاءِ؛ لأنّ الشّوقَ؛ هو سفَرُ القلبِ إلى مَحبوبِه، فإذا قدِمَ علَيه وصَلَ وصارَ إلى مكانِ الشّوقِ قرّة عينِه به. وقالوا: إذا كان الغالِب علَى القلبِ مُشاهدة المحبوب لم يَطرُقه الشّوقُ. وقيلَ لِبعضِهم: هل تَشتاقُ إليه؟ قال: لا. إنّما الشّوقُ إلى غائِبٍ، وهو حاضِرٌ.

وقالت طائِفةٌ: بل يزيدُ الشّوقُ بالقُربِ والوُصولِ ولا يَزولُ؛ لأنّه كان قبلَ الوُصولِ علَى الخبَرِ والعِلم، وبعدَه: قد صارَ علَى العيانِ والشُّهودِ، ولِهَذا قيلَ [من الوافر]:

---

(1) ذكره: ابن العريف الصنهاجي (ت: 536) في كتابه محاسن المجالس أو بيان في مقامات السادة الصوفية، تحقيق/ محمد العدلوني الإدريسي، طبعة دار الثقافة، (ص: 99).

۞ قال ابن القيم في طريق الهجرتين، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، (ج2/ 755): وليس الهرب من الغير والضد هو الشوق، بل هنا مهروب منه ومهروب إليه، فالشوق هو سفر القلب نحو المحبوب، وهذا لا يتم إلا بالهرب من ضده، فليس الشوق هو نفس الهرب من الرسوم والسمات.

وَأَبــرَحُ مـا يَكـونُ الـشّـوقُ يومًـا   إذا دَنَـتِ الخـيـامُ مِـنَ الخـيـامِ[1]

قال الجُنَيدُ[2]: سمِعتُ السّريَّ يقولُ: الشّوقُ أجَلُّ مَقام للعارفِ إذا تحقَّقَ فيه. ومعناه: إذا تحقَّقَ في الشّوقِ لها عن كُلِّ شَيءٍ يشغَلُه عمَّن يَشتاقُ إليه، وعلَى هذا: فأهل المحبّة دائمًا في الشّوقِ إلى الله تعالى مع قُربِهم منه[3]. انتهَى.

وقد أورَدَ بعضُهُم: أنّ شِدّة الشّوقِ تكونَ حالَ اللّقاءِ، فإنّ مُجرَّدَ لِقاءِ المُحبِّ يُبكِي.

قلتُ: بكاؤُه من شِدّة فرَحه وسُروره بمحبوبه ولذّة وصولِه به، ومُشاهدة وجهه وجَمالِه لأنّ الشّوق لا يكونُ إلّا عن غَيبةٍ، فإنّه لَمّا خلَت قلوبُ المُحبّينَ من سِوى الحبيبِ تمكّن منها الحبُّ، فالتَهبَت نارُ الشّوقِ فيها، فإنّه قد تقدم لنا أنّ الشّوقَ ينشَأ عَنِ المحبّة، فمَن لا محبّة له كيف يَشتاقُ محاضَرته؟!

ولا شكَّ أنّ اشتياقَهم إلى كمالِ نعيمِهم برُؤيةِ الله في الآخِرة وسماعِ كلامِه وقُربهم منه ورضوانه عليهم.

وقد حُكي عن طائِفة أنّها زعَمَت أن لا لذّة في الآخِرة إلّا بالمخلوقِ مِنَ المأكولِ والمشروبِ والملبوس والمنكوحِ، فقَبّحَ الله مَن قاله مُقتَصرًا علَيه، بل اللّذّة والنّعيمُ التّامُّ في حظّهم من خالِقِهم تعالى أعظمُ ممّا يخطُرُ بالبالِ أو يدورُ في الخيالِ، ولهذا اشتَدَّ شوقُ القوم إليه.

وقد حكَى أبو الفرجِ ابنُ الجوزيِّ عن رابعةَ حِكايتانِ مُتَناقِضتانِ[4]: أنّها

---

(1) البيت بلا نسبة في: الرسالة القشيرية (ص:535). ومدارج السالكين لابن القيم (ج3/ 53).

(2) رواه عنه: القشيري في رسالته، (ص:535)؛ من طريق: محمد بن الحسين، قال: سمعت عبد الله بن علي، يقول: سمعت جعفر، يقول: سمعت الجنيد، يقول:...

(3) انظر: مدارج السالكين، (ج3/ 53).

(4) كذا في الأصل والمشهور نصب المثنى.

كانت تقولُ [130/ ب]: لقد طالَت علَيَّ الأيامُ والليالي بالشّوقِ إلى لِقاءِ الله عَزَّوَجَلَّ[1]. ودَخلَ قومٌ مِنَ السّالِكينَ علَى رابِعةَ، فقالوا: أتَشتاقينَ إلى الله تعالَى؟ فقالت: هو حاضِرٌ، فقالوا: يا رابِعة أينَ شَكوَى لِسانِ الشّوقِ، أحالَتِ الحال؟ فقالت: هكَذا تكونُ المحبّة[2].

فما ذكرنا من هذه الحِكايَتَينِ عن رابعةَ يدلُّ علَى الخِلافِ الّذي ذكَرَه العلّامةُ ابنُ القيِّم، وقد قيلَ في هذا المعنَى [من الطويل]:

وَمِن عَجَبي[3] أنّي أحِنُّ إليهِمُ   وَأسأَلُ عنهم مَن أرَى[4] وهم مَعي
وتَطلُبُهم عَيني وهم في سَوادِها   ويَشتاقُهم قَلبي وهم بَينَ أضلُعي[5]

وكان أبو يَزيدَ البسطاميُّ[6] يقولُ: إلَهي إلى متَى تَحبِس أعضاءَ مُحبّيكَ تَحتَ التُّرابِ؟ احشُرهم واجعَلني جِسرًا يَعبرونَ علَيَّ إليكَ[7]، وأنشَدوا [من الطويل]:

---

(1) انظر: المدهش لابن الجوزي، تحقيق/ مروان قباني، طبعة دار الكتب العلمية، (ص:504).

(2) انظر: المدهش لابن الجوزي، (ص:437)؛ بلفظ: «...قالوا: يا رابعة هذا ضد الأول. أجابت بلسان الحال: هكذا تحير المحب».

(3) كذا في النسخة الخطية، وفي مصادر البيتين: عَجَبٍ.

(4) أشار المصنف إلى رواية فيها: لَقيتُ.

(5) قال أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي في معجم السفر، تحقيق/ عبد الله عمر البارودي، طبعة دار الفكر، (ص:380)؛ قال: أنشدني أبو مروان مبشر بن عبد الله الطيب الأندلسي بالإسكندرية، للأديب غانم بن الوليد المخزومي الأشوني. و(أشونة) حِصنٌ من نظر قرطبة بالأندلس:

ومن عجب أني أحن إليهم   وأسأل عنهم كل ركب وهم معي
فيبكي دمًا طرفي وهم في سواده   ويشكو جوى قلبي وهم بين أضلعي

۞ وبلا نسبة في: الحماسة المغربية (ج2/ 1068). والجواب الصحيح لابن تيمية، طبعة دار العاصمة، (ج3/ 336).

(6) تقدمت ترجمته.   (7) ذكره: ابن الجوزي في المدهش، (ص:447).

هَلِ الطّرفُ يُعطي نَظرة من حَبيبِهِ هو الشّوقُ مَدلولًا على مَقتَلِ الفتَى
أمِ القلبُ يُلقي رَوحةً من وجيبِهِ إذا لم يَعُد قَلبًا بلُقيا حَبيبِهِ[1]

وقال المُحاسبيُّ في كتابِ «الحبِّ لله تعالَى»[2]: أنشدَني عبد العزيزِ بن عبد الله [من مجزوء الكامل]:

والشّوقُ للنُّجَباءِ والـ ـأبدالِ عند ذَوي الفِطَنِ[3]

وكان أبو عُبيدةَ الخوّاصُ[4] يقولُ: واشَوقاه إلى مَن يَراني ولا أراهُ[5].

وحكَى أبو الفرَجِ[6]، عن فتحِ بن شخرفٍ[7]: أنّه بقيَ ثَلاثينَ سنة لا

---

(1) عزاه سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان، (ج18/ 249)؛ لمحمد بن الحسين الشريف الرضي، وفيه: روعة، بدل: روحة. والوجيب: تحرك القلب تحت أبهره. انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (بهر)، (ج4/ 83).

(2) لم أقف عليه مطبوعًا، وهو كتاب الحب لله تعالى ومراتب أهله، ذكره له ابن خير الإشبيلي في فهرسه، طبعة دار الكتب العلمية، (ص:238).

(3) البيت له في: حلية الأولياء لأبي نعيم، (ج10/ 79). وتاريخ مدينة السلام للخطيب البغدادي، (ج9/ 106). من طريق: أحمد بن عبد الله بن ميمون، قال: سمعت الحارث المحاسبي، يقول: أنشدني عبدالعزيز بن عبدالله:

الخوف أولى بالمسيء إذا تألّه والحزن
والحب يحسن بالمطيع وبالنقي من الدّرن

والشوق....

(4) تقدمت ترجمته.

(5) رواه: إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد في المحبّة لله سبحانه، تحقيق/ عبد الله بدران، طبعة دار المكتبي، (ص:112)، رقم، (258)؛ من طريق: أحمد بن أبي الحواري، قال: ثنا زكريا، قال: قال أبو عبيدة الخواص:... (6) ذكره في صفة الصفوة (ج2/ 403).

(7) هو الفتح بن شخرف، أبو نصر الكشي الزاهد. نزيل بغداد، ومن كبار مشايخ الصوفية. روى عن: رجاء بن مرجى الحافظ، والجارود بن معاذ الترمذي، وجماعة. وعنه: محمد بن أحمد الحكيمي، وأبو بكر النجاد، وأبو عمرو ابن السماك، وآخرون. وكان عابدا سائحا كبير الشأن. رأى أحمد بن أبي الحواري، والقاسم الجوعي وجل روايته حكايات. ولما مات كانت له جنازة عظيمة، وشيعه خلائق، توفي سنة (273هـ). انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، (ج6/ 585-586).

يَرفَع رأسَه إلى السّماءِ، فرَفَع رأسَه مرّة، وقال: لقد طالَ شوقي إليك، عجِّل قُدومي علَيكَ.

ثُم قال أبو الفرَجِ: كانوا إذا أقلَقَهم الخوفُ ناحوا، وإذا أزعَجَهم الوجدُ صاحوا، وإذا أدهَشَهم الحُبُّ ساحوا، وإذا غلَبَ عليهم الأمرُ باحوا(1).

وذكَر أبو القاسِم ابنُ عَساكر، قال: أنشدَني الشّيخُ أبو الطّيِّبِ أحمد بن عبد العزيز المقدِسيُّ(2) [من السريع]:

أحَبَبتُ مَن لَستُ أُسَمّيه خوفًا على قَلبي مِنَ التّيه
سُبحانَه لو قيلَ لي: سَمّيه لَتُهتُ ما بَينَ أساميه
نورُ السّمَواتِ من نورِه ومن نورِه أنوارُ أسرارِ مُحِبّيه
مَولَى الموالي وإلهُ الورَي وخالِقُ الخلقِ ومُبديه
نَعبُدُه سِرًّا وجَهرًا فعَسَى نَظرة تَمُرُّ في قَلبِ مُحِبّيهِ

وقال غيره [من الطويل]:

خَيالُكَ في عَيني وذِكرُكَ في فَمي وَمَثواكَ في قَلبي فَأينَ تَغيبُ(3)؟

(1) انظر: الآداب الشرعية لابن مفلح، (ج1/ 293).

(2) هو أحمد بن عبد العزيز بن محمد بن حبيب، أبو الطيب المقدسي، الفقيه الواعظ، إمام جامع الرّافقة، سمع جماعة. وله ديوان شعر حسن أسمع بعضه بالرّافقة. روى عنه: الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي في مصنفاته. قال الحافظ أبو القاسم: فارقت أبا الطيب حيّا في سنة تسع وعشرين وخمسمئة ومات بعد ذلك. انظر ترجمته في: تاريخ دمشق (ج71/ 273-276).

(3) البيت لأبي الحكم ابن غلندو الإشبيلي (ت: 587) في: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب؛ لياقوت الحموي، تحقيق/ إحسان عباس، طبعة دار الغرب الإسلامي (ج3/ 1194)؛ بلفظ: «وهمي» بدل: «عيني». ولعبد الواحد أخي المعري في: الدر الفريد وبيت القصيد؛ لمحمد بن أيدمر المستعصمي، تحقيق/ كامل سلمان الجبوري، طبعة دار الكتب العلمية، (ج6/ 193)، رقم (7893).

رُوِيَ أنَّه اجتَمَع إبليسُ بالشِّبليِّ[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فعاتَبه[2]، وقال لَه: ما حَمَلَكَ على ما فَعَلتَ مع آدمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حتَّى جَرَى عليكَ ما جرَى؟ فقال إبليسُ: واللهِ ما هو إلّا أن أُمِر وأُمِرتُ، وعَصَى وعَصَيتُ. فغَنّى مُغنّي وقتِه [من الكامل]:

وَإذا الحبيبُ أتَى بذَنبٍ واحِدٍ جاءَت مَحاسِنُه بألفِ شَفيعِ[3]

وقال أيضًا [من الوافر]:

إذا كان المُحِبُّ قَليلَ حَظٍّ فَما حَسَناتُه إلّا ذُنوبُ[4]

ثُمَّ قال له الشِّبليُّ: أيَّ طريقٍ بقيَ لَكَ علينا؟ -يعني: معاشِرَ الصّوفيّة- فقال: صُحبة الشّباب. فقال الشِّبليُّ: لَكَ عليَّ ألّا أصحبَ شابًّا أبدًا. فقال إبليس: ولَكَ عليَّ ألّا أنصَحكم أبدًا[5].

قال الشِّبليُّ: لقيتُ جارية حبَشيّة، فقُلتُ لها: من أينَ؟ فقالت لي: من عندَ الحبيبِ. فقُلتُ [130/ أ] لها: وإلى أينَ؟ فقالت: إلى الحبيبِ.

---

(1) تقدمت ترجمته.

(2) كذا في الأصل، وفي الأجوبة القاطعة: فعتبَه.

(3) البيت في ديوان ابن نباتة، طبعة دار إحياء التراث العربي، (ص:312). وهو بلا نسبة في: أمالي ابن الشجري، تحقيق/ محمود محمد الطناحي، طبعة مكتبة الخانجي، (ج3/ 267). والدر الفريد للمستعصمي، (ج9/ 382).

(4) البيت بلا نسبة في: تاريخ إربل؛ لابن المستوفي، تحقيق/ سامي بن السيد خماس الصقار، طبعة دار الرشيد، (ج1/ 382). ونسبه في قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، لكمال الدني أبي البركات المبارك بن الشعار الموصلي، تحقيق/ كامل سلمان الجبوري، طبعة دار الكتب العلمية، (ج6/ 270-271) لِمحمد بن علي بن المسلم بن محمد بن الحسين بن مراجل، أبي عبد الله الكندي. وللبحراني في الدر الفريد؛ للمستعصمي (ج3/ 45).

(5) ذكر هذه القصّة بنصِّها عن الشبليِّ العزُّ بن عبد السّلام في الأجوبة القاطعة لحجج الخصوم للأسئلة الواقعة في كل العلوم، تحقيق/ محمد خير رمضان يوسف، طبعة دار ابن حزم، قسم الحكايات والأحوال، (ص:243)، رقم (314).

فقُلتُ: فما تُريدينَ مِنَ الحبيبِ؟ قالت: الحبيبُ. قلتُ: كَم ذكرُ الحبيبِ؟ قالت: ما يسكُن لِساني عن ذكرِه حتَّى ألقاه[1]. وفي معناه [من البسيط]:

وَحُرمة الوُدِّ ما لي عنكم عِوَضٌ فَليس لي في سِواكم بعدَكم غَرَضُ
ومن حَديثي بكم قالوا: به مَرَضٌ فَقُلتُ: لا زالَ عَنّي ذلك المرَضُ[2]

رَأى معروفٌ الكرخيُّ[3] في المنام كأنّه تَحتَ العرشِ، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: مَلائِكَتي؛ مَن هَذا؟ فقالتِ الملائِكةُ: أنت أعلَمُ، هذا معروفٌ الكرخيُّ، قد سكرَ من حُبِّكَ، فلا يفيقُ إلّا بلِقائِكَ[4]. ودَخلوا علَيه يومًا، وهو مستنِدٌ إلى ساريةٍ من سَواري المسجِدِ، وهو يقولُ: يا حَبيبي، يا حَبيبي. فقال له رَجُلٌ: عَلِّمني المحبّة، فقال: هذا لا يجيءُ بالتّعليم[5].

قال ذو النّون المصريُّ[6]: بينا أنا أسير علَى ساحِلِ البحرِ إذ بصُرتُ بجاريةٍ نَحيلةِ الجِسمِ، فرَفَعَت طرفَها إلى السّماءِ، وقالت [من المتقارب]:

أُحِبُّكَ حُبَّينِ: حُبَّ الوُدادِ وَحُبًّ لِأَنَّكَ أهلٌ لِذاكا

---

(1) ذكره عنه ابن الجوزي في المدهش، (ص:255).

(2) البيتان لأبي الحسن محمد بن علي بن أبي الصقر الواسطي في: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (ج19/ 538). ووفيات الأعيان (ج4/ 450-451).

(3) هو معروف الكرخي، علم الزهاد، بركة العصر، أبو محفوظ البغدادي. روى عن: الربيع بن صليح، وبكر بن خنيس، وابن السماك، وغيرهم شيئا قليلا. وعنه: خلف بن هشام، وزكريا بن يحيى بن أسد، ويحيى بن أبي طالب. توفي سنة (200هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج9/ 339-345). راجع: طبقات الصوفية للسلمي، (ص:80).

(4) رواه: أبو نعيم في حلية الأولياء، (ج8/ 366)؛ قال: حدثت عن المهلبي، قال الأنصاري، رأيت معروفًا الكرخي في النوم...

(5) ذكره: ابن القيم في كتاب الفوائد، (ص:128).

(6) هو ذو النون المصري؛ الزاهد، شيخ الديار المصرية، ولد في أواخر أيام المنصور. وروى عن: مالك، والليث، وسفيان ابن عيينة، وطائفة. وعنه: أحمد بن صبيح الفيومي، وربيعة بن محمد الطائي، والجنيد بن محمد الزاهد، وآخرون. قال الدارقطني: (روى عن مالك أحاديث فيها نظر، وكان واعظًا). توفي سنة (246هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج11/ 532-536).

فَأمّا الّذي هو حُبُّ الوُدادِ ... فَحُبٌّ شُغِلتُ بِه عن سِواكا
وأمّا الّذي أنت أهلٌ لَهُ ... فَكَشفُ الحُجبِ حَتّى أراكا[1]

وذكَرَ أبو الفرجِ ابنُ الجوزيِّ في «مناقِب أحمد»[2] بإسنادِه عن عليِّ بن الموفق[3] في منام رآه، وفيه: ورَأيتُ رَجُلًا في وسَطِ الجنّة شاخِصًا ببصَره إلى الله عَزَّوَجَلَّ لا يطرُفُ، فقُلتُ: مَن هذا؟ قالوا: هذا معروفٌ الكرخيُّ عَبَدَ اللهَ لا خوفًا مِنَ النّارِ ولا شَوقًا إلى الجنّة، ولكِن عبد اللهَ شَوقًا إلى الله، فقد مَكَّنَه مِنَ النّظَرِ، ينظُر إليه كما شاءَ، وفي بَقيّة المنام ذُكِرَ بشرٌ الحافي وأحمدُ بن حَنبَلٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ.

قال القُشيريُّ[4]: سَمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدّقّاق[5] يُفرِّق بينَ الشّوقِ

---

(1) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء، (9/ 348)؛ من طريق: عثمان بن محمد بن عثمان، قال: ثنا محمد بن أحمد الواعظ، ثنا العباس بن يوسف الشكلي، ثنا سعيد بن عثمان، قال: كنت مع ذي النون...-مطولًا-.

(2) رواه: ابن الجوزي في مناقب أحمد، تحقيق/ عبد الله بن عبدالمحسن التركي، وعلي محمد عمر، طبعة مكتبة الخانجي، (ص: 537- 538)؛ من طريق: عبدالملك بن أبي القاسم، قال: أنا عبد الله بن محمد الأنصاري، قال: أنا أبو يعقوب، قال: أنات الحسن بن حفص الأندلسي، قال: ثنا أبو محمد الحسين بن أحمد التستري، قال: ثنا أبو محمد بن الحسن بن سهل، قال: ثنا أبو القاسم عبيدالله بن يعقوب -المفسر-، قال: حدثنا يعقوب بن يوسف الأنصاري، قال: ثنا أبي، قال: سمعت علي بن الموفق، يقول:....

(3) هو علي بن موفق، أبو الحسن العابد. حدث عن: منصور بن عمار، وأحمد بن أبي الحواري. روى عنه: أحمد بن مسروق الطوسي، وعباس بن يوسف الشكلي. وهو عزيز الحديث، وكان ثقة. توفي سنة (265هـ). انظر: طبقات الحنابلة؛ للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى، تحقيق/ محمد حامد الفقي، طبعة مطبعة السنة المحمدية، (ج1/ 230-232).

(4) انظر: الرسالة للقشيري، (ص:533).

(5) هو الحسن بن علي بن محمد، الأستاذ أبو علي الدقاق الزاهد النيسابوري. شيخ الصوفية، وشيخ أبي القاسم القشيري. سمع: أبا عمرو بن حمدان، وأبا الهيثم محمد بن مكي، وأبا علي محمد بن عمر. توفي في ذي الحجة سنة (405هـ). انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، (ج9/ 104-105).

والاشتياقِ، ويَقولُ: الشّوقُ يسكنُ باللِّقاءِ، والاشتياقُ لا يزول باللِّقاءِ، وأنشَدوا في معناه [من البسيط]:

ما يَرجِعُ الطّرفُ عنه عند رُؤيَتِهِ حَتّى يَعودَ إليها الطّرفُ مُشتاقا(1)

فعلى هذا تبقَى الأقوال ثلاثة.

الثّالث: يفرّق بينَ الشّوقِ والاشتياق.

قلت: وأنا أستشكلُ هذا الشّوقَ يزولُ أم لا يزولُ، إنّما يُعرف هذا بوقوعه، وهذا لم يقَع بعدُ لِأحَدٍ، ولا يُمكن تشبيهُه بحالِ المخلوقينَ، فكيفَ يُقال ذلك، وقال الدّقّاقُ في قولِ موسَى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ۝٨٤﴾ [طه: 84]، قال: معناه: شوقًا إليك. فسَتَرَه بلفظِ الرِّضا.

وقيلَ: مَنِ اشتاقَ إلى [131/ ب] الله اشتاقَ إليه كُلُّ شيءٍ، وفي مثلِ هذا المعنَى قيلَ [من الطويل]:

إذا اشتاقَتِ الخيلُ المناهِلَ أعرَضَت عَنِ الماءِ فاشتاقَت إليها المناهِلُ(2)

وأمّا شوقُ العُبّادِ إلى الجنّة، بل شوقُ جميعِ المُؤمنين إليها من مَهمّاتِ أُمورِهم وسُرور صُدُورِهم وفرَحِهم بمظفورِهم، فإنّهم إذا حصلَت لهم أمِنوا مِنَ المخافاتِ في دارِ الكراماتِ، وهذا الشّوقُ إلى الجنّة لا يُنافي الشّوقَ إلى الله تعالى، فإنّ أطيَبَ ما في الجنّة والذّ ما فيها رُؤيةُ وجهِه الكريمِ، وسماعُ كلامِه العظيمِ، والقُربُ من جنّابِ الحليمِ، ورِضاه

(1) البيت منسوب لأبراهيم بن العباس الصولي، في الدر الفريد، (ج9/ 220)، رقم (13507). وفي العقد الفريد لابن عبدالبر، تحقيق/ عبدالمجيد الرحيني، طبعة دار الكتب العلمية، (ج8/ 130)، أن البيت مكتوب على عصابة «مزاج»، وهي من مواجن أهل بغداد.

(2) البيت لأبي العلاء المعري في: سقط الزند، لأبي العلاء المعري، طبعة دار صادر، (ص:195). والحماسة المغربية؛ لأبي العباس أحمد بن عبدالسلام الجراوي، تحقيق/ محمد رضوان الداية، طبعة دار الفكر، (ج2/ 1147). والدر الفريد؛ للمستعصمي (ج2/ 284).

عن أهل النّعيم، ولهذا جاءَ في «صَحيح مُسلِم»[1] مرفوعًا: «إذا دَخَلَ أهل الجنّة الجنّة نادَى مُنادٍ، يا أهلَ الجنّة؛ إنّ لَكم عندَ الله مَوعِدًا، فَيَقولونَ: ما هو؟ ألم تُبيِّض وُجوهَنا، وتُدخِلنا الجنّة، وتُجرنا مِنَ النّارِ، قال: فَيكشِفُ الحِجابَ، فَيَنظُرونَ إليه سُبحانَه، فَما أعطاهم شَيئًا أحَبَّ إليهم مِنَ النّظَرِ إليه، وهو الزّيادة».

فبيَّنَ النّبيُّ ﷺ أنّه معَ كمالِ تَنَعّمِهم بما أعطاهم الله في الجنّة لم يُعطِهم شَيئًا أحَبَّ إليهم مِنَ النّظَرِ إليه، وإنّما يكونُ ذلك أحَبَّ إليهم؛ لأنّ تنَعّمَهم به وتلَذُّذَهم به أعظَمُ مِنَ التّنَعُّم والتّلَذُّذِ بغيره، فإنّ اللّذةَ تتبع الشُّعورَ بالمحبوبِ، فكلّما كان الشّيءُ أحبَّ إلى الإنسانِ كان حصولُه ألذّ له وتنعمُه به أعظَمَ[2].

فمَن طَلَب الشّوقَ إلى الجنّة لِغير هذا؛ مِنَ الأكلِ والشُّربِ والحورِ العينِ؛ فهو طَلَبٌ وشوقٌ ناقِصٌ بالنِّسبةِ إلى شوق المُحبّينَ إلى الله تعالَى، بل لا نِسبة إليه بوَجهٍ مِنَ الوُجوه؛ لأنّه شوقٌ زَرعه الحُبُّ الّذي سَبَبُه الإحسانُ والمِنّة والنِّعَمُ منه وإليه.

قال العِمادُ الواسِطيُّ[3]: مَن قامَ بالعِلم والعمَلِ ظاهِرًا؛ فقد كمُلَ فِطرَتُه الجِبلّيّة والنّفسيّة، ومَن قامَ بحقِّ المُراقبةَ في قلبه لله عَزَّوَجَلَّ؛ فقد كمُلَ فطرَتُه القلبيّة، ويَبقَي عليه تكميلُ فِطرته الرّوحيّة، وذلك فتحٌ يفتحُه الله علَى عبادِه المُحبّينَ لَه، المُشتاقينَ إليه، الطّالِبينَ قربَه، المُهتمّين بذلك ليلهم ونَهارَهم. إلى أن قال: ومشهَدُ القُلوبِ، هو مشهَدُ الأرواحِ فيكمُلُ به الفِطَرُ الرّوحيّة، ويلتَهِبُ الباطنُ بأنوارِ محبّة الله عَزَّوَجَلَّ الخاصّة، ويروق

(1) صحيح مسلم، رقم (297- 181). (2) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية، (ج1/ 26).

(3) قواعد في السير إلى الله (ص: 89).

فيه الفناءُ، ثُمَّ البقاءُ، ثُمَّ السُّكرُ، ثُمَّ الصّحوُ لِمَن رزَقَه الله تعالى ذلك مِن عِبادِه، وهو فضلُ الله تعالى يُؤتيه مَن يَشاءُ، والله ذو الفضلِ العظيم. انتَهى [131/ أ].

فَصْلٌ

ومراتِبُ المحبّة علَى ما ذكرَها غيرُ واحِدٍ مِنَ العُلماءِ وأربابُ السُّلوكِ، ممَّن صنّفَ في هذا الفنِّ، لكنّ مِنَ العُلماء مَن ذكَرَ المحبّة من حيثُ هي، ولَم يُفرِّق بينَ محبّة الرّحمن ومحبّة المُردانِ، بلِ الشّخصُ إذا طالعه لم يُميِّز بينَ المحبّة الخاصّة والمُشتركةِ، ثُمَّ منهم مَن جعَلَها ثلاثَ مراتِبَ، ومنهم مَن عدَّها سبعة، ومنهم مَن عدَّها عشرةً.

فمنها: دوامُ ميلِ القلبِ إلى المحبوبِ، وتُسمَّى مرتبةَ الميلِ، وهذه المرتبة مدخولة؛ لأنّها مُشتركةٌ بينَ الصّحيحةِ والمعلولةِ، فما يُفهم صِحّتُها إلّا بقدرٍ زائدٍ علَى هذا الحدِّ.

وثانيها: العلاقة، وسُمّيت علاقةً؛ لِتعَلُّقِ القلبِ بالمحبوبِ، ومنهم مَن جعَلَ هذه المرتبة أوّلَ مراتِبِ المحبّة، كالعلّامة ابنِ القيِّم[1] وغيرِه، وهي أيضًا مُشتركةٌ بينَ المحبّتَينِ، وسمِعتُ من شَيخِنا القاضي شمسَ الدّينِ ابنَ مُفلحٍ[2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُنشد مِرارًا [من الطويل]:

ثَلاثةُ أحبابٍ: فَحُبٌّ عَلاقة وَحُبٌّ تِمِلّاقٍ، وحُبٌّ هو القتلُ[3]

---

(1) راجع: مدارج السالكين لابن القيم، (ج3/ 27).

(2) انظر: الآداب الشرعية لابن مفلح، (ج3/ 249)؛ وقال: «قال ابن الأنباري: قال ثعب: أنشدنا ابن الأعرابي:....

(3) البيت أنشده ابن الأعرابي في الزاهر في معاني كلمات الناس؛ للأنباري، تحقيق/ حاتم صالح الضامن، طبعة مؤسسة الرسالة، (ج1/ 129).

وثالِثُها: الإرادة، وهيَ ميلُ القلبِ إلى مَحبوبِه، وطلَبُه لَه. وهذه الرُّتبة كالأولى، والكلام فيها كما ذكرناه في الأولَى.

ورابِعُها: الصّبابة[1]، وهيَ انصِبابُ القلبِ إليه، بحيثُ لا يملِكُه صاحِبُه؛ كانصِبابِ الماءِ النّازِل مِنَ السّماءِ إلى الأرضِ.

وقال العلّامة ابنُ القيّم[2]: ويُقال: صَبا وصَبوة، وصُبابة، فالصّبا أصلُ الميلِ، والصّبوةُ فوقَه، والصّبابةُ: الميلُ اللّازمُ للقَلبِ. انتَهى.

فظاهِرُ هذا اللّفظِ أنّه جعَل هذه المادّة ثلاثَ مراتِبَ.

وخامِسُها: الغرامُ[3]، وهو الحُبُّ [132/ ب] اللّازمُ للقَلبِ الّذي لا يُفارِقُه، بل يُلازِمُه كمُلازَمة الغريم غَريمَه، ومنه سُمّي عذابُ جهنّم، كما قال تعالَى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: 65] لِلزومِه لأهله المُعذّبين، وعدَمِ مُفارقتِه لهم، نسأل اللهَ العافيةَ.

وسادِسُها: الودادُ[4] وهو صَفوةُ[5] المحبّة، وخالِصُها ولُبُّها، والودودُ من أسماء الرّبِّ. وفيه قولانِ: أحدُهما: أنّه المودودُ. قال البُخاريُّ في صحيحِه[6]: الودودُ: الحبيبُ. والثّاني: أنّه الوادُّ لِعَبادِه؛ أي: المُحِبُّ لهم،

---

(1) صب: الصاد والباء أصل واحد، وهو إراقة الشيء... والصبابة من صب إليه، ورجل صب؛ إذا غلبه الهوى، وهو من انصباب القلب. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج3/ 280-281).

(2) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، (ج3/ 27).

(3) غرم: الغين والراء والميم أصل صحيح يدل على ملازمة ومُلازّة. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج4/ 419).

(4) ود: الواو والدال: كلمة تدل على محبة. وددته: أحببته. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج6/ 75).

(5) في الأصل: صفة، والمثبت من حاشية الأصل بغير خطِّ المصنف. وفي المدارج: صفو.

(6) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾. وقال ابن عباس: المجيد: الكريم، والودود: الحبيب...، قبل حديث (7418).

ومنه قولُه ﷺ: «تَزَوَّجوا الودودَ الولودَ»، رواه سَعيدُ بن منصورٍ مرفوعًا[1].

وسابِعُها: الشَّغَفُ[2]، يُقالُ: شُغِفَ بكذا، فهو مشغوفٌ به، إذا أحَبَّه حُبًّا شَديدًا، قال العُزَيريُّ[3] في «غريبِ القرآن»[4] لَه: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: 30]؛ أي: أصابَ حُبُّه شِغافَ قلبِها. ثُمَّ قال: والشِّغافُ: غِلافُ القلبِ، ويُقالُ: حَبّةُ القلبِ؛ وهيَ علقةٌ سوداءُ في صَميمِه و﴿شَغَفَهَا حُبًّا﴾: ارتفَعَ حبُّه إلى أعلَى موضعٍ في قلبِها، مُشتَقٌّ من شِغابِ[5] الجبالِ؛ أي: رءوس الجبالِ، وقولُهُم: فُلانٌ مشغوفٌ بفلانة؛ أي: يذهَبُ به الحُبُّ أقصَى المذاهِبِ. انتَهَى. فعلى هذا يكونُ نِهايةُ المحبّةِ الشَّغفَ، وليسَ الأمرُ كذلك.

---

(1) رواه: 1- سعيد بن منصور في سننه، رقم: (490)؛ من طريق: خلف بن خليفة، قال: نا حفص بن عمرو، عن أنس بن مالك؛ يرفعه.. 2- الإمام أحمد في مسنده: - (ج20/ 63)، رقم (12613). و(ج21/ 191-192)، رقم (13569). من نفس طريق سعيد بن منصور.

3- ابن حبان في صحيحه: (ج3/ 64)، ذكر العلة التي من أجلها نهي عن التبتل، رقم (1977)؛ من نفس طريق سعيد بن منصور. و(ج3/ 88)، ذكر الزجر عن أن يتزوج المرء من النساء من لا تلد، رقم (2043)؛ من طريق: يزيد بن هارون، قال: أخبرنا المستلم بن سعيد، عن منصور بن زاذان، عن معاوية بن قرة، عن معقل بن يسار، قال: أن رجلًا جاء إلى رسول الله ﷺ...الحديث. و(ج3/ 251-252) ذكر الزجر عن تزويج الرجل من النساء من لا تلد، رقم (2358)؛ من طريق: يزيد بن هارون...به.

(2) شغف: الشين والغين والفاء كلمة واحدة، وهي الشغاف، وهو غلاف القلب. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج3/ 195).

(3) هو الإمام أبو بكر محمد بن عزير السجستاني المفسر، مصنف «غريب القرآن»، كان رجلا فاضلا خيرا. والصحيح عُزير براء. بقي إلى حدود (330هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (ج15/ 216-217).

(4) انظر: غريب القرآن، المسمى بنزهة القلوب، تحقيق/ يوسف عبدالرحمن المرعشلي، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، (ص:286).

(5) كذا في الأصل، وحاشية الأصل عند المقابلة بغير خطِّ المصنف: «شغاف». وفي نزهة القلوب: «شغفات».

وقد ذكَر أبو الفرج ابنُ الجوزيِّ في «تفسيره»[1] أربعةَ أقوالٍ في قولِه: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: 30]:

أحدها: أنّه جِلدةٌ بينَ القلبِ والفُؤادِ، رواه عِكرمةُ، عنِ ابنِ عبّاسٍ[2].

الثّاني: غِلافُ القلبِ، قاله أبو عُبيدةَ[3]. قال ابنُ قُتَيبةَ: ولم يُرِدِ الغِلافَ، إنّما أراد القلبَ[4].

والثّالث: أنّه حبّة القلبِ وسوَيداؤه، قاله الزّجّاجُ[5].

الرّابع: أنّه داءٌ يكون في الجوفِ في الشّراسيف[6]. قال الأصمَعيُّ: الشِّغافُ عندَ العربِ داءٌ يكونُ في الشّراسيف في الجانبِ الأيمنِ مِنَ البطنِ، والشّراسيفُ: مقاط رؤوسِ الأضلاعِ[7]. انتهى [132/ أ].

(1) انظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، (ج4/ 214).

(2) روى ابن أبي حاتم في تفسيره، تحقيق/ أسعد محمد الطيب، طبعة مكتبة نزار مصطفى الباز، (ج7/ 2131): ورقم (11522)؛ عن إسرائيل، عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس، ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾، قال: قد علقها حبًا. ورقم (11526)؛ عن عبدالله، قال: ثنا الحسين، ثنا عامر، ثنا أسباط، عن السدي، وأما ﴿شَغَفَهَا حُبًّا﴾، قال: الشغاف، جلدة على القلب لباس القلب، يقول: ما دخل ذلك الجلد حتى أصاب القلب.

(3) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة، تحقيق/ محمد فؤاد سزكين، طبعة مكتبة الخانجي، (ج1/ 308)؛ بلفظ: «أي: وصل الحب إلى شغاف قلبها، وهو غلافه».

(4) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة، تحقيق/ السيد أحمد صقر، (ص:215).

(5) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، تحقيق/ عبدالجليل عبده شلبي، طبعة عالم الكتب، (ج3/ 105)؛ وقال: أي: بلغ حبه إلى شغاف قلبها، وفي الشغاف ثلاثة أقوال: قال بعضهم: الشغاف غلاف القلب، وقيل: هو داء يكون في الجوف في الشراسيف...ذهب به الحب أقصى المذاهب. وإنما ذكر هذا المعنى، مكي بن أبي طالب، في الهداية إلى بلوغ النهاية، طبعة جامعة الشارقة، (ج5/ 3549)، فقال: «وقيل: الشغاف: حبة القلب، وسويداؤه».

(6) الشّراسيف: جمع شرسوف بوزن عصفور، وهو غضروف معلق بكل ضلع مثل غضروف الكتف. انظر: لسان العرب لابن منظور، (ج9/ 175) مادة: (ش ر س ف).

(7) انظر: تهذيب اللغة (ج11/ 449).

وثامنها: العِشقُ؛ وهو الحُبُّ المُفرِطُ الّذي يُخافُ علَى صاحبه التّلَفُ، وبه فُسِّر قولُه تعالَى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: 286]، رواه الثّوريُّ(1) عن منصورٍ(2)، عن إبراهيمَ النّخعيِّ(3)(4). وقال مكحولٌ(5): الغِلمة(6).

(1) هو سفيان بن سعيد بن مسروق. شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه، أبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد، مصنف كتاب «الجامع». ولد سنة (97هـ). طلب العلم وهو حدث باعتناء والده. روى عن: إسماعيل السدي، وخالد الحذاء، وعاصم الأحول، وخلق كثير. روى عنه: الأعمش، والأوزاعي، ومسعر، وأمم سواهم. قال يحيى بن معين: لا يقدم على سفيان أحدًا في زمانه، في الفقه والحديث والزهد وكل شيء. توفي سنة (161هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج7/ 229-279).

(2) هو منصور بن المعتمر، الحافظ الثبت القدوة، أبو عتاب السلمي الكوفي أحد الأعلام. يروي عن: أبي وائل، وإبراهيم النخعي، وعبدالله بن مرة، وطبقتهم. حدث عنه: حصين بن عبد الرحمن، وأيوب السختياني، وسفيان بن عيينة، وخلق كثير. قال أبو بكر بن عياش: (رحم الله منصورًا، كان صوامًا قوامًا). توفي سنة (133هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج5/ 402-412).

(3) هو الإمام الحافظ، فقيه العراق، أبو عمران، إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي، اليماني ثم الكوفي. روى عن مسروق، والقاضي شريح، وهمام بن الحارث، وخلق سواهم من كبار التابعين. روى عنه: الحكم بن عتيبة، وسماك بن حرب، ويزيد بن أبي زياد، وخلق سواهم. كان بصيرا بعلم ابن مسعود، فقيه النفس، كبير الشأن، كثير المحاسن. توفي سنة (96هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج4/ 520-529).

(4) رواه: الثعلبي في الكشف والبيان (ج7/ 599) من طريق الفريابي، عن سفيان الثوري، عن منصور، عن إبراهيم في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ قال: الحب.

(5) مكحول الأزدي البصري أبو عبدالله. روى عن: ابن عمر، وأنس. وعنه: عمارة بن زاذان، والربيع بن صبيح، وهارون بن موسى النحوي. وثقه يحيى بن معين، وقال أبو حاتم: (لا بأس به). قال إسماعيل بن أمية: قال لي مكحول: عامة ما أحدثك فعن سعيد بن المسيب والشعبي. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج5/ 160-164).

(6) رواه: الخرائطي في اعتلال القلوب، (ج1/ 105)، رقم (203)؛ من طريق: محمد بن شعيب بن شابور، عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن أبيه، عن مكحول. وابن أبي حاتم في تفسيره (ج2/ 581)، رقم (3105)؛ من طريق الوليد بن مسلم، عن ابن ثوبان، به.

والغلمة: (غلم) الغين واللام والميم أصل صحيح يدل على حداثة وهيج شهوة. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج4/ 387).

والجمهورُ علَى أنّه ما يصعُب ويشقُّ مِنَ الأعمالِ(1). وقال مُحمَّدُ بن كعبِ القُرَظيُّ(2): هو العِشقُ(3). وقد روي أنّه رُفع إلى ابنِ عبّاسٍ شابٌّ -وهو يعرِفُهُ- قد صارَ كالخلالِ(4). فقال: ما به؟ قالوا: العِشقُ. فجَعَلَ ابنُ عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عامّة دُعائِه بعرَفة: الاستِعاذة مِنَ العِشقِ(5).

وفي اشتِقاقه قولانِ: أحدُهُما: مِنَ العشَقة؛ وهو نبتٌ أصفرُ يلتَوي علَى الشّجَرِ، فشُبِّهَ به العاشِقُ(6).

الثّاني: أنّه مِنَ الإفراطِ في المحبّة(7)، وكُلُّ مرتبةٍ ذكرناها فهي مدخولةٌ للاشتِراك وعدَم التّمييز إلّا هذه المرتبة، فإنّ الرّبَّ لا يوصف به، ولا يوصف به العبدُ أيضًا في محبّة ربِّهِ(8).

---

(1) قال الطبري في تفسيره، (ج5/ 161): يعني بذلك جل ثناؤه: وقولوا أيضًا: ربنا لا تكلفنا من الأعمال ما لا نطيق القيام به لثقل حمله علينا. وكذلك كانت جماعة أهل التأويل يتأولونه.

(2) هو محمد بن كعب، الإمام الصادق، القرظي المدني، من حلفاء الأوس، وكان أبوه كعب من سبي بني قريظة، سكن الكوفة، ثم المدينة. حدث عن: أبي أيوب الأنصاري، وأبي هريرة، وابن عباس، وطائفة. روى عنه: يزيد بن الهاد، وابن عجلان، وأبو معشر نجيح، وخلق كثير. وكان من أوعية العلم. توفي سنة (108هـ) -وقيل غير ذلك-. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج5/ 65-68).

(3) لم أقف عليه.

(4) الرجل الخل: وهو النحيف الجسم. انظر: مقاييس اللغة لابن الفارس، (ج2/ 155)، مادة (خل).

(5) رواه: الخرائطي في اعتلال القلوب (ج2/ 373)، رقم (765)؛ من طريق: الزبير بن بكار، قال: حدثنا محمد بن عيسى بن بكار، عن فليح بن إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير، عن عبد لملك بن صالح، عن عمه، عن سليمان بن علي، عن عكرمة، قال: إنا لمع عبد الله بن عباس عشية عرفة...

(6) العشقة: شجرة تخضر ثم تدق وتصفر؛ عن الزجاجي، وزعم أن اشتقاق العاشق من ذلك. انظر: المحكم والمحيط لاب سيده، طبعة دار الكتب العلمية، (ج1/ 144).

(7) سئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن الحب والعشق أيهما أحمد؟ فقال: الحب؛ لأن العشق فيه إفراط. انظر: تهذيب اللغة للأزهري، (ج1/ 170).

(8) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب النبوات، تحقيق/ عبدالعزيز بن صالح الطويان،=

وتاسِعُها: التّتَيُّمُ وهو التّعبُّدُ والتّذلُّلُ[1]، يُقال: تيَّمَه الحُبُّ؛ أي: ذلّله وعبَّدَه، وتَيمُ الله؛ أي: عبد الله. والتّتَيُّمُ فيه مُناسبة لليتيم في الاشتقاقِ الأوسطِ الّذي يَشترك في الحروفِ لا في ترتيبها، وفيه مُناسبة في المعنَى، فإنّ المُتيَّمَ منفرِدٌ بحبِّه وشجوِه، كانفَرادِ اليتيم بنَفسِه عن أبيه، وكُلٌّ منهما ذَليلٌ مكسورٌ.

وعاشرُها: التّعبُّدُ، وهو فوقَ التّتَيُّم، فإنّه إذا كان في رقِّ العُبوديّة لم يبقَ له من نفسِه شَيءٌ، بل كُلُّه عبد لِمحبوبه ظاهِرًا وباطنًا، وهذا هو حقيقة العُبوديّة، ولَم يظهَر لي بينَ التّتَيُّم الّذي هو التّعبُّدُ، وهذا التّعبُّدُ بينَهُما فرقٌ، فإنّ الشّخصَ لا يُفرِّقُ بين المُتماثِلاتِ [133/ ب].

قال العلّامة ابنُ القيِّم[2] عن هذه المرتبة: ولَمّا كمّل سيِّدُ ولَدِ آدمَ ﷺ هذه المرتبة وصَفَه الله تعالى بها في أشرَفِ مقاماتِه مَقام الإسراءِ؛ كقولِه تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: 1]، ومَقام الدّعوة؛ كقولِه: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ﴾ [الجن: 19]، ومقام التّحدّي كقولِه: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾ [البقرة: 23] وبذلك استَحَقَّ التّقديمَ علَى الخلائقِ في الدُّنيا والآخرةِ، وكذلك يقولُ المسيحُ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لَمّا طلَبوا منه الشّفاعةَ بعدَ الأنبياءِ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ: «اذهبوا إلى محمّد، عبدٌ قد غُفِرَ له من ذَنبِه ما تَقدمَ وما تأخّرَ»، انتهى.

=طبعة أضواء السلف، (ج1/ 446): فالألفاظ المجملة التي قد يفهم منها معنى فاسد إذا لم ترد في كلام الشارع لن نكن محتاجين إلى إطلاقها؛ كلفظ «العشق».

(1) تيم: التاء والياء والميم أصل واحد، وهو التعبيد. يقال تيمه الحب إذا استعبده. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج1/ 361).

(2) مدارج السالكين بين منازل إيّاك نعبد وإيّاك نستعين (ج3/ 29-30).

وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ[1]: حصَلَت للنّبيِّ ﷺ هَذه المرتبة بتكميل عبوديَّته لله تعالَى، وكمالِ مغفِرة الله لَه. وحَقيقةُ العُبوديّة: الحُبُّ التّامُّ معَ الذُّلِّ التّامِّ والخُضوعِ للمَحبوب. انتَهى كلامُه.

فحينئذٍ حقيقةُ العُبوديّة، وهل تُمكنُ الإنابةُ بدونِ المحبّة والرِّضا بدونه، أوِ الحمدِ أوِ الشُّكرِ أوِ الخوفِ والرّجاءِ؟! وهَلِ الصّبرُ في الحقيقةِ إلّا صبرُ المُحِبّينَ؟! فإنّه إنّما يصبرُ علَى المحبوبِ في حُصولِ محابِّه ومَراضيه.

وكذلك الزُّهدُ في الحقيقةِ زُهدُ المُحبّينَ، فإنّهم يَزهَدونَ في محبّة ما سِواه لِمَحبّته، وكذلك الحياءُ في الحقيقة: إنّما هو حياءُ المُحبّينَ، فإنّه يتَولَّدُ من بينَ الحُبِّ والتّعظيم، وعلَى هَذا فقِس ما يرِدُ علَيكَ.

مقامُ الخُلّة[2]: فمِنَ النّاسِ مَن عدَّها في المراتبِ، وجعَلَها نهايةَ المراتبِ، ومِنَ النّاسِ مَن ذكَرَها في ضمنِ الخصائصِ الّتي للنّبيِّ ﷺ، ولا شَكَّ أنّها مَرتبةٌ انفَرَدَ بها الخليلانِ مُحمَّدٌ وإبراهيمُ صلى الله عليهما وسلم، ففي «الصّحيحينِ»: **«إنّ اللهَ اتّخذَني خليلًا، كما اتّخذَ إبراهيمُ خليلًا»**[3]، وقال: **«لو كُنتُ مُتَّخِذًا خليلًا لاتّخذتُ أبا بكرٍ خليلًا، ولَكِنّ صاحِبَكُم خليلُ الرّحمَنِ»**[4].

وفي «مسند أحمد»[5]: **«إنّي أبرَأُ إلى كُلِّ خَليلٍ من خِلّة، ولو كُنتُ**

---

(1) المستدرك على مجموع لفتاوى (ج1/ 118)، وانظر: مدارج السالكين (ج3/ 30).

(2) الخلة: الصداقة المختصة التي ليس فيها خلل. انظر: لسان العرب لابن منظور، (ج11/ 216). (3) رواه: مسلم في صحيحه، رقم (23-532).

(4) رواه: مسلم في صحيحه، رقم (23-532).

(5) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده: (ج6/ 55-56)، رقم (3880) من طريق: سفيان، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، عن النبي ﷺ:....

2- مسلم في صحيحه، رقم (2383).

مُتَّخِذًا خليلًا، لاتَّخذتُ أبا بكرٍ خليلًا، وإنّ صاحِبَكم خليلُ الله عَزَّوَجَلَّ».

فلِهذا لم أذكُر هذه المرتبةَ معَ المراتبِ؛ لِشرفِها. وقدِ اشتُهِر بينَ العوام أنّ الخُلّة لإبراهيمَ، والمحبّة لِمُحمَّدٍ، هذا خليلُه وهذا حَبيبه، وهذا باطِلٌ كذبٌ يردُّه ما قدَّمناهُ[1].

قال العُزَيزيُّ[2]: الخليلُ: الصّديقُ، وهو [133/ أ] فعيلٌ مِنَ الخُلّة؛ أي: الصّداقة والمودّة. انتهى.

وقال ابنُ عبّاسٍ في قولِه: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [النساء: 125] الخليلُ: الصّفيُّ[3]. وقال غيرُه: المُصافي[4].

وقال الزّجّاجُ: هو المُحبُّ الّذي ليسَ في محبّتِه خلَلٌ. وقيلَ: الخليلُ الفقيرُ[5].

وقال أبو الفرج ابنُ الجوزيِّ[6]: فجائزٌ أن يكونَ إبراهيمُ سُمّي خليلَ الله بأنّه أحبَّه محبّة كاملة، وجائزٌ أنّه لم يجعَل فقرَه وفاقَته إلّا إليه. والخُلّة: الصّداقة؛ لأنّ كُلَّ واحِدٍ يسدُّ خلَلَ صاحبِه.

---

(1) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب العبودية، تحقيق/ محمد زهير الشاويش، طبعة المكتب الإسلامي، (ص:109): «وقول بعض الناس: إن محمدًا حبيب الله، وإبراهيم خليل الله، وظنه أن المحبة فوق الخلة؛ قول ضعيف، فإن محمدًا أيضًا خليل الله، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة المستفيضة».

(2) تقدَّمت ترجمته قريبًا. وكلامه في كتابه غريب القرآن، المسمى بنزهة القلوب، تحقيق/ يوسف عبدالرحمن المرعشلي، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، (ص:217).

(3) قال الثعلبي في تفسيره، (ج11/ 19): «قال الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾، يقول: صفيًا».

(4) ذكره: ابن الجوزي في زاد المسير، (ج2/ 211).

(5) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، (ج2/ 112).

(6) انظر: زاد المسير لابن الجوزي، (ج2/ 211).

وقال ابنُ الأنباريِّ[1]: الخُلّة: المودّة. وقال بعضُ أهل اللُّغةِ: الخليلُ: المُحبُّ الّذي ليس في محبّتِه نقصٌ ولا خلَلٌ.

فَصْلٌ

وليحذَر السّالكُ كُلَّ الحذَرِ أن لا يُحبَّ أحَدًا إلّا لله، لا لِغرضٍ من أغراضِ النّفسِ، ولا لِدُنيا من إحسانٍ أو غيره، فمَن أحَبَّ شيئًا لغيرِ الله فالضّرَرُ حاصِلٌ له إن وُجِدَ أو فُقِدَ، فإن فُقِدَ تعَذَّبَ بالفِراقِ وتألَّم، وإن وُجِدَ فإنّه يحصُلُ له مِنَ الألم أكثَرُ ممّا يحصُلُ له مِنَ اللّذّة، وهذا أمرٌ معلومٌ بالاعتِبارِ والاستِقراءِ. فكُلُّ مَن أحَبَّ شيئًا دونَ الله لغيرِ الله فإنّ مضرّتَه أكثَرُ من منفعتِه، فإنّ المحبّة المُطلقةَ يشتَرِكُ فيها محبّة الرّحمنِ ومحبّة الأوطانِ والإخوانِ ومحبّة الأثمانِ ومحبّة النِّسوانِ والمُردانِ. ولو حصَلَ للعبدِ مِنَ اللّذّاتِ والسُّرورِ بغيرِ الله ما حصَلَ لم يدُم له ذلك، بل ينتَقِلُ من نوعٍ إلى نوعٍ، ومن شخصٍ إلى آخَرَ، ويتَنَعَّمُ بهذا في وقتٍ ثم يُعذَّب به، ولا بُدَّ في وقتِ ملابستِه من جنسِ ما يحصُلُ للجُربِ من لذّة الأظفارِ الّتي تحكُّه وتحرقه وتزيدُ في ضرَرِه، وهو يُؤثر ذلك لِما له في حكِّها مِنَ اللّذةِ، وهكذا إمّا يتَعذَّبُ به القلبُ من محبّة غيرِ الله تعالى هو عذابٌ عليه ومضرّة وألَمٌ في الحقيقة، فالعاقِلُ يوازِنُ بينَ الأمرَينِ ويُؤثِرُ أرجَحَهُما وأنفعَهُما، والله الموفِّقُ المُعين.

وقد تقدم لنا أنّ الحُبَّ في الله والبُغضَ في الله من أوثَقِ عُرَى الإيمانِ، بَل إذا أحَبَّ مَن أحسَنَ إليه أحَبَّه لِكونه اتَّصَفَ بما أمَرَه الله به، وأنّه اجتَنَبَ نزعه منه، وهو الإحسانُ إلى عِبادِه.

---

(1) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، للأنباري، تحقيق/ حاتم صالح الضامن، طبعة مؤسسة الرسالة، (ج1/ 493).

وليحذَرِ السّالِكُ مِن محبّة المُردانِ، ولا يقولُ: إنّما أُحبه لله، وإنّما والله يُحبُّه لأمرٍ لو انقَضى لانقَضَت محبَّتُه، وكذلك كُلُّ محبّة عارضة لأمرٍ لو انقَضَى لانقَضَت تلكَ المحبّة، وغالِب مَن تحصُلُ له محبّة المُردانِ أوِ الأجنبيّاتِ مِنَ النِّسوانِ، إنّما هو لِعدم حِفظِ العينِ مِنَ النّظرِ، فإنّ النّظرَ إلى المِلاحِ هو زنا البصَرِ، ولا يقولُ: أنا أنظر بغير شهوة، بل يجتَنِبُ النّظرَ ولو بغير شهوة، فإنّ ذلك ذريعة إلى الشّهوةِ، كما قيلَ [من البسيط]:

كُلُّ الحوادِثِ مَبداها مِنَ النّظَرِ ... وَمُعظَمُ النّارِ من مُستَصغَرِ الشَّرَرِ

كَم نَظرَةٍ فَعَلَت في قَلبِ صاحِبِها ... فِعلَ السِّهامِ بِلا قَوسٍ وَلا وَتَرِ

والمرءُ ما دامَ ذا عَينٍ يُقَلِّبُها ... في أعيُنِ العِينِ مَحمولٌ على الخَطَرِ

يَسُرُّ ناظِرَه ما ضَرَّ خاطِرَه ... لا خَيرَ في لَذّة من بعدِها سَقَرُ(1)

وقيلَ أيضًا [من الطويل]:

وَإنّكَ إن أرسَلتَ طَرفَكَ رائِدًا ... لِقَلبِكَ يومًا أتعَبَتكَ المناظِرُ

رَأيتَ الّذي لا كُلُّه أنت قادِرٌ ... عليه ولا عن بعضه أنت صابِرُ(2)

بل قال بعضُ أربابِ السُّلوكِ: ينبَغي للسّالِكِ أن يحسِمَ مادّة النّظَرِ [134/ ب]، في كلِّ شيءٍ لا يُثابُ عليه ولا يترَتَّبُ عليه مصلحة دينيّة ولا دُنيويّة ممّا يحتاجُ إليه، وكذلك يَحفَظُ سمعَه، فإنّ المُستمِعَ شَريكُ القائِلِ، فلا يسمَعُ إلّا ما يُثاب عليه أو يترَتّبُ عليه مصلَحةٌ دينيّة أو دُنيويّة ممّا يحتاجُ إليه، انتَهى.

---

(1) الأبيات بلا نسبة في: الداء والدواء؛ لابن القيم، تحقيق/ محمد أجمل الإصلاحي، طبعة دار عالم الفوائد، (ص: 350).

(2) البيتان أنشدتها امرأة أمام أبي الغصن الأعرابي، وكان قد خرج حاجًا، فمرَّ بقباء، وإذا جارية كأن وجهها سيف صقيل... والقصة كاملة في عيون الأخبار؛ لابن قتيبة، طبعة دار الكتب العلمية، (ج4/ 22-23)؛ بلفظ: وكنت متى أرسلت...

وإنّما قُلنا ذلك لأنّه قد حُكيَ عن بعض المشايخ في أخذه العُهودَ علَى بعضِ المُريدينَ مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ، فكان يحصُلُ إهمالٌ في النّظرِ إلى الأجنبيّاتِ، وذلك إمّا لِقوّة أحوالِهم أو لِشُغلِ قُلوبِهم عَنِ الشّهواتِ، وما أجسرُ أن أقولَ لجهلِهم بالشّرع، فصارَ ذلك في بعضِ المُريدين مُؤاخاةً ومُعانقة ومُضاجعة، حتّى جعَلوه مُباحًا من جُملةِ المُباحاتِ.

قال العِمادُ الواسِطيُّ[1]: الثّاني: مُجانبةُ الأحداثِ، ومَن له صورةٌ جميلةٌ تَميلُ إليه النّفسُ حدَثًا كان أو مختطًّا، فإنّه يشعثُ الباطِنُ ويلوثُه فيتنجّسُ القلبُ به؛ كتَنجُسِ الثّوبِ من حيثُ لا يشعُرُ، فإنّ للنّفسِ ميلًا وارتباطًا بالصّوَرِ الجميلة، شاءَ العبدُ أو أبَى خُصوصًا العزبانِ، فالاجتنابُ في حقِّهم آكدٌ لِفاقتِهم إلى النّكاحِ وكُمونِ شهوتِه في القلبِ، ولئِن يصحَبُ الإنسانُ سَبُعًا ضاريًا خيرٌ له من أن يصحَبَ أمردَ جميلًا إن كان ضابحًا[2]، انتهى.

ولو أنّ المشايخَ ضيّقوا علَى المُريدينَ بلُزومِ المُتابعةِ النّبويّة واجتِنابِ الكبائرِ والصّغائرِ بالكُليّة لَكانوا من خيرِ البريّة.

---

(1) لم أقف عليه.

(2) كذا في الأصل. ولعلها (صابحًا) أي جميل الوجه.

الْبَابُ الْعَاشِرُ

في التَّوكُّلِ على الله عَزَّ وَجَلَّ في كُلِّ أمرٍ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ اللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ [الطلاق: 3]؛ أي: مَن وثِقَ بالله فيما نابَه كفاه ما أهمَّه[1]، وقيلَ: ومَن يكِلُ أمرَه إلى الله فيما أمَرَه به ونَهاه عنه فهو حسبُه؛ أي: كافيه. وقيل: كفَى به وكيلًا لِأوليائه، ذكرَه النّقّاشُ[2] في «تفسيره»، وقيلَ: معناه: التّوكُّلُ علَى الله، وهو حالٌ للقلبِ ينشَأُ عن معرفَتِه بالله وتفَرُّده بالخلقِ والتّدبيرِ، والضُّر والنّفع، والعطاءِ والمنعِ، وأنّه ما شاءَ كان وما لم يَشَأْ لم يَكُن.

وقال الإمامُ أحمد: التّوكُّلُ علَى الله عمَلُ القلبِ[3]، وتفسيرُ ذلك عمَلٌ قلبي ليسَ بقولِ اللِّسانِ ولا عمَلِ الجوارحِ.

فيوجبُ له هذا الاعتمادَ عليه، والتّفويضَ إليه، وطُمأنينتَه به، وثقتَه بوعدِه، وتيقُّنًا بكفايتِه للّذي توكَّل عليه فيه، وأنّه مليءٌ به، ولا يكون إلّا بمشيئتِه، شاءَه النّاسُ أو أبَوه.

فتُشبُه حالتُه حالةَ الطِّفل معَ أبويه فيما ينوبه[4] منهما. فانظُر -رحمك

---

(1) انظر: الوسيط للواحدي، (ج4/ 314). زاد المسير لابن الجوزي، (ج8/ 292).

(2) انظر: معاني القرآن للزجاج، (ج3/ 251).

(3) قال أبو بكر أحمد بن محمد الخلال، في كتاب الحث على التجارة والصناعة والعمل، طبعة دار العاصمة، (ص:176)، رقم (120): أخبرنا أبو بكر المروزي، قال: قيل لأبي عبدالله: أي شيء صدق التوكل على الله عَزَّوَجَلَّ؟ فقال: أن يتوكل على الله، ولا يكون في قلبه أحد من الآدميين يطمع أن يجيئه بشيء، وإذا كان كذلك؛ كان الله يرزقه، وكان متوكلًا.

(4) كذا في الأصل، وفي المدارج: ينويه. والمثبت هو الصواب.

الله- إلى الطِّفل في تجرُّدِ قلبه عنِ الالتفاتِ إلى غير أبويه، وحسبُه[1] همُّه [134/ أ] علَى إنزال ما ينوبُه بهما، فهذه حالُ المتوكِّل، فمَن كان هكذا معَ الله، فالله كافيه ولا بُدَّ، وهذا كلُّه في الآية الّتي صدَّرنا بها أوّل الباب: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾، فإفرادُ التّوكُّل علَى الله بالإخلاص له في كُلِّ أمرٍ هو غذاءُ الإنسانِ، وقوَّته، وصَلاحُه، وقوامُه. وهذا عليه جميع أهل الطَّريقِ.

ورأيتُ في كتابٍ لم يُذكر فيه اسمُ مؤلِّفه وهو كتابُ «العِللِ الّتي تدْخُل المقاماتِ وتَخفَى على المُريدينَ المُبتَدئينَ»، قال: وأمّا التّوكُّل فإنّه للعوامِّ وهو: كِلتُكَ[2] أمرَكَ إلى مولاكَ، والتجاؤُكَ إلى علمه، ورأفتُه ليدبّره لكَ ويكفيكَ. وهذا في طريق الخواصِّ عمًى عنِ الكفايةِ؛ لأنّ اللهَ تعالى لم يترك أمرًا مهملًا إلا مكفيًّا على قدرٍ، وإنِ اختلف في العقولِ أو تشوش في الأعين أوِ اضطرب في العُهود أو تراجع في التّجارِب، هو الأوّل المدبّر، والتّدبير أقدمُ[3].

ثُمَّ قال: وتوكُّلهم رِضاهم بتدبيرِ الحقِ، وتخلُّصهم من تدبيرهم والضّيق الدّاعي إلى تفويضِ أُمورهم إلى استِصلاحِ شأنِهم؛ لِوقوفِهم علَى فراغ المدبّر من كفايتِها ومرها علَى علمِهم بمصالِحهم، وتخلُّصهم من منازعَةِ فيها ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: 28-28]، انتَهى كلامُه[4].

---

(1) كذا في الأصل، وفي المدارج: وحَبس.

(2) كذا في الأصل، وفي طريق الهجرتين لابن القيم (ص: 254): وَكلُ أمرِك.

(3) انظر: شرح منازل السائرين إلى الله تعالى لمحمد التستري، ومعه العلل التي تدخل على المقامات وتخفى على المريدين، تحقيق/ عاصم إبراهيم الكيالي، طبعة دار مداد، الطبعة الأولى 1438هـ - 2017م، (ص:318).

(4) المرجع السابق، (ص:326).

أمّا قولُهم: إنّ التّوكّلَ في طريقِ الخواصِّ عمًى عنِ الكفايةِ. وقال بعضُهم: عمًى عنِ التّوحيدِ: خطأٌ محضٌ، بلِ التّوكُّلُ علَى الله حقيقة التّوحيدِ، ولا يتمُّ التّوحيدُ إلّا به، وأنّه من مقاماتِ الرُّسلِ، وهم خاصّة الخاصّة، وإنّما المُتحذلِقونَ المُتنطِّعونَ جعَلوه من مقاماتِ العامّة، ولا أخصّ من رسُل الله تعالى ولا أعلَى من مقاماتِهم.

وقولُهم: «عمًى عنِ الكفايةِ»؛ أي: رجوعٌ إلى الأسباب، يُقال: بل هو قيامٌ بحقِّ الأمرِ، فإنّ الله سُبحانه اقتضَت حكمَتُه ربطَ المسبَّبات [135/ ب] بأسبابِها، وجعَل التّوكُّل والدُّعاءَ من أقوى الأسباب الّتي تُحَصِّلُ المقصودَ.

فالتّوكُّل: امتثالٌ لأمرِ الله وموافقةٌ لحكمتِه، وعُبوديّة القلبِ. فكيفَ يكونُ مصحوبَ العِلَل؟ وكيف يكونُ من مقاماتِ العامّة؟ فالله تعالى أمَرَ بالقيام بالأسبابِ، فإذا رفَضَ ما أمَرَه الله تعالى في أمرِه، فكيف يحِلُّ لِمُسلِمٍ أن يرفضَ الأسبابَ كلَّها.

وقولهم: «عمًى عَنِ الكفاية»؛ لأنّ الله لم يترك أمرًا مُهملًا إلّا مَكفيًا. يُقال: في هذا الكلام صحيحٌ، وباطلٌ؛ لأنّ الله تعالى قدَّرَ مقاديرَ الخلائقِ قبلَ أن يخلُقَ السّماواتِ والأرضَ بخمسينَ ألف سنةً: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ يعني: من بعد ما كتَب في اللّوح المحفوظ[1] ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: 105]، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الأنعام: 59]، فالله تعالى عَلِمَ الأشياءَ وقدَّرَها قبلَ وقوعِها، يعلَمُ ما كان وما يكونُ وما لم يَكُن لو كان، كيفَ يكونُ، فهو سبحانه لم يترك أمرًا مُهملًا إلّا مَكفيًا

(1) انظر: تفسير الطبري، (ج16/ 431-432).

مُدبّرًا متقنًا، أتقنَ كلَّ شيءٍ خلقَه، وقدّرَ رزقَه وأجله وشقاوتَه وسعادتَه مِنَ البشرِ.

وأمّا الباطلُ كونُهم جعلوا التّوكّل للعوامّ، وجعلوه عمًى عنِ الكفايةِ، وقولُه: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ﴾ [الملك: 15] وأيضًا فإنّ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾؛ أي: مَن يثِق بالله في نوائِبه ومَهمّاتِه يكفيه كُلَّ ما أهمَّه مما قُدِّر لَه، فالمتوكّل على الله حقّ اتّكاله يرزقه كما يرزُقُ الطّيرَ تغدو خِماصًا وتجيءُ بطانًا؛ أي: تسعَى في رزقِها فتَنالُه من غيرِ مشقّة، كذلك الآدميُّ المُتوكِّلُ على الله الواثِقُ به في جميع أموره، حَسَنُ الظّنِّ بربِّه، حَسَنُ الرّجاءِ، صادِقٌ في التّوكُّل عليه، فإنّ اللهَ لا يُخيِّبُ أملَه فيه، فلا يُخيِّب أملَ آملٍ، ولا يضيعُ أجرَ مَن أحسنَ عمَلًا [135/ أ].

فَصْلٌ

وقد أخبَر الله عَزَّوَجَلَّ في كتابِه أنّه يُحبُّ المُتوكِّلين في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [آل عمران: 159] يعني: الواثِقين به، المُطمئنّين إليه، المُعتمدين عليه، فتعلُّقُ العِبادِ بما سِوى الله تعالى وتوكُّلُهم عليهم مضرّة إذا أخذوا القدر الزائِدَ على حاجتِهم من طعامٍ أو شرابٍ أو نِكاحٍ أو غيره. وصَلاحُ العِبادِ في عبادةِ الله، والتّوكُّلِ عليه، وهذا في قولِه: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5]، فالتّوكُّلُ على الله هو الاستعانةُ به كما أنّ الإنابةَ هي العِبادةُ له وحدَه لا شَريكَ لَه، فلا بُدَّ لِكلِّ عبد من معبودٍ بالحقِّ ومُستعانٍ عليه، وإلّا فلا صلاحَ له ولا لذّة، وقد جمَع الله تعالى بينَ هذَينِ الأصلَينِ العظيمَينِ إيجابًا وغيرَ إيجابٍ في غير موضعٍ من كتابِه؛ كقولِه لِنبيِّه في آخِر سورة هودٍ: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾ [آية: 122]، وقول العبد الصّالح شُعيب: ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾

[هود: 88]، وقـول إبراهيـمَ والّذيـن آمنـوا معَـه: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: 4]، وقولـه تعالـى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: 30].

فمَن أخلَص العِبادة لله والتّوكُّلَ عليه وإظهارَ الفقرِ والفاقة بينَ يدَيه والخُضوعَ لِقضائِه وقدَرِه وكلِماتِه الكونيّات والشّرعيات كان عبدًا كاملًا، ومَن كانت هِمَّتُه في عِبادة الله وتوكُّلِه عليه أعانَته له على مقصودِه، وهو أمرٌ دُنيويٌّ: إمّا كشفٌ أو قُدرةٌ أو تأثيرٌ أو غير ذلك من سُلطةِ النُّفوس، فهذا لم يُخلِصِ الدّينَ كلَّه لله، لا في عِبادتِه، ولا في توكُّلِه، ولا في شأنِه كُلِّه، وتحريرُ هذا له موضعٌ آخَرُ [136/ ب].

فَصْلٌ

وقد أمَر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالتّوكُّل عليه في غير آيةٍ من كتابه؛ كقولِه تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 23]، وقولِه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: 122]، وفي الأُخرَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: 12]، وقال لِرسولِه ﷺ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [النمل: 79]، وفي حَقِّه أيضًا: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: 3].

وقال في حقِّه أيضًا: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ﴾ [الفرقان: 58]، وقال في حقِّه أيضًا: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159].

وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ(1) عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: 217- 219]، وقولـه: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ﴾ [هود: 122].

---

(1) في الأصل: فتوكل.

قال الشّيخُ العارفُ عبد القادرِ في «فتوح الغيب»[1]: لا بُدَّ لِكلِّ مُؤمنٍ في سائِرِ أحوالِه من ثلاثةِ أشياءَ:

1 - أمرٌ يمتَثلُه.

2 - ونَهيٌ يجتَنِبُه.

3 - وقدَرٌ يرضَى به.

فلا يخلو المُؤمنُ من هذه الأشياءِ، فلا بُدَّ له أن يُلزِمَ همَّها قلبَه، وليُحدِّث بها نفسَه، ويأخُذ الجوارحَ بها في سائِرِ أحوالِه. انتهى.

ولَمّا امتثَل الرسول والمُؤمنونَ ما أمَرهم الله تعالَى به من توكُّلِهم عليه - معَ أنّ كلَّ موضِعِ أمَرَ الله نبيّه بالتّوكُّلِ عليه فهو تعليمٌ لأُمّتِه، وأمَرَهم بذلك في القُرآنِ، وأمَرَهم بذلك النّبيُّ ﷺ في الأحاديثِ ليكونَ فعلُهم ذلك عن طاعةِ الله عَزَّوَجَلَّ، وطاعةِ رَسوله امتثالًا لله ولِرسولِه- فعندَ ذلك شمَّروا عَن ساقِ التّوكُّلِ فقالوا: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: 4]، وقال تعالَى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك: 29]، وقال تعالى عن أصحابِ نبيِّه محمَّدٍ ﷺ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: 173].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: 2]، بل قد قال الله تعالى في حقِّ أنبيائه ورسلِه [136/أ]، وما قاسوا من تُبّاعِهم من الأُمم: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

(1) انظر: فتوح الغيب للجيلاني، تحقيق/ جمال الدين فالح الكيلاني، المقالة الأولى: فيما لا بُدَّ لكلِّ مُؤمنٍ، (ص:26).

﴿ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: 12]، وهذا كلُّه يردُّ علَى مَن يقول: إنّ التّوكُّل للعوامِّ، وأنّه في طريقِ الخواصِّ عمًى عنِ الكفايةِ، فإنّه قد جعَله الله من مقامِ الأنبياءِ والرُّسُل وعبادِه المُؤمنينَ.

وأمّا الأحاديثُ في هذا الباب فكثيرةٌ جدًّا:

فمنها: ما ثبت في «الصحيحين» الحديث المشهور في دخول السبعين ألفًا إلى الجنة بغير حساب، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: **«هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»**(1).

ومنها: ما في «صحيح البخاري»(2) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيمُ حينَ أُلقي في النّار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾.

ومنها: ما ثَبَت في «الصّحيحَين» أنّ النّبيَّ ﷺ كان يقول: **«اللهم لَكَ أسلمتُ، وبكَ آمنتُ، وعليكَ توكَّلتُ، وإليك أنبتُ، وبكَ خاصمتُ»(3)، «اللهم أعوذُ بعِزّتكَ، لا إله إلّا أنت، أن تُضِلّني، أنت الحيُّ الّذي لا يموتُ، والإنسُ والجنُّ يموتونَ»(4).**

---

(1) متفق عليه: 1- رواه البخاري في صحيحه: كتاب الطب: باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو، رقم (5705). وباب من لم يرق، رقم (5752). وكتاب الرقاق: باب ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾، رقم (6472). وباب يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب، رقم (6541). 2- رواه مسلم في صحيحه، رقم (218)، و(220).

(2) تقدم تخريجه.

(3) متفق عليه: 1- رواه البخاري في صحيحه: كتاب التهجد، باب التهجد بالليل، رقم (1120). وكتاب الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه بالليل، رقم (6317). وكتاب التوحيد: رقم (7385)، ورقم (7442)، ورقم (7499). 2- رواه مسلم في صحيحه، رقم (769).

(4) رواه: مسلم في صحيحه، رقم (2717).

ومنها: ما روّينا في «جامِع التِّرمذيِّ»[1] عن عُمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «لو أنّكم تَتَوكَّلونَ على اللهِ حَقَّ تَوكُّلِه [137/ أ] لَرَزَقَكم كما يَرزُقُ الطّيرَ تَغدو خِماصًا وتَروحُ بطانًا[2]».

ومنها: ما ثَبَتَ في «السُّنَنِ»[3] من حديث أنَسِ بن مالِكٍ، قال: قال

---

(1) رواه: 1- الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، رقم (2512)؛ من طريق: علي بن سعيد الكندي، قال: حدثنا ابن المبارك، عن حيوة بن شريح، عن بكر بن عمرو، عن عبد الله بن هبيرة، عن أبي تميم الجيشاني، عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ:... الحديث. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح، لا نعرفه إلّا من هذا الوجه. وأبو تميم الجيشاني، اسمه: عبد الله بن مالك».

2- ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب التوكل واليقين، رقم (4164)؛ من طريق: حرملة بن يحيى، قال: حدثنا عبد الله بن وهب، قال: أخبرني ابن لهيعة، عن ابن هبيرة...به.

3- الإمام أحمد في مسنده: - (ج1/ 332)، رقم (205)؛ من طريق: أبو عبدالرحمن، قال: حدثنا حيوة...به. و(ج1/ 438)، رقم (370)؛ من طريق: حجاج، قال: أخبرنا ابن لهيعة...به. و(ج1/ 439)، رقم (373)؛ من طريق: يحيى بن إسحاق، قال: أخبرنا ابن لهيعة...به.

4- ابن حبان في صحيحه، (ج5/ 369)، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من قطع القلب عن الخلائق بجميع العلائق في أحواله وأسبابه، رقم (4567)؛ من طريق: أحمد بن علي بن المثنى، قال: حدثنا أبو خيثمة، قال: حدثنا المقرئ، عن حيوة بن شريح...به.

5- الحاكم في المستدرك، (ج4/ 354)، رقم (7894/ 51)؛ من طريق: أبو أحمد بكر بن محمد الصيرفي، قال: ثنا عبدالصمد بن الفضل، ثنا عبد الله بن يزيد المقري، ثنا حيوة بن شريح...به. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(2) أي: تغدو بكرة وهي جياع، وتروح عشيًا وهي ممتلئة الأجواف. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، (ج3/ 1276)، مادة (خمص).

(3) رواه: 1- أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا خرج نت بيته، رقم (5095)؛ من طريق: إبراهيم بن الحسن الخثعمي، قال: حدثنا حجاج بن محمد، عن ابن جريج، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك، أن النبي ﷺ، قال:...الحديث.

2- الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء ما يقول إذا خرج من بيته، رقم: (3744). قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه»=

رسول الله ﷺ: «مَن قال حينَ يَخرُجُ من بَيتِه: بسم الله، تَوكَّلتُ على الله، لا حَولَ ولا قوّة إلّا بالله، يُقال: كُفيتَ وهُديتَ ووُقيتَ، وتَنحّى عنه الشّيطانُ، فيَقولُ لِشَيطانٍ آخرَ: كيف لَكَ برَجُلٍ قد هُدِيَ وكُفِيَ ووُقِيَ».

ومنها: حديثُ أبي الدّرداءِ أنّ النّبيَّ ﷺ علَّمَه هذا الدُّعاءَ فكان يحوطُ به بيتَه: «اللهم أنت رَبّي لا إله إلّا أنت، عليكَ تَوكَّلتُ، وأنت رَبُّ العرشِ العظيمِ، ما شاءَ الله كان، وما لم يَشَأ لم يَكُن، لا حَولَ ولا قوّة إلّا بالله العليِّ العظيمِ، أعلَمُ أنّ اللهَ على كُلِّ شَيءٍ قديرٌ، وأنّ اللهَ قد أحاطَ بكُلِّ شَيءٍ عِلمًا، اللهم إنّي أعوذُ بكَ من شَرِّ نَفسي، وشَرِّ كُلِّ دابّة أنت آخِذٌ بناصيتِها، إنّ رَبّي على صِراطٍ مُستَقيم»(1).

= 3- ابن ماجه في سننه، كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا خرج من بيته، رقم: (3886)؛ من طريق: عبدالرحمن بن إبراهيم الدمشقي، قال: حدثنا ابن أبي فديك، قال: حدثني هارون بن هارون، عن الأعرج، عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ، قال:...الحديث.

4- ابن حبان في صحيحه، (ج1/ 386)، ذكر الشيء الذي يُهدَى القائل به ويكفى ويوقى إذا قاله عند الخروج من منزله، رقم (520)؛ من طريق: محمد بن المنذر بن سعيد، قال: حدثنا يوسف بن سعيد بن مسلم، قال: حدثنا حجاج، عن ابن جريج، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك، أن النبي ﷺ، قال:...الحديث.

(1) رواه: 1- مكارم الأخلاق للخرائطي، تحقيق/ أيمن عبدالجابر البحيري، طبعة دار الآفاق العربية، (ص:283)، رقم (868)؛ من طريق: أحمد بن محمد بن غالب البصري، قال: حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا الأغلب بن تميم، حدثنا الحجاج بن الفرافصة، عن طلق، قال: جاء رجل إلى أبي الدرداء، فقال: يا أبا الدرداء! احترق بيتك. فقال: ما كان الله ليفعل. ثم جاء آخر، فقال: جاءت النار حتى إذا دنت من دارك؛ طفئت. فقال: قد علمت أن الله سيفعل، سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «من قال هؤلاء الكلمات في ليل أو نهار لم يضره شيء -فقد قلتهن، فأنا أعلم أنه لا يضرني شيء أو لن أضر- اللهم أنت...الحديث.

2- الطبراني في الدعاء، (ص:128)، رقم (343)؛ من طريق: عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: ثنا هدبة بن خالد...به. 3- ابن السني في اليوم والليلة، (ص:54)، رقم (57)؛ من طريق: ابن منيع، قال: حدثنا هدبة بن خالد...به. =

وغير ذلك من الأحاديثِ ما لا يحضرُني، كُلُّها تدلُّ على عُلوِّ مقامِ التّوكُّلِ، وكُلُّ الخلقِ مُحتاجونَ إليه، فإنّ العبدَ إنّما خُلقَ للعبادةِ والاستعانةِ، فصَلاحُه وكمالُه ولَذَّتُه وفرَحُه وسُرورُه في أن يعبُدَ ربَّه ويتَوكّلَ عليه، وذلك قدرٌ زائدٌ على مسألتِه والافتقارِ إليه، فإنّ جميعَ الكائناتِ نافِذةٌ بمشيئَتِه، قائِمةٌ بقُدرته وكلِمَتِه، مُحتاجةٌ إليه، فَقيرةٌ إليه، مُسلِّمةٌ له طوعًا وكرهًا، فإذا شهِدَ العبدُ ذلك، وأسلَم له وخَضَع؛ سارَ سائِلًا له مُتوكِّلًا عليه، مُستعينًا به. هذا معنَى كلامِ شيخِ الإسلامِ ابنِ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(1) [137/ أ].

فَصْلٌ

ولَمّا كان التّوكُّلُ علَى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من مقاماتِ الأنبياءِ والرُّسلِ والأولياءِ والمُؤمنينَ، كان مقامُ التّوكُّلِ نصفَ الدّين، والنِّصفُ الآخَرُ العبادة، ومنزلتُه أوسَعُ المنازلِ، ولا تَزالُ معمورةً بالنّازلينَ، وما ذاكَ إلّا لِسعةِ مُتعلّقِ التّوكُّلِ، وكثرةِ حوائجِ الخلقِ إلى خالِقهم، وشُمولِ التّوكُّل ووقوعِه مِنَ الأنبياءِ والرُّسُلِ والمُؤمِنينَ والكافِرينَ والأبرارِ والمُقرَّبينَ والفُجّارِ، والطّيرِ والوحشِ والبهائِم، بَل كُلُّ مَن في السّماواتِ والأرضِ مِنَ المُكلَّفينَ وغيرِهم في مقامِ التّوكُّلِ، وإن تبايَنَ مُتعلّقُ توكُّلِهم.

وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ(2): التّصرُّفُ بحولِ الله هو الاستعانةُ به، والتّوكُّلُ عليه، فإنّه لا حولَ ولا قوّة إلّا بالله، وفي الأثرِ: «مَن سَرَّه أن

= ◎ قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار، (ج1/ 274): رواه الطبراني في الدعاء، من حديث أبي الدرداء؛ بسند ضعيف.

(1) راجع: مجموع الفتاوى لابن تيمية، (ج14/ 32).

(2) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية، (ج10/ 549-550).

يَكونَ أقوَى النّاسِ فَليَتَوَكَّل على الله»[1]، وعن سعيدِ بن جُبَيرٍ: «التَّوكُّلُ جِماعُ الإيمانِ»[2]، قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق: 3]، وقال: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ﴾ [الأنفال: 9]، وهذا علَى أصَحِّ القولَينِ؛ أنّ التَّوَكُّلَ -بمنزلة الدُّعاءِ، وعلَى أصَحِّ القولَينِ أيضًا- سَبَبٌ لجَلبِ المنافعِ ودفعِ المضارِّ، فإنّه يُفيدُ قوّة العبدِ وتصريفَ الكونِ، ولهذا هو الغالِبُ علَى ذَوي الأحوالِ.

فمنهُم: خاصّتُه وأولياؤُه مُتوكِّلونَ عليه في حُصولِ ما يُرضيه منهم، ويتَوكّلون عليه في الإيمان به ونصرةِ دينِه وإعلاءِ كلِمتِه وجهادِ أعدائه، وفي محابِّه وتنفيذِ أوامِره.

ومنهم: مَن يتوكَّلُ عليه في استقامَتِه في نفسِه، وحفظِ حالِه معَ الله، فارغًا مِنَ النّاس.

---

(1) رواه: ابن أبي الدنيا في: - كتاب التوكل على الله، (ص:49-50)، رقم (9). ومكارم الأخلاق، (ص:18-19)، رقم (5). من طريق: محمد بن الربيع أبو عبدالرحمن الأسدي، قال: نا عبدالرحيم بن زيد العمى، عن أبيه، عن محمد بن كعب القرظي، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ:...الحديث.

۞ قال المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير، (ج2/ 422): («من سره أن يكون أقوى الناس» في جميع أموره «فليتوكل على الله» لأنه إذا قوى توكله، قوى عليه قلبه، وذهبت مخافته، ولم يبال بأحد. «ابن أبي الدنيا في كتاب التوكل على الله» عن ابن عباس، وإسناده حسن).

(2) رواه: 1- الإمام أحمد في كتاب الزهد، (ص:19)، رقم (103)؛ من طريق: محمد بن فضيل، قال: أخبرنا ضرار -وهو أبو سنان-، عن سعيد بن جبير، قال:...

2- عبد الرزاق في تفسيره (ج3/ 49)، رقم (2370)؛ من طريق: الثوري، عن أبي سنان، عن سعيد بن جبير، في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾، قال:...

3- ابن أبي شيبة في مصنفه، (ج6/ 76)، رقم (29589)؛ من طريق: ابن فضيل، عن أبي سنان...به.

ومنهم: مَن يتوكَّلُ علَى الله في معلومٍ يناله من رزقٍ أو عاقبةٍ أو نُصرةٍ علَى عَدوٍّ أو زوجة أو ولَدٍ ونحوِ ذلك.

ومنهم: مَن يَتوكَّلُ عليه في حُصول ما لا يُحبُّه ويَرضاه مِنَ الظُّلم والعُدوانِ وحُصولِ الإثم والفواحش، فإنّ أصحابَ هذه المطالب لا ينالوها إلَّا بالاستعانةِ بالله تعالى وتوكُّلِهم عليه، ومن شِدّة توكُّلِهم يُلقونَ أنفُسَهم في المهالِك والمعاطبِ، مُعتمدينَ علَى الله تعالى أن يُسلِّمَهُم، وأن يُظفرَهم بمطلوبهم وحصولِ مقصودِهِم، فهذه مُتعلّقاتُ توكُّلِ المُكلَّفينَ [138/ ب].

فَصْلٌ

وأفضلُ التّوكُّلِ علَى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ التّوكُّلُ عليه في الواجِباتِ من الطّاعات لَه؛ مِنَ التّوحيدِ، والإيمانِ، ودعائم الإسلام؛ من الصّلاةِ، والزكاةِ، وصوم رمضانَ، والحجِّ، ثُمَّ ما كان من واجباتِ الخلقِ؛ مثلُ برّ الوالدَينِ والنّفقة علَى مَن تلزمُه. ثُمَّ ما كان واجِبًا للنّفس فيما كان لها فيه حظٌّ شرعيٌّ.

وأوسعُه وأنفعُه التّوكُّل في التّأثيرِ في الخارج في جلبِ مصلحةٍ دينيّة، أو دفعِ مفسَدةٍ دينيّة، وهو توكُّلُ الأنبياءِ والرُّسلِ -صلوات الله وسلامه عليهم- في إقامةِ دينِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ودفعِ فساد المُفسدين في الأرضِ، وهذا توكُّل ورثِهم من أهلِ العِلم والدّين وأولي الأمرِ العادِلينَ.

ثُمَّ التّوكُّلُ في النّاس علَى حسبِ هممِهم ومقاصدِهم، فمن مُتوكِّلٍ علَى الله في حُصول المُلكِ، ومتوكِّلٍ علَى الله في حفظ كتابٍ ليتنزل في مدرسةٍ أو شهادةٍ أو فقاهةٍ[1]، أو لأجلِ ولايةِ قضاءِ النّاحية ونحو ذلك،

---

(1) أي: صار فقيهًا.

ومُتوكِّل على الله في حصول رغيفٍ من صدقةٍ ونحوِ ذلك، وهذا بابٌ متسعٌ، لو ذكرنا كلَّ متوكِّلٍ في حصول غرضٍ لخرَجَ الكتابُ عن وضعِه.

وكلُّ مَن صدَق في توكُّلِه على الله تعالى، وأخلَص في حصول مطلوبه ناله ولا بُدَّ، فإن كان محبوبًا لله مرضيًّا له كانت له العاقبةُ المحمودةُ في الدُّنيا والآخِرة. وإن كان مسخوطًا لله مبغوضًا له: كان ما حصَلَ له بتَوكُّلِه مضرةً عليه في الدُّنيا والآخرةِ، وإن كان قد حصَل له به لذّة في الحالِ. وإن كان مُباحًا حصَلَت له مصلحةُ التّوكُّلِ دون مصلحةِ ما توكَّل فيه وإن لم يستغن به عن طاعةٍ [138/ أ].

فَصْلٌ

فيما نُقل عنِ القومِ في معنَى التّوكُّلِ

وقد تقدَّم قولُ الإمام أحمدَ: إنّه عمَلُ القلبِ[1]. ومن أرباب السُّلوك مَن فسَّر التّوكُّلَ بالسُّكون وخمودِ حركةِ القلبِ. ومنهم مَن يقول: التّوكُّل: انطِراحُ القلبِ بين يدَيِ الله كانطِراح الميِّتِ بين يدي الغاسِل يقلبه كيف يشاءُ. أو: تركُ الاختيارِ والاسترسالِ معَ مجاري الأقدارِ[2].

وقال سهلٌ[3]: التّوكُّلُ: الاسترسالُ مع الله تعالى على ما يُريد. ومن القومِ مَن يُفسِّرُه بالرِّضا. فيقول: هو الرِّضا بالمقدور.

وقال بشرٌ الحافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4]: يقول أحدُهم: توكَّلتُ على الله. يكذِبُ

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) راجع: مدارج السالكين لابن القيم، (ج2/ 114).

(3) ذكره عنه: القشيري في رسالته (ص:297).

(4) ذكره عنه: القشيري في رسالته (ص:296).

علـى اللـه، لـو تـوكَّلَ علـى اللـه، رضـيَ بمـا يفعـلُ اللـه. وسُئل يحيى بـن مُعـاذٍ[1]: متَـى يكـونُ الرّجـلُ مُتـوكِّلًا؟ فقـال: إذا رضـيَ باللـه وكيـلًا.

ومنهـم: مَـن يُفسِّـرُه بالثِّقـة باللـه تعالـى، والطُّمأنينـة إليـه، والسُّكون لَـه. قـال ابـنُ عطـاءٍ[2]: التّـوكُّلُ أن لا يظهَـرَ فيـكَ انزِعـاجٌ إلـى الأسـبابِ مـعَ شِـدّة فاقَتِـكَ إليهـا، ولا تـزولُ عـن حقيقـةِ السُّـكونِ إلـى الحـقِّ تعالـى مـع وقوفِـك عليهـا. وقـال ذو النّـون المصـريّ[3]: هـو تـركُ تدبيـرِ النّفـسِ، والانخـلاع مِـنَ الحـولِ، وإنّمـا يقـوَى العبـدُ علـى التّـوكُّل إذا علِـمَ أنّ الحـقَّ سـبحانه يعلَـمُ ويَـرَى مـا فيـه. وقـال بعـضُ أربـابِ الطّريـقِ[4]: التّـوكُّلُ: التّعلُّـقُ باللـه تعالـى فـي كلِّ حـالٍ.

وقـال غيـره[5]: التّـوكُّلُ أن تـرِد عليـكَ مـواردُ الفاقـاتِ، فـلا تسـمو إلّا إلـى مَـن إليـه الكفايـات. وقيـلَ[6]: التّـوكُّلُ نفـيُ الشُّـكوكِ، والتّفويـضُ إلـى مالِـكِ [139/ ب] الملـوك.

وقـال أبـو سـعيدٍ الخـرّازُ[7]: التّـوكُّلُ: اضطـرابٌ بـلا سُـكونٍ، وسُـكونٌ بـلا اضطـرابٍ. يُريـد: حركـةَ ذاتـه فـي الأسـباب بالظّاهـر والباطـنِ، وسُـكونًا إلـى المسـبِّبِ سُـبحانه، وركونًـا إليـه، فـلا يضطَـربُ قلبُـه معَـه، ولا تسـكُن حركَتُـه فـي الأسـبابِ الموصّلـة إلـى رِضـاه.

---

(1) ذكره عنه: القشيري في رسالته (ص:296).

(2) ذكره عنه: القشيري في رسالته (ص:296).

(3) ذكره عنه: القشيري في رسالته (ص:296).

(4) عزاه القشيري في رسالته إلى أبي عبد الله القرشي.

(5) ذكـره: القشـيري في رسـالته، (ص:301)؛ عـن إبراهيـم الخـواص، قـال: رأيـت في طريـق الشـام شـابًا حدثًـا، حسـن المراعـات، فقـال لي: هـل لـك في الصحبة...مـا لـك والتـوكل؟ ثـم قـال: أقـل التـوكل...

(6) ذكره: القشيري في رسالته، (ص:302).

(7) ذكره عنه: القشيري في رسالته (ص:298).

وقال أبو تُرابٍ النَّخشَبيُّ[1]: التّوكُّلُ: هو طرحُ البدَنِ في العبوديّة، وتعلُّقُ القلبِ بالرُّبوبيّة، والطُّمأنينةُ إلى الكفايةِ، فإن أُعطي شكَرَ، وإن مُنِع صبَرَ.

قال العلّامةُ ابنُ القيِّم[2]: فجعَله مركَّبًا من خمسة أشياءَ: تَحرُّكاتُ[3] العُبوديةِ، وتعلُّقُ القلب بتدبيرِ الرّبِ، وسُكونُه إلى قضائه وقدَره، وطُمأنينتُه بكفايتِه، وشُكرُه إذا أعطى، وصبرُه إذا مَنعَ.

قال أبو يعقوبَ النّهرجوريُّ[4]: التّوكُّل على الله تعالى بكمالِ الحقيقةِ، وقَعَ لإبراهيمَ الخليل -صلوات الله وسلامه عليه وعلى نبيِّنا وعلى جميعِ الأنبياء والرُّسُل- في الوقت الّذي كان قد وضعوه في المنجنيق، وهم يُريدون قذفَه في النّار فتَعرَّضَ له جبريلُ، فقال له إبراهيمُ: أمّا إليكَ فلا؛ لأنّه عاتَبَ نفسَه بالله[5]، فلم يرَ معَ الله غيرَ اللهِ[6]، وأجمعَ القومُ على أنّ التّوكُّل على الله لا يُنافي القيامَ بالأسبابِ، بل لا يصِحُّ التوكُّلُ إلّا معَ القيامِ بها، وإلّا فهو بَطالةٌ وتوكُّلٌ فاسِدٌ[7].

---

(1) رواه: القشيري في رسالته (ص:296)؛ من طريق: أبو حاتم السجستاني، قال: سمعت أبا نصر السراج، يقول: شرط التوكل ما قاله أبو تراب النخشبي:...

(2) مدراج السالكين (ج2/ 115-116).

(3) كذا في الأصل، وفي المدارج: القيام بحركات.

(4) هو أبو يعقوب إسحاق بن محمد النهرجوري،صحب الجنيد، وعمرو بن عثمان المكي، وأبا يعقوب السوسي، وغيرهم من المشايخ. أقام بالحرم سنين كثيرة مجاورًا، وبه مات، توفي سنة (330هـ). انظر: طبقات الصوفية للسلمي، (ص:286).

(5) في: - الرسالة للقشيري: «غابت نفسه بالله» - مدارج السالكين: «غائب عن نفسه بالله».

(6) رواه: القشيري في رسالته، (ص:297)؛ من طريق: أبو عبدالرحمن السلمي، قال: سمعت محمد بن جعفر بن محمد، يقول: سمعت أبا بكر البرذعي، يقول: سمعت أبا يعقوب النهرجوري، يقول:...

(7) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، (ج2/ 116).

وقال إبراهيمُ بن عبد الله الهرَويُّ: كنت معَ الفُضيلِ علَى أبي قُبيسٍ. فقال: لو أنّ الرّجُلَ صدَقَ في التّوكُّلِ على الله، ثُمَّ قال لهذا الجبلِ: اهتزَّ لاهتَزَّ. قال: فوالله لقد رأيتُ الجبَلَ قدِ اهتزَّ وتحَرَّكَ، فقال: يا هذا إنّي لم أعنِكَ رحِمَك الله، فسَكَنَ[1]. فالصِّدقُ في التّوكُّلِ أعزُّ مِنَ الكِبريتِ الأحمرِ.

وقال الشّيخ العارف عبد القادر الكيلاني في كتابه في «فتوح الغيب»[2] له: أخرج نفسَك وتنَحَّ عنها، وانعزِل عن مُلكك، وسلِّم الكُلَّ إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وكُن بوّابَه علَى باب قلبِك، وامتَثِل أمرَه عَزَّوَجَلَّ في إدخالِ ما يأمُرُك بإدخالِه، وانتَه نهيَه في صدِّ ما يأمُرُك بصَدِّه[3]، فلا تُدخِلِ الهوى قلبَكَ بعدَ أن خرَجَ منه[4]. انتهى [139/ أ].

ومِنَ القومِ مَن قال[5]: التّوكُّلُ على الله قطعُ علائقِ القلبِ بغيرِ الله تعالى.

وسُئل سهلُ بن عبد الله أيضًا عنِ التّوكُّل، فقال: قلبُ عاشِقٍ معَ الله بلا علاقةٍ[6]. وقيلَ: التّوكُّل هجرُ العلائقِ ومواصلةُ الحقائقِ[7].

---

(1) رواه: اللالكائي في كرمات الأولياء (ص:180)، رقم (141)؛ من طريق: بكر بن شاذان المقرئ، قال: ثنا جعفر بن نصير، ثنا أحمد بن محمد -هو ابن مسروق-، ثنا إبراهيم بن الجنيد، ثنا أبو عبد الله الهروي إبراهيم بن عبدالله، قال: كنا مع الفضيل بن عياض...

(2) فتوح الغيب، المقالة السابعة: في إذهاب غُمم القلب، (ص:32).

(3) في الأصل: «في ضدِّ من يأمرك بضده»، والمثبت من فتوح الغيب (ص:32) ومجموع الفتاوى (ج10/ 517).

(4) ذكره عنه: شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (ج10/ 517).

(5) راجع: مدارج السالكين لابن القيم، (ج2/ 116).

(6) ذكره عنه: القشيري في رسالته، (ص:289)؛ بلفظ: قلب عاش مع...

(7) راجع: مدارج السالكين لابن القيم، (ج2/ 116).

وقالوا: هو تركُ كُلِّ سبَبٍ يوصِل إلى سببٍ[1]، حتَّى يكونَ الحقُّ هو المتولّي لذلك[2].

وهذا الكلامُ يحتمل حقًّا وباطلًا. فأمّا تركُ الأسباب: فإنّه قادحٌ في التّوكُّلِ على الله، وقد تَولّى الحقُّ إيصالَ العبدِ بها. وأمّا تركُ الأسبابِ المُباحةِ: فإنّ تركَها لِما هو أرجَحُ منها مصلحةً فممدوحٌ، وإلّا فمذمومٌ.

وقد تقدم لنا الكلامُ على السّببِ وتركه في أوّل الكتاب في الفقر في قول يحيى بن مُعاذٍ: إنّ رسم الفقرِ عدَمُ الأسباب، وذكرنا أنّ جماعةً من الجهلة فهِموا عنه فهمًا قاصِرًا، وذكرنا وبيّنّاه بيانًا شافيًا إن شاء الله فلا حاجةَ إلى تكراره.

وقال بعضُهم: التّوكُّلُ: هو إلقاءُ النّفس في العبوديّة، وإخراجُها مِنَ الرُّبوبيّة[3]. يريد: استرسالَها معَ الأمرِ، وبراءَتَها من حولها وقوّتِها، وشُهودَ ذلك بها، بلِ الرّبّ وحدَه. هذا ما فسّره العلّامة ابنُ القيّم[4].

ومنهم: مَن فسّر التّوكُّل: هو التّفويضُ إليه في كلِّ حالٍ[5]. ومنهم مَن جعَلَ التّوكُّلَ علَى الله عَزَّوَجَلَّ بداية، والتفويضَ والتّسليمَ نهايةً[6].

---

(1) كذا في الأصل، والرسالة للقشيري. وفي المدارج: مسبب.

(2) ذكره: القشيري في رسالته (ص:298)؛ عن أبي عبد الله القرشي.

(3) رواه: أبو نعيم في حلية الأولياء، (ج9/ 380)؛ من طريق: أحمد، قال: ثنا سعيد، قال ذو النون، وسأله رجل، فقال: يا أبا الفيض! ما التوكل؟ فقال له: خلع الأرباب، وقطع الأسباب. فقال له: زدني فيه حالة أخرى. فقال: إلقاء...

(4) انظر: مداج السالكين لابن القيم، (ج2/ 116-117).

(5) قال الماتريدي في تفسيره (تأويلات أهل السنة)، تحقيق/ مجدي باسلوم، طبعة دار الكتب العلمية، (ج6/ 571): والتوكل: هو الاعتماد به، وتفويض الأمر إليه في كل حال؛ السراء والضراء، وفي وقت الضيق والسعة؛ فذلك التوكل به.

(6) ذكره: القشيري في رسالته، (ص:299)؛ عن أبي علي الدقاق، قال: التوكل بداية، والتسليم واسطة، والتفويض نهاية.

قال أبو عليٍّ الدّقاقُ رَحِمَهُ اللَّهُ(1): التّوكُّلُ ثلاثُ درجاتٍ: التّوكُّلُ، ثمَّ التّفويضُ، ثم التّسليمُ.

فالمتوكُّلُ يسكُنُ إلى وعده، وصاحِبُ التّسليم يكتَفي بعلمِه، وصاحبُ التّفويضِ يرضَى بحُكمه.

فالتّوكُّلُ بدايةٌ، والتّسليمُ وسَطٌ، والتّفويضُ نهايةٌ.

فالتّوكُّلُ صِفةُ المُؤمنين، والتّسليمُ صِفةُ الأولياءِ، والتّفويض صِفةُ الموحِّدينَ. -فيصِحُّ على هذا [140/ ب] أن يُقال-: أنّ التّوكُّلَ صِفةُ العوامِّ، وأنّ التّسليمَ صِفةُ الخواصِّ، والتّفويضَ صِفةُ خاصّة الخاصّة(2).

فالتّوكُّلُ يشملُ هذه الدّرجات، لكن بينَهم بونٌ عظيمٌ، درجةٌ في الأرض، ودرجةٌ في السّماء، ودرجة في الفردوس.

فَصْلٌ

والمقصودُ مِنَ التّوكُّلِ: اعتمادُ المُتوكِّل علَى الوكيل. وقد يعتمدُ الموكِّل علَى وكيلِه منّا، ويعترض عليه، ويُضيِّق عليه في بعض أفعالِه؛ لكونه أبصرَ ببعضِ الأشياءِ، فإذا كان بصيرًا بجميع الأفعال سلَّمَ إليه، ورضيَ بما يفعلُه استَراح قلبُه وبدنُه. فكيفَ حالُ العبدِ إذًا معَ ربِّه إذا توكَّلَ عليه وسلَّم وفوَّضَ إليه معَ كونه يشهدُ ظاهرُه وباطنُه أنّ وكيله أشفقُ عليه وأرحَمُ به وألطَفُ به من والدته الّتي هيَ أشفقُ الخلقِ عليه، بل المُتوكِّلُ طالِبٌ من وكيلِه المزيدَ فوقَ مُراده منه، ملتمِسٌ منه أن يتولّى أمورَه فهو إذًا مختارًا له راضيًا به مسلمًا إليه معتمدًا عليه.

---

(1) ذكره عنه: الإمام القشيري في رسالته (ص:298-299).

(2) ذكره: القشيري في رسالته، (ص:300)؛ عن أبي علي الدقاق.

فالتّـوكُّـلُ ينـدرج فـي التّسليم، وهـو والتّسليمُ ينـدرجانِ فـي التّفويـض[1]، فحقيقـةُ الأمـرِ أنّ التّـوكُّلَ حـالٌ مركَّبـةٌ مـن مجمـوعِ أمـورٍ، لا تتِـمُّ حقيقـةُ التّـوكُّلِ إلّا بهـا، وكلُّ واحِـدٍ مِنَ القـوم أشـارَ إلـى واحِـدٍ مـن هـذه الأُمـورِ أوِ اثنَيـنِ أو أكثَـرَ. فـأوّلُ ذلـك معرفـةُ الـرّبِّ عَزَّوَجَلَّ، وصِفاتِـه مـن قُدرتـه وكِفايتـه وقيّوميّتِـه، وانتِهـاءِ الأُمـورِ إلـى علمِـه، وصُدورِهـا عن مشيئَتِه وقُدرتـه، وهـذه أوّلُ مقامـاتِ التّوكُّلِ.

قـال شيـخُ الإسـلام ابـنُ تيميـةَ: ولهـذا لا يصِـحُّ التّـوكُّلُ ولا يُتصـوَّرُ مـن فيلسـوفٍ، ولا مِـنَ القدَريّـة النُّفـاةِ القائلـينَ [140/ أ] بأنّـه يكـونُ فـي مُلكِـه مـا لا يشـاءُ. ولا يَستقيم أيضًـا التّـوكُّلَ مِـنَ الجهميّـة النُّفـاةِ لِصفـاتِ الـرّبِ، فـكُلُّ مَـن كان باللـه تعالـى وصفاتِـه أعلـمَ وبِهـا أثبتَ ولهـا أعـرفَ؛ كان توكلُّه علَـى اللـه تعالـى أصَـحَّ وأقـوى[2]. انتهـى.

ولِهـذا تجـدُ كثيـرًا مـن المُبتدعـة لا يُجـوِّزون الدُّعـاءَ بأمـرٍ مِـنَ الأمـورِ، وإنّمـا يجوّزونـه تـلاوةً، لا دعـاءً. وقالـوا: إن كان قـد قُـدِّر حُصـولُ المدعـو بـه فإنّـه يحصُـل، دَعـا أو لـم يـدعُ، تـوكَّل علـى اللـه فيـه أو لـم يَتـوكَّل، وإن لـم يُقـدّر لـم يحصُـل فكذلـك.

وقالـوا أيضًـا: لَأنّ الدُّعـاء يتضمَّـن الشّـك فـي وقـوع ذلـك؛ لأنّ الداعـي بيـنَ الخـوف والرّجـاءِ والشّـك فـي وقوعـه، شـكٌّ فـي حيّزِ اللـه تعالـى. وأنكرَ القرافـي وابـنُ عبد السّـلام[3] وغيـرُه الدُّعـاءَ بقولِـه تعالـى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ

(1) فوض: الفـاء والـواو والضـاد أصـل صحيـح يـدل عـلى اتكال في الأمـر عـلى آخـر ورده عليه. انظـر: مقاييـس اللغـة لابـن فـارس، (ج4/ 460).

(2) ذكره عنه: ابن القيم في مدارج السالكين (2/ 118).

(3) لم أقـف عـلى قـول ابـن عبـد السـلام. أمـا القـرافي، فلعلـه يشـير إلى مـا ذكـره في الفـروق،=

إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾... الآيةَ [البقرة: 286]؛ لكونِ الله تعالى. قال: قد فعلتُ فلا يجوزُ الدُّعاءُ بما هو معلومٌ أنّ الله فعله أو يفعلُه لا محالةَ.

وهذا باطلٌ؛ لأنّ من المعلوم بالضّرورة من دينِ الإسلام أنّ اللهَ أمَرَ النّبيَّ ﷺ أن يدعوَه في كُلِّ ركعةٍ من صلاتِه بأن يهديَه إلى الصِّراطِ المُستقيم معَ أنّه ﷺ كان عالِمًا بأنّ اللهَ هداه إلى الصِّراط المُستقيم، وكان يقولُ: «رَبِّ اغفِر لي وتُب عَلَيَّ إنّك أنت التّوّابُ الغفورُ»[1] في المجلسِ الواحدِ أكثرَ من سبعين مرّة، وفي «الصّحيح»[2] أنّه كان يقول: «إنّي لَأستغفِرُ اللهَ وأتوبُ إليه أكثَرَ من مِائة مَرّة».

=(ج4/ 274-276)، حيث قال: القسم الثالث: الذي ليس بكفر، وهو محرم، أن يطلب الداعي من الله تعالى نفي أمر دل السمع على نفيه، وله أمثلة: الأول: أن يقول: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ...﴾ مع أن رسول الله قد قال: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه» فقد دل هذا الحديث على أن هذه الأمور مرفوعة عن العباد، فيكون طلبها من الله تعالى طلبا لتحصيل الحاصل، فيكون سوء أدب على الله تعالى، لأنه طلَبٌ عَرِيٌّ عن الحاجة، والافتقار إليه...إلا أن يريد الداعي بقوله: «إن نسينا»؛ أي: تركناه مع متعمد...فهذا يجوز، لأنه طلب العفو عما لم يعلم العفو فيه...وكذلك إذا أراد بقوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ أي: من البلايا والرزايا والمكروهات؛ جاز له لأنه لم تدل النصوص على نفي ذلك...فإن أطلق العموم من غير تخصيص لا بالنية، ولا بالعادة، عصى لاشتمال العموم على ما لا يجوز؛ فيكون ذلك حرامًا، لأن فيه طلب تحصيل الحاصل...

(1) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده: (ج8/ 350)، رقم (4726).

2- أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، رقم (1516).

3- الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما يقول إذا قام من مجلسه، رقم (3753). قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب».

4- ابن ماجة في سننه، كتاب الأدب، باب الاستغفار، رقم (3814). جميعًا من طريق: مالك بن مغول، عن محمد بن سوقة، عن نافع، عن ابن عمر، قال:...الحديث.

(2) رواه: البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ، رقم (6307).

بـل قـد ثبـتَ أنّ النّبيَّ ﷺ قـد أخبَرَ بمصارعِ أشرافِ قُريشٍ يومَ بـدرٍ، ثُـمَّ دخَـلَ العريشَ [1] يستغيثُ بالله، ويقـول: «اللهـمّ أنجِـز لـي مـا وعَدتَنـي» [2] مـع تحقُّقِـه ﷺ أنّ اللـه تعالـى لا يُخلِفُ الميعادَ؛ ولعلمِه بأنّ اللهَ سينصرُه لا يمنعُ مُباشـرةَ السـببِ، وفيـه تعليـمٌ لِأُمّته بأن تدعوَ بما هـو مُحقَّقٌ ومظنونٌ، وكذلك الدُّعـاءُ بالوسـيلة بعـدَ فـراغِ الأذانِ مـعَ قطعِنـا بـأنّ اللـهَ تعالـى قـدِ ادَّخرَهـا لـه، وكذلـك دُعاؤُنـا لـه ﷺ مـعَ قطعِنـا بـأنّ اللـهَ قـد صلَّـى عليـه، وقـد تعبَّدَنـا اللـه عَزَّوَجَلَّ بالصّلاة عليه داخلَ الصّلاةِ وخارجَها وإقامةَ هـذا الشِّعارَ له إلى يومِ القيامةِ من كُلِّ يـوم وليلةٍ مِرارًا، وهـذا يدلُّكَ علَى الاعتنـاءِ برتبَتِـه ﷺ، وعنـد هـؤلاءِ المُبتدعـة مـا يسـوغُ طلـب مـا هـو حاصـلٌ فـي نفسِ الأمر.

مـعَ أنّ اللـه تعالـى قـد أخبَرَه فـي كتابـه أنّـه قـد غفَر لـه ما تقـدَّم ومـا تأخَّر. فعلـى قولِهـم مـا كان يسـوغُ لـه أن يطلُـبَ مـا هـو حاصـلٌ فـي نفـس الأمرِ؛ إذ تحصيلُ الحاصـلِ مُحالٌ، وهـذا جُرأةٌ علَى اللـه ورسـولِه، فـإنّ اللـهَ تعالـى شـرَعَ الدُّعـاءَ فـي كتابِـه، وهـو عبـادةٌ كسـائرِ العِبـاداتِ، وقـد أمَـرَ اللـه تعالـى عبـادَه بالدُّعـاءِ [141/ ب]، وأثنـى عليهـم بـه، ووَعَدَهـم عليه بالاسـتجابةِ فـي مواضِـعَ مـن كتابه العزيزِ، فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: 186]، وقولـه: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: 60].

قال السُّـدّيُّ [3]: يقول الله تعالى: سَلوني أعطِكم. ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ

---

(1) العريش: كل ما يستظل به. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، مادة (عرش)، (ج6/ 2706).

(2) قطعة من حديث رواه مسلم في صحيحه، رقم (58- 1763).

(3) رواه: الطبري في نفسره، (ج20/ 354)؛ من طريق: محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي:...

عِبَادَتِي﴾ دُعائي ومسألَتي[1] ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾؛ أي: صاغرينَ[2]، وقد أمرَ الله تعالى أشرف الخلق محمد ﷺ أن يدعوه، فقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: 80]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: 97-98].

وأمّا السُّنّة: فكثيرة جدًّا حتَّى صنّف جماعةٌ مِنَ العُلماءِ والحُفّاظِ في الدُّعاءِ والتّرغيبِ فيه والحثِّ عليه مُصنفاتٍ عديدةً.

فمنها: ما رَوى أبو داوُد والتّرمذيُّ والنّسائيُّ[3]، عنِ النُّعمان بن بَشيرٍ

---

(1) ذكره: ابن الجوزي في زاد المسير، (ج7/ 234).

(2) ذكره: الطبري في تفسيره، (ج20/ 354).

(3) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده: - (ج30/ 297-298)، رقم (18352)؛ من طريق: عبد الرزاق، قال: أخبرنا سفيان، عن الأعمش ومنصور، عن ذرٍّ، عن يُسيع الكندي، عن النعمان بن بشير، أن رسول الله ﷺ، قال: «إن الدعاء...الحديث». و(ج30/ 336)، رقم (18386)؛ من طريق: أبو معاوية، قال: حدثنا الأعمش، عن ذر...به. و(ج30/ 340)، رقم (18391)؛ من طريق: ابن نمير، قال: حدثنا الأعمش، عن ذر...به. و(ج30/ 380)، رقم (380)؛ من طريق: وكيع، قال: حدثنا الأعمش، عن ذر الهمداني...به. و(ج30/ 382)، رقم (18436)؛ من طريق: عبدالرحمن، عن سفيان، عن منصور والأعمش...به.

2- أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب الدعاء، رقم (1479)؛ من طريق: حفص بن عمر، قال: ثنا شعبة، عن منصور، عن ذر...به.

3- الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ: رقم (3225)؛ من طريق: هناد، قال: حدثنا أبومعاوية، عن الأعنش، عن ذر...به. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». ورقم (3549)؛ من طريق: بندار، قال: حدثنا عبدالرحمن بن مهدي...به. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

وفي أبواب الدعاء عن رسول الله ﷺ، رقم (3689)؛ من طريق: أحمد بن منيع، قال: حدثنا مروان بن معاوية، عن الأعمش، عن ذر...به. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح، وقد رواه منصور والأعمش، عن ذر، ولا نعرفه إلا من حديث ذر».

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عنِ النّبيِّ ﷺ قال: «الدُّعاءُ هو العِبادة»، ثُمَّ قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾... الآيةَ. وعن سلمانَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ ربّكم حَييٌّ كَريمٌ، يَستَحيي من عبده إذا رَفَعَ يَدَيه إلى السّماءِ أن يَرُدَّها صِفرًا»، رواه أبو داودَ، والتِّرمذيُّ، وابنُ ماجه[1]. وقال الحاكِمُ: علَى شرطِ

=4- ابن ماجة في سننه، كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء، رقم (3828)؛ من طريق: علي بن محمد، قال: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن ذر...به.

5- ابن حبان في صحيحه، (ج1/ 382)، ذكر البيان بأن دعاء المرء ربه في الأحوال من العبادة التي يتقرب بها إلى الله جَلَّ وَعَلَا، رقم (513)؛ من طريق: أبو يعلى، قال: حدثنا أبو خيثمة، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن ذر...به.

6- الحاكم في المستدرك، رقم (2/ 1802)؛ من طريق: أبو العباس محمد بن يعقوب، قال: ثنا إبراهيم بن هارون بن سليمان الأصبهاني، ثنا عبدالرحمن بن مهدي...به. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد رواه شعبة وجرير، عن منصور، عن ذر». قال الذهبي: «صحيح».

(1) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده، (ج39/ 119-120): - رقم (23714)؛ من طريق: يزيد، قال: أخبرنا سليمان التيمي، عن أبي عثمان، عن سلمان، قال: «إن الله ليستحيي أن يبسط العبد إليه يديه يسأله فيهما خيرًا، فيردهما خائبتين»؛ موقوفًا على سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ورقم (23715)؛ من طريق: يزيد، قال: أخبرنا رجل في مجلس عمرو بن عبيد، أنه سمع أبا عثمان يحدث بهذا، عن سلمان الفارسي، عن النبي ﷺ، بمثله. قال يزيد: سموه لي، قالوا: هو جعفر بن ميمون. قال عبدالله: قال أبي: يعني جعفر صاحب الأنماط.

2- أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، رقم (1488)؛ من طريق: مؤمل بن الفضل، قال: ثنا عيسى -يعني: ابن يونس-، ثنا جعفر -يعني: ابن ميمون صاحب الأنماط-، حدثني أبو عثمان، عن سلمان، قال: قال رسول الله ﷺ:...الحديث.

3- الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، رقم (3891)؛ من طريق: محمد بن بشار، قال: حدثنا ابن أبي عدي، قال: أنبأنا جعفر بن ميمون صاحب الأنماط، عن أبي عثمان النهدي...الحديث بلفظ: «صفرًا خائبتين». قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب، ورواه بعضهم ولم يرفعه».

4- ابن ماجه في سننه، كتاب الدعاء، باب رفع اليدين في الدعاء، رقم (3865)؛ من=

البُخـاريِّ ومُسـلم، ولفـظُ الترمـذيِّ: «أن يَرُدَّهمـا خائِبَتَيـنِ».

وفـي التِّرمـذيِّ أيضًـا عـن أبـي هُريـرة، قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «ليس شَـيءٌ أكـرَمَ على الله مِنَ الدُّعاءِ»، ورواه ابـنُ ماجه، وابنُ حِبّانَ، وصحَّحَه[1].

=طريـق: أبـو بـشر بكر بـن خلـف، قـال: حدثنـا ابـن أبي عدي...بـه. بلفـظ: «صفـرًا -أو قـال: خائبتـين-».

5- ابـن حبـان في صحيحـه، (ج5/ 452-453)، ذكـر الإخبـار عـما يستحب للمـرء عنـد إرادة الدعـاء رفـع اليديـن، رقـم (4733)؛ مـن طريـق: أحمد بـن علي بـن المثنـى، قـال: حدثنـا خليفة بـن خيـاط العصفـري، قـال: حدثنـا ابن أبي عدي...بـه.

6- الحاكـم في المستدرك: رقـم (30/ 1830)؛ مـن طريـق: أبـو العبـاس محمد بـن محبـوب، قـال: ثنـا سـعيد بن مسـعود، ثنـا يزيد بـن هـارون، أنبـأ سـليمان التيمـي، عـن أبي عثـمان النهـدي، عـن سلمان رذي الله عنه...-موقوفـا-. قـال الحاكـم: «هـذا إسـناد صحيـح على شرط الشـيخين». قـال الذهبـي: «عـلى شرط البخـاري ومسـلم). - قـال الحاكـم: «وقـد وصلـه جعفر بـن ميمـون، عـن أبي عثـمان النهـدي»: رقـم (31/ 1831)؛ مـن طريـق: أبـو العبـاس المحبـوبي، قـال: ثنـا سـعيد بن مسـعود، ثنـا يزيد بـن هـارون، أنبـأ جعفر بـن ميمـون، عـن أبي عثـمان...بـه مرفوعًـا.

(1) رواه: 1- أبـو داود الطيالـسي في مسنده، رقـم (2708)؛ مـن طريـق: عمـران، عـن قتـادة، عـن سـعيد بن أبي الحسـن، عـن أبي هريـرة، قـال: قـال رسـول الله ﷺ:...الحديـث.

2- الإمام أحمد في مسنده، (ج14/ 360)، رقـم (8748)؛ من طريق الطيالسي.

3- الترمـذي في سـننه، أبـواب الدعـوات عـن رسـول الله ﷺ، بـاب مـا جـاء في فضـل الدعـاء: رقـم (3686)؛ مـن طريـق الطيالـسي. قـال الترمـذي: «هـذا حديـث حسـن غريـب، لا نعرفـه مرفوعًـا إلا مـن حديـث عمـران القطـان، وعمـران القطـان؛ هو ابـن داور، ويكنـى أبا العـوام». ورقـم (3687)؛ مـن طريـق: محمد بـن بشـار، قـال: حدثنـا عبدالرحمن بـن مهـدي، عـن عمـران القطـان...بنحـوه.

4- ابن ماجة في سننه، كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء، رقم (3829)؛ من طريق الطيالسي.

5- ابـن حبـان في صحيحـه، (ج1/ 356)، ذكـر البيـان بـأن دعـاء المرء لله جَلَّوَعَلَا مـن أكرم الأشـياء عليـه، رقـم (464)؛ مـن طريـق: عمرو بـن مـرزوق، قـال: حدثنـا عمـران القطـان...بـه.

6- الحاكـم في المسـتدرك، (ج1/ 666)، رقـم (1801/ 1)؛ مـن طريـق الطيالـسي، وعمـرو بـن مـرزوق، وعبدالرحمن بـن مهـدي. قـال الحاكـم: «هـذا حديـث صحيـح الإسـناد ولم يخرجـاه»، وقـال الذهبـي: «صحيـح».

وفي التِّرمذيِّ أيضًا مرفوعًا: «مَن لم يَسألِ اللهَ يَغضَبْ عليه»[1].

وعن أبي هُريرة أيضًا، قال: قال رسول الله ﷺ: «الدُّعاءُ سِلاحُ المُؤمِنِ، وعِمادُ الدِّينِ، ونورُ السَّماواتِ والأرضِ»، رواه الحاكم في «المُستدرك»، وقال: صحيحٌ[2]. ورَوى الحاكِمُ، وابنُ حِبّانَ، وصحَّحاه، عن ثَوبانَ مرفوعًا: «لا يَرُدُّ القَدَرَ إلّا الدُّعاءُ»[3].

---

(1) رواه: 1- الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ: رقم (3690)؛ من طريق: قتادة، قال: حدثنا حاتم بن إسماعيل، عن أبي المليح، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ:...الحديث. قال الترمذي: «وقد روى وكيع وغير واحد، عن أبي المليح هذا الحديث، ولا نعرفه إلا من هذا الوجه. ورقم (3691)؛ من طريق: إسحاق بن منصور، قال: حدثنا أبو عاصم، عن حميد أبي المليح...نحوه.

2- الإمام أحمد في مسنده، (ج15/ 438)، رقم (9701)؛ من طريق: مروان الفزاري، قال: أخبرنا صبيح أبي المليح...بنحوه، بلفظ: «من لا يسأله يغضب عليه».

۞ قال ابن حجر في فتح الباري، (ج11/ 95): («من لم يسأل الله يغضب عليه» أخرجه أحمد...كلهم من رواية أبي صالح الخوزي؛ بضم الخاء المعجمة، وسكون الواو، ثم زاي، عنه، وهذا الخوزي مختلف فيه، ضعفه ابن معين، وقواه أبو زرعة).

(2) رواه: الحاكم في المستدرك، (ج1/ 669)، رقم (1812/ 12)؛ من طريق: محمد بن عبد الله الزاهد، قال: ثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي -وهو ابن أبي الدنيا-، ثنا الحسن بن حماد الضبي، ثنا محمد بن الحسن بن الزبير، ثنا جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده، عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ:...الحديث. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح، فإن محمد بن الحسن هذا هو التّلّ، وهو صدوق في الكوفيين». قال الذهبي: «صحيح».

(3) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده: (ج37/ 68)، رقم (22386)؛ من طريق: وكيع، قال: حدثنا سفيان، عن عبد الله بن عيسى، عن عبد الله بن أبي الجعد، عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ:...الحديث. و(ج37/ 95)، رقم (22413)؛ من طريق: عبدالرزاق، قال: أخبرنا سفيان...به. و(ج37/ 111)، رقم (22438)؛ من طريق: وكيع، عن سفيان...به.

2- ابن ماجة في سننه: رقم (90)؛ من طريق: علي بن محمد، قال: حدثنا وكيع...به. وكتاب الفتن، باب العقوبات، رقم (4022)؛ من نفس الطريق السابق. =

وفي لفظِ الحاكم: «الدُّعاءُ ينفعُ مِمّا نَزَلَ ومِمّا لم يَنزِل، وإنّ البلاءَ لَينزِل فيَتلَقّاه الدُّعاءُ فيَعتَلِجانِ إلى يومِ القيامة»(1).

ورَوَى ابنُ أبي شيبةَ موقوفًا على أبي الدّرداءِ أنّه كان يقولُ: «خُذوا في الدُّعاءِ، فإنّه مَن يُكثِر قَرعَ البابِ يوشِك أن يُفتَحَ لَه»(2).

= 3- ابن حبان في صحيحه، (ج5/ 80)، ذكر الإخبار عما يستحب للمرء من المواظبة على الدعاء والبر، رقم (4016)؛ من طريق: وكيع، عن سفيان...به. قال أبو حاتم: «قوله ﷺ في هذا الخبر لم يرد به عمومه...ودوام المرء على الدعاء يطيب له ورود القضاء، فكأنه رده لقلة حسه بألمه...».

4- الحاكم في المستدرك، (ج1/ 670)، رقم (1814/ 14)؛ من طريق: قبيصة بن عقبة، وأبو حذيفة، قالا: ثنا سفيان الثوري...به. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». قال الذهبي: «صحيح».

5- الترمذي في سننه، أبواب القدر عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء، رقم (2289)؛ من طريق: محمد بن حميد الرازي، وسعيد بن يعقوب، قالا: حدثنا يحيى بن الضريس، عن أبي مودود، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر». قال الترمذي: «وفي الباب: عن أبي أسيد. هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث يحيى بن الضريس... وأبو مودود الذي روى هذا الحديث اسمه: فضة، بصري».

(1) رواه: الحاكم في المستدرك، (ج1/ 669)، رقم (1813// 13)؛ من طريق: أبو بكر بن إسحاق، قال: نبأ أبو مسلم، ثنا عبد الله بن عبدالوهاب، ثنا زكريا بن منظور شيخ من الأنصار، قال: أخبرني عطاف بن خالد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسول الله ﷺ:...الحديث. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». قال الذهبي: «زكريا مجمع على ضعفه». يعتلجان: أي: يتصارعان. انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (علج) (ج6/ 2865).

(2) رواه: 1- ابن أبي شيبة في مصنفه، (ج6/ 22)، رقم (29175)؛ من طريق: الحسن بن موسى، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت ويونس بن عبيد، عن الحسن، أن أبا الدرداء، كان يقول:....

2- البيهقي في شعب الإيمان، (ج2/ 384)، رقم (1102) بإسناده عن معمر، عن قتادة، أن أبا الدرداء، قال:....

ونحو هذه الأحاديثِ ممّا يردُّ علَى مَن أنكرَ الدُّعاءَ، أو أنّه لا يُدعى إلّا بشيءٍ مخصوصٍ، كلُّ هذا من بدَعِ المُتأخّرين المُبتدعينَ، فإنّ من فضلِ الدُّعاءِ ردَّ البلاءِ به، فالدُّعاءُ سببٌ لِرَدِّ البلاءِ واستجلابِ الرّحمةِ، كما أنّ المِجنّ[1] سببٌ لِرَدِّ السّيفِ والسّهم، وليس من شرطِ الإيمانِ بالقضاءِ والقدَرِ أن لا نَحملَ السّلاحَ، فإنّ اللهَ تعالى يقولُ: ﴿وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: 102]، فربطُ الأسبابِ بالمُسبّباتِ هو حقيقةُ الإيمانِ بالقضاءِ والقدرِ خيرِه وشرِّه، فالخيرُ له أسبابٌ توجِبه، كما أنّ الشّرَّ له أسبابٌ ترفعُه وتدفعُه، كما سنُبيِّن بعدُ إن شاءَ الله.

ولم يزَلِ المُسلمون من عهدِ النّبيِّ ﷺ وإلى زمانِنا هذا يدعونَ ربَّهم في مقاماتِ الدُّعاءِ، وهو عندَهم من أرفعِ العِبادةِ وأفضلِها، وقد ورَدَ في السُّنّة والآثارِ مِنَ الأدعيةِ النّبويّة ممّا يواظِبُ عليها سلَفُ هذه الأمّة وخلفُها إلى عصرنا هذا ما يميلُ عنها، وقد حكَى الله تعالى عن زكريّا أنّه قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: 89-90]، ولو أنكرَ أحدٌ علَى النّاس في دُعائِهم لخالِقِهم، وقال لهُم: إنّ هذا أمرٌ قد فُرغ منه لبادَروا إلى تكفيره، بل إلى قتلِه، وقالوا له: هذا كتابُ الله ينطِقُ، والسُّنّة تُصرِّحُ، والمُسلمونَ دائمون عليه، فأيُّ شُبهةٍ لكَ؟ بل يُقال له: إنّ اللهَ قد قضَى بحُصولِ الشّيءِ عندَ حُصولِ سبَبه مِنَ التّوكُّلِ والدُّعاءِ. فالدُّعاءُ يردُّ القلبَ إلى الله تعالى بالتّضرُّعِ والاستكانةِ له وحُضورِ القلب وخُشوعِه، فنَصَب التّوكُّلَ والدُّعاءَ سببَينِ لِحصول المطلوبِ، وقضَى بحصولِه إذا فعَل العبدُ سببَه، وإذا لم

---

(1) هو الترس، انظر: كتاب العين؛ للخليل بن أحمد، (ج6/ 155).

يـأتِ بالسّببِ امتنعَ المسبّبِ، ولَمّا دَعا زكريّا وقَضى اللهُ لـه بحُصولِ الولدِ عندَ مُباشرتِه لأهلِه، فهذا هو السّببُ والمُسبّب، وكلُّ شخصٍ بهذه المثابةِ، وقضَى بحُصولِ الشّبَعِ إذا أكَلَ، والرّي إذا شرِبَ، وقضى بدُخولِ الجنّة إذا أسلَمَ وعمِلَ صالحًا، فإذا ترَكَ الإسلام لم يدخلها أبدًا، وقضى بإنضاجِ الطّعامِ وإيقادِ النّارِ تحتَه، وقضى بخُروجِ الحبِّ مِنَ الأرضِ بشَقِّ الأرضِ وإلقاءِ البذرِ فيها، وقضى بحصولِ الحجِّ وأداءِ المناسكِ بحُصولِ السّعي، ولو قعَدَ في بيته لم يصِل إلى عرَفاتٍ أبدًا، ولا يكونُ مِنَ الطّائفة ممَّن يُسافرُ إلى الحجِّ، فيُلقي نفسَه في البراري والقِفارِ المُهلكَةِ ويدَّعي التّوكُّلَ والتّفويضَ ولا زاد ولا خيال(1)، وذلك من أعظمِ البِدَعِ [141/ أ] أيضًا، وهو عدولٌ عن طريقِ السّلفِ، فقد كانوا يحمِلون الأزوادَ، وهم يتوكّلون علَى الله تعالى، فإذا ألقى السّالكُ بيده إلى التّهلُكةِ لم يفهم معنَى التّوكُّلِ، فباطِنُه معلولٌ؛ لأنّه اعتمَدَ علَى جِهةٍ وثِقَ قلبُه بها، وأكثَرُ ما يُؤذي السّالكَ في سُلوكه الخيالاتُ الفاسدةُ، ولكِن هم أحسنُ حالًا ممّا يعتقِدُ أنّ هذا هو الحقُّ، ويُرصّعُه في كتابٍ له ويدعو النّاسَ إليه، فضَرَره مُتعدٍّ إلى غيرِه، وضرَرُ السّالك على نفسِه.

والمقصودُ: لو ترَكَ النّاسُ الأسبابَ علَى قولِ مَن أنكرَ السّببَ ويقولونَ: إن سَبَقَ لي في الأوّلِ شيءٌ حصَلَ؛ فإن كان ولدًا فلا بُد لي منه، تزَوّجتُ أو لم أتزوّج، وكذلك الحجُّ، وكذلك الجوعُ والعطشُ ونحوُه، فلا بُدَّ أن يصِلَ تحرّكتُ أو سكنتُ!

بل يُقال لهم: ولا يُصلّي ولا يصومُ ولا يفعَلُ شيئًا مِنَ الطّاعات، فإن كان قد كُتب لي أن أدخلَ الجنّة دخلتُ، وإن لم يكُن قد قُضي لي لم

---

(1) الخيالة: أصحاب الخيول. انظر: الصحاح للجوهري، مادة (خيل)، (ج4/ 1691).

يحصُل لي، فعلتُ أو تركتُ! والله مَن فعَلَ هذا لم يعدّه النّاسُ العُقلاءُ عاقلًا، بل هذا كافِرٌ من جُملةِ الكفرةِ، بل يُقال: ركونُ العبدِ إلى السّببِ وقطعُ نظره عنِ الله تعالى ذُهولٌ وذنبٌ عظيمٌ وعمًى عن إحسانِ الله إليه، فإنّ الأسبابَ مُتعلِّقةٌ بحكمة الله تعالى، والتّوكُّلُ مُتعلِّقٌ بربوبيّة الله تعالى، فالأوّلُ أمرُه ودينُه، والثّاني قضاؤُه وقدَرُه.

وإنّما المنهيُّ عنه في السّبب ما يصُدُّ عنِ الواجباتِ، كما قال تعالى: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [الجمعة: 9]، وقال بعدَ أداءِ الواجباتِ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: 9]، وأثنى على المُتلبّسينَ بالأسباب ولا تُشغلُهم عن أداءِ الواجباتِ، فقال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ [النور: 37]، فما كان مِنَ الأسبابِ مُلهيًا وشاغِلًا عمّا أمرَ الله به من ذكره والصّلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ فهو منهيٌّ عنه وإن لم يكُن جنسُه مُحرّمًا. والله الموفِّق لِما يُحبه ويرضاه.

فَصْلٌ

وقد فسّر قومٌ التّوكُّلَ بحُسنِ الظّنِّ بالله(1)، وهو حسَنٌ، ولكن عندَ التّحقيقِ إنّ حُسن الظّنِّ به يدعو إلى التّوكُّلِ عليه؛ إذ لا يُتصوّرُ التّوكُّلُ علَى الله في أمرٍ مِنَ الأمورِ علَى مَن يُسيءُ ظنّه به [142/ ب]، ولا يتوكَّلُ عليه مَن لا يرجوه، فمَن أحسنَ ظنّه بالله وسلَّم أمرَه إليه، وفوّضَ الأمر كلَّه إليه ومنه؛ نقلَه الله إلى درجة الرِّضا الّتي هيَ ثمرة التّوكُّلِ.

---

(1) مما فسره بذلك؛ عبد الله بن داود الخريبي، كما رواه البيهقي في شعب الإيمان، (ج2/ 456)، رقم (1214)؛ من طريق: أبو زكريا بن أبي إسحاق، قال: حدثنا أبي، حدثنا الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة، قال: سمعت محمد بن يحيى الأزدي، يقول: سمعت عبد الله بن داود الخريبي، وسئل عن التوكل، فقال: أرى التوكل حسن الظن بالله عَزَّوَجَلَّ.

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ[1]: المُقدّر[2] يكتنفُه أمرانِ: التّوكُّلُ قبلَه، والرِّضا بعدَه، فمَن توكّل علَى الله قبلَ الفعلِ، ورضي بالمقضيِّ بعدَ الفعلِ فقد قامَ بالعُبوديّة.

قال العلّامة ابنُ القيِّم[3]: معنَى قولِ النّبيِّ ﷺ في دعاءِ الاستخارة: «اللهم إنّي أستَخيرُكَ بعِلمِكَ، وأستَقدِرُكَ بقُدرَتِكَ، وأسألك من فَضلِكَ العظيم»[4]، فهذا توكُّلٌ وتفويضٌ. ثُمَّ قال: «فإنّكَ تَقدِرُ ولا أقدِرُ، وتَعلَمُ ولا أعلَمُ، وأنت عَلّامُ الغُيوبِ»، فهذا تبَرُّؤٌ إليه مِنَ العِلم والحولِ والقوّة، وتوسُّلٌ إليه سبحانَه بصفاته الّتي هي أحَبُّ ما توَسّلَ إليه بها المُتوسِّلونَ. ثُمَّ سألَ ربَّه أن يقضيَ له ذلك الأمرَ إن كان فيه مصلَحةٌ، عاجلًا وآجلًا، وأن يصرفَه عنه إن كان فيه مضرَّتُه عاجِلًا وآجِلًا. فهذا هو حاجتُه الّتي سألَها فلم يبقَ عليه إلّا الرِّضا بما يقضيه له. فقال: «واقدُر لي الخيرَ حَيثُ كان ثُمَّ رَضِّني به». انتَهى.

فالعبدُ إذا شاوَرَ عبدًا مثله في أمرٍ واستنصَحَه فيه، قد ينصحُه وقد لا ينصحُه، وإن نصَحَه فيه وكان من أهلِ الخيرِ إنّما يُرشدُه إلى ما أدّاه اجتهادُه إليه من فعلٍ أو تركٍ في الظّاهرِ، فإنّه لا يعلَم باطنَ الأمرِ ما هو إلّا الله، فإذا أعرضَ العبدُ عنِ المخلوق ولجأ إلى الخالقِ في طلَبِ حاجةٍ، وأنزَل فاقتَه به الّذي يعلمُ عواقِبَ الأُمور كما يعلَمُ ظواهرَها؛ فإنّه يُرشده إلى ما هو الأصلحُ للعبدِ، فدَعاءُ الاستخارةِ قدِ اشتمَلَ على

---

(1) ذكره عنه ابن القيم في مدارج السالكين (ج2/ 122).

(2) كذا في الأصل، وفي مدارج السالكين: المقدور.

(3) انظر: مدارج السالكين (ج2/ 122- 123).

(4) رواه: البخاري في صحيحه: كتاب التهجد، باب ما جاء التطوع مثنى مثنى، رقم (1162). وكتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة، رقم (6382). وكتاب التوحيد، رقم (7390).

هـذه المعـارفِ الإلهيّـة والحقائـقِ الإيمانيّـة الّتـي مـن [142/ أ] جملتِهـا التّـوكُّلُ والتّفويضُ قبلَ وقـوعِ المقـدور والرِّضـا بعـد. وهـي ثمرةُ التّـوكُّل والتّفويـضِ كمـا قدَّمتـه لـكَ، فمَـن لـم يـرضَ بمـا قضَـى اللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لـه فتَفويضُـه وتوكُّلُـه معلـولٌ.

قـال **بشـرٌ الحافي**[1]: يقـول أحدُهـم: توكَّلـت علَـى اللـه. يكـذِب علَـى اللـه، لـو تـوكَّل علَـى اللـه رضـيَ بمـا يفعـلُ اللـه. وكذلـك قوُلـه: «دعـوتُ فلـم يسـتجِب لـي»، واللـه تعالـى قـد يؤخـرُه بحلـه، أو يدفـع عنـه مثلَـه، أو يدِّخـرُه لـه إلـى يـومِ القيامـةِ؛ كمـا فـي الحديـثِ.

وذكَـرَ ابـنُ عبد البـرِّ[2]، عـن إبراهيمَ بـن أدهـم أنّـه قـال لـه رجـلٌ: قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر: 60]. فمـا لنـا ندعـو اللـهَ فـلا يسـتجيبُ لنـا؟ قـال إبراهيمُ بـن أدهـم مـن أجـلِ خمسـةِ أشـياءَ، قـال: ومـا هـيَ؟ قـال: عرَفتُـمُ اللـه فلـم تُـؤدّوا حقَّـه، وقرَأتُـمُ القـرآنَ فلـم تعمَلـوا بـه، وقُلتـم: نُحـبُّ الرسـول وتَركتُـم سَـبيلَه، وقُلتـم نَلعَـن إبليـسَ وأطَعتُمـوه، وتَركتُـم عيوبَكُـم وأخَذتُـم فـي عُيـوبِ النّـاس[3]. وقـولُ يحيى بـن مُعـاذٍ الـرّازيِّ: وقـد سُـئِل: متَـى يكـونُ الرّجُـلُ مُتـوكِّلًا؟ فقـال: إذا رضـيَ باللـه وكيـلًا[4].

فالعبـدُ الكامِـلُ الّـذي يرضَـى بمـا يفعلُـه بـه مـولاه، ولا يتَّـكِلُ عبد علـى عبد مثلِـه يهلَـك، فـإنّ توكُّلـه عليـه يوجـب لـه الضّـررَ مـن جهتِـه، فإنّـه فقيـرٌ

---

(1) تقدم.

(2) انظر: جامع بيان العلم وفضله، باب جامع القول في العمل بالعلم، (ج2/ 12-13).

(3) في حاشية الأصل: وزاد بعضهم وجه آخر: فقال: وقلتم: نحب الجنة، وما تعملون لها، وقلتم: نخاف النار ووهبتم أنفسكم لها، وقلتم: الموت حق، ولم تستعدّوا له، وأوتيتم نعمة الله، فلم تشكروها، ودفنتم موتاكم، فلم تعتبروا بهم.

(4) تقدم.

مُحتاجٌ إلى غيرِه أيضًا، ومِنَ المأثور عن أبي يزيدَ[1] أنّه قال: استغاثةُ المخلوقِ بالمخلوقِ كاستغاثة الغريقِ بالغريقِ[2]. وعن أبي عبد الله القُرشيِّ[3]: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجونِ بالمسجونِ[4].

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ[5] لَما حكَى هذه القِصّة: وهذا تقريبٌ، وإلّا فهو كاستغاثةِ العدَمِ بالعدَم؛ فإنّ المُستغاثَ به إن لم يخلُق الحقُّ فيه قوّة وحولًا، وإلّا فليس له من نفسه شيءٌ، قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: 255]، وقال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 102]، ثُمَّ بسَطَ الكلامَ على العبدِ والعِبادة. انتهى ما ذكَره.

فإذا كان العبدُ ليس عنده لِعبدٍ مثله نفعٌ ولا ضرٌّ، ولا عطاءٌ ولا منعٌ، ولا هُدى ولا ضلالٌ، ولا نصرٌ ولا خِذلان، ولا خفضٌ ولا رفعٌ، ولا عِزٌّ ولا ذُلٌّ، بل الرّبُّ عَزَّوَجَلَّ هو الّذي عندَه هذا كلُّه، فتَوكُّلُ العبدِ على غيرِ ربِّه نقصٌ في عقله، وجهلٌ [143/ ب] بربِّه عَزَّوَجَلَّ.

قال العلّامة ابنُ القيِّم[6]: والتّوكُّلُ من أعمِّ المقامات تعلُّقًا بالأسماء الحُسنى. فإنّ له تعلُّقًا خاصًّا بعامّة أسماءِ الأفعالِ، وأسماءِ الصِّفاتِ.

---

(1) تقدمت ترجمته.

(2) ذكره عنه ابن تيمية في الاستغاثة في الرد على البكري (ص: 202)، وفي مجموع الفتاوى (ج1/ 106).

(3) هو أبو عبد الله محمد بن سعيد القرشي، ذو البيان الشافي، واللسان الوافي، له كتاب شرح التوحيد. انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم، (ج10/ 337-339).

(4) رواه: السلمي في طبقات الصوفية، (ص:111)؛ من طريق: محمد بن أحمد الفراء، قال: سمعت محمد بن أحمد بن منازل، يقول: قال حمدون: استعانة المخلوق.. وكذا ذكره ابن الجوزي في مرآة الزمان (ج16/ 102) عن حمدون. وعزاه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى، (ج14/ 29)؛ لأبي عبد الله القرشي.

(5) انظر: مجموع الفتاوى (ج14/ 29).

(6) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، (ج2/ 125).

فله تعلُّقٌ باسم الغفَّارِ، والتَّوّابِ، والغفور والرّحيم، وتعَلُّقًا باسم الفتّاحِ، والوهّابِ، والرّزّاقِ، والمُعطي، والمُحسنِ، وتعَلُّقًا باسم المُعزِّ والمُذِلِّ، الخافضِ الرّافع المانع. من جِهةِ توكُّله عليه في إذلالِ أعداءِ دينِه، وخفضِهم ومنعِهم أسبابَ النّصرِ. وتعَلُّقًا بأسماءِ القُدرةِ، والإرادةِ. وله تعلُّقٌ بجميع الأسماءِ الحُسنى. ولهذا فسَّرَه مَن فسَّرَه مِنَ الأئمّةِ أنّه المعرفةُ بالله. وإنّما أرادَ أنّه بحسَب معرفةِ العبدِ يصِحُّ له مقامُ التّوكُّلِ. فكلُّ مَن كان بالله أعرفَ كان توكُّلُه عليه أقوى. انتهى.

فالعبدُ في توكُّلِه على الله عزَلَ نفسَه عن كُلِّ أمرٍ، ووكَلَها إلى خالقِها ورازقِها وناصرِها وهاديها المُسبغِ عليها النّعماءَ. فإنّ العبدَ إذا مسّه الله بضُرٍّ لم يكشفه عنه غيرُه، وإذا أصابَه بنعمةٍ يعجز أهل الأرضِ - بل وأهل السّماواتِ - أن يرفعوها عنه. فالعبدُ لا ينفعُه شيءٌ ولا يضرُّه إلّا الله أو بإذنِه، فالله تعالى يوكِّلُ عبدَه ويُقيمُه في حفظِ ما وكّله فيه، كما أنّ العبدَ يوكِّل الرّبَّ ويعتمِدُ عليه. فأمّا وكالةُ الرّبِّ عبدَه ففي قولِه: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ۝٨٩﴾ [الأنعام: 89]، قال قتادةُ: وكّلنا بها الأنبياءَ[1]. وقال الزّجّاج[2]: وكّلنا بالإيمانِ بها قومًا. فقيلَ: هم

---

(1) رواه: 1- عبد الرزاق في تفسيره (ج2/ 56)، رقم (824)؛ من طريق: معمر، عن قتادة، بلفظ: يعني النبيين الذين قص الله عليهم.

2- الطبري في تفسيره، (ج9/ 390)؛ من طريق: بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، بلفظ: وهم الأنبياء الثمانية عشر الذين قال الله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: 90].

۞ محمد بن عبدالأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة؛ -بنفس لفظ عبدالرزاق-.

(2) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، (ج2/ 270)؛ ثم قال بعد سرد الأقوال الثلاثة: وهو والله أعلم، يعني به الأنبياء الذين تقدموا...

الأنصار، قاله ابنُ عبّاسٍ، وابنُ المسيِّب[1]. وقيلَ: الأنبياءُ والصّالحونَ، قاله الحسَنُ[2]. وقيلَ: هُمُ الأنبياء الثّمانيةَ عشرَ في الآيةِ الّتي قبلَها، قاله ابنُ جريرٍ[3]. وقيلَ: إن يكفُرَ بها أهل الأرضِ فقد وكَّلنا بها أهلَ السّماء، قاله أبو رجاءٍ العُطارديِّ، ذكرَه أبو الفرج في «زاد المسير»[4] [143/أ].

وأمّا توكُّلُ العبدِ لربِّه عَزَّوَجَلَّ فهو تفويضُه إليه، وعَزلُ نفسِه عنِ التّصرُّفِ، وجعلُ الأمرِ كلِّه إليه.

وقال العلّامة ابنُ القيّم[5]: فإن قلتَ: هل يصِحُّ أن يُقال: إنّ أحدًا وكيلُ الله؟ قلتُ: لا، فإن الوكيلَ مَن يتَصرَّفُ عن موكِّلِه بطَريقِ النّيابةِ، والله تعالى لا نائِبَ لَه، ولا يخلفُه أحَدٌ، بل هو الّذي يخلُفُ عبدَه، كما قال النّبي ﷺ: «**اللهم أنت الصّاحِبُ في السّفَرِ والخليفة في الأهلِ والمالِ والولَدِ**»[6] على أنّه لا يمتنِعُ أن ينطلِقَ[7] ذلك على أنّه مأمورٌ بحفظِ ما وكَّله فيه. انتهى. وقد تقدَّم لنا نحوُ هذا. والله أعلم.

---

(1) رواه: 1- ابن أبي حاتم في تفسيره (ج4/ 1339)، رقم (7574)؛ من طريق: أبو صالح كاتب الليث، قال: حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عبّاس.
2- الطبري في تفسيره، (ج9/ 289)؛ من طريق: المثنى، قال: ثنا أبو صالح... به

(2) رواه: ابن أبي حاتم في تفسيره (ج4/ 1339)، رقم (7575)؛ من طريق: يحيى بن عبدك، قال: ثنا حسان بن حسان، ثنا أبو هلال، عن الحسن.

(3) قال ابن جرير الطبري في نفسيره، (ج9/ 390-391): وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك بالصواب، قول من قال:...يعني به: الأنبياء الثمانية عشر الذين سماهم الله تعالى ذكره في الآيات قبل هذه الآية، وذلك أن الخبر في الآيات قبلها عنهم مضى، وفي التي بعدها عنهم ذكر، فما بينها بأن يكون خبرا عنهم أولى وأحق من أن يكون خبرا عن غيرهم.

(4) انظر: زاد المسير في علم التفسير (ج3/ 81).

(5) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، (ج2/ 126-127).

(6) رواه: مسلم في صحيحه، رقم (425- 1342)؛ بلفظ: «...اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب، في المال والأهل...».

(7) كذا في الأصل، والمدارج: يُطلق.

الباب الحادي عشر

في الإرادة والزهد

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: 52]، وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب: 29]، وقد تقدَّم الكلامُ على قوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ ومَن هُم؟ وفيمَن نزلَت؟ وإنّما أُشكل على المتكلِّمين وجماعةٍ مِنَ المُريدين المُبتدعين ممَّن لم تكُن رسخَت في السُّنّة قدمُه، واحتَوشَتهُ[1] سبُلُ الشّيطانِ وهممُه، ولا تجِدُ عليهم روحَ السُّلوكِ ولا بهجة المحبّة، فقالوا: تعلُّقُ الإرادة بالله تعالى وكونُ وجهه عَزَّوَجَلَّ مُرادًا، وقالوا: الإرادة لا تتعلَّقُ إلّا بالحادثِ، وأمّا القديمُ فلا؛ لأنّ القديم يُراد، وأوّلوا الإرادة المُتعلقةَ به بإرادة التّقرُّبِ إليه، ثُمَّ إنّهم لا يُتصوَّر عندَهم التّقربُ إليه، فأوّلوا ذلك بإرادةِ طاعتِه الموجِبة لجزائِه. انتَهى كلامُهم. فلا تصِحُّ عندَهم الإرادةُ [144/ ب] إلّا لِمَن لا إرادة لَه.

قال في كتاب «العلل الّتي تدخلُ المقامات، وتَخفى علَى المُريدين»[2]: أمّا الإرادةُ فإنّها للعوامِّ، وهي صحّة القصدِ، وعزمُ النّيةِ، والإرجاع علَى الطّلب. وهي في طريق الخاصِّ تفرُّقٌ، ورجوعٌ إلى النّفس، فإنّ إرادةَ العبد

---

(1) أصل الكلمة... التجمع والجمع، يقال حشت الصيد وأحشته، إذا أخذته من حواله وجمعتها... حتوش القوم فلانا: جعلوه وسطهم. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (حوش)، (ج2/ 119).

(2) انظر: العلل التي تدخل على المقامات، (ص:316).

غيرُ حظِّه؛ وهي رأسُ الدّعوى، وإنّما الجمعُ والوجدُ والفناءُ ما يراد بالعبدِ ويُراد له ويُريده مولاه، قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: 107]. وقال في موضعٍ آخرَ في الإبدال عنها، لكن إرادةُ أهل الخُصوص في التّجرُّد عن المُرادات كلِّها مُشاهدةُ مُرادِ الحقِّ فيه، وله وإيّاه قال تعالى: ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الزمر: 38]. انتهى(1).

وقد تنوَّعَت عباراتُ القومِ فيها، وغالِبُهم يُخبر بأنّها تركُ العادة.

قال العلامة ابن القيم في «شرح المنازل»(2): ومعنَى قولِهم: «الإرادةُ: تركُ العادةِ»: أنّ عادة النّاس -غالِبًا- التّعريجُ عن أوطان الغفلة، وإجابة داعي الشّهوةِ، والإخلادُ إلى أرضِ الطّبيعةِ. والمُريدُ مُنسلِخٌ عن ذلك. فصار خُروجُه عنه أمارةً ودلالةً على صحّة الإرادةِ. فسُمّيَ انسلاخُه وتركُه إرادةً. انتَهى كلامُه. وقيل: الإرادةُ: نُهوضُ القلبِ في طلَبِ الحقِّ. ويُقال: لوعةٌ تهونُ على كُلِّ روعةٍ(3). وقال الدّقّاقُ(4): الإرادةُ: لوعةٌ في الفُؤادِ، لذعة في القلبِ، غرامٌ في الضّمير، انزعاجٌ في الباطنِ، نيرانٌ تأجّجُ في القُلوبِ. وقيلَ: من صفاتِ المُريدين التّحبُّبُ إلى الله تعالى [144/ أ] بالنّوافل، والإخلاصُ في نُصحه للأُمّة، والأُنسُ بالخلوةِ، والصّبرُ علَى مُقاساةِ الأحكام، والإيثارُ لأمرِه، والحياءُ من نظَره، وبذلُ المجهودِ في محبوبه، والتّعرُّضُ لِكلِّ سبَبٍ يوصل إليه، والقناعةُ بالخُمولِ، وعدَمُ قَرار القلبِ حتّى يصِلَ إلى وليِّه ومعبودهِ(5).

---

(1) المرجع السابق: (ص:325).

(2) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، (ج2/ 364).

(3) انظر: الرسالة القشيرية، (ص:351).

(4) ذكره عنه: القشيري في رسالته (ص:351).

(5) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، (ج2/ 365).

وقـال أبـو حاتـم الأصـمُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: إذا رأيـتَ المُريـدَ يُريـد غيـرَ مُـراده، فاعلَـم أنّـه أظهـرَ نَذالَتَـه. وقيـلَ:[2] مـن حُكـمِ المُريـد: أن يكـونَ نومُـه غلَبـةً، وأكلُـه فاقـة، وكلامُـه ضَـرورةً.

وقـال بعضُهـم: نَهايـةُ الإرادةِ: أن تُشـيرَ إلـى اللـه، فتَجِـدَه مـع الإشـارةِ. فقيـلَ لـه: وأيـنَ[3] تسـتوعِبُه الإرادةُ؟ فقـال: أن يجِـدَ اللـهَ بـلا إشـارة[4].

قال العلّامةُ ابنُ القيِّم: وهذا كلامٌ متينٌ، فإنّ المراتبَ ثلاثة:

أعلاهـا: أن يكـونَ واجِدًا لله تعالـى فـي كلِّ وقـتٍ، لا يتَوقَّـفُ وجـودُه لـه علـى إشـارة منه ولا مـن غيـره.

الثّانـي: أن يكـونَ لـه ملَكـة وحـالٌ وإرادة تامّـة، بحيـثُ متَى أُشيرَ لـه في[5] اللـه تعالـى وجَـدَه عندَ إشارة المُشـيرِ.

الثّالـث: أن لا يكـونَ كذلـك، ويتكلَّـفَ وِجدانَـه عنـدَ الإشـارة إليـه. فالأولَـى: للمقرَّبيـنَ السّـابقينَ، والوُسـطَى: للأبـرارِ المُقتصديـنَ، والثّالثـة: للغافليـنَ[6]. انتهـى كلامـه.

قـال أبـو عُثمـان الحيـريُّ[7]: مَـن لا تصِـحُّ إرادتُـه ابتـداءً، فإنّـه لا يزيـدُه

---

(1) انظر: الرسالة القشيرية (ص:352).

(2) رواه: القشـيري في رسـالته، (ص:352)؛ مـن طريـق: محمد بـن الحسـين، قـال: سـمعت أبـا بكـر الـرازي، يقـول: سـمعت الكتاني، يقول: مـن حكـم المريد أن يكـون فيه ثـلاث أشـياء:...

(3) في الأصـل: «أن»، وفي الرسـالة القشـيرية: «فـأي شيء تسـتوعب». والمثبـت مـن مـدارج السـالكين.

(4) رواه: القشـيري في رسـالته، (ص:352-353)؛ مـن طريـق: عبد الله بـن علـي، قـال: سـمعت الرقـي، يقـول: سـمعت الدقـاق، يقـول: نهاية الإرادة...

(5) كذا في الأصل، والمدارج: إلى.

(6) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، (ج2/ 365).

(7) انظر: الرسالة للقشيري، (ص:353).

مُرورُ الأيّام إلّا إدبارًا. وقال أيضًا: المُريد إذا سمِعَ شيئًا من علوم القوم فعَمِلَ به: صارَ حِكمةً في قلبه إلى آخرِ عُمُره ينتَفِع به، وينتَفِعُ به مَن سَمِعَه [145/ ب].

وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ[1]: حَدَّثني أبي[2]، عن مُحيي الدّينِ بنِ النّحّاسِ؛ وأظنّني سَمِعتُها منه أنّه رأى الشّيخَ عبد القادرِ الكيلاني في منامِه، وهو يقولُ عنِ الحقِّ تعالى: مَن جاءَنا تلَقَّيناه من البعيدِ، ومَن تَصرَّفَ بحَولِنا ألَنّا له الحديدَ، ومَنِ اتَّبع مُرادَنا أرَدنا ما يُريدُ، ومَن ترَكَ من أجلِنا أعطَيناه فوقَ المزيدِ. ثُمّ قال: قلتُ: هذا من جهةِ الرّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ. فالأولَيانِ: العِبادةُ والاستِعانة. والأُخريانِ: الطّاعةُ والمعصيةُ.

ثُم أخذَ الشّيخُ في شرحِ هذه الكلماتِ إلى أن قال: قولُه: «وَمَنِ اتَّبعَ مُرادَنا» عني المرادَ الشّرعيَّ؛ لِقولِه تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185]، وقولِه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ [النساء: 28]، وقولِه: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ﴾ [المائدة: 6] هذا هو طاعةُ أمرِه. انتهى كلامُه.

وقال العِمادُ الواسطيُّ: أوّلُ مقام المُريد: إرادة الحقِّ بإسقاطِ إرادتِه[3]. وقال في موضعٍ آخرَ: فله يُحبّون، وبذِكره يتَلذَّذونَ، ومنه يخافونَ، وعلَيه يعكُفون؛ فمنهم المريد والمُراد.

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى (ج10/ 549 - 550).

(2) هو عبدالحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن القاسم بن محمد بن الخضر بن تيمية الحراني، الإمام الفقيه شهاب الدين، سمع من والده، وتفنن في الفضائل، درس وأفتى وصنف، وكان من أنجم الهدى، وإنما اختفى بين نور القمر، وضوء الشمس؛ إشارة إلى أبيه وابنه الشيخ تقي الدين، توفي سنة (682هـ). انظر: المقصد الأرشد لابن مفلح، (ج2/ 166).

(3) ذكره عنه: القشيري في رسالته (ص:353).

وقال **يحيى بنُ مُعاذٍ**(1): أشدُّ شيءٍ علَى المريدينَ: مُعاشرة الأضدادِ.

وسُئل **الجُنيدُ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ(2): ما للمُريد حظٌّ في تجاراتِ(3) الحكاياتِ؟ فقال: الحِكاياتُ جندٌ من جُنودِ الله يُثبِّتُ بها قلوبَ المُريدينَ، ثُمَّ قرأ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ [145/ أ] مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: 120].

وقد نُقِلَ عن الجنيدِ كلِمة تَحتاجُ إلى تفسيرٍ وتكلُّفٍ وبَيانٍ: قال أبو عبد الرحمنِ السُّلميُّ: سمِعتُ مُحمَّدَ بنَ مخلَدٍ يقولُ: سمِعتُ جعفرًا يقولُ: سمِعتُ الجنيدَ يقولُ: المُريدُ الصّادِقُ غنيٌّ عن علمِ العُلماءِ(4).

قال **العلّامة ابنُ القيّم**(5): إذا صدَق المريدُ، وصحَّ عقدُ صِدقه مع الله: فتَحَ الله على قلبه ببركة الصِّدقِ، وحُسنِ المُعاملةِ مع الله؛ ما يُغنيه عن العُلوم الّتي هي نتائجُ أفكارِ النّاس وآرائِهم. وعنِ العُلوم الّتي هي فضلةٌ ليسَت من زادِ القبرِ. وعن كثيرٍ من إشاراتِ الصّوفيّة وعلومِهم، الّتي أفنَوا فيها أعمارَهُم: من معرفةِ النّفس وآفاتِها وعُيوبِها، ومعرفةِ مُفسداتِ الأعمالِ، وأحوالِ السُّلوك، حتّى كأنّ حالَ صِدقِه وصحّة طلبِه يُريه ذلك كلّه بالفعل.

ومثالُ ذلك: رجلٌ قاعدٌ في البلدِ يدأبُ ليله ونَهارَه في عِلم منازلِ الطّريقِ وعَقَباتِها وأوديتِها ومفاوزِها ومواردِها، وآخرُ: حمَله الوجدُ وصِدقُ الإرادةِ على أن ركِبَ الطّريقَ وسارَ فيها. وصِدقُه يُغنيه عن عِلم ذلك القاعد.

---

(1) المصدر السابق.

(2) ذكره عنه: القشيري في رسالته، (ص:353). وابنُ القيم في مدارج السالكين (ج2/ 366).

(3) كذا في الأصل، وفي الرسالة للقشيري: «مجاراة». وفي مدارج السالكين: «مجازات».

(4) رواه: أبو نعيم في حلية الأولياء، (ج10/ 270)؛ من طريق: جعفر بن محمد، قال: سمعت الجنيد، يقول:.... والقشيري في رسالته، (ص:353)؛ من طريق: محمد بن خالد، قال: سمعت جعفرا، يقول...به.

(5) انظر: مدارج السالكين (ج2/ 366).

وأمّا أن يُغنيه صِدقُ إرادته عن عِلم الحلالِ والحرام وأحكام الأمرِ والنّهي، ومعرفة العباداتِ وشُروطِها وواجباتِها ومُبطلاتِها، وعن عِلم أحكام الله ورسولِه على ظاهرِه وباطنِه: فقد أعاذَ الله مَن هو دون الجُنيد من ذلك، فضلاً عن سيِّدِ الطّائفة وإمامِها، وإنّما يقولُ ذلك قُطّاعُ الطّريقِ، وزنادِقة الصّوفيّة ومَلاحِدَتُهم. انتهى [146/ ب].

قلتُ: كلُّ أحدٍ يُؤخذ من كلامِه ويُترك إلّا صاحبُ الشّرع ﷺ كما قاله مالكُ بنُ أنَسٍ إمامُ دار الهجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُلٌّ يُؤخذ من كلامِه ويُترك إلّا صاحِبَ هذا القبرِ[1] -يعني النّبيَّ ﷺ-. وظاهرُ كلام الجُنيدِ رَحِمَهُ اللَّهُ العُمومُ في المُريد الصّادقِ، وهل طريقة المُريدِ الصّادقِ والفقيرِ والصّوفي والغنيّ والنّاسِ كلِّهم إلّا مُقيّدةٌ بالعِلم النّافعِ الّذي نتيجتُه العمَلُ الصّالحِ.

قال الحارثُ المُحاسبيُّ[2]: الخلقُ كلُّهم منازلهم عندَ الله على قدرِ علمِهم بالله وخشيتهم له لا علَى قدر الأعمالِ. وقال مُعاوية بن قُرّة[3]: إنّما يُراد الله بالعلمِ والمعرفة به لِمُعاملتِه، كما قال: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ۝٤٣﴾ [العنكبوت: 43].

بلِ الجُنيدُ ومشايخُ القوم قد نقلنا عنهم فيما تقدم أن لا يحِلَّ لأحَدٍ أن يتكلَّم في الطّريقِ إلّا بالعلَم، بلِ الجُنيدُ نفسُه رَحِمَهُ اللَّهُ قال: طريقُنا أو علمُنا هذا مُقيّدٌ بالكتابِ والسُّنّة، فمَن لم يقرَأ القرآنَ ويكتبُ الحديثَ لا يصلُحُ له أن يتكلَّم في علمِنا[4].

---

(1) ذكره عنه: الذهبي في سير أعلام النبلاء، (ج8/ 93).

(2) لم أقف عليه. (3) لم أقف عليه.

(4) تقدم.

وقـال أبـو سُـليمانَ الدّاراني[1]: إنّـه لَيَمُرُّ بي النُّكتـةُ من نُكَتِ القومِ فلا أقبَلُها إلّا بشاهِدَينِ الكتابِ والسُّنّة. وقد تقدَّم هذا في السّماعِ.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: 28] هل هذه الرُّتبة حصلَت لأحدٍ لغير العُلماءِ العارفين بالله؟ وقولُه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 9] فمَنَع مِنَ المُساواة بين العالم والجاهلِ؛ لِما خصَّ الله به العالِم مِنَ العِلم، وهل ورَّثَ الأنبياءُ غيرَ العُلماءِ؟ وهل بعَثَ الله الأنبياءَ والرُّسُلَ إلّا بالعِلم النّافِعِ، فبيَّنوا للنّاس ما أحَلَّ الله لهم وما حرَّمَ عليهم، وما أُمِروا به وما نُهوا عنه؟ وهل ذلك بغيرِ عِلمٍ مِنَ الله أوحاه إليهم؟ والمُريدُ أوِ السّالكُ أو كُلُّ مَن له عقلٌ وفهمٌ يعلَمُ أنّما يتقرَّبُ إلى الله تعالى إلّا بالعملِ الصّالِحِ، ولا يُعلم العملُ إلّا بالعِلم، فمَن عبد اللهَ [146/ أ] على جهلٍ كان ما يُفسد أكثرَ ممّا يُصلح.

قال ابنُ سيرين[2]: إنّ قومًا تركوا العِلمَ، واتَّخذوا المحاريبَ فصلَّوا

---

(1) رواه: السلمي في طبقات الصوفية (ص:76)؛ من طريق: جعفر بن محمد بن نصير، قال: سمعت الجنيد، يقول: قال أبو سليمان الداراني:...

(2) رواه: 1 - ابن عبد البر في الاستذكار، طبعة دار الكتب العلمية، كتاب العلم، باب ما جاء في طلب العلم، (ج8/ 616)؛ من طريق: أسد بن موسى، عن بكر بن خنيس، عن ضرار بن عمرو، عن محمد بن سيرين، قال:....

2 - الشجري في كتاب الأمالي، بترتيب محيي الدين محمد بن أحمد القرشي، تحقيق/ محمد حسن محمد، طبعة دار الكتب العلمية، (ج1/ 94)، رقم (358)؛ من طريق: أحمد بن إبراهيم الصيرفي، قال: أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن محمد القتات، قال: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الحسن، قال: حدثنا الحسن بن منصور، قال: حدثنا علي بن محمد -يعني: الطنافسي-، عن المحاربي، عن بكر بن خنيس،]عن صفوان، عن عمرو[-كذا ورد في المطبوع، والصواب: ضرار بن عمرو، وهو الذي يروي عنه بكر بن خنيس؛ انظر: تهذيب الكمال للمزي (ج4/ 209)-، عن ابن سيرين:...

3 - إسماعيل الأصبهاني -قوام السنة - في الترغيب والترهيب، (ج3/ 98)، رقم (2151)؛=

فيها حتَّى ييبسَ جلدُ أحدِهم على عظمِه، ثُمَّ خالَفوا السُّنّة فهَلَكوا، والله ما عمِلَ أحَدٌ بغير عِلمٍ إلّا كان ما يُفسد أكثرَ ممّا يُصلح.

وقال الخلّالُ في «جامعِه»: قال مُهَنّا: قُلت للإمام أحمدَ بنِ حنبَلٍ: ما أفضَلُ الأعمالِ؟ قال: طلَبُ العِلم. قُلتُ: لِمَن؟ قال: لِمَن صحَّت نيَّتُه. قُلت: وأيُّ شيءٍ يُصحِّحُ النّيّة؟ قال: ينوي يتَواضَعُ فيه، وينفي عنه الجهلَ[1].

وقال يعقوب بنُ بُختانَ[2]: سمِعتُ بشرًا الحافي يقول: لا أعلَم علَى ظهرِ الأرض عمَلًا أفضلَ من طلَبِ العِلم والحديثِ لِمَنِ اتَّقى اللهَ وحَسُنَت نيَّتُه، أمّا أنا فأستغفِرُ اللهَ من كُلِّ خطَرٍ فيه[3].

وقال بشرٌ الحافي أيضًا: سمِعتُ يَحيى بنَ اليماني[4] يقول: سمِعتُ

=من طريق: أبو طاهر النقاش، قال: أنبأ أبو عبد الله بن مندة، أنبأ عمر بن الحسن، حدثنا ابن أبي الدنيا، حدثنا الحسن بن الصباح، حدثنا عبدالرحمن المحاربي، عن بكر بن خنيس، عن ضرار بن عمرو، عن ابن سيرين، أنه قال:....

(1) ذكره: ابن مفلح في الآداب الشرعية، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، (ج2/ 126).

(2) هو يعقوب بن بُختان الفقيه، أبو يوسف، صاحب الإمام أحمد. روى عن: مسلم بن إبراهيم، وأحمد بن حنبل. وعنه: أبو بكر بن أبي الدنيا، وأحمد بن محمد بن أبي شيبة، وجعفر الصندلي. قال عنه الخطيب: «وكان أحد الصالحين الثقات». انظر: تاريخ مدينة السلام، للخطيب البغدادي (ج16/ 408). تاريخ الإسلام، للذهبي (ج6/ 451).

(3) رواه: الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث، (ص:82)؛ من طريق: الحسن بن علي بن محمد الجوهري، قال: حدثنا محمد بن العباس الخزاز، قال: حدثنا أبو الفضل الصندلي، قال: أخبرنا يعقوب بن بختان القزاز، قال: سمعت بشر بن الحارث، يقول:...

(4) هو يحيى بن يمان، أبو زكريا العجلي الكوفي، الإمام الحافظ الصادق العابد المقرئ. روى عن: هشام بن عروة، والمنهال بن خليفة، وإسماعيل بن أبي خالد، وجماعة. وتلا على حمزة الزيات. وصحب الثوري، وأكثر عنه، وكان من العلماء العاملين. روى عنه: بشر الحافي، وابنه داود بن يحيى بن يمان، ويحيى بن موسى البلخي، وغيرهم. ضعفه أحمد بن حنبل، وقال:=

سُفيانَ الثّوريَّ يقول: ما أعلَمُ شيئًا يُراد الله عَزَّوَجَلَّ به أفضلَ من طلَبِ العِلم[1].

وقال عبد الله بنُ المُبارك[2]: ما شيءٌ أفضَلَ من طلَبِ العِلم لله، وما شيءٌ أبغَضَ إلى الله من طلَبِ العِلم لِغير الله.

وقال أبو عبد الله أحمدُ بنُ عطاءٍ[3]: مَن خرَجَ إلى العِلم يُريدُ العِلمَ لم ينفَعه العِلمُ، ومَن خرَجَ إلى العِلم يُريدُ العملَ به نفَعَه قليلُ العِلم[4]. ثُمَّ قال: العِلم موقوفٌ علَى العمَلِ به، والعمَلُ موقوفٌ علَى الإخلاصِ، والإخلاصُ لله يورِث الفهمَ عنِ الله تعالى[5].

فالمُراد أنّ العِلم النّافعَ يحتاجُ إليه جميعُ الخلقِ أكثرَ مِنَ الطّعام والشّراب كما تقدَّمَ لنا ذلك في أوائل الكتاب، فإنّ العِلم به يعلَم الزُّهدَ في الدّنيا والتّرغيبَ في الأُخرى، والخوفَ والرّجاءَ والتّوكُّلَ والتّفويضَ والتّسليمَ، وبه يُعرف طريقُ القومِ الّذين صدَقوا ما عاهدوا اللهَ عليه،

=«حدث عن الثوري بعجائب...». روى له البخاري في «الأدب»، والباقون. توفي سنة (189هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج32/ 55-60). سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج8/ 356-357).

(1) رواه: الخلال في المجالس العشرة الأمالي، (ص:72)، رقم: (78)؛ من طريق: علي بن عمر الدارقطني، قال: ثنا محمد بن مخلد، ثنا محمد بن المثنى السمسار، قال: سمعت بشر بن الحارث، يقول: سمعت يحيى بن يمان، يقول: سمعت سفيان الثوري، يقول: «لا أعلم...».

(2) ذكره عنه: ابن مفلح في الآداب الشرعية، (ج2/ 127).

(3) هو أحمد بن عطاء بن أحمد بن محمد بن عطاء، أبو عبد الله الروذباري الصوفي الكبير، نزل صور. حدث عن: أبي القاسم البغوي، وابن أبي داود، والحسن بن إسماعيل المحاملي، وجماعة. وعنه: ابن جميع، وابنه السكن، وعبدالله بن بكر الطبراني، وآخرون. توفي سنة (369هـ). انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، (ج8/ 299-300).

(4) رواه: الخطيب البغدادي في تاريخ مدينة السلام، (ج5/ 553)؛ من طريق: أحمد بن الحسين بن أحمد، قال: سمعت أبا عبد الله الروذباري، يقول:...

(5) المرجع السابق.

حتَّى قال بعضُ أربابِ الأحوالِ: إذا رأيتَ الصّوفيَّ أوِ الفقيرَ يقدحُ في العِلم فاتَّهمه علَى الإسلام.

لكن يُقال: المُريد الصّادقُ وغيرُه إذا أخلَص لله قذَف الله في قلبِه نورًا مع ما في قلبِه من نورِ الإيمانِ به، فالنّورُ يهدي إلى النّورِ، والعِلمُ نورٌ، فصِدقُه وإخلاصُه يُعينه علَى العِلم فيأخذُه بسُهولةٍ وقليلِ اشتغالٍ، ويُغنيه عن كثيرٍ مِنَ العُلوم المُحدثة الّتي هي نتائجُ الفِكر، ويَشهد لهذا قولُه تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: 282]. وما ذكَره العلامة ابن القيم فيه كفاية.

فصل

ينبَغي للمُريد أو السّالكِ أو لِغيرِهما أن لا يفتخِرَ إلى مَن ينتَمي إليه مِنَ الفُقراء أوِ الصّوفيّة وغيرِهم

فقد سَمِعَ رسول الله ﷺ في بعض غَزَواته قائلًا يقول: يا لَلمُهاجرين، وآخرَ يقول: يا لَلأنصار، فقال: «**ما بالُ دَعوَى الجاهِليّة وأنا بَينَ أظهُرِكُم**»(1)

---

(1) رواه: 1 - البخاري في صحيحه: كتاب المناقب، باب ما ينهى عن دعوة الجاهلية، رقم (3518)؛ عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: غزونا مع النبي ﷺ...حتى تداعوا، وقال الأنصاري: يا للأنصار! وقال المهاجري: يا للمهاجرين! فخرج النبي ﷺ، فقال:...ما بال دعوى أهل الجاهلية...دعوها فإنها خبيثة... وكتاب التفسير، رقم (4905)؛ بلفظ: ما بال دعوى الجاهلية...دعوها فإنها منتنة...

2 - مسلم في صحيحه، رقم (63-2584)؛ بلفظ:... ما بال دعوى الجاهلية... دعوها فإناه منتنة... وأما لفظ: «وأنا بين أظهركم»، فهو حديث طويل، رواه الطبري في تفسيره، (ج5/ 627-629)؛ من طريق: ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني الثقة، عن زيد بن أسلم، قال: مر شأس بن قيس على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج، في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم،=

فسمّاه ﷺ دعوَى جاهليّة كونهما أخرجاه على وجه الافتخار هذا، وهُما اسمان [147/ ب] شريفان سمّاهما الله تعالى بهما في كتابه فنَهاهم عن ذلك وأرشَدَهم إلى أن يَتداعوا بالمُسلمين والمُؤمنين عباد الله، وهذا هو قولُه ﷺ في خُطبتِه: «أيُّها النّاسُ مَعاشِرَ المسلِمينَ»(1)، و«كونوا عِبادَ الله إخوانًا»(2).

فهذه الدّعوى الجامعة للمؤمنينَ بخلافِ الدّعوى المفرقة الّتي هي من شأن الجاهليّة، ويُشبه هذه الدّعوى الجاهليّة الخبيثة الّتي قد عَمّت وطَمّت أكثر البلاد ولأجلِها يتقاتَلُ العِبادُ ويكثُرُ الفسادُ في القُرى والبلاد وهي دعوَى القيسيّة واليمَنيّة.

=وصلاح ذات بينهم على الإسلام...فأمر فتى شابًا من يهود...وذكرهم يوم بعاث...فتكلم القوم عند ذلك وفتنازعوا وتفاخروا...فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج إليهم في من معه من المهاجرين من أصحابه، حتى جاءهم، فقال: «يا معشر المسلمين! الله الله، أبدعوى الجاهلية، وأنا بين أظهركم...»...

(1) رواه: الطبراني في المعجم الكبير، (ج3/ 53-61)، رقم (2676)؛ من طريق: محمد بن أحمد بن أحمد بن البراء، قال: ثنا عبدالمنعم بن إدريس بن سنان، عن أبيه، عن وهب بن منبه، عن جابر بن عبد الله، وعبد الله بن عباس، في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر:1] - إلى أن قال - فأمر رسول الله ﷺ بلالًا أن ينادي...ثم خطب خطبة وجلت منها القلوب، وبكت العيون، ثم قال:...معاشر المسلمين...-الحديث بطوله-.

۞ قال ابن الجوزي في الموضوعات، (ج1/ 301): «هذا حديث موضوع محال، كافأ الله من وضعه، وقبح من يشين الشريعة بمثل هذا التخليط البارد، والكلام الذي لا يليق بالرسول ﷺ، ولا بالصحابة، والمتهم به عبدالمنعم بن إدريس، قال أحمد بن حنبل: كان يكذب على وهب...»

(2) قطعة من حديث، رواه: 1 - البخاري في صحيحه: كتاب الأدب: باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، رقم (6064)، و(6065). وباب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾، رقم (6066). وباب الهجر، رقم (6076). ب - كتاب الفرائض، باب تعليم الفرائض، رقم (6724). 2 - مسلم في صحيحه، رقم (2559).

قال العلامة ابن القيم[1]: لا يذوقُ العبدُ حلاوةَ الإيمانِ وطعمَ الصِّدقِ واليقينِ، حتَّى تَخرجَ الجاهليّة كلُّها من قلبِه. ووالله لو تحقَّقَ النّاسُ في هذا الزّمانِ ذلك من قلبِ رجُلٍ لرَمَوه عن قوسٍ واحدةٍ. وقالوا: هذا مُبتدعٌ، ومن دُعاة البِدَع. فإلى الله المُشتَكَى. وهو المسئول للصَّبرِ والثّباتِ. فلا بُدَّ من لقائه ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾ [طه: 61]، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 227]. انتهى كلامُه.

فَصْلٌ

والإرادة من قوانينِ هذا العِلم وجوامعِ أبنيَتِه

فالعِلمُ مبنيٌّ على الإرادةِ فهي أساسُه، ومجمَعُ بنائِه، وهو مُشتمِلٌ على تفاصيلِ أحكام الإرادةِ، وهيَ حركةُ القلبِ؛ ولهذا سُمّي علمَ الباطنِ، كما أنّ علمَ الفِقه مُشتملٌ على تفاصيلِ أحكامِ الجوارحِ؛ ولهذا سمَّوه علمَ الظّاهر، فهاتانِ حركتانِ اختياريَّتانِ. وللعبدِ حركة طبيعيّة اضطراريّة. فالعِلمُ المُشتمِلُ على تفاصيلِها وأحكامِها: هو علمُ الطِّبِّ [147/ أ].

فهذه العُلومُ الثّلاثة هيَ الكفيلةُ بمعرفة حركاتِ النّفسِ والقلبِ، وحركاتِ اللّسانِ والجوارحِ، وحركاتِ الطبيعة.

فالطّبيبُ: ينظُر إلى تلك الحركاتِ من جهةِ تأثُّرِ البدَن عنها صِحّة واعتلالًا. والفِقيه: ينظُر في تلك الحركةِ من جهةِ موافقتِها لأمرِ الشّرع، ونَهيه وإذنه، وكراهيَّته، ومُتعلّقاتِ ذلك. والصّوفيُّ: ينظُر في تلك الحركاتِ من جهةِ كونِها موصِّلةً له إلى مُراده أو مُفسدة لقلبِه، أو مُصحِّحةً له[2].

---

(1) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، (ج2/ 370).

(2) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، (ج2/ 371-372).

قلتُ: قولُهُم: «إنّ علمَ الفِقه مُشتَمِلٌ علَى تفاصيلِ أحكام الجوارحِ، وهو عندَهم علمُ الظّاهِرِ، وأنّ علمَهم علمُ الباطنِ» ليسَ هو علَى إطلاقه، بل علمُ الفِقه مُشتملٌ علَى علمِ الظّاهِرِ وعلمِ الباطنِ.

فأمّا علمُ الظّاهِرِ: فحركاتُ الجوارحِ في العِبادات كلِّها مِنَ القيام، والقُعودِ، والركوعِ، والسُّجودِ، والإمساكِ عنِ الأكلِ والشُّربِ والجماعَ واللِّباس والتّجرُّدِ منه، والسّعيِ، والقِراءةِ والذِّكرِ. فمنها قوليًّا، ومنها فعليًّا.

وأمّا علمُ الباطنِ: وهي أفعالُ القُلوبِ، فلا تَستقيمُ حركاتُ الجوارحِ، بل ولا تصِحُّ إلّا به.

فمنها: النّيّة: وهيَ تدخلُ في جميع العِباداتِ، فإنّها القصدُ. ومحلُّها: القلبُ. قال الشّافعيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قولِ النّبيِّ ﷺ: **«الأعمالُ بالنّيّاتِ»**(1): يدخُلُ هذا الحديثُ في سبعين بابًا من الفِقهِ(2). فصِحّة أعمالِ الجوارحِ وفسادُها مبنيٌّ علَى النّيةِ.

---

(1) رواه: 1 - البخاري في صحيحه: كتاب بدء الوحي، رقم (1). وكتاب العلم، باب ما جاء أن الأعمال بالنية...، رقم (54)؛ بلفظ: «الأعمال بالنية...». وكتاب العتق، باب الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق ونحوه، رقم (2529)؛ بلفظ: «الأعمال بالنية...». كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، رقم (3898)؛ بلفظ: «الأعمال بالنية...». وكتاب النكاح، باب من هاجر وعمل خيرا لتزويج امرأة فله ما نوى، رقم (5070)؛ بلفظ: «العمل بالنية...». وكتاب الأيمان والنذور، باب النية في الأيمان، رقم (6689)؛ بلفظ: «إنما الأعمال بالنية...». وباب في ترك الحيل وأن لكل امرئ ما نوى في الأيمان وغيرها، رقم (6953)؛ بلفظ: «يا أيها الناس إنما الأعمال بالنية...». 2- مسلم في صحيحه، رقم (155 - 1907) بلفظ: «إنما الأعمال بالنيّة...».

(2) رواه: الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي، تحقيق/ محمود الطحان، طبعة مكتبة المعارف، (ج2/ 290)، رقم (1888)؛ من طريق: مسعود بن ناصر بن أبي زيد، قال: أنا علي بن بشرى السجستاني، نا محمد بن الحسين الأبري، قال: سمعت من أخبرني من الثقات، قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن داود، يقول: سمعت الربيع بن سليمان، يقول: سمعت الشافعي، يقول:....

ومنها: الإخلاصُ؛ وهو أن يقصدَ إلى ظاهِرِ أعمالِه، فيجعَلُها لله تعالى خالِصةً لوجهه الكريم، وهذا لا يحصلُ إلّا بعمَلِ القلبِ. فمَتى لم يُخلِص في أعمالِه بجوارحه الظّاهرة، وأشرَكَ فيها غيرَ الله فسَدَت، فقَصدُ الإخلاصِ ملاحظةُ خوفِ العِقابِ [148/ ب]، ورجاءُ الثّوابِ، والتّعظيمُ لأمرِ الله.

ومنها: النُّصحُ لله ولِرسوله وأئمّة المُسلمينَ وعامَّتِهم، كما ثَبَت ذلك في «الصّحيح»(1)، فالدّينُ هو النّصيحةُ، وهو من أعمالِ القُلوب. قال العِمادُ الواسطيُّ(2): النُّصحُ لله عَزَّوَجَلَّ في الأعمال: هو الإكسيرُ الأعظمُ، به يفتحُ الله عَزَّوَجَلَّ علَى العبدِ - إذا شاءَ - مغالقَ الأحوالِ السّنيّة، والمقاماتِ العليّة، فمَن عاملَ اللهَ بنُصحٍ نصَحَه، وكفَى بذلك ثوابًا في الدُّنيا والآخِرة. انتهى كلامُه. فمَن لم ينصَح لله في أعمالِه فهو غاشٌّ لَه، وكفَى بذلك إثمًا. واعلم أنّ الصّلاةَ هيَ من أعمالِ الجوارحِ الظّاهرة، وتشتَمِلُ علَى كثيرٍ من أعمالِ القُلوب.

ومنها: الإيمانُ، لكنّه يشتمِلُ على عمَلِ القلبِ والجوارحِ كما قال الشّافعيُّ: الإيمانُ عقدٌ بالجنانِ، فبدَأ به، ونطقٌ باللِّسانِ، وعمَلٌ بالأركانِ، فمَن لا إيمانَ له لا صَلاةَ لَه.

ومنها: النّيّة، وقد تقدَّمَ الكلامُ عليها.

ومنها: الخُشوعُ الموجبُ للفَلاح، كما قال: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾، ثُمَّ قال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون: 1-3] فيُعرِضُ بفكرِه عن أُمورِ الدُّنيا وتدبيرِها.

ومنها: الحُضور بينَ يدَيِ الله تعالَى، وهو أخَصُّ مِنَ الخُشوعِ، فيَقِفُ

---

(1) رواه: مسلم في صحيحه، رقم (95 - 55) من حديث تميم الداري.

(2) لم أقف عليه.

بينَ يدَيِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ حاضِرَ القلبِ عالِمًا بأنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يراه ويرى مكانه ويسمَعُ نجواه، ويعلَمُ قصدَه ونيَّتَه في ضميره ويُخاطبه بـ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5].

ومنها: قِراءة القُرآن بتَدبُّرٍ وفهمٍ، فينتَبه لِوعده ووعيده وغيرِ ذلك.

ومنها: الخوفُ [148/أ] والتّحذيرُ، فيخافُ من سخَطِه وعقابِه، ويَخافُ من عدَمِ قَبولِ أعمالِه.

ومنها: الرّجاءُ، فهو يرجو الثّوابَ علَى أعمالِه، ويخافُ العِقابَ عليها، وغير ذلك من أعمالِ القُلوبِ ممّا يطولُ ذكرُه.

فعِلمُ الفِقه: يشتمِلُ علَى الشّيئينِ: الظّاهِرُ، والباطِنُ. فالفقيه: مَن يُعلِّمُ النّاسَ هذا وهذا؛ لأنّ كلَّ واحدٍ منهما مرتبطٌ[1] بالآخَرِ.

قال الحسنُ البصريُّ رَحِمَهُٱللَّهِعَلَيهِ[2]: إنّما الفقيه الزّاهِدُ في الدُّنيا، الرّاغِبُ في الآخِرةِ، البصير بدينِه، الدّائم في عبادة ربِّه.

فالزُّهدُ في الدُّنيا، والرّغبة في الأُخرى، وبصارتُه بدينِه، كلُّ ذلك من أعمال القُلوبِ. والعجبُ مِنَ العلّامة ابنِ القيِّم رَحِمَهُٱللَّهُ كونُه يوافقُهم على ما أصَّلوه، وسلَّمَ إليهم ما أحدَثوه. والإنصافُ أن يُقال: الفُقهاءُ غلَبَ عليهم علمُ الظّاهِرِ، لا أنّهم مُتجرِّدونَ من علمِ الباطنِ، وأولئك غلَب

(1) في الأصل: مرتبطًا، والمثبت هو الجادة.

(2) رواه: ابن المبارك في الزهد والرقائق، (ص:445)، رقم (30)؛ من طريق: سفيان بن عيينة، قال: نا رجل، قيل للحسن في شيء قاله: يا أبا سعيد! ما سمعت أحدًا من الفقهاء يقول هذا. قال: وهل رأيت فقيهًا قط؟! إنما الفقيه.... والإمام أحمد في الزهد، (ص:226)، رقم (1599)؛ من طريق: موسى بن هلال، قال: حدثنا صاحب الدستوائي، عن رجل، عن الحسن، قال: أتاه رجل فسأله عن مسألة؛ فأفتاه الحسن. قال: فقال الرجل: يا أبا سعيد! من الفقيه؟ قال:.... والدارمي في سننه، (ج1/ 337)، رقم (302)؛ من طريق: الحسن بن عرفة، قال: حدثنا المبارك بن سعيد، عن أخيه سفيان الثوري...به.

عليهم علمُ الباطنِ معَ ما هم مُلتزمونَ من علمِ الظّاهرِ، فصلاةُ العبدِ بمجرّدِ الشّبَحِ والقالِبِ من غير ذلك لا تَصِحُّ، ولا تُسمَّى صلاةً شرعيّة، ولا أمَر الله بصلاةٍ بغير إيمانٍ ولا نيّة ولا حُضورٍ ولا خُشوعٍ، بل يُصلّي بجسمِه. هذا ممّا تأباه الشّريعةُ، فعُلِم بذلك تلازمُ أعمال الجوارحِ وأعمالِ القُلوبِ. والله المسئولُ المطلوب أن يغفِرَ لنا جميعَ الذُّنوبِ.

فَصْلٌ

والإرادةُ -وإن كانت أساسَ هذا العِلم- فهي تدلُّ علَى الانقيادِ والإذعانِ إلى الحقيقةِ. والحقيقةُ عندَهُم: مُشاهدةُ الرُّبوبيّة، والشّريعة: التزام العُبوديّة. فالشّريعةُ أن تعبدَه. والحقيقةُ: أن تَشهدَه. فالشّريعة: قيامُك بأمره. والحقيقةُ: شهودُكَ لِوصفه. قال [149/ ب] شيخُ الطّريقةِ وإمامُ الطّائفةِ عبد القادر الكيلاني في «فُتوح الغيب»(1): إذا متَّ عَنِ الخلقِ؛ قيلَ لكَ: رحِمَك الله، وأماتَك عن هَواكَ. وإذا [مِتَّ] عن هَواكَ، قيلَ لَكَ: رَحِمَكَ الله، وأماتَك عن إرادتِكَ ومُناكَ. وإذا متَّ عن إرادتِكَ، قيلَ لكَ: رَحِمَكَ الله، وأحياكَ. فحينئذٍ تَحيا حياةً لا موتَ بعدَها، وتغنَى غِنًى لا فقرَ بعدَه، وتُعطَى عطاءً لا منعَ بعدَه، وتنعَمُ بنَعيم لا بُؤسَ بعدَه، وتَعلَمُ عِلمًا لا جَهلَ بعدَه، وتُؤَمَّنُ أمنًا لا تَخافُ بعدَه، وتَسعَدُ فلا تشقَى وتُعزُّ فلا تُذَلُّ، وتُقرَّبُ فلا تُبعَدُ، وتُرفَعُ فلا تُضَعُ، وتُعظَّمُ فلا تُحقَّرُ، فتَتَحَقَّقُ فيكَ الأماني، وتُصدَّقُ فيك الأقاويلُ، فتَكونَ كالكبريتِ الأحمَرِ، فلا تكادُ تُرَى. انتهى.

والمقصودُ: أنّ المُريدَ إذا تعلّقَت إرادتُه بإرادة القوم وسلوكِهم وطريقِهم دخَلَ في جُملَتِهِم، هُمُ القومُ لا يَشقى جليسُهُم، وكَما يُقال: مَن عاشَرَ قومًا فهو منهم، ولكِن يُخاف عليه في سُلوكه طُمأنينةٌ، وركونٌ، فيَكسلُ

(1) انظر: فتوح الغيب، المقالة الرّابعة: في الموت المعنوي، (ص: 28).

ويفترُ عنِ العمَلِ، فيطلُب الرفقةَ والقومَ فلا يجدُهُم، أو يسمع أنّهم قد قطَعوا عِدّة مراحِلَ، فيبقَى في ظُلمةِ كسَلِه إلى أن يركَبَ في البريدِ، ويجِدَّ في السّير ليلًا ونهارًا، فيلحَق رفقة ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: 69]. وكسلُ السّالكِ العارضِ له في سُلوكه في أوّلِ الأمرِ كان يجِدُّ تعبًا ومَشقّة في عمَلِه، وما ذاكَ إلّا لِعدم أُنسه قلبه بمعبوده، فإذا حصَلَت للقَلب روحُ الأُنسِ به زالَت عنه تلكَ المشقّاتُ والتّكاليفُ، وصارَت هي بعينِها قرة عينِه ولذّة جسمِه وسُرور قلبه [149/ أ].

فَصْلٌ

وأمّا **الزُّهدُ**: فقد أكثَرَ العُلماءُ مِنَ الفُقهاء وأهلِ الحديثِ والتّصوُّفِ والفُقراءِ وغيرِهم الكلامَ فيه، وكلٌّ أشارَ إلى ذوقِه، ونطَقَ عن حالِه.

وأمّا **حقيقةُ الزّهدِ**: فقيلَ: هو تركُ ما لا ينفَعُ في الآخرةِ. والورعُ: تركُ ما يُخاف ضرَرُه في الآخرة. وهذه العِبارةُ أحسنُ ما قيل في الزُّهد والورَع. وعليها كان يعوِّلُ شيخُ الإسلام ابن تيميةَ في مواضِعَ من مُصنّفاته(1). وسيأتي كلامُ العُلماء، ومشايخ القوم في الكلام على الزُّهد إن شاءَ الله.

وقال ابنُ فارسٍ في «المُجمل»(2): الورَعُ: العِفّة. يُقال: ورُعَ يورُعُ ورعًا إذا كان تقيًّا. انتهى.

---

(1) عزاه أيضا ابن القيم في مداراج السالكين، (ج2/ 10)؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(2) انظر: مجمل اللغة؛ لابن فارس، دراسة وتحقيق/ زهير عبدالمحسن سلطان، طبعة مؤسسة الرسالة، (ج3/ 922)، بدون عبارة: «إذا كان تقيًّا». وذكر في مقاييس اللغة، (ج6/ 100) بدلها: «إذا كان جبانًا».

وقد نطَقَ القرآنُ العظيمُ في آياتٍ كثيرةٍ، ورغَّبَت في الزُّهدِ في الدُّنيا، والإخبار بخسّتِها وقلّتِها وانقطاعِها وسُرعةِ فنائِها، وأنّها دارُ قلعةٍ وزَوالٍ، ومنزلُ نقلةٍ وارتِحالٍ، ومحلُّ نائبةٍ وامتِحانٍ، ومتاعُ غُرورٍ وافتِتانٍ، فلا يأسَف علَى ما فاتَ منها، ولا يفرَح علَى ما وجَد منها، وكما أنّه سُبحانه حضَّ علَى الزُّهد في الدُّنيا رغَّب خلقَه في الآخرةِ، وأخبَرَ بشرفِها ودَوامِها وسُرعة إقبالِها، فإذا أراد الله بعبده خَيرًا أقامَ في قلبه شاهِدًا يُعاينُ به حقيقةَ الدُّنيا والآخرة.

قال شَقيقُ بنُ عبد الله[1]: سَألتُ سبعَمائةِ عالِم عن خمسةِ أشياءَ؟ فَأجابوني بجوابٍ واحِدٍ. قُلتُ: مَن العاقِلُ؟ قالوا: مَن لم يُحبَّ الدُّنيا. فقُلتُ: مَنِ الكيسُ؟ قالوا: مَن لم تَغُرّه الدُّنيا. فقُلتُ: مَنِ الغنيُّ؟ قالوا: الّذي يَرضَى بما قَسَمَ الله له [150/ ب]. فقُلتُ: مَنِ الفقيرُ؟ قالوا: الّذي قلبُه مع طَلَبِ الزّيادةِ. فقُلتُ: مَنِ البخيلُ؟ قالوا: الّذي يَمنَعُ حَقَّ الله عَزَّوَجَلَّ من مالِه.

وأمّا ما ورَدَ مِنَ الآياتِ: فمنها قولُه تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: 77]؛ أي: مُدّة الحياةِ فيها قليلةٌ. ومُدّتُها قليلةٌ، ومُتعَتُك بها قليلٌ، وثوابُ الآخِرة لِمَنِ اتّقَى المعاصي وأقبَل علَى الطّاعات.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[آل عمران: 185] يُريد: أنّ العيشَ فيها يغرُّ الإنسانَ بما يُمنّيه من طول البقاءِ، وسينقَطِع عن قريبٍ[2].

---

(1) ذكره عنه: السمرقندي في تنبيه الغافلين، تحقيق/ يوسف علي بديوي، طبعة دار ابن كثير، (ص: 605).

(2) يقول الإمام الطبري في نفسيره، (ج2/ 288): يقول: وما لذات الدنيا وشهواتها، وما فيها من زينتها وزخارفها، ﴿إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾، يقول: إلا متعة يمتعكموها الغرور والخداع المضمحل، الذي لا حقيقة له عند الامتحان، ولا صحة له عند الاختبار، فأنتم تلتذون بما متعكم الغرور من دنياكم، ثم هو عائد عليكم بالفجائع والمصائب والمكاره...

قال سعيدُ بنُ جُبيرٍ[1]: متاعُ الغرور لِمَن لم يشتَغِل بطلَبِ الآخِرة، فأمّا مَنِ اشتَغَل بطلَبِ الآخِرة؛ فهي له متاعُ بلاغٍ إلى ما هو خيرٌ منه.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: 96]؛ أي: ما عندكم يفنى، وما عندَ الله باقٍ مُستمرٌّ أبدَ الآبادِ[2].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾... الآيةَ[3] [الحديد: 20]، ويُشبه هذه الآية أيضًا قولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ [يونس: 24]، وكذلك قولُه تعالى في «الكهف»: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾... الآيةَ[4] [45].

والمقصود: أنّ هذا مثَلٌ ضرَبه الله تعالى للدُّنيا الفانية، وسُرعةِ نَفادِها وذَهابِها [150/ أ]. وقيلَ: المثلُ في سُرعة تصَرُّفِ أحوالِها، وأنّها سَريعة الانقِضاء، فشَبَّهَها بمطَر نَزَل مِنَ السّماءِ فاختلَطَ به نَباتُ الأرض. يعني: التَفَّ النّباتُ بالمطَر وكثُرَ، ممّا يأكُلُ النّاس والأنعام مِنَ الحبوب وغيرِها، حتّى إذا تمّت زينة الأرضِ أتاها القضاءُ بالهلاكِ، فصارَت محصودة لا شيءَ فيها كأن لم تعمَر.

---

(1) ذكره عنه: الواحدي في التفسير الوسيط (ج4/ 252). وابن الجوزي في زاد المسير (ج1/ 518).

(2) قال الطبري في تفسيره (ج14/ 349): ما عندكم أيها الناس! مما تتملكونه في الدنيا وإن كثر فنافدٌ فانٍ، وما عند الله لمن أوفى بعهده وأطاعه من الخيرات باق غير فان، فلِما عنده فاعملوا، وعلى الباقي الذي لا يفنى فاحرصوا.

(3) وتتمتها: ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾.

(4) وتتمتها: ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾.

ومقصودُ المثَلِ: أنّ ساكِنَ الدُّنيا إذا جَمَع مالَه، وتَمَّ مُرادُه سُلِبَ أحَدُ الرّفيقَينِ؛ إمّا المالُ عَنِ المالكِ، أوِ المالِكُ عَنِ المالِ، ثُمَّ في تشبيه الدُّنيا بالماء(1) عشرة أقوالٍ:

أحدُها: أنّ الماء يجري بالطّبعِ فلا يستَقرُّ، فكذلك الدُّنيا.

الثّاني: أنّ الماء قليلُه يكفي، وكثيرُه يُهلِكُ، وكذلك الدُّنيا قليلُها يكفي وكثيرُها يُلهي.

الثّالث: أنّ الماءَ إذا طالَ حبسُه تَغَيَّرَ وفَسَدَ واستحالَ، فصارَ في حقِّ مُتناوِلِه سُقمًا، فكذلك الدُّنيا لِمُمسكِها بلاءٌ وأذًى.

الرّابع: أنّ الماءَ إذا سَقَى الشّجَرَ أبانَ عن جوهرِها بإظهار ثمرِها، وكذلك الدُّنيا إذا أتَت تُبرِزُ جواهِرَ الرِّجالِ من كريمٍ يسخو ولَئيمٍ يبخَلُ.

الخامِس: أنّ الماءَ يستُرُ عيبَ الأرضِ، والمالَ يَستُرُ عيبَ الشّخصِ.

السّادس: أنّ المطرَ لا يأتي بجولِ مُحتالٍ، وكذلك الدُّنيا لا تُجتلب بغيرِ الأقدارِ.

السّابع: أنّ الإنسانَ لا يقدِرُ علَى دفعِ المطرِ، وكذلك لا يقدِرُ العبدُ علَى دفعِ ما قُسِم له منها.

الثّامن: أنّ الزّرعَ يَفسُدُ بالماءِ إذا كثُرَ عليه، وكذلك [151/ ب] القلبُ يفسُدُ بالمالِ إذا كثُرَ عليه.

التّاسع: أنّ الماء يُطَهِّرُ الأنجاسَ، كذلك الماءُ يُزيلُ الأوساخَ.

---

(1) قال الخفاجي في كتاب سر الفصاحة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، (ص:246-247): «والأصل في حسن التشبيه أن يمثل الغائب الخفي الذي لا يعتاد، بالظاهر المحسوس المعتاد، فيكون حسن هذا لأجل إيضاح المعنى، وبيان المراد... ومما ورد في القرآن من ذلك: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ ...﴾ [يونس: 24] وهذه التشبيهات كلها ما بيناه من تشبيه الخفي بالظاهر المحسوس، والذي لا يعتاد بالمعتاد، لما في ذلك من البيان».

العاشر: أنّ الماء إذا اجتمع سالَ، وكذلك كمالُ الدُّنيا إذا تمَّت زالَت، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: 7 - 8]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: 16 - 17].

والتّزهيدُ في الدُّنيا في القرآن كثيرٌ. وقد تقدم لنا جملةٌ من ذلك فيما احتجَّت به الفُقراءُ على الأغنياءِ، فلا حاجةَ إلى تكراره.

فقد عُلم بهذا أنّ الدُّنيا بحرٌ عميقٌ مُغرقٌ. والنّاسُ فيه على طبقاتٌ[1]:

فمنهُم: قومٌ في السُّفُنِ؛ وهمُ العُلماءُ، وأهل السّيرِ العارفونَ.

ومنهم: قومٌ يَسبَحون وهمُ العوامُّ؛ فمنهم ناجٍ وهالِكٌ.

ومنهم: قومٌ غرقَى؛ وهمُ الكُفّارُ.

ومنهم: قومٌ علَى الشّطِّ؛ وهمُ الزُّهّادُ.

فالدُّنيا خَرابٌ، ومَآلُها إلى خرابِ الخرابِ، وأخرَبُ منها قلبُ مَن يُعَمِّرُها، لقد سَقَت أربابَها سُمًّا، وأبدلَتهم من أفراحِها همًّا، وأنبأتهم من مدحِها ذمًّا، وقطَعَت أكبادَهم فماتوا علَيها غمًّا، كَم خالفتِ الدُّنيا وحَلَفَت، وكَم وعَدَت أن تَبقَى وما وفَت، وكَم تَلافَت حتَّى إذا استَمكَنَت أتلفَت. فالعُمر فيها قصيرٌ، أعمارُ أهلها وغيرهم سَواءٌ **«أعمارُ أُمَّتي ما بَينَ السِّتّينَ إلى السّبعينَ، وقَلَّ مَن يَجوزُ ذلك»**[2] [151/ أ].

---

(1) في حاشية الأصل عنوان فيه: طبقات النّاس في الدنيا.

(2) رواه: 1 - الترمذي في سننه: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في أعمار هذه الأمة ما بين الستين إلى السبعين، رقم (2498)؛ من طريق: إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: حدثنا محمد بن ربيعة، عن كامل أبي العلاء، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «عمر أمتي من ستين إلى سبعين». قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب من حديث أبي صالح، عن أبي هريرة، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة». =

فَصْلٌ

وقد ورَدَ في الأحاديثِ والآثارِ مِنَ الزُّهدِ في الدُّنيا والتّرغيبِ في الآخِرة ما لا يُمكنني أن أُحصيَه؛ لِكثرته، حتَّى صنّفَ خلقٌ كثيرٌ مِنَ العُلماءِ في الزُّهدِ وحدَه مُجلَّداتٍ؛ كالإمام أحمدَ بنِ حنبَلٍ، والحارثِ المُحاسبيِّ، وعبدِ الله بنِ المُباركِ، ووكيعٍ، وهنّادِ بنِ السّريِّ، وابنِ أبي الدُّنيا، وغيرِهم، فنذْكُر مِنَ الأحاديثِ ما يسَّرَه الله.

فمنها: ما تقدمَ ذكرُه فيما احتجَّت به الفُقراءُ علَى الأغنياءِ. وَمنها: ما كان من حالِ نبيِّنا ﷺ وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وحالِ أكثَرِ الصّحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ومنها: ما ثَبَت في «صحيح البُخاري»[1] من حديثِ عبد الله بنِ

= ۞ أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، رقم (3883)؛ من طريق: الحسن بن عرفة، قال: حدثني عبدالرحمن بن محمد المحاربي، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أعمار أمتي...وأقلهم من يجوز ذلك». قال الترمذي: «هذا حديث غريب حسن من حديث محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وقد روي عن أبي هريرة من غير هذا الوجه».

2 - ابن ماجة في سننه، كتاب الزهد، باب الأمل والأجل، رقم (4236)؛ من طريق: الحسن بن عرفة...به.

3 - ابن حبان في صحيحه، (ج6/ 146)، ذكر الإخبار عن وصف العدد الذي به يكون عوام أعمار الناس، رقم (5033)؛ من طريق: محمد بن المسيب بن إسحاق، قال: حدثنا الحسن بن عرفة...به. قال ابن عرفة: «وأنا من الأقل».

4 - الحاكم في المستدرك، (ج2/ 463-464)، رقم (735/ 3598)؛ من طريق: أبو الحسن بن الفضل السامري، قال: ثنا أبو علي الحسين بن عرفة...به. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي.

(1) رواه: البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، رقم: (6416).

عُمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: أخذَ رسول الله ﷺ بمَنكِبي، فقال: «كُن في الدُّنيا كأنّكَ غريبٌ أو عابرُ سَبيلٍ»، وكان ابنُ عُمرَ يقولُ: إذا أمسَيتَ فلا تَنتظِرِ الصّباحَ، وإذا أصبَحتَ فلا تَنتظِرِ المساءَ، وخُذ من صِحّتِكَ لِمَرضِكَ، ومن حَياتِكَ لِموتِكَ.

قال بعضُ العُلماءِ: معنَى هذا الحديث: لا تركَن إلى الدُّنيا ولا تَتّخذها وطَنًا، ولا تُحدِّث نفسَك بطول البقاء فيها، ولا تَغتَرّ بها؛ فإنّها غرّارةٌ خدّاعةٌ، ولا تتعَلّق منها إلّا بما يتعلّقُ الغريبُ في غيرِ وطنِه، ولا تَشتَغِل فيها إلّا بما يشتَغِلُ الغريبُ الّذي يُريد به الذّهابَ إلى أهلِه[1].

وعن سهلِ بنِ سَعدٍ السّاعديِّ، قال: جاءَ رَجُلٌ إلى النّبيِّ ﷺ فقال: يا رسول الله دُلّني على عَمَلٍ إذا عَمِلتُه أحبّني الله وأحبّني النّاسُ، فقال: «ازهَد في الدُّنيا يُحِبّكَ الله، وازهَد فيما عند النّاسِ يُحِبّكَ النّاسُ» رواه ابنُ ماجه [152/ ب] بإسنادٍ جيِّدٍ[2].

وعنه أيضًا رفعَه إلى النّبيِّ ﷺ قال: «لو أنّ الدُّنيا تعدِلُ عند الله جَناحَ

---

(1) ذكره الإمام النووي في رياض الصالحين، تحقيق/ ماهر الفحل، طبعة دار ابن كثير، (ص: 165).

(2) رواه: 1 - ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب الزهد في الدنيا، رقم (4102)؛ من طريق: أبو عبيدة بن أبي السفر، قال: ثنا شهاب بن عباد، ثنا خالد بن عمرو القرشي، عن سفيان الثوري، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد الساعدي قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله: دلني على عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحبني الناس، فقال رسول الله:... الحديث.

2 - الحاكم في المستدرك، (ج4/ 348)، رقم (30/ 7873)؛ من طريق: أبو بكر محمد بن جعفر الآدمي، قال: ثنا أبو جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح، ثنا خالد بن عمرو القرشي...به. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». قال الذهبي في التلخيص: «خالد بن عمرو القرشي؛ وضاع».

بَعوضـةٍ ما سَقَى كافِرًا منها شَربةَ ماءٍ»، رواه التِّرمذيُّ وصَحَّحَه[1].

وقـد رَوَى الطَّبَرانـيُّ، والحافِظُ أبو نُعيم وغيرُهُمـا مـن حَديـثِ سُـفيانَ الثَّوريِّ، عـن عـونِ بـنِ أبي جُحيفة[2]، عـن أبيـهِ[3] أنَّ مُعاويـةَ ضـرب علـى النَّاس بعثًا، فخَرجوا فرَجَع منهم أبو الدَّحداحِ، فقـال لـه مُعاويةُ: ألـم تكن خرَجتَ مع النَّاسِ؟ قـال: بَلَى، ولَكِنِّي سَمِعتُ مـن رسـول الله ﷺ حديثًا، فأحبَبـتُ أن أضعَـه عنـدَك؛ مخافـة أن لا تلقانـي، إنّـي سـمِعتُ رسـول الله

---

(1) رواه: 1 - الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله، رقم: (2487)؛ من طريق: قتيبة، قال: حدثنا عبدالحميد بن سليمان، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، مرفوعًا. قال أبو عيسى الترمذي: «هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه».

2 - ابن ماجة في سننه، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، رقم (4110)؛ من طريق: هشام بن عمار، وإبراهيم بن المنذر الحزامي، ومحمد بن الصباح، قالوا: حدثنا أبو يحيى زكريا بن منظور، حدثنا أبو حازم...بنحوه.

3 - الحاكم في المستدرك، (ج4/ 341)، رقم (4/ 7847)؛ من طريق: محمد بن صالح بن هانئ، قال: ثنا السري بن خزيمة، ثنا سعيد بن سليمان الواسطي، ثنا سعدويه، ثنا زكريا بن منظور بن ثعلبة بن أبي مالك...بنحوه. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». قال الذهبي في التلخيص: «زكريا بن منظور؛ ضعفوه».

⊙ قال ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ، تحقيق/ عبدالرحمن بن عبدالجبار، طبعة دار الدعوة، ودار السلف، (ج4/ 2002)، رقم (4607): «رواه عبدالحميد بن سليمان، عن أبي حازم، عن سهل. وعبدالحميد؛ ليس بثقة».

(2) هو عون بن أبي جحيفة، واسمه: وهب بن عبد الله السوائي الكوفي. روى عن: عبدالرحمن بن سمير، والمنذر بن جرير بن عبد الله البجلي، وأبيه أبي جحيفة السوائي، وغيرهم. روى عنه: سفيان الثوري، وشعبة بن الحجاج، ومالك بن مغول، وغيرهم. وثقه يحيى بن معين، وأبو حاتم، والنسائي. روى له الجماعة. انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج22/ 447-448).

(3) هو وهب بن عبدالله، أبو جحيفة السوائي، كان من صغار أصحاب النبي ﷺ، نزل الكوفة، وابتنى بها دارًا. روى عن: النبي ﷺ، والبراء بن عازب، وعلي بن أبي طالب. روى عنه: إسماعيل بن أبي خالد، والحكم بن عتيبة، وابنه عون بن أبي جحيفة، وغيرهم. روى له الجماعة. انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج31/ 132-133).

ﷺ يقولُ: «يا أيُّها النّاسُ؛ مَن ولي منكم عَملًا فَحَجَبَ بابَه عن ذي حاجة لِلمسلِمينَ[1] حَجَبَه الله أن يَلِجَ بابَ الجنّة، ومَن كانتِ الدُّنيا هِمَّتَه حَرَّمَ الله عليه جَواريَ، فإنّي بُعِثتُ بخَرابِ الدُّنيا ولم أُبعَث بعَمارَتِها»[2].

وعن كعبِ بنِ عياضٍ، قال: سمِعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «لِكُلِّ أُمّة فِتنةٌ، وفِتنةُ أُمَّتي المالُ»، رواه التِّرمذيُّ. وقال: حديثٌ حسَنٌ صحيحٌ[3].

---

(1) كذا في الأصل، وفي المعجم الكبير للطبراني: المسلمين.

(2) رواه: 1 - الطبراني في المعجم الكبير، (ج22/ 301)، رقم: (765)؛ من طريق: جبرون بن عيسى المغربي، قال: ثنا يحيى بن سليمان الجفري المغربي، ثنا فضيل بن عياض، عن سفيان الثوري، به.

2 - أبو نعيم في حلية الأولياء، (ج8/ 130)؛ من طريق الطبرتمي.

3 - إسماعيل الأصبهاني -قوام السنة - في الترغيب والترهيب (ج2/ 72)، رقم (1178)؛ من طريق الطبراني.

۞ قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج5/ 210 - 211): «رواه الطبراني عن شيخه جبرون بن عيسى، عن يحيى بن سليمان الجفري؛ ولم أعرفهما، وبقية رجاله رجال الصحيح».

(3) رواه: 1 - الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال، رقم (2504)؛ من طريق: أحمد بن منيع، قال: حدثنا الحسن بن سوار، قال: حدثنا الليث بن سعد، عن معاوية بن صالح، عن عبدالرحمن بن جبير بن نفير، حدثه عن أبيه، عن كعب بن عياض...به. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب، إنما نعرفه من حديث معاوية بن صالح».

2 - الإمام أحمد في مسنده، (ج29/ 15)، رقم (17471)؛ من طريق: أبو العلاء الحسن بن سوار، قال: حدثنا ليث بن سعد...به.

3 - النسائي في السنن الكبرى، (ج10/ 386)، رقم: (11795)؛ من طريق: عمرو بن منصور، عن آدم، عن الليث بن سعد...به.

4 - ابن حبان في صحيحه، (ج5/ 373)، رقم (4575)، ذكر البيان بأن المال قد يكون فيه فتنة هذه الأمة؛ من طريق: محمد بن المنذر بن سعيد، قال: حدثنا إبراهيم بن أبي داود البرلسي، حدثنا آدم بن أبي إياس، حدثنا الليث بن سعد...به. =

وعن عُثمانَ بنِ عَفّانَ، أنّ رسول الله ﷺ قال: «**ليس لابنِ آدمَ حَقٌّ في سِوَى بَيتٍ يَسكُنُه، وثَوبٍ يواري عَورَتَه، وجِلفِ الخُبزِ[1] والماءِ**»، رواه التِّرمذيُّ وحسَّنَه، وصحَّحَه، ثُم قال التِّرمذيُّ: سمِعتُ أبا داودَ يقولُ: سَمِعتُ النَّضرَ بنَ شُمَيلٍ: الجِلفُ[2]: الخُبزُ ليسَ معَه إدامٌ[3]. وقال غيرُه: هو غليظُ الخُبزِ[4]. وقال الهَرَويُّ[5]: المُراد به هُنا: وِعاءُ الخُبزِ كالجوالقِ[6]، والخرج ونحوه[7]. وقد تقدَّم في «صحيحِ مُسلم»[8] مرفوعًا لَمّا قَرَأَ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، قال: «**يَقولُ ابنُ آدمَ: مالي مالي. وهل لَكَ من مالك يا ابنَ آدمَ إلّا ما أكلتَ فأفنيتَ، أو لَبِستَ فأبليتَ، أو تَصَدَّقتَ فأمضيتَ؟**».

=5 - الحاكم في المستدرك، (ج4/ 354)، رقم (53/ 7896)؛ من طريق: عبيدالله بن محمد البلخي، قال: ثنا أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل، ثنا أبو صالح، ثنا معاوية بن صالح...به. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». قال الذهبي: «صحيح».

(1) قال ابن بطال في شرح صحيح البخاري، (ج9/ 466): «يعني: كسر الخبز».

(2) في الأصل: الجلفة، والمثبت هو الصواب. وهو بكسر الجيم، وسكون اللام، بعدهما فاء. انظر: الترغيب والترهيب للمنذري، (ج4/ 165).

(3) رواه: الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الزهادة في الدنيا، رقم: (2509)؛ من طريق: عبد بن حميد، قال: حدثنا عبدالصمد بن عبدالوارث، حدثنا حريث بن السائب، قال: سمعت الحسن، يقول: حدثني حمران بن أبان، عن عثمان بن عفان، أن النبي ﷺ، قال:...الحديث. قال الترمذي: «هذا حديث صحيح، وهو حديث حريث بن السائب». **(4)** انظر: الترغيب والترهيب؛ للمنذري (ج4/ 165).

(5) انظر: الغريبين في القرآن والحديث، للهروي، (ج1/ 358).

(6) (ج ق): الجيم والقاف لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب إلا أن يكون معربًا أو حكاية صوت، مثل:...الجوالق: وعاء، والجمع الجواليق بالفتح. انظر: مختار الصحاح، (ص: 118).

(7) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (ج2/ 689)، رقم (2402)، مادة (جلف). **(8)** رواه: مسلم في صحيحه، رقم (2958).

وفي «الصّحيحَين»[1]: عن أبي سعيدٍ، قال: جلَسَ رسول الله ﷺ علَى المنبر وجَلسنا حولَه، فقال: «**إنّ مِمّا أخافُ عليكم بعدي، ما يُفتَحُ عليكم من زَهرة الدُّنيا وزينَتِها**».

وفي «صحيح مسلم»[2]: عن أنَسٍ [152/ أ] قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُؤتَى بأنعَم أهل الدُّنيا من أهلِ النّارِ يومَ القيامة، فيُصبَغُ في النّار صَبغةً، ثُمّ يُقالُ: يا ابنَ آدمَ؛ هل رَأيتَ خيرًا قطُّ؟ هل مَرّ بكَ نعيمٌ قطُّ؟ فيَقولُ: لا، والله يا رَبِّ. ويُؤتَى بأشَدِّ النّاسِ بُؤسًا في الدُّنيا من أهل الجنّة، فيُصبَغُ في الجنّة صَبغةً. فيُقالُ لَه: يا ابنَ آدمَ؛ هل رَأيتَ بُؤسًا قطُّ؟ هل مَرّ بكَ من شِدّة قطُّ؟ فيَقولُ: لا، والله ما مَرّ بي بُؤسٌ قطُّ، ولا رَأيتُ شِدّة قطُّ**».

وَعن شَهرِ بنِ حَوشَب، عن عُبادة بنِ الصّامتِ، قال: أُراه رَفَعَه إلى النّبيِّ ﷺ قال: «**يُجاءُ بالدُّنيا يومَ القيامة، فيُقالُ: مَيِّزوا ما كان فيها لله عَزّوَجَلّ، وألقُوا سائرَها في النّارِ**»[3].

---

(1) رواه: 1 - البخاري في صحيحه: كتاب الزكاة، باب االصدقة على اليتامى، رقم: (1465). وكتاب الجهاد، باب فضل النفقة في سبيل الله، رقم (2842).

2 - مسلم في صحيحه، رقم: (123 - 1052).

(2) رواه: مسلم في صحيحه، رقم: (55 - 2807).

(3) رواه: 1 - وكيع في كتاب الزهد، (ج2/ 643)، رقم (362)؛ من طريق: الأعمش، عن شمر بن عطية، عن عبادة بن الصامت، قال: «يجاء بالدنيا...».

2 - هناد بن السري في الزهد، (ج2/ 436)، رقم (858)؛ من طريق: أبو معاوية، عن الأعمش...به.

3 - ابن أبي الدنيا في كتاب الزهد، (ص:25)، رقم (6)؛ من طريق: العباس بن يزيد البصري، قال: ثنا أبو معاوية، قال: ثنا الأعمش، عن شمر بن عطية، عن شهر بن حوشب، عن عبادة بن الصامت، قال: -أراه رفعه-، قال:...

ورُوِيَ عنِ الحسن مُرسلًا أنّهم قالوا: يا رسول الله؛ مَن خيرُنا؟ قال: «أزهَدُكم في الدُّنيا وأرغَبُكم في الآخِرة»(1).

ورَوَى أيضًا بإسنادِه أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «مَن زَهِدَ في الدُّنيا أسكَنَ الله الحِكمةَ قَلبَه، وأطلَقَ بها لِسانَه، وبَصَّرَه بعُيوبِ الدُّنيا داءَها ودَواءَها، وأخرَجَه منها سالِمًا مسلِمًا إلى دارِ السّلام»(2).

قال مُعاذُ بنُ جبَلٍ: يا ابنَ آدَمَ؛ أنت إلى نَصيبِكَ مِنَ الدُّنيا مُحتاجٌ إليها، وإلى نَصيبِكَ مِنَ الآخِرة أحوَجُ، فَإن أنت بَدَأتَ نَصيبَكَ مِنَ الآخِرة مُرَّ على نَصيبِكَ مِنَ الدُّنيا، فانتَظِمها انتِظامًا، وإن أنت بَدَأتَ مِنَ الدُّنيا فاتَكَ نَصيبُكَ مِنَ الآخِرة، وأنت على نَصيبِكَ مِنَ الدُّنيا على خَطَرٍ(3).

---

(1) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الزهد، (ص:61)، رقم: (101)؛ من طريق: عبدالرحمن بن صالح، قال: ثنا عبدالرحمن المحاربي، عن مالك بن مغول، قال: أخبرت عن الحسن، قال: قالوا يا رسول الله!...الحديث.

(2) رواه: 1 - ابن أبي الدنيا في كتاب الزهد، (ص:61)، رقم (102)؛ من طريق: القاسم بن هاشم، عن حمزة بن سلم، عن محمد بن مسلم الطّائفي، عن صفوان بن سليم، مرفوعًا.

2 - البيهقي في شعب الإيمان، (ج13/ 120)، رقم (10049)؛ من طريق ابن أبي الدنيا. وقال: «هذا مرسل، وقد روي بإسناده آخر ضعيف».

(3) رواه: 1 - عبد الرزاق في جامع معمر بن راشد، (ج11/ 192)، رقم (20300)؛ من طريق: معمر، عن أبي قلابة، عن غير واحد، أن سعدا الضحاك مر به أصحاب النبي ﷺ قال: أوصوني، فجعلوا يوصونه، وكان معاذ بن جبل في آخر القوم، فمر به فقال: أوصني يرحمك الله، قال: «إن القوم قد أوصوك ولم يألوك، وإني سأجمع لك أمرك في كلمات: اعلم أنه لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا فنظمه لك انتظامًا، ثم يزول معك أينما زلت».

2 - ابن أبي شيبة في مصنفه، (ج7/ 125-126)، رقم (34695)؛ من طريق: أبو أسامة، عن ابن عون، عن محمد، قال: جاء رجل إلى معاذ بن جبل...

3 - هناد بن السري في الزهد، (ج1/ 296)، رقم: (520)؛ من طريق: المحاربي، عن ليث، عن صحاب له، عن عبدالرحمن بن ثروان، عن معاذ، قال:...

فَصْلٌ

وأمّا كلامُ مشايخِ القوم في الزُّهد؛ فقدِ اختلَفَت فيه أقوالُهم مع أنّهم كلَّهم يقصدونَ معنًى واحدًا.

قال سُفيانُ الثّوري: الزُّهدُ في الدُّنيا قِصَرُ الأمَلِ، ليسَ بأكلِ الغليظِ، ولا لُبسِ العباءِ[1]. وقال الجُنيدُ [153/ ب]: سَمِعتُ سَريًّا يقولُ: إنّ اللهَ سَلَبَ الدُّنيا عن أوليائِه، وحَماها عن أصفيائِه، وأخرَجها من قُلوبِ أهلِ ودادِه؛ لأنّه لم يرضَها لهُم[2].

وقال بعضُ المشايخ: الزُّهدُ في قوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: 23]، فالزّاهِدُ لا يفرَحُ منَ الدُّنيا بموجودٍ، ولا يأسَفُ منها علَى مفقودٍ[3].

وقال يحيى بنُ مُعاذٍ: الزُّهدُ يورِثُ السّخاءَ بالمُلكِ، والحُبُّ يورثُ السّخاءَ بالرّوح[4].

---

(1) رواه: 1 - وكيع في الزهد، (ج1/ 222)، رقم: (6).

2 - ابن أبي شيبة في المصنف، (ج7/ 240)، رقم: (35683)؛ من طريق: أبو خالد الأحمر، عن سفيان.

3 - ابنُ أبي الدنيا في الزهد، (ص:63)، رقم: (109)؛ من طريق: محمد بن العباس، قال: ثنا وكيع...به.

(2) رواه: 1 - البيهقي في الزهد الكبير، (ص:134)، رقم: (63)؛ من طريق: محمد بن الحسين السلمي، قال: سمعت سعيد بن أحمد، يقول: سمعت عباس بن عصام، يقول: سمعت الجنيد، يقول: سمعت السري، يقول:....

2 - القشيري في رسالته، باب الزهد، (ص:219)؛ من طريق: أبو عبدالرحمن السلمي...به.

(3) ذكره: ابنُ القيم عن الجنيد في مدارج السالكين (ج2/ 10).

(4) ذكره عنه: القشيري في رسالته (ص:219).

وقال ابنُ الجلاءِ[1]: الزُّهدُ: هو النّظرُ إلى الدُّنيا بعينِ الزّوالِ، لِتَصغُرَ في عينِكَ، فيَسهُلُ عليكَ الإعراضُ عنها[2].

وقال ابنُ خفيفٍ[3]: علامةُ الزُّهدِ وجودُ الرّاحةِ في الخُروجِ مِنَ المُلكِ[4].

وقال الجُنَيد: الزُّهدُ خُلوُّ القلبِ عمّا خلَت منه اليدُ[5].

وقال عبد الله بنُ المُبارك: الزُّهدُ: هو الثِّقةُ بالله معَ حُبِّ الفقرِ. وهذا قولُ شقيقٍ، ويوسُفَ بنِ أسباطٍ[6].

---

(1) هو القدوة العارف، شيخ الشام، أبو عبد الله ابن الجلاء. صحب والده، وأبا تراب النخشبي، وذا النون المصري. أخذ عنه: أبو بكر الدقي، ومحمد بن سليمان اللباد، ومحمد بن الحسن اليقطيني. أقام بالرملة وبدمشق، توفي سنة (306هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج14/ 251-252).

(2) ذكره عنه: القشيري في رسالته (ص:219).

(3) في الأصل: حَنيف، والمثبت هو الصواب. فهو الشيخ الإمام العارف الفقيه القدوة، ذو الفنون، أبوعبد الله محمد بن خفيف بن اسفكشار الضبي الفارسي الشيرازي، شيخ الصوفية. حدث عن: حماد بن مدرك، وهو آخر أصحابه، وعن محمد بن جعفر التمار، والحسين المحاملي، وجماعة. حدث عنه: أبوالفضل الخزاعي، والحسن بن حفص الأندلسي، والقاضي أبو بكر بن الباقلاني. وغيرهم. قال أبو العباس الفسوي: «صنف شيخنا ابن خفيف من الكتب ما لم يصنفه أحد، وانتفع به جماعة صاروا أئمة يقتدى بهم، وعُمِّرَ حتى عَمَّ نفعُه البلدان». توفي سنة (371هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج16/ 342-347).

(4) ذكره عنه: القشيري في رسالته (ص:220).

(5) ذكره عنه: القشيري في رسالته (ص:220).

(6) رواه: البيهقي في الزهد الكبير (ص:137-138)، رقم: (76)؛ من طريق: أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين، قال: سمعت منصور بن عبدالله، يقول: سمعت العباس بن يوسف الشكلي، قال: سمعت ابن يعقوب بن الفرجي، يقول: اختلف الناس في الزهد:... وقال قوم: الزهد هو الثقة بالله... وهو قول ابن المبارك، وشقيق، ويوسف بن أسباط... قال القشيري في رسالته، (ص:220):... وهذا أيضا من أمارات الزهد، فإنه لا يقوى العبد على الزهد إلا بالثقة بالله تعالى.

وقال عبدُ الواحد بنُ زيدٍ(1): الزُّهدُ: تركُ الدّينارِ والدِّرهمِ(2).

وقال أبو سُليمان الدّاراني: الزُّهدُ: تركُ ما يُشغلُ عنِ الله. وهذا قولُ الشِّبليِّ(3).

وسألَ رويمٌ(4) الجنيدَ عنِ الزُّهدِ؟ فقال: استِصغارُ الدُّنيا، ومحوُ آثارِها منَ القلبِ(5). وقال مرّة: هو خلوُّ اليدِ عنِ المُلكِ، والقلبِ عنِ التّتبُّعِ(6).

وقال يَحيى بنُ مُعاذٍ: لا يبلُغُ أحَدٌ حقيقةَ الزُّهدِ حتَّى [153/أ] يكونَ فيه ثلاثُ خِصالٍ: عمَلٌ بلا عَلاقةٍ، وقولٌ بلا طمَعٍ، وعِزٌّ بلا رياسةٍ(7). وقال أيضًا: الزّاهِدُ يُسعِطُكَ الخلَّ والخردلَ، والعارفُ يُشمُّكَ المِسكَ، والعنبَرَ(8).

---

(1) هو عبدالواحد بن زيد، الزاهد، القدوة، شيخ العباد، أبو عبيدة البصري. حدث عن: الحسن، وعطاء بن أبي رباح، وعبدالله بن راشد، وعدة. وعنه: محمد بن السماك، ووكيع، وأبو سليمان الداراني، وآخرون. قال البخاري: «تركوه»، وقال النسائي: «متروك الحديث». قال ابن حبان: «كان ممن غلب عليه العبادة، حتى غفل عن الإتقان، فكثرت المناكير في حديثه». توفي سنة (بعد 150هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج7/ 178-180).

(2) رواه: البيهقي في الزهد الكبير (ص:138)، رقم (76)؛ من طريق: أبو عبد الرحمن بن الحسين... -تقدم-. ذكره عنه: القشيري في رسالته (ص:220).

(3) رواه: البيهقي في الزهد الكبير (ص:138)، رقم (76)؛ من طريق: أبو بعدالرحمن بن الحسين... -تقدم-. - ذكره عنه: القشيري في رسالته (ص:220).

(4) هو رويم بن أحمد بن يزيد، كنيته أبو محمد. من أهل بغداد، وكان فقيها على مذهب داود الأصبهاني، وكان مقرئًا، توفي سنة (303هـ). انظر: طبقات الصوفية للسلمي، (ص:147-148).

(5) رواه: البيهقي في الزهد الكبير (ص:120)، رقم: (21)؛ من طريق: أبوعبدالرحمن السلمي، قال: سمعت أحمد بن علي بن جعفر، يقول: سمعت إبراهيم بن فاتك، يقول: سمعت الجنيد، وسأله رويم عن الزهد؟ فقال:....

(6) ذكره عنه: ابن القيم في مدارج السالكين (ج2/ 11) بهذا اللفظ.

(7) ذكره عنه: القشيري في رسالته (ص:221). الغزالي في إحياء علوم الدين،طبعة دار المعرفة، (ج4/ 242).

(8) نفس المصدرين السابقين.

وقال ذو النّون المصريُّ: حقيقةُ الزُّهدِ: الزُّهدُ في النّفس[1]. وقيلَ[2]: الزُّهدُ: الإيثارُ عندَ الاستغناءِ، والفُتوّة: الإيثارُ عندَ الحاجةِ، قَالَ تعَالَىٰ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: 9].

وقال رجُلٌ ليحيى بنِ مُعاذٍ: مَتى أدخُلُ حانوتَ التّوكُّلِ، وألبسُ رِداءَ الزّاهدينَ، وأقعُدُ معهُم؟ فقال: إذا صِرتَ من رياضَتِكَ لِنَفسِكَ إلى حَدٍّ لو قُطِعَ عنكَ الرِّزقُ ثلاثةَ أيّام لم تَضعُف نفسُكَ. فأمّا إذا لم تبلُغ هذه الدّرجةَ فجُلوسُكَ على بساطِ الزّاهِدينَ جهلٌ، ثُمَّ لا آمَنُ أن تَفتَضِحَ[3].

وقال أبو يزيدَ البسطاميُّ: عَشرة فيها راحة البدَنِ: الزُّهدُ في الدُّنيا، وتَركُ ما لا يعني، وقِلّةُ الشّيءِ، والفقرُ، وتَركُ الفُضولِ، والرِّضا مِنَ الدُّنيا بالقوتِ، وحِفظُ اللِّسانِ، والفراغُ، والقناعةُ، والاستعانة بالله عَزَّوَجَلَّ[4].

وقال الحسنُ البصريُّ: يا معشَرَ الشّبابِ؛ عليكُم بطلَبِ الآخِرة، فقد -واللهِ- رَأينا أقوامًا طَلَبوا الآخِرة فأصابوا الدُّنيا والآخِرة، -وَواللهِ- ما رأينا مَن طلَبَ الدُّنيا فأصابَ الآخِرة[5].

---

(1) ذكره عنه: القشيري في رسالته (ص:221) بلفظ: وقال رجل لذي النون المِصري: مَتى أزهد في الدنيا؟ فقال: إذا زهدت في نفسك.

(2) هو قول محمد بن الفضل، كما في الرسالة القشيرية (ص:221). وقوله: ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾؛ أي: ولو كان بهم حاجة وفاقة... انظر: تفسير الطبري، (ج22/ 527).

(3) ذكره عنه: القشيري في رسالته (ص:222). الغزالي في إحياء علوم الدين (ج4/ 242).

(4) رواه: ابن حَمكان في الفوائد والأخبار والحكايات، تحقيق/ عامر حسن صبري، طبعة دار البشائر، رقم: (72)؛ من طريق: أبو بكر محمد بن أحمد بن زريق البغدادي، قال: سمعت علي بن محمد بن صالح، يقول: قال أبو يزيد البسطامي: عشرة أشياء راحة البدن: الزهادة في الدنيا، وترك ما لا يعنيه... إلخ.

(5) رواه: البيهقي في الزهد الكبير، (ص:116)، رقم (13)؛ من طريق: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم، قال: أبنا أبو أحمد محمد بن أحمد بن الغطريف، ثنا يعقوب بن إبراهيم الحافظ، ثنا عمار بن رجاء، أبنا داود بن المحبر، ثنا سلام بن مسكين، قال: كان الحسن كثيرًا ما يقول:...

وروَى ابنُ أبي الدُّنيا، عن إياسَ بنِ حمزة رجُلٍ من أهل البحرَينِ، قال: قالتِ امرَأةٌ من قُريشٍ كانت تَسكُنُ البحرَينِ: لو رَأت أعيُنُ الزّاهِدينَ ثوابَ ما أعَدَّ الله لأهل الإعراض عَنِ الدُّنيا لَذابَت أنفُسُهم شَوقًا واشتياقًا إلى الموتِ؛ لينالوا من ذلك ما أمَّلوا من تَفَضُّله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ[1].

ورُوِّينا في الأوَّلِ مِنَ «الثَّقَفيّاتِ»[2] قال: قدمَ سُفيانُ الثّوريُّ البصرةَ، فأتَى رابِعةَ، وكانت رثّة الحالِ، فسَمعَ كلامَها، ثُمَّ قال لها: أرَى حالًا رَثّة، فلو كلَّمتِ فُلانًا جارَكِ لَغَيَّرَ ما أرَى من حالِكِ. فقالت: يا سُفيانُ؛ ما تَرَى من حالي؟ ألَستُ على الإسلام؟ فَهو الأُنسُ الّذي لا وحشة معه، والغِنَى الّذي لا فَقرَ معه، والعِزُّ الّذي لا ذُلَّ معه، والله إنّي لَأستَحيي أن أسألَ الدُّنيا مَن يَملِكُها، فَكيف أسألُها مَن لا يَملِكُها.

وقال طاوُسٌ: الدُّنيا مُرُّ الآخِرة، ومُرُّ الدُّنيا حُلوُ الآخِرة[3]. وروي نحوُه عن عيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ[4].

---

(1) رواه: ابن أبي الدنيا في: - كتاب الزهد، (ص:79) رقم: (162). - كتاب ذمِّ الدنيا، (ص:43)، رقم: (72). من طريق: قال: محمد بن الحسين، قال: حدثني المنهال بن يحيى، قال: حدثني إياس بن حمزة...فذكره.

(2) الثقفيات (الفوائد العوالي المنتقاة)؛ لأبي عبد الله الرئيس المتوفَّى (498 هـ)، (ص: 103)، برقم: (42) قال: حدثنا محمد بن إبراهيم بن جعفر الجرجاني إملاء، ثنا أبو علي الحسين بن علي، ثنا محمد بن زكريا، ثنا محمد بن عبد الله، ثنا علي بن محمد، قال: قدم سفيان الثوري البصرة... فذكره بلفظه.

ورواه الشجري في ترتيب الأمالي الخميسية (ج2/ 258)، برقم: (2350) من طريق آخر بألفاظ مختلفة.

(3) رواه: 1 - ابن أبي شيبة في مصنفه (ج7/ 202)، رقم: (35337)؛ من طريق: يحيى بن بكير، قال: حدثنا إبراهيم بن نافع، عن ابن طاوس، عن أبيه. 2 - أبو نعيم في حلية الأولياء، (ج4/ 12)؛ من طريق ابن أبي شيبة.

(4) ذكره عنه: ابن عبد البر في بهجة المجالس، القسم الثاني، باب ذكر الدنيا، (ص:280).

وقـال عمـرو بـنُ دينـارٍ: سَـمِعتُ عُبيـدَ بـنَ عُميـرٍ يقـولُ: إنّ الدُّنيـا أمَـدٌ، وإنّ الآخِـرة أبَـدٌ[1].

وقال الإمامُ أحمدُ: الزُّهدُ: علَى ثلاثةِ أوجُهٍ:

⊙ تركُ الحرام؛ وهو زُهدُ العوامِّ.

والثّاني: تركُ الفُضولِ مِنَ الحلالِ [154/ ب]؛ وهو زُهدُ الخواصِّ.

والثّالث: تركُ ما يُشغِلُ عنِ الله؛ وهو زُهدُ العارفينَ[2].

وهـذا كلامٌ مَتيـنٌ مِـنَ الإمـامِ أحمـد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهـو شـامِلٌ لجميـعِ مـا تقـدَّم ذكـرُه عـنِ الأئمّـة ومشـايخِ القـومِ مـعَ زيـادةِ فضـلٍ، فإنّـه رَحِمَهُ ٱللَّهُ كـان مـن أعلـم أهـلِ زمانـه بالزُّهـد لِتلبُّسـه بـه، فهـو يتكلّـم بلِسـانِ القـالِ ولِسـان الحـالِ، حتّـى شـهِدَ لـه الشّـافعي[3] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في روايـةِ الرّبيـعِ بـن سُـليمان أنّه قـال: أحمـدُ إمامٌ

---

(1) رواه: 1 - ابـن أبي الدنيـا في كتـاب الزهـد، (ص:109)، رقـم (237)؛ مـن طريـق: هـارون بـن سفيان، قـال: حدثني عباد بـن موسـى أبوعقبـة البـصري، قـال: حدثني محمد بـن مسـلم الطائفي، عـن عمرو بـن دينـار، عـن عبيد بـن عمـير، قـال:...

2 - خيثمة بـن سـليمان القـرشي الأطرابلـسي في جـزء الرقائـق والحكايـات، تحقيـق/ عمـر عبدالسـلام تدمـري، طبعـة دار الكتـاب العـربي، (ص:171)؛ مـن طريـق: البـرتي، قـال: حدثنـا أبـو حذيفـة، حدثنـا محمد بـن عمرو بـن دينـار، قـال: سـمعت عبيد بـن عمـير، يقـول:...

3 - أبـو نعيـم في حليـة الأوليـاء، (ج3/ 273)؛ مـن طريـق: محمد بـن أحمد بـن الحسـن، قـال: ثنـا إسـحاق الحـربي، ثنـا عباد بـن موسـى... بـه.

(2) ذكره عنه: - القشـيري في رسـالته (ص:222). - ابـن مفلـح الآداب الشرعيـة، طبعـة وزارة الأوقـاف والشـؤون الإسـلامية، فصـل في حقيقـة الزهـد، (2/ 358-359)؛ نقـلا عـن القشـيري.

۞ قـال ابـن القيـم في مـدارج السـالكين (ج2/ 12): وهـذا الـكلام مـن الإمـام أحمـد... مـن أجمـع الـكلام، وهـو يـدل عـلى أنـه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مـن هـذا العلـم بالمحـل الأعـلى، وقـد شـهد الشـافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإمامتـه في ثمانيـة أشـياء أحدهـا الزهـد.

(3) في حاشية الأصل عنوان فيه: شهادة الشافعي في فضائل أحمد بن حنبل.

فـي ثَمـانِ خِصـالٍ: إمـامٌ فـي الزُّهـدِ، إمـامٌ فـي الحديـثِ، إمـامٌ فـي الفِقـه، إمـامٌ فـي اللُّغـةِ، إمـامٌ فـي القـرآنِ، إمـامٌ فـي الفقرِ، إمـامٌ في الـورَعِ، إمـامٌ في السُّـنّة[1].

وقـال أيضًـا: خَرَجـتُ مـن بَغـدادَ، ومـا خَلَّفـتُ بهـا أحَـدًا أورَعَ ولا أتقَـى ولا أفقَـهَ ولا أعلَـمَ مـن أحمـد بـنِ حَنبـلٍ[2]. ونُقِـلَ عـن أحمـدَ أيضًـا أنّـه قـال: الزُّهـدُ فـي الدُّنيـا قِصَـرُ الأمَـلِ[3].

وقـال بعـضُ مشـايخِ القـومِ مِـنَ المُتأخِّريـن[4]: وأمّـا الزُّهـدُ: فإنّـه للعَـوامِّ؛ وهـو حبـسُ النّفـسِ عـنِ الملـذوذاتِ، وإمسـاكُها عَـنِ الفُضـولِ، وقطـعُ المحـابِّ، وحسـمُ الجـأشِ، وقطـعُ الهـوى، وتـركُ مـا لا يعنـي مـن كُلِّ شـيءٍ. وهـو فـي طَريـقِ الخـاصِّ: تـركُ مُعظـمِ الدُّنيـا، والاحتِبـاسُ عـنِ انتِقادِهـا. وأصلُـه: تعذيـبُ[5] الظّاهِـرِ بتركِهـا مـعَ تعلُّـقِ الباطِـنِ ببالِهـا، فـإنّ المُبـالاةَ

---

(1) نقله عنه: - أبو زكريا السلماسي في منازل الأئمة الأربعة، تحقيق/ محمود بن عبدالرحمن، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (ص:243). - ابن مفلح في المقصد الأرشد، (ج1/ 65).

(2) رواه: 1 - الحاكم في معرفة علوم الحديث (ص:70)؛ من طريق: محمد بن يعقوب، قال: سمعت يوسف بن عبد الله الخوارزمي، يقول: سمعت حرملة بن يحيى، يقول: سمعت الشافعي، يقول:.... 2 - الخطيب في تاريخ مدينة السلام، (ج6/ 99)؛ من طريق: عبدالرحمن بن محمد بن عبد الله السراج، قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب...به.

(3) ذكره: القشيري في رسالته، (ص:220). - وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية، (ج2/ 357): «قال أبو طالب: سئل أحمد وأنا شاهد: ما الزهد في الدنيا؟ قال: قصر الأمل، والإياس مما في أيدي الناس».

(4) صرَّح به ابن القيم في طريق الهجرتين، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر 1437هـ - 2016م، (ج2/ 492)، قال: قال أبو العبّاس.؛ وهو أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله، الإمام الزاهد العارف، أبو العباس ابن العريف الصنهاجي الأندلسي المريي المقرئ، صاحب المقامات والإشارات، توفي سنة (536هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج20/ -111).

(5) في الأصل: بغريب، وهو سبق قلم من المصنف، والمثبت هو الصواب، كما في طريق الهجرتين (ص: 225).

بالدُّنيا عينُ الرُّجوعِ إلى ذاتِكَ، والإسارُ[1] في مُنازعةِ نفسِكَ، وإفناءُ وقتِكَ في شُهودِكَ خِسَّتَكَ[2]، وبقائِكَ معَكَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾ [ص: 39] عافَى باطنَه فلَم يضُرَّ ظاهِرَه[3] [154/ أ].

وقال في موضِعٍ آخَرَ: وأمّا زُهدُهُم: جمعُ الهمّة عن تفرّقاتِ الكونِ لأنّ الحقَّ عافاهم بنورِ الكشفِ عَنِ التّعلُّقِ بالأحوالِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى[4] ٱلدَّارِ﴾ [ص: 46][5]. انتهى. وفيما تقدَّمَ من كلامِه غُموضٌ.

وقال الشّيخُ العارفُ عبد القادرِ[6]: إذا رأيتَ الدُّنيا في أيدي أربابِها وأبنائِها بزينتِها وأباطيلِها وخِدَعِها ومصائدِها وسُمومِها القاتلة، مع لينِ مَسِّ ظاهِرِها، وضَراوةِ باطنِها، وسُرعة إهلاكِها، وقتلِها لِمَن مسَّها واغترَّ بها، وغفَلَ عن داهيتِها وغيرِها بأهلِها، ونَقضِ عَهدِها. فكُن كمَن رأى إنسانًا علَى الغائطِ بالبرازِ باديةً سَوءَتُه، فائحةً رائحتُه، فإنّك تغضُضُ بصَرَكَ عن سوءَتِه، وتَسُدُّ أنفَكَ من رائحتِه ونتَنِه. فهكذا فكُن في الدُّنيا: إذا رأيتَها غُضَّ بصَرَكَ عن زينَتِها، وسُدَّ علَى أنفِكَ ممّا يَفوحُ من ريحِ شَهواتِها ولَذّاتِها، فتَنجو من آفاتِها، ويصِلُ إليكَ قسمُكَ منها وأنت منها مُهنّأٌ، قال الله تعالى لِنبيِّه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ

---

(1) أسر: الهمزة والسين والراء أصل واحد، وقياس مطرد، وهو الحبس، وهو الإمساك. من ذلك الأسير، وكانوا يشدونه بالقد وهو الإسار، فسمي كل أخيذ وإن لم يؤسر أسيرا. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج1/ 107).

(2) كذا في الأصل، وفي طريق الهجرتين: شهود حِسّك.

(3) انظر: طريق الهجرتين؛ لابن القيم (ج2/ 492)

(4) في الأصل: عقبى، وهو سبق قلم من المصنف.

(5) انظر: طريق الهجرتين لابن القيم، (ج2/ 734).

(6) انظر: فتوح الغيب لعبدالقادر الجيلاني (ص:29)، المقالة الخامسة: في بيان الدُّنيا والحث على عدم الالتفات إليها.

ﱡٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ﱠ [طه: 131]. انتهى.

وقال الحارث المحاسبي في «النصائح»[1]: إخواني: ولا يَغرَّنَّكُمُ الشّيطانُ وإخوانُه مِنَ الإنسِ بالحُجج الدّاحِضة عندَ الله، فإنّهم يطلُبونَ الدُّنيا، ويتكالَبون عليها، ويزعُمونَ أنّ أصحابَ رسول الله ﷺ كانت لهم الأموالُ، فتَزيَّن المغرورون بذكرِ الصّحابة؛ ليعذرَهم النّاسُ علَى جمعِ الأموالِ، ولقد دهاهمُ الشّيطان وما يشعُرونَ، فإنّ حُجّتَك أيُّها المفتونُ بمال عبد الرّحمنِ بنِ عوفٍ مكيدةٌ مِنَ الشّيطانِ؛ ليُهلِكَك بها، وهل مالُ الصّحابةِ أرادوا به التّكاثُرَ؟ إنّما أرادوا المالَ؛ لِبذلِه في سبيلِ الله والتّعفُّفِ، فكَسَبوا حَلالًا، وأكَلوا طَيّبًا، وأنفَقوا قصدًا وقدّموا فضلًا، ولم يمنَعوا منها حقًّا، ولم يبخَلوا بها، وجادوا بها في الشّدائدِ، وآثَروا علَى أنفُسِهم، والله إنّكَ لَبَعيدُ الشَّبَه بهم. انتهى كلامُه.

فَصْلٌ

والّذي أجمعَ عليه العارفونَ أنّ الزُّهدَ سفَرُ القلب من وطَنِ الدُّنيا، وأخذُه في طلَبِ وطنه في الآخِرة[2]. فمن حينَ استقرَّ قدَمُه في هذه الدُّنيا فهو مُسافِرٌ فيها إلى ربِّه. ومُدّةُ سفَرِه عمرُه من حين وُلِد إلى آخرِ أجلِه المكتوبِ له.

وعلَى هذا ينتَظِم كلامُ مَن تكلَّم فيه، ويُعرف حالُ مَن تلَبَّسَ به، ومِنَ العجبِ كُلَّ العجبِ أنّ العبدَ يُصدِّقُ بدارِ الخُلودِ [155/ ب]، وهو يسعَى لِدارِ الغرورِ.

---

(1) انظر: الوصايا؛ للحارث المحاسبي، تحقيق/ عبدالقادر أحمد عطا، طبعة دار الكتب العلمية، (ص:76-80).

(2) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، (ج2/ 12).

وقـال بعـضُ العارفيـنَ: لا يسـتحِقُّ العبـدُ اسـمَ الزُّهـدِ، حتَّـى يزهَـدَ فـي سِـتّة أشـياءَ: وهـيَ المـالُ، والصّـوَرُ، والرّياسـةُ، والنّـاسُ، والنّفسُ، وكلُّ ما دونَ اللـه.

وليسَ المُـرادُ رفضَهـا مِـنَ المُلـكِ، فقـد كان سُـليمانُ وداودُ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ مِـنَ أزهـدِ أهـلِ زَمانِهمـا. ولهُمـا مِـنَ النّسـاءِ والمـالِ والمُلـك مـا لـم يُعطِـه أحَـدٌ؛ لأنّهمـا كان مـن أعلَـم النّـاس باللـه، وبمـا يُحبُّـه اللـهُ[1].

قـال أبـو عِمـران الجوني[2]: مَـرَّ سُـليمان بـنُ داوُدَ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ فـي موكبِـه، والطّيرُ تُظِلُّـه والجِـنُّ والإنسُ عـن يمينِـه وشـمالِه. قـال: فَمَـرَّ عابـدٌ مـن بَنـي إسـرائيلَ، فقـال: واللـه يـا ابـنَ داوُدَ؛ لقـد آتـاك اللـه مُلـكًا عَظيمًـا. قـال: فسَـمِعَ سُـليمانُ كلمَتَـه، فقـال: تَسـبيحةٌ فـي صحيفـة مُؤمِـنٍ خيـرٌ ممّـا أُعطـي ابـنُ داوُدَ، فمـا أُعطـيَ ابـنُ داودَ يَذهَـبُ، والتّسـبيحةُ تبقَـى. رواه ابـنُ أبـي الدُّنيا[3].

فمَـن أرادَ بـه خَيـرًا زهَّـدَه فـي الفانـي، ورَغَّبَـه فـي الباقـي، وذكَّـرَه القاطِـعَ للأعمـارِ، المُـؤذنَ بخـرابِ الأجسـادِ والدّيـارِ، ورَزَقـه اليقيـنَ يـومَ الحِسـابِ، ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: 6] حُفـاةً عُـراةً بُهمًـا[4] غُـرلًا[5]، كمـا بدأهـم

---

(1) المصدر السابق.

(2) هـو عبد الملك بـن حبيـب الأزدي، ويقـال: الكنـدي، أبـو عمـران الجـوني البـصري. رأى عمران بـن حصـين. روى عـن: زهير بـن عبـد الله البـصري، وعبـد الله بـن ربـاح الأنصـاري، وعبد الله بـن الصامت، وغيرهـم. روى عنه: أبان بـن يزيـد العطـار، وجعفـر بـن سـليمان الضبعـي، وحماد بـن زيـد، وغيرهـم. قـال يحيى بـن معـين: «ثقـة»، روى لـه الجماعـة. تـوفي سـنة (128هـ). وقيـل (129هـ). انظـر: تهذيـب الكـمال للمـزي، (ج18/ 297-300).

(3) رواه: ابـن أبي الدنيا في: - ذم الدنيـا، (ص:31)، رقـم (45). - الزهـد، (ص:38)، رقـم: (45)، من طريق محمد بن الحـارث المقرئ، قـال: ثنـا سيار، ثنـا جعفـر، ثنـا أبـو عمـران الجـوني... فذكره.

(4) أي: ليس بهم شيء مما كان في الدنيا. انظر: العين للخليل بن أحمد، (ج4/ 63).

(5) الغـرل: جمـع الأغـرل، وهـو الأقلـف. انظـر: النهايـة في غريـب الحديـث لابـن الأثـير، (ج7/ 3015).

أوّلَ مَرّة، فَيُسألُ عن عُمُرِه فيما أفناه، وعن شَبابه فيما أبلاه، وعن ماله فيما اكتسَبَه، وفيما أنفقَه، وماذا عمِلَ فيما عَلِمَ، ثُمّ يُجازَى علَى ما قدّمَه: إن خيرًا فَخيرًا، وإن شرًّا فَشرًّا.

وكذلك كان نبيُّنا ﷺ من أزهدِ البشر علَى الإطلاقِ، وله تسعُ نِسوةٍ، وكان يُعطي عطاءَ مَن لا يخافُ الفقرَ. وقد تقدم في أوائل الكتابِ وصفُ(1) حالِه في حركاتِه وسَكناتِه، ومأكلِه ومشرَبِه، وما كان مُتّصِفًا به إلى حين وفاته ما فيه كِفايةٌ عن تكراره.

وكذلك كان حالُ الجمِّ الغفير مِنَ الصّحابة؛ كعليِّ بنِ أبي طالبٍ، وعُثمانَ بنِ عفّانَ، وعبدِ الرّحمنِ بنِ عوفٍ، والزُّبَيرِ، وسعدِ بنِ أبي وقّاص، وغيرهم رَضِيَ اللهُ عَنهُم مِنَ الزُّهّاد معَ ما لهم مِنَ الأموالِ. وكذلك عبد اللّه بنُ المُبارَكِ، واللّيثُ بنُ سعدٍ، وسُفيانُ، وغيرُهم من أئمّة الزُّهّادِ معَ مالٍ كثيرٍ.

وقال الإمامُ أحمدُ: الزُّهدُ عَدَمُ فرَحِ العبدِ بإقبالِ الدُّنيا، وعدَمُ حُزنه علَى إدبارِها، فإنّه سُئل عنِ الرّجُلِ يكونُ معَه ألفُ دينارٍ ويكونُ زاهِدًا؟ قال: نَعَم؛ علَى شَريطةِ أن لا يفرَحَ إذا زادَت [155/أ]، ولا يحزنَ إذا نقَصَت(2).

وعلَى هذا -والله أعلم- يُحمل كلامُ الحسَنِ البصريِّ وغيره: ليسَ الزُّهدِ في الدُّنيا بتَحريم الحلالِ، ولا إضاعةِ المالِ، ولكن أن تكونَ بما في يَدِ الله أوثَقَ منكَ بما في يدِكَ، وأن تكونَ في ثَوابِ المُصيبةِ إذا أُصِبتَ بها أرغَبَ منكَ فيها لو لم تُصِبكَ(3).

(1) في الأصل: وصفه. (2) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (ج2/ 11).

(3) رواه: 1 - الإمام أحمد في كتاب الزهد، (ص:18-19)، رقم: (96)؛ من طريق: زيد بن يحيى الدمشقي، قال: حدثنا خالد بن صبيح، حدثنا يونس بن حلبس، قال: قال أبو مسلم الخولاني: ليس الزهادة... =

وقد ذكرناه مرفوعًا في «كتابِ التّسلية»، وذكرنا فيه طرفًا كبيرًا في الزُّهد[1].

فَصْلٌ

ومِنَ المعلوم لِذَوي العُقولِ أنّ سُرورَ الدُّنيا كأحلام نوم، أو كظِلٍّ زائِلٍ إن أضحَكَت قليلًا أبكَت كثيرًا، وإن سَرَّت يومًا أو أيّامًا أساءَت شهرًا أو أعوامًا، وإن متّعَت قليلًا منعَت طَويلًا، وما حصَلَ للعبدِ فيها سُرورٌ إلّا خبَأت له أضعاف ذلك شُرورًا. قال ابنُ مسعودٍ: لِكُلِّ فَرحةٍ تَرحةٌ[2]، وما مُلِئَ بَيتٌ فَرحًا إلّا مُلِئَ تَرَحًا[3]. وقال ابنُ سيرين: ما من ضَحِكٍ إلّا يَكونُ بعدَه بُكاءٌ[4]. فهذا هو شأنُ الدُّنيا وحالُها، فكيفَ يأمَنُ العاقِلُ فيها إليها؟!

= 2 - الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الزهادة في الدنيا، رقم (2508)؛ من طريق: عبد الله بن عبدالرحمن، قال: أخبرنا محمد بن المبارك، قال: حدثنا عمرو بن واقد، حدثنا يونس بن حلبس، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر، عن النبي ﷺ، قال:... قال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وأبو إدريس الخولاني، اسمه: عائذ الله بن عبدالله. وعمرو بن واقد: منكر الحديث».

3 - ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب الزهد في الدنيا، رقم (4100)؛ من طريق: هشام بن عمار، قال: حدثنا عمرو بن واقد القرشي...به.

(1) راجع: تسلية أهل المصائب للإمام المنبجي، طبعة دار الكتب العلمية، (ص:34).

(2) الترح نقيض الفرح. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (ترح)، (ج1/ 347).

(3) رواه: ابن أبي الدنيا في كتاب الاعتبار وأعقاب السرور، (ص:29)، رقم: (3)؛ من طريق: إسماعيل بن عبد الله بن زرارة، قال: حدثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود، موقوفًا.

(4) رواه: ابن أبي الدنيا في الاعتبار وأعقاب السرور، (ص:30)، رقم: (5)؛ من طريق: علي بن إشكاب العامري، قال: حدثني أبي، حدثنا حماد بن زيد، عن حجاج، عن محمد بن سيرين، قال:...

روَى ابنُ أبي الدُّنيا[1]، قال: كَتَبَ عَليُّ بنُ أبي طالِبٍ إلى سَلمانَ الفارِسيِّ: أمّا بعدُ؛ فإنّما مَثَلُ الدّنيا مثَلُ الحيّة: لَيِّنٌ ملمَسُها يقتُلُ سُمُّها، فأعرِض عَمّا يُعجِبُكَ منها؛ لِقلّة ما يصحَبُكَ منها، وضَع عنكَ هُمومَها إلى ما أيقَنتَ به من فِراقِها، وكُن أسَرَّ ما تكونُ فيها أحذَرَ ما تكونُ لها، فإنّ صاحِبَها كُلَّما اطمَأنّ منها إلى سُرورٍ أشخَصَه عنه إلى مَكروهٍ، والسّلامُ.

ورَوى ابنُ أبي الدُّنيا[2] أيضًا، قال: أوّلُ كَلامٍ تكلَّمَ به سُلَيمانُ بنُ عبدِالملِك أن قال: الحمدُ لله الّذي ما شاءَ صَنَعَ، وما شاءَ رفَعَ، ومَن شاءَ رَفَعَ، ومَن شاءَ وضَعَ، إنّ الدُّنيا دارُ غُرورٍ، ومَنزِلٌ باطِلٌ، تُضحِكُ باكيًا، وتُبكي ضاحِكًا، وتُخيفُ آمِنًا، وتُؤَمِّنُ خائِفًا، وتُفقِرُ مُثريها، وتُثري فَقيرَها، مَيّالةٌ لاعِبةٌ بأهلِها. يا عِبادَ الله؛ اتَّخِذوا كِتابَ الله إمامًا، وارضوا به حَكَمًا، واجعَلوه لَكم قائِدًا، فإنّه ناسِخٌ لِما كان قبلَه، ولَن يَنسَخَه كِتابٌ بعدَه.

قال عيسى عَلَيهِ السَّلامُ: ويلٌ لِصاحِبِ الدُّنيا، يَموتُ ويَترُكُها، يَأمَنُها وتَغُرُّه، ويَثِقُ بها وتَخذُلُه. ويلٌ لِلمُغتَرّينَ كيف أزِفَهُم[3] ما يَكرَهونَ، وفارَقَهم ما يُحِبّونَ، وجاءَهم ما يوعَدونَ. ويلٌ لِمَنِ الدُّنيا هِمَّتُهُ[4] [156/ب]، والخطايا عَمَلُه، كيف يَفتَضِحُ غَدًا بذَنبِه؟ رواه ابنُ أبي الدُّنيا في كتابِ «ذمِّ الدُّنيا»[5].

---

(1) رواه: ابن أبي الدنيا في كتاب الزهد، (ص:80)، رقم (164)؛ من طريق: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم العنزي، قال: نا أبو شجاع، قال: كتب علي بن أبي طالب إلى سلمان الفارسي... فذكره. ومن طريقه رواه البيهقي في شعب الإيمان (ج13/ 179).

(2) رواه: ابن أبي الدنيا في كتاب الزهد، (ص:78)، رقم: (157)؛ من طريق: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم العنزي الكوفي، عن جابر بن عون الأسدي، قال: أول كلام تكلم به... إلخ.

(3) كذا في الأصل، وفي كتاب ذمِّ الدنيا: أرَتْهم.

(4) كذا في الأصل، وفي كتاب ذمِّ الدنيا: همُّه.

(5) رواه: ابن أبي الدنيا في كتاب: ذم الدنيا، (ص:52-53)، رقم (92). والزهد، (ص:87)،=

ورَوَى أيضًا بإسنادِه، عن وهب بنِ مُنَبِّهٍ، قال: قال عيسى عَلَيهِ السَّلَامُ: بحَقٍّ أقولُ لَكُم: كما يَنظُرُ المريضُ إلى طَيِّبِ الطَّعامِ، ولا يَلتَذُّ به من شِدّةِ الوجَعِ، كَذلك صاحِبُ الدُّنيا لا يَلتَذُّ العِبادة، ولا يَجِدُ حَلاوتَها مع ما يَجِدُ من حُبِّ الدُّنيا. إنّ الدّابّة إذا لم تُركَب وتُمتَهَن تَصَعَّبَت وتَغَيَّرَ خُلُقُها. كَذلك القُلوبُ إذا لم تُرَقَّق بذِكرِ الموتِ، ودَأبِ العِبادة تقسو وتَغلُظُ(1).

ورَوَى أيضًا عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَن زَهِدَ في الدُّنيا؛ هانَت عليه المصائِبُ(2)، ومَنِ ارتَقَبَ الموتَ؛ سارَعَ في الخيراتِ(3).

ورَوَى أيضًا بإسناده، عن مالِكِ بنِ دينار أنّه قال: قالوا: لِعَليِّ بنِ أبي طالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا أبا الحسَنِ صِف لَنا الدُّنيا؟ قال: أُطيلُ أم أقصِر؟ قالوا: بَل أقصِر. قال: حَلالُها حِسابٌ، وحَرامُها النّارُ(4).

وفي روايةٍ أُخرَى قالوا: يا أميرَ المُؤمنينَ؛ صِف لَنا الدُّنيا، قال: وما أصِفُ لَكَ من دارٍ: مَن صَحَّ فيها أمِنَ، ومَن سَقِمَ فيها نَدِمَ، ومَنِ افتَقَرَ فيها

=رقم (182)؛ من طريق: سريج بن يونس، قال: حدثني مَن سَمِعَ عُبيدالله بن مسلم، قال: بلغني أن عيسى ابن مريم... فذكره.

(1) رواه: ابن أبي الدنيا في كتاب: ذم الدنيا، (52)، رقم (90). والزهد، (ص:86)، رقم (180)؛ من طريق: علي بن أبي مريم، عن شيخ، له، عن أبيه، عن وهب بن منبه، قال: قال عيسى ابن مريم... فذكره.

(2) كذا في الأصل، وفي كتاب الزهد: المصيبات.

(3) رواه: ابن أبي الدنيا في كتاب الزهد، (ص:58)، رقم: (92)؛ من طريق: إسحاق بن إسماعيل، قال: ثنا سليمان بن الحكم بن عوانة، عن عتبة بن حميد، عمن حدثه، عن قبيصة بن جابر، قال: قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ... فذكره.

(4) رواه: ابن أبي الدنيا في كتاب الزهد، (ص:29)، رقم (17)؛ من طريق: هارون بن عبد الله، وعلي بن مسلم، قالا: ثنا سيار، قال: ثنا جعفر، قال: ثنا مالك بن دينار، قال: قالوا لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ... فذكره.

حَزِنَ، ومَنِ استَغنَى فيها فُتِنَ، في حَلالها الحِسابُ، وفي حَرامِها النّارُ(1).

ورَوَى أيضًا عن يونُسَ بنِ عُبَيدٍ أنّه قال: ما شُبِّهَتِ الدُّنيا [156/ أ] إلّا كَرَجُلٍ نائِمٍ، فَرأى في مَنامِه ما يَكرَه وما يُحِبُّ، فَبَينَما هو كَذلك إذِ انتَبَه(2).

وقال أبو سُلَيمانَ الدّاراني: إذا كانتِ الآخِرة في القلبِ؛ جاءَتِ الدُّنيا تَزحَمُها، وإذا كانتِ الدُّنيا في القلبِ لم تَزحَمها الآخِرة؛ لِأنّ الآخِرة كَريمة، والدُّنيا لَئيمة(3).

وقال الأوزاعيُّ: سَمِعتُ بَلالَ بنَ سَعدٍ يَقولُ: واللهِ لَكَفَى به ذَنبًا أنّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُزَهِّدُ في الدُّنيا، ونحن نَرغَبُ فيها، فَزاهِدُكم راغِبٌ، ومُجتَهِدُكم مُقَصِّرٌ، وعالِمُكم جاهِلٌ(4).

وقال أبو هاشِمٍ الزّاهِدُ: خَلَقَ الله الدّاءَ والدّواءَ، فالدّاءُ الدُّنيا، والدّواءُ تَركُها(5).

---

(1) رواه: ابن أبي الدنيا في كتاب الزهد، (ص:30)، رقم: (18)؛ من طريق: الحسين بن عبد الرحمن، قال: أخبرنا عبيدالله بن محمد التيمي، عن شيخ من بني عدي، قال: قال رجل لعلي بن أبي طالب... فذكره.

(2) رواه: ابن أبي الدنيا في كتاب ذمِّ الدنيا، (ص:22)، رقم: (21)؛ من طريق: محمد بن عمرو بن العباس الباهلي، قال: أخبرنا سعيد بن عامر، عن معاذ بن الأعلم، عن يونس بن عبيد، قال: ما شبهت الدنيا... فذكره.

(3) رواه: ابن أبي الدنيا في: - ذمِّ الدنيا، (ص:66)، رقم: (121). - كتاب الزهد، (ص:49-50)، رقم: (66)؛ من طريق: عون بن إبراهيم، قال: حدثني أحمد بن أبي الحواري، قال: سمعت أبا سليمان، قال: إذا كانت الآخرة... فذكره.

(4) رواه: ابن أبي الدنيا في كتاب الزهد، (ص:38)، رقم: (44)؛ من طريق: سريج، قال: ثنا الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، قال: سمعت بلال بن سعد... فذكره.

(5) رواه: ابن أبي الدنيا في كتاب الزهد، (ص:40)، رقم: (49)؛ من طريق: رجل من قريش، قال: قال أبو هاشم الزاهد... فذكره.

وقال **الفُضَيلُ**: عَلامة السّعادة: اليقينُ في القلبِ، والورَعُ في الدّينِ، والزُّهدُ في الدُّنيا، والحياءُ، والعِلمُ[1].

وقال **الفُضَيلُ أيضًا**: لو أنّ الدُّنيا بحَذافيرِها عُرِضَت عَليَّ حلالًا لا أُحاسَبُ عليها في الآخِرة؛ لَكُنتُ أتَجنَّبُها كما يَتَجنَّبُ أحدُكُم الجيفة إذا مَرَّ بها أن تُصيبَ ثوبَهُ[2].

وقد ذكَرَ ابنُ أبي الدُّنيا في «ذَمِّ الدُّنيا» أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «**احذَروا الدُّنيا؛ فإنّها أسحَرُ من هاروتَ وماروتَ، فإنّهما يُفرِّقانِ بَينَ المرءِ وزَوجِه، والدُّنيا تُفرِّقُ بَينَ العبدِ وربِّه**»[3].

وقال **جعفرُ بنُ سُليمانَ**: سَمِعتُ مالكًا يَقولُ: اتَّقوا السّحّارة؛ فإنّها تَسحَرُ قُلوبَ العُلَماءِ[4]. يعني: الدُّنيا بِخُدَعِها وغُرورِها.

---

(1) رواه: ابن أبي الدنيا في كتاب الزهد، (ص:102-103)، رقم: (221)؛ من طريق: أبي بكر الصوفي، قال: حدثني الحسن بن الربيع، قال: سمعت أبا إسحاق الفزاري، يقول: سمعت حبيبي فضيل بن عياض، يقول: خمسة من علامة الشقاء: قسوة القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل. وخمسة من السعادة: اليقين... إلخ.

(2) رواه: ابن أبي الدنيا في كتاب: الزهد، (ص:63)، رقم: (106). المتمنين، (ص:55-56)، رقم (81)؛ من طريق: محمد بن علي، قال: ثنا إبراهيم بن الأشعث، قال: سمعت الفضيل بن عياض، يقول:... فذكره.

(3) رواه: 1 - ابن أبي الدنيا في كتاب: - ذم الدُّنيا، (ص:69-70)، رقم (132). - الزهد، (ص:53)، رقم: (77)؛ من طريق: أبي حاتم الرازي، قال: ثنا هشام بن عمار، ثنا صدقة، عن عتبة بن أبي حكيم، ثنا أبو الدرداء الرهاوي، قال: قال رسول الله ﷺ: احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت. بدون زيادة: «فإنّهما يُفرِّقانِ بَينَ المرءِ... إلخ».

2 - البيهقي في شعب الإيمان، (ج13/ 103-104)، رقم: (10022) بهذا الإسناد، وبدون هذه الزيادة، مرفوعًا. وقال: (وقال غيره: عن هشام بإسناده، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ). ولم أقف على هذه الزيادة مسندة، لا مرفوعًا، ولا موقوفًا. قال الإمام العراقي في المغني عن حمل الأسفار، (ج2/ 877)، رقم (3207): منكرٌ لا أصل له.

(4) رواه: الإمام أحمد في كتاب: ذم الدنيا، (ص:29)، رقم: (39). والزهد، (ص:36-37)،=

وكُلُّ ما ذكرناه في هذا البابِ فهو دالٌّ على ذَمِّ الدُّنيا، وقد ذكرنا من كتابِ ذمِّ الدُّنيا لابنِ أبي الدُّنيا جملةً كثيرةً منه.

ولم أرَ في مدحِها إلّا ما رُوِيَ عن عليِّ بنِ أبي طالِبٍ: أنّ رَجُلًا ذَمَّ الدُّنيا عندَه، فقال عَليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الدُّنيا دارُ صِدقٍ لِمَن صَدَقَها، ودارُ نَجاةٍ لِمَن فَهِمَ عنها، ودارُ غِنًى لِمَن تَزَوَّدَ منها، مَهبَطُ وحيِ الله، ومُصَلَّى مَلائِكَتِه، ومَسجِدُ أنبيائِه، ومَتجَرُ أوليائِه، رَبِحوا فيها الرّحمة، واكتَسَبوا فيها الجنّة، أنذَرَت وحَذَّرَت بمصارعِ الآباءِ والأُمّهاتِ، وشَبَّهَت بسُرورِها الفاني السُّرورَ الباقي، وبِبَلائِها البلاءَ؛ تَرغيبًا وترهيبًا[1].

وقال وهبُ بنُ مُنبِّهٍ: قرأتُ في بعضِ الكُتُبِ: الدُّنيا غَنيمةُ الأكياسِ، وغَفلةُ الجُهّالِ، لم يَعرِفوها حتّى أُخرِجوا منها، فَسألوا الرّجعةَ فلم يَرجِعوا[2].

ورَوّينا في جزءِ «السُّكوتِ»[3] [من الوافر]:

نَعيبُ زَمانَنا والعيبُ فينا ... وَما لِزَمانِنا عَيبٌ سِوانا

=رقم (39)؛ من طريق: علي بن مسلم، قال: أخبرنا سيار بن حاتم، أخبرنا جعفر بن سليمان، قال: سمعت مالك بن دينار، يقول:...فذكره.

(1) رواه: 1 - ابن أبي الدنيا في كتاب الزهد، (ص:103-104)، رقم (223)؛ من طريق: علي بن الحسن بن أبي مريم، عن عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي، عن معاذ الحذاء، قال: سمع علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلا يسب الدنيا...فذكره.

2 - أبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم، (ج4/ 51)، رقم (1211)؛ من طريق: محمد بن عبدالعزيز، قال: نا الفضل بن موفق، نا السري بن القاسم، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عاصم بن ضمرة، قال: ذم رجل الدنيا عند علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال:...فذكره.

(2) رواه: ابن أبي الدنيا في كتاب: ذم الدنيا، (ص:40)، رقم (65). والزهد، (ص:77)، رقم: (155)؛ من طريق: عون بن إبراهيم، عن علي بن معبد، قال: قال وهب بن منبه:... فذكره.

(3) انظر: الرسالة المغنية في السكوت ولزوم البيوت؛ لابن البنا (ص:41).

وقد نهجو الزّمانَ بغير جُرمٍ ولو نَطَقَ الزّمانُ به هَجانا[1]

وفيه أيضًا [من الوافر]:

يَقولونَ: الزّمانُ به فَسادٌ وهم فَسَدوا وما فَسَدَ الزّمانُ[2]

فَصْلٌ

ومَن تأمّلَ قوله ﷺ: «اللهم اجعَل رِزقَ آلِ محمّد قوتًا»[3]. قال أهل اللُّغةِ: القوتُ: ما يسُدُّ الرّمقَ[4].

وفيه: دلالة علَى فضيلةِ التّقليلِ مِنَ الدُّنيا، والاقتصارِ علَى القوت منها، والدُّعاءُ بذلك، والله أعلم[5]. فإنّ الدُّخولَ في الدُّنيا والميلَ إليها على خَطَرٍ عظيم كما تقدم في «الصّحيح»[6] مرفوعًا: «إنّي ممّا أخافُ عَليكم بعدي ما يُفتَحُ عليكم من زَهرة الدُّنيا».

قال العُلماءُ: فيه تحذيرٌ مِنَ الاغترارِ بالدُّنيا، والنّظَرِ إليها، والمُفاخرة بها[7]. فالدُّنيا -وإن أقبلَت علَى العبدِ من وجه حِلٍّ- يُخافُ عليه الفِتنةُ

---

(1) البيتان للإمام الشافعي، كما في: عيون الأخبار؛ لابن قتيبة (ج2/ 284 - 285). ومناقب الشافعي؛ للبيهقي (ج2/ 84).

(2) البيت بلا نسبة في: المنتخل؛ للميكالي (ج1/ 476). واللطائف والظرائف (ص:200). التمثيل والمحاضرة (ص:247).

(3) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا، رقم (6460)؛ بلفظ: «اللهم ارزق آل محمد قوتًا». وصحيح مسلم، رقم: (126 - 1055).

(4) انظر: تهذيب اللغة؛ للأزهري (ج9/ 254). قال ابن فارس في مقاييس اللغة، (ج5/ 38): «القاف والواو والتاء أصل صحيح يدل على إمساك وحفظ وقدرة على الشيء...».

(5) انظر: شرح النووي على مسلم (ج7/ 146).

(6) رواه: - البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الصدقة على اليتامى، رقم: (1465). مسلم في صحيحه برقم: (123 - 1052).

(7) انظر: شرح النووي على مسلم (ج7/ 141).

والاشتِغالُ بها عن كمالِ الإقبالِ علَى الآخِرة، فإن وفَّقَه الله تعالى في صرفِ المال في وجوه البرِّ؛ كإعطاء الفُقراءِ، والمساكينِ، واليتامَى، والأراملِ، ونحوهم كان مِنَ الفائزينَ، وإلّا كان مِنَ الهالِكينَ. فإنّ رفضَ الفُضولِ مِنَ الدُّنيا، والاقتِصارَ علَى البُلغةِ منها هو الزُّهدُ النّافعُ، فإنّ الزّاهدَ لا يأخذُ مِنَ الدُّنيا إلّا قدرَ حاجةِ نفسِه مِنَ القوتِ والشّرابِ واللِّباس والمسكنِ والمنكحِ، فزادُه منها كزادِ المُسافر لأجلِ منازلِ سفَرِه، ثُمَّ يزهَدُ فيما وراء ذلك؛ اغتِنامًا لِتفرُّغه لِعمارةِ وقتِه؛ فإنّه قد جعَلَ بينَه وبين الدُّنيا حائِطًا من حَديدٍ[1]، فإنّ عُمرَ الدُّنيا قصيرٌ، وأغنَى غَنيٍّ فيها فَقيرٌ[2].

حضَرَ بعضُ الرُّؤساءِ صَلاةَ الجُمُعةِ، وبه مرَضٌ لا يُحتمَلُ معَه التّطويلُ في الخُطبةِ، فصَعدَ الخطيبُ المنبرَ، فقال: الحمدُ لله ربِّ العالَمينَ،

(1) ويدلُّ على ذلك ما ورد في: الورع للإمام أحمد رواية المروذي، برقم: (271)، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: أخبرت عن مالك بن دينار قال: مررت براهب في صومعة، فناديته، فأشرف علي، فكلمني وكلمته، وكان فيما قال لي: إن استطعت أن تجعل بينك وبين الدنيا حائطًا من حديد فافعل.

(2) بعدها فقرة كاملة ضرب عليها المصنف، وأثبتها في الحاشية للنفع بها: فإذا عَلِمَ العبدُ أنّ هذه الدّارَ دارُ رحلةٍ، فجمَع للسَّفَرِ رحلَه، ويعلَمُ أنّ مبدأ السّفرِ من ظُهورِ الآباءِ إلى بُطونِ الأُمّهاتِ، ثُمَّ إلى الدُّنيا، ثُمَّ إلى القبرِ، ثُمَّ إلى الحشرِ والنّشرِ، ثُمَّ إلى دارِ الإقامة الأبديّة؛ إمّا دارُ النّعيم، وإمّا دارُ الجحيم، فيجتَهدُ العبدُ في مُدّة سفَرِه أن يكونَ إلى دارِ السّعادةِ والخُلود فيها، فإنّها [157/أ] دارُنا القَديمة، وسبانا العدوُّ إلى دار الدُّنيا، ونحن نجتَهدُ إن شاءَ الله تعالى في فِكاكِ أسرِنا، ثُمَّ في حثِّ السّيرِ إلى الوُصول إلى دارِنا الأولى، وفي مثلِ هذا قيلَ [من الطويل]:

فَحَيَّ على جَنّاتِ عَدنٍ فإنّها ... ولَكِنّنا سَبيُ العدو فهل تَرَى
مَنازِلُكَ الأولَى وفيها المُخَيَّمُ ... نَعودُ إلى أوطانِنا ونُسَلِّمُ؟

وليُعلم أنّ مِقدارَ السّير في الدُّنيا يَسير، يقطَعُ بالأنفاسِ، ويَسيرُ بالإنسانِ سَيرَ السّفينةِ وهو جالِسٌ فيها، ولا بُدَّ له في سَفَرِه من زادٍ، ولا زادَ إلى الآخِرة إلّا التّقوَى، فليَحذر أن يقولَ وقتَ السّير: ارجِعونِ، فيُقال: كَلّا.

وصَلَواتُه علَى أشرفِ الأنبياءِ والمُرسلينَ، أمّا بعدُ؛ فإنّ الدُّنيا دارُ ممرٍّ، والآخِرةَ دارُ مَقرٍّ، فَخُذوا لِمَقرِّكم من ممرِّكُم، ولا تَهتكوا أستارَكُم عندَ مَن لا تخفَى عليه أسرارُكُم، وأخرجوا الدُّنيا من قُلوبِكُم قبلَ أن تخرُجَ منها أبدانُكُم. أقولُ قولي هذا، وأستَغفِرُ اللهَ لي ولَكُم(1).

فما أبلَغَ هذه الخُطبةَ وأفصَحَها وأوجَزَها وأصدَعَها للقُلوبِ، فليَتيقظِ الغافِلُ من كسَلِه في مَسيره إلى الله تعالى، فإنّ اللهَ تعالى يُريه في قطعِ المسافةِ آياتٍ؛ ترغيبًا وترهيبًا؛ لئلّا يميلَ العبدُ عن صِراطِه المُستقيمِ ونَهجه القويم، فمَن مالَت به راحِلتُه عن طريقِ الاستقامة؛ فلْيَرغب إلى الله تعالى بالرُّجوعِ إليه عمّا ارتكَبَه مِنَ السُّبُلِ، فيَتوبُ من معصيتِه، ويبكي من قسوَتِه، فإنّ اللهَ تعالى يُحِبُّ العبدَ المُفتَّنَ التوّابَ.

فَصْلٌ

وقد ذكَرَ بعضُ العُلماءِ عن بعضِ المشايخِ: هل وقوعُ الزُّهد ممكِنٌ في هذا الزّمان أم لا؟ قال العلّامة ابنُ القيِّم: وقد اختَلَف النّاسُ في الزُّهدِ هل هو ممكِنٌ في هذه الأزمِنةِ أم لا؟

فقال أبو حفصٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: الزُّهدُ لا يكونُ إلّا في الحلالِ. ولا حَلالَ في الدُّنيا، فلا زُهدَ. وخالفه النّاسُ في هذا. وقالوا: بلِ الحلالُ موجودٌ فيها. وفيها الحرامُ كثيرًا. وعلَى تقديرِ: أن لا يكونَ فيها الحلالُ، فهَذا

---

(1) رواه: الدينوري في المجالسة وجواهر العلم، (ج3/ 427)، رقم (1034)؛ من طريق: محمد بن يونس، قال: نا الأصمعي، قال: نزلنا في طريق مكة....

والخطيب في تاريخ مدينة السلام، (ج10/ 496)؛ من طريق: أحمد بن إبراهيم، قال: حدثنا أبو القاسم الطيب بن علي التميمي، قال: أخبرنا محمد بن جعفر النوفلي، أخبرنا الرياشي، عن الأصمعي، قال: خطبنا أعرابي بالبادية....

أدعَى إلى الزُّهدِ فيها، وتَناوُل ما يَتَناوَلُه المُضطَرُّ منها، كتَناوُلِه للمَيتة والدّم ولحم الخِنزير.

ثُمَّ اختلَفَ هؤُلاءِ في مُتَعلِّقِ الزُّهدِ: فقالت طائِفة: الزُّهدُ إنّما هو في الحلالِ؛ لأنّ تركَ الحرام فريضة. وقالت فرقة: بلِ الزُّهدُ لا يكونُ إلّا في الحرام. وأمّا الحلالُ فنِعمة مِنَ الله تعالى على عبدِه. والله يُحِبُّ أن يَرَى أثَرَ نعمَتِه على عبدِه. فشُكرُه على نِعَمِه، والاستِعانة بها على طاعَتِه، واتّخاذُها طريقًا إلى جنّتِه أفضَلُ مِنَ الزُّهدِ فيها، والتّخلّي عنها، ومجانَبة أسبابِها[1]. انتهى كلامُه.

قلتُ: بل يُقالُ: إنّ اللهَ تعالى نَدَب عِبادَه الّذين آمَنوا إلى الحلالِ وأمَرَهم به، فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ [158/أ] لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة: 172].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ﴾ [الأعراف: 31-32].

فجعَلَها الله تعالى لِعبادِه المُؤمنينَ دون غيرِهم، فكيف يليقُ بنا أن نزهَدَ فيها معَ أنّ المُفسّرينَ اختلَفوا في قولِه تعالى: ﴿وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ﴾ هلِ المُرادُ الحلالُ أوِ المُستلذُّ؟ علَى قولَينِ ذكرَهُما أبو الفرَج ابنُ الجوزيِّ، والقُرطبيُّ[2]، كما ذكَروا أيضًا في أوّلِ الآية قولَينِ في ﴿زِينَةَ ٱللَّهِ﴾:

أحَدُهما: سَترُ العورة. فالمعنَى: مَن حرَّم أن تلبسوا في طوافِكم ما يستُرُكم؛ لأنّ المُشركين كانوا يطوفون عُراةً.

---

(1) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، (ج2/ 13-14).

(2) انظر: زاد المسير لابن الجوزي، (ج3/ 189). تفسير القرطبي (ج9/ 207).

والثّاني: أنّ زينةَ الله هي زينة اللِّباس مُطلقًا[1].

والمقصود: أنّ الزُّهدَ في الدُّنيا تركُ ما لا ينفَعُ في الآخِرةِ، والحلالُ ينفَع في الدُّنيا والآخِرةِ، ففي الدُّنيا: ينوِّرُ القلبَ لِعبادةِ الرّبِّ. وفي الآخِرة: لأجلِ الثّوابِ، وتركِ العِقابِ، فيَبقَى الزُّهد في شيئَينِ: الحرامُ، والمُشتَبه. هذا واجِبٌ، وهذا مُستحبٌّ. اللهم إلّا أن يُقال: إن كان الحلالُ كثيرًا يُشغلُه عنِ الله تعالى؛ فالزُّهدُ فيه أفضَلُ، فليأخُذ منه قدرَ الكفاية كما تقدَّمَ لنا عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال: يُشغلُه إصلاحُه عن عِبادةِ ربِّهِ[2]. فإن لم يُشغِله عنِ الله تعالى، بل كان شاكِرًا لله تعالى، باذِلًا له، فحالُه أفضَلُ.

وقد تقدمَ قولُ الحسَنِ[3]: ليسَ الزُّهدُ بتَحريم الحلالِ، ولا بإضاعةِ المالِ، ولَكِن أن تكونَ بما في يدِ الله أوثَقَ منك بما في يَدِكَ.

فعُلِمَ بهذا أنّ الزُّهدَ في الدُّنيا تجريدُ القلبِ عنِ التّعلُّقِ بها، والطُّمأنينةِ إليها، فإنّ البدنَ إذا سَقِمَ لم ينفَع فيه طعامٌ ولا شَرابٌ، ولم يلتذَّ بنَوم ولا راحةٍ. وكذلك القلبُ إذا علِقَ بحُبِّ الدُّنيا لم تنفَع فيه المواعِظُ. قالَ الحسَنُ[4]: ما من عبد يَزدادُ عِلمًا، ويزدادُ حِرصًا علَى الدُّنيا، إلّا ازدادَ إلى الله بُغضًا، وازدادَ مِنَ الله بُعدًا [159/ ب].

---

(1) انظر: زاد المسير لابن الجوزي، (ج3/ 189). تفسير القرطبي (ج9/ 202-203).

(2) ذكره ابن قتيبة في عيون الأخبار (ج1/ 354).

(3) سبق تخريجه.

(4) رواه: ابن أبي الدنيا في كتاب: الزهد، (ص:91)، رقم (169). وذمّ الدنيا، (ص:45-46)، رقم (79)؛ من طريق: هارون بن سفيان، قال: حدثني ابن أبي ليلى، عن مسلمة بن جعفر، عن عبد الله بن دينار، عن الحسن، أنه كان يقول: من أحب الدنيا وسرته ذهب خوف الآخرة من قلبه، وما من عبد يزداد علمًا ويزداد على الدنيا حرصًا، إلا ازداد إلى الله عَزَّوَجَلَّ بغضًا، وازداد من الله بعدًا.

فَصْلٌ

الزُّهدُ في الدُّنيا ونعيمِها جيِّدٌ مُريحٌ للنَّفسِ بشرطٍ: ألّا يكونَ هذا ظاهِرًا، ويَكونَ من أكلَبِ الخلقِ عليها في الباطِنِ، ويُظهِرَ الصَّومَ، والصَّلاةَ، والزُّهدَ.

قال الحسَنُ البصريُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]: مِثقالُ ذَرّةٍ مِنَ الورعِ خيرٌ من ألفِ مِثقالٍ مِنَ الصَّومِ، والصَّلاةِ. وقال بعضُ السَّلَفِ[2]: لا يَبلُغُ عبد حقيقة التّقوَى حتَّى يدَعَ ما لا بَأسَ بهِ؛ حَذَرًا ممّا به البأسُ.

حكَى الحارِثُ المُحاسبيُّ[3] عن جماعةٍ مِنَ الصّحابةِ: أنّهم كانوا يدَعونَ سبعين بابًا من الحلالِ؛ مخافة أن يقَعوا في بابٍ مِنَ الحرام.

ولكِن طائفةٌ زهِدَت في المالِ، والمأكَلِ، والمشرَبِ، والملبَسِ، والمسكَنِ، فظَنّت أنّها قد وصَلَت، وما أبعَدَهم عن طَريقِ الدُّخولِ في طريقِ العُبوديّة والانخراطِ في سلكِ الطّاعةِ، فإنّكَ تَراهم يخدِمون أهواءَهم؛ ليُقال لهُم: زُهّادٌ، أو عُبّادٌ، أو عُلماءُ، أو قُرّاءٌ، ونحوُ ذلك. وقد غفلوا عمّا هم متلبِّسونَ به من حُبِّ الرّياسة والجاه، فإنّ آخِرَ ما يُنزَعُ من رُؤوس الصِّدّيقينَ حُبُّ الرّياسة، وهم معَ ذلك يُراعونَ قَوانين الرّياسةِ الّتي توجِبُ تقبيلَ اليدِ، والخِدمةَ والذُّلَّ مِنَ الخلقِ لهُم، والموجِب لذلك انقطاعُهم عن مُخالَطةِ النّاسِ، وإظهارُ التّخشُّعِ، والتّنسُّكِ، والذِّكرِ خلوةً

---

(1) ذكره عنه: القشيري في رسالته (ص:213).

(2) أصل هذا الكلام حديثٌ مرفوعٌ: رواه الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، رقم: (2633)، وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب الورع والتقوى، رقم: (4215)؛ من طريق: أبو عقيل عبد الله بن عقيل، قال: عبد الله بن يزيد، عن ربيعة بن يزيد وعطية بن قيس، عن عطية السعدي به. قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه».

(3) انظر: كتاب الوصايا؛ للحارث بن أسد المحاسبي، (ص:84).

ومع النّاسِ، مع خُشونةِ المأكلِ والملبَسِ، بَل يقولُ في غُضونِ ذلك: هذا كثيرٌ علَى مَن يموتُ، فهو وأمثالُه خادِمٌ لِهَواه. فمنهُم: مَن يَمتنِعُ من قَبولِ المالِ؛ خشيةَ أن تنقُصَ رياسُتُه مِنَ القُلوبِ، بل قد حدَّثَني مَن أثِقُ به أنّ بعضَ كِبارِ هؤُلاءِ ممَّن هو موجودٌ في زمانِنا أنّه أظهَرَ الزُّهدَ، وتَردَّى به، فأقبلَت عليه الأكابرُ مِنَ الأُمراءِ والفُقهاءِ والتجارِ وغيرِهم.

فقال بعضُهُم: الشّيخُ له عائلةٌ ولا بُدَّ لهم من نفقةٍ وكسوة. فقال بعضُ طُلّابه: الشّيخُ ما يقبَلُ شيئًا، فعَمدَ بعضُهم إلى أن جعَلَ لِبعضِ أولادِه أرضًا تغلُّ مالًا جزيلًا، ورُبَّما يُعرِّضُ لبعضِ هؤُلاء في مجالِسِه بالوقفِ، ويُرَغِّبُ فيه، وأنّه نافعٌ في الحالِ والمآلِ [159/ أ]، وفي التّعريضِ ما يُغني عنِ التّصريحِ. وثَمَّ طائفةٌ أُخرى مِمَّن قدِ اتَّسَمَت بالزُّهدِ والعِبادةِ تَسكُنُ إلى المدحِ والثّناءِ، ويُكاشِرُ[1] عمّا يَترتَّبُ على ذلك. ولقد شاهَدتُ من كِبارِهم ممَّن هو في أكبَرِ معبَدٍ بدمشقَ، وقد دخَلَ إليه كبيرُهم من ولاةِ الأُمورِ، فقال: يا سَيِّدي؛ بكَ سُقِينا أو مُطِرنا، ولولا دُعاؤُكَ ما ارتَفَعَ الغلاءُ عنِ النّاسِ، وكان النّاسُ يومئذٍ في شِدّةٍ مِنَ الجدبِ؛ فلم يُجبه إلّا لا حولَ الله، حسبُنا الله.

بل يُحبُّ واحِدٌ من هؤُلاء أن يُقال عنه: وليُّ الله، أو هو مِنَ الأوتادِ، أوِ الأبدالِ، أو هو صدّيقُ العصرِ، ولو تنَقَّصه أحَدٌ -ولو بحَقٍّ- لَغَضِبَ وانتَقَم، وقال لَه: أنت شقيٌّ، أنت مطرودٌ، بل يظهَر منه مِنَ الأخلاقِ الشّنيعةِ ما يُنكِرُها بعضُ العوامِّ عليه[2].

---

(1) الكشر: بدو الأسنان عند التبسم. وكشر فلان لفلان؛ إذا تنمر له وأوعده كأنه سبع. انظر: لسان العرب لابن منظور، (ج5/ 142) مادة: كشر.

(2) بعدها فقرة كاملة ضرب عليها المصنف، وأثبتها في الحاشية للنفع بها: وطائِفة منهم أظهَرَت صيامَ الدّهرِ حتّى اشتُهِرت بذلِكَ. ولقد رأيتُ من أكابِرِهم ممَّن هو من أكابرِ ولاةِ=

وطائِفةٌ منهم: ركَنَت إلى لُبس المُرقَّعاتِ أوِ الدّلَوقِ[1] الصّوف علَى الجِلدِ، ولو كلِّف لُبسَ ثوبٍ جميلٍ، أو فَرجيّة جميلةٍ اشتدَّ علَيه الأمرُ؛ لأنّ ذلك يقدَحُ في دُكّانِه؛ لأنّه اشتُهِرَ بالزُّهدِ، وهذا عندَه يُنافيه [160/ ب].

وطائِفة: زهِدَت وجعَلَتِ الأذكارُ وسيلةً إلى مُرادِها وشبَكةً لاصطيادِها،

=الأمور دعاه بعضُ الرؤساء واجتهد في فطرِه فأبَى، حتَّى غلَب على الظّنِّ أنّه لو أُكره على الفِطر، ولو بضربٍ لم يفطر؛ لئلّا ينقطعَ ما يتقوَّى به هواه. وأبلغ من هذا -والله أعلم - أن يكون هذا أمام النّاس فإذا خلا بنَفسِه أكَل وشرِبَ؛ ولهذا قال أحمدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الصّومُ لا يدخلُه الرّياءُ؛ لأنّه يأكل في بيتِه ويُظهِر الصّوم للنّاس فهو كذّابٌ.

(1) الدلق: بفتح الدال واللام، كلمة معربة، وأطلقت لفظة الدلق على لباس كان يرتديه العلماء والقضاة والصوفية في مصر في العصر الفاطمي، كان من الصوف غالبا، متسع الأكمام، وهو شعارهم. انظر: المعجم العربي لأسماء الملابس، إعداد رجب عبدالجواد إبراهيم، طبعة دار الآفاق العربية، (ص:176-177).

۞ قال ابن الحاج في المدخل، (ج4/ 23): ويتعين عليه أن يجتنب خياطة دلوق الشهرة، والمرقعات التي اتخذها بعض الناس كأنها دكاكين، فتجد بعضهم يأخذ خرقًا جُملةً مختلفةَ الألوان أبيض وأصفر وأخضر وأحمر وأسود إلى غير ذلك ويرتبونها واحدة بجنب الأخرى وبعضهم يتغالى في تلك المرقعات فيجعلها من القماش الرّفيع الفاخر الذي لتفصيله ثمن كثير فيقطعونها خرقة خرقة لأجل غرض الشهرة الممنوعة في الشرع الشريف.

انظر - رحمنا الله وإياك -: إلى صفة هذه المرقعة أي شبه بينهما وبين مرقعة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التي كان فيها اثنتا عشرة رقعة أحدها من أدم.

قال القاضي أبو بكر بن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب مراقي الزلفى له: وقد رقع الخلفاء ثيابهم. قال: وذلك من شعار الصالحين وسنن المتقين. قال: وأخطأت الصوفية في ذلك فجعلته في الجديد، وأنشأته مرقعات من أصله، وهذا داخل في باب الرياء. قال: والمقصود بالترقيع استدامة الانتفاع بالثّوب على هيئته أو يكون رافعًا للعُجب. قال: وقال بعضهم في هذا المعنى:

ليسَ التّصَوُّفُ لُبسَ الصّوفِ تُرقعُهُ ... ولا بُكاؤُك إن غنّى المُغنّونا
وَلا صياحٌ ولا رَقصٌ ولا طَرَبٌ ... ولا ارتِعاشٌ كأن قد صِرتَ مجنونا
بل التّصوُّفُ أن تصفو بلا كَدَرٍ ... وتتبَعَ الحقَّ والقُرآنَ والدّينا
وأن تُرَى خاشِعًا لله مُكتئِبًا ... على ذُنوبِكَ طولَ الدّهرِ محزونا

بل يقولون: إنّ ذكرَ الله علَى الدّوام يُغني عنِ العِلم بقَواعدِ الإسلام، فيَعتقِدُ الغِرُّ أنّ الذِّكرَ يمنَعُهم مِنَ التّكَسُّب وسُؤالِ المخلوق، وأنّ هذا الذِّكرَ هو سُؤالُ الخالِق، وأنّ بعضَ التّجّارِ أو غيرِهم يأتي بالفُتوحِ فيَقول بعضُهم: ما نحن مُتفرِّغون لأخذه، فهذا هو تَنفيقٌ لِسلعتِه، وتَرغيبُهم في مُشترٍ بضاعَتَه. ومنهم مَن يصعُبُ عليه أن يُرَى علَى فرَسٍ؛ لئلّا يذهَبَ اعتِقادُ النّاسِ في تَواضعِه.

وطائِفة: اعتكفَت على التّعبُّدِ، وكأنّها تقضي حَقَّ الحقِّ بعبادتِها، وقد تَتوهَّم أنّها أتَت بعِبادةٍ عَظيمةٍ، كأنّها تنفَعُ الخالق، ولو فهِمَت علِمَت أنّ الخالق لا ينتَفِعُ بعِبادةِ الخلائقِ، ولا يضرُّه تركُها، وما ذاك إلّا لِسوء الفهمِ؛ لأنّه رأى سَلاطينَ بني آدَمَ ومُلوكَهم يفرَحون بمَن قامَ علَى أبوابِ خدمَتِهم؛ لأنّ ذلك يزيدُ في حِشمَتِهم وجَلالتِهم.

والمُتعبِّدُ: إنّما ينفَعُ نفسَه بعِبادتِه إذا كانت خالِصة على الكتاب والسُّنّة، ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓ﴾ [العنكبوت: 6]، ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ﴾ [فصلت: 46]، فخيرُ العابدِ وشَرُّه لَه لا يتَعدّاه، ورُبّما رأى العابِدُ عاصيًا فاحتَقَرَه، واعتَقد نفسَه مُقدَّمًا علَيه، وقال: مَن ذا؟! ومن جنسِ هذه الطّوائفُ كثيرٌ ممّن فتَح له دكّانًا وجلَس فيه، أو قد نصَبَ له شبكةً يَصطادُ بها مَن يقَعُ له فيها، فقَصدُ هؤلاءِ تحصيلُ المالِ والجاه، ليسَ قصدُهم النّجاةَ. وقد يكونُ بعضُ هؤلاءِ قصدهم إقامةَ جاهه، فهو تابعٌ لهَواه. وقد تقدم لنا طرَفٌ في ذلك في الفُقراءِ ممّن اتّخذ ريقَ الفُقراءِ شبكةً. وذكَرنا أن لولا سترُ الله علَينا لانفضَحتِ السّرائِرُ، ولا بُدَّ أن يأتي في الفرقِ بينَ أولياءِ الرّحمَن وأولياءِ الشّيطانِ ما هو أتمّ من هذا وأبيَنُ إن شاءَ الله [160/ أ].

الباب الثاني عشر

في الصبر والحزن

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 155-157].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: 43].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200]، ثُمَّ هُنا في الآية صبرٌ ومُصابرة ومُرابطةٌ.

في الذي أُمِروا بالصّبرِ عليه خمسة أقوالٍ:

أحدُها: البلاءُ، والجهادُ. قاله ابنُ عبّاسٍ(1).

الثّاني: الدّينُ. قاله الحسَنُ، والقُرَظيُّ(2).

---

(1) أما تفسيره بالبلاء؛ فذكره: الثعلبي في الكشف والبيان (ج9/ 589)، والبغوي في معالم التنزيل (ج2/ 156) من رواية الكلبي.

وتفسيره بالجهاد؛ فرواه الطبري في تفسيره (ج6/ 334)، وابن أبي حاتم في تفسيره (ج3/ 848)، رقم (4694)؛ من طريق: جعفر بن عون، قال: ثنا هشام بن سعيد، عن زيد بن أسلم.

وذكر المعنيين عن ابن عبّاس ابنُ الجوزي في زاد المسير (ج1/ 533).

(2) رواه: الطبري في تفسيره (ج6/ 333). ابن أبي حاتم (ج3/ 847)، رقم (4689)؛ من طريق: يونس بن عبدالأعلى، قال: ثنا ابن وهب، ثنا أبو صخر المديني، عن محمد بن كعب القرظي. وذكره الزّجّاج في معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 501).

الثّالث: المصائِب. رُوِيَ عنِ الحسنِ أيضًا[1].

الرّابع: الفرائِض. قاله سعيدُ بنُ جُبَير[2].

الخامِس: طاعة الله. قاله قتادة[3].

وفي الّذي أُمِرَ بمصابَرَتِه قولانِ:

أحدُهُما: العدوُّ. قاله ابنُ عبّاسٍ، والجمهورُ[4].

الثّاني: الوعدُ الّذي وعَدَهم الله. قاله عَطاءٌ، والقُرظيُّ[5].

وفيما أُمِروا بالمُرابطة علَيه قولانِ:

---

(1) رواه: ابن أبي حاتم في تفسيره (ج3/ 838)؛ من طريق: عبدالصمد بن عبدالوارث، قال: ثنا عباد بن راشد، عن الحسن.

والنحاس في معاني القرآن (ج1/ 530)؛ من طريق: عبد الله بن أحمد بن عبدالسلام، قال: حدثنا الدارمي، قال: حدثنا يحيى بن أبي بكير، قال: حدثنا جسر، عن الحسن. وابن الجوزي في زاد المسير (ج1/ 534).

(2) رواه: ابن أبي حاتم في تفسيره (ج3/ 847)، رقم: (4691)؛ من طريق: أبوزرعة، قال: ثنا يحيى بن عبدالله بن بكير، حدثني عبد الله بن لهيعة، حدثني عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير. وذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير (ج1/ 534).

(3) رواه: الطبري في تفسيره (ج6/ 332)؛ من طريق: يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة. وذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (ج1/ 445).

(4) رواه: ابن المنذر في تفسيره (ج2/ 544)، رقم: (1293)؛ من طريق: علي بن المبارك، قال: حدثنا زيد، قال: حدثنا ابن ثور، عن ابن جريج، عن ابن عبّاس. وذكره عنه ابن عبّاس في زاد المسير (ج1/ 534).

(5) رواه: الطبري في تفسيره (ج6/ 333). وابن المنذر في تفسيره (ج2/ 543)، رقم: (1292). ابن أبي حاتم في تفسيره (ج3/ 848)، رقم (4697)؛ جميعا من طريق: ابن وهب، قال: أخبرني أبوصخر المديني، عن عن محمد بن كعب القرظي. وذكره عن عطاء الثعلبي في الكشف والبيان، (ج9/ 590)، وابن الجوزي في زاد المسير (ج1/ 534)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن، تحقيق/ عبد الله بن عبدالمحسن التركي، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، (ج5/ 485).

أحدُهُما: الجهادُ للأعداءِ. قاله ابنُ عبّاسٍ، والحسَنُ، وقَتادةُ[1].

والثّاني: الصّلاةُ أُمِروا بالمُرابطةِ علَيها. قاله أبو سلَمةَ بنُ عبد الرّحمَنِ[2].

وقيلَ: ﴿ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾ إنّه انتِقالُ مِنَ الأدنَى إلى الأعلَى، فالصّبرُ دون المُصابرةِ، والمُصابَرةُ دونَ المُرابطةِ.

والمُرابطةُ: مُفاعلة مِنَ الرّبطِ؛ وهو الشّدُّ، وسُمّي المُرابِطُ مُرابِطًا؛ لأنّهم يربِطونَ خُيولهم لأجلِ الفزَعِ[3].

وقد ذكَرنا ذلك مُستَقصًى في كتابِ «الجهادِ»، ويُقالُ لِكُلِّ مُنتظِرٍ لِعبادة: هو مُرابِطٌ، ومنه قولُ النّبي ﷺ: «ألا أُخبِرُكم بما يَمحو الله به الخطايا، ويَرفَعُ به الدّرَجاتِ؟ إسباغُ الوُضوءِ على المكاره، وكَثرة الخُطا إلى المساجِدِ، وانتِظارُ الصّلاةِ بعدَ الصّلاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّباطُ»[4].

فالرِّباطُ: ملازَمة الثّغرِ؛ لئلّا يهجمَ العدوُّ، وكذلك المُرابِطُ العابِدُ يلزَمُ ثغرَ القلبِ؛ لِئلّا يهجمَ علَيه الشّيطانُ فيُهلكَه.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: 10]. فالصّبرُ: [في

---

(1) ذكره عن الحسن وقتادة ابن أبي حاتم في تفسيره (ج3/ 850) نحو ذلك. وذكره عنهم ابن الجوزي في زاد المسير (ج1/ 365).

(2) رواه: ابن المبارك في الزهد، برقم: (408)؛ من طريق: مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام، قال: حدثني داود بن صالح، قال: قال لي أبو سلمة بن عبدالرحمن: «يا ابن أخي... ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة».

والطبري في تفسيره (ج6/ 334-335)، من طريق ابن المبارك. وابن المنذر (ج2/ 544)، برقم: (1296)، من طريق ابن المبارك.

(3) ذكره: النحاس في معاني القرآن، (ج1/ 530)؛ فقال: وأصل الرباط والمرابطة عند أهل اللغة...

(4) رواه: مسلم في صحيحه، برقم: (41-251).

اللُّغة: الحبسُ والكفُّ. ومنه: قُتِلَ فُلانٌ صَبرًا؛ إذا أُمسِكَ وحُبِسَ[1]][2].
ومن هذا البابِ قولُه تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾ [الكهف: 28]؛ أي: احبس نفسَكَ معَهُم[3]. فالصّبرُ: حبسُ النّفسِ عَنِ الجزعِ والتّسخُّطِ، وحَبسُ اللِّسانِ عَنِ الشّكوى[4].

قالَ الإمامُ أحمد: ذكَرَ اللهُ سُبحانَهُ وتَعالَى الصّبرَ في تِسعينَ موضِعًا[5].
وروَى ابنُ فَنجَويهِ[6] في «تفسيره» عن قولِه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠﴾ عن أنَسٍ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «تُنصَبُ الموازينُ يومَ القيامة، فيُؤتَى بأهلِ الصّلاةِ، فيوَفَّونَ أجرَهم بالموازينِ، ويُؤتَى بأهلِ الصّيامِ، فيوَفَّونَ أجرَهم بالموازينِ، ويُؤتَى بأهلِ الصّدَقةِ فيوَفَّونَ أجرَهم بالموازينِ، ويُؤتَى بأهلِ الحجِّ، فيوَفَّونَ أجرَهم بالموازينِ، ويُؤتَى بأهلِ البلاءِ فلا [161/ ب] يُنصَبُ لهم ميزانٌ، ولا يُنشَرُ لهم ديوانٌ، ويُصَبُّ عليهِمُ الأجرُ صَبًّا بغيرِ حِسابٍ، ثُمَّ قرأ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠﴾ حتّى يتمنّى

---

(1) صبر: الصاد والباء والراء... الأول: الحبس... يقال: صبرت نفسي على ذلك الأمر؛ أي: حبستها. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج3/ 329).

(2) ما بين المعكوفين غير ظاهر في الأصل، والمثبت من مدارج السالكين.

(3) ذكره: السمرقندي في تفسيره بحر العلوم، (ج2/ 296).

(4) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، (ج2/ 155-156).

(5) ذكره عنه ابن القيم في مدارج السالكين (ج1/ 110). وذكرها ابن تيمية في مجموع الفتاوى، (ج10/ 39) دون عزو، فقال: «وقد ذكر الله الصبر في كتابه في أكثر من تسعين موضعا، وقرنه بالصلاة...».

(6) هو الشيخ الإمام، المحدث المفيد، بقية المشايخ، أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين بن عبد الله بن صالح بن شعيب بن فنجويه، الثقفي الدينوري. روى عن: هارون العطار، وأبي بكر بن السني، وأبي بكر القطيعي، وغيرهم. حدث عنه: جعفر الأبهري، وعبد الرحمن بن منده، ومحمد بن يحيى الكرماني، وغيرهم. مات بنيسابور سنة (414هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج17/ 383-384).

أهلُ العافيةِ في الدُّنيا أنّ أجسادَهم تُقرَضُ بالمقاريضِ مِمّا يَذهَبُ به أهلُ البلاءِ»(1).

قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ: والصّبرُ واجِبٌ باتِّفاقِ أئمّةِ الدّينِ، وإنّما اختلَفوا في الرِّضا(2). انتهى كلامُه.

والصّبرُ نصفُ الإيمانِ، فإنّ الإيمانَ نِصفٌ صَبرٌ ونِصفٌ شُكرٌ، وقد أمَرَ الله تعالى في كِتابه بالصّبرِ الجميلِ(3) الّذي لا شكوَى معَه، والصّفحِ الجَميلِ(4) الّذي لا عِقابَ معَه، والهجرِ الجميلِ(5) الّذي لا أذًى معَه.

وقد ورَدَ في الصّبرِ مِنَ الآياتِ والأحاديثِ وأقوالِ السّلَفِ ما لم يُمكنّي إحصاؤُه؛ لِكثرته، وإنما نذكُرُ منه نبذة يسيرةً جامِعةً مانِعةً يُكتَفَى بها عن كثيرٍ من مُطالعةِ كُتُب الصّبرِ، معَ أنّا قد ذكرنا في كِتابنا الموسومِ

---

(1) رواه: الثعلبي في الكشف والبيان (ج23/ 21-22)؛ من طريق: شيخه الحسين بن فنجويه بقراءته عليه، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق، قال: أخبرني إبراهيم بن محمد بن الضحاك، قال: حدثنا نصر بن مرزوق، قال: حدثنا أسد بن موسى، قال: حدثنا بكر بن خُنَيس، عن ضرار بن عمرو، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك... فذكره.

۞ قوام السنة في كتاب الترغيب الترهيب، (ج1/ 333)، رقم (561)؛ من طريق: أحمد بن عبد الرحمن الذكواني، قال: أخبرنا أبو بكر بن مردويه، ثنا أبو عمرو بن أحمد بن محمد بن إبراهيم، ثنا محمد بن عبدالوهاب، ثنا آدم، ثنا بكر بن خنيس...به.

۞ قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف، طبعة دار ابن خزيمة، (ج3/ 200-201): «بكر بن حبيش، وصرار، والرقاشي؛ كلهم ضعاف». وكذا ضعفه العراقي في كتابه المغني عن حمل الأسفار، (ج2/ 1036-1037)، رقم (3770).

(2) قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى، (ج10/ 39-40): «ولهذا كان الصبر واجبا باتفاق المسلمين... وأما الرضا، فقد تنازع العلماء والمشايخ من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم في الرضا بالقضاء؛ هل هو واجب، أو مستحب؟ على قولين...».

(3) في قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾ [المعارج: 5].

(4) في قوله تعالى: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾ [الحجر: 85].

(5) في قوله تعالى: ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾ [المزمل:10].

بكتابِ «التّسلية»[1] في الصّبر شيئًا كثيرًا مُتقنًا مبيّنًا، فمَن رامَ كشفَ ذلك فليطلبه منه، معَ أنّ ما نذكرُه هُنا فيه كفايةٌ إن شاءَ الله.

فَصْلٌ

وأمّا الأحاديثُ: فمنها ما ثبَتَ في «صحيح مُسلم»[2] من حديث أبي مالكِ الحارثِ ابنِ عاصمٍ الأشعريِّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطُّهورُ شَطرُ الإيمانِ، والحمدُ لله تَملأُ الميزانَ، وسُبحانَ الله والحمدُ لله تَملآنِ -أو تَملأُ- ما بَينَ السّماءِ[3] والأرضِ، والصّلاةُ نورٌ، والصّدَقة بُرهانٌ، والصّبرُ ضياءٌ، والقُرآنُ حُجّة لَكَ [أو][4] عليكَ**».

ورَوَى أبو داوُدَ[5] من حديثِ أُمِّ سلَمة، قالت: قال رسول الله ﷺ:

---

(1) راجع: تسلية أهل المصائب للمنبجي (من ص: 135 ...).

(2) صحيح مسلم برقم: (1 - 223).

(3) كذا في الأصل، وفي صحيح مسلم: السماوات.

(4) ليست في الأصل، والمثبت من صحيح مسلم.

(5) رواه: 1 - أبو داود في سننه، كتاب الجنائز، باب في الاسترجاع، رقم: (3119)؛ من طريق: موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا ثابت البناني، عن ابن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أم سلمة، مرفوعًا. 2 - الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، رقم: (3840)؛ من طريق: عمرو بن عاصم، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عمر بن أبي سلمة، عن أمه أم سلمة، عن أبي سلمة، مرفوعًا. قال الترمذي: «هذا حديث غريب من هذا الوجه. وروى هذا الحديث من غير هذا الوجه عن أم سلمة، عن النبي ﷺ. وأبو سلمة، اسمه: عبد الله بن عبدالأسد». 3 - ورواه الإمام أحمد في مسنده: (ج44/ 247)، رقم (26635)؛ من طريق: ابن نمير، قال: حدثنا سعد بن سعيد، قال: أخبرني عمر بن كثير، عن ابن سفينة مولى أم سلمة، عن أم سلمة زوج النبي ﷺ، قالت:...-بنحوه-. و(ج44/ 268)، رقم (26669)؛ من طريق: عفان، قال: حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت، قال: حدثني ابن عمر بن أبي سلمة بمنى، عن أبيه، أن أم سلمة، قالت: قال أبو سلمة، مرفوعًا. و(ج44/ 293)، رقم (26697)؛ من طريق: يزيد بن هارون، قال: أخبرنا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، قال: حدثني ابن عمر بن أبي سلمة بمنى، عن أبيه، عن أم سلمة مرفوعًا.

«إذا أصابَ أحَدَكم مُصيبةٌ، فَليَقُل: إنّا لله وإنّا إليه راجِعونَ، اللهم عندكَ أحتَسِبُ مُصيبَتي فَأجُرني بها وأبدِلني خَيرًا منها»، فلمّا احتَضَر [161/ أ] أبو سلَمة قال: اللهم اخلُفني في أهلي خَيرًا مِنّي، فَلَمّا قُبِضَ قالت أُمُّ سَلَمة: إنّا لله وإنّا إليه راجِعونَ، عند الله احتَسَبتُ مُصيبَتي فَأجُرني فيها.

فانظُر -رحِمَك اللهُ-: إلى ما آلَت إليه حينَ احتَسبَت وصَبَرَت ورَضيَت، واتَّبعَتِ السُّنةَ.

وعن أبي سَعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنّ ناسًا مِنَ الأنصارِ سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثُمَّ سَألوه فأعطاهم، حَتَّى نَفَدَ ما عنده، فقال لهم -حينَ أنفَقَ كُلَّ شَيءٍ بيَدِهِ-: «ما يَكونُ عندي من خَيرٍ فَلَن أدَّخِرَه عنكُم، ومَن يَستَعِفَّ(1) يُعِفَّه الله، ومَن يَستَغنِ يُغنِه الله، ومَن يَتَصَبَّر يُصَبِّره الله، وما أُعطِيَ أحَدٌ عَطاءً خَيرًا وأوسَعَ مِنَ الصّبرِ»، رواه البُخاريُّ، ومُسلِمٌ(2).

وفي «صَحيح مُسلم»(3): عن صُهيبِ بنِ سِنانٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «عَجَبًا لِأمرِ المُؤمِنِ؛ إنّ أمرَه كُلَّه له خَيرٌ، وليس ذلك لِأحَدٍ إلّا لِلمُؤمِنِ، إن أصابَته سَرّاءُ شَكَرَ؛ فَكان خَيرًا له، وإن أصابَته ضَرّاءُ صَبَرَ؛ فَكان خَيرًا له».

وعن أنَسٍ قال: سَمِعتُ رسول الله ﷺ يَقولُ: «[إنّ](4) اللهَ عَزَّوَجَلَّ [قال](5): إذا ابتَلَيتُ عبدي بحَبيبَتَيه فَصَبَرَ؛ عَوَّضتُه منهما الجنّة» يُريدُ: عينَيه. رواه البُخاريُّ(6).

---

(1) كذا في الأصل- بالإدغام. وفي صحيح البخاري ومسلم: يَستَعفِف. بفكِّ الإدغام.

(2) رواه: 1 - البخاري في صحيحه: كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسئلة، رقم: (1469). وكتاب الرقاق، باب الصبر عن محارم الله، رقم (6470). 2 - مسلم في صحيحه، برقم: (124 - 1053).

(3) صحيح مسلم، برقم: (64 - 2999).

(4) زيادة: من صحيح البخاري.

(5) زيادة: من صحيح البخاري.

(6) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب فضل من ذهب بصره، رقم: (5653).

وعن عَطاءِ بن أبي رَباحٍ، قال: قال لي ابنُ عَبّاس: **ألا أُريكَ امرأةً من أهل الجنّة؟** فَقُلتُ: بَلَى. قال: هذه المرأةُ السّوداءُ، أتتِ رسول الله ﷺ، فقالت: إنّي أُصرَعُ، وإنّي أتكَشّفُ، فادعُ اللهَ تعالى لي، فقال: «**إن شئتِ صبَرتِ ولكِ الجنّة، وإن شئتِ دَعوتُ [162/ ب] اللهَ أن يُعافيَكِ**». فقالت: أصبِرُ. ثُمَّ قالت: إنّي أتكشّفُ، فادعُ اللهَ أن لا أتكشّفَ. فَدعا لها. رَواه البُخاريُّ، ومُسلِمٌ[1].

وفيهما[2]: عن أبي سَعيدٍ، وأبي هريرة، عَنِ النّبيِّ ﷺ قال: «**ما يُصيبُ المسلِمَ من نَصَبٍ ولا وصَبٍ، ولا هَمٍّ ولا حُزنٍ ولا أذًى ولا غَمٍّ، حَتّى الشّوكة يُشاكُها، إلّا كَفَّرَ اللهُ بها من خطاياه**».

قال أهل اللُّغة: الهمُّ: علَى المُستقبل. والحُزنُ: علَى الماضي. والنّصَبُ: التّعَبُ والوصَبُ: المرضُ[3].

وَرُوِيَ من حديث عمرِو بنِ العاصِ: أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «**الّذي يُخالِطُ النّاسَ ويَصبِرُ على أذاهم خَيرٌ مِنَ الّذي لا يُخالِطُ النّاسَ ولا يَصبِرُ على أذاهم**»[4].

---

(1) رواه: 1 - البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب فضل من يصرح من الريح، رقم: (5652). 2 - مسلم في صحيحه، رقم: (54 - 2576).

(2) رواه: 1 - البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب ما جاء في كفارة المرض، رقم: (5641) و(5642). 2 - مسلم في صحيحه، رقم: (52 - 2573).

(3) انظر: مطالع الأنوار على صحاح الآثار، لابن قرقول، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، (ج2/ 268).

(4) رواه: 1 - الإمام أحمد في مسنده، (ج9/ 64)، رقم (5022)؛ من طريق: محمد بن جعفر، وحجاج، قالا: حدثنا شعبة، سمعت الأعمش -وقال: حجاج - عن الأعمش، يحدث عن يحيى بن وثاب، عن شيخ من أصحاب النبي ﷺ -قال: وأراه ابن عمر - قال حجاج: قال شعبة: قال سليمان: «وهو ابن عمر» يحدث عن النبي ﷺ:...الحديث. 2 - الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، رقم: (2688)؛ من طريق: ابن أبي عدي، عن شعبة،=

وفي «صَحيح البُخاريِّ»[1]: عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن يُرِدِ الله به خَيرًا يُصِب منه». قولُه: «يُصَب منه»: بفتح الصّادِ، وكسرِها[2].

وفي «صحيح البُخاريِّ»[3]: من حديثِ خبّابِ بنِ الأرَتِّ، قال: شَكَونا إلى رسول الله ﷺ وهو مُتَوَسِّدٌ بُردةً في ظِلِّ الكعبة، فَقُلنا: ألا تَستَنصِرُ لَنا؟ ألا تَدعو لَنا؟ فقال: «**قد كان مَن قبلَكُم، يُؤخَذُ الرَّجُلُ فَيُحفَرُ له في الأرضِ، فَيُجعَلُ فيها، ثُمَّ يُؤتَى بالمنشارِ، فيوضَعُ على رَأسِه، فَيُجعَلُ نِصفَينِ، ويُمشَطُ بأمشاطِ الحديدِ، ما دونَ لَحمِه وعَظمِه، ما يَصُدُّه ذلك عن دينِه، والله، لَيَتِمَّنَّ الله هَذا الأمرَ حَتَّى يَسيرَ الرّاكِبُ من صَنعاءَ إلى حَضرَمَوتَ، لا يَخافُ إلّا اللهَ، والذِّئبَ على غَنَمِه، ولَكِنَّكم تَستَعجِلونَ**».

وفي التِّرمذيِّ[4] من حديثِ [163/ أ] أبي هُرَيرة قال: قال رسول الله

=عن سليمان الأعمش، عن يحيى بن وثاب، عن شيخ من أصحاب النبي ﷺ، مرفوعًا. قال الترمذي: «قال ابن أبي عدي: كان شعبة يرى أنه ابن عمر». 3 - ابن ماجة في سننه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، رقم: (4032)؛ من طريق: عبدالواحد بن صالح، قال: حدثنا إسحاق بن يوسف، عن الأعمش، عن يحيى بن وثاب، عن ابن عمر، مرفوعًا.

(1) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما جاء في كفارة المرض، رقم: (5645).

(2) قال ابن حجر في فتح الباري، (ج10/ 108): كذا للأكثر بكسر الصاد، والفاعل الله، قال أبو عبيد الهروي: معناه: يبتليه بالمصائب، لِيُثِيبَه عليها. وقال غيره: معناه: يوجه إليه البلاء، فيصيبه. وقال ابن الجوزي: أكثر المحدثني يرويه بكسر الصاد، وسمعت ابن الخشاب بفتح الصاد، وهو أحسن وأليق. كذا قال، ولو عكس لكان أولى.

(3) صحيح البخاري: كتاب المناقب، رقم (3612). وكتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، رقم (6943).

(4) رواه: الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الصبر على البلاء، رقم: (2576)؛ من طريق: محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا يزيد بن زريع، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، مرفوعًا. 2 - الإمام أحمد في مسنده: - (ج13/ 248)، رقم: (7859)؛ من طريق: محمد بن بشر، قال: حدثنا محمد بن عمرو، به، بلفظ: «لا يزال=

ﷺ: «ما يَزالُ البلاءُ بالمُؤمِنِ في نَفسِه ووَلَدِه ومالِه، حَتَّى يَلقَى اللهَ، وما عليه خَطيئة»، قال التِّرمذيُّ: حَديثٌ حسَنٌ صَحيحٌ. والأحاديث كثيرة جِدًّا.

فَصْلٌ

وقد ذكَرَ أربابُ التّصوُّفِ أنّ الصّبرَ خُلُقٌ فاضِلٌ من أخلاقِ النّفسِ يُمنَعُ به من فعلِ ما لا يحسُنُ، ولا يَجهلُ، وهو قوّة من قوَى النّفس الّتي بها صَلاحُ شَأنِها وقِوامُ أمرِها.

وقال صاحِبُ كِتابِ «العِلَلِ الّتي تدخلُ المقامات، وتَخفَى علَى المُريدينَ»[1]: وأمّا الصّبرُ فإنّه: كَفُّ الشّكوَى علَى مرارة البلوَى، وعقلُ اللِّسانِ عنِ الحكاية عنِ الأذَى، وتَوطينُ النّفسِ علَى المكروه. وهذا في طريقِ الخاصِّ تجلُّدٌ ومُقاواةٌ[2] وحرارةٌ[3] ومُنازعةٌ، فإنّ أصلَ هذا كِتمانُ الشّكوَى.

والحقيقة: الخروجُ عَنِ الشّكوَى والتّلَذُّذُ باختيارِ المولَى، والذّهاب

=البلاء بالمؤمن أوِ المؤمنة في جسده، وفي ماله، وفي ولده»... الحديث. - (ج15/ 504)، رقم (9811)؛ من طريق: يزيد، قال: أخبرنا محمد، عن أبي سلمة...به.

3 - ابن حبان في صحيحه، (ج1/ 416)، ذكر البيان بأن تواتر البلايا على المسلم قد لا تبقي عليه سيئة يناقش عليها في العقبى، رقم (579)؛ من طريق: مسدد، قال: حدثنا يزيد بن هارون، قال: حدثنا محمد بن عمرو...به.

(1) انظر: العلل التي تدخل على المقامات، (ص:319).

(2) كذا في الأصل، وفي: - العلل التي تدخل على المقامات: ومقاومة. - طريق الهجرتين؛ لابن القيم: مناوأة.

۞ «وقاويته، مقاواةً، فقوَيتُه؛ أي: غلبتُه». انظر: تاج العروس (ج39/ 366).

(3) كذا في الأصل، وفي كتاب العلل التي تدخل على المقامات،، وكتاب طريق طريق الهجرتين: جرأة.

علَى كُلِّ حالٍ واردٍ يمُرُّ أو يَحلو، قال الله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ [الحديد: 23]. وقال في موضِعٍ آخرَ:[1] صَبرُ القوم[2] نَهيُهم قُلوبَهم عن ظَنِّ السّوءِ؛ بأنّ اللهَ قضَى قضاءً عاريًا مِنَ الرأفة، خارجًا عَنِ الخيرةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ [الأنفال: 17]. انتهى ما ذَكَرَه.

وقال سعيدُ بنُ جُبيرٍ: الصّبرُ: اعتِرافُ العبدِ لله بما أصابَه منه، واحتِسابُه عند الله، ورَجاءُ ثَوابه، وقد يجزَعُ الرّجُلُ وهو مُتجلِّدٌ لا يُرَى منه إلّا الصّبرُ[3]. قال مُجاهِدٌ في قولِه تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: 18]، قال: غير جَزَعٍ[4]. وقال عمرو[5] بنُ قَيسٍ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ قال: الرِّضا بالمُصيبةِ

---

(1) انظر: كتاب العلل التي تدخل على المقامات، (ص:327).

(2) كذا في الأصل، وفي كتاب العلل التي تدخل على المقامات: وضرهم.

(3) رواه: - ابن المبارك في كتاب الزهد، (ص:458)، رقم (111)؛ من طريق: ابن لهيعة، عن عطاء بن دينار، أن سعيد بن جبير، قال:...

⊙ ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر والثواب عليه، (ص:85)، رقم: (113)؛ من طريق: حمزة بن العبّاس، قال: أخبرنا عبد الله بن عثمان، أخبرنا عبد الله بن المبارك، به.

⊙ ابن أبي حاتم في تفسيره (ج1/ 102)، رقم: (485)؛ من طريق: هشام بن عبيد، قال: ثنا عبد الله بن المبارك، به.

(4) رواه: سفيان الثوري في تفسيره، رواية أبي جعفر محمد، عن أبي حذيفة النهدي، طبعة دار الكتب العلمية، (ص:138)، رقم (4:6:386)؛ من طريق: سفيان، عن رجل، عن مجاهد.

⊙ عبدالرزاق في تفسيره، تحقيق/ مصطفى مسلم محمد، طبعة مكتبة الرشد، (ج1/ 318)؛ من طريق الثوري، به.

⊙ الطبري في تفسيره (ج13/ 40)؛ من عدة طرق، عن مجاهد.

(5) في الأصل: عُمر، والمثبت من مصدر الأثر، والتراجم. فهو عمرو بن قيس الكوفي الملائي البزاز الحافظ، من أولياء الله. حدث عن: عكرمة، وعطاء، وأبي إسحاق السبيعي، وغيرهم. حدث عنه: سفيان الثوري وصحبه زمانا، والمحاربي، وأسباط بن محمد، وآخرون. قال أبو زرعة: «ثقة مأمون»، وذكره الثوري، فأثنى عليه. روى له البخاري في «الأدب»، والباقون. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج6/ 250-251)، وتهذيب الكمال (ج22/ 200-203).

والتّسليمُ[1]. وقال حِبّانُ[2] ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: لا شَكوَى معَهُ[3]. وقال قَيسُ بنُ الحجّاج[4] في قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: 5]: أن يَكونَ صاحِبُ المُصيبةِ في القومِ لا يُعرَفُ مَن هو[5]؟ [163/ ب].

وقال عليُّ بنُ أبي طالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الصّبرُ ثلاثةٌ: صَبرٌ علَى المُصيبة. وصَبرٌ على الطّاعة. وصَبرٌ علَى المعصيةِ. فمَن صَبَرَ علَى المُصيبة حَتَّى يَردَّها بحُسنِ عزائِها: كُتِبَت له ثَلاثُمائة دَرَجةٍ، ومَن صَبَرَ علَى الطّاعة:

---

(1) رواه: ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر والثواب عليه، (ص:86)، رقم: (116)؛ من طريق: محمد بن الحسين، قال: حدثنا الأسود بن عامر، حدثنا عبدالسلام بن حرب، عن عمرو بن قيس الملائي.

(2) في الأصل كأنها: حسان. والمثبت هو الصواب. فهو حبان بن أبي جبلة القرشي، مولاهم، المصري. روى عن: عبد الله بن عباس، وعبدالله بن عمر بن الخطاب، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وأبيه عمرو بن العاص. روى عنه: أبو شيبة عبدالرحمن بن يحيى، وعبيدالله بن زحر الإفريقي، وموسى بن رباح اللخمي، وغيرهم. توفي سنة (122ه)، وقيل: (125هـ). روى له البخاري في كتاب «الأدب». انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج5/ 332-333).

(3) كذا في الأصل، وفي مصدر الرواية: فيه.

والأثر رواه: - ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر والثواب عليه، (ص:83)، رقم: (110)؛ من طريق: فضيل بن عبدالوهاب، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرني عبدالرحمن بن يحيى، عن حبان بن أبي جبلة، رفعه. والطبري في تفسيره (ج13/ 41)، وابن أبي حاتم في تفسيره (ج7/ 2112)، برقم: (11397)؛ من طريق: هشيم، به، مرفوعًا.

(4) هو قيس بن الحجّاج بن خليّ بن معدي كرب الحميري الكلاعي، ثم السلفي المصري. روى عن: حنش الصنعاني، وأبي عبد الرحمن الحبلي. روى عنه: خالد بن حميد المهري، عبد الله بن عياش، وأخوه عبدالأعلى بن الحجاج، وغيرهم. قال أبو حاتم: «صالح»، روى له الترمذي حديثًا، وابن ماجة آخر. يقال توفي سنة (129هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج24/ 19-21).

(5) رواه: ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر والثواب عليه، (ص:85-86)، رقم (115)؛ من طريق: إبراهيم بن عبدالله، قال: حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح، حدثنا عبدالرحمن بن القاسم، حدثني سعيد بن عبد الله المعافري، عن عبدالأعلى بن الحجاج، عن أخيه قيس بن الحجاج.

كُتِبَت لـه سِتَّمِائةِ درَجة، ومَن صَبرَ على المعصيةِ كُتِبَت له تِسعُمِائةِ درَجة[1].

وقـال شيخُ الإسـلام ابنُ تَيمية: صَبرُ يوسُـفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عـن مُطاوَعـةِ امـرَأة العزيـزِ عـن شَأنِها أكمَلُ من صَبرِه علَى إلقاءِ إخوَتـه لـه في الجُبِّ، وبيعِه، وتفريقِهـم لـه بينَه وبيـنَ أبيه. فإنّ هـذه أمـورٌ جـرَت علَيه بغير اختيـاره، ولا كَسـبَ لـه فيهـا، ليسَ للعبد فيها حيلة غيرَ الصّبر. وأمّا صَبرُه عَن المعصيةِ: فصَبرُ اختيـارٍ ورِضًـى ومُحاربـة للنّفسِ. ولا سيَّما مـعَ الأسبابِ الّتي تَقوَى معَهـا داعـي الموافقـة؛ فإنّـه كان شـابًّا، وداعيـةُ الشّبابِ إليهـا قَويّـة، وعَزَبًـا ليسَ لـه مـا يُعوِّضُـه ويُبَـرِّدُ شـهوَتَه، وغَريبًـا، والغريـبُ لا يَستَحيي فـي بلَـدِ غُربتِه؛ لِعدَمِ الأقـاربِ والأصحابِ الّذيـن يَستَحيي منهـم، والمرأةُ جميلـة، وذاتُ منصِـبٍ، وهـي سيِّدَتُه، والدّاعيـةُ لَـه، والحريصـة علَـى ذلـك الحِـرصَ الشّـديدِ، ومـعَ ذلـك توَعَّدَتـه إن لـم يفعَـل بالسِّـجنِ. فصَبـرُه صَبـرُ اختيـارٍ لِمـا عنـدَ الله. وذكَـر كلامًـا طويـلًا فـي ذلـك[2]. انتَهـى.

وقـال ميمـونُ بـنُ مِهـرانَ: الصّبـرُ صَبـرانِ: فالصّبـرُ علـى المُصيبـةِ حَسَـنٌ، وأفضَـلُ منه الصّبرُ على المعصيةِ[3].

وقـال الفُضَيـلُ بـنُ عيـاضٍ فـي قولِـه تعالـى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: 24]، ثُـمَّ قـال: صَبَـروا علـى مـا أُمِـروا، وصَبَـروا علـى مـا نُهـوا

---

(1) رواه: ابـن أبي الدنيـا في كتـاب الصـبر والثـواب عليـه، (ص:30-31)، رقـم: (24)؛ مـن طريـق: إسحاق بن إسماعيل، قـال: حدثنـا يحيى بـن سـليم، حدثنـي عمر بـن يونـس، عمَّـن حدَّثـه، عـن علي بـن أبي طالـب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، مرفوعًـا. وذكـره السـيوطي في كتـاب اللآلـئ المصنوعـة في الأحاديـث الموضوعـة، (ج2/ 313).

(2) انظر: المستدرك على مجموع الفتاوى (ج1/ 144-145).

(3) رواه: ابـن أبي الدنيـا في كتـاب الصـبر والثـواب عليـه، (ص:28-29)، رقـم: (18)؛ مـن طريـق: يحيى بـن يوسـف، قـال: حدثنـا أبـو المليـح، عـن ميمـون بـن مهـران، قـال: «الصبر صبران، الصـبر عـلى المصيبـة حسـن، وأفضـل مـن ذلـك الصـبر عـن المعاصي».

عنهُ[1]. انتَهى.

فكأنّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ -والله أعلم- قسَّمَ الصّبرَ[2] إلى قسمَينِ: مأمورٌ به؛ وهيَ الطّاعة، ومنهيٌّ عنه؛ وهيَ المعصيةُ.

وقال الجُنيدُ -وقد سُئلَ عنِ الصّبرُ فقال-: هو تَجرُّعُ المرارة من غيرِ تعبُّسٍ[3].

وقال الإمامُ أحمدُ[4]: حَدَّثَنا أبو مُعاوية، حَدَّثَنا الأعمَشُ، عن مُجاهِدٍ، قال: قال عُمَرُ بنُ الخطّابِ: وجَدنا خَيرَ عَيشِنا بالصّبرِ. وفي رواية[5]: أفضَلُ عَيشٍ أدرَكناه بالصّبرِ، ولو أنّ الصبرَ كان مِنَ الرِّجالِ كان كَريمًا.

وقال عليُّ بنُ أبي طالبٍ: ألا إنّ الصّبرَ مِنَ الإيمانِ بمَنزلة الرّأسِ مِنَ

---

(1) رواه: البيهقي في شعب الإيمان، (ج12/ 371-371)، رقم: (9566)؛ من طريق: علي بن محمد، ال: أخبرني محمد بن عبدالوهاب الجوهري، أخبرني الفيض بن إسحاق، قال: سئل الفضيل بن عياض، عن قول الله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡ﴾، قال: «بما احتملتم من المكاره، وصبرتم عن اللذات في الدنيا».

(2) كتب فوقها بخط مغاير: أي: ما يصبر عليه الناس.

(3) ذكره عنه: القشيري في رسالته (ص:324).

(4) رواه: 1 - الإمام أحمد في كتاب الزهد، (ص:97)، رقم: (612) بهذا الإسناد.

2 - ابن المبارك في كتاب الزهد، (ص:207)، رقم (630)؛ من طريق: سفيان، عن منصور، عن مجاهد، قال: قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

3 - وكيع في كتاب الزهد، (ص:449)، رقم (198)؛ من نفس طريق ابن المبارك.

ورواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب الصبر عن محارم الله ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾، وقال عمر.... قبل حديث رقم: (6470) معلقًا.

(5) رواه: ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر والثواب عليه، (ص:23-24)، رقم: (6)؛ من طريق: محمد بن معاوية الأنماطي، قال: حدثنا خلف بن خليفة، عن ليث، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الجسَدِ، فإذا قُطِعَ الرّأسُ بارَ[1] الجسَدُ، ثُمَّ رَفَعَ صَوتَه، فقال: ألا إنّه لا إيمانَ لِمَن لا صَبرَ لَهُ[2].

وقال **الحسنُ**: الصّبرُ كَنزٌ من كُنوزِ الخيرِ، لا يُعطيه الله إلّا لِعبدٍ كَريمٍ عندهُ[3] [163/ أ].

وقال **عُمَرُ بنُ عبد العزيزِ**[4]: ما أنعَمَ الله على عبدٍ نِعمةً، فانتَزَعَها منه، فَعاضَها مَكانها الصّبرَ، إلّا كان ما عَوَّضَه خيرًا مِمّا انتَزَعَه منه.

وكان بعضُ العارفينَ قد كَتَبَ في رُقعةٍ يُخرِجُها كُلَّ وقتٍ ينظُر فيها، وفيها مَكتوبٌ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[5] [الطور: 48].

وقال **ذو النّون المصريُّ**: الصّبرُ: التّباعدُ مِنَ المُخالَفاتِ، والسُّكونُ عندَ تَجرُّعِ غُصَصِ البليّة، وإظهارُ الغِنَى مَعَ حُلول الفقرِ بساحاتِ المعيشة[6]. وقيلَ: هو تعويدُ النّفسِ الهُجومَ على المكارِهِ[7].

---

(1) كذا في الأصل، وفي مصدر الأثر: بادَ. بالدال. ولعله من «بور»...قال الخليل: البوار؛ الهلاك. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج1/ 316).

(2) رواه: ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر والثواب عليه، (ص:24-25)، رقم: (8)؛ من طريق: أبي بشر عاصم بن عمر بن علي، قال: حدثنا أبي، عن السري بن إسماعيل، عن الشعبي، عن مسروق، قال: قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ... فذكر بهذا اللفظ.

(3) رواه: ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر والثواب عليه، (ص:27-28)، رقم: (16)؛ من طريق: علي بن الحسن، عن زيد بن الحباب، قال: حدثني مرجى بن وداع، عن غالب القطان، قال: سمعت الحسن.

(4) رواه: ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر والثواب، (ص:30)، رقم: (22)؛ من طريق: محمد بن الحسن، قال: حدثنا سعيد بن عامر، حدثنا محمد بن عمرو قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يقول على المنبر:...ثم قرأ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10].

(5) انظر: إحياء علوم الدين (ج4/ 73).

(6) ذكره عنه: القشيري في رسالته (ص:325)؛ بلفظ: «التباعد عن...تجرع غصص...».

(7) انظر: مدارج السالكين (ج2/ 158).

وقال عمرو بنُ عُثمانَ: هو الثّباتُ معَ الله تعالَى، وتَلَقّي بلائه بالرّحبِ والسّعةِ(1).

وقال الخوّاصُ: هو الثّباتُ علَى أحكامِ الكتابِ والسُّنّة(2). وقيلَ [من البسيط]:

الصّبرُ مِثلُ اسمِه، مُرٌّ مَذاقَتُهُ   لَكِن عَواقِبُه أحلَى مِنَ العسَلِ(3)

وقال عبد الله بنُ المُباركِ(4): أخبَرَنا ابنُ لَهيعة، عن عَطاءِ بنِ دينارٍ، أنّ سَعيدَ بنَ جُبَيرٍ قال: الصّبرُ اعتِرافُ العبدِ لله بما أصابَ منه، واحتِسابُه عند الله. وقيلَ: الصّبرُ الوُقوفُ معَ البلاءِ بحُسنِ الأدبِ(5).

فَصْلٌ

والصّبرُ علَى ثلاثة أنواعٍ: صَبرٌ بالله، وصَبرٌ لله، وصَبرٌ معَ الله.

فالأوّلُ: الاستِعانة به، وأنّه هو المُصبِّرُ، وأنّ صَبرَ العبدِ بربِّه لا بنفسِه؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: 127]، معناه: إن لم يصبِّركَ الله لم تَصبِر.

والثّاني: أن يكونَ الباعِثُ لكَ علَى الصّبرِ محبّةَ الله، وإرادةَ وجهِه، والتّقرُّبَ إليه، لا إظهار قوّة النّفس وغير ذلك مِنَ الأغراضِ.

---

(1) ذكره عنه: القشيري في رسالته (ص:325).

(2) ذكره عنه: القشيري في رسالته (ص:325).

(3) البيت بلا نسبة في: الدر الفريد؛ للمستعصمي، تحقيق/ كامل سلمان الجبوري، طبعة دار الكتب العليمة، (ج4/ 111). مدراج السالكين؛ لابن القيم (ج2/ 158).

(4) رواه: 1 - ابن المبارك في كتاب الزهد، (ص:458)، رقم (111). 2 - ابن أبي الدنيا في الصبر والثواب عليه، (ص:85)، رقم: (113)؛ من طريق ابن المبارك. 3 - ابن أبي حاتم في تفسيره (ج1/ 102)، رقم (485)؛ من طريق ابن المبارك.

(5) نسبه لابن عطاء: القشيري في الرسالة (ص:325). الإمام النووي في شرح مسلم (ج 3/ 102).

والثّالث: دَوَران العبدِ معَ مُرادِ الله تعالى الدّيني منه، ومعَ أحكامه الدّينيّة صابرًا نفسَه معَها، سائرًا بسَيرِها، مُقيمًا بإقامَتِها، يتَوَجّه معَها حيثُ توجّهَت ركائبُها، ويَنزِلُ معَها أينَ استوَت مضارِبُها. فهذا معنَى كونِه صابرًا معَ الله عَزَّوَجَلَّ؛ أي: قد جعَلَ نفسَه وقفًا علَى أوامِرِه ومَحابِّه، وهو أشدُّ أنواعِ الصّبرِ وأصعَبُها، وهو صَبرُ الصِّدّيقينَ.

قال الجُنَيدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: المسيرُ مِنَ الدُّنيا إلى الآخِرة سَهلٌ هَيِّنٌ على المُؤمِنِ. وهِجرانُ الخلقِ في جَنبِ الله تعالى شَديدٌ، والمسيرُ مِنَ النّفسِ إلى الله صَعبٌ شَديدٌ. والصّبرُ [164/ ب] معَ الله أشَدُّ(1).

وقال العلّامة ابنُ القيِّم: قيلَ: مراتِبُ الصّبر خَمسة: صابِرٌ، ومُصطَبِرٌ، ومُتَصَبِّرٌ، وصَبورٌ، وصَبّارٌ. فالصّابِرُ: أعَمُّها. والمُصطَبِرُ: المُكتَسِبُ الصّبرَ المليءُ به. والمُتصَبِّرُ: المُتَكلِّفُ الصّبرَ حامِلٌ نَفسَه علَيه. والصّبورُ: العظيمُ الصّبرِ الّذي صَبرُه أشَدُّ من صَبرِ غيره. والصّبّارُ: الشّديدُ الصّبر. فهَذا في القدرِ والكَمِّ. والّذي قبله في الوصفِ والكيفِ(2). انتهى.

وقَفَ رَجُلٌ علَى الشِّبليِّ، فقال: أيُّ صَبرٍ أشَدُّ على الصّابرينَ؟ فقال: الصّبرُ في الله. فقال السّائِلُ: لا. فقال: الصّبرُ لله. فقال السّائِلُ: لا. فقال: الصّبرُ مع الله. فقال السّائِلُ: لا. قال: فَأيُّ شَيءٍ هو؟! قال: الصّبرُ عَنِ الله. فصَرَخَ الشِّبليُّ صَرخة كادَت روحُه تَنفلَت(3).

وقيلَ(4): الصّبرُ أن لا تُفَرِّقَ بَينَ حالِ النِّعمة وحالِ المِحنة، مَعَ سُكونِ الخاطِرِ فيهِما. والتّصَبُّرُ: هو السُّكونُ مع البلاءِ مع وِجدانِ أثقالِ المِحنة.

(1) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم (ج2/ 157).

(2) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم (ج2/ 158).

(3) ذكره عنه: القشيري في رسالته (ص:326).

(4) عزاه إلى الجريري ابنُ القيم في مدارج السالكين (ج2/ 159).

وقال أبو عليٍّ الدّقّاقُ: فازَ الصّابرونَ بعزِّ الدّارَينِ؛ لأنّهم نالوا معَ اللهِ مَعيَّتَه، فإنّ اللهَ مع الصّابرينَ[1]. وقيلَ: في قولِه تعالى: ﴿ٱصۡبِرُواْ﴾ في اللهِ ﴿وَصَابِرُواْ﴾ باللهِ ﴿وَرَابِطُواْ﴾ معَ اللهِ ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ في دارِ البقاءِ[2].

فالصّبرُ معَ نفسِك، والمُصابَرةُ بينَكَ وبينَ عدوِّكَ. والمُرابطةُ: الثّباتُ. وقيلَ: اصبِروا بنُفوسِكُم علَى طاعةِ اللهِ. وصابِروا بقُلوبِكُم علَى البلوَى في اللهِ. ورابِطوا بأسرارِكُم علَى الشّوقِ إلى اللهِ عَزَّوَجَلَّ. وقيلَ: الصّبرُ للهِ غِناءٌ، وباللهِ بقاءٌ، وفي اللهِ بلاءٌ، ومعَ اللهِ وفاءٌ، وعنِ اللهِ جَفاءٌ[3] [164/ أ].

فَصْلٌ

العبدُ، بَل كلُّ أحدٍ لا يَستَغني عنِ الصّبرِ في كُلِّ حالٍ، وفي كُلِّ وقتٍ. فإنّ المُؤمِنَ المُكلَّفَ -ما دامَ في دارِ التّكليفِ، والأقلامُ جاريةٌ عليه- لا يَستَغني عنِ الصّبرِ في حالةٍ مِنَ الأحوالِ. فإنّه بينَ أمرٍ يَجِبُ عليه امتِثالُه، والصّبرُ لا بُدَّ له منه قولًا وفِعلًا، وبَينَ نَهيٍ يَجِبُ عليه اجتِنابُه وتَركُه، والصّبرُ لا بُدَّ له منه، وبينَ قَضاءٍ وقدرٍ يَجِبُ عليه الصّبرُ فيهِما، وبَينَ نِعمةٍ يَجِبُ علَيه شُكرُ المُنعِمِ علَيها، والصّبرُ لازِمٌ له علَيها، وإذا كانت هذه الأحوالُ لا تُفارِقُه؛ فالصّبرُ لازِمٌ له إلى المماتِ.

فإن قيلَ: النِّعَمُ يَجِبُ الصّبرُ عليها؟ قيلَ: نعَم؛ لأنّها مِنَ الابتِلاءِ؛ كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ﴾ ... الآية [الفجر: 15-16].

---

(1) ذكره عنه: القشيري في رسالته (ص: 327). ابن القيم في مدارج السالكين (ج2/ 159).

(2) انظر: القشيري في رسالته، (ص: 324). الغزالي في إحياء علوم الدين، (ج4/ 80). ابن القيم في مدارج السالكين، (ج2/ 159).

(3) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم، (ج2/ 159).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: 31]، فالله تعالى يبتَلي عبادَه بالنِّعَم، كما يبتَليهم بالفقرِ، فيَنظُرُ مَن هو المُجاهدُ الشّاكرُ الصّابرُ علَى ما ابتَلاه الله به، كما يبتَليهم بالأمراضِ والأسقامِ والمصائبِ؛ تطهيرًا لهم مِنَ الذُّنوبِ والآثامِ.

ويحتاجُ العبدُ إلى الصّبرِ في ثلاثةِ أحوالٍ[1]:

أحدها: قبلَ الشُّروع في العِباداتِ بتَصحيحِ النّيّة والإخلاصِ وعقدِ العزم علَى توفيةِ المأمور به، وتجنُّبِ دَواعي الرّياءِ والسُّمعةِ ونحوِ ذلك ممّا ذمَّه الشّرعُ أو نَهى عنه.

والحالة الثّانية: الصّبرُ حالَ العمَلِ[2]، فيُلازِمُ الصّبرَ عندَ دَواعي التّقصيرِ فيه والتّفريطِ معَ ملازمةِ استِصحابِ ذكرِ النّيّة وحضورِ القلبِ بينَ يدَي [165/ ب] المعبودِ في صَلاته، وهوَ مُحتاجٌ إلى الصّبرِ في توفيةِ أركانِها وشُروطِها وواجباتِها وسُنَنِها ونحوِ ذلك.

الحالة الثّالثة: الصّبرُ بعدَ الفراغ مِنَ العملِ فيَحذرُ مِنَ الإتيانِ بما يُبطِلُه، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: 264]. فالصّبرُ علَى محافظَتِها بعدَ الفراغ من أنفَعِ ما للعبدِ.

قال العلّامةُ ابنُ القيّم: وكلُّ ما يلقَى العبدُ في هذه الدّارِ لا يخلو من نوعَينِ:

أحدُهما: يوافِق هواه ومُرادَه.

---

(1) راجع: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن القيم، تحقيق/ أبوأسامة سليم بن عيد الهلالي، طبعة دار ابن الجوزي، (ص:105).

(2) في صلب الأصل: العلم. والمثبت من حاشية الأصل بخط مغاير؛ حيث قال: صوابه: العمل.

والثّاني: يخالِفُه، وهو مُحتاجٌ إلى الصّبرِ في كُلٍّ منهما.

أمّا النّوعُ الموافِقُ لِغرضه: فكالصِّحّة، والسّلامةِ، والجاه، والمالِ، والملاذِ المُباحةِ؛ وهو أحوَجُ شيءٍ إلى الصّبر فيها من وجوهٍ:

أحدُها: أن لا يركنَ إليها ويَغتَرَّ بها، ولا يحمِله عليه البطَرُ والأشَرُ والفرحُ المذمومُ الّذي لا يحبُّ الله أهلَه.

الثّاني: أن لا ينهَمِكَ في نيلِها، ولا يُبالغ في استِقصائِها، فإنّها تنقَلِبُ إلى أضدادِها، فمَن بالغ في الأكلِ، والشُّربِ، والجماعِ، انقَلَب ذلك إلى ضِدِّه، وحُرِم الأكلَ والشُّربَ والجماعَ.

الثّالث: أن يصبرَ علَى أداءِ حَقِّ الله فيها، لا يُضيِّعُه فيُسلَبَها.

الرّابع: أن يصبرَ عن صرفِها في الحرام، فلا يمكِّن نفسَه من كلِّ ما تُريدُه منها؛ فتُوقِعُه في الحرام، فإذا احترَزَ أوقَعَته في المكروه، ولا يصبرُ علَى السّراءِ إلّا الصِّدّيقونَ [165/أ].

قال بعضُ السّلَف: البلاءُ يصبِرُ عليه المُؤمنُ والكافِرُ، ولا يصبِرُ علَى العافيةِ إلّا صِدّيقٌ.

وقال عبد الرّحمنِ بنُ عوفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ابتُلينا بالضّرّاءِ فَصبَرنا، وابتُلينا بالسّرّاءِ فلم نَصبر. وإنّما كان الصّبرُ علَى السّرّاءِ شَديدَ مشَقٍّ علَى النّفس؛ لأنّه مقرونٌ بالقُدرةِ علَى ما تشتَهيه النّفسُ، وتَميلُ إليه؛ لأنّ الجائعَ عندَ عدَمِ الطّعامِ أقدَرُ منه علَى الصّبرِ عندَ حضورِه، وكذلك الشّبِقُ عندَ غيرِ[1] المرأةِ أصبَرُ منه عندَ حُضورِها، وكذلك العطشانُ الشّديدُ العطشِ عندَ عدَمِ الماءِ أصبَرُ منه عندَ وجودِه.

(1) كذا في الأصل، وتسلية أهل المصائب؛ للمصنف. وفي عدة الصابرين؛ لابن القيم (ص: 65): غَيبة.

وأمّـا النّـوعُ الثّاني: فأمّـا الطّاعـة فيَحتـاجُ إلى الصّبـر علَيهـا؛ لأنّ النّفس بطَبعِهـا تنفِرُ عـن كثيرٍ مِنَ العِبـاداتِ، إلّا مَـن وفّقَـه اللـه تعالـى.

فالصّلاةُ: طبعُ النّفسِ فيهـا الكسلُ وإيثارُ الرّاحـةِ؛ خُصوصًـا مـا هـو مـن شُروطِها؛ كالوضوء علَى المكارِه في البردِ الشّديدِ، ونحوِ ذلكِ.

وأمّا الزكاةُ: فطَبعُ النّفسِ فيها الشُّحُّ والبُخلُ.

وأمّا الصّومُ: فطَبعُ النّفسِ محبّة الفِطرِ، وبغضُ الجوعِ.

وأمّـا الحجِّ والجِهـادُ: فكلٌّ منهمـا يحتاجُ إلى المالِ، والنّفسُ -مـعَ مَشـاقَّ كثيـرة- قـد يكـونُ منهـا المـوتُ. والنّفسُ لا تَسـمحُ لا بهـذا ولا بهـذا، مـعَ محبّة الرّاحة والحياةِ[1]. وعلَى هذا فقِس.

فالعبدُ مُحتاجٌ إلى الصّبر والتّوفيقِ في جميع ذلك. وقـد روَى البُخاريُّ فـي كتـابِ «الأدَبِ»[2]: عـن موسَـى بـنِ إسـماعيلَ، حَدَّثَـنا سـوَيدٌ، حَدَّثَـنا

---

(1) انتهى كلام ابن القيم من عدة الصابرين، (ص:102-104).

(2) لم أقـف عليـه في الأدب المفـرد، ورواه: 1 - البخـاري في التاريـخ الكبيـر (ج5/ 25)؛ مـن طريـق: العـلاء العطّـار، قـال: حدثنـا سـويد، بـه.

2 - البيهقـي في شـعب الإيـمان، (ج12/ 191)، رقـم (9262)؛ مـن طريـق: أبـو الحسـين بن بـشران، قـال: أخبرنـا أبومحمـد عبد الله بـن محمد بـن إسـحاق الفاكهـي، حدثنـا أبـو يحيى بـن أبي مـسرة، حدثنـا يوسـف بن كامـل، حدثنـا سـويد أبـو حاتـم... بـه.

وقـال: ورواه أيضـا: أبـو بـدر الحلبي، عـن عبد الله بـن عبيد بـن عمير، عـن أبيه، عـن النبي ﷺ؛ مرسـلًا.

3 - وورواه: أبـو يعـلى الموصـلي في مسـنده، (ج3/ 380)، رقـم (87-1854)؛ مـن طريـق: عبيد بـن جنـاد الحلبـي، قـال: حدثنـا يوسـف بن محمد بـن المنكـدر، عـن أبيـه، عـن جابر بـن عبـدالله، قـال: سـئل رسـول الله ﷺ، عـن الإيـمان، قـال: «الصـبر والسـماحة».

۞ قـال العراقـي في المغنـي عـن حمـل الأسـفار، (ج2/ 900): «...فيـه يوسـف بن محمد بـن المنكدر: ضعفه الجمهور...». =

عبد الله بنُ عُبَيدِ بنِ عُمَيرٍ، عن أبيه، عن جَدِّه، قال: سُئِلَ رسول الله ﷺ عَنِ الإيمانِ؟ فقال: «**الصّبرُ والسّماحة**».

وحكَى ابنُ بطّالٍ في «شرحِ البُخاري»(1): عنِ الحسنِ في تفسيرِ هذا الحديثِ: «الصّبرُ والسّماحة» قال: السّماحة: بفرائِضِ الله، والصّبر عن محارِمِ اللهِ(2).

قال بعضُ أصحابِنا: وهذا من أجمَعِ الكلامِ وأعظمِه بُرهانًا وأوعبه لِمقاماتِ الإيمانِ من أوّلِها إلى آخرِها، فإنّ النّفسَ يُراد منها شيئانِ: بذلُ ما أُمِرَت به وإعطاؤُه، فالحامِلُ عليه: السّماحةُ. وتركُ ما نُهيَت عنه والبُعدُ عنه. والحامِلُ عليه: الصّبرُ(3). والله أعلَمُ [166/ ب].

= ۞ وسويد أبوحاتم: هو سويد بن إبراهيم الجحدري، أبو حاتم الحناط البصري. روى عن: حجاج بن أرطأة، وعبدالله بن عبيد بن عمير، وقتادة بن دعامة، وغيرهم. روى عنه: العلاء بن عبدالجبار العطار، ومحمد بن الحسن بن أبان، ويوسف بن كابل بن العطار البصري، وغيرهم. قال أبو داود: سمعت يحيى بن معين يضعفه. وضعفه النسائي. توفي سنة (267هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج12/ 242-244).

۞ قال مهنا: سألت أحمد ويحيى عن حديثه هذا، فقال:...ولا يعرف عبيد بن عمير يحدث عن أبيه شيئا، ولا عن جده....

انظر: شرح سنن ابن ماجة، للحافظ علاء الدين مغلطاي، تحقيق/ كامل عويضة، طبعة مكتبة نزار مصطفى الباز، (ج5/ 1459).

(1) انظر: شرح صحيح البخاري؛ لابن بطّال (ج10/ 182).

(2) رواه: أبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (ج3/ 535)، برقم: (1155)؛ من طريق: محمد بن يونس، عن الأصمعي، عن أبي الأشهب، عن الحسن البصري.

۞ البيهقي في شعب الإيمان برقم: (9259)؛ من طريق: محمد بن إبراهيم، عن محمد بن عمرو الجشي، عن عبد الله بن الجراح، عن عمران بن خالد الخزاعي، عن عمران القصير، عن الحسن.

(3) ذكره: ابن القيم في مدراج السالكين، (ج2/ 160).

فَصْلٌ

والصّبرُ من أشَقِّ الأشياءِ علَى النُّفوس

وهذا ينقَسِمُ فيه الصّبرُ إلى قِسمَينِ:

أحدهما: بحسَبِ قوّة الدّاعي إلى الفِعلِ.

والثّاني: بسُهولته علَى العبدِ.

فإذا اجتمع في الفِعل هذا الأمرانِ؛ كان الصّبرُ عنه أشَقَّ، وإن فُقدا مَعًا -يعني: قوّة الدّاعي، وسُهولتَه-: سهُلَ الصّبرُ عنه. وإن وُجِدَ أحدُهما وفُقِدَ الآخَرُ: سهُلَ الصّبرُ من وجهٍ دون وجهٍ. فمَن لا داعي له إلى قتلِ النّفسِ، والسّرقةِ، وشُربِ المُسكرِ، وأكلِ الحشيشةِ، والزّنا، وأنواعِ الفواحشِ، ولا هو سهلٌ علَيه، فصَبرُه عنه من أيسَرِ شيءٍ وأسهله.

ومَنِ اشتَدَّ داعيه إلى ذلك وسهُلَ علَيه فعلُه؛ فصَبرُه عنه أشَقُّ شيءٍ عليه، ولهذا كان صبرُ السُّلطانِ عَنِ الظُّلم، وصبرُ الشّبابِ عَنِ الفواحَشِ[1]، وصبرُ الغنيِّ عن تناوُلِ اللّذّاتِ والشّهواتِ، منزِلتُهم عندَ الله منزِلةٌ عاليةٌ عظيمةٌ منيعة، لا يصِلُ إليها إلّا مَن صبَرَ مثلَ صبرِهم[2].

وكذلك مَن صبَرَ علَى موتِ أولادِه وأصحابه ونحوِ ذلك، وهو معَ ذلك صابرٌ مُحتسِبٌ، يأمُرُ بالصّبر معَ تلَبُّسِه به، فله مِنَ الثّوابِ الجزيلِ والأجرِ العظيمِ ما لا يعلمُه إلّا الله تعالى.

---

(1) كتب على المخطوطة هامش بخط مغاير: لعله: حش.

(2) انظر: عدة الصابرين؛ لابن القيم، تحقيق/ سليم بن عيد الهلالي، طبعة دار ابن الجوزي، الباب الرابع عشر في بيان أشق الصبر على النفوس، (ص:110).

فالعبدُ إذا ذاقَ لـذّة المعصيـةِ، ثُـمَّ تـابَ وصبَرَ عنهـا؛ كان أجـرُه أعظَـمَ ممَّـن صبَـرَ عنهـا ولـم يـذُق لذَّتَهـا، بـل قـد لا يخطُـرُ ببالِـه فعلُهـا [166 / أ].

ولقـد بلَغَني عمَّـن أعرِفُـه أنّـه تـابَ عن شُربِ الخمرِ، بل حلَـفَ بالطّلاقِ أنّـه لا[1] يشربُه، ثُـمَّ إنّـه خالَـع وشَـربَ. ولقـد حلَـفَ جماعـةٌ بالطّـلاقِ فـي مجالِـسَ مُتفرِّقـةٍ أنّهـم لا يلعَبـونَ[2] بالشِّـطرنج وتابـوا مـن لعبـه، بـل منهـم مَـن علِـمَ أنّ أكثرَ العُلمـاءِ قالـوا بتَحريمـهِ[3]، وأنّـه يصُـدُّ عـن ذكـرِ اللـه وعَـنِ الصّـلاةِ، وأنّـه يحصُـلُ عليـه مِـنَ الأيمـانِ الحانِثـة مـا هـم عارفـونَ بـه مشـهورٌ بينَهـم، ومـعَ ذلـك نقَضـوا التّوبـة. فمنهـم مَـن خالَـع ولعِـبَ، ومنهـم مَـن لَعِـبَ ووقَـعَ عليـه الطّـلاقُ الثّـلاثُ بعـدَ التّوبـةِ والحلِـفِ.

فالصّبرُ المُستمِرُّ معَ القُـدرةِ مـن غيرِ خـوفٍ علَـى جاهِه أو مالِـه أو عرضِه صبرٌ علَـى المعاصي، مـعَ مـا ذاقَ من لـذَّة المعصيـةِ، فتَوبتُه إذن توبـة نَصوحًا صادِقـةٌ يُرجَـى فيهـا تكفيـرُ السّيِّئاتِ، ورفـعُ الدّرجـاتِ بعـدَ توبتِـه علَـى مـا أمَـره اللـه تعالـى بـه، فإنّـه يكـونُ صابـرًا أيضًـا علَـى المعاصي.

ولِهـذا وقَـعَ فـي «الصّحيـح»[4] مـن حديـثِ أبـي هريـرة أنّ النّبـيَّ ﷺ قال: **«سَبعة يُظِلُّهـم اللـه فـي ظِلِّـه يـومَ لا ظِـلَّ إلّا ظِلُّـه: إمـامٌ عـادِلٌ، وشـابٌّ نَشَـأ فـي عِبـادة اللـه، ورَجُـلٌ قَلبُـه مُعَلَّـقٌ بالمسـاجِدِ، ورَجُـلانِ تَحابّـا فـي اللـه اجتَمَعـا عليـه**

---

(1) في صلب الأصل: لم. وكتب في حاشية الأصل بخطٍّ مغاير: ظ: لا، وهو ما أثبتناه.

(2) في صلب الأصـل: لم يلعبوا. وكتـب في حاشية الأصـل بخطٍّ مغايـر: لعلـه: لا يلعبـون، وهـو مـا أثبتنـاه.

(3) قـال المرداوي في الإنصـاف، تحقيـق/ محمـد حامـد الفقـي، (ج12/ 52): «اللعـب بالشـطرنج حـرام؛ علـى الصحيـح مـن المذهـب».

(4) متفق عليه: 1 - صحيـح البخاري: تـاب الأذان، بـاب مـن جلـس في المسجد ينتظـر الصـلاة وفضـل المسـاجد، رقـم: (660). وكتـاب الـزكاة، بـاب الصدقـة باليميـن، رقـم (1423).

2 - صحيح مسلم، رقم: (91 - 1031).

وتَفرَّقا عليه، ورَجُلٌ دَعَته امرأةٌ ذاتُ مَنصِبٍ وجَمالٍ، فقال: إنّي أخافُ اللهَ رَبَّ العالَمينَ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بصَدَقة، فَأخفاها حَتّى لا تَعلَمَ شِمالُه ما أنفقت يَمينُه، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خاليًا ففاضَت [167/ ب] عَيناه».

ولِذلك استحقَّ هؤُلاءِ السّبعة أن يُظِلَّهم الله في ظِلِّه؛ لِكمالِ صبرِهم ومشَقَّتِه علَى نفوسِهم؛ لأنّ صبرَ الملِكِ علَى العدلِ معَ قُدرَته علَى الظُّلم والانتِقامِ من رَعيَّتِه، كما وقَع ذلك لِعُمرَ بنِ عبدِالعزيز في خِلافتِه: قامَ إليه رَجلٌ مِنَ الأعرابِ، فكلَّمَه بكلام جافٍ، فأغضَبَه حتَّى هَمَّ عُمرُ به، ثُمَّ أمسكَ نفسَه، وقال للرَّجُلِ: أرَدتَ أن يَستَفِزَّني الشّيطانُ بعِزّة السُّلطانِ، فأنالَ منكَ ما تَنالُه مِنّي غدًا، قُم عافاكَ الله لا حاجة لَنا في مُقاولَتِك(1).

وأمّا صبرُ الشّابِّ علَى طاعة الله، وتركِه المعصيةَ، ومُخالفةِ هوى نفسِه، وكذلك صبرُ الرّجُلِ علَى مُلازمة المسجِد، وصبرُ المُتصدِّقِ على إخفاءِ الصّدقة حتَّى عن شِمالِه، معَ قُدرته علَى الرّياءِ، وصبرُ المدعو إلى الفاحِشةِ معَ جمالِ الدّاعي، وصبرُ المُتحابَّينِ في الله في الاجتِماعِ والانفِرادِ علَى السّواءِ، لا كما يفعلُه بعضُ أهلِ زَمانِنا إذا اجتمعا كانتِ المودّة والأيمانُ العظيمة علَى المحبّة، وفي قفاه يتكَلَّمُ بما لا يليقُ، ولولا تحريمُ الغيبةِ لذكرتُ جماعةً بهذه المثابةِ(2)، وصبرُ الباكي من خشيةِ الله علَى كِتمانِ ذلك عنِ النّاسِ.

---

(1) روى هذه القصّة: الآبنوسي في مشيخته (ج1/ 209)، برقم: (112)؛ من طريق: أبو محمد عبد الله بن محمد، قال: حدثنا أبو خليفة، قال: حدثنا عبدالرحمن بن أخي الأصمعي، عن عمه الأصمعي، عن رجل من بني سليم، قال:... وابن عساكر في تاريخ دمشق (ج45/ 206)؛ من طريق الآبنوسي.

(2) في حاشية الأصل بخطٍّ مغاير: ونحن أحقُّ بالشّكاية من زمانه، وقد عمَّ البلوى واتَّسع الخرقُ على الراقع.

فهذه الأُمورُ فيها مشَقّة عظيمة علَى النُّفوسِ، فالصّبرُ عليها بتَوفيقِ الله وفضلِه وإحسانِه إلى عبدِه صبرٌ جميلٌ عظيمٌ.

ولَمّا كان الدّاعي في حقِّ بعضِ النّاسِ ضعيفًا[1] ولم يصبروا معَ تمَكُّنِهم مِنَ الصّبرِ كان عقوبتُهم عندَ الله أشَدَّ من [167/ أ] عُقوبةِ غيرِهم؛ كالشّيخِ الزّاني، والملِكِ الكذّابِ، والفقيرِ المُختالِ، وإنّما كانوا أشَدَّ عُقوبةً من غيرِهم؛ لِسهولةِ التّصَبُّرِ عن هذه المُحرَّماتِ ولِضَعفِ دَواعيها في حقِّهم، فتَركُ الصّبرِ عنها دليلُ تمرُّدِهم علَى الله عَزَّوَجَلَّ.

قال ابن بطال في «شرح البخاري»[2]: أرفَعُ الصّابرينَ منزلةً عندَ الله مَن صبَرَ علَى محارمِ الله، وصبَرَ علَى العمَلِ بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ، فمَن فعَل ذلك؛ فهو من خالِصِ عِبادِ الله وصَفوَتِه، ألا تَرَى قولَ النّبيِّ ﷺ: «**لَن تُعطَوا[3] عَطاءً خَيرًا وأوسَعَ مِنَ الصّبرِ**»[4]. انتهى ما ذكَرَه.

ولهذا كان الصّبرُ علَى معاصي اللِّسانِ والفرج من أشَدِّ أنواعِ الصّبرِ؛ لِشدّة الدّاعي إليهما وسُهولةِ المعصيةِ عليهما. فإنّ معاصي اللِّسانِ فاكِهةُ الإنسانِ؛ لِسُرعةِ حركتِه وسُهولةِ إطلاقه، وقد تقدم الكلامُ علَى آفاتِ اللِّسانِ بحسبِ الإمكانِ، فلا حاجة إلى تكراره.

---

(1) في الأصل: ضعيف. وكُتب في حاشية الأصل بخطٍّ مُغاير: صوابُه: ضعيفًا، وهو الذي أثبتناه.

(2) انظر: شرح صحيح البخاري؛ لابن بطّال (ج10/ 182).

(3) في الأصل: يعطوا، والمثبت من مصادر الحديث الآتية.

(4) رواه الإمام البخاري في صحيحه برقم: (1469) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «وَما أُعطيَ أحَدٌ عَطاءً خَيرًا وأوسَعَ مِنَ الصّبرِ».

ورواه بلفظ المصنِّفِ معمرُ بن راشد في جامعه برقم: (20014)، والشجري في ترتيب الأمالي (ج2/ 264 - 265)، برقم: (2378)، وأبو القاسم الأصبهاني -قوام السنة - في الترغيب والترهيب (ج2/ 291)، برقم: (1606).

وكذلك داعي الفرج، فإنّ القلبَ مُساعِدٌ لِهَواه، وميله بطَبعِه إلى الشّهوةِ، وكذلك الرِّجلُ تُساعِدُ بالسّعي، واليدُ بالبطشِ، والعينُ بالنّظرِ، بلِ الأعضاءُ كلُّها مائلةٌ بطبعِها إلى الشّهوةِ؛ ولهذا كان تحتَ كُلِّ شعرةٍ جنابةٌ، فبعضُ آفاتِ النُّفوس لها حَلاوةٌ في القلب معَ مُداومة عليها، ففِطامُ النّفسِ عنها من أشَقِّ الأشياءِ علَى النّفسِ.

فَصْلٌ

والشّكوَى إلى الله عَزَّوَجَلَّ لا تُنافي الصّبرَ كما سَنُبيِّنُه، وإنّما المذمومُ شكايةُ المخلوقِ إلى مخلوقٍ مثلِه، بل أبلَغُ من هذا أن يشكو خالقه إلى عَبيده، فمَثَلُ هذا كمَثَلِ مَن شكا مَن يرحمُه ويلطُفُ به ويُعافيه، وبيدِه ضُرُّه ونفعُه إلى مَن لا يرحمُه، وليسَ بيدِه ضَرٌّ ولا نفعٌ.

قال شقيقٌ البلخيُّ: مَن شكا مُصيبة [168/ ب] نزلَت به إلى غيرِ الله لم يجد في قلبه لِطاعةِ الله حلاوة أبدًا(1). وأنشَدَ بعضُهم [من الكامل]:

وَإذا عَرَتكَ بَليّةٌ فاصبِر لها صَبرَ الكريمِ فإنّه بكَ أعلَمُ
وإذا شَكَوتَ إلى ابنِ آدَمَ إنّما تَشكو الرّحيمَ إلى الّذي لا يَرحَمُ(2)

وأمّا إخبارُ الخلقِ علَى وجه الشّكوَى: فإن كان للاستِعانةِ بأن يُرشِدوه،

---

(1) رواه: البيهقي في شعب الإيمان، (ج12/ 387)، رقم: (9601)؛ من طريق: أحمد بن محمد الماليني، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن يعقوب، حدثنا عبد الله بن سهل، قال: سمعت حاتم الأصمّ، يقول: قال شقيق. وابن عساكر في تاريخ دمشق (ج23/ 144)؛ من طريق البيهقي.

(2) البيتان منسوبان للإمام زين العابدين بن الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في الآداب النافعة؛ لأبي الفضل مجد الملك (ص:95)، والدر الفريد؛ للمستعصمي (ج11/ 154)، بلفظ:

وَإذا بُليتَ بعسرة فاصبر لها صَبرَ الكريمِ فإنّ ذلك أحزَمُ
لا تَشكونّ إلى العِبادِ فإنّما تَشكو الرّحيمَ إلى الّذي لا يَرحَم

وذكره بلفظ المصنف ابنُ القيم في مدارج السالكين (ج2/ 161).

أو يُعاوِنوه، أو يوصِلوه إلى زَوالِ ضُرِّه بما ينفعُه ممّا هم أخبَرُ به منه؛ كالحاجِم والفاصِدِ، أو طبيبٍ يُرشِدُه إلى دَواءٍ يستَعمِلُه. فهذه الأُمور على هذا الوجه لم يقدَح في صبرِه؛ لأنّ هذا كإخبارِ المظلومِ لِمَن ينتَصِرُ به، وإن كان النّصرُ كلُّه من عندِ الله.

وقد ثبَتَ أنّ النّبيَّ ﷺ كان إذا دخَلَ علَى المريضِ سأله عن حالِه، ويقولُ: «كيف تَجِدُكَ؟»[1]، وهو استِخبارٌ منه عن حالِه.

وأمّا الأنينُ: فهل يقدَحُ في الصّبرِ؟ فيه: رِوايَتانِ عنِ الإمامِ أحمد[2]. قال القاضي أبو الحُسينِ[3]: أَصَحُّ الرِّوايتَينِ الكراهةُ؛ لِما رُوِيَ عن طاوُسٍ: أنّه كان يكرَه الأنينَ في المرضِ[4].

---

(1) رواه: الإمام أحمد في الزهد، (ص:24)، رقم (132). والترمذي في سننه، أبواب الجنائز عن رسول الله ﷺ، رقم (1007). وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، رقم (4261). جميعًا من طريق: سيّار بن حاتم، عن جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس بن مالك، قال: دخل النبيُّ ﷺ على شابٍّ وهو في الموت، فقال: «كيفَ تجِدُكَ»؟ قال: أرجو الله عَزَّوَجَلَّ، وأخافُ ذُنوبي، فقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعانِ في قلبِ عبد في مثل هذا الموطن، إلا أعطاه الله عَزَّوَجَلَّ ما يرجو، وآمنه مما يخاف». قال الترمذي: هذا حديث غريب، وقد روى بعضهم هذا الحديث عن ثابت عن النبي ﷺ مرسلًا.

۞ رواه مرسلًا: أبو حاتم في العلل (ج5/ 67)؛ من طريق: أبو الظفر عبد السلام بن مطهر، عن جعفر ابن سليمان، عن ثابت، عن النبي ﷺ، مرسل. ولم يذكر أنس. قال أبو حاتم: وهو أشبه. قال الدارقطني في العلل، (ج12/ 27)، رقم (2368): «يرويه جعفر بن سليمان، عن ثابت، واختلف عنه: فأسنده سيار بن حاتم، عن جعفر، عن ثابت، عن أنس. ورواه أبو الربيع الزهراني، عن جعفر، عن ثابت مرسلًا؛ وهو المحفوظ».

(2) انظر: المغني؛ لابن قدامة (ج3/ 360)، والإنصاف (ج2/ 464).

(3) هو القاضي أبو الحسين محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن الفراء الحنبلي.

(4) رواه البغوي في مسند ابن الجعد برقم (2821)، وابن أبي شيبة في مصنفه برقم: (35412)، وهناد في الزهد برقم: (396)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (ج4/ 4)، و(ج5/ 18)، وابن الجوزي في الثبات بعد الممات (ص: 144).

وقال مُجاهِدٌ: يُكتَبُ على ابنِ آدَمَ كُلُّ شَيءٍ، حَتَّى أنينُه في مَرَضِهِ[1]. أو كما قال. انتَهى.

وقال جماعةٌ مِنَ العُلماءِ: الأنينُ شَكوَى بلسانِ الحالِ فيُنافي الصَّبرَ[2].

وقال عبدالله بنُ أحمد: قال لي أبي في مَرَضِه الَّذي ماتَ: أخرِج إلَيَّ كِتابَ عبدِالله بنِ إدريسَ، فأخرَجتُ الكتابَ، فقال: أخرِج أحاديثَ ليثِ بنِ أبي سُلَيم، فقال: اقرَأ عَلَيَّ أحاديثَ ليثٍ. قال: قلتُ لِطلحةَ: إنَّ طاوُسًا كان يَكرَه الأنينَ في المرَضِ، فَما سُمِع له أنينٌ حتَّى ماتَ. فما سمِعتُ أبي [168/ أ] أنَّ في مَرَضِه ذلك إلى أن توفِّي[3].

والرِّوايةُ الثَّانيةُ: أنَّه لا يُكره الأنينُ، ولا يقدَحُ في الصَّبرِ.

قال بكرُ بنُ مُحمَّدٍ[4]: سُئِل الإمامُ أحمدُ عنِ المريضِ يشكو ما يَجِدُ مِنَ الوجَعِ؟ فقال: تعرِفُ فيه شيئًا عن رسول الله ﷺ؟ قال: نَعَم؛ حديثُ عائِشةَ: «وارَأساه»[5]، وجعَلَ يَستَحسِنُه.

---

(1) رواه: ابن أبي شيبة في مصنفه (ج2/ 443)، برقم: (10830)؛ من طريق: حفص بن غياث، عن ليث، مجاهد. وهناد في الزهد برقم: (1102)؛ من طريق: عبدة، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن أبي عبيد الله، به. وأبو نعيم في الحلية (ج4/ 4)؛ من طريق: عبد الرحمن بن يحيى البصري، عن ابن عثمان، عن معتمر، عن ليث، به.

(2) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى، (ج10/ 667): «وذلك أن المشتكي طالب بلسان الحال؛ إما إزالة ما يضره، أو حصول ما ينفعه، والعبد مأمور أن يسأل ربه دون خلقه».

(3) رواه: أبو نعيم في حلية الأولياء (ج9/ 183) عن عبد الله بن أحمد، به. ورواه ابن الجوزي في الثبات عند الممات (ص: 159 - 160) عن صالح بن أحمد، به، إلا أنه قال: فلم يئن إلا في الليلة الَّتي توفِّي فيها.

(4) انظر: التمام، لابن الفراء، (ج1/ 256).

(5) رواه: الإمام البخاري في صحيحه: - كتاب المرضى، باب قول المريض: إني وجع، أو وارأساه، أو اشتد بي الوجع، رقم: (5666). - كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، رقم (7217).

وقال المرّوذيُّ(1): دخلتُ علَى أبي عبدِالله أحمد وهو مريضٌ، فسألتُه فتغرغرَت عينُه، وجعَل يُخبِرُني ما مَرَّ به في ليلَتِه مِنَ العِلّة.

وقسَّمَ العلّامة ابنُ القيِّم(2): الأنينُ إلى قِسمينِ: فقال: اعلَم أنّ الأنينَ علَى قسمَينِ: أنينُ شكوَى: فيُكره. وأنينُ استراحةٍ وتفريجٍ: فلا يُكره. انتهى. وقد تقدمَ أنّ الشّكوَى لا تُنافي الصّبرَ؛ لأنّ يعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وعَدَ بالصّبرِ الجميلِ، والنّبيُّ إذا وعَد لا يُخلفُ. ثُمَّ قال: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: 86]، وكذلك أيّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أخبرَنا الله تعالى أنّه قال عنه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص: 44] معَ قولِه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء: 83].

فَصْلٌ

وأمّا الحُزنُ: فمنه محمودٌ، ومذمومٌ. وقد ورَدَ في لفظِ الحُزنِ عِدّة آياتٍ في القرآنِ كقولِه: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 139]، وقولِه: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ﴾ [يونس: 65]، وقولِه: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [النمل: 70]، وقولِه في حَقِّ نَبيِّه مُحمَّدٍ ﷺ وأبي بكرٍ [169/ب]: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾ [التوبة: 40] ونحوِ ذلك مِنَ الآياتِ.

ولم يرِد في القرآنِ أنّ اللهَ تعالى أمَرَ بالحُزنِ، ولم يَرِد في السُّنّة أيضًا. وما ذاك إلّا لأنّ الحُزنَ لا يجلِبُ منفعةً، ولا يدفَعُ مضرّةً، فلا فائدةَ فيه، وما لا فائدةَ فيه لا يأمُرُ الله به ورَسولُه، لكن لا يأثَمُ به صاحِبُه إذا

(1) انظر: التّمام، لابن الفراء، (ج1/ 256).

(2) انظر: عدة الصابرين، لابن القيم، الباب الخامس والعشرون في بيان الأمور المضادة للصبر والمنافية له والقادحة فيه، (ص: 415).

لم يَقترن به مُحرَّمٌ. ومَن يقولُ: الحُزنُ ممدوحٌ؛ لأنّ اللهَ تعالى ذَمَّ ضِدَّه؛ وهو الفرَحُ، يُقال: الفرَحُ مذمومٌ وممدوحٌ أيضًا، قال تعالى: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: 76]، فهذا ذمٌّ. وقال تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: 170] فهذا مدحٌ. ولأنّ في حديثِ هندِ بنِ أبي هالةَ[1] -وكان وصّافًا- عن حِليةِ[2] رسول الله ﷺ، وفيه حديثُه: وكان رسول الله ﷺ مُتواصِلَ الأحزانِ، دائِمَ الفِكرة، ليست له راحة، طَويلُ السُّكوتِ... الحديثَ[3].

ولأنّ النّبيَّ ﷺ قال: «إنّ اللهَ لا يُؤاخِذُ بدَمعِ العينِ، ولا بحُزنِ القلبِ،

(1) هند بن أبي هالة التميمي ربيب النّبيّ، أمّه خديجة زوج النبيّ. روى عن النبي. روى عنه الحسن بن عليّ صفة النبي، كان فصيحا بليغا وصف النبيّ فأحسن وأتقن. قتل مع علي يوم الجمل. انظر: الإصابة لابن حجر (ج6/ 293-294).

(2) هذه حلية الشيء أي صفته، انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (ج2/ 95).

(3) رواه: الآجري في الشريعة، (ج3/ 1508)، رقم (1022)؛ من طريق: يحيى بن محمد بن صاعد، قال: حدثنا سفيان بن وكيع بن الجراح، قال: حدثنا جميع بن عمر بن عبدالرحمن العجلي -أملاه علينا من كتابه- قال: حدثني رجل من بني تميم من ولد أبي حالة زوج أخت خديجة، يكنى أبا عبدالله، عن ابن لأبي هالة، عن الحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: سألت خالي هند بن أبي هالة... -الحديث بطولة- وفيه: قال: قلت: صِف لي منطقه. قال:...

۞ أبو نعيم في دلائل النبوة، (ص:627)، رقم (565)؛ من طريق: سليمان بن أحمد، قال: ثنا علي بن عبدالعزيز، قال: ثنا مالك بن إسماعيل النهدي، وثنا أبو بكر الطلحي، قال: ثنا إسماعيل بن محمد المزني، قال: ثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل، قال: ثنا جميع العجلي... به.

۞ البيهقي في شعب الإيمان، (ج3/ 24)، رقم (1362)؛ من طريق: أحمد بن محمد بن عمرو الأحمسي، قال: حدثنا الحسين بن حميد بن الربيع اللخمي، حدثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل النهدي... به.

ولكِن يُؤاخِذُ بهذا -وأشارَ بيدِه إلى لِسانِه- أو يرحَمُ»(1). وقول النّبيِّ ﷺ: «تَدمَعُ العينُ، ويَحزَنُ القلبُ، ولا نَقولُ إلّا ما يُرضي الرّبَّ»(2). وقال: «إنّ العينَ لَتَدمَعُ، وإنّ القلبَ لَيحزَنُ»(3).

وقال صاحِبُ «العِلَلِ الّتي تَدخلُ المقاماتِ»(4): وأمّا الحُزنُ: فهو الانخِلاعُ عنِ البطَرِ واللّذّاتِ، ومُلازَمةِ الكآبةِ، وهو للعوامِّ، فإنّه نسيانُ المِنّةِ والبقاءِ في رقِّ الطّمعِ، وهو في طريقِ الخاصِّ حِجابٌ؛ لأنّ معرفةَ الله عَزَّوَجَلَّ جَلا نورُها كلَّ ظُلمةٍ، وكشَفَ سُرورُها كُلَّ غُمّةٍ، قال تعالى: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: 58]. وقال في موضِعٍ آخرَ(5): وخوفُهم هيبةُ الجلالِ، لا خوفُ العذابِ، فإنّ خَوفَه مُفاضلةٌ عنِ النّفسِ وضَنّ بها، وهيبةُ الجلالِ تعظيمُ الحقِّ ونِسيانُ [169/ أ] النّفسِ، قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: 50]. انتهى. [وقال همّامٌ: في قولِه: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: 84]، قال قتادة(6): كَظيمٌ على الحُزنِ، فلم يَقُل إلّا خيرًا. وقال الحسَنُ(7): الكظيمُ: الصّبورُ.

(1) متفق عليه: 1 - البخاري في صحيحه: - كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض، رقم: (1304)؛ بلفظ: «إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا -وأشار إلى لسانه- أو يرحم». 2 - مسلم في صحيحه، رقم: (12 - 924)؛ بلفظ البخاري.

(2) رواه مسلم، برقم: (62 - 2315).

(3) رواه: البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «إنا بك لمحزونون»، رقم (1303).

(4) انظر: العلل التي تدخل على المقامات، (ص:320).

(5) انظر: العلل التي تدخل على المقامات، (ص:327).

(6) رواه: عبدالرزاق في تفسيره، تحقيق/ مصطفى مسلم محمد، طبعة مكتبة الرشد، (ج1/ 327). والطبري في تفسيره (ج13/ 297). جميعا من طريق: معمر، عن قتادة.

(7) رواه: ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر والثواب عليه، (ص:86)، رقم: (117)؛ من طريق: محمد بن عباد بن موسى، قال: حدثني محمد بن عبدالملك الواسطي، عن يحيى بن المختار، عن الحسن، قال:....

قال عبد الله بنُ أحمدَ[1]: حَدَّثَنا عَليُّ بنُ مسلِمٍ[2]، حَدَّثَنا سَيّارٌ[3]، حَدَّثَنا جَعفَرٌ[4]، حَدَّثَنا إبراهيمُ بنُ عيسَى[5]، قال: مَا رَأيتُ أطولَ حُزنًا مِنَ الحسَنِ، وما رَأيتُه إلّا حَسِبتُه حَديثَ عَهدٍ بمُصيبة.

وقال مالِكُ بنُ دينارٍ[6]: القلبُ إذا لم يَكُن فيه حُزنٌ خَرِبَ، كما أنّ البيتَ

---

(1) رواه: عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده عليى كتاب الزهد للإمام أحمد، (ص:209)، رقم (1449) بهذا الإسناد. وأبو نعيم في حلية الأولياء (ج2/ 133)؛ من طريق: عبد الله بن الإمام أحمد.

(2) هو علي بن مسلم بن سعيد الطوسي، أبو الحسن، نزيل بغداد. روى عن: سيار بن حاتم، وعبدالله بن المبارك، وعبدالصمد بن عبدالوارث، وغيرهم. روى عنه: البخاري، وأبو داود، وعبدالله بن أحمد بن حنبل، وغيرهم. قال النسائي: «ليس به بأس». توفي سنة (253هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج21/ 132-134).

(3) هو سيار بن حاتم العنزي، أبو سلمة البصري. روى عن: جعفر بن سليمان الضبعي، وسهل بن أسلم العدوي، وعبدالواحد بن زياد، وغيرهم. روى عنه: أحمد بن حنبل، وعبدالله بن الحكم بن أبي زياد، وعلي بن مسلم الطوسي، وغيرهم. قال القواريري: «لم يكن له عقل...». قال ابن حبان في كتاب «الثقات»: «كان جماعًا للرقائق». توفي سنة (200هـ أو 199هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج12/ 307-308).

(4) هو جعفر بن سليمان الضبعي، أبو سليمان البصري. روى عن: إبراهيم بن عيسى اليشكري، وثابت البناني، والجعد أبي عثمان اليشكري، وغيرهم. روى عنه: زيد بن الحباب، وقتيبة بن سعيد، ومسدد بن مسرهد، وغيرهم. قال أحمد بن حنبل: «لا بأس به». توفي سنة (178هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج5/ 43-49).

(5) هو إبراهيم بن عيسى اليشكري. روى عن الحسن. روى عنه جعفر بن سليمان. قال عبدالرحمن بن أبي حاتم: سألت أبي عنه، فقال: هو شيخ بصري متعبد، محله الصدق. انظر: الجرح والتعديل، (ج2/ 117)، رقم (352).

(6) رواه: عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على كتاب الزهد (ص:259)، رقم: (1870). وأبو بكر الدينوري في المجالسة، (ج6/ 297)، رقم (2658). وكلاهما من طريق: سيار، عن جعفر، قال: سمعت مالكًا... فذكره. وابن أبي الدنيا في كتاب الهم والحزن، (ص:32)، رقم: (8)؛ من طريق: عبيدالله بن عمر بن ميسرة، ونعيم بن هيصم، وغيرهما، قالوا: ثنا جعفر بن سليمان...به. والخرائطي في اعتلال القلوب، (ص:18)، رقم: (8)؛ من طريق: محمد بن جابر، قال: حدثنا عبيدالله بن عمر، قال: حدثنا جعفر بن سليمان...به.

إذا لم يُسكَن خَرِبَ. والمقصود: أنّ الحُزنَ إذا اقترنَ به ما يُحمَدُ صاحِبُه عليه؛ يَكونُ مَحمودًا، وإذا اقترنَ ما يُذَمُّ صاحِبُه عليه يَكونُ مَذمومًا.

قال عُبَيدُ بنُ عُمَيرٍ[1]: ليس الجزَعُ أن تَدمع العينُ، ويَحزَنَ القلبُ، ولَكِنِ الجزَعُ القولُ السّيئُ، والظّنُّ السّيئُ[2].

فيَنبَغي للعبد أن يصبِرَ على محَنِ هذه الدّارِ، فوالله لولا مِحَنُ الدُّنيا ومَصائِبُها لأصابَ العبدَ من أدواءِ الكِبرِ، والعُجبِ، والفرعَنة، وقَسوة القلبِ ما هو سبَبُ هلاكِه عاجِلًا وآجِلًا[3].

فمن رَحمة أرحَم الرّاحِمينَ أن يتَفَقده في بعضِ الأحيانِ بأنواع من أدوية المصائِب، والمِحَنِ تكونُ حميةً له من هذه الأدواءِ؛ وحفظًا لِصحّة عُبوديّته؛ واستِفراغًا للمَوادِ الفاسِدةِ الرّديّة المُهلِكةِ، فسُبحانَ مَن يرحَمُ ببَلائه، ويَبتَلي بنَعمائه؛ كما قيلَ [من البسيط]:

قد يُنعِمُ الله بالبلوَى وإن عَظُمَت ... ويَبتَلي الله بعض القومِ بالنِّعَمِ[4]

فلولا أنّه سُبحانه يُداوي عِبادَه بأدويةِ المِحَنِ والابتِلاءِ لَطَغوا وبَغَوا

---

(1) هو عبيد بن عمير بن قتادة بن سعد الليثي، أبو عاصم المكي، قاص أهل مكة. قال مسلم بن الحجاج: «ولد في زمان النبي ﷺ». روى عن: عبد الله بن عباس، وعمر بن الخطاب، وعائشة، وغيرهم رضي الله عنهم. روى عنه: عبد الله بن أبي مليكة، وعطاء بن أبي رباح، ويوسف بن ماهك، وغيرهم. قال يحيى بن معين، وأبو زرعة: «ثقة»، روى له الجماعة. توفي قبل ابن عمر رضي الله عنهما. انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج19/ 223-225).

(2) ذكره عنه: ابن القيم في عدة الصابرين، الباب السابع عشر في الآثار الواردة عن الصحابة ومن بعدهم في فضيلة الصبر، (ص:162).

(3) في حاشية الأصل بخطٍّ مغاير: قف على فضيلة المحن، ولا تجزع فإنها منن.

(4) البيت بلا نسبة في: العقد الفريد (ج3/ 162). التمثيل والمحاضرة؛ لأبي منصور الثعالبي (ص: 10). ولأبي تمام في: الصناعتين؛ لأبي هلال العسكري (ص: 227). ولحبيب بن أوس في: الحماسة المغربية (ج2/ 1245).

وعَتَوا وتَجَبَّروا في الأرضِ، وعاثَوا فيها بالفسادِ، فإنّ من شيَم النُّفوسِ إذا حصَل لها أمرٌ ونَهيٌ وصِحّة وفَراغٌ وكلِمةٌ نافذة من غيرِ زاجرٍ شَرعيٍّ يزجرُها تَمرَّدَت وسَعَت في الأرض فسادًا. قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: 6-7]، فإذا أرادَ الله بعبده خَيرًا سَقاه دَواءً مِنَ الابتِلاءِ والامتِحانِ، فاستَفرَغَ منه ما كان يهلك به، حتّى إذا هذَّبه ونَقّاه وصَفّاه؛ أهّلَه لِأشرَفِ مراتِبِ الدُّنيا، وهي عُبوديَّتُه، وأرفَعِ ثَوابِ الآخِرة، وهو رُؤيتُه [170/ ب].

الباب الثالث عشر

في الرِّضا

وقد أطنَبَ العُلَماءُ، والمشايخُ مِنَ السّلَفِ والخلَفِ في الرِّضا، وبسَطوا القولَ فيه، وهذا يدُلُّ علَى عُلوِّ منزلَتِه.

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ: وقد تنازَعَ العُلماءُ والمشايخُ من أصحابِ أحمدَ وغيرِهم في الرِّضا بالقضاءِ: هل هو واجِبٌ أو مُستحَبٌّ؟ علَى قولَينِ: فعلى الأوّلِ: يكونُ من أعمالِ المُقتصدينَ، وعلَى الثّاني: يكونُ من أعمالِ المُقرَّبينَ(1). انتهَى.

وقد حكَى غيرُ واحِدٍ مِنَ العُلماءِ الإجماعَ علَى استِحبابه، ولم يأتِ الأمرُ به، كما جاءَ الأمرُ بالصّبرِ، وإنّما جاءَ الثّناءُ علَى أصحابِه ومدحُهُم.

وأمّا ما ورَدَ في الإسرائيليّاتِ يقولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: «**مَن لم يَرضَ بقَضائي، ويَصبِر على بَلائي فَليَتَّخِذ رَبًّا سِواي**»(2).

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى (ج10/ 40).

(2) رواه: الطبراني في المعجم الكبير، (ج22/ 320)، رقم: (807)؛ من طريق: يحيى بن عبدالباقي المصّيصي، قال: حدثني سعيد بن زياد، حدثني أبي زياد بن فائد، عن أبيه، عن جدّه زياد بن أبي هند، عن أبي هند الدّاري، مرفوعًا. والبيهقي في شعب الإيمان، (ج1/ 377)، رقم (196)؛ من طريق: محمد بن الحسن بن علي الوراق، قال: حدثنا علي بن يزداد الجرجاني، قال: سمعت عصام بن الليث الليثي السدوسي، يقول: سمعت أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: قال الله تعالى: «من لم يرض بقضائي، وقدري؛ فليلتمس ربًّا غيري». وقال العراقي في المغني (ج2/ 1158)، رقم (4200): «إسناده ضعيف». وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج7/ 207): رواه الطبراني، وفيه سعيد بن زياد بن هند وهو متروك. ورواه ابن بطة في كتاب الإبانة، (ج2/ الكتاب الثاني القدر/ 278)، رقم (1908)؛ من طريق: يعقوب بن=

وقد قال بعضُ الحُذّاقِ مِنَ العُلماء: هذا الأثَرُ ليس بصَحيح عنِ النّبيِّ ﷺ، لكِن قد ورَدَ في «جامع التِّرمذيِّ»(1) من حديث سعدِ بنِ أبي وقّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سَعادة ابنِ آدمَ رِضاه بما قَضى الله عَزَّ وَجَلَّ، ومن شَقاوة ابنِ آدمَ سَخَطُه بما قَضى الله لَه**».

قال العلّامة ابنُ القيِّم بعدَ أن حكَى عنِ الرِّضا أنّه مُستحَبٌّ، وكان يذهَبُ إلى القولِ باستِحبابه شيخُنا، ثُمَّ حكَى الأثَرَ وضَعَّفَه، ثُمَّ قال: قلتُ: ولا سيِّما عندَ مَن يرَى أنّه من جُملةِ الأحوالِ الّتي ليست مُكتسبةً، وأنّه موهِبةٌ محضةٌ. فكيفَ يُؤمرُ به وليسَ مقدورًا [170/ أ]؟ وهذه مسألةٌ اختَلَفَ فيها أربابُ السُّلوكِ علَى ثلاثِ طُرُقٍ(2):

فالخُراسانيّونَ قالوا: إنّ الرِّضا من جُملةِ المقاماتِ؛ وهو نِهايةُ التّوكُّلِ. فعلى هذا يُمكنُ أن يتَوَصَّلَ إليه العبدُ باكتِسابِه.

والعِراقيّونَ قالوا: هو من جُملةِ الأحوالِ، وليسَ كسبيًّا للعبدِ، بل هو نازِلةٌ تَحلُّ بالقلبِ كسائرِ الأحوالِ.

=يوسف، قال: حدثنا أبو بكر البزيني، قال: حدثنا أبو بكر بن سيار، قال: قرأت في بعض الكتب: يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: من لم يرض...

(1) رواه: - الترمذي في سننه، أبواب القدر عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الرضا بالقضاء، رقم: (2305)؛ من طريق: محمد بن بشار، قال: حدثنا أبو عامر، عن محمد بن أبي حميد، عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقّاص، عن أبيه، عن سعد، يرفعه. قال أبو عيسى: «هذا حديث غريبٌ، لا نعرفه إلا من حديث محمد بن أبي حميد، ويقال له أيضًا: حماد بن أبي حميد وهو أبو إبراهيم المديني، وليس هو بالقوي عند أهل الحديث».

۞ الإمام أحمد في المسند (ج3/ 54)، رقم (1444)؛ من طريق: روح، قال: حدثنا محمد بن أبي حميد، به.

(2) وضع الناسخ عليه في حاشية الأصل عنوانًا بخط مغاير: اختُلِف في الرِّضا، هل هو مقامٌ، أو حالٌ.

والفرقُ بينَ المقاماتِ والأحوالِ[1]: أنّ المقاماتِ عندَهم مِنَ المكاسِبِ، والأحوالَ مُجرَّدُ المواهِبِ.

وحكَمَت فرقة ثالثة بينَ الطّائِفَتَينِ منهم صاحِبُ «الرِّسالةِ»[2] وغيرُه فقالوا: يمكِنُ الجمعُ بينَهما بأن يُقال: بدايةُ الرِّضا مُكتَسبة للعبد؛ وهي من جُملة المقاماتِ، ونِهايتُه من جُملةِ الأحوالِ، وليست مُكتَسبة، فأوَّلُه مَقامٌ، ونِهايتُه حالٌ[3].

قال العلّامةُ ابنُ القيّم: والتّحقيقُ في المسألة: أنّ الرِّضا كَسبيٌّ باعتِبارِ سَبَبِه، موهبيٌّ باعتِبارِ حقيقَته. فيُمكِنُ أن يُنالَ بالكسبِ لأسبابه. فإذا تمكَّن غَرسُ شَجَرته: اجتَنَى منها ثمرة الرِّضا. فإن الرِّضا آخِرُ التّوكُّلِ. فمَن رَسَخَ قدَمُه في التّوكُّلِ والتّسليم والتّفويضِ: حصَلَ له الرِّضا ولا بُدَّ. ولكِن لِعزَّته وعدَمِ إجابة أكثرِ النُّفوسِ له وصُعوبتِه؛ لم يوجِبه الله على عِباده رحمة بهم[4]. انتَهى كلامُه.

وقدِ احتجَّ مَن قال بأنّه مِنَ المقاماتِ: بأنّ اللهَ مدَحَ أهلَه، وأثنَى علَيه، وندَبَهم إليه؛ فدَلَّ علَى أنّه مقدورٌ لهُم. وقد ثَبَت أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «**ذاقَ طَعمَ الإيمانِ مَن رَضيَ بالله رَبًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمّد رَسولًا**»[5]، وثَبَتَ أيضًا أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «**مَن قال حينَ يَسمَعُ النِّداءَ: رَضيتُ بالله رَبًّا، وبالإسلامِ دينًا، وبِمحمّد رَسولًا؛ غُفِرَت له ذُنوبُه**»[6].

---

(1) وضع الناسخ عليها في حاشية الأصل عنوانًا بخط مغاير: الفرق بين المقامات والأحوال.

(2) يعني: القشيري. انظر: الرسالة القشيرية (ص:339).

(3) انظر: مدارج السالكين؛ لابن القيم (ج2/ 171).

(4) المصدر السابق (ج2/ 173-174).

(5) رواه: مسلم في صحيحه، رقم: (56 - 34).

(6) رواه: مسلم في صحيحه، رقم: (13-386).

وهـذانِ الحديثـانِ عليهمـا مـدارُ مَقامـاتِ الدِّيـنِ. وقـد تَضَمَّنـا الرِّضـا بربوبيَّتِـه سُبحانه وأُلوهيَّتِـه، والرِّضـا برسولِه، والانقيـادَ لَـه، والرِّضـا بدينِـه، والتّسـليمَ لَـه. ومَـن اجتمعَـت لـه هـذه الأربعـة: فهـو الصِّدّيـقُ حَقًّـا. وهـي سـهلة بالدّعـوَى واللِّسـانِ. ومـن أصعَـبِ الأُمـورِ عنـدَ الحقيقـة [171/ ب] والامتِحـانِ. ولا سـيّما إذا جاءَ ما يُخالِـفُ النّفسَ ومُرادَهـا. مـن ذلـك تبيَّـنَ أنّ الرِّضـا كان علَـى لِسـانِه لا علَـى حالِـه.

فالرِّضـا بإلهيَّتِـه: يتَضَمَّـنُ الرِّضـا بمحَبَّتِه وحدَه، وخوفَـه، ورَجاءَه، والإنابة إليـه، والتّبتُّـلَ إليـه، وانجذابَ قـوَى الإرادةِ والحُـبِّ كُلِّهـا إليـه. فِعلَ الرّاضي بمحبوبِـه كُلَّ الرِّضـا. وذلـك يتَضَمَّـنُ عِبادَتَـه والإخلاصِ لَه.

والرِّضـا برُبوبيَّتِـه: يتَضَمَّـنُ الرِّضـا بتَدبيـرِه لِعبد، ويتَضَمَّـنُ إفـرادَه بالتّوكُّلِ عليـه، والاسـتِعانة بـه، والثِّقـة بـه، والاعتِمـاد علَيـه. وأن يكـونَ راضيًـا بـكُلِّ مـا يَفعَلُـه بـه. فـالأوَّلُ: يتَضمَّـن رِضـاه بمـا يأمرُه بـه. والثّانـي: يتَضَمَّـنُ رِضـاه بمـا يُقـدِّرُه علَيـه.

وأمّـا الرِّضـا بنَبيِّـه رَسـولًا: فيَتَضَمَّـنُ كمـالَ الانقيـادِ لَـه. والتّسـليمَ المُطلَقَ إليـه، بحيـثُ يكـونُ أولَـى بـه مـن نفسِـه. فـلا يتَلَقَّـى الهُـدَى إلّا مـن مَواقِـعِ كلِماتِـه. ولا يُحاكِـمُ إلّا إليـه. ولا يُحَكِّـمُ علَيـه غيرَه، ولا يَرضَـى بحكـم غيـرِه البتّـة، لا فـي شـيءٍ من أسـماءِ الـرّبِّ تعالـى وصِفاتِـه وأفعالِـه، ولا فـي شـيءٍ مـن أذواقِ حَقائـقِ الإيمـانِ ومقاماتِـه، وغيـرِ ذلـك ممّـا يطـولُ ذكـرُه.

وأمّـا الرِّضـا بدينِـه: فـإذا قـال، أو حكَـمَ، أو أمَـرَ، أو نَهَـى: رَضـيَ كُلَّ الرِّضا. ولـم يَبـقَ فـي قلبِـه حـرَجٌ مـن حُكمـه وسـلَّمَ تسـليمًا ولـو كان مُخالِفًـا لِمُـرادِ نفسِـه وهواهـا، وقـول مُقلِّدِه وشـيخِه.

وإيّـاكَ أن تسـتَوحِشَ مِـنَ الاغتِـرابِ والتّفـرُّدِ. فإنّـه -واللـه- عَيـنُ العِـزِّ،

والصُّحبة معَ الله تعالى ورَسوله، وروحُ الأُنسِ به، والرِّضا به ربًّا، وبالإسلامِ دينًا، وبمحمَّدٍ رَسولًا[1]، وفَّقنا الله وإيّاك لِذلك.

فَصْلٌ

وقد ذكَرَ بعضُ العارفينَ: أنّ الرِّضا بابُ الله الأعظَمُ، بل يُقال: وجنّة الدُّنيا، ومُستَراحُ العارفينَ، وحياةُ المُحِبّينَ، ونعيمُ العابدينَ، وقُرّة عينِ المُشتاقينَ.

قال مُحمَّدُ بنُ إدريسَ الشّافعيُّ: حدَّثَنا زُهَيرُ بنُ عَبّادٍ[2]، عَنِ السَّريِّ بنِ حَيّانَ[3]، قال: قال عبد الواحِدِ بنُ زَيدٍ[4]: «الرِّضا: بابُ الله الأعظَمُ، وجَنّة الدُّنيا، وسِراجُ العابِدينَ»[5].

---

(1) انظر: مدارج السالكين؛ لابن القيم، (ج2/ 172-173).

(2) هو زهير بن عباد الرؤاسي، أبو محمد. ابن عم وكيع. سمع: مالك بن أنس، وفضيل بن عياض، وابن المبارك، وجماعة. وعنه: محمد بن أحمد العريني، والحسن بن الفرج الغزي، والحسن بن سفيان. قال أبو حاتم الرازي: «ثقة». توفي سنة (238هـ). انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، (ج5/ 824).

(3) هو سري بن حيان. من الزهاد. روى عن: عباد بن عباد. روى عنه: إبراهيم بن محمد الشافعي، ومحمد بن حجاج الحضرمي. انظر: كتاب الجرح والتعديل؛ لأبي محمد بن أبي حاتم، (ج4/ 284)، رقم (1220).

(4) هو عبدالواحد بن زيد. الزاهد، القدوة، شيخ العباد، أبو عبيدة البصري. حدث عن: الحسن، وعطاء بن أبي رباح، وعبادة بن نسي، وعدة. وعنه: محمد بن السماك، ووكيع، وأبو سليمان الداراني، وآخرون. وحديثه من قبيل الواهي عندهم. قال البخاري: «تركوه». قال ابن حبان: «كان ممن غلب عليه العبادة، حتى غفل عن الإتقان، فكثرت المناكير في حديثه». توفي بعد الخمسين ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج7/ 178-180).

(5) رواه: ابن أبي الدنيا في كتاب الرضا، (ص:51)، رقم: (13)؛ من طريق: الإمام الشافعي، بهذا الإسناد، وفيه: (ومستراح العابدين) بدل: (وسراج العابدين). وأبو نعيم في حلية الأولياء (ج6/ 156)؛ من طريق: ابن أبي الدنيا.

وقال عمر بن عبد العزيز: «أمّا الرِّضا فمَنزلة عَزيزةٌ أو مَنيعة، ولكِن قد جعَلَ الله في الصّبرِ مِعولًا حَسَنًا»(1). انتهى.

فالعبدُ قد يصبرُ علَى المُصيبة، ولا يرضَى بها. فالرِّضا أعلَى من مقام الصّبرِ، لكنِ الصّبرُ اتّفقوا علَى وُجوبه علَى العبدِ، كما تقدمَ بخِلافِ الرِّضا. كما أنّ الشُّكرَ أعلَى مِنَ الرِّضا فإنّ الشُّكرَ أن يَشهَدَ المُصيبةَ نِعمةً؛ فيَشكُرَ المُبتَلي عليها.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: 11]، قال علقمةُ بنُ وقّاص: «هي المُصيبة تُصيبُ الرّجُلَ فيَعلَمُ أنّها من عند الله فيُسَلِّمُ لها ويَرضَى». رواه ابنُ أبي الدُّنيا(2).

ثُمَّ قال: حَدَّثَنا الحُسَينُ، قال: حَدَّثَنا عبد الله، قال: حَدَّثَنا عَليُّ بنُ الحُسَينِ العامِريُّ، قال: حَدَّثَنا أبو بَدرٍ، قال: حَدَّثَنا عُمَرُ بنُ ذَرٍّ، قال: بَلَغَنا أنّ أُمَّ الدّرداءِ، كانت تَقولُ: «إنّ الرّاضينَ بقَضاءِ الله الّذينَ ما قَضَى الله لهم رَضوا به، لهم في الجنّة مَنازلُ يَغبِطُهم بها الشُّهَداءُ يومَ القيامة»(3).

وَبِهَذا الإسنادِ: عن سُلَيمانَ بنِ المُغيرة، قال: «كان فيما أوحَى الله تعالى إلى داوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا داوُدُ إنّكَ لَن تَلقاني بعَمَلٍ هو أرضَى لي عنكَ، ولا أحَطُّ لِوزرِكَ مِنَ الرِّضا بقَضائي، ولَن تَلقاني بعَمَلٍ هو [172/ب] أعظَمُ لِوزرِكَ، ولا أشَدُّ لِسُخطي عليكَ مِنَ البطَرِ، فإيّاكَ يا داوُدُ والبطَرَ»(4).

---

(1) لم أقف عليه مسندًا، وذكره ابن القيم في: عدة الصابرين، الباب السابع عشر في الآثار الواردة عن الصحابة ومن بعدهم في فضيلة الصبر، (ص:162).

(2) رواه: ابن أبي الدنيا في كتاب الرضا عن الله بقضائه، (ص:47-48)، رقم: (7)؛ من طريق: علي بن الجعد، عن أبي مُعاوية، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن علقمة.

(3) رواه: ابن أبي الدنيا في كتاب الرضا عن الله بقضائه، (ص:48)، رقم: (8) بهذا الإسناد.

(4) رواه: ابن أبي الدنيا في كتاب الرِّضا عن الله بقضائه، (ص:49)، رقم: (9).

وقال الشافعيُّ: سَمِعتُ ابنَ أبي الحواريِّ يقولُ: سَمِعتُ أبا سُلَيمانَ الدّاراني يقولُ: «أرجو أن أكونَ قد رُزِقتُ مِنَ الرِّضا طَرَفًا، لو أدخَلَني النّارَ لَكُنتُ بذلك راضيًا»(1). وقال أبو عبد الله البراثي(2): «مَن وُهِبَ الرِّضا؛ فَقَد بَلَغَ أقصَى الدَّرَجاتِ»(3). وذكَرَ أبو الفرج ابنُ الجوزيِّ، عن عَمّارِ بنِ ياسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أنّه قال: اللهم لو أعلَمُ أنّه أرضَى لَكَ عَنّي أن أوقِدَ نارًا عَظيمةً فَأَقَعَ فيها لَفَعَلتُ، ولو أعلَمُ أنّه أرضَى لَكَ عَنّي أن أُلقِيَ نَفسي في الماءِ فَأَغرَقَ لَفَعَلتُ(4). وعن مُصعَبِ بنِ ماهانَ(5)، عن سُفيانَ الثّوريِّ، قال في قولِه تعالَى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤﴾ [الحج: 34]، قال: «المُطمَئنّينَ الرّاضينَ بقَضائِه المُستسلمينَ لَه»(6).

---

(1) رواه: ابن أبي الدنيا في الرضا عن الله، (ص:52)، رقم: (14).

(2) هو أبو عبد الله بن أبي جعفر البراثي الزاهد، وهو أستاذ أبي جعفر بن الكرنبي الصوفي، حَكَى عنه: حكيم بن جَعفَر. انظر: تاريخ مدينة السلام، للخطيب البغدادي، (ج16/ 581-582).

(3) لم أقف عليه مسندًا، وذكره عنه: ابن الجوزي في كتاب الثبات عند الممات، (ص:35).

(4) رواه: ابن سعد في الطبقات الكبرى، (ج3/ 257-258)؛ من طريق: محمد بن عمر، قال: حدثني يعقوب بن عبدالله، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن عبدالرحمن، عن أبيه، عن عمار بن ياسر. وعبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على كتاب الزهد، (ص:145)، رقم (985)؛ من طريق: حسان بن إبراهيم، قال: حدثنا محمد بن سلمة بن كهيل، عن سلمة، عن ذر، عن سعيد بن عبدالرحمن...به. وابن الجوزي في كتاب الثبات عند الممات، (ص:37)؛ من طريق: ابن سعد.

(5) هو مصعب بن ماهان المروزي، ثم العسقلاني. روى عن: داود بن نصير الطائي، وسفيان الثوري، وعباد بن كثير البصري. روى عنه: إبراهيم بن شماس السمرقندي، وعبدة بن سليمان المروزي، مخلد بن مالك، وغيرهم. قال أحمد بن أبي الحواري: «كان أميًا لا يكتب». قال الإمام أحمد: «كان رجلًا صالحًا...». توفي سنة (181هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج28/ 39-41).

(6) رواه: ابن أبي الدنيا في الرضا عن الله، (ص:99-100)، رقم: (79)؛ من طريق: الحسين، قال: حدثنا عبد الله، حدثنا علي بن الحسن، عن عبدة بن سليمان...به.

وقال ابنُ زيدٍ: نَظَر عليُّ بنُ أبي طالِبٍ إلى عديِّ بنِ حاتِمٍ كَئيبًا، فقال: يا عَديُّ؛ ما لي أراكَ كَئيبًا حَزينًا؟ فقال: وما يَمنَعُني وقَد قُتِلَ ابنايَ وفُقِئَت عَيني؟ فقال: يا عَديُّ؛ مَن رَضيَ بقَضاءِ الله كان له أجرٌ، ومَن لم يَرضَ بقَضاءِ الله حَبِطَ عَمَلُه. رواه ابنُ أبي الدُّنيا(1).

وروّينا في «جامِع التِّرمذيِّ»(2): أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «**إذا أحَبَّ الله قومًا ابتَلاهم، فَمَن رَضيَ فَلَه الرِّضا، ومَن سَخِطَ فَله السُّخطُ**».

وقال أبو مُسلِم الخولانيُّ: دخَلتُ علَى أبي الدّرداءِ في اليوم الّذي قُبِضَ فيه، وقال: كان عندهم في العِزِّ كأنفُسِهم، فَجَعلَ أبو مُسلِم يُكبِّرُ، فقال أبو الدّرداءِ [172/ أ]: أجَل؛ فهكذا فَقولوا، فإنّ اللهَ إذا قَضَى بقَضاءٍ أحَبَّ أن يُرضَى بهِ(3).

---

(1) رواه: ابن أبي الدنيا في الرضا عن الله، (ص:53)، رقم: (15)؛ من طريق: المفضَّل بن غسّان، قال: حدثنا أبيه، عن أبي زيد العبدي، قال: نظر علي بن أبي طالب...به. والبيهقي في شعب الإيمان، (ج12/ 434)، رقم (9689)؛ من طريق: أحمد بن المظفر، قال: حدثنا ابن أبي خيثمة، حدثنا أبو معاوية الغلابي، حدثنا قدامة أبو زيد العبدي...به

(2) رواه: الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الصبر على البلاء، رقم: (2573)؛ من طريق: قتيبة، قال: حدثنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سعد بن سنان، عن أنس. قال أبو عيسى: «هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه». وابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، رقم (4031)؛ من طريق: محمد بن رمح، قال: أنبأنا الليث...به. وقال ابن القطّان في بيان الوهم والإيهام (ج3/ 607)، رقم (1413) معلقًا على تحسين الترمذي: ولم يبين لم لا يَصح، وذلك أنه عنده من رواية يزيد بن أبي حبيب، عَن سعد بن سِنان، عَن أنس. وسعد بن سِنان هَذا، الصّحيح فيه: سِنان بن سعد. وفي باب سِنان ذكره ابن أبي حاتِم. وقال ابن أبي خَيثَمة: سُئِلَ ابن معين عَن سعد بن سِنان، الّذي روى عَنه يزيد بن أبي حبيب، فقال: ثِقة. وقال البُخاريّ: وَهّنَه أحمدُ. وقال ابن معين: سمع عبد الله بن يزيد من سِنان بن سعد بعدَما اختَلَط. فَفي هَذا أنه اختَلَط.

(3) رواه: ابن أبي الدنيا في كتاب الرضا عن الله، (ص:47)، رقم: (6)؛ من طريق: داود بن رُشيد، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، عن سعيد بن عبدالعزيز، عن إسماعيل بن عبيدالله، عن أبي مسلم.

فإن قيلَ: غالِبُ النّاس يَصبِرون ولا يَرضَونَ. فكيفَ يُتصوَّرُ الرِّضا بما يكرَهُه العبدُ؟ يُقال: إنّ نُفورَ الطّبعِ عنِ المصائبِ لا يُنافي رِضا القلبِ بالمقدورِ، فإنّا نَرضَى القضاءَ وإن كَرِهنا المقضيَّ.

وقد روي عن بعضِ الصّالحينَ أنّه قيلَ له -وقد دَخلَ العسكَرَ-: قُتِلَ ولَدُكَ في سَبيلِ الله، فبَكَى. قيلَ له: أتَبكي، وقد استُشهِدَ؟! فقال: إنّما أبكي كيف كان رِضاه عَنِ الله عَزَّوَجَلَّ حينَ أخَذَته السُّيوفُ. ذكَرَه أبو الفرجِ ابنُ الجوزيِّ[1].

فَصْلٌ

ومَن رَضيَ عن ربِّه رضيَ الله عنه، بَل رِضا العبدِ عَنِ الله من نَتائجِ رِضا الله عنه. فهو محفوفٌ بنوعَينِ من رِضاه عن عبدِه: رِضًى قَبلَه أوجَبَ له أن يرضَى عنه، ورِضًى بعدَه؛ هو ثمرة رِضاه عنه.

قال عمرو بنُ أسلَم العابدُ[2]: سَمِعتُ أبا مُعاويةَ الأسوَدَ[3] يقولُ في قولِه تعالَى: ﴿فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ﴾ [النحل: 97] قال: الرِّضا، والقناعة[4].

---

(1) ذكره ابن الجوزي في كتاب الثبات عند المهات، (ص:36). ورواه البيهقي في شعب الإيمان، برقم: (9645) بألفاظ متقاربة.

(2) هو عمرو بن أسلم الطرسوسي العابد. نزيل دمشق. روى عن أسلم بن ميمون الخواص، وأبي معاوية الأسود، ووكيع. وعنه أحمد بن أبي الحواري، وأبو حاتم الرازي، والحسن بن علي المعمري، وأبو موسى الطوسي. قال أبو حاتم: «صدوق». انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، (ج5/ 644).

(3) هو أبو معاوية الأسود. من كبار أولياء الله، صحب سفيان الثوري، وإبراهيم بن أدهم، وغيرهما، وكان يعد من الأبدال. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج9/ 78-79).

(4) رواه: ابن أبي الدنيا في كتاب الرضا عن الله: - (ص:72)، رقم: (42). - (ص:93)، رقم (71)؛ من طريق: الحسين، قال: حدثنا عبد الله، قال: حدثني محمد بن إدريس، حدثني عمرو بن أسلم العابد، به.

قيلَ ليحيى بنِ مُعاذٍ: متَى يبلُغُ العبدُ مَقامَ الرِّضا؟ قال: إذا أقامَ نَفسَه على أربَعة أُصولٍ فيما يُعامِلُ به رَبَّه، فَيَقولُ: إن أعطَيتَني قَبِلتُ، وإن مَنَعتَني رَضِيتُ، وإن تَركتَني عَبَدتُ، وإن دَعوتَني أجَبتُ[1].

وقال الجُنَيدُ: الرِّضا هو صُحبةُ[2] العِلمِ الواصِلِ إلى القلبِ. فإذا باشَرَ القلبَ حَقيقة [173/ ب] العِلمِ أدّاه إلى الرِّضا[3].

وليسَ الرِّضا والمحبّة؛ كالرّجاءِ، والخوفِ. فإنّ الرِّضا والمحبّة حالانِ من أحوالِ أهلِ الجنّة. لا يُفارِقانِ في الدُّنيا ولا في البرزخِ، ولا في الآخِرةِ، بخلافِ الخوفِ والرّجاءِ. فإنّهما يُفارِقانِ أهلَ الجنّةِ لِحُصولِ[4] ما كانوا يَرجونَه، وأمنِهم ممّا كانوا يَخافونَه. وسيأتي الكلامُ علَى الخوفِ والرّجاءِ بعدُ إن شاءَ اللهُ[5].

وقال ابنُ عطاءٍ: الرِّضا سُكونُ القلبِ إلى قِدَمِ[6] اختيارِ اللهِ للعبدِ أنّه اختارَ له الأفضَلَ، فَيَرضَى بِهِ[7].

قال العلّامة ابنُ القيِّم في «شرح المنازل»[8] بعدَ حكايتِه عن عَطاءٍ: وهذا الرِّضا بما منه. وأمّا الرِّضا به فأعلَى من هذا وأفضَلُ. وفَرقٌ بمَن

---

(1) رواه: أبو نعيم في حلية الأولياء، (ج10/ 66)؛ من طريق: محمد بن محمد المقرئ، قال: ثنا الحسن بن علوية الدامغاني، قال: سمعت يحيى بن معاذ، يقول: يا من أقام لي غرس ذكري، وأجرى إلي أنهار نجوى... إن أعطيتني قبلت... فأعطني إلهي ما أريد...

(2) كذا في الأصل، وفي المدراج: صحّة.

(3) لم أقف عليه مسندًا، وذكره عنه ابن القيم في مدراج السالكين (ج2/ 174).

(4) كذا في الأصل، وفي المدراج: بحصول.

(5) راجع: بصائر ذوي التمييز؛ للفيروزآبادي (ج3/ 82).

(6) كذا في الأصل، وفي المدارج: قديم.

(7) لم أقف عليه مسندًا. وذكره ابن القيم في مدراج السالكين (ج2/ 175).

(8) انظر: مدارج السالكين (ج2/ 175).

هـو راضٍ بمحبوبِـه وبيـنَ مَـن رِضـاه فيمـا يَنالُه مـن محبوبه من حُظوظِ نفسِـه.

قلـتُ: قـولُ ابـنِ عطـاءٍ: ليـس رِضـا العبـدِ بمـا يَنالُـه مِـنَ اللـه مـن جهـةِ حُظـوظِ نفسِـه، بـل مـا أتـاه مِـنَ اللـه فهـو راضٍ بـه؛ لأنّ اللـهَ لا يَختـارُ لِعبـده المُؤمـنِ، إلّا مـا هـو الأفضَـلُ فـي حقِّـه؛ إذ هـو العالِـم بمصالِـحِ عبـدِه، فأَحَبُّـه إلـى العبـدِ أحَبُّـه إلـى اللـه، ورِضـا العبـدِ بمـا يفعَلُـه بـه محبوبُـه فـرعٌ علَـى مَحبَّتِـه لَـه، هـذا علَـى مـا فهمـت، واللـه أعلَـم.

ورَوَى ابـنُ أبـي الدُّنيـا[1] بإسـنادِه، رَفَعَـه إلـى النّبـيِّ ﷺ قـال: «جُلَسـاءُ الرّحمَـنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يـومَ القيامـة الخائِفـونَ الرّاضـونَ المُتَواضِعـونَ الشّـاكِرونَ الذّاكِـرونَ». ورَوَى بإسناده إلـى مُحمَّـدِ بـنِ كعـبٍ مُرسـلًا أنّـه قـال: «أي رَبِّ؛ [173/ أ] أيُّ خَلقِـكَ أعظَـمُ ذَنبًا؟ قال: الّـذي يَتَّهِمُني. قال: رَبِّ وهل يَتَّهِمُكَ أحَـدٌ؟ قـال: نَعَـم؛ الّـذي يَستَجيرُ بـي[2] ولا يَرضَـى بقَضائـي»[3].

ورَوَى أيضًـا، قـال مالِـكُ بـنُ أنَـسٍ: بَلَغَنـي أنّ أبـا الـدّرداءِ دَخَـلَ علـى رَجُـلٍ، وهـو يَمـوتُ وهـو يَحمَـدُ اللـهَ تعالـى، فقـال أبـو الـدّرداءِ: «أصَبـتَ؛ [إنّ][4] اللـهَ تَعالـى إذا قَضَـى قَضـاءً أحَـبَّ أن يُرضَـى بـه»[5].

---

(1) رواه: ابـن أبي الدنيـا في كتـاب الرضـا عـن الله، (ص:72)، رقـم: (43)؛ مـن طريـق: الحسـين، قـال: حدثنـا عبـد الله، حدثنـا موسـى بن عمـران، حدثنـا أسـد بن موسـى، بإسـناد رفعَـه.

(2) كذا في الأصل، وفي مصادر الأثر: يستخيرني.

(3) رواه: 1 - ابـن أبي الدنيـا في كتـاب الرضـا عـن الله، (ص:73)، برقـم: (44)؛ مـن طريـق: عبدالرحمن بـن يونـس، قـال: حدثنـا حاتم بـن إسـماعيل، عـن عبدالملك بـن حسـن، عـن محمد بـن كعـب، قـال: قـال موسـى النبي ﷺ:.... 2 - البيهقـي في شـعب الإيـمان، (ج2/ 172)، برقـم: (672)؛ مـن طريـق: علي بـن حمشـاذ، قـال: أخبرنـا أحمد بـن محمد بـن سـالم، حدثنـا إبراهيم بـن الجنيـد، قـال: حدثنـي أحمد بـن حاتـم الطويـل، حدثنـا حاتم بـن إسـماعيل، بـه.

(4) الزيادة من مصدر الأثر.

(5) رواه: ابـن أبي الدنيـا في كتـاب الرضـا عـن الله، (ص:75)، برقـم: (47)؛ مـن طريـق: أبي سـعيد المديني، قـال: حدثنـا إسـماعيل بن أبي أويـس، بـه.

ورَوَى أيضًا بإسنادِه، عَنِ ابنِ عَونٍ[1]: «ارضَ بقَضاءِ اللهِ على ما كان من عُسرٍ ويُسرٍ، فإنّ ذلك أَقَلُّ لِهَمِّكَ، وأبلَغُ فيما تَطلُبُ من آخِرَتِكَ. واعلم أنَّ العبدَ لَن يُصيبَ حَقيقةَ الرِّضا، حَتَّى يَكونَ رِضاه عند الفقرِ، والبلاءِ؛ كَرِضاه عند الغِنَى والرّخاءِ، كيف تَستَقضي[2] اللهَ في أمرِكَ، ثُمَّ تَتَسَخَّطُ إن رَأيتَ قضاءَه مُخالِفًا لِهَواكَ؟ ولَعَلَّ ما هَوِيتَ من ذلك لو وُفِّقَ لَكَ لَكان فيه هَلاكُكَ، وتَرضَى قَضاءَه إذا وافَقَ هَواكَ، وذلك لِقلّةِ عِلمِكَ بالغيبِ؟! وكيف تَستَقضيه إن كُنتَ كَذلكَ؟ ما أنصَفتَ من نَفسِكَ ولا أصَبتَ بابَ الرِّضا»[3].

وقال أبو بكرٍ: حَدَّثَنا الحُسَينُ، حَدَّثَنا عبدالله، حَدَّثَني المروزيُّ، قال: قال حَفصُ بنُ حُمَيدٍ: كُنتُ عند عبد الله بنِ المُبارَكِ بالكوفة حينَ ماتَتِ امرَأتُه فَسَألتُه ما الرِّضا؟ قال: «الرِّضا لا يَتَمَنّى خِلافَ حالِه»، فَجاءَ أبو بَكرِ بنُ عَيّاشٍ، فَعَزَّى ابنَ المُبارَكِ، قال حَفصٌ: ولم أعرفه، فقال ابنُ المُبارَكِ: سَلهُ عَمّا كُنّا فيه فَسَألتُه، فقال: مَن لم يَتَكَلَّم بغيرِ الرِّضا فهو راضٍ [174/ب]، قال حَفصٌ: وسَألتُ الفُضَيلَ بنَ عياضٍ، فقال: ذاكَ لِلخَواصِ[4].

---

(1) هو عبد الله بن عون بن أرطبان المزين، أبو عون البصري. روى عن: إبراهيم النخعي، وأنس بن سيرين، والحسن البصري، وغيرهم. روى عنه: إسماعيل بن علية، وبشر بن المفضل، ويزيد بن هارون، وغيرهم. قال شعبة: «ما رأيت مثل أيوب ويونس وابن عون». وقال عبدالرحمن بن مهدي: «ما كان بالعراق أحد أعلم بالسنة من ابن عون». روى له الجماعة. توفي سنة (151هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج15/ 394-402).

(2) كذا في الأصل، وفي مصادر الأثر: تستقضي.

(3) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الرضا عن الله، (ص:92)، برقم: (69)؛ من طريق علي بن الحسن بن موسى، عن محمد بن سعيد، أخبرنا أشعث بن شعبة، قال: قال ابن عون.

(4) رواه: ابن أبي الدنيا في كتاب الرضا عن الله، (ص:58)، برقم: (22) بهذا الإسناد.

ثُمَّ قال قادِمٌ الدّيلَميُّ العابِدُ(1): قلتُ للفُضَيلِ بنِ عياضٍ: مَنِ الراضي عَنِ اللهِ؟ قال: «الّذي لا يُحِبُّ أن يَكونَ على غيرِ مَنزِلَتِه الّتي جُعِلَ فيها»(2).

ثُمَّ قال أبو عبد الله البراثيُّ(3): «لَن يَرِدَ الآخِرة أرفَعَ دَرَجاتٍ مِنَ الرّاضينَ عَنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ على كُلِّ حالٍ»(4).

وقال سَيّارٌ(5): دَخَلتُ على أبي العاليةِ في مَرَضِه الّذي ماتَ فيه، فقال: «إنّ أحَبَّه إلَيَّ أحَبُّه إلى اللهِ عَزَّوَجَلَّ»(6).

وعن وهبِ بنِ مُنَبِّهٍ، قال: وجَدتُ في زَبورِ داوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يا داوُدُ؛ هل تَدري أيُّ الفُقَراءِ(7) أفضَلُ؟ قال: الّذينَ يَرضَونَ بحُكمي وبقَسمي، ويَحمَدوني على ما أنعَمتُ عليهم. هل تَدري يا داوُدُ؛ أيُّ المُؤمِنينَ أعظَمُ

---

(1) صحب الفضيل بن عياض وأقرانه، وسلك مسلكه في الخضوع والخشوع. انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم (ج10/ 131).

(2) رواه: 1 - ابن أبي الدنيا في كتاب الرضا عن الله بقضائه، (ص:58)، برقم: (23)؛ من طريق: محمد بن الحسين، عن قادم الديلمي، به. 2 - أبو نعيم في حلية الأولياء (ج10/ 131)؛ من طريق ابن أبي الدنيا.

(3) تقدمت ترجمته.

(4) رواه: ابن أبي الدنيا في كتاب الرضا عن الله بقضائه، (ص:59)، برقم: (24)؛ من طريق: محمد بن الحسين، قال: حدثني حكيم بن جعفر، به.

(5) هو: سيار بن سلامة الرياحى، أبو المنهال البصري. من الطبقة الرابعة، روى له البخاري، ومسلم، وأصحاب السنن. وثّقه ابن معين وغيره. توفي سنة (129هـ). انظر ترجمته في: تاريخ الإسلام (ج3/ 246)، وتهذي الكمال (ج34/ 323).

(6) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين، برقم: (308)، وكتاب المرض والكفارات، برقم: (206) من طريق العبّاس بن يزيد البصري، عن يعلى بن عبد الرحمن العنبري، به. ومن طريقه رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ج18/ 189)، وابن الجوزي في الثبات عند الممات (ص: 38).

(7) كذا في الأصل، والحلية. وفي كتاب الرضا عن الله بقضائه: العِباد.

عندي مَنزِلة؟ الّذي هو بما أُعطِيَ أشَدُّ فَرَحًا منه بما حُبسَ»[1].

ورَوَى الإمامُ أحمد بإسنادِه في كتابِ «الزُّهدِ»[2] عن عليِّ بنِ أبي طالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه قال يومَ ماتَ أبو بَكرٍ الصِّدّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رَضينا عَنِ الله قَضاءَه، وسَلَّمنا له أمرَه، إنّا لله وإنّا إليه راجعونَ.

فطَريقُ الرِّضا طَريقٌ مختصرة قَريبةٌ جِدًّا، موصلة إلى أجَلِّ المقاماتِ ونَهايةِ الغاياتِ، ولكِن فيها مَشقّة، ومعَ هذا فليسَ مشقَّتُها بأصعبَ من مَشقّة طَريقِ المُجاهدةِ، ولا فيها مِنَ العقباتِ والمفاوزِ ما فيها. وقد تقدم الكلامُ عليها، ولكِن عقِبة الرِّضا هِمّة عاليةٌ، ونفسٌ زكيّة، وتوطينُ النّفسِ [174/ أ] علَى كُلِّ ما يَرِدُ علَيها مِنَ الله تعالى، معَ ما اشتمَلَت عليه النّفسُ من علمِها بضَعفِها وعجزِها، ورحمةِ رَبِّها بها، وشفَقَته علَيها، وبَرِّه بها. فثَمرةُ الرِّضا الفرحُ والسُّرورُ بالله عَزَّ وَجَلَّ.

فَصْلٌ

وأرضَى الخلقِ وأشَدُّهم حِرصًا علَى رِضا مولاهم الأنبياءُ، ثُمَّ الصّالحونَ، ثُمَّ الأمثَلُ فالأمثَلُ. وأعظَمُ الخلقِ والأنبياءِ رِضًا نَبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ، فهو أرضاهم عنِ الله في قضائه وقدَرِه، وأعظَمُهم له حمدًا وشُكرًا وفَرَحًا بما كان يأتيه مِنَ الله تعالَى. ولم يمكِنّي حصرُ ذلك لِكثرته وشُهرته.

---

(1) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الرضا عن الله بقضائه، برقم: (86) من طريق محمد بن الحارث المقرئ، عن سيّار، عن جعفر، عن عبد الصمد بن معقل، عن وهب بن منبه. ومن طريقه رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (ج4/ 67) (2) لم أقف عليه في الزهد.

ورواه مطولًا أبو بكر الخلال في السنة (ج1/ 283)، برقم: (350)، والآجري في كتاب الشريعة (ج4/ 1725)، برقم: (1196).

ومعَ ذلك بكَى يومَ ماتَ ابنُه إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ رأفة ورحمة منه للوَلَدِ ورِقَّة عليه، وقلبُه ﷺ ممتلِئٌ بالرِّضا عنِ الله تعالى وشكُره لَه، واللِّسانُ مُشتغِلٌ بحمدِه وذكرِه.

ولَمّا ضاقَ هذا المشهدُ والجمعُ بينَ الأمرَينِ -يعني: الرّحمةَ والرِّقةَ علَى الولَدِ، والرِّضا عنِ الله عَزَّوَجَلَّ- علَى بعضِ العارفينَ مِنَ السّلَفِ يومَ ماتَ ولَدُه، جعَلَ يضحَكُ، فقيلَ: تضحَكُ في مِثلِ هذه الحالِ؟! فقالَ: إنّ اللهَ تعالى قضَى قضاءً فأحبَبتُ أن أرضَى بقَضائِه[1]. فأشكَلَ هذا على جماعة مِنَ العُلماءِ وأربابِ الأحوالِ والتّصوُّفِ، وقالوا: كيفَ يَبكي رسول ربِّ العالَمين يومَ ماتَ ولَدُه إبراهيمُ، وهو أرضَى الخلقِ عَنِ الله، ويبلُغُ الرِّضا بهذا العارفِ إلى أن يضحَك يومَ ماتَ ولَدُه؟!

قال [175/ ب] شيخُ الإسلام ابنُ تيمية[2]: هديُ نبيِّنا ﷺ أكمَلُ من هَديِ هذا العارفِ، فإنّه ﷺ أعطَى العُبوديّة حقَّها، فاتّسَعَ قلبُه للرِّضا عنِ الله، والرّحمةِ للوَلَدِ، والرِّقةِ عليه؛ فحَمِدَ اللهَ ورَضيَ عنه في قَضائِه، وبكَى رحمة ورِقّة، فحَملَته الرّحمةُ علَى البُكاءِ، وعُبوديّتُه لله ومَحبَّتُه له علَى الرِّضا. وهَذا العارفُ ضاقَ قلبُه عنِ اجتِماعِ الأمرَينِ، ولم يتَّسِعْ بطانُه[3] لِشُهودِهما والقيامِ بهما، فشَغَلته عُبوديّة الرِّضا عن عُبوديّة الرّحمة والرِّقّة، والله أعلَم. انتهى.

قلتُ: ويُشبه هذا -والله أعلَم- قصّة نَبيِّ الله يعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إسرائيلَ الله؛ إذ حَكَى الله تعالى عنه: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾ [يوسف: 84]، وقال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ﴾ [يوسف: 18]، وقال: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ

(1) لم أقف عليه.

(2) ذكر ذلك عنه ابن القيم في زاد المعاد (ج1/ 480).

(3) كذا في الأصل، وفي زاد المعاد: باطنه.

إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: 86]، فطَريقة يعقوبَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أفضلُ من طَريقةِ هذا العارفِ، معَ كثرة أولادِ يعقوبَ، وهذه رحمَتُه ورِقَّتُه، وهذا العارفُ علَى ما قيل لم يكُن له ولَدٌ سِواه، والله تعالى أعلَم [175/ أ]. والمقصودُ: أنّ رِضا الأنبياءِ أكمَلُ وأعظَمُ من رِضا غيرِهم، وإذا رَضيَ العبدُ عنِ الله تعالى رضي الله عنه علَى قدرِ منزلَته مِنَ الله، وأقرَبُ النّاسِ مَنزِلةً عندَ الله الأنبياءُ، ثُمَّ الصِّدّيقونَ، ثُمَّ الشُّهداءُ، ثُمَّ الصّالِحونَ، ثُمَّ الأمثَلُ فالأمثَلُ.

ورَوَى ابنُ أبي الدُّنيا[1] بإسنادِه من حَديثِ أبي هُرَيرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «**إنّا مَعاشِرَ الأنبياءِ يُضاعَفُ علينا البلاءُ تَضعيفًا**»، فقُلنا: سُبحانَ الله. قال: «**أفَعَجِبتُم إنّ أشَدَّ النّاسِ بَلاءً الأنبياءُ والصّالِحونَ الأمثَلُ فالأمثَلُ؟**»، قُلنا: سُبحانَ الله، قال: «**أفَعَجِبتُم أن كان النّبيُّ مِنَ الأنبياءِ لَيَدرَعُ العباءةَ مِنَ الحاجة لا يَجِدُ غيرَها؟**»، قُلنا: سُبحانَ الله، قال: «**أفَعَجِبتُم إن كانوا لَيَفرَحونَ بالبلاءِ، كما تَفرَحونَ بالرَّخاءِ**».

وفي «صَحيحِ مُسلِمٍ»[2]: أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «**والّذي نَفسي بيَدِه لا يَقضي**

---

(1) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المرض والكفّارات، برقم: (5) من طريق يحيى بن سليم الطّائفي، عن إسماعيل بن كثير، عن زياد بن أبي زياد، عن بعض أصحاب النبي ﷺ.

رواه الإمام أحمد في مسنده، برقم: (11893) من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن زيد بن أسلم، عن رجل، عن أبي سعيد، باختلافٍ يسيرٍ. وإسناده ضعيفٌ؛ لإبهام الراوي عن أبي سعيد، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين. وهو في مصنف عبد الرزاق، برقم: (20626).

وأخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: (4024)، وأبو يعلى في مسنده، برقم: (1045)، والطحاوي مختصرًا في شرح مشكل الآثار (2210) من طريق هشام بن سعد المدَني، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد، به، مرفوعًا. وهشام بن سعد ضعيف.

(2) صحيح مسلم، برقم: (64 - 2999) من طريق سليمان بن المغيرة، عن سليمان، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب، بلفظ: «عَجَبًا لِأمرِ المُؤمِنِ، إنّ أمرَه كُلَّه خيرٌ، وليس ذاكَ لِأحَدٍ إلّا لِلمُؤمِنِ»... الحديث.

الله لِلمُؤمِنِ قَضاءً إلّا كان خَيرًا لَه، وليس ذلك إلّا لِلمُؤمِنِ؛ إن أصابَته سَرّاءُ شَكَرَ؛ فَكان خَيرًا لَه، وإن أصابَته ضَرّاءُ؛ صَبَرَ فَكان خَيرًا له».

فأخبَرَ ﷺ أنّ كُلَّ قضاءٍ يَقضيه الله للمُؤمنِ الّذي يصبرُ علَى البلاءِ ويشكُرُ علَى الرّخاءِ هو خيرٌ لَه؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: 5]، فمَن لا يصبرُ علَى البلاءِ ولا يشكُرُ علَى الرّخاءِ؛ فلا يلزَمُ أن يَكونَ القضاءُ خَيرًا لَه؛ ولِهذا أُجيبَ مَن أورَدَ علَى هذا بما يُقضَى على المُؤمنِ مِنَ المعاصي بجوابَينِ:

أحدُهما: أنّ هذا إنّما يتناوَلُ [176/ ب] ما أصابَ العبدَ، لا ما يفعَلُه العبدُ؛ كما في قولِه تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ [النساء: 79]، وكقولِه: ﴿وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الأعراف: 168]؛ أي: بالسّرّاءِ والضّرّاءِ.

الثّاني: أنّ هذا في حَقِّ المُؤمنِ الصّابرِ الشّاكرِ، والذُّنوبُ تُنقِصُ الإيمانَ، فإذا تابَ العبدُ أحبَّه الله، وقد تَرتفِعُ درَجتُه بالتّوبة. قال بعضُ السّلفِ: كان داوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بعدَ التّوبة خيرًا منه قبلَ الخطيئة[1]. فمَن قُضيَ له بالتّوبةِ كان خيرًا لَه، كما قال سعيدُ بنُ جُبيرٍ: «إنّ العبدَ لَيعمَلُ الحسنة فيَدخُلُ بها النّارَ، وإنّ العبدَ لَيعمَلُ السّيّئةَ، فيَدخُلُ بها الجنّة؛ وذلك أنّه يعمَلُ الحسَنة، فتَكونُ نُصبَ عينَيه فيَعجَبُ بها، ويعمَلُ السّيّئةَ فتَكونُ نُصبَ عينَيه، فيَستغفرُ اللهَ منها ويتوبُ إليه»[2].

---

(1) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (ج10/ 45)، وفي منهاج السنة (ج1/ 472).

(2) رواه أحمد في الزهد (ص: 396 - 397)، وابن المبارك في الزهد (162) عن الحسن مرسلًا، بلفظ مختلف. ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء (ج3/ 242) عن سعيد بن عبد الرحمن، عن أبي حازم. وذكره عن سعيد بن جبير شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (ج10/ 45) بلفظ المصنف.

وفي «صحيح البُخاري»[1]: أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «الأعمالُ بالخواتيمِ». وقد تقدمَ هذا كلّه.

فالرِّضا من أعمالِ القُلوب، وإن كان من أعمالِ القُلوبِ فكَمالُه هو الحمدُ، حتّى إنّ بعضَ السّلَفِ فسّرَ الحمدَ بالرِّضا؛ ولِهَذا جاءَ في الكتابِ والسُّنّة: حمدُ الله علَى كُلِّ حالٍ، وذلك يتضَمَّنُ الرِّضا بقَضائِه[2].

وثَبَت في «صحيح مسلِم»[3]: أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «**إنّ اللهَ لَيَرضَى عَنِ العبدِ [أن]**[4] **يأكُلَ الأكلَة**[5] **فيَحمَدَه عليها، ويَشرَبَ الشّربة فيَحمَدَه عليها**»، فكان سَبَبُ رِضا الله عن عبدِه حَمدَه له فيما أنعَمَ علَيه به مِنَ الأكلِ والشُّربِ، فكان هذا الجزاءُ العظيمُ الّذي هو أعظَمُ أنواعِ الجزاءِ؛ كما قال تعالى: ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ﴾ [التوبة: 72] في مُقابَلةِ شُكره بالحمدِ، فهذا الحديثُ دليلٌ حسَنٌ لِمَن فسّرَ الحمدَ بالرِّضا.

وفي الحديث: «**أوّلُ مَن يُدعَى إلى الجنّة الحمّادونَ الّذينَ يَحمَدونَ اللهَ في السّرّاءِ والضّرّاءِ**»[6].

---

(1) صحيح البخاري، برقم: (6607).

(2) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (ج10/ 43).

(3) صحيح مسلم، برقم: (89 - 2734).

(4) من صحيح مسلم.

(5) الأكلة هنا بفتح الهمزة؛ وهي المرة الواحدة من الأكل؛ كالغداء والعشاء.

(6) رواه الطبراني في الدعاء، برقم: (1768)، وفي المعجم الأوسط (ج3/ 240)، برقم: (3033)، وقال: لم يروه عن حبيب بن أبي ثابت إلا قيس بن الربيع، وشعبة بن الحجاج من حديث نصر بن حماد الوراق.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج10/ 95): رواه الطبراني في الثلاثة بأسانيد، وفي أحدها قيس بن الربيع، وثقه شعبة والثوري وغيرهما، وضعفه يحيى القطان وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح. ورواه البزار بنحوه، وإسناده حسن.

وكان إذا أتاه أمرٌ يَسرُّه قال: «الحمدُ لله الّذي بنِعمَتِه تَتِمُّ الصّالِحاتُ»، وإذا أتاه أمرٌ يَسُؤوه أو يكرَهه قال: «الحمدُ لله على كُلِّ حالٍ»[1].

وفي الحديثِ: أنّ مُحمَّدًا ﷺ هو صاحِبُ لِواءِ [176/ أ] الحمدِ[2]، وأُمَّتُه هم الحمّادونَ الّذينَ يَحمَدونَ اللهَ على السّرّاءِ والضّرّاءِ[3]. فالرِّضا والحمدُ عليه له مشهَدانِ:

أحدُهُما: عِلمُ العبدِ بأنّ اللهَ سُبحانه مُستَوجِبٌ لِذلك مُستحِقٌّ له لِنفسِه.

والثّاني: أن يعلَمَ أنّ اختيارَ الله لِعبدِه المُؤمِنِ خيرٌ مِن اختياره لِنفسِه، كما تقدمَ لنا قَريبًا: «لا يَقضي اللهُ لِلمُؤمِنِ قَضاءً إلّا خَيرًا له»[4]... الحديث.

قيلَ لِلحُسَينِ بنِ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُما: إنّ أبا ذَرٍّ يقولُ: الفقرُ أحبُّ إلَيَّ مِنَ الغِنَى، والسُّقمُ أحبُّ إلَيَّ مِنَ الصِّحّة. فقال: رَحِمَ اللهُ أبا ذَرٍّ؛ أمّا أنا فَأقولُ: مَنِ اتّكَلَ على حُسنِ اختيارِ الله لَم يَختَر غير ما اختارَه اللهُ لَهُ[5].

---

(1) رواه ابن ماجه في سننه، برقم: (3803) من طريق هشام بن خالد، عن الوليد بن مسلم، عن زهير بن محمد، عن منصور بن عبد الرحمن، عن أمِّه صفية بنت شيبة، عن عائشة.

ورواه ابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (378)، والحاكم (ج1/ 499) من طريق هشام بن خالد الأزرق، بهذا الإسناد، وصححه الحاكم. وله شاهد من حديث علي بن أبي طالب عند البغوي في شرح السنة (1380). وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (ج4/ 131): هَذا إسناد صَحيح.

(2) رواه في الإمام أحمد في مسنده، برقم: (2546) عن ابن عباس، بلفظ: وبِيَدي لِواءُ الحمدِ، ولا فَخرَ.

(3) رواه الدارمي في مسنده، برقم: (7 - 3) من طريق زيد بن عوف، عن أبي عوانة، عن عبد الملك بن عمير، عن ذكوانَ، عن أبي صالح، عن كعب. بلفظ: أُمَّتُه الحمّادونَ، يَحمَدونَ الله في السّرّاءِ والضّرّاءِ، يَحمَدونَ الله في كُلِّ مَنزِلة، ويُكَبِّرونَه... الحديث.

(4) تقدَّم قريبًا.

(5) رواه بسنده الإمام القشيري في رسالته (ج2/ 344)، وابن عساكر في تاريخه (ج13/ 253)، وذكره عنه الشيخ عبد القادر الجيلاني في الغنية لطالبي طريق الحق (ج2/ 331).

وقال الفُضَيلُ بنُ عياضٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لِبشرٍ الحافي: الرِّضا أفضَلُ مِنَ الزُّهدِ في الدُّنيا؛ لَأنّ [الرّاضي](1) لا يَتمَنّى فَوقَ مَنزلَتِه(2).

وسُئِلَ أبو عُثمانَ(3)، عن قولِ النّبيِّ ﷺ: «أسألك الرِّضا بعدَ القضاءِ»(4)؟ فقال: لِأنّ الرِّضا قَبلَ القضاءِ عَزمٌ علَى الرِّضا، والرِّضا بعدَ القضاء هو الرِّضا(5).

(1) زيادة ضرورية، من الرسالة القشيرية وغيرها.

(2) ذكره عنه القشيري في رسالته (ج2/ 344)، والجيلاني في الغنية لطالبي طريق الحق (ج2/ 331)، وشيخ الإسلام ابن تيمية في الاستقامة (ج2/ 82).

(3) هو سعيد بن إسماعيل بن سعيد الحيري، الصوفي، المتوفَّ سنة (298هـ). مرت ترجمته بالتفصيل سابقًا.

(4) رواه الإمام أحمد في مسنده، برقم: (21666) من طريق أبي المغيرة، عن أبي بكر، عن ضمرة بن حبيب، عن أبي الدرداء، عن زيد بن ثابت. وإسناده ضعيف؛ لانقطاعه، ضمرة بن حبيب لم يسمع من أبي الدرداء، وأبو بكر -وهو ابن أبي مريم- ضعيف. ورواه ابن خزيمة في التوحيد (ج1/ 33)،

والطبراني في الكبير، برقم: (4803)، وفي الشاميين، برقم: (1481)، وفي الدعاء، برقم: (321)،

والبيهقي في الدعوات الكبير (43) من طريق أبي المغيرة، بهذا الإسناد.

ورواه الحاكم (ج1/ 516 - 517)، والبيهقي في السنن برقم: (42) من طريق عيسى بن يونس، عن أبي بكرة، عن ضمرة، عن زيد، لم يذكر أبا الدرداء. وإسناده منقطع، ضمرة لم يسمع من زيد.

ورواه الطبراني في الكبير، برقم: (4932)، وفي مسند الشاميين، برقم: (2013)، وفي الدعاء، برقم: (320) عن بكر بن سهل الدمياطي، عن عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن ضمرة بن حبيب، عن زيد، لم يذكر أبا الدرداء.

(5) والأثر رواه البيهقي في شعب الإيمان، برقم: (193) من طريق أبي عبد الرحمن السلمي، عن عبد الله الرازي، به. وشيخ البيهقي أبو عبد الرحمن السلمي تكلموا فيه.

ورواه أيضًا القشيري بإسناده في رسالته (ج2/ 344)، وذكره الجيلاني في الغنية (ج2/ 331).

وقيلَ: الرِّضا: ارتِفاعُ الجزعِ في أيِّ حُكمٍ كان[1]. وقيلَ: رَفعُ الاختيارِ[2]. وقيلَ: استِقبالُ الأحكامِ[3]. وقيلَ: سُكونُ تحتَ مجاري الأحكامِ[4]. وقيلَ: نظَرُ القلبِ إلى قديمِ اختيارِ الله للعبدِ، وهو تَركُ التَّسَخُّطِ[5].

قال بعضُ السَّلَفِ: اعلم أنّ العِزَّ في خصلةٍ واحِدةٍ: هيَ طاعةُ الله تعالى. والذُّلَّ في واحِدةٍ: وهيَ معصيةُ الله تعالى. والغِنَى في واحِدةٍ: وهيَ الرِّضا بقَسمِ الله تعالى. والفقرُ في واحِدةٍ: وهيَ استِقلالُ نعَمِ الله. والنّاسُ مُتفاوتونَ بشيءٍ واحِدٍ؛ وهو العقلُ، ويتَميَّزونَ بالعِلمِ ويرتَفِعونَ بالحِلمِ، ويفوزونَ بالعمَلِ، وعلَيكَ في دُنياكَ بقبضِكَ علَى دينِكَ.

وكتَبَ عُمرُ بنُ الخطّابِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ إلى أبي موسَى الأشعريِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أمّا بعدُ؛ فإنّ الخيرَ كُلَّه في الرِّضا، فإنِ استَطَعتَ أن تَرضَى وإلّا فاصبِر[6]. وقال أبو عليٍّ الدّقّاقُ: الإنسانُ خَزَفٌ، [177/ ب] وليس لِخزَفٍ مِنَ الخطَرِ ما يُعارِضُ فيه حُكمَ الحقِّ تَعالى[7]. وقال أبو عُثمانَ الحيريُّ: مُنذُ أربعينَ سَنة ما أقامَني الله تعالى في حالٍ فكَرِهتُه، وما نَقَلَني إلى غيره فَسَخِطتُه[8].

---

(1) نسبه الإمام القشيري في رسالته (ج2/ 344) إلى أبي عمر الدمشقي.

(2) نسبه أبو بكر الكلاباذي والإمام القشيري إلى الجنيد، انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف (ص: 102)، والرسالة القشيرية (ج2/ 344).

(3) نسبه أبو بكر الكلاباذي، والقشيري إلى: رويم. انظر: المصدرين السابقين.

(4) نسبه الإمام القشيري إلى: الحارث المحاسبي. الرسالة القشيرية (ج2/ 344).

(5) نسبه أبو بكر الكلاباذي، والإمام القشيري إلى: ابن عطاء الله.

(6) ذكره عنه الإمام القشيري في رسالته (ج2/ 345)، والشيخ عبد القادر الجيلاني في الغنية لطالبي طريق الحق (ج2/ 329).

(7) ذكره عنه الإمام القشيري في رسالته (ج2/ 345)، وابن القيم في مدارج السالكين (ج2/ 345).

(8) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (ج10/ 244)، والخطيب البغدادي في تاريخه (ج10/ 144) من طريق أبي القاسم القشيري. وانظر: المصدرين السابقين.

فَصْلٌ

والرِّضا ثلاثة أقسام:

◉ رِضا العوامِّ بما قَسَمَه الله تعالى وأعطاه.

◉ ورِضا الخواصِّ بما قدَّرَه الله تعالى وقَضاه.

◉ ورِضا خَواصِّ الخواصِّ به لا[1] من كُلِّ ما سِواهُ[2].

قال ذو النّونِ المِصريُّ: «ثَلاثة من أعلامِ الرِّضا:

◉ تَرْكُ الاختيارِ قبلَ القضاءِ.

◉ وَفُقدانُ المرارةِ بعدَ القضاءِ.

◉ وَهَيجانُ الحُبِّ في حَشوِ البلاءِ»[3].

وقال الشّيخُ العارفُ الواسِطيُّ[4]: «استَعمِلِ الرِّضا جُهدَكَ. ولا تَدَعِ الرِّضا يَستَعمِلُكَ؛ فتَكونَ مَحجوبًا بلَذَّتِه ورُؤيَتِه عن حَقيقَتِه».

وقال في موضِعٍ آخَرَ: «إيّاكم واستِحلاءَ الطّاعاتِ، فإنّها سُمومٌ قاتِلة»[5]. وهو معنَى قولِه: «استَعمِلِ الرِّضا [جُهدَكَ][6]. لا تَدَعِ الرِّضا يَستَعمِلُكَ»[7]؛ أي: لا يكونُ عمَلُكَ لِأجلِ حُصولِ حَلاوةِ الرِّضا؛ بحيثُ

(1) كذا في الأصل، وفي المدارج: بدَلاً.

(2) ذكره ابن القيم في مدارج السالكين (ج2/ 174).

(3) رواه بإسناده أبو نعيم في حلية الأولياء (ج9/ 341)، والإمام القشيري في رسالته (ج2/ 344)، وذكره الشيخ عبد القادر الجيلاني في الغنية لطالبي طريق الحق (ج2/ 331).

(4) ذكره عنه الإمام القشيري في رسالته (ج2/ 343).

(5) ذكره عنه الإمام القشيري في رسالته (ج2/ 343).

(6) زيادة ملحة من المدارج.

(7) تقدَّمَ قريبًا.

تكونُ هي الباعِثة لكَ [عليه][1]، بلِ اجعَله آلة لكَ وسَببًا موصِلًا إلى مَقصودِكَ[2].

ولا يرِدُ علَى الواسِطيِّ قولُ أبي سُليمانَ الدّاراني: «أهل اللّيلِ في لَيلِهم ألَذُّ من أهل اللهوِ في لَهوِهم ولَعِبِهم»[3]؛ لأنّ العُبّادَ وأربابَ الأحوالِ يَحصُلُ لهم في عِباداتِهم مِنَ اللّذّاتِ الأُخرويّة أعظَمُ ما يَحصُلُ لِأهل الدُّنيا في مَعاصيهم مِنَ النَّشَواتِ[4] واللّذّاتِ الدُّنيويّة [177/ أ]، لكِن ليسَ الباعِثُ لهم علَى عِباداتِهم هذه اللّذّة، بل هم عاكِفونَ علَى عبادة محبوبِهم، وما أمَرَهم به من ذكرٍ وصَلاةٍ وصيام وقيام وغيرِ ذلك؛ فحصَلَتِ اللّذّة بذلك في الطّريقِ، فلو لم يَجعَل لهم لذّةً لم يَترُكوا ما هم فيه ولا يقصِّروا عنه.

والمقصودُ: أنّ العبدَ يكونُ مستعمِلًا للرِّضا؛ لا أنّ الرِّضا مُستعمِلٌ[5] لَه[6]، وهذا لا يختصُّ بالرِّضا، بل هو عامٌّ في جميعِ الأحوالِ والمقاماتِ القلبيّة الّتي يسكُنُ إليها القلبُ، حتّى إنّه لا يكونُ عامِلًا علَى المحبّة لأجلِ المحبّة وما فيها مِنَ اللّذّة والسُّرورِ والنّعيم.

بل يستعمِلُ المحبّة في تراضي المحبوبِ، لا يقِفُ عندَها. فهذا من عِللِ المحبّة، وعلَى هذا فقِسِ التّوكُّلَ، والصّبرَ، والإنابة، وغيرَ ذلك مِنَ المنازلِ؛ تَرشُد إن شاءَ الله.

---

(1) زيادة ملحة من المدارج.

(2) مدارج السالكين (ج2/ 174).

(3) رواه أبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (ج1/ 473)، برقم: (155)، (4/ 383)، برقم: (1568)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (ج34/ 146).

(4) في الأصل: النشآت، وما أثبتناه هو الأقرب للمعنى المقصود.

(5) في الأصل: مستعملاً، والمثبت هو الجادة.

(6) كذا في الأصل: وفي المدارج: لك.

فَصْلٌ

في الكلام علَى قولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر: 27- 30].

قال بعضُ المشايخِ: لم يَدَع[1] في هذه الآيةِ الكريمةِ للمُتسخِّطِ إليه سبيلًا؛ فلأنّه قيَّدَ رُجوعَها إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بوصفِ الرِّضا، فلا سَبيلَ إلى الرُّجوعِ إليه معَ سلبِ ذلك الوصفِ عنها، كما قيَّد في قولِه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 32]، فإنّما أوجَبَ لهم هذا السّلامَ مِنَ الملائكةِ، والبِشارةَ بقيدٍ؛ وهو وفاتُهم طَيِّبينَ فلم تُبقِ الآيةُ لِغيرِ الطَّيِّبِ سبيلًا[2].

وقال أبو الفرَجِ بنُ الجوزيِّ[3] بعدَ أن تكلَّم علَى ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ﴾ قال: وفي معنَى ﴿ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ثلاثة أقوالٍ:

أحدُها: الرّاضية بقَضاءِ الله. قاله مُجاهِدٌ[4].

---

(1) في الأصل: تدع، والمثبت من المصادر الآتية.

(2) ذكره أبو إسماعيل الهروي في منازل السائرين (ص: 51)، وانظر: مدارج السالكين (ج2/ 176).

(3) زاد المسير في علم التفسير (ج9/ 123).

(4) رواه الدولابي في الكنى والأسماء (ج1/ 297)، برقم: (515) من طريق الحجاج بن المنهال، عن إبراهيم، عن إسماعيل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾: الرّاضية، قال: الرّاضية بقَضاءِ الله.

ورواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (ج4/ 200)، برقم: (1731) من طريق المعتمر بن سليمان، عن إبراهيم، به. ورواه الطبري في تفسيره (ج24/ 395)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (ج6/ 589) لسعيد بن منصور، والفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم أيضًا، من طرق، عن مجاهد نحوه

والثَّاني: أنَّها المُؤمنةُ. قاله ابنُ عبَّاسٍ[1] [178/ ب]. وقال الزَّجَّاجُ[2]: المُطمئنَّة بالإيمانِ.

والثَّالثة: الموقنة بما وعَدَ الله. قاله قتادة[3]. انتَهَى ما ذكَرَه.

فالنَّفسُ المُطمئنَّة بالإيمانِ، المُصدِّقةُ بالبعثِ والثَّوابِ والعِقابِ؛ وهيَ الرَّاضيةُ بما حصَلَ لها من كرامة الله عَزَّوَجَلَّ، ونالَته عندَ الرُّجوعِ إليه، فحَصَل لها رِضاها والرِّضا عنها.

وقدِ اختلَفَ المُفسِّرون في أيِّ وقتٍ يُقال لها ذلك علَى قولَينِ:

أحدُها: عندَ خروجِها مِنَ دارِ الدُّنيا وقدومِها علَى الله عَزَّوَجَلَّ. قاله الأكثَرون، حكاه القُرطبيُّ[4]، وابنُ الجوزيِّ[5].

قال عبد الله بنُ عُمرٍو[6] رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: إذا توفِّي العبدُ المُؤمِنُ، أرسَلَ الله تعالى إليه مَلَكَينِ، وأرسَلَ له بتُحفة مِنَ الجنَّة، فيُقالُ: اخرُجي أيَّتُها النَّفسُ المُطمئنَّة، اخرُجي إلى رَوحٍ ورَيحان، ورَبٍّ عنكِ راضٍ[7].

---

(1) عزاه الطبري في تفسيره (ج24/ 395) إلى الكلبي بلا إسناد.

(2) معاني القرآن وإعرابه (ج5/ 324).

(3) ذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير (ج 9/ 123). والمروي عن قتادة: هو المؤمن اطمأنت نفسه إلى ما وعد الله، رواه الطبري في تفسيره (ج24/ 393).

(4) تفسير القرطبي (ج20/ 287).

(5) زاد المسير (ج9/ 123).

(6) في الأصل: عمر، والمثبت هو الصواب، كما في مصادر الرواية.

(7) رواه عبد الرزاق في مصنفه، برقم: (6702)، وهناد بن السري في الزهد (ج1/ 205)، وعبد بن حميد في تفسيره، كما في شرح الصدور في حال الموتى والقبور (ص: 88)، والطبراني في المعجم الكبير (ج13/ 355)، برقم: (14174)، والثعلبي في الكشف والبيان (ج29/ 364 - 365) بسند رجاله ثقات.

وذكره الواحدي في الوسيط (ج4/ 487)، والبغوي في معالم التنزيل (ج8/ 424). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج2/ 330 - 331): رواه الطبراني في المعجم الكبير ورجاله ثقات.

وقال الحسَنُ: إذا أرادَ الله تعالى قبضَها اطمأنّت إلى رَبِّها، فرَضيَت عَنِ الله فيَرضَى الله عنها[1].

والثّاني: عندَ البعثِ يُقال: ارجِعي إلى صاحبِكِ وإلى حبيبِكِ، فيأمُرُ الله الأرواحَ أن تعودَ إلى الأجسادِ، رواه العوفيُّ، عنِ ابنِ عبّاسٍ[2]. وبه قال عَطاءٌ[3]، وعِكرِمة[4]، والضّحّاكُ[5].

وفرَّقَ قومٌ آخَرون بقولٍ ثالِثٍ: أنّ قولَه: ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨﴾ يُقالُ لها عندَ الموتِ، وقولُه: ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ إنّما يُقالُ لها ذلك يومَ القيامة.

قال أبو صالِحٍ[6]: ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ﴾ عندَ خُروجِها مِنَ الدُّنيا، فإذا كان يومَ القيامةِ؛ قيلَ لها: ادخُلي في عِبادي وادخُلي جنّتي[7].

---

(1) رواه البخاري في صحيحه معلقًا قبل حديث رقم (4942) سورة الفجر، وذكره عنه البغوي في تفسيره (8/ 423).

(2) رواه الطبري في تفسيره (ج24/ 397)، وذكره البغوي في معالم التنزيل (ج8/ 424)، والماوردي في النكت والعيون (ج6/ 272).

(3) ذكره البغويُّ في معالم التنزيل (ج8/ 424)، وابن الجوزي في زاد المسير (ج9/ 123).

(4) أخرجه الطبري في تفسيره (ج24/ 397)، وذكره البغويّ في معالم التنزيل (8/ 424)، وابن الجوزي في زاد المسير (9/ 123).

(5) رواه عبد بن حميد، كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (ج6/ 590)، والطبري في تفسيره (ج24/ 397)، وذكره البغويّ في معالم التنزيل (ج8/ 424)، وابن الجوزي في زاد المسير (ج9/ 123).

(6) مولى أم هانئ، ضعيف يرسل.

(7) رواه الطبري في تفسيره (ج24/ 397) عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح. ورواه أيضًا ابن المنذر، وابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (ج6/ 590).

وذكره البغوي في معالم التنزيل (ج8/ 424)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (ج20/ 58)، وابن الجوزي في زاد المسير (ج9/ 124).

وقال الماورديُّ(1): ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ إلى الدُّنيا ﴿ٱرْجِعِىٓ﴾ إلى الله بتَركِها؛ فيكون علَى هذا قولًا رابعًا [178 / أ].

وقال أبو الفرجِ ابنُ الجوزيِّ(2)، والنَّقّاشُ: ارجِعي إلى ثوابِ ربِّكِ. قاله الحسَنُ(3). فهذا قولٌ خامسٌ.

وقال عِكرِمةُ(4): ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾: قال: الرّوحُ في الجسدِ، حكاه النّقّاشُ(5). فعلَى هذا يكونُ قولًا سادِسًا، لكِن هذا المعنَى في رواية العوفيِّ، عنِ ابنِ عبّاسٍ(6): ارجعي إلى صاحِبكِ وإلى جسَدِكِ، وهو قولُ عطاءٍ والضّحّاكِ، وقد تقدمَ.

وقرَأ سعدُ بنُ أبي وقّاصٍ، وأُبيُّ بنُ كعبٍ، وابنُ عبّاسٍ، ومُجاهِدٌ، والضّحّاكُ، وأبو العاليةِ، وأبو عِمرانَ: «فادخُلي في عبدي» علَى التّوحيدِ(7).

قال الزّجّاجُ: فعلَى هذه القِراءةِ -والله أعلم- يكونُ المعنَى: ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾؛ أي: صاحِبكِ الّذي خرَجتِ منه فادخُلي فيه(8). وعلَى القِراءة

---

(1) النكت والعيون (ج6/ 272).

(2) زاد المسير (ج9/ 124).

(3) ذكر البغَويّ في معالم التنزيل (ج8/ 424)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (ج20/ 58)، وابن الجوزي في زاد المسير (ج9/ 124)، والرازي في مفاتيح الغيب (ج31/ 178)، ولم ينسبه.

(4) تقدّم تخريجه قريبًا.

(5) لم أقف عليه.

(6) تقدم تخريجه قريبًا.

(7) رواه الطبري في تفسير (ج24/ 399) وعزاها إلى ابن عبّاس.

وذكر القراءة: ابن خالويه في مختصر في شواذ القرآن (ص: 174)، وابن جني في المحتسب (ج20/ 360)، والنحاس في إعراب القرآن (ج5/ 226)، والدمياطي في إتحاف فضلاء البشر (2/ 609)، وهي قراءة غير متواترة.

(8) معاني القرآن وإعرابه (ج5/ 325).

الأولَى -وهيَ المشهورةُ المُتواترة-: ادخُلي في عِبادي في جُملة عِبادي المُصطَفين.

وقال الفرّاءُ[1]: ادخُلي معَ عبادي. وهذا الرُّجوعُ الّذي حصَلَ للنّفس فيه رِضاها والرِّضا عنها، وهذا الرِّضا في الحالتَينِ إنّما حصَلَ لها ونالَته بالطُّمأنينةِ، والله أعلم.

وذكَرَ الحافظ مُحمَّدُ بنُ المُنذر الهرَويُّ[2] في كتابِ «العجائب» بسنَدِه عن قَباثِ بنِ رَزينٍ[3]، قال: أُسِرتُ في بلادِ الرّوم، فجَمعنا الملكُ وعَرَض علينا دينَه على أنّ مَن امتَنَعَ ضَرَبَ عُنُقَه، فارتَدَّ ثَلاثة، وجاءَ الرّابعُ فامتَنَعَ فضُرِبَت عُنُقُه، وأُلقِي رأسُه في نَهرٍ هُناكَ، فرَسَبَ في الماءِ، ثُمَّ طَفا علَى وجه الماءِ، ونَظَر إلى أولئِكَ الثّلاثة، فقال: يا فُلانُ، ويا فُلانُ، ويا فُلانُ بأسمائِهم، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾ ... إلى آخرِها، ثُمَّ غاصَ في الماءِ، فكادَتِ النّصارَى أن يُسلِموا، ووَقَعَ سَريرُ الملِكِ ورَجَعَ أولئِكَ الثّلاثة إلى الإسلام، قال: وجاءَ الفِداءُ من عندِ الخليفةِ أبي جَعفرٍ المنصور، فخَلَّصَنا[4].

---

(1) معاني القرآن (ج3/ 263)، وذكره عنه النحاس في إعراب القرآن (ج5/ 140).

(2) محمد بن المنذر بن سعيد بن عثمان السُّلمي الهروي، أبو عبد الرحمن، المعروف بشَكّر، سمع من: محمد بن رافع، وعلي بن خَشرَم، وعمر بن شَبّه، وغيرهم. وروى عنه: أبو الوليد حسّان بن محمد، وأبو عمرو بن مطر، وأبو حامد بن الشّرقيّ، وغيرهم. توفّي سنة (303هـ). انظر: تاريخ الإسلام (ج7/ 72).

(3) قَباث بن رزين بن حُمَيد، أبو هاشم المصري. كان إمام جامع مصر. روى عن: عكرمة، وعلي بن رباح. وعنه: ابن المبارك، وابن وهب، وأبو عبد الرحمن المقرئ. قال عنه أبو حاتم: لا بأس به. توفي سنة (156هـ). انظر: تاريخ الإسلام (ج4/ 186).

(4) ذكره ابن كثير في تفسيره (ج8/ 401).

البَابُ الرَّابِعَ عَشَرَ

في الشُّكر

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [البقرة: 172]، وقال تعالى: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: 152]، وقال تعالى: ﴿وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144]، وقال: ﴿وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل: 78]، والآياتُ كثيرةٌ في هذا المعنى.

فالشُّكرُ: هو الاعترافُ بحقِّ المُنعِمِ مع الثَّناءِ عليه، وهي من أعلى منازلِ [179/ ب] القوم، وهيَ أعلى من مقام الرِّضا؛ فإنّ الشّاكرَ يشهَدُ المُصيبةَ نِعمةً، فيشكرُ المُبتلي عليها، فإنّ الشُّكرَ يتضمَّنُ الرِّضا وزيادة، فالرِّضا مُندرِجٌ في الشُّكرِ، وهو نصفُ الإيمانِ، فإنّ الإيمانَ نِصفانِ: نصفُ شُكرٌ، ونِصفُ صَبرٌ، وقد أمَرَ الله تعالى به في كِتابه كما تقدمَ، ونَهى عن ضِدِّه، وأثنى على أهله، ووَصَفَ به خَواصَّ خلقه، قال تعالى عن خليله إبراهيمَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ﴾ [النحل: 120 - 121]، وقال تعالى في حقِّ نوحٍ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ [الإسراء: 3]، وقد أمَر الله -سبحانه- موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أن يَشكرَه على ما آتاه، فقال: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: 144]، وحكى الله عن نَبيِّه سُليمانَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال: ﴿لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ

لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: 40]. ووعدَ الشّاكرينَ بأحسنِ جزائِه، وجَعَلَه سببًا للمَزيدِ من فضلِه وكرَمِه، وحارسًا وحافظًا لِنعَمِه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7].

وقد ذكَرَ أبو الفرجِ[1] في الآية ثلاثة أقوالٍ:

أحدُها: لَئِن شَكَرتُم نِعَمي لأزيدَنّكُم من طاعَتي. قاله الحسَنُ[2].

الثّاني: لَئِن شَكرتُم إنعامي لأَزيدَنّكم من فضلي. قاله الرّبيعُ[3].

الثّالث: لَئِن وحّدتُموني لأَزيدَنّكُم خيرًا في الدُّنيا. قاله مُقاتِلٌ[4].

﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ فيها قولانِ:

أحدُهُما: أنّه الكُفرُ بالتّوحيدِ.

والثّاني: كُفرانُ النِّعَم. انتهى[5].

وقال **الفُضَيلُ بنُ عياضٍ**: كان يُقالُ: مَن عَرَفَ نِعمةَ الله بقَلبِه، وحَمِدَه بلِسانِه؛ لم يَستَتِمَّ ذلك حَتّى يَرَى الزّيادةَ؛ لِقولِه تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[6] [إبراهيم: 7].

---

(1) زاد المسير (ج 4/ 347).

(2) رواه الطبري في تفسيره (ج13/ 602) من طريق مالك بن مغول، عن أبان بن أبي عيّاش، عن الحسن.

(3) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (ج7/ 2235 - 2236)، برقم: (12216)، وذكره عنه محمد بن حبيب الماوردي في النكت والعيون (ج3/ 123).

(4) تفسير مقاتل (ج2/ 399).

(5) أي: كلام ابن الجوزي.

(6) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، برقم: (56)، عن محمد بن علي بن شقيق، عن إبراهيم بن الأشعث، عن الفضيل بن عياض. ومن طريقه رواه البيهقي في شعب الإيمان، برقم: (4215).

وقال الحسَنُ: إذا أنعَمَ الله علَى قوم سَألهم الشُّكرَ، فإذا شَكروه كان قادِرًا على أن يَزيدَهم، وإذا كَفروه كان قَادِرًا يقلِبُ نِعمَتَه عليهم عَذابًا(1).

وقد أخبرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَنِ الشّاكرينَ أنّهم هُمُ المُتنعّمونَ بآياته، واشتَقَّ لهم اسمًا من اسمائِه، فإنّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من أسمائِه الحُسنى: الشّكورُ، وسَمَّى نفسَه في كِتابه شاكِرًا وشَكورًا.

وسَمَّى الشّاكِرينَ أيضًا في [179/ أ] كتابه بهَذَينِ الاسمَين، فأعطاهم من وصفِه، وسمّاهم باسمِه، وحَسبُكَ بهذا محبّة للشّاكرينَ وفضلًا لهُم. فهو -سبحانه- موصِلٌ للشّاكرِ إلى مشكوره، بل يُعيد الشّاكِرَ مشكورًا. وهو غاية رِضا الرّبِّ من عبدِه، وأهله هُمُ القليلُ من عباده؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ [سبأ: 13].

وقد رَوَى الإمامُ أحمدَ(2): عن عُمرَ بنِ الخطّابِ، أنّه سَمِعَ رَجُلًا يقولُ: اللهم اجعَلني مِنَ الأقلّينَ، فقال: ما هَذا؟ قال: يا أميرَ المُؤمنينَ؛ إنّ اللهَ تعالَى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: 40]، وقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: 24]، فقال عُمَرُ: صَدَقتَ.

وقال في حَقِّ مَن تلَذّذَ بآياته وتَنعّمَ بها: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: 19]، يعني: التّذكرةَ بالآياتِ والنّفعَ بما اختَصَّ الله بها كُلَّ صبّارٍ علَى طاعة الله، وصبّارٍ علَى معصيته، وشَكورٍ لِنعمَتِه.

---

(1) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، برقم: (60) من طريق سريج، عن عون، عن الحسن. ومن طريقه رواه البيهقي في شعب الإيمان، برقم: (4216).

(2) الزهد، برقم: (593) من طريق محمد بن غيلان، عن سفيان، عن ابن جُدعان، قال: سمع عمر رجلا يقول: «اللهم اجعلني من الأقلين» فقال: «يا عبد الله وما الأقلون؟» قال: سمعت الله يقول: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾، وذكر آيات أخر، فقال عمر: «كل أحد أفقه من عمر».

والصَّبّارُ: الكثيرُ الصّبرِ. والشّكورُ: الكثيرُ الشُّكرِ. ثُمَّ شَكَر فعلهم علَى ذلك، وأعطاهم وجازاهم عظيمَ الجزاءِ، فقال في حقِّهم في سورة ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: 22]؛ يعني: ما وصَفَ الله في هذه السّورة من نعيم كان لكُم جزاءً بأعمالِكُم. ﴿وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا﴾؛ أي: عمَلُكم في الدُّنيا بطاعةَ الله مشكورًا عندي. قال عطاءٌ: ﴿مَّشۡكُورًا﴾ يُريدُ تعالَى: أنّي شَكَرتُكم عليه وأثَبتُكم أفضَلَ الثّوابِ عليهِ(1).

كما قسَّمَ النّوعَ الإنساني في أوَّلِ هذه السّورة؛ إلى: شَكورٌ، وكفورٌ، فأبغَضُ الأشياءِ إلى الله الكفرُ وأهله، وأحَبُّ الأشياءِ إليه الشُّكرُ وأهله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: 3]، وقرَنَ -سُبحانه- الشُّكرَ بالإيمانِ وأخبرَ أنّه لا غرَضَ له في عذابِ خلقه إن شَكَروه وآمَنوا به، فقال تعالى: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ﴾ [النساء: 147]؛ أي: إذا وفَّيتُم بما خَلَقتُكم لَه؛ وهو الشُّكرُ والإيمانُ، فما أصنَعُ بعذابِكُم بعدَ هذا. وأمّا رِضا الرّبِّ عَزَّوَجَلَّ عن عبدِه به: فكَقولِه تعالى: ﴿وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ﴾ [الزمر: 7].

واعلم: أنّ قِلّة أهلِه في العالَم يدُلُّ علَى أنّهم هم خَواصُّه، وقد تقدمَ قولُه تعالَى: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13]، وفي «الصّحيح»(2): عَنِ النّبيِّ ﷺ أنّه قامَ حَتّى تَوَرَّمَت قدماه [180/ ب]، فَقيلَ لَه: أتفعَلُ هَذا وقد غفرَ الله لَكَ من ذَنبِكَ ما تَقدمَ وما تأخَّرَ؟ قال: «**أفَلا أكونُ عبدا شَكورًا**».

فأهلُ الشُّكرِ: هم المخصوصونَ بمِنّته عليهم من بينِ عِبادِه، فقال تعالى:

---

(1) ذكره عنه الواحدي في التفسير الوسيط (ج4/ 405)، والبغوي في معالم التنزيل (ج8/ 298)، وابن الجوزي في زاد المسير (ج 8/ 440).

(2) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الفتح رقم (4836)، وصحيح مسلم (79 - 2819).

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: 53].

وقد ذكَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كثيرًا مِنَ الأعمالِ وأوقَفَ جزاءَها على المشيئة؛ كقوله تَعالى: ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾ [التوبة: 28]، وقولِه في إجابة الدُّعاءِ: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾ [الأنعام: 41]، وقولِه في الرِّزقِ: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: 212]، وفي المغفرة: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: 129]، وفي التَّوبة: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ [التوبة: 15].

وأطلَقَ جزاءَ الشُّكرِ إطلاقًا من غيرِ توقُّفٍ على مَشيئةٍ أو غيرِها، فقال تعالى: ﴿وَسَنَجْزِي ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: 145]، ﴿وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144]. ولَمّا عَرَفَ عدوُّ الله إبليسُ قدرَ مَقامِ الشُّكرِ، وأنّه أجلُّ المقاماتِ وأعلاها وأرفَعُها وأسناها؛ جعَلَ غايَتَه واجتِهادَه أن يسعَى في قطعِ النّاسِ عنه، فقال: ﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: 17]. وقد أخبَرَ اللهُ تَعالى أنّه إنّما يَعبُدُه مَن شَكَرَه، فمَن لم يَشكُره؛ لم يَكُن من أهلِ عِبادَتِه؛ فقال تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: 172].

فَصْلٌ

وأمّا الأحاديثُ والآثارُ في الشُّكرِ، ومَدحِه ومَدحِ أهلِه، والتَّرغيبِ فيه، والدُّعاءِ به، والإعانةِ عليه فكَثيرةٌ أيضًا:

فقد روَى الإمامُ أحمد، والتِّرمذيُّ(1)، من حَديثِ ابنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،

(1) رواه الإمام أحمد في مسنده (ج3/ 452)، برقم: (1997) من طريق يحيى، عن سفيان، عن شعبة، عن عمرة بن مرة، عن عبد الله بن الحارث، عن طليق بن قيس، عن ابن عباس. ورواه الإمام البخاري في الأدب المفرد، برقم: (665)، وأبو داود في سننه، برقم: (1511)، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم: (607)، وابن حبان في صحيحه، ذكر الخبر المدحض قول من=

أنّ النبي ﷺ كان يدعو بهؤلاء الدّعَواتِ: «اللهم أعِنّي، ولا تُعِن عَلَيَّ، وانصُرني، ولا تَنصُر عَلَيَّ، واهدِني ويسِّر الهُدَى لي [180/ أ]، وانصُرني على مَن بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجعَلني لَكَ شاكِرًا، لَكَ ذاكِرًا، لَكَ راهبًا، لَكَ مِطواعًا، لَكَ مُخبِتًا[1]، إليك أوّاهًا[2] مُنيبًا، رَبِّ تَقبَّل توبَتي، واغسِل حَوبَتي[3]، وأجِب دَعوَتي، وثَبِّت حُجَّتي، واهدِ قَلبي، وسَدد لِساني، واسلُل سَخيمة[4] صَدري».

وعن مُعاذِ بنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ رسول الله ﷺ أخَذَ بيَدي يومًا، ثُمَّ قال: «يا مُعاذُ؛ والله إنّي لأُحِبُّكَ»، فقال: «أوصيكَ يا مُعاذُ: لا تَدَعَنّ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ أن تَقولَ: اللهم أعِنّي على ذِكرِكَ، وشُكرِكَ، وحُسنِ عِبادَتِكَ»، رواه أحمدُ، وأبو داوُدَ، والنّسائيُّ، وابنُ حبّان، وصحّحه الحاكم، وقال: «علَى شرطِ الشّيخَينِ»[5].

=زعم أن هذا الخبر لم يسمعه عمرو بن مرة، عن عبد الله بن الحارث، برقم: (6739) من طريق يحيى بن سعيد، بهذا الإسناد. قال أبو حاتم: محمد بن يحيى بن سعيد أبو صالح ما حدثنا عنه أبو يعلى إلا هذا الحديث. ورواه عبد بن حميد، برقم: (717)، والإمام البخاري في الأدب المفرد، برقم: (664)، وأبو داود في سننه، برقم: (1510)، وابن ماجه في سننه، برقم: (3830)، والترمذي في جامعه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، برقم: (3884)، من طرق عن سفيان الثوري، به. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، ورواه الطبراني في الدعاء، برقم: (1412) من طريق أحمد بن أبان القرشي، عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن مرة، به.

(1) مخبتًا: خاضعًا، خاشعًا، مطيعًا. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (خبت)، (ج3/ 1101).

(2) أوّاهًا: المتأوه: المتضرع. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (أوه)، (ج1/ 196).

(3) الحوبة: الإثم. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (حوب)، (ج3/ 1059).

(4) السخيمة: الحقد في النفس. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (سخم) (ج5/ 1890).

(5) رواه أحمد في مسنده، برقم: (22119) من طريق حيوة، عن عقبة بن مسلم التُّجيبي، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن الصُّنابحي، عن معاذ بن جبل. ورواه أبو داود في سننه، برقم:=

وعن شدّادِ بنِ أوسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يُعلِّمُنا كَلِماتٍ نَدعو بهِنّ في صَلاتِنا، -أو قال: في دُبُرِ صَلاتِنا-: «اللهم إنّي أسالك الثّباتَ في الأمرِ، وأسألك العزيمة على الرُّشدِ، وأسالك شُكرَ نِعمَتِك، وحُسنَ عِبادَتِكَ، وأسالك قَلبًا سَليمًا، وأسالك لِسانًا صادِقًا، وأستَغفِرُكَ لِما تَعلَمُ، وأسالك من خَيرِ ما تَعلَمُ، وأعوذُ بكَ من شَرِّ ما تَعلَمُ»، رواه الإمامُ أحمدُ، والنّسائيُّ[1].

وقال أبو بكرِ بنُ أبي الدُّنيا[2]: حَدَّثَنا إسحاقُ بنُ إسماعيلَ، قال:

=(1522)، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم: (109)، والبزار في مسنده، برقم: (2661)، وابن حبان في صحيحه، ذكر الاستحباب للمرء أن يستعين بالله جل وعلا على ذكره وشكره وحسن عبادته عقيب الصلوات المفروضات، رقم (492)، والحاكم (ج1/ 273)، و(3/ 273 - 274) من طريق عبد الله بن يزيد المقرئ، بهذا الإسناد. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. ورواه النسائي في المجتبى (ج3/ 53) من طريق عبد الله بن وهب، وابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم: (118) من طريق يحيى بن يعلى، كلاهما عن حيوة بن شريح، به.

(1) رواه الإمام أحمد في مسنده، برقم: (17133) من طريق يزيد بن هارون، عن أبي مسعود الجُريري، عن أبي العلاء بن الشِّخير، عن الحنظلي، عن شدّاد بن أوس. وإسناده ضعيفٌ؛ لإبهام الراوي عن شداد بن أوس، وأبو مسعود الجريري - واسمه: سعيد بن إياس - قد اختلط، ورواية يزيد بن هارون عنه بعد اختلاطه. ورواه الترمذي في جامعه، أبواب الدعوات عن ﷺ، قال الترمذي: هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه، برقم: (3726)، والنسائي في الكبرى، برقم: (10648)، وفي عمل اليوم والليلة، برقم: (812)، وابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم: (751) من طرق عن الجريري، بهذا الإسناد. ورواه النسائي في المجتبى (ج3/ 54)، وابن حبان في صحيحه، برقم: (6612)، من طريق حماد بن سلمة، عن الجريري، عن أبي العلاء بن الشخير، عن شداد بن أوس، به. وهذا إسناد منقطع لم يذكر الحنظلي في الإسناد.

(2) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، برقم: (4)، بهذا الإسناد. وبرقم: (109) من طريق الجروي، عن عمرو بن أبي سلمة، عن أبي عبيدة الحكم بن عبدة، عن حيوة بن شريح، عن عقبة بن مسلم، عن عبد الرحمن الحبلي، عن الصُّنابحي، عن معاذ. ورواه بالإسناد الثاني الإمام أحمد في مسنده، برقم: (22119)، وأبو داود في سننه، برقم: (1522)، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم: (109) من طريق المقرئ، عن حيوة، عن عقبة بن مسلم، به. ورواه ابن أبي=

حَدَّثَنا أبو مُعاوية، وجعفَرُ بنُ عَونٍ، عن هِشام بنِ عُروة، قال: كان من دُعاءِ رسول الله ﷺ: «اللهم أعِنّي على ذِكرِك، وشُكرِك، وحُسنِ عِبادَتِك».

وحَدَّثنا مَحمودُ بنُ غيلانَ، قال: حَدَّثَنا المُؤَمَّلُ بنُ إسماعيلَ، قال: حَدَّثَنا حَمّادُ بنُ سَلَمة [181/ ب]، قال: حَدَّثَنا حُمَيدٌ الطَّويلُ، عن طَلقِ بنِ حَبيب، عَنِ ابنِ عَبّاس، أنّ رسول الله ﷺ قال: «أربَعٌ مَن أُعطِيَهُنّ فَقد أُعطِيَ خَيرَ الدُّنيا والآخِرة: قَلبًا شاكِرًا، ولِسانًا ذاكِرًا، وبَدَنًا على البلاءِ صابِرًا، وزَوجة لا تَبغيه خَوفًا في نَفسِها ولا في مالِه»[1]، وفي لفظٍ: «وَزَوجة مُؤمِنة صالِحة»[2]. وذكَرَ أيضًا حديثَ القاسم بنِ مُحمَّدٍ، عن عائِشةَ، أنّ النّبيَّ ﷺ، قال: «ما أنعَمَ الله على عبد نِعمَة، فَعَلِمَ أنّها من عند الله؛ إلّا كَتَبَ الله له شُكرَها، وما عَلِمَ الله من عبدٍ نَدامة على ذَنبٍ؛ إلّا غُفِرَ له قَبلَ أن يَستَغفِرَه، وإنّ الرّجُلَ يَشتَري الثّوبَ بالدّينارِ فَيَلبَسُه فَيَحمَدُ اللهَ فَما يَبلُغُ رُكبَتَيه حَتّى يُغفَرَ لَه»[3].

=شيبة في مصنفه، (ج6/ 51)، برقم: (29400)، من طريق حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، بالإسناد الأول، والبيهقي في الدعوات الكبير، برقم: (274) من طريق محمد بن عبد الوهاب، عن جعفر بن عون، به.

(1) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، برقم: (34)، وفي كتاب الصبر والثواب، برقم: (34)، بهذا الإسناد. رواه الطبراني في المعجم الكبير (ج11/ 134)، برقم: (11275)، والمعجم الأوسط، برقم: (7212) من طريق محمود بن غيلان، عن مؤمل بن إسماعيل، به. وقال: تفرد به: محمود بن غيلان. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (ج4/ 273)، وقال: رواه الطبراني في الكبير، والأوسط، ورجال الأوسط رجال الصحيح.

(2) رواها الترمذي في جامعه، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ برقم: (3369)، وابن ماجه في سننه، برقم: (1856). وقال العراقي في تخرج أحاديث إحياء علوم الدين (ج2/ 958): رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه واللفظ له من حديث ثوبان وفيه انقطاع اهـ.

(3) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، برقم: (47) من طريق الحسن بن الصّبّاح، عن محمد بن سليمان، عن هشام بن زياد، عن أبي الزناد، به. ورواه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: (4503)، وقال: لم يرو هذا الحديث عن القاسم بن محمد إلا الوليد بن أبي هشام، ولا عن الوليد إلا السكن البرجمي، تفرد به: سليمان بن داود. وراه الحاكم في المستدرك (ج1/ 695)=

وذكر ابنُ أبي الدُّنيا بإسنادِه[1]: أنّ النبيَّ ﷺ قال: «لا يرزُقُ الله عبدا الشُّكرَ فَيَحرِمه الزِّيادة؛ لأنّ اللهَ تعالى يقولُ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾» [إبراهيم: 7].

وذكر أيضًا عن عليِّ بنِ أبي طالِبٍ أنّه قال لِرَجُلٍ من هَمدانَ: «إنّ النِّعمة مَوصولة بالشُّكرِ، والشُّكرُ مُتَعلِّقٌ بالمزيدِ، وهما مَقرونانِ في قَرنٍ، فلَن يَنقَطِعَ المزيدُ مِنَ الله حتّى يَنقَطِعَ الشُّكرُ مِنَ العبدِ»[2].

وقال عُمَرُ بنُ عبد العزيزِ: «قَيِّدوا نِعَمَ الله بشُكرِ الله»[3]، وكان يُقالُ: «الشُّكرُ قَيدُ النِّعَم»[4].

وقال مُطَرِّفُ بنُ عبد الله: «لَأن أُعافَى فَأشكُرَ أحَبُّ إلَيَّ من أن أُبتَلَى فَأصبِرَ»[5]. وقال عَونُ بنُ عبد الله: «الخيرُ الّذي لا شَرَّ معه: الشُّكرُ مع العافيةِ، والصّبرُ مع المُصيبة»[6].

=من طريق السكن البرجمي، به. وقال الحاكم: هذا حديث لا أعلم في إسناده أحدًا ذكر بجرح، ولم يخرجاه.

(1) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، برقم: (3) من طريق علي بن داود، عن عبد الله بن صالح، عن أبي زهير يحيى بن عُطارد القرشي، عن أبيه. ومن طريقه رواه البيهقي في شعب الإيمان، برقم: (4208).

(2) رواه ابن أبي الدُّنيا في الشكر، برقم: (18) من طريق محمد بن إدريس، قال: يُروى عن عليٍّ... فذكره. ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان، برقم: (4214).

(3) رواه البيهقي في شعب الإيمان، برقم: (4226) من طريق ابن أبي الدنيا، عن محمد بن صدران الأزدي، عن يزيد بن يزيد، عن عمر بن عبد العزيز.

(4) ذكره الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص: 206)، وابن القيم في مدراج السالكين (ج2/ 235).

(5) رواه معمر بن راشد في جامعه، برقم: (20468)، ووكيع في الزهد، برقم: (201)، والإمام أحمد في الزهد، برقم: (1353)، وابن أبي الدنيا في الشكر، برقم: (28).

(6) رواه أبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (ج6/ 313)، برقم: (2685)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (ج4/ 254) عن عون بن عبد الله.

وقال أبو هارونَ: دَخلتُ على أبي حازمٍ، فَقُلتُ: [181/ أ] رَحِمَكَ اللهِ؛ ما شُكرُ العينَين؟ قال: «إذا رَأيتَ بهما خيرًا أذعتَه، وإذا رَأيتَ بهما شرًّا سَترتَه»، قُلتُ لَه: فما شُكرُ الأُذُنين؟ فقال: «إذا سَمِعتَ بهما خيرًا حَفِظتَه، وإذا سَمِعتَ بهما شرًّا نَسيتَه»، قُلتُ: فَما شُكرُ اليدَين؟ قال: «لا تَأخُذ بهما ما ليس لَكَ، ولا تَمنَع حَقَّ اللهِ فيهما»، قُلتُ: فَما شُكرُ البطنِ؟ قال: «أسفَلُه صَبرًا، وأعلاه عِلمًا»، قُلتُ: فَما شُكرُ الفرجِ؟ قال: «كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ﴾ [المؤمنون: 5] فَإن أنت فَعَلتَ؛ فَأنت شاكِرٌ»(1).

فَصْلٌ

والشُّكرُ مبنيٌّ علَى خمسة قواعِدَ:

خُضوعُ الشّاكرِ للمَشكورِ، وحُبُّه لَه، واعتِرافُه بنِعمَته، والثّناءُ علَيه بها، وألّا يستعملَها فيما يكرَه.

فهذه الخمسةُ هيَ أساسُ الشُّكرِ، وبِناؤه عليها، فمتى عُدِم منها واحِدةٌ اختلَّ من قواعدِ الشُّكرِ قاعدة.

وكلُّ مَن تكلَّم في الشُّكر وحَدِّه فكلامُه إليها يرجِعُ، وعلَيها يدورُ. فقيلَ: حَدُّ الشُّكرِ: الاعتِراف بنِعمةِ المُنعِم علَى وجه الخُضوعِ. وقيلَ: الثّناءُ علَى المُحسنِ بذِكرِ إحسانه. وقيلَ: هو عُكوفُ القلبِ علَى محبّة

---

(1) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، برقم: (129) من طريق محمد بن يحيى بن أبي حاتم، عن محمد بن هانئ، عن بعض أصحابه، قال: قال رجلٌ لأبي حازم. ومن طريق ابن أبي الدنيا رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (ج3/ 243)، والبيهقي في شعب الإيمان، برقم: (4244)، وفي إسناده مجهول.

المُنعِـم، والجـوارحِ علَـى طاعَتِـه، وجَريـانُ اللِّسـانِ، والثّنـاء عليـهِ[1]. وقيـلَ: هـو مُشَـاهدة المِنَّـةِ وحفـظُ الحُرمـة[2].

وقـال حمـدونُ القصّـارُ[3]: شُـكرُ النِّعمـةِ أن تَـرَى نَفسَـكَ فيهـا طُفَيليًّـا[4].

وقـال أبـو عُثمـانَ[5]: الشُّـكرُ: معرفـة العجز عَـنِ الشُّـكرِ[6]. وقيـلَ: الشُّـكرُ: إضافـة النِّعَـم إلـى موليهـا بنَعـتِ الاستِكانَةِ لَـه[7].

وقـال الجُنَيـدُ: الشُّـكرُ: أن لا تَـرَى نفسَـكَ أهـلا للنِّعمـةِ[8] [182/ ب]. وهـذا معنَـى قـولِ القصّـارِ أن يَـرَى نَفسَـه فيهـا طُفَيليًّـا.

وقـال رويـمٌ: الشُّـكرُ: استِفراغُ الطّاقـةِ[9]. وقـال الشِّـبليُّ: الشُّـكرُ: رُؤيـة المُنعِـمِ لا رُؤيـة النِّعمـة[10].

---

(1) ذكره الفيروزآبادي في بصائر ذوي التمييز (ج3/ 338).

(2) روى هـذا القولَ السُّلميُّ في طبقات الصوفيّة (179) بإسناده عن أبي بكر الورّاق. وعزاه إلى أبي بكرٍ الورّاق أيضًا الإمامُ القشيري في رسالته (ج1/ 312)، وكذلك الشيخ عبد القادر الجيلاني في الغنية لطالبي طريق الحق (ج2/ 424).

(3) هـو حمدون بـن أحمد بـن عـمارة، أبـو صالـح النيسابوري الصّوفي العـارف، المعروف بحمدون القصّار. شيخ الصّوفي. قُدوة الملامَتيّة: وهو تخريب الظاهر، وعمارة الباطن، مع التزام الشريعة، وكان فقيهًا على مذهب سفيان الثوري. سمع من: إسحاق بن راهويه، ومحمد بن بكّار، وجماعة. روى عنه: أبو حامد الأعمشي، ومكي بن عبدان، وأبو جعفر أحمد بن حمدان، وآخرون. توفي سنة (271هـ). انظر: تاريخ الإسلام (ج6/ 541).

(4) ذكره عنه الإمام القشيري في رسالته (ج1/ 312).

(5) أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الحيري. سبقت ترجمته بأوسع من ذلك.

(6) ذكره عنه الإمام القشيري في رسالته (ج1/ 312)، وأبو بكر الطرطوشي سراج الملوك (ص: 106).

(7) ذكره عنه الإمام القشيري أيضًا في رسالته (ج1/ 312).

(8) ذكره عنه الإمام القشيري في رسالته (ج1/ 313)، والغزالي في إحياء علوم الدين (ج4/ 85)، والشيخ عبد القادر الجيلاني (ج2/ 325). (9) المصدر السابق.

(10) ذكره عنه ابن القيم في مدارج السالكين (ج2/ 235).

قال العلّامة ابنُ القيِّم[1] بعدَ أن حَكَى قولَ الشِّبلي، قال: يَحتمِلُ كلامَه أمرَين:

أحدُهُما: [أن][2] يفنَى برُؤية المُنعِم عن رُؤية نعمَتِه.

والثّاني: أن لا تَحجُبَه رُؤيةُ نِعَمِه ومُشاهَدَتُها عن رُؤيةِ المُنعِمِ بها. وهذا أكمَلُ. والأوّلُ أقوَى عندَهُم.

والكمالُ: أن يَشهَدَ النِّعمةَ والمُنعِمَ؛ لأنّ شُكرَه بحسَبِ شُهودِه للنِّعمة. فكُلّما كان أتَمَّ كان الشُّكرُ أكمَلَ. والله تعالى يُحِبُّ من عبده: أن يَشهَدَ نِعَمَه، ويَعترِفَ بها، ويُثنيَ عليه بها، ويُحِبَّه عليها، لا أن يَفنَى عنها، ويَغيبَ عن شُهودِها[3]. انتهَى كلامَه.

وقيلَ: الشُّكرُ: قَيدُ النِّعَمِ الموجودة، وصَيدُ النِّعَمِ المفقودةِ[4].

وقال صاحِبُ كِتابِ «العِلَلِ الّتي تدخُل المقاماتِ»[5]: وأمّا الشُّكرُ: فرُؤيةُ النِّعمة، والثّناءُ علَى مُعطيها، والقيامُ بحَقِّها، والإقرارُ بوُجودِها وهو للعَوامِّ؛ لأنّه مُعارضة طَولِه بحَولِك، وفي طَريقِ الخاصِّ: هو القيامُ بمكانِ المُعطي، والهُربُ من رِقِّ المِنّةِ، والاستِراحة من حَقِّ الوُجودِ، والظُّهورُ في معرضِ المقاومة واللُّحوظِ إلى قوّة النّفسِ، وهو عَينُ البقاءِ، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [إبراهيم: 34].

قال ابنُ بَطّالٍ في «شرحِ البُخاريِّ»[6]: وقدِ اختَلَفَ السّلَفُ في حَدِّ

---

(1) المصدر السابق.

(2) الزيادة من المدارج.

(3) أي: كلام ابن القيم في المدارج.

(4) ذكره ابن القيم في المدارج (ج2/ 235).

(5) أنظر: العلل التي تدخل المقامات (ص322).

(6) شرح صحيح البخاري؛ لابن بطّال (10/ 183).

الشُكرِ: فقال بعضُهم: شُكرُ العبدِ لِربِّه علَى أياديه عندَ رِضاه بقضائِه وقدرِه، وتَسليمُه لِأمرِه فيما نابَه من خيرٍ أو شَرٍّ. ذكَرَه الرّبيعُ بنُ أنَسٍ(1).

وقال آخَرونَ: شُكرُ العبدِ طاعة لِربِّه، رُوي ذلك عَنِ السُّدّي(2). وقال آخَرونَ: الشُّكرُ لله هو الإقرارُ بالنِّعَم أنّها منه، وأنّه المُتفَضِّلُ بها(3). ذكَرَه ابنُ جَريرٍ الطَّبريُّ، ثُمَّ قال: والصّوابُ في ذلك: أنّ شُكرَ العبدِ هو إقرارُه بأنّ ذلك مِنَ الله دونَ غيرِه إقرارًا حينئذٍ(4).

وقال في موضِعٍ آخَر: وأمّا شُكرُهُم: سُرورُهم بموجودِهِم، قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦ﴾ ... الآيةَ [التوبة: 111] انتَهَى ما ذكَرَه(5).

وفي كلامِه غُموضٌ، بل كلامُه في طَريقِ الخاصِّ كلامٌ غيرُ مُستقيمٍ؛ لأنّ المُكافأةَ إنّما تكونُ في حَقِّ مَخلوقٍ لِمَخلوقٍ مِثلِه، بل كثيرٌ مِنَ النّاسِ مَن يُسدي إليكَ معروفًا فلا تَقدِرُ على [182/ أ] أن تُكافِئَه عليه، فكيف بالخالقِ؟!! ولو أنّ السُّلطانَ كسا عبدًا من عبيده ثوبًا من ثيابه، فأخَذَ يَشكُرُ السُّلطانَ علَى ذلك: لَعُدَّ مُخطِئًا، مُسيئًا للأدَبِ؛ فإنّه مُدَّعٍ بذلك مُكافأةَ السُّلطانِ بشُكره. فإنّ الشُّكرَ مُكافأةٌ، والعبدُ أصغَرُ قدرًا مِنَ المُكافأةِ.

قُلنا: هذا علَى طريقِ أهلِ الثّناءِ، وما يلزَمُ أنّ مَن شَكَر النِّعمةَ يكونُ

---

(1) رواه ابن بشران في أماليه (2/ 323)، برقم: (1609) من طريق أبي بكر الآجري، عن محمد بن أحمد العسكري، عن إبراهيم بن عبد الله، عن محمد بن بدر العِجلي، عن إسحاق بن سليمان، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن بعض أصحابه، قال:... وعلامة الشكر: الرضا بقضاء الله عَزَّوَجَلَّ والتسليم لقدره.

(2) ذكره عنه ابن الملقن في التوضيح لشرح الجامع الصحيح (ج29/ 495).

(3) ذكره أيضًا ابن بطّال في شرحه على البخاري (ج10/ 183).

(4) تفسير الطبري (ج20/ 368).؟؟؟؟؟

(5) أي: انتهى ما نقله عن ابن بطّال في شرحه.

قد كافأ عليها، بل يكونُ مُقرًّا بها غير جاحِدٍ نعمةَ سَيِّده، ولهذا قال ﷺ في الهدية: «مَن أسدَى إليكم معروفًا فكافِئوه، فَإن لم تَقدِروا فادعوا له»[1].

وكذلك الهرَبُ من رِقِّ المِنّة، والكلامُ فيها كالكلام في غيرها، وكذلك قولُه للعَوامّ، فجعَلَ الشُّكرَ الّذي هو نصفُ الإيمانِ والإسلام أنّه للعوامّ، وهذا خطأٌ منه، فإنّ الشُّكرَ هو طَريقُ رُسُلِ الله وأنبيائه، وأخَصِّ خلقِه وأقرَبِهم إليه منزلةً، وأيُّ مَقامٍ أعلَى من مقامِ الشُّكرِ الّذي يندَرِج فيه جميعُ مَقاماتِ الإيمانِ مِنَ المحبّة والرِّضا والتّوكُّلِ ونحوِ ذلك من مقاماتِ الإيمانِ، وهل لِلأنبياءِ والأولياءِ والأتقياءِ وغيرِهم من خَواصِّ خلقِ الله وأهلِ القُرَبِ منه أرفَعُ مِنَ الشُّكرِ ولا أعلَى من درَجَتِه، وقد ذكَرتُ ذلك، وأذكُرُ ما هو أبيَنُ منه، وأتَمُّ إن شاءَ الله.

وقد وقَعَ في مثلِ هذه المقالةِ شيخُ الإسلام الأنصاريُّ، وجعَلَ الشُّكرَ من سُبُلِ العامّة، وواخَذَهُ[2] العلّامة ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقالتِه، ثُمَّ قال بعدَ ما واخَذَه في مقالتِه: لكنّ الشّيخَ وأصحابَ الثّناءِ كلِّهم يَرَون أنّ فوقَ مقامِ الشُّكرِ مَقامًا أجَلَّ منه وأعلَى؛ لأنّ الشُّكرَ يتَضَمَّنُ نَوعَ دَعوَى، وأنّه

---

(1) رواه الإمام أحمد في المسند، برقم: (5365) من طريق عفّان، عن أبي عوانة، عن سليمان الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عمر، بلفظ: «... ومَن أتَى إليكم مَعروفًا فكافِئوه، فَإن لم تَجِدوا ما تُكافِئوه، فادعوا له».

ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده برقم (1895)، والبخاري في الأدب المفرد، برقم: (216)، وأبو داود في السنن، برقم: (5109)، والنسائي في المجتبى (ج5/ 82)، وفي السنن الكبرى، برقم: (2348)، والحاكم في مستدركه (ج1/ 412) من طرق، عن أبي عوانة، به. بلفظ الإمام أحمد. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

ورواه أبو داود في السنن أيضًا، برقم: (1672)، وابن حبان في صحيحه (1172)، والحاكم في مستدركه (1/ 412 – 413) من طرق، عن الأعمش، به.

(2) آخذَه، وواخَذَه لُغتان.

شُكرُ الحقِّ علَى إنعامِه. فَفي الشّاكِرِ بقيّة من بَقايا رَسمِه لم يَفنَ عنها.

وذكَرَ كلامًا طويلًا إلى أن قال: وهذا غاية كلامِهم لِكُلِّ أحدٍ غير المعصوم. والله أعلَمُ[1].

فَقيلَ: شُكرُ العامّة: علَى المطعَم، والملبَس، ومَلاذِّ النّفس والبدَن. وشُكرُ الخاصّة: علَى التّوحيدِ، والإيمانِ، وقوتِ القُلوب بما يُرضي المحبوبَ؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ﴾ [الأعراف: 43].

قال داودُ: يا رَبِّ؛ كيف أشكُرُكَ؟ وشُكري نِعمةٌ عَلَيَّ من عندكَ تَستَوجِبُ بها شُكرًا. فقال: الآنَ شَكَرتَني يا داوُدُ[2].

وفي أثَرٍ آخَرَ إسرائيليٍّ: أنّ موسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال: يا رَبِّ؛ خلَقتَ آدمَ بيَدِكَ، ونَفَختَ فيه من روحِكَ، وأسجَدتَ له مَلائِكَتَكَ، وعَلَّمتَه أسماءَ كُلِّ شَيءٍ، وفَعَلتَ وفَعَلتَ، فَكيف أطاق بشُكرِكَ، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: عَرَفَ أنّ ذلك مِنّي فَكانت مَعرِفَتُه بذلك شُكرًا لي[3].

وقال قومٌ: الشُّكرُ: التّلَذُّذُ بثَنائِه علَى ما لم تَستَوجِب من عَطائِهِ[4].

قال الجُنَيدُ -وَقد سَأله خالُه سري السّقَطيّ عَنِ الشُّكرِ، وهو صَبيٌّ

---

(1) مدراج السالكين (ج2/ 239 - 240).

(2) رواه ابن أبي حاتم عن الفضيل، كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (ج6/ 680)، وذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (ج4/ 439).

(3) رواه هنّاد بن السرّي في كتابه في الزهد (ج2/ 399)، برقم: (777) قال: حدثنا محمد بن عبيد، عن يوسف، عن الحسن... فذكره.

ورواه الثعلبي في الكشف والبيان (ج3/ 298) من طريق سيف بن ميمون، عن الحسن. وذكره ابن القيِّم في عدة الصابرين (ص: 164) عن الحسن، وذكره أيضًا في مدارج السالكين (ج2/ 236) بدون نسبة، اقتصر على قوله: وفي أثر آخر إسرائيلي.

(4) ذكره الإمام القشيري في رسالته (ج1/ 314).

بعدُ-: الشُّكرُ: أن لا يُستَعانَ بشَيءٍ مِن نِعَمِ الله على مَعاصيهِ[1]. فقال: مِن أينَ لَكَ هَذا؟ قال: مِن مُجالَستِكَ.

وفي أثَرٍ إلَهيٍّ: يقولُ الله تعالى: «أهل ذِكري أهل مُجالَستي، وأهل شُكري أهل زيادَتي، وأهل طاعَتي أهل كَرامَتي، وأهل مَعصيَتي لا أُقَنِّطُهم من رَحمَتي، إن تابوا فأنا حَبيبُهم، وإن لم يَتوبوا فأنا طَبيبُهم، أبتَليهم بالمصائِبِ؛ لأُطَهِّرَهم مِنَ المعائِبِ»[2].

فَصْلٌ

وأصلُ الشُّكر في اللُّغةِ: ظُهورُ أثَرِ الغِذاءِ في أبدانِ الحيوانِ ظُهورًا بيِّنًا، حتَّى في عُرفِ أهل زمانِنا يقولون: دابّة [183/ ب] شَكورة؛ إذا أكَلَت فبانَ سِمَنُها بأكلِها، يُقال: شَكِرَتِ الدّابّة تَشكَرُ شكَرًا على وزنِ سَمِنَت تَسمَنُ سِمَنًا؛ إذا ظَهَر عليها أثَرُ العلَفِ. ويُقال أيضًا: دابّة شَكورةٌ؛ إذا ظَهَرَ عليها مِنَ السِّمَنِ فوقَ ما تُعطى مِنَ العلَفِ[3].

وفي «صَحيحِ مسلِمٍ»[4]: «حَتَّى إنّ الدّابّة لَتَشكُرُ من لُحومِهم»؛ أي:

---

(1) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (ج10/ 268)، وذكره، وذكر الذي بعده الإمام القشيري في رسالته (ج1/ 314).

(2) لم أقف عليه مسندًا، لا موصولاً، ولا مقطوعًا، ولا معلَّقًا، وكأنّه مركَّب. وذكرَه شيخُ الإسلام ابن تيمية في (ج10/ 86)، وابن القيم في مدارج السالكين (ج2/ 236).

(3) ذكر ما سبق ابنُ القيم في مدراج السالكين (ج2/ 244).

(4) لم أقف عليه في صحيح مسلم. ورواه الإمام أحمد في المسند، برقم: (10632) من طريق، سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أبي رافع، عن أبي هريرة، بلفظ: «...إنّ دَوابَّ الأرضِ لَتَسمَنُ وتَشكُرُ شُكرًا من لُحومِهم ودِمائِهم». ورواه ابن ماجه (4080) من طريق عبد الأعلى بن عبد الأعلى السامي، والطبري في تفسيره (ج15/ 398 - 399) من طريق يزيد بن هارون، كلاهما عن سعيد بن أبي عروبة، بهذا الإسناد. وأخرجه الترمذي (3439)، والحاكم (ج4/ 488) من طريق أبي عوانة الوضاح، وابن حبان في صحيحه، برقم: (5001)=

تَسمَنُ من كثرة ما تَأكُلُ منها. فإذا كانت هذه دابّة ظَهَر عليها شُكرُ ما أطعَمَها رَبُّها، فالعبدُ بطَريقِ الأولَى والأحرَى أن يتَعدَّى الشُّكر لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالقولِ والفِعلِ، فإنّه أثَرُ نِعمة الله علَى عبدِه ثَناء واعتِرافًا، وعلَى قلبِه شُهودًا ومَحبّة، وعلَى جَوارِحه انقيادًا وطاعة.

قال بعضُ السّلَف: «مَن كتَمَ النِّعمة فقد كفَرَها، ومَن أظهَرَها ونَشَرَها فقَد شَكَرَها»[1]، يُؤَيِّدُ هذا قولُ النّبيِّ ﷺ: «**إنّ اللهَ تعالى إذا أنعَمَ على عبد نِعمة أحَبَّ أن يَرَى أثَرَ نِعمَتِه على عبده**»[2]؛ كما قيلَ [من الكامل]:

وَمِنَ الرَّزِيّة أنّ شُكرِيَ صامِتٌ عَمّا فَعَلتَ وأنّ بِرَّكَ ناطِقُ[3]

فكَمالُ نِعمةِ الله علَى عبدِه: أن هَداه للإسلام والسُّنّة، وعافاه في بَدَنِه، ثُمّ تَوَفّاه عليهما، فَسعادة الدُّنيا والآخِرة ونورُهما مبنيٌّ علَى هذه الأركانِ. وقد أمَرَ الله تَعالى نَبيَّه مُحمَّدًا[4] ﷺ أنْ يُحدِّثَ بنعمة رَبِّه، فقال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: 11]، فالله تَعالى يُحِبُّ من عبدِه

=من طريق سليمان بن طرخان، كلاهما عن قتادة، به. قال الترمذي: حديث حسن غريب، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(1) ذكره ابن القيم في مدارج السالكين (ج2/ 246).

(2) رواه الإمام أحمد في مسنده، برقم: (8107)، من طريق يحيى بن آدم، عن شريك، عن ابن موهب، عن أبيه، عن أبي هريرة، ورفعه بلفظ: إنّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُحِبُّ أن يَرَى أثَرَ نِعمَتِه على عبده. وإسناده ضعيفٌ جدًّا؛ لعلّتين: شريك -وهو ابن عبد الله النخعي - سيىء الحفظ، وابنُ موهب -وهو يحيى بن عبيد الله بن عبد الله بن موهب - متروك.

ورواه بلفظ المصنف ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، برقم: (50) بإسناد آخر: عن روح بن عُبادة، عن شعبة، عن الفضل بن فضالة، عن أبي رجاء، عن عمران بن حصين.

(3) البيت لأبي تمام الطائي في الموازنة؛ لأبي القاسم الآمدي (ج3/ 272)، والمنتحل؛ لأبي منصور الثعالبي (ج1/ 87)، والدر الفريد؛ للمستعصمي (ج2/ 55)، وبلا نسبة في الرسالة القشيرية (ج1/ 315)، والتذكرة الحمدونية (4/ 97).

(4) في الأصل: محمد، والمثبت الجادة.

أن يَرَى عليه أثَر نِعمِه، فإنّ ذلك شُكرٌ لها بِلسانِ الحالِ.

وقال شُعبة: حَدَّثنا الفضلُ بنُ فَضالة، عن أبي رَجاءٍ العُطارِديِّ، قال: خَرجَ علينا عِمرانُ بنُ حُصَينٍ، وعليه مُطَرِّفُ خَزٍّ لم نَرَه عليه قَبلُ ولا بعدُ، فقال: إنّ رسول الله ﷺ، قال: «**إذا أنعَمَ الله على عبد نِعمة [183/ أ] يُحِبُّ أن يَرَى أثَرَ نِعمَتِه على عبده**»[1].

وفي صَحيفة عمرو بنِ شُعَيبٍ، عن أبيه، عن جَدِّه، عَنِ النّبيِّ ﷺ قال: «**كُلوا واشرَبوا وتَصَدَّقوا في غير مَخيلة، ولا سَرَفٍ، فإنّ اللهَ يُحِبُّ أن يَرَى أثَرَ نِعمَتِه على عبده في مَأكَلِه ومَشرَبه**»[2].

وقال **الفُضَيلُ بنُ عياضٍ**: من شُكرِ النِّعمة أن تُحَدِّثَ بها[3].

وقد رَوَى ابنُ أبي الدُّنيا من حَديثِ عبد الرّحمنِ السُّلميِّ[4]، عَنِ الشّعبيِّ، عَنِ النُّعمانِ بنِ بَشير، قال: قال رسول الله ﷺ: «**التّحَدُّثُ بالنِّعَم شُكرٌ، وتَركُها كُفرٌ، ومَن لم[5] يَشكُرِ القليلِ لا يَشكُرِ الكثيرَ، ومَن لم[6] يَشكُرِ النّاسَ لا يَشكُرِ اللهَ، والجماعةُ بَرَكةٌ، والفُرقةُ عَذابٌ**»[7].

---

(1) سبق تخريجه قريبًا.

(2) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده، برقم: (2375)، والترمذي في جامعه، برقم: (3044)، وابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، برقم: (51)، والحاكم في المستدرك (ج4/ 150) من طريق عبد الصمد بن عبد الوارث ثنا همام عن قتادة، به. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسَنٌ. وقال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحُ الإسنادِ، ولم يُخرِّجاه، ووافقه الذهبي.

(3) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، برقم: (56) بهذا الإسناد مطولاً، ورواه القضاعي في مسند الشهاب، برقم: (44) من طريق ابن أبي الدنيا، به. مقتصرًا على قوله: «التّحَدُّثُ بالنِّعَمِ شُكرٌ»، وذكره الديلمي في الفردوس، برقم: (2437).

(4) كذا في الأصل، وفي كتاب الشكر، ومسند الشهاب؛ للقضاعي: الشّامي.

(5) كذا في الأصل، وفي كتاب الشكر: لا.

(6) كذا في الأصل، وفي كتاب الشكر: لا.

(7) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، برقم: (64).

وقال بَكرُ بنُ عبد الله المُزَني[1]: رأيتُ حَمّالًا حامِلًا[2]، وهو يَقولُ: الحمدُ لله، وأستَغفِرُ اللهَ. قال: فانتَظَرتُه حَتَّى وضَعَ ما على ظَهرِه، وقُلتُ لَه: ما تُحسِنُ غير هَذا؟ قال: بَل أُحسِنُ خيرًا كَثيرًا، أقرَأُ كِتابَ الله، غير أنّ العبدَ بينَ نِعمة وذَنب، فأحمد اللهَ على نَعمائِه السّابغة، وأستَغفِرُه لِذُنوبي. فقُلتُ: الحمّالُ أَفقَه من بَكرٍ[3].

وقال مِسعَرٌ في قولِه تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾: قال: لم يأتِ علَى القومِ ساعة إلّا وفيهم مُصَلٍّ[4].

وقال أبو الفرجِ بنُ الجوزيِّ[5]: اعمَلوا بطاعة الله شُكرًا له علَى ما أتاكُم.

والمقصودُ: إظهارُ الشُّكرِ لله تعالى ثَناءً واعترافًا بالقولِ [184/ ب] والفِعلِ، حَتّى لا يدخُلَ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ﴾ [العاديات: 6].

قال الحسَنُ: الكنودُ: الّذي يُعَدِّدُ المصائِبَ، ويَنسَى النِّعَمَ[6].

---

(1) في الأصل: المري، والمثبت من كتاب الشكر؛ لابن أبي الدنيا وهو الصواب؛ فهو: بكر بن عبد الله المزني، أبو عبد الله البصري، من الطبقة الثالثة: الوسطى من التابعين، إمام ثبت ثقة، توفي سنة (106هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (ج4/ 532).

(2) كذا في الأصل، وفي كتاب الشكر، وعدة الصابرين؛ لابن القيم: حِملَه.

(3) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، برقم: (66) من طريق عصمة بن الفضل، عن يحيى بن يحيى، عن محمد بن نشيط، عن بكر بن عبد الله. وذكره عنه ابن القيم في عدة الصابرين (ص: 122).

(4) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، برقم: (74) من طريق علي بن الجعد، عن مزاحم بن زفر، عن مسعر. ومن طريق ابن أبي الدنيا رواه البيهقي في شعب الإيمان (ج6/ 291)، برقم: (4206).

(5) زاد المسير (ج 6/ 440).

(6) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، برقم: (62)، وفي كتاب المرض والكفارات، برقم (222)، والطبري في تفسيره (ج24/ 585) عن الحسن.

وقال القُرطبيُّ، وابنُ الجوزيِّ[1]: في «الكنود» ثَلاثة أقوالٍ:

أحَدُها: أنّه «**الّذي يَأكُلُ وحدَه، ويَمنَعُ رِفدَه، ويَضرِبُ عبده**». رواه أُبو أُمامةَ، عَنِ النّبيِّ ﷺ[2].

والثّاني: أنّه الكفورُ. قاله ابنُ عبّاسٍ، ومُجاهِدٌ، وقَتادةُ، والضّحّاكُ[3].

والثّالث: أنّه اللّوّامُ لِربِّه يُعِدُّ المصائِبَ، ويَنسَى النِّعَمَ. قاله الحسَنُ[4]. وقد تَقدم هذا القولُ عنه.

وقال ابنُ قُتَيبةَ: والأرضُ الكنودُ: التي لا تُنبِتُ شَيئًا[5]. ومنه قولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗا﴾ [الأعراف: 58].

وقد أخبَرَ النّبيُّ ﷺ أنّ النِّساءَ أكثَرُ أهلِ النّارِ لِكُفرانِهِنّ النِّعَمَ، قال

---

(1) زاد المسير (ج 9/ 209)، تفسير القرطبي (ج20/ 437).

(2) رواه الطبراني في تفسيره (ج24/ 566)، وابن حبان في المجروحين (ج1/ 212)، برقم: (178)، والطبراني في المعجم الكبير (ج8/ 245)، برقم: (7958)، من طريق صالح بن محمد، عن سلمة، عن جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة. وهو حديث ضعيف جدًّا، آفته: جعفر بن الزُّبير، متروك، وصالح بن محمَّد متهم ساقط. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج7/ 142): رواه الطّبرانيّ بإسنادين في أحدهما جعفر بن الزُّبير وهو ضعيف، وفي الآخر من لم أعرفه. ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق جعفر بن الزُّبير، كما في تفسير ابن كثير (ج14/ 436) وضعَّف إسناده. ورواه الواحدي في تفسيره الوسيط (ج4/ 544) من طريق جعفر بن الزُّبير، وتقدم الكلام عليه. ورواه البخاري في الأدب المفرد، برقم: (160) كلاهما من طريق حمزة بن هانئ عن أبي أُمامة، وحمزة بن هانئ، قال عنه الذهبي: مجهول، وقال أبو حاتم: لم يرو عنه غير حريز بن عثمان، وذكره ابن حبان في الثِّقات، وقال الآجري عن أبي داود: شيوخ حريز كلهم ثقات. الجرح والتعديل (ج3/ 216)، الثِّقات؛ لابن حبان (ج4/ 170)، المغني في الضعفاء (ج1/ 292)، لسان الميزان (ج2/ 413).

(3) رواه الطبري في تفسيره (ج24/ 584) عن مجاهد، عن ابن عبّاس. ورواه أيضًا بسنَدٍ آخر (ج24/ 586) عن سعيد، عن قتادة. وذكره عنهم الماوردي في النكت والعيون (ج6/ 325)، والواحدي في التفسير البسيط (24/ 250).

(4) تقدَّم قريبًا.

(5) غريب القرآن (ص: 536).

ﷺ: «لو أحسنتَ إلى إحداهُنّ الدّهرَ، ثُمّ رأت منك شيئًا، قالت: ما رأيتُ منكَ خيرًا قطُّ»(1)، فإذا كان هذا تركَ شُكرَ نعمةِ الزّوجِ، وهي في الحقيقةِ مِنَ الله، فكيف بمَن تركَ شُكرَ نِعمة الله، أوِ استعانَ بها على معاصيه؟ كما قيلَ [من السريع]:

يا أيُّها الظّالمُ في فِعلِه والظُّلمُ مَردودٌ على مَن ظَلم
إلى مَتى أنت وحَتّى مَتى تَشكو المُصيباتِ وتَنسَى النِّعَم(2)

وفي أثَرٍ إلَهيٍّ: «ابنَ آدمَ؛ ما أنصَفتَني، خَيري إليك نازلٌ، وشَرُّكَ إلَيَّ صاعِدٌ، أتَحبَّبُ إليك بالنِّعم، وأنا غنيٌّ عنكَ، وتَتبَغَّضُ إلَيَّ بالمعاصي وأنت فَقيرٌ إلَيَّ، ولا يَزالُ الملَكُ الكريمُ يَعرُجُ إلَيَّ منكَ بعَمَلٍ قَبيحٍ»(3). وفي أثَرٍ إلَهي أيضًا: «إنّي والإنسُ والجِنُّ في نَبإٍ عَظيمٍ، أخلُقُ ويُعبَدُ غيري، وأرزُقُ ويُشكَرُ سِواي»(4).

---

(1) متفق عليه: 1- صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب كفران العشير وكفر بعد كفر، برقم: (29)، وكتب الكسوف، باب صلاة الكسوف جماعة، برقم (1052)، وكتاب النكاح، باب كفران العشير، برقم (5197). 2- صحيح مسلم، برقم: (17 - 907).

(2) البيت في كتاب الشكر؛ لابن أبي الدنيا (63)، وقال: أنشدنا محمود الوراق، وبلا نسبة في الكشف والبيان؛ للثعلبي (ج30/ 182)، والنتحل (ص: 208).

(3) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، برقم: (43)، ومن طريق أبو نعيم في حلية الأولياء (ج2/ 377)، والبيهقي في شعب الإيمان، برقم: (4269)، وفي إسناده نظرٌ.

(4) رواه أبو القاسم الميانجي في جزئه، برقم: (36)، والبيهقي في شعب الإيمان، برقم: (4243) من طريق بقية، عن صفوان بن عمرو، عن عبد الرحمن بن جبير، وشرح بن عبيد، عن أبي الدرداء، مرفوعًا. وفي إسناده بقية -هو ابن الوليد-، صدوق كثير التدليس، عن الضعفاء. ورمز له السيوطي في الجامع الصغير بالضعف. وقال المناوي في فيض القدير (ج4/ 469): وكذا أخرجه الحاكم أيضًا. فيه عند الحاكم والمؤلف: مهنا بن يحيى مجهول، وبقية بن الوليد أورده الذهبي في الضعفاء، وقال: يروي عن الكذابين، ويدلسهم، وشريح بن عبيد ثقة، لكنه مرسل. وقول المناوي عن مهنا بن يحيى: إنه مجهول، وهَمٌ منه، بل هو ثقة ثبت، كما ذكره ابن حبان في الثقات (ج4/ 469)، وقال: مستقيم الحديث. وقال الداقطني: ثقة نبيل، كما ذكره الخطيب في تاريخ بغداد (ج13/ 266).

وفي أثرٍ إلَهيٍّ أيضًا: «يا ابنَ آدَمَ؛ ما من يوم جَديد، إلّا ويأتيك من عندي رِزقٌ جَديدٌ، وتأتيني عنكَ الملائكة بعَمَلٍ قبيح، تأكُلُ رِزقي وتعصيني، وتَدعوني فأستَجيبُ لَكَ، وتسألُني فأُعطيكَ، وأنا أدعوكَ إلى جَنّتي فتأبَى ذلك. وما هَذا مِنَ الإنصافِ»(1).

ولهذا يُقال: من شُكرِ النِّعمة التّحدُّثُ بها(2). وقد تقدَّمَ هذا قَريبًا.

وقال أبو أُمامةَ: لَبِسَ عُمَرُ بنُ الخطّابِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قميصًا، فلَمّا بَلَغَ تَرقُوَتَه، قال: الحمدُ لله الّذي كَساني ما أُواري به عَورَتي، وأتَجمَّلُ به في حَياتي [184/ أ]، ثُمَّ مَدَّ يَدَيه، فنَظَر إلى كُلِّ شَيءٍ يَزيدُ على يَدَيه فقَطَعَه، ثُمَّ أنشأ يُحدِّثُ قال: سَمِعتُ رسول الله ﷺ يَقولُ: «مَن لَبِسَ ثَوبًا -أحسَبُه قال: جَديدًا- فقال: حَتّى يَبلُغَ تَرقُوَتَه -أو قال: قَبلَ أن يَبلُغَ رُكبَتَيه مِثلَ ذلك-، ثُمَّ عَهِدَ إلى ثَوبِه الخلِقِ فكَساه مِسكينًا لم يَزَل في جِوارِ الله وفي ذِمّة الله، وفي كَنَفِ الله حَيًّا ومَيِّتًا، حَيًّا ومَيِّتًا، حَيًّا ومَيِّتًا، ما بَقِي من ذلك الثّوبِ سِلكٌ(3)»(4).

(1) لم أقف عليه. وذكره ابن القيم في مدراج السالكين (ج1/ 464).

(2) ذكره القاضي عياض في الشفا بتعريف حقوق المصطفى (ج1/ 98).

(3) كذا في الأصل. وفي كتاب الشكر؛ لابن أبي الدنيا: شِلوٌ.

(4) رواه الإمام أحمد في مسنده، برقم: (305) من طريق يزيد، عن أصبغ، عن أبي العلاء الشامي، بدون لفظ: «وما بَقي من ذلك الثّوبِ سِلكٌ». وإسناد الإمام أحمد ضعيف؛ لجهالة أبي العلاء الشامي. ورواه ابن أبي شيبة (ج8 / 453)، و(ج10 / 401)، وعبد بن حميد في مسنده، برقم: (18)، وابن ماجه في سننه، برقم: (3557)، والترمذي في جامعه، برقم: (3895)، وابن السُّني في اليوم والليلة، برقم: (272) من طريق يزيد بن هارون، بهذا الإسناد. قال الترمذي: حديث غريب. ورواه بنحوه ابن المبارك في الزهد برقم (749)، ومن طريقه الحاكم (ج4/ 193) عن يحيى بن أيوب، عن عُبيد الله بن زَحر، عن علي بن يزيد بن أبي زياد الألهاني، عن القاسم بن عبد الرحمن الدمشقي، عن أبي أُمامة، به. وهذا إسناد ضعيف أيضًا؛ لضعف علي بن يزيد الألهاني. قال الحاكم: هذا الحديث لم يحتجَّ الشيخان رَضِيَ اللهُ عَنهُما بإسناده، ولم أذكر أيضًا في هذا الكتاب مثلَ هذا، على أنه حديث تفرد به إمامُ خراسان عبد الله بن=

وقال عَونُ بنُ عبد الله: لَبِسَ رَجُلٌ قَميصًا، فقال: الحمدُ لله، فَغُفِرَ لَه، فقال رَجُلٌ: لا أرجِعُ حَتَّى ألبسَ قَميصًا وأحمد اللهَ[1]. وهَذا فصلٌ حسَنٌ ينبَغي تأمُّلُه، وفَّقَنا الله وإيّاكُم لِشُكرِه.

فَصْلٌ

وقد تقدَّم عن بعضِ السّلَفِ أنّه فَسَّر الشُّكرَ بالمحبّة، وقد تَنازَعَ العُلماءُ في الفرق بينَ الحمدِ والشُّكرِ، وأيُّهما أعلَى وأفضَلُ، وفي حَديثٍ: «**الحمدُ رَأسُ الشُّكرِ، فَمَن لم يَحمَدِ اللهَ لم يَشكُره**»[2].

قال العِمادُ الواسِطيُّ في «تفسير الفاتحةِ»[3]: وأمّا الفرقُ بينَ الحمدِ، والشُّكر[4]: أنّ الحمدَ: ثَناؤُكَ علَى مُستوجِبِ الثّناء بما هو أهله، وإن لم يَصِل إليه نَفعُه. وأمّا الشُّكرُ لا يكونُ إلّا لِمَن حصَلتَ منه على مَعروفٍ أَولاكَه فتَحمدُه علَى ما فيه وتَشكُرُه على ما منه. ولهذا قيلَ: الحمدُ ابتَداءٌ، والشُّكر جَزاءٌ. فرقٌ آخر: الحمدُ: لا يَكونُ إلّا [185/ ب] باللِّسانِ. والشُّكر يكونُ باللِّسانِ والفِعالِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: 13].

=المبارك عن أئمة أهلِ الشام رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين، فآثرت إخراجه ليرغب المسلمون في استعماله. وقال الدارقطني في العلل (ج2/ 138) بعد أن علَّل طرقه: والحديثُ غيرُ ثابت.

(1) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، برقم: (76)، من طريق محمد بن الحسين، عن خالد بن عمرو، عن مسعر، عون بن عبد الله، قال: لَبِسَ رَجُلٌ قَميصًا جَديدًا فَحَمِدَ الله فَغَفَرَ لَه، فقال رَجُلٌ: «لا أرجِعُ حَتَّى أشتَرِيَ قَميصًا جَديدًا وألبسَه وأحمد الله». قال مِسعَرٌ: يَرجو الثّوابَ بذلك. وذكره عنه العلّامة ابن القيم في عدة الصابرين (ص: 123).

(2) رواه عبد الرزاق في مصنفه، برقم: (19574)، ومن طريقه رواه البيهقي في الآداب، برقم: (716)، وشعب الإيمان، برقم: (4085)، وذكره السيوطي في الجامع الصغير، ورمز له بالحسن، انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير (ج3/ 418).

(3) لم أقف عليه.

(4) في حاشية الأصل بخط مغاير كتب عنوانًا فيه: الفرق بين الحمد والشكر.

وقال العلّامةُ ابنُ القيِّم: والفرقُ بينَ الحمدِ، والشُّكرِ: أنّ الشُّكرَ: أعَمُّ من جِهةِ أنواعه وأسبابه، وأخَصُّ من جِهةِ مُتعلّقاته. والحمدُ: أعَمُّ من جِهةِ المُتعلّقاتِ، وأخَصُّ من جِهةِ الأسبابِ.

ومَعنَى هذا: أنّ الشُّكرَ يكونُ بالقلبِ خُضوعًا واستِكانةً، وباللِّسانِ ثَناءً واعتِرافًا، وبالجوارِحِ طاعة وانقيادًا.

ومتَعلَّقُه: النِّعَمُ، دونَ الأوصافِ الذّاتيّة، فلا يُقال: شَكَرنا اللهَ تَعالى على حَياتِه وسَمعِه وبَصَره وعَلمِه. وهو المحمودُ عليها، كما هو مَحمودٌ علَى إحسانِه وعدلِه. والشُّكرُ يكونُ علَى الإحسانِ والنِّعَم. فكُلُّ ما يَتعلَّقُ به الشُّكرُ يتَعَلَّق به الحمدُ من غيرِ عكسٍ، وكُلُّ ما يَقَعُ به الحمدُ يَقَعُ به الشُّكرُ من غيرِ عَكسٍ. فإنّ الشُّكرَ يَقَعُ بالجوارِحِ. والحمدُ بالقلبِ واللِّسانِ[1]. انتهَى كلامُه.

وقال أبو الفرجِ ابنُ الجوزيِّ: واعلم أنّ الحمدَ ثَناءٌ علَى المحمود، ويُشارِكُه الشُّكرُ، إلّا أنّ بَينَهما فرقًا؛ وهو: أنّ الحمدَ قد يَقَعُ ابتداءً للثَّناءِ، والشُّكرَ لا يكونُ إلّا في مُقابَلةِ النِّعمة[2].

وقال ابنُ قُتَيبةَ: الحمدُ: الثّناءُ علَى الرّجُلِ بما فيه من كَرَم أو حَسَب أو شَجاعة وأشباه ذلك. والشُّكرُ لَه: الثّناءُ عليه بمعروفٍ [185/ أ] أولاكَه، وقد يوضَعُ الحمدُ موضِعَ الشُّكرِ، فيُقال: حَمِدتُه على معروفه عندي، كما يُقال: شَكَرتُ لَه، ولا يوضَعُ الشُّكرُ موضِعَ الحمدِ، فيُقال: شَكَرتُ له علَى شَجاعَتِه[3]. انتهى.

وقال بَكرُ بنُ عبد الله: ما قال عبد قَطُّ: «الحمدُ لله»، إلّا وجَبَت

---

(1) مدارج السالكين (ج2/ 246). (2) زاد المسير (ج 1/ 11) تفسير سورة الفاتحة.

(3) أدب الكاتب (ص: 36).

عليه نِعمةٌ بقوله: الحمدُ لله، فجَزاءُ تلك النِّعمة: أن يَقولَ: «الحمدُ لله»، فَجاءَت نِعمة أُخرَى فلا تَنفَدُ نِعَمُ اللهِ[1].

وقد روي عَنِ الحسنِ: أنّه قال: ما أنعَم الله على عبد نِعمة، فقال: «الحمدُ لله» إلّا كان ما أعطَى أكثَرَ مِمّا أخَذَ[2].

قال ابنُ أبي الدُّنيا: وبلَغَني عن سُفيانَ بن عُيَينة أنّه قال: هذا خَطَأٌ؛ لا يَكونُ فِعلُ العبدِ أفضَلَ من فِعلِ الرَّبِّ. ثُمَّ قال بعضُ أهلِ العِلم: إنّما تَفسيرُ هذا: أنّ الرَّجُلَ إذا أنعَم الله عليه نِعمةً، وهو مِمَّن يُحبُّ أن يَحمَدَه؛ عَرَّفَه ما صَنَعَ به، فَشَكُرَ الله كما يَنبَغي له أن يَشكُرَه، فكان الحمدُ له أفضَلَ[3]. انتهى كلامه.

وليسَ فيما قاله الحسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ ليسَ مِنَ الخطإ شيءٌ؛ لأنّ نِعمة الله علَى عبدِه إذا وفَّقَه لحِفظِ كِتابه والعمَلِ بما فيه أتَمُّ وأعظَمُ وأفضَلُ ممّا أتاه من نِعَمِه، والمالُ والجاه والأكلُ والشُّربُ وغيرُ ذلك، وقولُ: «الحمدُ لله» نعمةٌ مِنَ الله علَى عبده. والنِّعمةُ الّتي حمِدَ الله علَيها أيضًا نِعمة

---

(1) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، برقم: (7)، وبرقم: (99)، ومن طريق ابن أبي الدنيا رواه البيهقي في شعب الإيمان، برقم: (4095) عن بكر بن عبد الله المزني.

(2) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، برقم: (111)، ومن طريق ابن أبي الدنيا رواه البيهقي في شعب الإيمان، برقم: (4094) عن الحسن. ورواه ابن ماجه في السنن، برقم: (3805) من طريق الحسن بن علي، عن أبي عاصم عن شبيب بن بشر، عن أنسٍ، مرفوعًا، بهذا اللفظ تقريبًا. وإسناده ضعيف؛ لضعف شبيب بن بشر. ورواه الطبراني في الأوسط، برقم: (1357)، والضياء في المختارة، برقم: (2195 - 2196) من طريق محمَّد بن معمر، عن أبي عاصم، به. ورواه أيضًا البيهقي في شعب الإيمان، برقم: (4093) من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن رجل، عن الحسن، مرفوعًا. وإسناده مرسل، وفيه راوٍ لم يسمَّ. وهو في مصنف عبد الرزاق، برقم: (19575).

(3) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، برقم: (111) من طريق وكيع، عن يوسف الصبّاغ، عن الحسن. وذكره ابن القيم في عدة الصابرين (ص: 131).

مِنَ الله، وبعضُ النِّعَمِ أجلُّ من بعضٍ، وقد تَقدم لنا أنّ سُليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَّ في موكِبِه(1).

والمقصود: أنّ الشُّكرَ أعَمُّ مِنَ الحمدِ؛ لِكونِه يقَعُ بالقولِ والفِعلِ. والحمدُ أعَمُّ مِنَ الشُّكرِ؛ لكَونِه يكونُ تارة في مُقابلة نِعمة ولِغيرها بخلافِ الشُّكر. وعلَى كُلِّ حالٍ: فالشُّكرُ الكامِلُ من كُلِّ وجهٍ هو لله عَزَّوَجَلَّ، كما أنّ الحمدَ الكامِلَ كُلُّه لله رَبِّ العالَمين، فإنّه المحمودُ على ما خلَقَه وأمَرَنا به ونَهانا عنه، فهو المحمودُ على طاعاتِ العِبادِ ومَعاصيهم وإيمانِهم وكُفرِهم، وهو المحمودُ علَى خلقِ الأبرارِ والفُجّارِ والملائكةِ والشّياطين، وعلَى خلقِ الرُّسُلِ وأعدائِهم، وهو المحمودُ علَى عدله في أعدائه، كما هو المحمودُ علَى فضلِه وإنعامه علَى أوليائه.

فكلُّ ذَرّة من ذَرّاتِ الكونِ شاهِدة بحمدِه، ولِهذا سبَّحَ بحمدِه السّماواتُ السّبعُ والأرضونَ وما فيهنّ، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: 44]، وكان رسول الله ﷺ يقولُ بعدَ اعتِدالِه مِنَ الرُّكوع: «رَبَّنا ولَكَ الحمدُ، مِلءَ السّماءِ ومِلءَ الأرضِ، ومِلءَ ما بينَهما، ومِلءَ ما شِئتَ من شَيءٍ بعدُ»(2)، فله سُبحانه حَمدٌ يَملأُ المخلوقاتِ والفضاءَ الّذي بَينَ الأرضِ والسّماواتِ، ويملأُ بعدَ ذلك ما شاءَ الله، كما يَشاءُ أن يملأه بحمدِه.

قال العلّامة ابنُ القيِّم(3) عندَ تفسيرِ هذا الحديثِ: وقدِ اختَلَفَ النّاسُ كونَ حمدِه يملأ السّماواتِ والأرضَ وما بينَهُما: فقالت طائفة: هذا على جهةِ التّمثيلِ؛ أي: لو كان أجسامًا لَملأ السّماواتِ والأرضَ وما بَينَهُما،

---

(1) مرت القصّة في (ص: 356).

(2) رواه الإمام مسلم في صحيحه، برقم: (476 - 477 - 478)، عن ابن أبي أوفى وغيره.

(3) طريق الهجرتين (ص: 114).

قالوا: فإنّ الحمدَ من قَبيلِ المعاني، والأعراضُ لا يُملأ بها الأجسامُ ولا [186/ ب] تُملأ الأجسام إلّا بالأجسام.

والصّواب: أنّه لا يحتاجُ إلى هذا التّكلُّفِ البارِدِ، فإنّ مِلءَ كُلِّ شَيءٍ بحسبِ المالِئِ والمملوءِ. فإذا قيلَ: امتلأ الإناءُ ماءً، وامتلأتِ الجفنة طعامًا؛ فهذا الامتِلاءُ نوعٌ. وإذا قيلَ: امتلأتِ الدّارُ رِجالًا، وامتلأتِ المدينةُ خَيلًا ورِجالًا؛ فهذا نوعٌ آخَرُ. وإذا قيلَ: امتَلأ الكِتابُ سُطورًا؛ وهذا نوعٌ آخَرُ. وإذا قيلَ: امتلأت مَسامِعُ النّاسِ حَمدًا أو ذَمًّا في أثَرٍ مَشهور: «**أهل الجنّة مَن امتَلأت مَسامِعُه من ثَناءِ النّاسِ عليه، وأهل النّارِ مَن امتَلأت مَسامِعُه من ذَمِّ النّاسِ لَه**»(1).

وقال عُمرُ بنُ الخطّابِ في ابنِ مسعودٍ: «كُنَيفٌ مُلِئَ عِلمًا»(2). وكان يُقال: «مَلأ ابنُ أبي الدُّنيا الدُّنيا عِلمًا». ويُقال: صيتُ فُلانٍ قد مَلأ الدُّنيا، وحُبُّه قد مَلأ القُلوبَ، وبُغضُ فُلانٍ قد مَلأ القُلوبَ. وامتَلأ قلبُه رعبًا.

---

(1) رواه ابن ماجه في السنن، برقم: (4224) من طريق محمد بن يحيى، عن مسلم بن إبراهيم، عن أبي هلال، عن عقبة بن أبي ثبيت، عن أبي الجوزاء، عن ابن عبّاس مرفوعًا، بلفظ: «أهلُ الجنّة مَن مَلأ أُذُنَيه من ثَناءِ النّاسِ خَيرًا، وهو يَسمَعُ، وأهل النّارِ مَن مَلأ أُذُنَيه من ثَناءِ النّاسِ شَرًّا، وهو يَسمَعُ»، وقال البوصيري: هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات. قلت: إسناده ضعيفٌ؛ لضعف أبي هلال -وهو محمّد بن سليم الراسبي- وباقي رجاله ثقات.

ورواه الطبراني في الكبير، برقم: (12787)، وأبو نعيم في الحلية (ج3/ 80)، والبيهقي في الزهد الكبير، برقم: (808)، والمزي في تهذيب الكمال (ج20/ 192) من طريق مسلم بن إبراهيم، بهذا الإسناد. وقال أبو نعيم: غريب من حديث أبي الجوزاء، لم يرفعه ولم يسنده إلا مسلم عن أبي هلال. وفي الباب أيضًا عن أنس عند البخاري في التاريخ الكبير (ج2/ 93)، والبيهقي في الزهد الكبير، برقم: (809 - 811)، وقد روي موصولًا ومرسلًا.

(2) رواه عبد الرزاق في مصنفه، برقم: (18187)، وابن سعد في الطبقات (ج2/ 297)، والطبراني في المعجم الكبير، برقم: (9735) بإسناد صحيح. الكُنيف: تصغير تعظيم للكِنفِ؛ وهو الوعاء الذي يضع فيه الراعي أداته ومتاعه. انظر: اللسان، مادة: (ك ن ف).

وهـذا أكثر مـن أن تُستوعَبَ [شَـواهِدُهُ][1]، وهـو حَقيقةٌ فـي بابـه. وجعلُ الامتِـلاءِ للأجسـام خاصّـة تَحكُّـمٌ باطِـلٌ، ودَعـوَى لا دليـلَ عليهـا البتّـة. والأصلُ الحقيقـةُ، والاشتِراكُ المعنَـويُّ هـو الغالِـبُ علَـى اللُّغـةِ والأفهـام والاستِعمالِ، والمصيرُ إليـه أولَـى مِـنَ المجازِ والاشتِراك اللّفظي، واللـه أعلَـم[2]. انتهـى.

فَصْلٌ

معرفـةُ النِّعمـةِ ركـنٌ مـن أركانِ الشُّـكرِ: فـإنّ اعتِـرافَ العبـدِ بمـا أنعَـم اللـه علَيـه، والثّنـاءَ علَـى اللـه بهـا، والخُضـوعَ لَـه، ومَحبَّتَـه، والعمَـلَ بمـا يُرضيـه فيهـا. فهـو وسيلة إلَـى معرِفـةِ المُنعـم؛ لأنّ العبدَ إذا عـرَفَ النِّعمـة [186/أ] تَوَصَّـلَ بمعرِفَتِها إلـى مَعرفـة المُنعِـم بهـا؛ لأنّـه متَـى عَـرَف المُنعِـمَ أحبَّـه، وجَـدَّ فـي طَلَبِـه؛ لأنّ مَـن عَـرَفَ اللـهَ أحَبَّـه لا محالـة، كمـا أنّ مَـن عَـرَفَ الدُّنيا والشّـيطانَ أبغَضَهمـا لا محالـة. فمَعرِفتُـه تَسـتَلزِمُ محبَّتَـه، ومَحَبَّتُـه تَستلزِمُ شُـكرَه، كمـا قـال شـيخُ الإسـلام الأنصـاري: مَعانـي الشُّـكرِ ثَلاثـة أشـياءَ: مَعرِفـةُ النِّعمـة، ثُـمَّ قَبـولُ النِّعمـة، ثُـمَّ الثّنـاءُ بهـا.

فمَعنَى معرِفَتِها: استِحضارُها في الذِّهـنِ، ومُشاهَدتُها وتَمييزُها. ومَعني قَبولِهـا: تلَقّيهـا مِـنَ المُنعِـم بإظهـارِ الفقـرِ والفاقـة إليهـا، وأنّـه ليـس بأهـل لاستِحقاقِها، وأنّ اتِّصالَهـا إلـيَّ مـن بـابِ المِنّـة لـه علَـيَّ.

ومعنَـى الثّنـاءِ علَيه بهـا: الثّنـاءُ علَـى المُنعِـم، المُتعلِّـقُ بالنِّعمـةِ نوعـانِ: أحدُهُمـا: عـامٌّ، وهـو وصفُـه بالجـودِ والكـرَمِ، والبـرِّ والإحسـانِ، وسَـعة العطـاءِ، ونَحـوِ ذلـك.

---

(1) زيادة ملحة من كتاب طريق الهجرتين.

(2) انتهى كلام ابن القيم من كتاب طريق الهجرتين (ص: 114).

والثّاني: خاصٌّ، وهو التّحدُّثُ بنعمَتِه والإخبارُ بوُصولِها من جهَتِه؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: 11]، وفي التّحديثِ المأمورِ به قولانِ في هذه الآية:

أحدُهما: أنّه ذِكرُ النِّعمة والإخبارُ بها. يعني: قد أنعَم الله عَلَيَّ بكذا وكذا. قال مُقاتِلٌ: يعني اشكُر ما ذَكَرَ مِنَ النِّعَم عليكَ في هذه السّورة: من جَبرِ اليُتم، والهُدَى بعدَ الضّلالِ، والإغناءِ بعدَ العيلة(1).

وقال أبو الفرَجِ بنُ الجوزيِّ في «تَفسيره»(2) في المُرادِ بالنِّعمةِ في هذه الآية: [187/ ب] ثلاثة أقوالٍ: أحدُها: النُّبوّة(3).

والثّاني: القُرآنُ. رويا عن مُجاهِدٍ.

والثّالث: أنّها عامٌّ في جميع الخيراتِ، وهذا قولُ مُقاتلٍ(4). انتهى كلامُه.

وفي حديثِ جابِرٍ: أنّ النّبيَّ ﷺ قال: **«مَن صُنِعَ إليه مَعروفٌ فَليَجزِ به، فَإن لم يَجِد ما يَجزي به فَليُثنِ عليه؛ فإنّه إذا أثنَى عليه فقد شكَرَه، وإن كَتَمَه فَقد كفَرَه، ومَن تَحلَّى بما لم يُعطَ كان كَلابِسِ ثَوبَي زورٍ»**(5).

---

(1) تفسير مقاتل بن سليمان (ج3/ 495)، وذكره البغوي في معالم التنزيل (ج4/ 458).

(2) زاد المسير (ج 9/ 160).

(3) رواه الطبري في تفسيره (ج24/ 490 - 491) عن أبي بشر، عن مجاهد، وذكره البغوي في معالم التنزيل (ج8/ 458). (4) ذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير (ج 9/ 160).

(5) رواه الإمام البخاري في الأدب المفرد، برقم: (215)، وأبو داود في سننه، برقم: (4813)، والترمذي في جامعه، برقم: (2165)، وابن حبان في صحيحه، برقم: (3689)، والبغوي في معالم التنزيل (ج8/ 459) -واللفظ له- عن شُرحبيل بن سعد عن جابر، وشُرحبيل ضعيف، ووقع في رواية الترمذي مكانه «أبو الزبير»، وهو خطأ من أحد الرواة. وله طريق أخرى عن جابر عند أبي داود برقم: (4814)، بلفظ: «مَن أُبلي بلاءً فذكره؛ فقد شكره، وإن كتمه فقد كفره»، وإسناده جيِّدٌ.

فذكَرَ في هذا الحديثِ أقسامَ الخلقِ الثّلاثة: شاكِرُ النِّعمةِ المُثني بها، والجاحِدُ لها الكاتِمُ لها، والمُظهِرُ أنّه من أهلها، وليسَ من أهلها، فهو مُتَحَلٍّ بما لم يُعطَ. وفي أثَرٍ: «مَن لم يَشكُرِ القليلَ لم يَشكُرِ الكثيرَ، ومَن لم يَشكُرِ النّاسَ لم يَشكُرِ اللهَ»[1]، رواه أحمد من عِدّة طُرُق. «لا يَشكُرُ اللهَ مَن لا يَشكُرُ النّاسَ»[2]، والتّحَدُّثُ بنِعمة الله شُكرٌ، وتَركُه كُفرٌ. والجماعةُ رحمة والفُرقة عَذابٌ.

والقولُ الثّاني: التّحَدُّثُ بالنِّعمةِ المأمور به في هذه [الآيةِ][3] المُتقدّمةِ هو الدّعوةُ إلى الله، وتبليغُ رِسالته، وتعليمُ الأُمّة.

قال مُجاهِدٌ: هيَ النُّبوّة[4].

---

(1) رواه عبد الله في زوائد مسند أبيه، برقم: (18449)، والبزار في مسنده، برقم: (3282)، والطبراني في الكبير (ج21/ 85)، برقم: (84)، والثعلبي في الكشف والبيان (ج29/ 518)، كلهم من طريق أبي وكيع.

ومن طريق الثعلبي رواه البغوي في معالم التنزيل (ج8/ 459)، والبيهقي في شعب الإيمان، برقم: (8698) من حديث النعمان بن بشير بإسناد حسن غريب. وانظر: التاريخ الكبير للبخاري (ج9/ 51)، والجرح والتعديل (ج9/ 403).

ورواه ابن أبي الدُّنيا في الشكر، برقم: (63)، من طريق أبي عبد الرحمن الشامي عن الشعبي به، إلّا أن فيه شيخ ابن أبي الدُّنيا واسمه: عمر بن إسماعيل الهمداني: متروك، كما في تقريب التهذيب؛ لابن حجر (ج1/ 712). والحديث ضعَّفه ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (ج14/ 386)، والسخاوي في المقاصد الحسنة (ص: 186)، وقال: لكن له شواهد.

(2) رواه الإمام أحمد في المسند، برقم: (7039) من طريق يزيد، عن الربيع بن مسلم، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة.

ورواه أبو داود في سننه، برقم: (4811) من طريق مسلم بن إبراهيم، به، عن الربيع بن مسلم، به. ورواه الترمذي (2081) من طريق عبد الله بن المبارك، عن الربيع بن مسلم، بهذا الإسناد.

(3) زيادة ملحة من مدارج السالكين.

(4) سبق تخريجه قريبًا.

وقال الزّجّاجُ: أي: بَلِّغ ما أرسلتَ به، وحَدِّث بالنُّبوّة الّتي آتاكَ اللهُ[1].

وقال [187/ أ] الكلبيُّ: هو القُرآنُ أمره أن يقرأه[2].

والصّحيحُ -إن شاءَ الله تَعالى-: أنّه يعُمُّ النّوعَينِ؛ إذ كُلٌّ منهما نِعمة مأمورٌ بشُكرها وإظهارِها والتّحَدُّثِ بها.

قال الإمامُ أحمَدُ: وحَدَّثَنا عبد الرّحمَنِ، حَدَّثَنا الرّبيعُ بنُ صُبَيحٍ، عَنِ الحسَنِ، قال: قال نَبيُّ الله داوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إلَهي لو أنّ لِكُلِّ شَعرَةٍ مِنّي لِسانَينِ[3]: يُسبّحانِكَ اللّيلَ والنّهارَ والدّهرَ كُلَّه ما قَضَيتُ حَقَّ نِعمةٍ واحِدةٍ»[4].

وذكَرَ ابنُ أبي الدُّنيا: عن عِمرانَ الجونيِّ، عن أبي الجلدِ[5]، قال: قال موسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا رَبِّ؛ كيف لي أن أشكُرَكَ وأصغَرُ نِعمةٍ وضَعتَها عندي من نِعَمِكَ لا يُجازي بها عَمَلي كُلُّه؟ قال: فَأتاه الوحي: أن يا موسَى؛ الآنَ شَكَرتَني[6].

وقال خالِدُ بنُ مَعدانَ: سَمِعتُ عبد الملِكِ بنَ مَروانَ يَقولُ: ما قال عبد كَلِمةً أحَبَّ إلى الله وأبلَغَ في الشُّكرِ عنده أن يَقولَ: الحمدُ لله الّذي أنعَمَ علينا وهَدانا لِلإسلامِ[7].

---

(1) معاني القرآن وإعرابه (ج5/ 340).

(2) ذكره عنه البغوي في معالم التنزيل (ج8/ 458).

(3) في الأصل: لسانان، والمثبت من الزهد لأحمد، وهو الجادة.

(4) رواه الإمام أحمد في الزهد، برقم: (361) بهذا الإسناد. ورواه ابن أبي شيبة، برقم: (31890)، وبرقم: (34280)، وابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، برقم: (25)، والبيهقي في شعب الإيمان، برقم: (4579).

(5) حيلان بن فروة. انظر: حلية الأولياء (ج6/ 54).

(6) كتاب الشكر، برقم: (6) بهذا الإسناد. ورواه الإمام أحمد في الزهد، برقم: (349)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (ج6/ 56)، والبيهقي في شعب الإيمان، برقم: (4415).

(7) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، برقم: (10)، وذكره ابن القيم في كتاب عدة الصابرين (ص: 241).

وقال الحسَنُ: سَمِعَ نَبيُّ الله رَجُلًا يَقولُ: الحمدُ لله بالإسلام. فقال: «إنَّكَ لَتحمَدُ اللهَ على نِعمةٍ عَظيمةٍ»(1). وقال الحسَنُ أيضًا: قال موسَى عَلَيهِ السَّلَامُ: يا رَبِّ؛ كيف يَستَطيعُ آدمُ أن يُؤَدِّيَ شُكرَ ما صَنعتَ إليه؟ خَلَقتَه بيَدِكَ، ونَفَختَ فيه مِن روحِكَ، وأسكَنتَه جَنَّتَكَ، وأمَرتَ الملائكةَ أن يَسجُدوا لَه. فقال: «يا موسَى؛ عَلِمَ أنّ ذلك مِنّي فحَمِدَني عليه، فكان ذلك شُكرَ ما صَنَعتُ إليه»(2). وقال سَعدُ بنُ مَسعودٍ الثَّقَفيُّ(3): «إنّما سُمّي نوحٌ عَلَيهِ السَّلَامُ عبدا شُكورًا؛ لأنّه لم يَلبَس جَديدًا، ولم يأكُل طَعامًا إلّا حَمِدَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ»(4). وكان عَليُّ بنُ أبي طالِبٍ [188/ ب] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إذا خَرَجَ مِنَ الخلاءِ مَسَحَ بَطنَه بيَدِه، وقال: «يا لها مِن نِعمةٍ لو يَعلَمُ العِبادُ شُكرَها»(5). وقال أبو حازمٍ(6): «كُلُّ نِعمةٍ لا تُقَرِّبُ مِنَ اللهِ فَهي بَليّةٌ»(7).

---

(1) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، برقم: (9)، وابن سمعون الواعظ في أماليه، برقم: (81)، والبيهقي في شعب الإيمان، برقم: (4498)، والضياء في المختارة، برقم: (1873)، وبرقم: (1875).

(2) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، برقم: (12)، والبيهقي في شعب الإيمان، برقم: (4427)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (ج7/ 452).

(3) هو سعد بن مسعود الثقفي، عم المختار بن أبي عبيد، له صحبةٌ. انظر: الإصابة (ج3/ 83).

(4) رواه ابن جرير في تفسيره (ج15/ 19)، وابن أبي الدنيا في الشكر، برقم: (12)، والطبراني الكبير، برقم (5420)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (ج62/ 273 - 274).

(5) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، برقم: (13)، والبيهقي في شعب الإيمان، برقم: (4468).

(6) هو سلمة بن دينار، أبو حازم الأعرج التمار المدني، الزاهد الحكيم، من صغار التابعين، توفي في خلافة المنصور. انظر: تقريب التهذيب (ص: 399).

(7) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، برقم: (20)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (ج3/ 230)، والخرائطي في فضيلة الشكر، برقم: (75)، والبيهقي في شعب الإيمان، برقم: (4537)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (ج22/ 56).

وقال أبو سُلَيمانَ الدّاراني[1]: «ذِكرُ النِّعَمِ يورِثُ الحُبَّ في الله»[2].

وروَى لَيثُ بنُ أبي سُلَيم، عن عُثمانَ، عَنِ ابنِ سيرينٍ، عن أنسِ بنِ مالِكٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤتَى بالنِّعَمِ يومَ القيامةِ والحسَناتِ والسّيِّئاتِ، فيَقولُ الله عَزَّوَجَلَّ لِنعمةٍ من نِعَمِه: خُذي حَقَّكِ من حَسَناتِه، فما تَترُكُ له حَسَنةً إلّا ذَهَبَت بها»[3].

وروَى ابنُ أبي الدُّنيا: عن صَدَقةَ بنِ يَسارٍ، قال: بَينَما داوُدُ في مِحرابِه إذ مَرَّت به ذَرّة[4]، فنَظَر إليها وفَكَّرَ في خَلقِها وعَجِبَ منها، وقال: «ما يَعبأُ الله بهذه؟ قال: فأنطقَها الله، فقالت: يا داوُدُ؛ أتُعجِبُكَ نَفسُكَ؟ فوالّذي نَفسي بيَدِه لأنّا على ما آتاني الله من فَضلِه أشكَرُ منكَ على ما آتاكَ الله من فَضلِه»[5].

قال ابنُ أبي الدُّنيا[6]: أنشَدَني مَحمودٌ الورّاقُ [من الطويل]:

إذا كانَ شُكري نِعمةَ الله نِعمة عَليَّ له في مِثلِها يَجِبُ الشُّكرُ
فَكيفَ وُقوعُ الشُّكرِ إلّا بفَضلِه وإن طالَتِ الأيّامُ واتَّصَلَ العُمرُ
إذا مَسَّ بالسَّرّاءِ عَمَّ سُرورُها وإن مَسَّ بالضَّرّاءِ أعقَبَها الأجرُ

---

(1) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي، أبو سليمان الداراني، الزاهد، من صغار التابعين، توفي سنة (212هـ). انظر: تقريب التهذيب (ص: 581).

(2) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، برقم: (21)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (36/ 334).

(3) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، برقم: (24)، وضعَّفه ابن رجب في كتاب جامع العلوم والحكم (ص: 243).

(4) في حاشية الأصل بخط مغاير: لعلَّه: دودة.

(5) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، برقم: (35)، والبيهقي في شعب الإيمان، برقم: (4580).

(6) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، برقم: (82)، والبيهقي في شعب الإيمان، برقم: (4412).

ولا منها إلّا له فيه مِنّة يَضيقُ بها الأوهامُ والبرُّ والبحرُ

وقال حمّادُ بنُ سَلَمة، عن ثابتٍ، قال: قال أبو العاليةِ: «إنّي لأرجو أن لا يَهلكَ عبد بَينَ اثنتَينِ: نِعمة يَحمَدُ الله عليها، وذَنبٍ يَستَغفِرُ اللهَ منه»(1) [188/ أ].

وقال مُجاهِدٌ في قولِه تَعالى: ﴿وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ﴾ [لقمان: 20] قال: «لا اله إلّا الله»(2).

وقال ابنُ عُيَينة: «ما أنعَمَ الله على العِبادِ نِعمة أفضَلَ من [أن](3) عَرَّفَهم: لا إله إلّا الله»، قال: «وإنّ لا إله إلّا الله لهم في الآخِرة كالماءِ في الدُّنيا»(4).

وقال عبد الله بنُ قُرطٍ الأزديُّ -وكان مِنَ الصّحابة- على المنبَرِ في يوم أضحَى، ورَأى على النّاسِ ألوانَ الثّياب: «يا لها من نِعمة ما أسبَغَها، ومن كَرامة ما أظهَرَها، ما زالَ عن قَومٍ شَيءٌ أشَدُّ من نِعمة لا يَستَطيعونَ رَدَّها، وإنّما تَثبُتُ النِّعمة بشُكرِ المُنعَمِ عليه لِلمُنعِمِ»(5).

وجاءَ رَجُلٌ إلى يونُسَ بنِ عُبَيدٍ يَشكو ضيقَ حالَتِه، فقال له يونُسُ: «أيسُرُّكَ ببَصَرِكَ هذا مائة ألفِ دِرهمٍ؟»، قال الرّجُلُ: «لا»، قال: «فبيَدَيك

---

(1) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، برقم: (88)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (ج2/ 219)، وابن عدي في الكامل (ج3/ 163)، والبيهقي في شعب الإيمان، برقم: (4513).

(2) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (ج 18/ 567)، وابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، برقم: (95)، والبيهقي في شعب الإيمان، برقم: (4502).

(3) زيادة ملحة من كتاب الشكر؛ لابن أبي الدنيا.

(4) رواه ابن أبي الدُّنيا في كتاب الشكر، برقم: (96)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (ج7/ 272)، والبيهقي في شعب الإيمان، برقم: (4500).

(5) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، برقم: (98)، والخرائطي في فضيلة الشكر، برقم: (93)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (ج32/ 11).

مِائة ألفٍ؟» قال: «لا»، قال: «فَبِرجلَيكَ مِائة ألفٍ؟» قال: «لا». فَذَكَّرَه نِعَمَ الله عليه، فقال يونُسُ: «أرَى عندكَ مِئينَ أُلوفٍ وأنت تَشكو الحاجة»[1].

وقال عبد الرّحمنِ بنُ زَيدِ بنِ أسلَمَ: قال محمّد بنُ المُنكَدِرِ لِأبي حازِمٍ: «يا أبا حازِمٍ؛ ما أكثَرَ مَن يَلقاني فَيَدعو لي بالخيرِ، ما أعرِفُهم، وما صَنَعتُ إليهم خيرًا قطُّ؟»، فقال له أبو حازِمٍ: «لا تَظُنَّ أنّ ذلك من قِبَلِكَ، ولَكِن انظُر إلى الّذي ذلك من قِبَلِه فاشكُره»، وقرأ عبد الرّحمنِ بنُ زيدٍ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾[2] [مريم: 96].

وَقال عَليُّ بنُ الجعدِ: حَدَّثَنا عبد العزيزِ بنُ أبي سَلَمة الماجِشونَ، قال: حَدَّثَني مَن أُصَدِّقُه، أنّ أبا بَكرٍ الصِّدّيقَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ كان يَقولُ في دُعائِه: «اللهم إنّي أسألك تَمامَ النِّعمة في الأشياءِ كُلِّها، والشُّكرَ [189/ ب] لَكَ عليها حَتّى تَرضَى وبعدَ الرِّضا، والخيَرة في جَميعِ ما تكونُ فيه الخيَرة، بجَميعِ مَيسورِ الأُمورِ كُلِّها لا مَعسورِها يا كَريمُ»[3].

---

(1) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، برقم: (101)، والبيهقي في شعب الإيمان، برقم: (4463).

(2) رواه ابن أبي الدُّنيا في كتاب الشكر، برقم: (108)، وأبو نعيم في الحلية (ج3/ 233).

(3) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، برقم: (110)، والراوي عن أبي بكر مجهول.

الباب الخامس عشر

في الخوفِ والرَّجاءِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: 40-41] يعني: خافَ مَقامَ ربِّه يومَ القيامةِ، علَى أحدِ القولَينِ، فالمُرادُ: خوفُ العبدِ من وُقوفِه بينَ يدَي الله عَزَّوَجَلَّ، وأضافَ المقامَ إلى الرَّبِّ، وإنّما هو مَقامُ العبدِ بينَ يدَي الرَّبِّ للحِسابِ، وشِبه هذه الآيةِ أيضًا قولُه: ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: 14]، ويُشبِهُه قولُه تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: 46].

قال أبو الفرَجِ ابنُ الجوزيِّ: فيه قولانِ:

أحَدُهُما: قيامُه بَينَ يَدَي رَبِّه يومَ الجزاءِ.

والثّاني: قيامُ الله علَى عبدِه بإحصاءِ ما اكتَسَبَ.

وجاءَ في **التّفسيرِ**: أنّه[1] يَعلَمُ أنّ العبدَ يهُمُّ بالمعصيةِ فيَترُكُها؛ خوفًا مِنَ الله فله جنّتانِ، هما بُستانانِ[2]. انتهى كلامُه.

وقيلَ: مَن خافَ اللهَ في الدُّنيا، ونَهَى نَفسَه عَنِ الهوَى في الدُّنيا؛ فَلَه الجنّةُ في الآخرة.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 175].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: 44].

---

(1) في حاشية الأصل بخط مغاير: لعلَّه: أن.

(2) زاد المسير (ج 8/ 119 - 120)، والتبصرة؛ لابن الجوزي (ج2/ 184).

فالخوفُ: هو من أجلِّ منازلِ القومِ وأنفعِه للقلبِ، وقد مدَحَ اللهُ أهلَه وأثنى عليهم في كتابِه العزيزِ، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: 57 - 61].

وقد رَوَى الإمامُ أحمدُ في «مُسندِه»[1]: من حديثِ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: قُلتُ: يا رسول الله؛ ﴿وَٱلَّذِينَ [189/ أ] يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أهو الّذي يَزني ويَشرَبُ الخمرَ ويَسرِقُ؟ قال: «لا يا ابنةَ الصِّدِّيقِ؛ ولكنّه الرّجُلُ يَصومُ، ويُصلّي ويَتصدَّقُ، ويَخافُ أن لا يُقبَلَ منه»، ورواه التِّرمذيُّ.

قال الحسَنُ: عَمِلوا -واللهِ- بالطّاعاتِ، واجتَهَدوا فيها، وخافوا أن تُرَدَّ عليهم. إنّ المُؤمِنَ جمع إحسانًا وخَشية، وإنّ المُنافِقَ جمع إساءة وأمنًا[2].

---

(1) مسند الإمام أحمد، برقم: (25263) من طريق يحيى بن آدم، عن مالك بن مِغول، عن عبد الرحمن بن سعيد، عن عائشة، وإسناده ضعيف؛ لانقطاعه: عبد الرحمن بن سعيد بن وهب -وهو الخيواني- لم يدرك عائشة فيما قال أبو حاتم، ونقله عنه ابنه في المراسيل (ص: 127).

وقد اختلف عليه فيه: فرواه مالك بن مِغوَل-كما في هذه رواية - عنه، عن عائشة. وخالفه عمرو بن قيس الملائي -فيما أخرجه الطبري في تفسيره (ج 17/ 70)، والطبراني في الأوسط، برقم: (3977) -فرواه عنه، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، عن عائشة. والمحفوظ: عن عبد الرحمن بن سعيد، هو المرسل فيما قال الدارقطني في العلل (ج11/ 193).

ورواه الحميدي في مسنده، برقم: (275)، والترمذي في جامعه، برقم: (3470)، والطبري في تفسيره (ج 17/ 71)، والحاكم (ج2/ 393 - 394)، والبيهقي في شعب الإيمان، برقم: (762)، وفي معرفة السنن والآثار، برقم: (20854) من طرق عن مالك بن مغول، بهذا الإسناد. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(2) ذكره عنه السمعاني في تفسيره (ج3/ 479 - 480)، والبغوي في معالم التنزيل (ج5/ 421). الفقرة الأخيرة منه رواها الحسين بن الحسن المروزي في زوائده على الزهد؛ لابن المبارك، برقم: (985)، والطبري في تفسيره (ج17/ 68).

واعلم -رَحِمَكَ اللهُ-: أنّ الوجَلَ، والخوفَ، والخشية، والرّهبة ألفاظٌ مُتقاربة غير مُتَرادِفة. فأمّا كلامُ القومِ في ذلك: فقال الجُنَيدُ: «الخوفُ: تَوَقُّعُ العُقوبة على مَجاري الأنفاسِ»(1). وقيل: الخوف: اضطِرابُ القلبِ وحَرَكتُه من تَذَكُّرِ المخوفِ(2). وقيلَ: الخوفُ: قوّة العِلم بمَجاري الأحكام. وهذا سَبَبُ الخوفِ، لا أنّه نفسُهُ(3). ذكَرَه العلّامة ابنُ القيِّم(4). وقيلَ: الخوفُ: هَرَبُ القلبِ من حُلول المكروه عندَ استِشعارِه(5).

وأمّا **الخشية**: فأخَصُّ مِنَ الخوفِ، فإنّ الخشيةَ للعُلَماءِ بالله فهي خوفٌ مَقرونٌ بمعرفة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: 28]. ونقَلَ أبو الفرَج ابنُ الجوزيِّ، والقُرطبيُّ وغيرُهُما(6): عَنِ ابنِ عبّاسٍ أنّه قال في قولِه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾: يُريدُ إنّما يخافني من خلقي من عَلِم جَبَروتي وسُلطاني. وقال مُجاهِدٌ، والشّعبيُّ: «العالِمُ مَن خافَ اللهَ»(7). وقال الرّبيعُ بنُ أنَسٍ: «مَن لم يَخشَ اللهَ فَليس بعالِمٍ»(8). انتهى.

---

(1) أسنده القشيري في رسالته (ج1/ 254).

(2) ذكره ابن القيم في مدارج السالكين (ج2/ 180).

(3) ذكره الإمام القشيري في رسالته (ج1/ 254).

(4) مدارج السالكين (ج2/ 180). (5) المصدر السابق.

(6) زاد المسير (ج 6/ 486)، الجامع لأحكام القرآن (ج14/ 343)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (ج18/ 421)، ومعالم التنزيل (ج6/ 419).

(7) رواه ابن بطة في إبطال الحيل (ص: 33)، والثعلبي في الكشف والبيان (ج22/ 185)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (ج4/ 311) عن الشعبي. وأورده السيوطي في الدر المنثور (ج7/ 21)، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، عن مجاهد، وذكره عنهما الواحدي في التفسير البسيط (ج18/ 421).

(8) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (ج4/ 471)، وابن عطية في تفسيره (ج4/ 437)، وابن الجوزي في زاد المسير (ج 6/ 486).

وقد ثَبت أنّ النّبيّ ﷺ أنّه قال: «أنا أتقاكم لله وأشدُّكم له خشية»(1).
فالخوفُ: الحركةُ كما تقدمَ. وقيلَ: التّنقُّصُ. قاله ابنُ عبّاسٍ، ومُجاهدٌ، والضّحاكُ(2). قال الهيثمُ بنُ عديٍّ: «التّخوُّف: التّنقُّص بلُغةِ أزدِ [شنوءة](3)»(4)، ومثلُه: «التّخوُّنُ»(5). والخشية: السُّكونُ؛ فإن الّذي يرى العدوَّ أوِ السّيلَ أوِ النّارَ، ونحوَ ذلك له حالتانِ:

إحداهُما: حركتُه للهُروب منه، وهي حالة الخوفِ [190/ ب].

والثّانية: سكونُه وقرارُه في مكانٍ لا يصِلُ إليه، وهي الخشيةُ.

وأمّا الرّهبة: فهي الإمعانُ في الهرَبِ منَ المكروه، وهيَ ضِدُّ الرّغبة الّتي هي سفَرُ القلبِ في طلَبِ المرغوبِ فيه. وبينَ الرّهَبِ والهرَبِ تَناسبٌ في اللّفظِ والمعنَى، يجمَعُهما الاشتقاقُ الأوسطُ الّذي يَشتركان في الحُروفِ لا في ترتيبِها؛ كقول الكوفيّين: الاسمُ مُشتَقٌّ مِنَ السِّمة؛ فهو عَقدُ تَقاليبِ الكلِمة علَى معنًى جامعٍ. وأمّا الوجَلُ: فرَجفانُ القلبِ

---

(1) متفق عليه: 1- صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «أنا أعلمكم بالله»، رقم (20)، وكتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح رقم (5063)، 2- مسلم رقم (74- 1108).

(2) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (ج 14/ 237 - 238) عن ابن عبّاس، وعن مجاهد، وعن الضّحاك. وذكره عنهم الماوردي في النكت والعيون (ج3/ 190).

(3) الزيادة من تفسير الطبري. وأزد شنوءة: من أعظم قبائل العرب وأشهرها تنسب إلى الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان، من القحطانية. وتنقسم إلى أربعة أقسام: أزد شنوءة: ونسبتهم إلى كعب بن الحارث بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، كانت منازلهم السراة. وأزد غسان: كانت منازلهم في شبه جزيرة العرب وفي بلاد الشام. أزد السراة: كانت منازلهم في الجبال المعروفة بهذا الاسم. وأزد عمان: كانت منازلهم بعمان. انظر: معجم قبائل العرب؛ لعمر كحالة (ج1/ 15 - 16).

(4) رواه ابن جير الطبري في تفسيره (ج 14/ 235)

(5) انظر: إصلاح المنطق؛ لابن السكيت (ص: 197)، وغريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: 243).

وانصِداعُه لذِكرِ مَن يخافُ سُلطانَه وعُقوبَتَه، وقد يحصُلُ له ذلك عندَ رُؤيَتِه. وأمّا الهيبةُ: فخوفٌ مُقارنٌ للتَّعظيم والإجلالِ، وأكثَرُ ما يكونُ مع المعرفة والمحبّة.

فالخوفُ لِعامّة المُؤمنين، والخشيةُ للعُلَماءِ العارفينَ، والهيبة للمُحبّين، والإجلالُ للمُقرَّبين. وعلَى قدرِ العِلم والمعرفةِ يكونُ الخوفُ مِنَ الله عَزَّوَجَلَّ؛ كما قال النّبيُّ ﷺ: «إنّي لأعلَمُكم بالله وأشَدُّكم له خوفًا»[1]، وقال ﷺ: «لو تعلَمونَ ما أعلَمُ؛ لَضَحِكتُم قليلًا ولَبَكَيتُم كثيرًا، ولَما تَلَذَّذتُم بالنِّساءِ على الفُرُشِ، ولَخَرَجتُم إلى الصُّعُداتِ تَجأرونَ إلى الله تعالى»[2].

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: 2] فالمعنى: إذا ذُكِرَت عَظَمتُه وقُدرتُه وما خَوَّفَ به مَن عَصاه فَزِعَت قُلوبُهم[3]. قال الشّاعرُ [من الطويل]:

لَعَمرُكَ ما أدري وإنّي لأوجَلُ ... على أيِّنا تَعدو المنيّة أوّلُ[4]

---

(1) رواه الإمام البخاري، برقم: (6101)، ومسلم، برقم: (2356) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بنحوه.

(2) رواه الإمام أحمد في المسند، برقم: (21516)، والترمذي في جامعه، برقم: (2479)، وابن ماجه في سننه، برقم: (4190)، والحاكم في المستدرك (ج2/ 510) من حديث مورق العجلي، عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي إسناده لين، وهو أيضًا مرسلٌ؛ لأنّ مورِّقًا لم يسمع أبا ذرٍّ. وله طريق آخر متصل عند أحمد في الزهد، برقم: (786) إلا أنّ فيه رجلًا مبهمًا.

وأصله في «الصحيحين»: البخاري، برقم: (1044 - 4621 - 6485 - 6486)، ومسلم، برقم: (134 - 2359) من حديث أبي هريرة، وأنس، وعائشة إلى قوله: «ولبكيتم كثيرًا».

(3) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (ج 3/ 320).

(4) البيت لمعن بن أوس في ديوانه (ج2/ 11)، ومجاز القرآن؛ لأبي عبيدة (ج1/ 240)، والكامل في اللغة (ج2/ 157)،.

وبلا نسبة في العين؛ للخليل (ج6/ 182)، ومعاني القرآن؛ للفراء (ج2/ 320)، وأدب الكاتب (ص: 561)، والمقتضب (ج3/ 246).

يُقالُ: وجِلَ، يَوجَلُ، وياجَلُ، ويَيجَل. لُغاتٌ أربَعٌ، حكاها سيبوَيهِ[1]. وأجوَدُها: يَوجَل.

وقال السُّدّي: هو الرّجُلُ يَهُمُّ بالمعصيةِ فَيذكُرُ اللهَ فينزِعُ عنها[2].

وجَمع بَينَ الخوفِ والوجَلِ في ثَنائِه على أهلِه، وقد تقدمَ في قولِه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ إلى قولِه: ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾؛ أي: خائِفة أن لا [190/ أ] يُتَقَبَّل منهُم. وأمّا قولُه تَعالى: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: 28]؛ أي: من خَشيَتِهم منه، فأُضيفَ المصدرُ علَى المفعول، ﴿مُشْفِقُونَ﴾؛ أي: خائِفون. وقال الحسَنُ[3]: يرتَعِدونَ. وقولُه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: 50] عاليًا رَفيعًا عَظيمًا فيفعَلون ما أمَرَهم بِهِ[4].

فَصْلٌ

اعلَم: أنّ صاحِبَ الخوفِ يلتَجِئُ إلى الهرَب والإمساكِ وصاحِبَ الخشيةِ يلتجِئُ إلى الاعتِصام بالعِلم، فمَثَلُهُما مثَلُ مَن لا عِلمَ له بالطِّبِّ ومثَلُ الطّبيبِ الحاذِقِ؛ فالأوَّلُ: يلتَجِئُ إلى الهرَبِ؛ لأنّه ليسَ عندَ الله مَثواه. والثّاني: وهو الطّبيبُ الحاذِقُ يلتَجِئُ إلى معرفَتِه بالأدوية فيمَيّز بينَ الدّاءِ والدّواءِ.

---

(1) انظر: الكتاب؛ لأبي بشر عمرو بن عثمان، المعروف بسيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانية 1402هـ - 1982م، الناشر/ مكتبة الخانجي ودار الرفاعي بالرياض (ج4/ 111).

(2) أكثر كتب التفسير تنسبه إلى مقاتل، ومجاهد. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (ج4/ 202)، وكذلك عزاه الواحدي إلى مقاتل في التفسير البسيط (ج23/ 201)، ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره (ج 11/ 29) عن مجاهد. وعزاه أيضًا الثعلبي إلى مجاهد في الكشف والبيان (ج25/ 350)، والبغوي في معالم التنزيل (ج3/ 318)، ولم أر مَن عزاه إلى السدي غير ابن الجوزي في زاد المسير (ج 3/ 320).

(3) ذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير (ج 5/ 347).

(4) المصدر السابق.

قَالَ أبو حفصٍ[1]: «الخوفُ سَوطُ اللهِ يُقَوِّمُ به الشَّارِدَ[2] عن بابِه»[3]. وقَالَ أيضًا: «الخوفُ سِراجُ القلبِ، به يُبصِرُ ما فيه مِنَ الخيرِ والشَّرِّ»[4].

وَكُلُّ أحَدٍ إذا خِفتَه هَرَبتَ منه إلَّا اللهَ تعالى، فإنَّكَ إذا خِفتَه هَرَبتَ إليه، فالخائِفُ هارِبٌ مِنَ اللهِ إلى اللهِ.

قَالَ أبو سُلَيمانَ الدَّارانيّ: «ما فارَقَ الخوفُ قلبًا إلَّا خَرِبَ»[5]. وقَالَ أيضًا: «أصلُ كُلِّ خيرٍ في الدُّنيا والآخِرة الخوفُ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ»[6]. وقَالَ أيضًا: «الأعمَى مَن عَمِيَ بعدَ البصَرِ، والهالِكُ مَن ضَلَّ في آخِرِ سَفَرِه وقد قارَبَ المنزِلَ، والخاسِرُ مَن أبدَى لِلنَّاسِ صالح عَمَلِه، وبارَزَ بالقبيحِ مَن هو أقرَبُ إليه من حَبلِ الوريدِ»[7]. وقَالَ إبراهيمُ بنُ شَيبانَ[8]: «إذا سَكَنَ الخوفُ في القلبِ أحرَقَ مَواضِعَ الشَّهواتِ منه، وطرَدَ الدُّنيا عنه»[9].

---

(1) النيسابوري الحدّاد، اختلف في اسمه؛ فقيل: عمر بن سلم، وقيل: عمرو بن سلمة، وقيل غير ذلك. وهو أول من أظهر طريقة التصوف بنيسابور. توفّي سنة (264هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (ج12/ 510).

(2) كذا في الأصل، وفي المصادر الآتية: الشاردين.

(3) ذكره عنه السلمي في طبقات الصوفية (ص: 249)، والقشيري في رسالته (ج1/ 252)، وابن الجوزي في مرآة الزمان (ج16/ 105).

(4) ذكره عنه القشيري في رسالته (ج1/ 252)، وابن الجوزي في مرآة الزمان (ج16/ 105).

(5) ذكره عنه القشيري أيضًا في رسالته (ج1/ 252)، والغزالي في إحياء علوم الدين (ج4/ 162).

(6) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (ج9/ 259)، والبيهقي في شعب الإيمان (ج2/ 264).

(7) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (ج9/ 275).

(8) في الأصل: سُفيان، والمثبت من المصادر الآتية؛ فهو أبو إسحاق إبراهيم بن شيبان القِرميسينيُّ -نسبة إلى بلدة قرميسين الجَبَلية الّتي يقال لها اليوم كِرمانشاه في عربيِّ إيران- زاهد الجبل، وشيخ الصوفية به، توفّي سنة (337هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (ج15/ 392).

(9) أسنده إليه السلمي في طبقات الصوفية (ص: 404)، وعنه القشيري في رسالته (ج1/ 255)، وذكره عنه أيضًا ابن الجوزي في المنتظم (ج14/ 119).

وقال ذو النّونِ: «النّاسُ على الطّريقِ ما لم يَزُل عنهم الخوفُ، فإذا زالَ عنهم الخوفُ ضَلّوا عَنِ الطّريقِ»[1].

وكان عُمرُ بنُ الخطّابِ يَسمعُ الآيةَ فيَعودُ إلى بيتِه مَريضًا، يعني: مِنَ الخوفِ.

وذكَرَ أبو الفرَجِ ابنُ الجوزيِّ في «المُنتخَبِ»[2]: عن فَرقد السّبخيِّ، قال: دَخَلَ بَيتَ المَقدسِ خمسُمِائةِ عذراءَ، لِباسُهُنّ الصّوفُ والمُسوحُ فتَذاكَرنَ ثَوابَ الله وعِقابَه، فمُتنَ جميعًا في مقامٍ واحِدٍ.

وقال بَهزُ بنُ حكيمٍ: أمَّ بنا زُرارة بنُ أوفَى، فقَرأَ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدثر: 8] فخَرَّ ميّتًا[3].

وقَرأ صالِحُ المُرّي علَى أبي جَهيرٍ[4] آيةً فخَرَ مَيّتًا[5]. ومَرَّ عابِدٌ بحدّادٍ فرَأى النّارَ فسَقَطَ، فإذا هو ميّتٌ[6].

وكان أبو عِمرانَ الجونيُّ[7] إذا سَمِعَ الأذانَ تَغيَّرَ لونُه، وفاضَت عَيناه[8]. وسَمِعَ الفُضيلُ بنُ عياضٍ الأذانَ فبَكى حتّى بَلَّ الحصا، وقال: ما أشبَهَه بالنِّداءِ[9].

---

(1) ذكره عنه القشيري في رسالته (ج1/ 254).

(2) المنتخب في النّوب (ص: 131).

(3) رواه ابن سعد في الطبقات (7/ 150)، وأحمد في الزهد، برقم: (1382)، والترمذي في جامعه، برقم: (448).

(4) هو مسعود الضرير، أبو جهير البصري. النظر: المنتظم في تاريخ الملوك (8/ 127).

(5) أسنده أبو محمد جعفر البغدادي في مصارع العشاق (ج1/ 198).

(6) ذكره ابن الجوزي في المنتخب (ص: 131).

(7) في الأصل: أبو عمر الخولاني، والمثبت من المصادر الآتية.

(8) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الرقة والبكاء، برقم: (139)، وذكره عنه ابن الجوزي في المنتظم (ج7/ 223)، وفي صفة الصفوة (ج2/ 157).

(9) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الرقة والبكاء (ص: 124).

وكان عليُّ بنُ الحُسَين إذا تَوَضَّأ اصفَرَّ لونُه، فيُقالُ: ما لَكَ؟ فيَقولُ: أتَدرونَ بينَ يدَي مَن أُريدُ أن أقومَ[1]؟

جلَسَ أبو يَزيدَ البسطاميُّ في يوم جمُعةٍ تحتَ المنبرِ، فقَرَأ الخطيبُ ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: 67] فطارَ الدَّمُ من عَينَي أبي يَزيدَ، فضَرَبَ المنبَرَ[2].

وكان عَطاءٌ السُّلَيميُّ[3] يواصِلُ البُكاءَ، فَبَكى يومًا في غُرفةٍ له، فَسالَتِ الدُّموعُ من الميزابِ فقطرت علَى بعضِ المارّينَ، فقال: يا أهلَ الدّارِ؛ ماؤُكُم طاهِرٌ، فعَلِموا أنّها من دُموعِ عَطاءٍ، فقالوا: نَعَم؛ فَصاحَ عَطاءٌ: يا هذا اغسِله؛ فإنّها دُموعُ مَن عَصَى اللهَ.

فهؤلاء أرعَبَهم الخوفُ من ذكرِ وعيدِ الله كما قدمتُه لَكَ[4].

وقال **حاتِمٌ الأصَمُّ**: «لا تَغتَرَّ بمَكانٍ صالحٍ، فلا مَكان أصلَحُ مِنَ الجنّة، ولَقيَ آدمُ فيها ما لَقيَ، ولا تَغتَرَّ بكَثرة العِبادة، فإنّ إبليسَ بعدَ طولِ العِبادة لَقيَ ما لَقيَ، ولا تَغتَرَّ بكَثرة العِلم، فإنّ بَلعامَ بنَ باعوراءَ لَقيَ ما لَقيَ، وكان يَعرِفُ الاسمَ الأعظَمَ، ولا تَغتَرَّ بِلقاءِ الصّالِحينَ ورُؤيَتِهم، فلا

---

(1) رواه أحمد في الزهد، برقم: (2138)، وابن أبي الدنيا في كتاب الرقة والبكاء، برقم: (148)، وأبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (ج3/ 154)، برقم: (787).

(2) ذكره عنه ابن الجوزي في المنتخب (ص: 132).

(3) عطاء بن عبد الله السَّليمي الزاهد، من أهل البصرة. يروي عن: عبد الله بن غالب الحُدّاني، ومالك بن دينار. روى عنه نوح بن قيس الطاحي، وأهل البصرة. (كان فيمن بايع ابن الأشعث، وقاتل معه حتى قُتل)، لست أحفظ له سماعًا ولا رواية عن أحد من الصحابة، فلهذا أدخلناه في هذه الطبقة، وكان من العُبّاد، (بقي في متعبده أربعين سنة لا يفطر نهارًا ولا ينام ليلًا مع دوام البكاء والأنين وكثرة التوجع والحنين إلى أن مات). انظر: تاريخ الإسلام (3/ 702)، والثقات ممن لم يقع في الكتب السنة (7/ 137).

(4) ذكره عنه ابن الجوزي في كتاب المقلق (ص: 104).

شَخصَ [191/ ب] أصلَحُ مِنَ النّبيِّ ﷺ، ولـم يَنتَفِع بلِقائِه أعداؤُه»[1] انتَهى.

ورأيتُ في نُسخةٍ أُخرَى: «وَلَم يَنتَفِع به أقرَبُ النّاسِ إليه -يعني: عمَّه أبا طالِب- معَ شِدّة محبّة كُلٍّ واحِدٍ منهما للآخرِ الّذي أنزَلَ الله في حَقِّه ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: 56] فلَمّا لم تَحصُل له الهدايةُ عدَلَ إلى الاستغفارِ له، فنَزَل في حقِّه أيضًا: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ﴾ [التوبة: 113]، فهذا النّبيُّ خَيرُ خَلقِ الله وهؤُلاءِ الصّحابة خيارُ الخلقِ بعدَ الأنبياءِ والرُّسُلِ ولم ينفَعوا[2] أقاربَهم بشَيءٍ.

وقال صاحِبُ كِتابِ «العِلَلِ الّتي تدخلُ المقاماتِ»[3]: وأمّا الخوفُ: فهو التّيقُّظُ لِنداءِ الوعيدِ، والحذَرُ ممّا يُثمِرُ الغفَلاتِ، ويوجِبُ الجِناياتِ وهو للعوامِّ. وفي طريقِ الخاصِّ هو أصلُ رِضا العبدِ[4]؛ لأنّه يَرضَى بعضَ أفعالِه ويخافُ بعضَها، وهو يُؤدّي إلى طلَبِ الأمانِ من مولاه الّذي يَستحِقُّ إيثارَه ومحبّتَه. والخائِفُ باقٍ في مُشاهَدَتِه ذاتَه، والنُّصحِ عن نفسِه. ولا يَأمَنِ الخائِفُ أن يَعبُدَ مولاه على وحشةٍ من نظَرِه، ونُفرةٍ مِنَ الأُنسِ به عن ذكرِه، قال تعالى: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ [الشورى: 22]. وقال في موضِعٍ آخرَ: وحُزنُهم: هيبةُ الجلالِ لا خَوفُ العذابِ. هيبةُ الجلالِ: تعظيمُ الحقِّ، ونِسيانُ النّفسِ، قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾. انتهى.

---

(1) ذكره عنه القشيري في رسالته (ج1/ 257)، والغزالي في إحياء علوم الدين (ج4/ 185).

(2) في الأصل: ينتفعوا، وكتب عليها في حاشية الأصل: ينتفع، والمثبت هو الأقرب، والله أعلم.

(3) انظر: كتاب العلل التي تدخل المقامات، (ص 320).

(4) زاد بعدها كلمة: فعله. وضرب عليها.

فلا بُدَّ في كلامِه رَحِمَهُ ٱللَّهُ من غُموضٍ أو نَظَرٍ، كما تَقدم كَلامُه في غير موضعٍ فقوله: «الخائفُ أن [191/ أ] يَعبُدَ مولاه على وحشةٍ ونُفرةٍ» كلامٌ فيه نظرٌ، بلِ العابدُ الخائفُ علَى قِسمَينِ:

أحدهما: أن يكونَ خائفًا مِنَ الله لهَيبَتِه وعَظَمَتِه وكِبريائِه وجَبَروتِه؛ «**نِعمَ العبدُ صُهَيب**[1]؛ **لو لم يَخَفِ اللهَ لم يَعصِه**»[2]، كيف وقد خافَه فبطَريقِ الأولَى والأحرَى: أن لا يقَعَ منه عِصيانٌ مع الخوفِ، وكذلك الرَّبيعُ بنُ خُثَيم كان ابنُ مَسعودٍ إذا نَظَرَ إليه قال: مَرحبًا يا أبا يَزيدَ؛ لو رَآكَ رسول الله لأَحَبَّكَ ولَأَوسَعَ لَكَ إلى جَنبه، ثُمَّ يَقولُ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤][3]. وكان من أشَدِّ التابعين خَوفًا مِنَ الله، حَتَّى إنَّه رُؤِيَ في النَّوم فَقيلَ لَه: ما فَعَلَ الله بكَ؟ فقال: أوقَفَني بَينَ يَدَيه، وقال: لِمَ خِفتَني هَذا الخوفَ كُلَّه[4]؟.

---

(1) في الأصل (صهيبًا)، وفي جميع المصادر الآتية: صهيب، بالرفع وهو الصواب.

(2) هذا الأثر مشهور عند النحاة والأصوليين وأصحاب المعاني موقوفًا ومرفوعًا، ولم أقف له على إسناد. وذكره أبو عبيد في غريب الحديث (ج4/ 284)، ولعلَّه أول مَن أورده دون إسنادٍ. قال ابن كثير في مسند الفاروق (ج2/ 681): «لم أره إلى الآن بإسنادٍ عنه... وقد ذكره أبو عبيد في كتاب الغريب، ولم أره أسنده». وقال السيوطي في جمع الجوامع (ج16/ 163): «أورده أبو عبيد في الغريب ولم يسق إسناده، وقد ذكر المتأخرون من الحفاظ أنهم لم يقفوا له على إسناد، وإنما ذكرته هنا وإن كان ليس من شرط الكتاب لشهرته، ولأنبه على أن أبا عبيد أورده، وأبو عبيد من الصّدر الأول، قريب العهد، أدرك أتباع التابعين، فالظاهر أنه وصل إليه بإسناد».

قال العراقي وغيره: لا أصل له. وورد مرفوعًا بمعناه في سالم مولى أبي حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. أخرجه أبو نعيم في الحلية (ج1/ 177) من حديث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بإسنادٍ مسلسل بالعلل.

وانظر: عروس الأفراح؛ للبهاء السبكي (ج2/ 79)، واللآلئ المنثورة؛ للزركشي، برقم: (169)، والمقاصد الحسنة: (ص: 449)، وكشف الخفاء (ج2/ 428)، وتدريب الراوي (ج2/ 162).

(3) رواه الطبراني في المعجم الكبير (ج10/ 151)، برقم: (10286)، وذكره عنه ابن الجوزي في صفة الصفوة (ج2/ 34).

(4) هنا سقط في المخطوط.

بذلك، فإنّه لا أحلَى من الحضور في اليقظة؛ فإنّه يَنبغي أن يخاف المكرَ، وأن يُسلَبَ هَذا الحُضورَ، واليَقَظة، وحلاوةَ صاحبه ذلك. فَكم من مغبوطٍ بحالِه انعَكسَ عليه الحالُ، ورَجَعَ من حُسنِ المُعامَلة إلى قَبيحِ الأعمالِ؛ كبَلعامَ، وبرصيصا[1]، وغيرهما.

فأصبح يُقلِّبُ كفَّيه ويضربُ باليمينِ على الشّمالِ، فيُشبه البدرَ عندَ كَماله إذ خَسَفَ، فدخلَ في الظّلام، فبُدِّلَ بالأُنسِ وحشةً، وبالحضور غيبةً، وبالإقبالِ إعراضًا، وبالتّقريبِ إبعادًا، وبالجمعِ تفرقةً؛ كما قيلَ [من البسيط]:

أحسَنتَ ظَنّكَ بالأيّامِ إذ حَسُنَت ... وَلم تَخَف سوءَ ما يَأتي به القدَرُ
وسالمتكَ اللّيالي فاغترَرتَ بها ... وعند صَفوِ اللّيالي يَحدُثُ الكدَرُ[2]

وقولُه[3]: «يَعبُدُ مَولاه على وحشة»، قال غير واحدٍ مِنَ العارفينَ: لَيس في مقام أهل الخُصوصِ وحشة الخوفِ إلّا هَيبة الجلالِ، وهي أقصَى دَرَجةٍ يُشارُ إليها في غاية الخوفِ. فوَحشة الخوفِ إنّما تكونُ معَ الانقِطاعِ والإساءة وكَثرة الذّنوبِ الظّاهِرة والباطِنة من أفعالِ القُلوب. وأهلُ الخُصوصِ أهل وُصولٍ إلى الله وقُربٍ منه، فليس خَوفُهم خَوفَ وحشة؛ كَخوفِ المُذنبينَ المُنقَطِعينَ عنه، بل كُلَّما كان العبدُ بالله أعرَفَ كان إليه أقرَبَ، وكانت هَيبة جَلالِه في قلبِه أعظَمَ.

الثّاني: أن يكونَ خائفًا مِنَ الله تَعالى من كَثرة ذُنوبه وعِصيانِه وسوءِ عاقِبَتِها، وخَوفِه من عَدَمِ قَبولِ تَوبَتِه، وخوفِه أيضًا مِنَ العُقوبة؛ وهو

---

(1) برصيص أو برصيصا: من عباد بني إسرائيل، ثم فتنه الشيطان، وله قصة. انظر: المنتظم لابن الجوزي (ج2/ 158).

(2) البيتان للشافعي في الانتقاء؛ لابن عبد البرِّ (ص: 101)، ولسعيد بن حميد في الزهرة؛ لأبي بكر الأصبهاني (ص: 806)، وبلا نسبة في الزهد الكبير للبيهقي (ص: 255)، والرسالة القشيرية (ج1/ 256)، وقال: سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رَحِمَهُ اللهُ ينشد هذين البيتين كثيرًا.

(3) أي قول صاحب كتاب العِلل الّتي تدخلُ المقاماتِ.

يَتَوَلَّدُ من إيمانه بتَصديقِ الوعيدِ مِنَ الله بما قد يَؤولُ أمرُه إليه وقد يَغفِر، وعلَى قدرِ شُعورِه بسبَبِ ذنبه يكون خوفُه، فَمَن لم يعتَقِد؛ أنَّ سببَ كَذا يُفضي به إلى محذورِ كَذا؛ لم يَخَف منه، فالعارِفُ بالعواقبِ وقدرِ المخَوفِ منه هو الخائِفُ، فهذا لا يَكونُ خَوفُه كخَوفِ الأوَّلِ، هذا خَوفُ الهيبة والعظمة، وهذا خوفُ العذابِ.

فَصْلٌ

والخوفُ ليسَ مقصودًا لِذاته، بَل مَقصودًا لِغيره قصدَ الوسائِلِ بزَوالِ الخوفِ، فإنَّ القُرآن نَطَق في غيرِ موضِع: بأنَّ أهل الجنَّة لا خوفٌ عليهم ولا هم يَحزَنون، قال تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾ [الزخرف: 68]، وقال تعالى: ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [آل عمران: 170].

فالخوفُ يَتَعلَّقُ بالأفعال، والمحبّةُ تتَعَلَّقُ بالذّاتِ والصِّفاتِ، ولهذا تَتَضاعَفُ محبّة المُؤمِنين لِربِّهم عَزَّوَجَلَّ إذا دَخَلوا دارَ النَّعيم ولا يلحَقُهم فيها خوفٌ البتّة، كما قدَّمتُه لكَ، ولهذا كانت منزلة المحبّة ومقامُها أعلَى وأرفَع من مَنزلة الخوفِ ومَقامه. والخوفُ المحمودُ ومَقامه الصّادِقُ: ما حالَ بينَ [192/ ب] صاحبِه وبينَ مَحارِمِ الله تَعالى، فإذا تَجاوَزَ ذلك خِيفَ منه اليأسُ والقنوطُ.

قال أبو عُثمان رَحِمَهُٱللَّهُ(1): «صِدقُ الخوفِ هو الورَعُ عَنِ الآثامِ ظاهِرًا وباطِنًا».

---

(1) أي الحيري، أسنده عنه القشيري في رسالته (ج1/ 254).

وقال ابنُ عبد السّلام: مَن عَرَف شِدّة بَطشِ الله تَعالى واقتِدارَه على مَن تَجرَّأ على محارِمه؛ حَصَلَ له الخوفُ، ويَنشأ عنه أقوال الخائِفِ وأفعالُه، ومَن عَرَف سعةَ رَحمةِ الله تَعالى حَصَل له الرّجاءُ ويَنشَأُ عنه أقوالُ الرّاجي وأفعالُه[1]. انتَهى.

وقال العلّامة ابنُ القيّم[2]: «سَمِعتُ شيخَ الإسلام ابنَ تَيمية يقول: الخوفُ ما حَجَزَك عن مَحارِم الله»[3].

وقال شَيخُ الإسلامِ الأنصاري: «الخوفُ: هو الانخِلاعُ من طُمأنينةِ الأمنِ بمُطالعة الخبَرِ»[4].

يعني: الخُروجَ عن سُكونِ الأمنِ باستِحضارِ ما أخبَرَ الله تَعالى به مِنَ الوعدِ والوعيدِ. وتارة يكونُ الخوفُ بوَسوَسةِ الشّيطانِ حتّى يُقنِّطَ المُؤمِنَ من رحمة الله؛ لأنّه يجري مِنِ ابنِ آدم مجرَى الدّمِ، ويَستضعِفُ قلبَ بعضِ المُؤمنينَ.

وقولُه تَعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران: 175]، قال الزّجّاج: معناه: ذلكُمُ التّخويفُ كان من فعلِ الشّيطانِ سَوَّله للمُخوِّفينَ[5].

وفي قولِه: ﴿يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ قولانِ للمُفسِّرينَ:

أحدُهما: أنّ معناه: يُخوِّفُكُم بأوليائِه. قاله الفرّاءُ[6]، واستدَلَّ بقولِه: ﴿لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا﴾ [الكهف: 2] قال: ببأسٍ، وبقولِه: ﴿لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: 15]، وقال الزّجّاجُ[7]: معناه: يُخوِّفُكم من أوليائِه؛ بدَليل قولِه: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ﴾ [آل عمران:

(1) لم أقف عليه.
(2) مدارج السالكين (ج2/ 184).
(3) المستدرك على مجموع الفتاوى (ج1/ 147).
(4) منازل السائرين (ص: 20).
(5) معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 490).
(6) معاني القرآن (ج1/ 248).
(7) معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 490).

175]، وهذا قولُ ابنِ عبّاسٍ[1]، وسعيدِ بنِ جُبَيرٍ[2]، وعِكرمةَ، وإبراهيمَ[3]، وابنِ قُتَيبةَ[4]، وأنشَدَ ابنُ الأنباريِّ[5] [من الوافر]:

وَأيقَنتُ التّفرُّقَ يومَ قالوا انقَسَمَ مالُ أربَدَ بالسِّهامِ[6]

أرادَ: وأيقَنتُه بالتّفرُّقِ، فلمّا أسقَطَ الباءَ أعمَلَ الفِعلَ فيما بعدَها ونَصَبَه. قال: والّذي نَختارُه في الآيةِ أنّ المعنَى: يُخَوِّفُكم أولياءَه. تقولُ العربُ: أعطَيتُ المالَ، [192/ أ] يُريدونَ: أعطَيتُ القومَ المالَ، فيحذفونَ القومَ، ويقتَصِرونَ علَى ذكرِ المفعولِ الثّاني.

والقولُ الثّاني: أنّ معناه: يُخَوِّفُ أولياءَه المُنافِقينَ؛ ليقعدوا عن قِتالِ المُشرِكينَ. قاله الحسَنُ[7]، والسُّدِّيُّ[8]، وذكَرَه الزّجّاجُ[9].

وفي هذه الآيةِ دليلٌ علَى أنّ اللهَ تعالى أمَرَ بالخوفِ منه، فقال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ في تركِ أمري ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

---

(1) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (ج 6/ 255).

(2) ذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير (ج1/ 506).

(3) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (ج3/ 820)، برقم: (4534) عن، عكرمة، وإبراهيم النخعي.

(4) غريب القرآن (ص: 116).

(5) إيضاح الوقف والابتداء (ج1/ 190).

(6) البيت للبيد بن ربيعة العامري في ديوانه (ص: 128)، وسيرة ابن هشام (ج2/ 571)، والمعاني الكبير (ج3/ 1202)، والأغاني (ج17/ 44)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة (ج3/ 1319)، وإيضاح الوقف والابتداء (ج1/ 190).

(7) ذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط (ج6/ 188)، وابن الجوزي في زاد المسير (ج1/ 507).

(8) رواه الطبري في تفسيره (ج 6/ 256)، وابن أبي حاتم في تفسيره (ج3/ 820)، برقم: (4530).

(9) معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 490).

وفي (إن) هُنا قولانِ:

أحَدُهما: أنّها بمعنَى «إذ». قاله ابنُ عبّاسٍ(1)، ومُقاتِلٌ(2).

والثّاني: أنّها للشَّرطِ، وهو قولُ الزّجّاجِ(3) في آخِرين، ذكَرَهُما في «زاد المسيرِ»(4)، فعلى هذا يكونُ قد شَرَطَ في إيمانِهم الخوفَ.

فَصْلٌ

وأمّا الرّجاءُ: قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: 111]، ومثلُه قولُه: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ﴾ [العنكبوت: 5]، وقال تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: 57].

ففي هذه الآيةِ الكريمةِ ثلاثةُ مَقاماتٍ للإيمانِ: فابتِغاءُ الوسيلةِ إليه: طلَبُ القُربِ منه بالعُبوديّة والمحبّة. فهذه الثّلاثة الّتي عليها بناءُ الإيمانِ: الحُبُّ، والخوفُ، والرّجاءُ.

فالقلبُ في سيره إلى الله تَعالى بمنزلةِ الطّائر في طيَرانه طالبًا مقصودَه. فالمحبّة رأسُه، والخوفُ والرّجاءُ جَناحاه، فمَتى سلِمَ الرّأسُ والجناحانِ فالطّائرُ مُجدٌّ(5) في طيَرانه لا عاقة له من نفسه، ومَتى قُطِعَ الرّأسُ ماتَ الطّائرُ، ومَتى عُدِم الجناحانِ فهو مُعرَّضٌ لِكُلِّ آفة من صائدٍ وكاسرٍ، ونحوه.

وقدِ استَحبَّ العُلَماءُ [193/ ب] والمشايخُ أن يكونَ العبدُ في حالِ الصِّحّة خَوفُه أكثَرُ من رجائه، وفي حالِ المرضِ ومُفارقةِ الدُّنيا أن يكونَ

(1) ذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير (ج 1/ 507).

(2) تفسير مقاتل (ص: 317).

(3) معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 490).

(4) زاد المسير (ج 1/ 507).

(5) كذا في الأصل، وفي المدارج: جيِّد.

الرّجاءُ هو الغالِب على الخوفِ، وهذه طريقة السّلفِ كأبي سُليمان الدّاراني، ونصَرَه النّواويُّ[1].

قال بعضُ أصحابِنا: «يَنبَغي للقَلب أن يكونَ الغالِبُ علَيه الخوفَ، فإنّه إذا كان الغالِبُ علَيه الرّجاءَ فَسَدَ»[2]. وقال غيره: «أكمَلُ الأحوالِ: اعتِدالُ الرّجاءِ والخوفِ، وغَلَبةُ الحُبِّ»[3]، ولا بُدَّ لِكلِّ عبد من خَوفٍ ورَجاءٍ، وقد ورَدَ فيهما مِنَ الأحاديثِ والآثارِ ما هو كافٍ للمَعارِفِ، فَقد ورَد في «صحيح مُسلم»[4] من حديثِ جابرِ بنِ عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: سَمِعتُ رسول الله ﷺ يقولُ قَبلَ مَوته بثلاثٍ: «**لا يَموتَنّ أحَدُكم إلّا وهو يُحسِنُ الظّنّ بربِّه**». وفي «الصّحيح»[5] أيضًا عنه ﷺ يقولُ الله عَزَّوَجَلَّ: «**أنا عند ظَنِّ عبدي بي، فَلْيَظُنّ بي ما شاءَ**».

عن عائِشة، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا عَصَفَتِ الرّيحُ، قال: «**اللهم إنّي أسألك خيرَها وخيرَ ما فيها، وأعوذُ بكَ من شَرِّها وشَرِّ ما فيها، وشَرِّ ما أرسِلَت به**»، وإذا تَخَيَّلَتِ[6] السّماءُ تَغيَّرَ لونُه، وخَرَجَ ودَخلَ، وأقبَلَ وأدبَرَ، فإذا مَطَرَت، سُرّيَ عنه، فَعَرَفَت ذلك عائِشة، فَسألَته؟ فقال: «**لَعَلّه**

---

(1) شرح النووي على مسلم (17/ 210).

(2) ذكره القشيري في رسالته (ج1/ 255).

(3) ذكره ابن القيم في مدارج السالكين (ج2/ 188).

(4) صحيح مسلم، برقم: (2877).

(5) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، برقم: (7405) ورقم (7505)، ورواه مسلم، برقم: (2675) من حديث أبي هريرة، وليس فيه قوله: «فليظن بي ما شاء»، وبتمامه رواه الإمام أحمد في مسنده، برقم: (16016)، والدارمي في مسنده، برقم: (2773)، وابن حبان في صحيحه، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من الثقة بالله جل وعلا بحسن الظن في أحواله به، برقم: (4747) من حديث واثلة بن الأسقع بإسناد صحيح.

(6) في الأصل: تجللت، والمثبت من صحيح مسلم. وتخيلت: تهيَّأت للمطر. السحابة المُخيلة: الّتي إذا رأيتَها حَسِبتَها ماطرةً. انظر: تهذيب اللغة (ج7/ 230).

يا عائشة؛ كما قال قومُ عادٍ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾»[1] [الأحقاف: 24].

وفي رواية: قالت عائشة: فَسألتُه؟ فقال: «إنّي خَشيتُ أن يَكونَ عَذابًا سُلِّطَ على أُمَّتي»... الحديثَ. رواه البُخاريُّ[2] [193/ أ].

وروَى التِّرمذيُّ[3] من حديثِ أبي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ النبيَّ ﷺ قال: «مَن خافَ أدلَجَ، ومَن أدلَجَ بَلَغَ المنزِلَ، ألا إنّ سِلعة الله غالية، ألا إنّ سِلعة الله الجنّة».

وعن أنَسِ بنِ مالِكٍ، قال: دَخَلَ رسول الله ﷺ على شابٍّ وهو في الموتِ، فقال: «كيف تَجِدُكَ؟» قال: أرجو اللهَ يا رسول الله، وأخافُ ذُنوبي، فقال رسول الله ﷺ: «لا يَجتَمِعانِ في قَلبِ عبد في مِثلِ هَذا الموطِنِ، إلّا أعطاه الله ما يَرجو منه، وآمَنَه مِمّا يَخافُ»، رواه التِّرمذيُّ[4].

---

(1) رواه مسلم، برقم: (899).

(2) هذا لفظ مسلم أيضًا برقم: (899)، ولفظ البخاري هو لفظ الرواية السابقة، حديث رقم (3206).

(3) جامع الترمذي، برقم: (2632)، وقال: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث أبي النضر. ورواه البخاري في تاريخه (ج2/ 111)، وعبد بن حميد (المنتخب - 1460)، والقضاعي في مسند الشهاب برقم: (406)، والحاكم (ج4/ 343) من طريق يزيد بن سنان الرهاوي عن بكير بن فيروز عن أبي هريرة، فذكره. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

قلت: في سنده أبو فروة يزيد بن سنان التميمي الرهاوي، وهو ضعيف، وبكير بن فيروز لم يوثقه غير ابن حبان. انظر: تهذيب الكمال (32/ 156 - 159).

(4) رواه الترمذي في سننه، أبواب الجنائز عن رسول الله ﷺ برقم (1007)، من طريق سيّار بن حاتم، قال حدثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس. وقال: هذا حديث غريب. وقد روى بعضهم هذا الحديث، عن ثابت، عن النبي ﷺ مرسلًا. ورواه الإمام أحمد في الزهد، برقم: (132)، وعبد بن حميد في المنتخب، برقم: (1368)، وابن ماجه في سننه، برقم: (4261)، والنسائي في السنن الكبرى (10834)، كلهم من طريق جعفر بن سليمان، به. قال الدارقطني في العلل، (ج12/ 27)، رقم (2368): يرويه جعفر بن سليمان، عن ثابت، واختُلِفَ عنه، فأسنده=

ورَوَى أيضًا من حديثِ أبي [هريرة][1]: أنّ النّبيّ ﷺ قال: «لو يَعلَمُ المُؤمنُ ما عند الله مِنَ العُقوبة ما طَمِعَ بجنّته أحَدٌ، ولو يَعلَمُ الكافِرُ ما عند الله مِنَ الرّحمة ما قَنَطَ من جَنّته أحَدٌ»[2].

والمقصودُ: أنّ الخوفَ والرّجاءَ من أشرفِ مقاماتِ القومِ، وقد تقدمَ الكلامُ علَى الخوفِ. والرّجاءُ حادٍ يَحدو القُلوبَ إلى الله تعالى والدّارِ الآخِرة، ويطيبُ لها السّير. وقيلَ: الرّجاءُ: هو الاستبشارُ بوجودِ فضلِ الرّبِّ تعالى والارتياحِ لِمُطالعةِ كرَمِه.

قال العلّامةُ ابنُ القيِّم[3]: الفرقُ بينَ الرّجاءِ والتّمَنّي[4]: أنّ التّمنّي يكونُ مَعَ الكسَلِ، ولا يسلُكُ بصاحبِه طريقَ الجدِّ والاجتهادِ. والرّجاءُ يكونُ مَعَ بذلِ الجُهدِ وحُسنِ التّوكُّلِ.

فالأوّلُ: كَحالِ مَن يتمنّى أن يكونَ له أرضٌ يبذُرُها ويأخُذُ زرعَها.

والثّاني: كَحالِ [194/ ب] مَن يشُقُّ أرضَه ويفلَحُها ويبذُرُها، ويرجو طُلوعَ الزّرعِ. ولهذا أجمع العارِفون علَى أنّ الرّجاءَ لا يصِحُّ إلّا مَعَ العملِ.

قال شاهُ الكرمانيُّ[5]: «علامة صِحّة الرّجاءِ: حُسنُ الطّاعةِ»[6].

=سيار بن حاتم، عن جعفر، عن ثابت، عن أنس. ورواه أبو الربيع الزهراني، عن جعفر، عن ثابت مرسلًا، وهو المحفوظ.

(1) في الأصل: رزين، والمثبت من مصادر الحديث، وهو الصواب.

(2) رواه مسلم، في صحيحه برقم: (23 - 2755).

(3) مدارج السالكين (ج2/ 260).

(4) وضع الناسخ عنوانًا بخط مغاير فيه: الفرق بين الرجاء، والتمني.

(5) شاه بن شجاع الكرماني أبو الفوارس، من علماء الصوفية، وله رسالات مشهورة، والمثلَّثةُ التي سماها «مرآة الحكماء»، قال ابن الملقن: كان كبير الشأن، حاد الفراسة، قل أن يخطئ. المتوفي سنة (270هـ). انظر: طبقات الصوفية (ص: 64)، طبقات الأولياء (ج1/ 60)، والوافي بالوفيات (ج14/ 23).

(6) ذكره القشيري في سالته (ج1/ 260)، وأسنده السلمي في طبقات الصوفيّة (ص: 193).

فَصْلٌ

والرَّجاءُ ثلاثةُ أنواعٍ: نوعانِ محمودانِ، ونوعٌ غرورٌ مذمومٌ.

فالأوَّلانِ: رجاءُ رجُلٍ عَمِلَ بطاعةِ الله علَى نورٍ مِنَ الله، فهو راجٍ لِثَوابه.

ورَجُلٍ أذنَبَ ذَنبًا ثُمَّ تابَ منه إلى الله تعالى فهو راجٍ لِمَغفرَته.

وهذا معنَى حُسنِ الظَّنِّ بالله الوارِدِ في الحديثِ، فحُسنُ الظَّنِّ لِأحدِ رَجُلَينِ: إمّا لِنادمٍ علَى خطاياه خائِفًا عُقوبةَ الله عَزَّوَجَلَّ. وإمّا لِمُجتهدٍ في طاعةِ الله راجٍ مِنَ الله القبولَ.

والثّالثة: رَجلٌ مُتمادٍ في التّفريطِ والخطايا. يرجو رحمةَ الله بلا عمَلٍ، فهذا هو الغرورُ والتّمنّي والرّجاءُ الكاذِبُ.

ورأيتُ رَجُلًا، فقُلتُ لَه: ما تتَّقي اللهَ وتُصلي؟ فقال: اللهُ غفورٌ رَحيمٌ، وأنا أُحسِنُ الظّنّ بربّي، ورَبّي كريمٌ. فقُلتُ لَه: قال بعضُ السّلَفِ: يقولُ أحَدُهُم: أنا أُحسِنُ الظّنّ بالله، وكذَبَ، لو أحسَنَ الظّنّ لَأحسَنَ العملَ، والله تَعالى أمَرَك ونَهاكَ، أمَرَكَ بالطّاعة، ونَهاكَ عَنِ المعصيةِ، فإذا لم تَمتثِلْ ما أمَرَكَ الله به وما نَهاك عنه، كيفَ تُحسِنُ الظّنّ بالله وأنت مُخالِفٌ لَه؟! إنّ الّذي يُحسِنُ الظّنّ بالله هو المبادِرُ الممتَثِلُ ما أمَرَه الله به وما نَهاه عنه، فيعمَلُ بطاعة الله وهو يخافُ من عدَمِ القبولِ، فظَنُّه بالله أنّه يقبَلُ منه فعلَه، فسَكَتَ ولم يرُدَّ جوابًا.

وينبَغي للعبدِ السّالِك وكُلِّ مُكلَّفٍ أن يكونَ له حالَتانِ:

حالةٌ ينظُرُ إلى نفسِه وعُيوبِه وآفاتِ عمَلِه من تقصيرٍ ورياءٍ وعدَمِ

إخلاصٍ وغيرِ ذلك، فيَفتَحُ عليه بابَ [194/ أ] الخوفِ مِنَ الله، فهو دَواؤُه في هذه الحالة.

والحالةُ الثّانيةُ: ينظُرُ إلى سِعة فضلِ رَبِّه ورحمَتِه وكرَمِه وبِرِّه وعفوِه، فهذا فتَحَ بابَ الرّجاءِ، وهو دَواؤُه في هذه الحالةِ؛ ولهذا قيلَ في حَدِّ الرّجاءِ: هو النّظَرُ إلى سعة رحمة الله.

وقال أبو عليٍّ الرّوذباريُّ(1): «الخوفُ والرّجاءُ؛ كجناحَي الطّائرِ، إذا استَوَيا استوَى الطّيرُ وتَمَّ طَيَرانُه، وإذا نَقَصَ أحَدُهُما وقَعَ فيه النّقصُ، وإذا ذَهَبا صارَ الطّائرُ في حَدِّ الموتِ»، انتهى.

وقد تقدمَ معنًى هذا.

وسُئِل أحمدُ بنُ عاصِم(2): ما عَلامة الرّجاءِ في العبدِ؟ فقال: «أن يكونَ إذا أحاطَ به الإحسانُ أُلهِمَ الشُّكرَ، ورآه واجِبًا؛ لِتمامِ النِّعمةِ مِنَ الله عليه، وتَمامِ عَفوِه عنه في الآخِرة».

فَصْلٌ

وقدِ اختلَفَ العُلَماءُ وأربابُ السُّلوكِ: أيُّ الرّجائَينِ أكمَلُ: رجاءُ المُحسنِ ثوابَ إحسانِه. أو رَجاءُ المُذنِبِ المُسيءِ التّائِبِ مغفرةَ رَبِّه وعفوِه؟

فطائفةٌ مِنَ العُلماءِ والعُبّادِ رجَّحَت رجاءَ المُحسِنِ؛ لِقوّة أسبابِ الرّجاءِ معه. وطائفةٌ مِنَ العُلماءِ والعُبّادِ رَجَّحَت رَجاءَ المُذنِبِ؛ لأنّ رجاءَه مُجرَّدٌ عن عِلّة رُؤيةِ العمَلِ مقرونٌ بذلّة رُؤيةِ الذّنبِ.

قال يَحيى بنُ مُعاذٍ الرّازيُّ: «يَكادُ رَجائي لَكَ مع الذّنبِ يَغلِبُ على

---

(1) أسنده البيهقي في شعب الإيمان، برقم: (996)، والقشيري في رسالته (ج1/ 260).

(2) أسنده أيضًا القشيري في رسالته (ج1/ 260).

رَجائي لَكَ مع الأعمالِ؛ لِأنّي أجِدُني أعتَمِدُ في الأعمالِ علَى الإخلاصِ، وكيفَ أحذَرُها وأنا بالآفاتِ معروفٌ. وأجِدُني في الذُّنوبِ أعتَمِدُ على عَفوِكَ، وكيف لا تَغفِرُها وأنت بالجودِ مَوصوفٌ».

وقال أيضًا: «إلَهي؛ أحلَى [195/ ب] العطايا في قَلبي رَجاؤُكَ. وأعذَبُ الكلامِ على لِساني ثَناؤُكَ. وأحَبُّ السّاعاتِ لي ساعة يَكونُ فيها لِقاؤُكَ»(1).

وقد ذكَرَ **شيخُ الإسلامِ الأنصاري**(2): أنّ منزلةَ الرّجاءِ من أضعفِ مَنازِلِ المُريدِ، وإنّما كانت ضعيفةً بالنِّسبة إلى ما فوقَها مِنَ المنازلِ؛ كمَنزلةِ المعرفةِ والمحبّة والإخلاصِ والصِّدق والتّوكُّل، لا أنّها ضعيفة في نفسِها علَى ما قدَّمتُه لَكَ، والله أعلَم.

وإن كان إنّما أراد أنّها ضعيفة مُطلقًا، فلَيس كذَلِك، بل قد قدَّمتُ لكَ أيُّها الأخُ أنّها من أشرفِ مَقاماتِ السّالِكينَ، ومن أجَلِّ المنازلِ وأعلاها. وتقدمَ أنّ مدارَ سَيرِ السّالِكِ إلى الله تَعالى علَى مَقامِ الخوفِ والرّجاءِ والمحبّة.

وقد تَقدم في ذلك مِنَ الآياتِ والأحاديثِ ما فيه كِفايةٌ، وقد أتَى الله تَعالى على أهله ومدحِهم، فقال: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾ [الأحزاب: 21].

وفي الحديثِ الصّحيحِ الإلَهيِّ: أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «**يَقولُ الله عَزَّوَجَلَّ: ابنَ آدَمَ؛ إنّكَ ما دَعَوتَني ورَجَوتَني غَفَرتُ لَكَ على ما كان منكَ ولا أُبالي**»(3).

---

(1) ذكرهما القشيري في رسالته (ج1/ 261).

(2) منازل السائرين (ص: 33 - 34).

(3) رواه الإمام أحمد في مسنده، برقم: (21472) من طريق عارم، عن مهدي بن ميمون،=

وفي «صحيح مسلم»[1] من حديثِ الأعمشِ، عن أبي صالِحٍ، عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «يقولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: أنا عند ظَنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذَكَرَني، إن ذَكَرَني في نَفسِه ذَكَرتُه في نَفسي، وإن ذَكَرَني في مَلَإٍ ذَكَرتُه في مَلَإٍ خَيرٍ منهم، وإن [195/ أ] اقترَبَ مِنّي شِبرًا اقتَربتُ إليه ذِراعًا، وإن أتاني يَمشي أتيتُه هَروَلة».

فَصْلٌ

واعلم أنّه كُلَّما قويَتِ المحبّة قَوِيَ الرّجاءُ. فإنّ كُلَّ مُحبٍّ راجٍ خائفٌ بالضّرورة، فهو أرجَى ما يكونُ لحبيبِه أحَبّ ما يَكونُ إليه. وكذلكَ خوفُه، فإنّه يخافُ سُقوطَه من عينِه، وطردَه وإبعادَه واحتجابَه عنه.

فالمقصودُ: أنّ رَجاءَ العبدِ لِمَحبوبه ذاتيٌّ للمَحبّة، فإنّه يرجوه قبلَ لِقائِه والوُصولِ إليه، فإذا لقيَه ووصَلَ إليه اشتَدَّ الرّجاءُ له لِما كان يظُنُّ أنّه يحصلُ له به مِنَ اللُّطفِ والبِرِّ والإقبالِ والرِّضا وغيرِ ذلك مِمّا لا حياةَ للمُحبِّ ولا نعيمَ ولا فوزَ إلّا بوُصولِه إليه من محبوبه؛ فرَجاؤُه أعظَمُ رَجاءٍ، وأتمُّه وأجَلُّه. وما ذاكَ إلّا أنّه لَمّا سَمِعَ العِبادُ بأسمائه الحُسنى

=عن غيلان، عن شهر بن حوشب، عن معدي كرب، عن أبي ذرٍّ. ورواه الدارمي، برقم: (2788) عن عارمٍ، بهذا الإسناد، والبيهقي في الشعب برقم: (1042) من طرق عن مهدي بن ميمون، به. ورواه الترمذي في جامعه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ برقم (3871) من طريق عبد الله بن إسحاق، عن أبي عاصم، عن كثير بن فايد، عن سعيد بن عبيد، عن بكر بن عبد الله المزني، عن أنس بن مالك. وقال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه». قال أبو حاتم: هذا حديث منكر. انظر: كتاب العلل لابن أبي حاتم (ج15/ 5).

(1) متفق عليه: 1- صحيح البخاري، كتاب التوحيد، برقم: (7405)، 2- صحيح مسلم، برقم: (2/ 2675) بهذا الإسناد.

وسمِعوا منها: البرّ، والمُحسن، واللّطيف، فتَعلّقوا بهذه الأسماءِ. ومعرفةُ العبد بهذه الأسماءِ هيَ الّتي أرجَت له الرّجاءَ، وكذلك رحمتُه كونُها غلَبَت غضبَه. وممّا تَعلّقوا به أيضًا قولُه تَعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156]، قال أبو الفرج ابنُ الجوزيِّ(1): اختلَفَ المُفسّرونَ فيها علَى أربعةِ أقوالٍ:

أحدها: أنّ مخرجَه عامٌّ، ومعناه خاصٌّ، وتأويلُه: ورحمَتي وسِعَتِ المُؤمنينَ من أُمّة مُحمَّدٍ؛ لِقولِه: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، قاله ابنُ عبّاس(2).

الثّاني: أنّ هذه الرّحمةَ علَى العُموم في الدُّنيا، والخُصوصِ في الآخِرة. وتأويلُها: ورحمَتي وسِعَت كُلَّ شيءٍ في الدُّنيا: البرَّ والفاجرَ، وفي الآخرة هيَ للمُتّقين خاصّة. قاله الحسنُ وقتادةُ(3).

فعلَى هذا معنَى الرّحمة في الدُّنيا للكافِر: أنّه يُرزقُ ويُدفَع عنه؛ لِقولِه في حَقِّ قارونَ: ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: 77].

الثّالث: أنّ الرّحمةَ التّوبةُ؛ فهي علَى العُمومِ. قاله ابنُ زيدٍ(4).

---

(1) زاد المسير (ج 3/ 271).

(2) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (ج 10/ 483، و488)، وابن أبي حاتم في تفسيره (ج5/ 1580)، برقم: (9055) من طريق حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس.

(3) رواه عبد الرزاق في تفسيره (ج2/ 98)، برقم: (955)، ابن جرير الطبري في تفسيره (ج 10/ 486)، وابن أبي حاتم في تفسيره (5/ 1578)، برقم: (9044) من طريق معمر، عن الحسن، وقتادة.

(4) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (ج 10/ 486)، من طريق يونس، عن ابن وهب، عن ابن زيد. ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (ج5/ 1578)، برقم: (9044 - 9046) من طريق أصبغ، عن ابن زيد.

الرّابع: [196/ ب] أنّ الرّحمةَ تسعُ كُلَّ الخلقِ إلّا أنّ أهلَ الكفرِ خارِجونَ منها، فلو قُدِّر دُخولهم فيها لَوسِعَتهُم. قاله ابنُ الأنباريِّ[1]. انتهى.

ومعنَى ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ فسَأوجِبُها. فلولا روحُ الرّجاءِ لَعُطِّلت عُبوديّة القلبِ وتعَلُّقُه والجوارحِ، بل لولا روحُ الرّجاءِ لَما تحرّكتِ الجوارحُ بالطّاعةِ، ولولا ريحُه الطّيِّبةُ لَما جرَت سُفنُ الأعمالِ في بحرِ الإراداتِ. وقد أنشَد في هذا المعنَى العلّامة ابنُ القيِّم[2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ [من الكامل]:

لولا التّعَلُّلُ بالرّجاءِ تَقَطَّعَت ... نَفسُ المُحِبِّ تَحَسُّرًا وتَمَزُّقا
وكَذاكَ لولا بَردُه لِحَرارة الـ ... أكبادِ ذابَت بالحِجابِ تَحَرُّقا
أيَكونُ قَطُّ حَليفُ حُبٍّ لا يُرَى ... بِرَجائِه لِحَبيبِه مُتَعَلِّقا؟!
لولا الرّجا يَحدو المطيَّ لَما سَرَت ... بحُمولِها لِديارِهم تَرجو اللِّقا

فكُلُّ محبّة فَهي مصحوبةٌ مُلازِمة للرَّجاءِ، كما هيَ مصحوبةٌ مُلازمةٌ للخَوفِ، وعلَى قدر تَمكُّنِها مِنَ القلبِ يَشتدُّ خوفُه ورجاؤُه، لكنّ خوفَ المُحبِّ لا يَصحبُه وحشةٌ بِخلافِ خوفِ المُسيءِ. وقد تقدمَ معنى هذا قريبًا في أوائل البابِ.

كما أنّ رجاءَ المُحبِّ لا يصحَبه عِلّة بخِلافِ رجاءِ الأجيرِ، فأينَ رجاءُ المُحبِّ من رجاءِ الأجيرِ؟ بينَهُما مِثلُ حالَيهِما.

فإنّ الرّاجي المُحِبَّ هو المؤمِّلُ الرّاهِبُ الرّاغبُ في فضلِ ربِّه، مُحسِنُ الظّنِّ به، مُتعلِّقُ الأمَلِ ببرِّه وجوده، عابِدٌ له باسمِه المُحسنِ،

---

(1) ذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير (ج 3/ 271).

(2) مدارج السالكين (ج2/ 268).

البرّ، المُعطي، العفوّ، الجوادِ، الوهّاب، والله يُحبُّ من عبدِه أن يرجوه ويَخافَه ويَحذرَه ويطلُبَ منه الهِدايةَ إلى صِراطه المُستقيم [196/ أ].

فَصْلٌ

واعلم أنّ كُلَّ مَن قدح في مقام الرّجاءِ ومنزلتِه ووَهّاها وضعّفَها، عُمدتُهم في ذلك: أنّ العبدَ إذا أحَبَّ رَبَّه وأطاعَه في أوامِرِه، وانتهى عن مناهيه؛ رَجاءَ[1] ثَوابه كان ذلك حظًا وإيثارًا لِمُراد النّفس، بخلافِ ما إذا أحَبَّه وأطاعَه لِعذابه، يعني: ليس حبُّه لرَبِّه وفعلُه لِطاعتِه والانتِهاءُ عن معصيته إلّا لِعذابِه لا لِثوابِه؛ فإنّه لا حَظَّ للنّفسِ في ذلك، وكنتُ أسمَع بهذا من بعضِ مَن ينتَسِب إلى التّصوُّفِ فلا أُصدِّقُه، وذَكَره مرّة بعضُ مَن ينتَسِب إلى المشيخةِ في مدرسةِ شيخِ الإسلام أبي عُمرَ[2] فلَم يقبَله قلبي حَتّى رَأيتُه في كلامِهم مُسطّرًا، وقد تَقدم كلامُهم في ذلك في فصلِ في العِبادةِ، ولكِن قد يعرضُ لأحَدِهم حالٌ يُحدِّثُ نفسَه بأنّه لو أنّه عذّبَه لكان راضيًا بعذابِه كما يرضَى صاحِبُ الثّواب بثوابِه.

وقد حكينا ذلك عن بعضِهم في بابِ الرِّضا: أنّ مُحمّدَ بنَ إدريسَ [الرازي] الشّافعيَّ قال: سمِعتُ ابنَ الجوزيِّ يقولُ: سَمِعتُ أبا سُليمانَ الدّاراني يقولُ: «أرجو أن أكونَ قد رُزِقتُ مِنَ الرِّضا طَرَفًا لو أدخَلَني النّارَ لَكُنتُ بذلك راضيًا»[3].

---

(1) في حاشية الأصل بخط مغاير: لعله: ورجاء.

(2) يعني به: أبا عمر محمد بن أحمد المقدسي الجماعيلي الحنبلي، الزاهد، واقف المدرسة، المتوفى سنة (607هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (ج22/ 5).

(3) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الرضا عن الله بقضائه، برقم: (14)، من طريق محمد بن إدريس الرازي، عن أحمد بن أبي الحواري، به. ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء (ج9/ 263) من طريق إبراهيم، عن أحمد بن أبي الحواري، به.

وما ذكَرَه ابنُ الجوزيِّ بسَندِه عن عمّارِ بنِ ياسرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه قال: «اللهم لو أعلَمُ أنّه أرضى لَكَ عَنّي أن أوقِدَ نارًا عَظيمةً فأقَعَ فيها لَفَعلتُ»[1]، وذكَرَ في الماءِ والغرقِ مثلَ ذلك، ولكِن هذا عَزمٌ ونيّة، وعند الحقائقِ الله أعلَمُ بذلك.

كما رُوِيَ عن سَمنونٍ العابدِ[2] أنّه قال: «يا ربِّ قد رَضيتُ بكُلِّ ما تَقضيه عَلَيَّ»، وكان يُنشِدُ، ويَقولُ [من البسيط]:

وَلَيس لي من هَواكَ بُدٌّ فَكيف ما شِئتَ فامتَحِنّي

[197/ ب] فامتَحَنَه الله تَعالى باحتِباسِ عسرِ البولِ علَيه أربعة عشَرَ يومًا، فكان يلتَوي كما تلتَوي الحيّة علَى الرّملِ، يَتَقَلَّبُ يمينًا وشمالًا، فانقَطَعَت حِبالُ دَعواه، وجعَلَ يطوفُ علَى صِبيانِ المكاتِبِ، ويَقولُ: «ادعوا لِعَمِّكُمُ الكذّابِ»! فلَمّا أُطلِقَ بولُه قال: «يا رَبِّ تُبتُ إليك»[3].

فانظُر إلى مُتابعة النّبيِّ ﷺ وهديه ودُعائه أتَمَّ وأكمَلَ من طريقة هؤلاءِ، وكذلك أصحابُه من بعدِه والتّابعينَ لهم بإحسانٍ في مُتابعَتِهم واقتِفاءِ أثَرِه وسُنّته، فكان من دُعائه ﷺ: **«اللهم إنّي أعوذُ برِضاكَ من سَخَطِكَ، وبِمُعافاتِكَ من عُقوبَتِكَ، وبِكَ منكَ، لا نُحصي ثَناءً عليكَ، أنت كما أثنَيتَ على نَفسِكَ»[4]**.

---

(1) رواه ابن الجوزي في كتاب الثبات عند الممات (ص: 37)، وفي المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (ج5/ 147) من طريق محمد بن سعد الطبقات (ج3/ 257)، عن الواقدي، عن أشياخه.

(2) كُتب عنوانٌ في حاشية الأصل بخط مغاير: قصّة سمنون المحب في امتحانه بحبس بوله.

وسمنون: هو ابن حمزة الخوّاص، معاصر للجنيد. انظر: حلية الأولياء (ج10/ 309)، وتاريخ بغداد (ج10/ 324).

(3) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (ج10/ 310).

(4) رواه مسلم في صحيحه، برقم: (486)

وقوله لِعمِّه: «يا عَبّاسُ؛ عَمَّ رسول الله: سَلِ اللهَ العافيةَ»[1]، وقوله لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إذ قالت له: يا رسول الله؛ إن وافقتُ ليلة القدرِ فبِمَ أدعو؟ فقال: «قولي: اللهم إنّك عفوٌّ تُحبُّ العفوَ فاعفُ عنّي»[2].

وقد أثنى الله علَى عِبادِه أولي الألباب بأن سألوه أن يقيَهم عذابَ النّار، فقال تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: 191].

وقال لِأُمِّ حبيبة: «لو سَألتِ اللهَ أن يُجيرَكِ من عَذابِ النّارِ لَكان خيرًا لَكِ»[3]، وكان يَستعيذُ كثيرًا من عذابِ النّارِ، وعذابِ القبرِ، وفِتنة المحيا والمماتِ، ومن فتنة المسيحِ الدّجّالِ[4]، حتّى أمَرَ المسلِمينَ به في تَشَهُّدِهِم[5].

---

(1) رواه الإمام أحمد في مسنده، برقم: (1783) من طريق حسين بن علي، عن زائدة، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث، عن العبّاس. وإسنادُه ضعيف؛ لضعف يزيد بن أبي زياد، وحديثُه يُكتب للمتابعة.

ورواه أبو يعلى في مسنده، برقم: (6697) من طريق حسين بن علي، بهذا الإسناد.

ورواه الحميدي، برقم: (461)، وابن أبي شيبة (ج10/ 206)، والبخاري في الأدب المفرد، برقم: (726)، والترمذي (3843) من طرق عن يزيد بن أبي زياد. وقال الترمذي: هذا حديث صحيح، وعبدُ الله بن الحارث قد سمع من العباس بن عبد المطلب.

(2) رواه الإمام أحمد في مسنده، برقم: (25384) من طريق محمد بن جعفر، عن كهمس، عن ابن بريدة، عن عائشة. ورواه الترمذي في جامعه، برقم: (3842)، والنسائي في الكبرى (10708 - 10709 - 10710)، وهو في عمل اليوم والليلة (872 - 873 - 874) - وابن السُّنّي في عمل اليوم والليلة (767) من طرق عن كَهمَس، بهذا الإسناد، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الحاكم (ج1/ 530)، ووافقه الذهبي.

(3) رواه مسلم، برقم: (2663) من حديث ابن مسعودٍ بنحوه.

(4) كما في حديث أبي هريرة عند مسلم، برقم: (588)، ورواه أيضًا برقم: (590) من حديث عن ابن عبّاس أن الرسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء، كما يعلمهم السورة من القرآن.

(5) هو قول طاوس، علّقه عنه مسلم، ووصله عبد الرزاق في مصنفه، برقم: (3087).

وفـي وُجوبـه قـولانِ للعُلمـاءِ هُمـا وجهـانِ لِأصحابِنـا، وممَّـنِ اختـارَ الوُجـوبَ شـيخُ الإسـلامِ ابـنُ تيميـةَ[1].

ورَوَى الإمـامُ أحمـدُ فـي «مُسنده»[2]: أنّ النّبـيَّ ﷺ قـال: «**مـا سُـئِلَ اللـه شَيئًا أَحَبَّ إليـه مـن سُـؤالِ العفـوِ والعافيـة**»، وهـذا كثيـرٌ فـي السُّـنّة وما يُشـابِهُه فـي الدُّعـاءِ وغيـرِه فـي مثـلِ هـذا المحـلِّ أكثـرُ.

والمقصود: أنّ الرّجاءَ قد وقَعَ في القرآن [197/ أ] والسُّنّة لأُمورٍ:

منهـا: تبريـدُ حـرارةِ الخـوفِ. ومنهـا: إظهـارُ العُبوديّـة والفاقـة والحاجـة إلـى مـا يرجـوه مـن ربِّـه مـن فضلِـه وإحسـانِه. ومنهـا: أنّ الرّجـاءَ يُحـرِّكُ العبدَ فـي سَـيرِه إلـى اللـه تَعالـى ويُطيِّـبُ لـه المسيرَ ويَحثُّـه علَيـه. فـإنّ الخـوفَ وحـدَه لا يُحـرِّكُ العبـدَ، وإنّمـا يُحرِّكُـه الحُـبُّ والرّجـاءُ. ومنهـا: أنّ الرّجـاءَ يبعَثُـه علَـى أعلَـى مَقامـاتِ العارفيـنَ؛ وهـو مقـامُ الشُّـكرِ، الّـذي هـو خُلاصـةِ العبوديّـة، فإنّـه إذا حصَـلَ لـه مرجوُّه كان ذلـك أدعَـى لِشُـكره. ومنهـا: أنّ فـي الرّجـاءِ مِـنَ الانتظـارِ والتّرقُّـبِ والتّوقُّـعِ لِفَضـلِ اللـه مـا يوجِـبُ تَعلُّـقَ القلـبِ بذكـرِه، ودَوامَ الالتفـاتِ إليـه بمُلاحظَـةِ أسـمائه وصِفاتِـه وغيـرِ ذلـك.

وقـد ذكَـر العلّامـةُ ابـنُ القيِّـم فـي «شـرح المنـازل»[3] مِـنَ الفوائـدِ فـي هـذا

---

(1) مجموع الفتاوى (ج22/ 480).

(2) لم أقف عليه في مسند الإمام أحمد. ورواه الترمذي في جامعه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ برقم: (3879، و3880) من طريق عبد الرحمن بن أبي مليكة، عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر. قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي، وهو المليكي، وهو ضعيف في الحديث، قد تكلم فيه بعض أهل الحديث من قبل حفظه. وصححه الحاكم في المستدرك (ج1/ 675)، وتعقبه الذهبي وقال: عبد الرحمن ضعيف. وقال ابن حجر في نتائج الأفكار: رواه كلهم من طريق عبد الرحمن بن أبي مليكة وهو ذاهب الحديث. انظر: الترغيب والترهيب: (ج4/ 168).

(3) مدارج السالكين (ج2/ 280 - 283).

المعنى شَيئًا كثيرًا حَسنًا. وذكَرَ الرّقّيُّ[1] في «أحاسن المحاسن»[2] عن رابعةَ زوجةِ ابنِ أبي الحواريِّ رَحِمَهُمَاٱللَّهُ: أنّها كانت لها أحوالٌ: فتارةً يغلِبُ عليها الحبُّ، وتارة يُغلَبُ، وتارة الأُنسُ، وتارة الخوفُ، قال: فسَمِعتُها تَقول في حالِ الخوفِ [من الطويل]:

زادي قَليلٌ ما أراه مُبَلِّغي أَلِلزّادِ أبكي أم لِطولِ مَسافَتي
أتُحرِقُني بالنّارِ يا غايةَ المُنَى فأينَ رَجائي فيكَ أينَ مَحبَّتي[3]

فالله تَعالى يُحِبُّ من عِبادِه تكميلَ مقاماتِ عُبوديَّتِه مِنَ الذُّلِّ والانكسارِ، والتّوكُّلِ والاستعانةِ، والخوفِ والرّجاءِ، والصّبرِ والشُّكرِ، والرِّضا والإنابةِ وغيرِ ذلك[4].

وقد رأيتُ في كلامِ الشّيخِ عزِّ الدّين بنِ عبد السّلام، قال[5]:

فائِدة: هل يجوزُ اجتِماعُ الأحوالِ كُلِّها لأحَدٍ أم لا؟

الجوابُ: أمّا غيرُ المُتضادّةِ؛ كالرّجاءِ، والمحبّة، والمهابةِ: فيصِحُّ اجتماعُها. وأمّا المُتضادّة؛ كالرّجاءِ والخوفِ: فإنِ اختلفَ المُتعلّق جازَ أيضًا، كما لو تَصوَّر الزّقّومَ وجنّةَ الفِردوسِ، فإنّه يُمكن أن يخافَ باعتِبار هذا، ويرجو باعتِبار هذا، ولا يُمكن أن يرجو من حيثُ يخافُ، ولا يخافُ من حيثُ يرجو؛ لاجتماعِ الضِّدَّينِ. انتهى [198/ ب].

---

(1) هو الإمام العالِم الزاهد العابد القدوة، أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الرّقّي الحنبلي. المتوفّى سنة (703هـ).

(2) انظر: أحاسن المحاسن للرقي الحنبلي، تحقيق أحمد بن محمد آل ثاني (ج3/ 1283).

(3) البيتان لرابعة في تاريخ دمشق (ج69/ 118)، والتبصرة؛ لابن الجوزي (ج1/ 302)، وفي مرآة الزمان (ج15/ 176).

(4) في حاشية الأصل عنوانٌ بخط مغاير: هل يجوز اجتماع الأحوال كلها لأحدٍ أم لا.

(5) لم أقف عليه.

فهرس المحتويات

الباب السابع

في صحة اعتقاد القوم وحسن قصدهم 5

فصل

في تَقسيم العِبادة بحسبِ مَقاصدِ العبادِ 41

الباب الثامن

في ذكر الله تعالى 53

فصل

في فَضلِ الذِّكرِ والحثِّ عليه 65

فصل

عظيمٌ نافِعٌ لِكلِّ مَن نظَرَ فيه يزيدُه إيمانًا وهُدًى 106

فصل

في آدابِ الذِّكرِ 191

الباب التاسع

في المحبة والشوق 235

فصل

في شَواهدِ المحبّة لله وآثارِها وكَلام القومِ في ذلك وكَلامِ غيرهِم 246

فصل

في منشَإِ المحبّة والمعرِفة لله ولِعِبادِه المُؤمِنينَ 248

فَصْلٌ

وأكثَرُ النّاسِ محبّة لله بعدَ الأنبياءِ والرُّسلِ أولياءُ الله........................ 258

البَابُ العَاشِرُ

في التّوكُلِ على الله عَزَّ وَجَلَّ في كُلِّ أمرٍ........................ 285

فَصْلٌ

فيما نُقل عنِ القومِ في معنَى التّوكُّلِ........................ 297

البَابُ الحَادِي عَشَرَ

في الإِرَادةِ وَالزُّهدِ........................ 319

فَصْلٌ

ينبَغي للمُريد أو السّالكِ أو لِغيرِهما أن لا يفتخِرَ إلى مَن ينتَمي إليه مِنَ الفُقراء أوِ الصّوفيّة وغيرِهم 328

فَصْلٌ

والإرادة من قوانينِ هذا العِلم وجوامعِ أبنيَتِه........................ 330

البَابُ الثَّانِي عَشَرَ

في الصَّبرِ وَالحُزنِ........................ 373

فَصْلٌ

والصّبرُ من أشَقِّ الأشياءِ علَى النُّفوس........................ 395

البَابُ الثَّالِثَ عَشَرَ

في الرِّضَا........................ 408

البَابُ الرَّابِعَ عَشَرَ

في الشُّكر........................ 436

فَصْلٌ

والشُّكرُ مبنيٌّ علَى خمسة قواعِدَ 445

البَابُ الخَامِسَ عَشَرَ

في الخوفِ والرَّجَاءِ 471